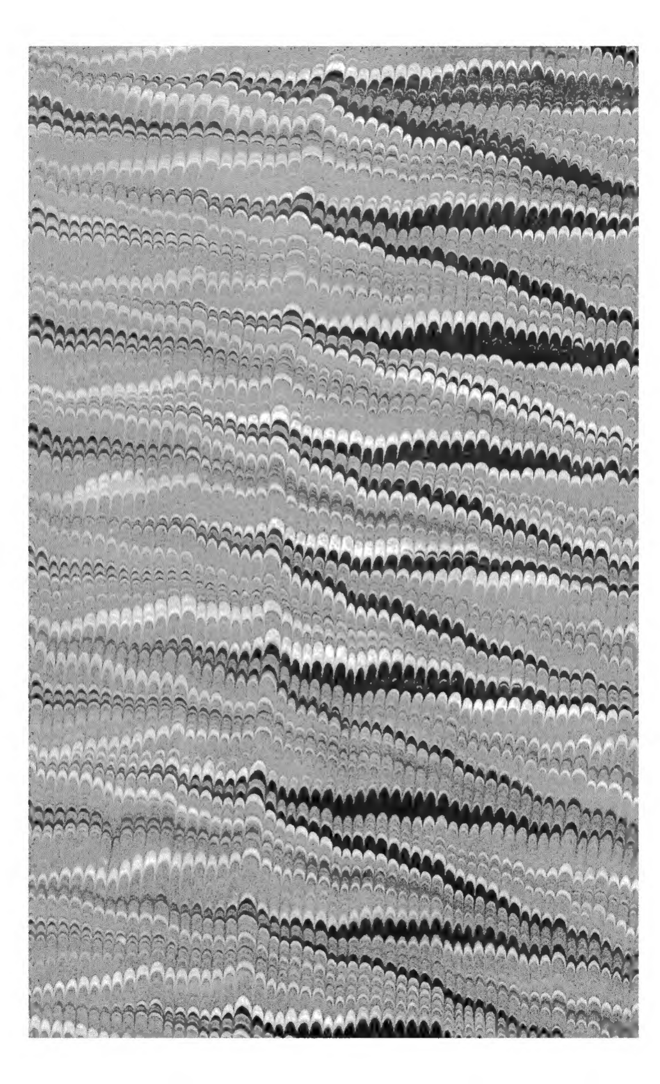
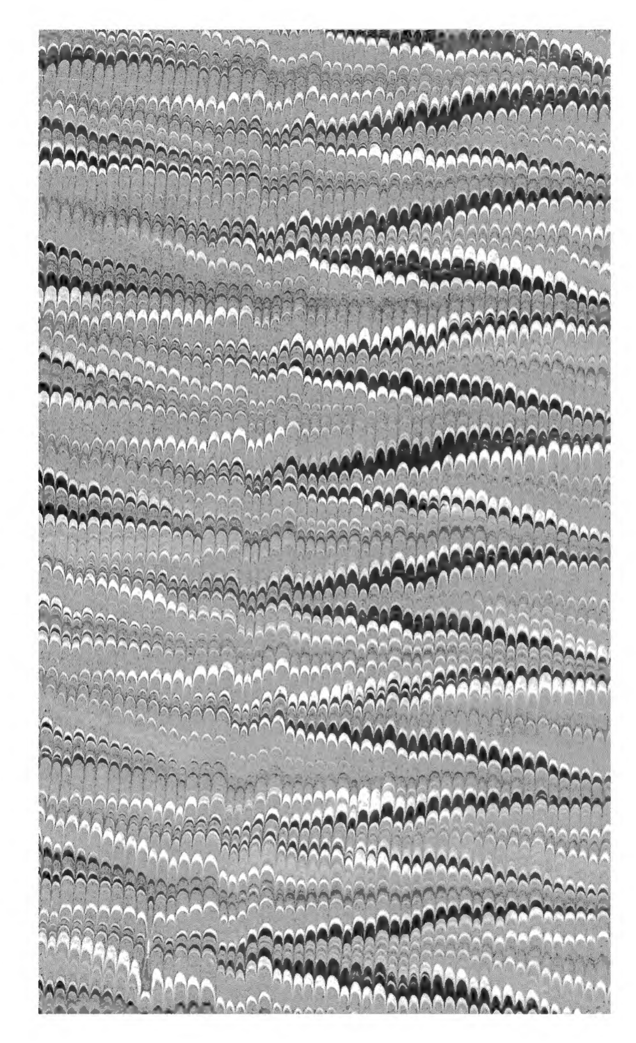

Bibliotheca Alexandrina
0197911





وزارة المعارف العمومية

تفسير القرآن الجليل

المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل

تأليف

الإمام الجليل العلامة أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي

عليه سحائب الرحمة والرضوان آمين

قال في كشف الظنون :

(مدارك التنزيل ، وحقائق التأويل) للإمام حافظ الدين عبد الله بن أحمد النسفي المتوفى سنة ٧٠١ وقيل عشر وسبعمائة . أوله الحمد لله المنزه بذاته عن إشارة الأوهام الخ . وهو كتاب وسط في التأويلات ، جامع لوجوه الإعراب والقراءات ، متضمن لدقائق علم البديع والاشارات ، موشح بأقاويل أهل السنة والجماعة ، خال من أباطيل أهل البدع والضلالة ، ليس بالطويل الممل ، ولا بالقصير المخل (اهـ)

المجلد الثاني

القاهرة

طبع بالمطبعة الأميرية ببولاق

١٩٣٩

رتب هذا المجلد ورقمه وصححه وضبطه لغة وقراءات

الشيخان

محمود أحمد البطراوى — شرف الدين محمود خطاب

الأستاذ بدار العلوم سابقا — المفتش بالوزارة

سورة يونس عليه السلام مكّية

وهي مائة وتسع آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر[1] تِلْكَ ءَايَٰتُ[2] ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ[3] ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ[4] إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ[5] ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ[6]

(١) (الر) ونحوه مَمال حمزة وعليّ وأبو عمرو . وهو تعديد الحروف على طريق التحدّى .

(٢) (تلك) إشارة إلى ما تضمّنته السورة من الايات . و (الكتاب) السورة .

(٣) ذى الحكمة لاشتماله عليها . أو المحكم عن الكذب والاقتراف .

(٤) الهمزة لإنكار التعجّب والتعجيب منه . (أن أوحينا) اسم كان و (عجبا) خبره . واللام فى (للناس) متعلّق بمحذوف هو صفة لعجبا . فلمّا تقدّم صار حالا .

(٥) بأن أنذر . أو هى مفسّرة ، إذ الإيحاء فيه معنى القول .

(٦) بأنّ لهم .

ومعنى اللام فى (للناس) أنّهم جعلوه لهم أعجوبة يتعجّبون منه . والذى تعجّبوا منه أن يوحى إلى بشر وأن يكون رجلا من أفناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم -- فقد كانوا يقولون : العجب أن الله لم يجد رسولا يرسله إلى الناس إلّا يتيم أبى طالب -- وأن يذكر لهم البعث وينذر بالنيران ويبشر بالجنان . وكل واحد من هذه الأمور ليس بعجب . لأنّ الرسل المبعوثين إلى الأمم لم يكونوا إلّا بشرا مثلهم . وإرسال اليتيم أو الفقير ليس بعجب أيضا لأنّ الله تعالى إنّما يختار للنبوّة من جمع أسبابها . والغنى والتقدّم فى الدنيا ليس من أسبابها . والبعث للجزاء على الخير والشرّ هو الحكمة العظمى . فكيف يكون عجبا ؟ إنّما العجب والمنكر فى العقول تعطيل الجزاء .

قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ [1] قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ [2] مُبِينٌ ﴿٢﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ [3] عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ [4] ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ [5] أَفَلَا تَذَكَّرُونَ [6] ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا [7] وَعْدَ اللَّهِ [8] حَقًّا [9]

---

(١) أى سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة . ولما كان السعى والسبق بالقدم سميت المسعاة الجميلة والسابقة قدما ، كما سميت النعمة يدا لأنها تعطى باليد ، وباعا لأن صاحبها يبوع بها . فقيل : لفلان قدم فى الخير . وإضافتها الى (صدق) دلالة على زيادة فضل ، وأنه من السوابق العظيمة . أو مقام صدق . أو سبق السعادة .

(٢) (إن هذا) الكتاب (لسحر) مدنى وبصرى وشامى . ومن قرأ (لساحر) فهذا إشارة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهو دليل عجزهم واعترافهم به وإن كانوا كاذبين فى تسميته سحرا .

(٣) أى استولى . فقد يقدس الديان عن المكان والمعبود عن الحدود .

(٤) (يدبر) يقضى ويقدر على مقتضى الحكمة (الأمر) أى أمر الخلق كله وأمر ملكوت السموات والأرض والعرش . لما ذكر ما يدل على عظمته وملكه من خلق السموات والأرض والاستواء على العرش أتبعها هذه الجملة لزيادة الدلالة على العظمة وأنه لايخرج أمر من الأمور عن قضائه وتقديره . وكذلك قوله (ما من شفيع إلا من بعد إذنه) دليل على عزته وكبريائه .

(٥) (ذلكم) العظيم الموصوف بما وصف به (الله ربكم) وهو الذى يستحق العبادة (فاعبدوه) وحده ولا تشركوا به بعض خلقه من إنسان أو ملك فضلا عن جماد لا يضر ولا ينفع .

(٦) أفلا تتدبرون فتستدلون بوجود المصالح والمنافع على وجود المصلح النافع .

(٧) (جميعا) حال . أى لا ترجعون فى العاقبة إلا إليه فاستعدوا للقائه . والمرجع الرجوع أو مكان الرجوع .

(٨) مصدر مؤكد لقوله (إليه مرجعكم) .

(٩) مصدر مؤكد لقوله (وعد الله) .

إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ[1] لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ[2] بِٱلْقِسْطِ[3] وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ۝ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً[4] وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ[5] مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ[6] وَٱلْحِسَابَ[7] مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ[8] يُفَصِّلُ[9] ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ[10] ۝ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ[11]

(١) استئناف معناه التعليل لوجوب المرجع اليه .

(٢) أى الحكمة بابتداء الخلق و إعادته هو جزاء المكلفين على أعمالهم .

(٣) بالعدل . وهو متعلّق بيجزى أى ليجزيهم بقسطه و يوفّيهم أجورهم . أو بقسطهم أى بما أقسطوا وعدلوا ولم يظلموا حين آمنوا ، إذ الشرك ظلم (إنّ الشرك لظلم عظيم) . وهذا أوجه لمقابلة قوله (والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون) ، ولوجه كلامىّ .

(٤) الياء فيه منقلبة عن واو ضوء لكسرة ما قبلها . وقلبها قنبل همزة لأنّها لحركة أجمل . والضياء أقوى من النور فلذا جعله للشمس .

(٥) وقدّر القمر أى وقدّر مسيره (منازل) . أو (وقدّره) ذا (منازل) كقوله (والقمر قدّرناه منازل) .

(٦) أى (عدد السنين) والشهور . فا كتفى بالسنين لاشتمالها على الشهور .

(٧) وحساب الآجال والمواقيت المقدّرة بالسنين والشهور .

(٨) (ما خلق الله ذلك) المذكور (إلّا) ملتبسا (بالحقّ) الذى هو الحكمة البالغة ولم يخلقه عبثا .

(٩) مكّىّ وبصرىّ وحفص . و بالنون غيرهم .

(١٠) فينتفعون بالتأمّل فيها .

(١١) فى مجىء كلّ واحد منها خلف الآخر ، أو فى اختلاف لونيهما .

وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ[1] لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ[2] ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا[3] وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا[4] وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا[5] وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ[6] ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ[7] بِمَا[8] كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ[9] فِى جَنَّٰتِ[10] ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ[11]

---

[1] من الخلائق .

[2] خصّهم بالذكر لأنّهم يحذرون الآخرة فيدعوهم الحذر إلى النظر .

[3] لا يتوقّعونه أصلا ولا يخطرونه ببالهم لغفلتهم عن التفطّن للحقائق . أو لا يؤمّلون حسن لقائنا كما يؤمّله السعداء . أو لا يخافون سوء لقائنا الذى يجب أن يخاف .

[4] (ورضوا بالحياة الدنيا) من الآخرة وآثروا القليل الفانى على الكثير الباقى .

[5] وسكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها فبنوا شديدا وأمّلوا بعيدا .

[6] لا يتفكّرون فيها . لا وقف عليه لأنّ خبر إنّ (أولئك مأواهم النار) .

[7] (أولئك) مبتدأ (ومأواهم) مبتدأ ثان و (النار) خبره والجملة خبر (أولئك) .

[8] الباء يتعلق بمحذوف دلّ عليه الكلام وهو جوزوا .

[9] (يهديهم ربهم بإيمانهم) يسدّدهم بسبب إيمانهم للاستقامة على سلوك الطريق السديد المؤدّى إلى الثواب . ولذا جعل (تجرى من تحتهم الأنهار) بيانا له وتفسيرا. إذ التمسك بسبب السعادة كالوصول إليها. أو يهديهم فى الآخرة بنور إيمانهم إلى طريق الجنّة ومنه الحديث "إنّ المؤمن إذا خرج من قبره صوّر له عمله فى صورة حسنة فيقول له أنا عملك فيكون له نورا وقائدا إلى الجنّة. والكافر إذا خرج من قبره صوّر له عمله فى صورة سيّئة فيقول له أنا عملك فينطلق به حتّى يدخله النار" . وهذا دليل على أنّ الإيمان المجرد منج حيث قال بإيمانهم ولم يضمّ إليه العمل الصالح .

[10] متعلّق بتجرى أوحال من (الأنهار) .

[11] (دعواهم) أى دعاؤهم لأنّ (اللهم) نداء الله. ومعناه (اللّهم) إنّا نسبّحك. أى يدعون الله بقولهم (سبحانك اللهمّ) ، تلذّذا بذكره لاعبادة .

وَتَحِيَّتُهُمْ(١) فِيهَا سَلَامٌ وَءَاخِرُ دَعْوَاهُمْ(٢) أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(٣) ﴿١٠﴾ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ(٤) فَنَذَرُ(٥) الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ(٦) يَعْمَهُونَ(٧) ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ(٨) الْإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا(٩) لِجَنبِهِ(١٠) أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ(١١)

(١) أى يحيّي بعضهم بعضا بالسلام . أو هى تحيّة الملائكة إيّاهم وأضيف إلى المفعول . أو تحيّة الله لهم .

(٢) وخاتمة دعائهم الذى هو التسبيح .

(٣) (أن) يقولوا (الحمد لله ربّ العالمين).(أن) مخفّفة من الثقيلة وأصله أنّه(الحمد لله ربّ العالمين) . والضمير للشأن . قيل أوّل كلامهم التسبيح وآخره التحميد . فيبتدئون بتعظيم الله وتنزيهه ويختمون بالشكر والثناء عليه و يتكلّمون بينهما بما أرادوا .

(٤) أصله (ولو يعجّل الله للناس الشرّ) تعجيله لهم الخير.فوضع (استعجالهم بالخير) موضع تعجيله لهم الخير إشعارا بسرعة إجابتـه لهم. والمراد أهل مكّة وقولهم (فأمطر علينا حجارة من السماء) . أى ولو عجّلنا لهم الشرّ الذى دعوا به كما نعجّل لهم الخير ونجيبهم إليه (لقضى إليهم أجلهم) لأميتوا وأهلكوا . (لقضى إليهم أجلهم) شامىّ على البناء للفاعل وهو الله عزّ وجل .

(٥) وجه اتّصاله بما قبله أنّ قوله (ولو يعجّل الله) متضمّن معنى نفى التعجيل . كأنّه قيل ولا نعجّل لهم الشرّ ولا نقضى إليهم أجلهم فنذرهم فى طغيانهم . أى فنمهلهم ونفيض عليهم النعمة مع طغيانهم إلزاما للحجّة عليهم .

(٦) شركهم وضلالهم .

(٧) يتردّدون .

(٨) أصابه . والمراد به الكافر .

(٩) أى دعا الله لإزالته .

(١٠) (لجنبه) فى موضع الحال بدليل عطف الحالين أى (أو قاعدا أو قائما) عليه . أى دعانا مضطجعا . وفائدة ذكر هذه الأحوال أنّ معناه أنّ المضرور لايزال داعيا لايفتر عن الدعاء حتّى يزول عنه الضرّ فهو يدعونا فى حالاته كلها سواء كان مضطجعا عاجزا عن النهوض أوقاعدا لايقدر على القيام أو قائما لا يطيق المشى .

(١١) أزلنا ما به .

مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ(1) كَذَٰلِكَ(2) زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ(3) ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ(4) لَمَّا ظَلَمُوا۟(5) وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم(6) بِٱلْبَيِّنَٰتِ(7) وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟(8) كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ(9) ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ(10) لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ(11) ﴿١٤﴾

(1) أى مضى على طريقته الأولى قبل مسّ الضرّ ونسى حال الجهد. أو مرّ عن موقف الابتهال والتضرّع لا يرجع إليه كأنه لا عهد له به. والأصل كأنّه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشأن.

(2) مثل ذلك التزيين.

(3) (للمسرفين) المجاوزين الحدّ فى الكفر. زيّن الشيطان بوسوسته (ما كانوا يعملون) من الإعراض عن الذكر واتّباع الكفر.

(4) يا أهل مكّة.

(5) أشركوا. وهو ظرف لأهلكنا.

(6) الواو للحال. أى ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم.

(7) بالمعجزات.

(8) (وما كانوا ليؤمنوا) إن بقوا ولم يهلكوا لأنّ الله علم منهم أنّهم يصرّون على كفرهم. وهو عطف على (ظلموا). أو اعتراض. واللام لتأكيد النفى. يعنى أن السبب فى إهلاكهم تكذيبهم للرسل وعلم الله أنّه لا فائدة فى إمهالهم بعد أن ألزموا الحجة ببعثة الرسل.

(9) (كذلك) مثل ذلك الجزاء يعنى الإهلاك (نجزى القوم المجرمين) وهو وعيد لأهل مكّة على إجرامهم بتكذيب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

(10) الخطاب للذين بعث إليهم محمد صلّى الله عليه وسلّم. أى استخلفناكم فى الأرض بعد القرون التى أهلكناها.

(11) أى لننظر أتعملون خيرا أو شرّا فنعاملكم على حسب عملكم. (وكيف) فى محلّ النصب بتعملون لا بننظر. لأنّ معنى الاستفهام فيه يمنع أن يتقدّم عليه عامله. والمعنى أنتم بمنظر منّا فانظروا كيف تعملون أبالاعتبار بماضيكم أم الاغترار بما فيكم. قال عليه السلام "الدنيا حلوة خضرة وإنّ الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون".

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ[1] قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآىِٕ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ[2] ﴿١٥﴾

(١) حال .

(٢) (قال الذين لا يرجون لقاءنا) لمّا غاظهم ما فى القرآن من ذمّ عبادة الأوثان والوعيد لأهل الطغيان : (ائت بقرآن غير هذا) ليس فيه مايغيظنا من ذلك، نتّبعك (أو بدّله) بأن تجعل مكان آية عذاب آية رحمة ، وتسقط ذكر الآلهة وذمّ عبادتها. فأمر بأن يجيب عن التبديل لأنّه داخل تحت قدرة الإنسان وهو أن يضع مكان آية عذاب آية رحمة وأن يسقط ذكر الآلهة بقوله (قل ما يكون لى) ما يحلّ لى (أن أبدّله من تلقاء نفسى) من قبل نفسى (إن أتّبع إلّا ما يوحى إلىّ) لا أتّبع إلّا وحى الله من غير زيادة ولا نقصان ولا تبديل لأنّ الذى أتيت به من عند الله لا من عندى فأبدّله .

(إنّى أخاف إن عصيت ربّى) بالتبديل من عند نفسى (عذاب يوم عظيم) أى يوم القيامة .

وأمّا الإتيان بقرآن آخر فلا يقدر عليه الإنسان ، وقد ظهر لهم العجز عنه. إلّا أنّهم كانوا لايعترفون بالعجز ،ويقولون (لو نشاء لقلنا مثل هذا). ولايحتمل أن يريدوا بقوله (ائت بقرآن غير هذا أو بدّله) من جهة الوحى لقوله (إنّى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم). وغرضهم فى هذا الاقتراح الكيد . أمّا اقتراح إبدال قرآن بقرآن ففيه أنّه من عندك وأنّك قادر على مثله فأبدل مكانه آخر. وأمّا اقتراح التبديل فلاختبار الحال وأنّه إن وجد منه تبديل فإمّا أن يهلكه الله فينجوا منه ، أو لا يهلكه فيسخروا منه . فيجعلوا التبديل حجّة عليه وتصحيحا لافترائه على الله .

قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ[1] وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ[2] فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ[3] أَفَلَا تَعْقِلُونَ[4] ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا[5] أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ[6] إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ[7] وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ[8] شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ[9]

(١) يعنى أنّ تلاوته ليست إلاّ بمشيئة الله و إظهاره أمرا عجيبا خارجا عن العادات وهو أن يخرج رجل أمىّ لم يتعلّم ولم يشاهد العلماء فيقرأ عليكم كتابا فصيحا يغلب كلّ كلام فصيح ويعلو على كلّ منثور ومنظوم مشحونا بعلوم الأصول والفروع والإخبار عن الغيوب التى لا يعلمها إلاّ الله .

(٢) ولا أعلمكم الله بالقرآن على لسانى .

(٣) من قبل نزول القرآن، أى فقد أقمت فيما بينكم أربعين سنة ولم تعرفونى متعاطيا شيئا من نحوه ولا قدرت عليه ولا كنت موصوفا بعلم وبيان فتتّهمونى باختراعه .

(٤) (أفلا تعقلون) فتعلموا أنّه ليس إلاّ من عند الله لا من مثلى . وهذا جواب عمّا دسّوه تحت قولهم (ائت بقرآن غير هذا) من إضافة الافتراء اليه .

(٥) يحتمل أن يريد افتراء المشركين على الله فى أنّه ذو شريك وذو ولد ، وأن يكون تفاديا ممّا أضافوه إليه من الافتراء .

(٦) بالقرآن . فيه بيان أنّ الكاذب على الله والمكذّب بآياته فى الكفر سواء .

(٧) (ما لا يضرّهم) إن تركوا عبادتها (ولا ينفعهم) إن عبدوها .

(٨) أى الأصنام .

(٩) أى فى أمر الدنيا ومعيشتها لانّهم كانوا لا يقرّون بالبعث (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت) . أو يوم القيامة إن يكن بعث ونشور .

قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ (١) سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢) ۝ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً (٣) فَٱخْتَلَفُوا۟ (٤) وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ (٥) لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٦) ۝ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ (٧) فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ (٨) فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ (٩) ۝ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ (١٠) رَحْمَةً (١١)

---

(١) أتخبرونه بكونهم شفعاء عنده وهو إنباء بما ليس بمعلوم لله . وإذا لم يكن معلوما له وهو عالم بجميع المعلومات، لم يكن شيئا. وقوله (فى السموات ولا فى الأرض) تأكيد لنفيه لأن ما لم يوجد فيهما فهو معدوم .

(٢) نزه ذاته عن أن يكون له شريك . وبالتاء حمزة وعلى . و(ما) موصولة أو مصدرية أى عن الشركاء الذين يشركونهم به أو عن إشراكهم .

(٣) حنفاء متفقين على ملة واحدة من غير أن يختلفوا بينهم . وذلك فى عهد آدم عليه السلام إلى أن قتل قابيل هابيل . أو بعد الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين ديارا .

(٤) فصاروا مللا .

(٥) وهو تأخير الحكم بينهم إلى يوم القيامة .

(٦) (لقضى بينهم) عاجلا (فيما فيه يختلفون) فيما اختلفوا فيه ولميز المحق من المبطل . وسبق كلمته لحكمة . وهى أن هذه الدار دار تكليف ، وتلك الدار دار ثواب وعقاب .

(٧) أى آية من الآيات التى اقترحوها .

(٨) أى هو المختص بعلم الغيب فهو العالم بالصارف عن إنزال الآيات المقترحة لا غير .

(٩) (فانتظروا) نزول ما اقترحتموه (إنى معكم من المنتظرين) لما يفعل الله بكم لعنادكم وجحودكم الآيات .

(١٠) أهل مكة .

(١١) خصبا وسعة .

مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ(١) إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ(٢) قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ(٣) إِنَّ رُسُلَنَا(٤) يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ(٥) ۝ هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ(٦) فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ(٧) وَجَرَيۡنَ(٨) بِهِم(٩) بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ(١٠) وَفَرِحُواْ بِهَا(١١) جَآءَتۡهَا(١٢) رِيحٌ عَاصِفٞ(١٣)

(١) يعنى القحط والجوع . ومعنى (مستهم) خالطتهم حتى أحسّوا بسوء أثرها فيهم .

(٢) أى مكروا بآياتنا بدفعها و إنكارها . روى أنه تعالى سلط القحط سبع سنين على أهل مكة حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا . فلما رحمهم طفقوا يطعنون فى آيات الله و يعادون رسول الله صلى الله عليه وسلم و يكيدونه . فإذا الأولى للشرط والثانية جوابها وهى للفاجأة . وهو كقوله (و إن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون) أى و إن تصبهم سيئة قنطوا و إذا أذقنا الناس رحمة مكروا . والمكر إخفاء الكيد وطيه ، من الجارية الممكورة المطوية الخلق .

(٣) إنما قال (قل الله أسرع مكرا) ولم يصفهم بسرعة المكر لأن كلمة المفاجأة دلت على ذلك كأنه قال : و إذا رحمناهم من بعد ضراء فاجئوا وقوع المكر منهم وسارعوا إليه قبل أن يغسلوا رءوسهم من مس الضراء .

(٤) يعنى الحفظة .

(٥) إعلام بأن ما تظنونه خافيا لا يخفى على الله وهو منتقم منكم وبالياء سهل .

(٦) يجعلكم قادرين على قطع المسافات بالأرجل والدواب والفلك الجارية فى البحار أو يخلق فيكم السير . (ينشركم) شامى .

(٧) أى السفن .

(٨) أى السفن .

(٩) بمن فيها . رجوع من الخطاب إلى الغيبة للمبالغة .

(١٠) لينة الهبوب لا عاصفة ولا ضعيفة .

(١١) بتلك الريح للينها واستقامتها .

(١٢) أى الفلك أو الريح الطيبة أى تلقتها .

(١٣) ذات عصف أى شديدة الهبوب

وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ[1] مِن كُلِّ مَكَانٍ[2] وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ[3] دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ[4] لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ[5] ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ[6] فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ[7] يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم[8] مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا[9] ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ[10] ﴿٢٣﴾

(١) هو ما علا على الماء .

(٢) (من كلّ مكان) من البحر أو من جميع أمكنة الموج .

(٣) أهلكوا . جعل إحاطة العدو بالحيّ مثلا فى الإهلاك .

(٤) من غير إشراك به لأنّهم لا يدعون حينئذ معه غيره .

(٥) يقولون (لئن أنجيتنا من هذه) الأهوال أو من هذه الريح (لنكوننّ من الشاكرين) لنعمتك مؤمنين بك متمسكين بطاعتك .

ولم يجعل الكون فى الفلك غاية للتسيير فى البحر ، ولكن مضمون الجملة الشرطية الواقعة بعد حتّى بما فى حيزها . كأنّه قيل يسيّركم حتّى إذا وقعت هذه الحادثة وكان كيت وكيت من مجىء الريح العاصف وتراكم الأمواج والظنّ بالهلاك والدعاء بالإنجاء . وجواب إذا (جاءتها). و(دعوا) بدل من (ظنّوا) لأنّ دعاءهم من لوازم ظنّهم الهلاك فهو ملتبس به .

(٦) يفسدون فيها .

(٧) باطلا أى مبطلين .

(٨) أى ظلمكم يرجع إليكم كقوله (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها) .

(٩) (متاعَ) حفص . أى تتمتعون (متاع الحياة الدنيا) . و (على أنفسكم) خبر لبغيكم . غيره بالرفع على أنّه خبر (بغيكم) و (على أنفسكم) صلته كقوله (فبغى عليهم) . ومعناه إنّما بغيكم على أمثالكم . أو هو خبر و (متاع) خبر بعد خبر . أو (متاع) خبر مبتدأ مضمر أى هو (متاع الحياة الدنيا) . وفى الحديث " أسرع الخير ثوابا صلة الرحم وأعجل الشر عقابا البغى واليمين الفاجرة " . وروى " ثنتان يعجّلهما الله فى الدنيا البغى وعقوق الوالدين " . وعن ابن عباس رضى الله عنهما " لو بغى جبل على جبل لدكّ الباغى " . وعن محمد بن كعب : ثلاث من كنّ فيه كنّ عليه " البغى والنكث والمكر " . قال الله تعالى (إنّما بغيكم على أنفسكم) (ولا يحيق المكر السيّئ إلّا بأهله) (ومن نكث فإنّما ينكث على نفسه) .

(١٠) فنخبركم به ونجازيكم عليه .

إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ[1] فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ[2] مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ[3] وَٱلْأَنْعَٰمُ[4] حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا[5] وَٱزَّيَّنَتْ[6] وَظَنَّ أَهْلُهَآ[7] أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ[8] أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا[9] لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا[10] كَأَن لَّمْ تَغْنَ[11] بِٱلْأَمْسِ[12] كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ[13] ﴿٢٤﴾

---

(١) من السحاب .

(٢) (فاختلط به) بالماء (نبات الأرض) . أى فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا .

(٣) يعنى الحبوب والثمار والبقول .

(٤) يعنى الحشيش .

(٥) زينتها بالنبات واختلاف ألوانه .

(٦) وتزينت به وهو أصله وأدغمت التاء فى الزاى . وهو كلام فصيح جعلت الأرض آخذة زخرفها على التمثيل بالعروس إذا أخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتستها وتزيّنت بغيرها من ألوان الزين .

(٧) أهل الأرض .

(٨) متمكّنون من منفعتها محصّلون لثمرتها رافعون لغلّتها .

(٩) عذابنا وهو ضرب زرعها ببعض العاهات بعد أمنهم واستيقانهم أنّه قد سلم .

(١٠) فجعلنا زرعها شبيها بما يحصد من الزرع فى قطعه واستئصاله .

(١١) كأن لم يغن زرعها أى لم يلبث .حذف المضاف فى هذه المواضع لا بدّ منه ليستقيم المعنى .

(١٢) هو مثل فى الوقت القريب كأنّه قيل كان لم تغن آنفا .

(١٣) فينتفعون بضرب الأمثال .

وهذا من التشبيه المركّب شبّهت حال الدنيا فى سرعة تقضّيها وانقراض نعيمها بعد الإقبال ، بحال نبات الأرض فى جفافه وذهابه حطاما بعد ما التفّ وتكاثف وزيّن الأرض

وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ (١) وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ (٢) إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٣)

بخضرته ورفيفه . وحكمة التشبيه التنبيه على أنّ الحيـاة صفوها شبيبتها . وكدرها شيبتها . كما أنّ صفو المـاء فى أعلى الإناء . قال :

ألم تر أنّ العمر كأس سلافة * فأوّله صـفو وآخره كدَر

وحقيقته : تزيين جنّة الطين ، بمصالح الدنيا والدين ، كاختلاط النبات على اختلاف التلوين . فالطينة الطيّبة تنبت بساتين الأنس ، و رياحين الروح ، وزهرة الزهد ، وكروم الكرم ، وحبوب الحبّ ، وحدائق الحقيقة ، وشقائق الطريقة . والخبيثة تخرج خلاف الخلف ، وثُمـام الإثم ، وشوك الشرك ، وشيح الشحّ ، وحطب العطب ، ولُعاع اللعب . ثم يدعوه معاده ، كما يحين لحرث حصاده . فتزايله الحيـاة مفترّا ، كما يهيج النبـات مصفرّا . فتغيب جنّته فى الرمس ، كأن لم تغن بالأمس . إلى أن يعود ربيع البعث ، وموعد العرض والبحث . وكذلك حال الدنيا كالمـاء ينفع قليـله ويهلك كثيره . ولا بدّ من ترك ما زاد . كما لا بدّ من أخذ الزاد . وآخذ المـال لايخلو من زلّة . كما أنّ خائض المـاء لاينجو من بلّة . وجمعه وإمساكه تلف صاحبه وإهلاكه . فما دون النصاب كضحضاح ماء يجاوز بلا احتياء . والنصاب كنهر حائل بين المجتـاز . والجواز إلى المفـاز ، لا يمكن إلّا بقنطرة وهى الزكاة وعمارتها بذل الصلات . فمتى اختلّت القنطرة ، غرّقته أمواج القناطير المقنطرة . وعن هذا قال عليه السلام " الزكاة قنطرة الإسلام ". وكذا المـال يساعد الأوغاد ، دون الأمجاد . كما أنّ المـاء يجتمع فى الوهاد . دون النجاد . وكذلك المـال لا يجتمع إلّا بكدّ البخيل . كما أنّ المـاء لا يجتمع إلّا بسدّ المسيل . ثمّ يفنى ويتلف . ولا يبقى كالمـاء فى الكفّ .

(١) هى الجنّة . أضافها إلى اسمه تعظيما لها . أو السلام السلامة لأنّ أهلها سالمون من كلّ مكروه . وقيل لفشو السلام بينهم وتسليم الملائكة عليهم (إلّا قيلا سلاما سلاما) .

(٢) ويوفّق (من يشاء) .

(٣) إلى الإسلام أو طريق السنّة . فالدعوة عامّة على لسان رسول الله بالدلالة والهداية خاصّة من لطف المرسل بالتوفيق والعناية . والمعنى يدعو العبـاد كلّهم إلى دار السلام ولا يدخلها إلّا المهديّون .

لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟[١] ٱلْحُسْنَىٰ[٢] وَزِيَادَةٌ[٣] وَلَا يَرْهَقُ[٤] وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ[٥] وَلَا ذِلَّةٌ[٦] أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ[٧] كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ[٨] جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا[٩] وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ[١٠] مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ[١١] مِنْ عَاصِمٍ[١٢]

(١) آمنوا بالله ورسله .

(٢) المثوبة الحسنى وهى الجنّة .

(٣) رؤية الربّ عزّ وجلّ . كذا عن أبى بكر وحذيفة وابن عباس وأبى موسى الأشعرىّ وعبادة بن الصامت رضى الله عنهم . وفى بعض التفاسير أجمع المفسّرون على أنّ الزيادة النظر إلى الله تعالى . وعن صهيب أنّ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم قال "إذا دخل أهل الجنة يقول الله تبارك وتعالى أتريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنّة وتنجنا من النار؟ قال : فيرفع الحجاب فينظرون إلى الله تعالى فما أعطوا شيئا أحبّ إليهم من النظر الى ربّهم" . ثمّ تلا (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة). والعجب من صاحب الكشّاف أنّه ذكر هذا الحديث لا بهذه العبارة وقال إنّه حديث مدفوع ، مع أنّه مرفوع . قد أورده صاحب المصابيح ، فى الصحاح . وقيل الزيادة المحبّة فى قلوب العباد . وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان .

(٤) ولا يغشى (وجوههم) .

(٥) غبرة فيها سواد .

(٦) ولا أثر هوان . والمعنى ولا يرهقهم ما يرهق أهل النار .

(٧) عطف على (للّذين أحسنوا) أى وللّذين كسبوا .

(٨) فنون الشرك .

(٩) الباء زائدة كقوله (وجزاء سيّئة سيّئة مثلها) . أو التقدير جزاء سيّئة مقدّر بمثلها .

(١٠) ذلّ وهوان .

(١١) من عقابه .

(١٢) أى لا يعصمهم أحد من سخطه وعقابه .

كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا[١] أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ[٢] جَمِيعًا[٣] ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ[٤] أَنْتُمْ[٥] وَشُرَكَاؤُكُمْ[٦] فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ[٧] وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ[٨] مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ[٩] ۝ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا[١٠] بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا[١١] عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ۝ هُنَالِكَ[١٢]

(١) أى جعل عليها غطاء من سواد الليل . أى هم سود الوجوه . وقطعا جمع قطعة وهو مفعول ثان لأغشيت. (قِطْعا) مكىّ وعلىّ من قوله (بقطع من الليل). وعلى هذه القراءة مظلما صفة لقطع. وعلى الأول حال من(الليل) . والعامل فيه (أغشيت) لأن (من الليل) صفة لقطعا فكان إفضاؤه إلى الموصوف كإفضائه إلى الصفة . أو معنى الفعل فى (من الليل) .

(٢) أى الكفار وغيرهم .

(٣) حال .

(٤) أى الزموا مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم .

(٥) أكّد به الضمير فى (مكانكم) لسدّه مسدّ قوله الزموا .

(٦) عطف عليه .

(٧) ففرّقنا (بينهم) وقطّعنا أقرانهم والوصل التى كانت بينهم فى الدنيا .

(٨) من عبدوه من دون الله من أولى العقل أو الأصنام ينطقها الله عز وجل .

(٩) إنّما كنتم تعبدون الشياطين حيث أمروكم أن تتّخذوا لله أندادا فأطعتموهم وهو قوله (ويوم نحشرهم جميعا ثمّ نقول للملائكة أهؤلاء إيّاكم) إلى قوله (بل كانوا يعبدون الجنّ).

(١٠) أى كفى الله (شهيدا) . وهو تمييز .

(١١) (إنْ) مخفّفة من الثقيلة .واللام فارقة بينها و بين النافية .

(١٢) فى ذلك المكان أو فى ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان .

تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ(١) وَرُدُّوٓا إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَـٰهُمُ ٱلْحَقِّ(٢) وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ(٣) ۝ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ(٤) أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ(٥) وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ(٦) وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ(٧) فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ(٨) فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ(٩) ۝ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ(١٠)

---

(١) تختبر وتذوق (ما أسلفت) من العمل فتعرف كيف هو أقبيح أم حسن ، أنافع أم ضار ، أمقبول أم مردود .وقال الزجّاج تعلم كلّ نفس ما قدمت . (تتلو) حمزة وعلىّ ، أى تتبع ما أسلفت لأنّ عمله هو الذى يهديه إلى طريق الجنّة أو النار ، أو تقرأ فى صحيفتها ما قدّمت من خير أو شرّ . كذا عن الأخفش .

(٢) ربّهم الصادق فى ربوبيّته لأنّهم كانوا يتولّون ما ليس لربوبيته حقيقة . أو الذى يتولّى حسابهم وثوابهم العدل الذى لا يظلم أحدا .

(٣) وضاع عنهم ما كانوا يدّعون أنّهم شركاء لله . أو بطل عنهم ما كانوا يختلقون من الكذب وشفاعة الآلهة .

(٤) (قل من يرزقكم من السماء) بالمطر (والأرض) بالنبات .

(٥) من يستطيع خلقهما وتسويتهما على الحدّ الذى سوّيا عليه من الفطرة العجيبة . أو من يحميهما من الآفات مع كثرتها فى المدد الطوال وهما لطيفان يؤذيهما أدنى شىء .

(٦) أى الحيوان والفرخ والزرع والمؤمن والعالم من النطفة والبيضة والحبّ والكافر والجاهل وعكسها .

(٧) ومن يلى تدبير أمر العالم كلّه . جاء بالعموم بعد الخصوص .

(٨) فسيجيبونك عند سؤالك أنّ القادر على هذه هو (الله) .

(٩) (أفلا تتّقون) الشرك فى العبوديّة إذ اعترفتم بالربوبيّة .

(١٠) أى من هذه قدرته هو (الله) .

رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ (١) فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ (٢) فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ (٣) ۝ كَذَٰلِكَ (٤) حَقَّتْ كَلِمَتُ (٥) رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ (٦) أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٧) ۝ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ (٨) قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ (٩) ثُمَّ يُعِيدُهُۥ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (١٠) ۝ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ (١١) قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ (١٢) أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ

(١) الثابت ربوبيّته ثباتا لا ريب فيه لمن حقّق النظر .

(٢) أى لا واسطة بين الحقّ والضلال فمن تخطّى الحقّ وقع فى الضلال .

(٣) (فأنّى تصرفون) عن الحقّ إلى الضلال وعن التوحيد إلى الشرك .

(٤) مثل ذلك الحقّ .

(٥) (كلمات) شامىّ ومدنىّ . أى كما حقّ وثبت أنّ الحقّ بعده الضلال ، أو كما حقّ أنّهم مصروفون عن الحق ، فكذلك (حقّت كلمة ربّك) .

(٦) تمرّدوا فى كفرهم وخرجوا إلى الحدّ الأقصى فيه .

(٧) بدل من الكلمة . أى حقّ عليهم انتفاء الإيمان أو حقّ عليهم كلمة الله أنّ إيمانهم غير كائن . أو اراد بالكلمة العدة بالعذاب و(أنّهم لا يؤمنون) تعليل أى لأنّهم لا يؤمنون .

(٨) إنّما ذكر (ثمّ يعيده) وهم غير مقرّين بالإعادة لأنّه لظهور برهانها جعل أمرا مسلّما . على أنّ فيهم من يقرّ بالإعادة . أو يحتمل إعادة غير البشر كإعادة الليل والنهار وإعادة الإنزال والنبات .

(٩) أمر نبيّه بأن ينوب عنهم فى الجواب . يعنى أنّهم لا تدعهم مكابرتهم أن ينطقوا بكلمة الحقّ فتكلّم عنهم .

(١٠) فكيف تصرفون عن قصد السبيل .

(١١) يرشد إليه .

(١٢) يقال هداه للحقّ وإلى الحقّ بجمع بين اللغتين . ويقال هدى بنفسه بمعنى اهتدى . (لا يهَدّى) بفتح الياء والهاء وتشديد الدال مكّىّ وشامىّ وورش . وبإشمام الهاء فتحة أبوعمرو . وبكسر الهاء وفتح الياء عاصم غير يحيى . والأصل (يهتدى) وهى قراءة عبد الله . فأدغمت التاء

فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ[1] ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ[2] إِلَّا ظَنًّا[3] إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ[4] شَيْئًا[5] إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ[6] ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ[7] وَلَٰكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ[8] وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ[9] لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ[10] ﴿٣٧﴾

فى الدال وفتحت الهاء بحركة التاء أو كسرت لالتقاء الساكنين . وبكسر الياء والهاء وتشديد الدال يحيى ، لاتباع ما بعدها . وبسكون الهاء وتشديد الدال مدنىّ غير ورش . والمعنى أنّ الله وحده هو الذى يهدى للحقّ بما ركب فى المكلّفين من العقول وأعطاهم من التمكين للنظر فى الأدلّة التى نصبها لهم وبما وفّقهم وألهمهم ووقفهم على الشرائع بإرسال الرسل. فهل من شركائكم الذين جعلتم أندادا لله أحد يهدى إلى الحقّ مثل هداية الله؟ ثمّ قال: أفمن يهدى إلى الحقّ أحقّ بالاتّباع أم الذى لا يهدى غيره إلّا أن يهديه الله ؟ وقيل معناه أم من لا يهتدى من الأوثان إلى مكان فينتقل إليه إلّا أن يهدى إلّا أن ينقل . أو لا يهتدى ولا يصحّ منه الاهتداء إلّا أن ينقله الله من حاله إلى أن يجعله حيّاً ناطقا فيهديه .

[1] (كيف تحكمون) بالباطل حيث تزعمون أنّهم أنداد الله .

[2] (وما يتّبع أكثرهم) فى قولهم للأصنام إنّها آلهة وإنّها شفعاء عند الله . والمراد بالأكثر الجميع .

[3] (إلّا ظنّاً) بغير دليل . وهو اقتداؤهم بأسلافهم ظنّاً منهم أنّهم مصيبون .

[4] وهو العلم .

[5] فى موضع المصدر أى إغناء .

[6] من اتّباع الظنّ وترك الحقّ .

[7] أى افتراء من دون الله . والمعنى وما صحّ وما استقام أن يكون مثله فى علوّ أمره وإعجازه مفترى .

[8] وهو ما تقدّمه من الكتب المنزلة .

[9] وتبيين ما كتب وفرض من الأحكام والشرائع من قوله (كتاب الله عليكم) .

[10] داخل فى حيز الاستدراك . كأنّه قال ولكن كان تصديقا وتفصيلا منتفيا عنه الريب كائنا من ربّ العالمين . ويجوز أن يراد ولكن كان تصديقا من ربّ العالمين وتفصيلا منه

أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ(١) قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ(٢) وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ(٣) إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ(٤) ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ(٥) كَذَٰلِكَ(٦) كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ(٧) فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ

لا ريب فى ذلك. فيكون (من ربّ العالمين) متعلقا بتصديق وتفصيل. ويكون (لا ريب فيه) اعتراضا كما تقول زيد لا شكّ فيه كريم .

(١) بل أيقولون اختلقه .

(٢) (قل) إن كان الأمر كما تزعمون (فأتوا) أنتم على وجه الافتراء (بسورة مثله) أى شبيهة به فى البلاغة وحسن النظم فأنتم مثلى فى العربيّة .

(٣) أى (وادعوا) من دون الله (من استطعتم) من خلقه للاستعانة به على الإتيان بمثله.

(٤) (إن كنتم صادقين) أنّه افتراه .

(٥) بل سارعوا إلى التكذيب بالقرآن فى بديهة السماع قبل أن يفقهوه ويعلموا كنه أمره وقبل أن يتدبّروه ويقفوا على تأويله ومعانيه . وذلك لفرط نفورهم عمّا يخالف دينهم وشرادهم عن مفارقة دين آبائهم. ومعنى التوقّع فى (ولمّا يأتهم تأويله) أنهم كذّبوا به على البديهة قبل التدبّر ومعرفة التأويل تقليدا للآباء . وكذّبوه بعد التدبّر تمرّدا وعنادا . فذمّهم بالتسرّع إلى التكذيب قبل العلم به. وجاء بكلمة التوقّع ليؤذن أنّهم علموا بعدُ علوّ شأنه وإعجازه لمّا كرّر عليهم التحدّى وجرّبوا قواهم فى المعارضة وعرفوا عجزهم عن مثله فكذبوا به بغيا وحسدا . ويجوز أن يكون معنى (ولمّا يأتهم تأويله) ولم يأتهم بعدُ تأويلُ ما فيه من الإخبار بالغيوب أى عاقبته حتّى يتبيّن لهم أهو كذب أم صدق . يعنى أنّه كتاب معجز من جهتين : من جهة إعجاز نظمه ومن جهة ما فيه من الإخبار بالغيوب فتسرّعوا إلى التكذيب به قبل أن ينظروا فى نظمه وبلوغه حدّ الإعجاز وقبل أن يجرّبوا إخباره بالمغيّبات وصدقه وكذبه .

(٦) مثل ذلك التكذيب .

(٧) يعنى كفار الأمم الماضية كذّبوا رسلهم قبل النظر فى معجزاتهم وقبل تدبّرها عنادا وتقليدا للآباء .

عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ (١) وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ (٢) وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ (٣) ﴿٤٠﴾ وَإِن كَذَّبُوكَ (٤) فَقُل لِّى عَمَلِى (٥) وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ (٦) أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ (٧) ﴿٤١﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ (٨) أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ (٩) ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ (١٠) أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ (١١) ﴿٤٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ

---

(١) بالنبيّ أو بالقرآن أى يصدّق به فى نفسه ويعلم أنّه حقّ ولكن يعاند بالتكذيب .

(٢) لا يصدّق به ويشكّ فيه .
أو يكون للاستقبال . أى ومنهم من سيؤمن به ومنهم من سيصرّ .

(٣) بالمعاندين أو المصرّين .

(٤) وإن تمّوا على تكذيبك ويئست من إجابتهم .

(٥) جزاء عملى .

(٦) جزاء أعمالكم .

(٧) فكلّ مؤاخذ بعمله .

(٨) ومنهم ناس يستمعون إليك إذا قرأت القرآن وعلّمت الشرائع ولكنّهم لا يعون ولا يقبلون . فهم كالصمّ .

(٩) أتطمع أنّك تقدر على إسماع الصمّ ولو انضمّ إلى صممهم عدم عقولهم لأنّ الأصمّ العاقل ربّما تفرّس واستدلّ إذا وقع فى صماخه دوىّ الصوت . فإذا اجتمع سلب العقل والسمع فقد تمّ الأمر .

(١٠) ومنهم ناس ينظرون إليك ويعاينون أدلّة الصدق وأعلام النبوّة ولكنّهم لا يصدّقون .

(١١) أتحسب أنّك تقدر على هداية العمى ولو انضمّ إلى فقد البصر فقد البصيرة لأنّ الأعمى الذى له فى قلبه بصيرة قد يحدس . وأمّا العمى مع الحمق فجهد البلاء . يعنى أنّهم فى اليأس من أن يقبلوا ويصدّقوا كالصمّ والعمى الذين لا عقول لهم ولا بصائر .

شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١) ۝ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ (٢) كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ (٣) يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ (٤) قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ (٥) وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ (٦) ۝ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ (٧) أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ (٨) فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ (٩) ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ (١٠) ۝ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ (١١) فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ (١٢)

---

(١) (ولكنِ النـاسُ) حمزة وعلىّ . أى لم يظلمهم بسلب آلة الاستدلال ولكنّهم ظلموا أنفسهم بترك الاستدلال حيث عبدوا جمادا وهم أحياء .

(٢) و بالياء حفص .

(٣) استقصروا مدّة لبثهم فى الدنيا أو فى قبورهم لهول ما يرون .

(٤) يعرف بعضهم بعضا كأنّهم لم يتفارقوا إلّا قليلا . وذلك عند خروجهم من القبور. ثمّ ينقطع التعارف بينهم لشدّة الأمر عليهم. (كأن لم يلبثوا) حال من (هم) أى (نحشرهم) مشبّهين بمن لم يلبثوا إلّا ساعة . و (كأن) مخفّفة من الثقيلة واسمها محذوف أى كأنّهم . و (يتعارفون بينهم) حال بعد حال . أو مستأنف على تقديرهم (يتعارفون بينهم) .

(٥) على إرادة القول أى(يتعارفون بينهم)قائلين ذلك.أو هى شهادة من الله على خسرانهم. والمعنى أنّهم وضعوا فى تجارتهم وبيعهم الإيمان بالكفر .

(٦) (وما كانوا مهتدين) للتجارة عارفين بها . وهو استئناف فيه معنى التعجّب كأنّه قيل ما أخسرهم .

(٧) من العذاب .

(٨) (أو نتوفينّك) قبل عذابهم .

(٩) جواب (نتوفينّك) . وجواب (نرينّك) محذوف . أى (وإما نرينّك بعض الذى نعدهم) فى الدنيا فذاك (أو نتوفينّك) قبل أن نريكه فنحن نريكه فى الآخرة .

(١٠) ذكرت الشهادة والمراد مقتضاها وهو العقاب كأنّه قيل ثمّ الله معاقب على ما يفعلون وقيل (ثمّ) هنا بمعنى الواو .

(١١) (رسول) يبعث إليهم لينبّههم على التوحيد ويدعوهم إلى دين الحقّ .

(١٢) (فإذا جاء) بالبيّنات فكذّبوه ولم يتّبعوه .

قُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ[1] ﴿﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ[2] إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ[3] ﴿﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ[4] لِنَفْسِى ضَرًّا[5] وَلَا نَفْعًا[6] إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ[7] لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ[8] ﴿﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ[9] بَيَٰتًا[10] أَوْ نَهَارًا[11] مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ[12] ﴿﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ

---

[1] (قضى بينهم) بين النبى ومكذبيه (بالقسط) بالعدل فأنجى الرسول وعذب المكذبين. أو (ولكل أمة) من الأمم يوم القيامة (رسول) تنسب إليه وتدعى به (فإذا جاء رسولهم) الموقف ليشهد عليهم بالكفر والإيمان (قضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون) لا يعذب أحد بغير ذنبه .

[2] لما قال (وإما نرينك بعض الذى نعدهم) أى من العذاب ، استعجلوا لما وعدوا من العذاب فنزل (ويقولون متى هذا الوعد) أى وعد العذاب .

[3] (إن كنتم صادقين) أن العذاب نازل . وهو خطاب منهم للنبى والمؤمنين .

[4] يامحمد .

[5] من مرض أو فقر .

[6] من صحة أو غنى .

[7] استثناء منقطع . أى ولكن ما شاء الله من ذلك كائن . فكيف أملك لكم الضر وجلب العذاب .

[8] (لكل أمة) وقت معلوم للعذاب مكتوب فى اللوح . فإذا جاء وقت عذابهم لا يتقدمون ساعة ولا يتأخرون . فلا تستعجلوا .

[9] الذى تستعجلونه .

[10] نصب على الظرف أى وقت بيات وهو الليل وأنتم ساهون نائمون لا تشعرون .

[11] وأنتم مشتغلون بطلب المعاش والكسب .

[12] (منه) أى من العذاب . والمعنى أن العذاب كله مكروه موجب للنفور . فأى شىء تستعجلون منه وليس شىء منه يوجب الاستعجال ؟ والاستفهام فى (ما ذا) يتعلق بأرأيتم لأن المعنى: أخبرونى (ماذا يستعجل منه المجرمون). وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال أو تعرفوا الخطأ فيه. ولم يقل ما ذا يستعجلون منه لأنه أريدت الدلالة على موجب

ءَآلْـَٔـٰنَ[1] وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ[2] ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟[3] ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ[4] هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ[5] ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ[6] قُلْ إِى[7] وَرَبِّىٓ[8] إِنَّهُۥ لَحَقٌّ[9] وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ[10] ﴿٥٣﴾ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ[11] مَا فِى ٱلْأَرْضِ[12] لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ[13] وَأَسَرُّوا۟[14] ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ

ترك الاستعجال وهو الإجرام . أو (ماذا يستعجل منه المجرمون) جواب الشرط نحو إن أتيتك ماذا تطعمنى. ثم تتعلق الجملة بأرأيتم . أو (أثم إذا ما وقع آمنتم به) جواب الشرط . و (ماذا يستعجل منه المجرمون) اعتراض . والمعنى إن أتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الإيمان. ودخول حرف الاستفهام على (ثم) كدخوله على الواو والفاء فى (أفأمن أهل القرى) (أو أمن أهل القرى) .

(1) على إرادة القول. أى قيل لهم إذا آمنوا بعد وقوع العذاب (آلآن) آمنتم به . (آلآن) بحذف الهمزة التى بعد اللام وإلقاء حركتها على اللام ، نافع .

(2) أى (تستعجلون) بالعذاب تكذيبا واستهزاء .

(3) عطف على قيل المضمر قبل (آلآن) .

(4) أى الدوام .

(5) من الشرك والتكذيب .

(6) ويستخبرونك فيقولون : أحق هو ؟ وهو استفهام على جهة الإنكار والاستهزاء . والضمير للعذاب الموعود .

(7) يا محمد .

(8) نعم والله .

(9) إن العذاب كائن لا محالة .

(10) بفائتين العذاب وهو لا حق بكم لا محالة .

(11) كفرت وأشركت . وهو صفة لنفس أى ولو أن لكل نفس ظالمة .

(12) ما فى الدنيا اليوم من خزائنها وأموالها .

(13) لجعلته فدية لها . يقال فداه فافتدى ويقال افتداه أيضا بمعنى فداه .

(14) وأظهروها . من قولهم أسر الشىء إذا أظهره . أو أخفوها عجزا عن النطق لشدة الأمر . فأسر من الأضداد .

وَقُضِيَ بَيْنَهُم(1) بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ(2) وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ(3) وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ(4) ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ(5) وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ(6) وَهُدًى(7) وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ(8) ۝ قُلْ(9) بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟(10) هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ(11) ۝

(1) بين الظالمين والمظلومين . دلّ على ذلك ذكر الظلم .

(2) أتبع ذلك الإعلام بأنّ له الملك كلّه بقوله (ألا إنّ لله ما فى السموات والأرض) فكيف يقبل الفداء ؛ وأنّه المثيب المعاقب وما وعده من الثواب أو العقاب فهو حقّ بقوله (ألا إنّ وعد الله حق) .

(3) هو القادر على الإحياء والإماتة لا يقدر عليهما غيره .

(4) وإلى حسابه وجزائه المرجع فيخاف و يرجى .

(5) أى قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد من موعظة وتنبيه على التوحيد . والموعظة التى تدعو إلى كلّ مرغوب وتزجر عن كل مرهوب . فما فى القرآن من الأوامر والنواهى داع إلى كل مرغوب وزاجر عن كلّ مرهوب . إذ الأمر يقتضى حسن المأمور به فيكون مرغوبا . وهو يقتضى النهى عن ضده وهو قبيح . وعلى هذا فى النهى .

(6) أى (لما فى) صدوركم من العقائد الفاسدة .

(7) (وهدى) من الضلالة .

(8) لمن آمن به منكم .

(9) يا محمد .

(10) أصل الكلام (بفضل الله و برحمته) فليفرحوا بذلك فليفرحوا) . والتكرير للتأكيد والتقرير وإيجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا . فحذف أحد الفعلين لدلالة المذكور عليه . والفاء داخلة لمعنى الشرط . كأنه قيل إن فرحوا بشىء فليخصّوهما بالفرح . أو بفضل الله و برحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا . وهما كتاب الله والإسلام . فى الحديث "من هداه الله للإسلام وعلّمه القرآن ثم شكا الفاقة كتب الله الفقر بين عينيه إلى يوم يلقاه" وقرأ الآية . (فلتفرحوا) يعقوب .

(11) وبالتاء شامىّ .

قُلْ أَرَءَيْتُم(١) مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ(٢) فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا(٣) قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ(٤) أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ(٥) ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ(٦) يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ(٧) إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ(٨) وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ(٩) ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ(١٠) وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ(١١)

---

(١) أخبرونى .

(٢) (ما) منصوب بأنزل أو بأرأيتم أى أخبرونيه . نعم الأرزاق تخرج من الأرض . ولكن لمّا نيطت أسبابها بالسماء — نحو المطر الذى به تنبت الأرض النبات، والشمس التى بها النضج وينع الثمار — أضيف إنزالها إلى السماء .

(٣) فبعّضتموه وقلتم : هذا حلال وهذا حرام كقوله (ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرّم على أزواجنا) .

(٤) متعلّق بأرأيتم . و (قل) تكرير للتوكيد. والمعنى أخبرونى (آلله أذن لكم) فى التحليل والتحريم فأنتم تفعلون ذلك بإذنه .

(٥) أم أنتم تكذبون على الله فى نسبة ذلك إليه .

أو الهمزة للإنكار وأم منقطعة بمعنى بل أتفترون على الله، تقريراً للافتراء .

والآية زاجرة عن التجوّز فيما يسأل من الأحكام و باعثة على وجوب الاحتياط فيه وألّا يقول أحد فى شىء جائز أو غير جائز إلّا بعد إيقان و إتقان . و إلّا فهو مفتر على الديّان .

(٦) ينسبون ذلك إليه .

(٧) منصوب بالظنّ وهو ظنّ واقع فيه . أى أىّ شىء ظنّ المفترين فى ذلك اليوم ما يصنع بهم وهو يوم الجزاء بالإحسان والإساءة . وهو وعيد عظيم حيث أبهم أمره .

(٨) حيث أنعم عليهم بالعقل ورحمهم بالوحى وتعليم الحلال والحرام .

(٩) (لا يشكرون) هذه النعمة ولا يتّبعون ما هدوا إليه .

(١٠) (ما) نافية . والخطاب للنبىّ صلّى الله عليه وسلّم . والشأن الأمر .

(١١) (منه) من التنزيل كأنه قيل(وماتتلو) من التنزيل (من قرآن) لأنّ كلّ جزء منه قرآن. والإضمار قبل الذكر تفخيم له . أو من الله عزّ وجلّ .

وَلَا تَعْمَلُونَ[1] مِنْ عَمَلٍ[2] إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا[3] إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ[4] وَمَا يَعْزُبُ[5] عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ[6] فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ[7] إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ۝ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ[8] لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ[9] وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ[10] ۝ الَّذِينَ آمَنُوا[11] وَكَانُوا يَتَّقُونَ[12] ۝ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ[13] فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

(1) (ولا تعملون) أنتم جميعا .

(2) أى عمل .

(3) شاهدين رقباء نحصى عليكم .

(4) تخوضون . من أفاض فى الأمر إذا اندفع فيه .

(5) وما يبعد وما يغيب . وبكسر الزاى علىّ حيث كان .

(6) وزن نملة صغيرة .

(7) رفعهما حمزة على الابتداء . والخبر (إلا فى كتاب مبين) . يعنى اللوح المحفوظ . ونصبهما غيره على نفى الجنس . وقدّمت الأرض على السماء هنا وفى سبأ قدّمت السموات لأنّ العطف بالواو . وحكمه حكم التثنية .

(8) هم الذين يتولّونه بالطاعة ويتولّاهم بالكرامة . أوهم الذين تولّى الله هداهم بالبرهان الذى آتاهم فتولّوا القيام بحقّه والرحمة لخلقه . أوهم المتحابّون فى الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها . أو هم المؤمنون المتّقون بدليل الآية التالية .

(9) (لاخوف عليهم) إذا خاف الناس .

(10) (ولاهم يحزنون) إذا حزن الناس .

(11) منصوب بإضمار أعنى أو لأنّه صفة لأولياء . أو مرفوع على أنّه خبر مبتدأ محذوف أى هم (الذين آمنوا) .

(12) (وكانوا يتّقون) الشرك والمعاصى .

(13) ما بشر الله به المؤمنين المتّقين فى غير موضع من كتابه . وعن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم هى الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له . وعنه عليه السلام " ذهبت النبوّة وبقيت المبشّرات . والرؤيا الصالحة جزء من ستّة وأربعين جزأ من النبوّة" . وهذا لأنّ مدّة الوحى ثلاث

وَفِي ٱلْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ(١) لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ(٢) ذَٰلِكَ(٣) هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ(٤) ۝ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ(٥) إِنَّ(٦) ٱلْعِزَّةَ(٧) لِلَّهِ جَمِيعًا(٨) هُوَ ٱلسَّمِيعُ(٩) ٱلْعَلِيمُ(١٠) ۝ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ(١١) وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ(١٢)

وعشرون سنة. وكان فى ستّة أشهر منها يؤمر فى النوم بالإنذار وستّة أشهر من ثلاث وعشرين سنة جزء من ستة وأربعين جزءاً . أوهى محبّة الناس له والذكر الحسن . أو لهم البشرى عند النزع بأن يرى مكانه فى الجنّة .

(١) هى الجنّة .

(٢) لا تغيير لأقواله ولا إخلاف لمواعيده .

(٣) إشارة إلى كونهم مبشّرين فى الدارين .

(٤) وكلتا الجملتين اعتراض . ولا يجب أن يقع بعد الاعتراض كلام كما تقول فلان ينطق بالحقّ والحقّ أبلج . وتسكت .

(٥) تكذيبهم وتهديدهم وتشاورهم فى تدبير هلاكك وإبطال أمرك .

(٦) استئناف بمعنى التعليل كأنّه قيل : مالى لا أحزن؟ فقيل (إنّ العزة) . والوقف لازم على (قولهم) ، لئلا يصير (إنّ العزّة) مقول الكفّار .

(٧) إن الغلبة والقهر فى ملكة الله جميعا لا يملك أحد شيئا منهما لا هم ولا غيرهم فهو يغلبهم وينصرك عليهم . (كتب الله لأغلبنّ أنا ورسلى) . (إنّا لننصر رسلنا) . أو به يتعزّز كلّ عزيز فهو يعزّك ودينك وأهلك .

(٨) حال .

(٩) (هو السميع) لما يقولون .

(١٠) (العليم) بما يدبّرون ويعزمون عليه وهو مكافئهم بذلك .

(١١) يعنى العقلاء وهم الملائكة والثقلان . وخصّهم ليؤذن أنّ هؤلاء إذا كانوا له وفى ملكته ولا يصلح أحد منهم للربوبيّة ولا أن يكون شريكا له فيها ، فما وراءهم ممّا لا يعقل أحقّ ألّا يكون له ندّا وشريكا .

(١٢) (ما) نافية أى وما يتّبعون حقيقة الشركاء وإن كانوا يسمّونها شركاء لأنّ شركة الله فى الربوبيّة محال. أو استفهامية ، أى وأىّ شىء يتّبعون ؟ و (شركاء) على هذا نصب بيدعون،

إن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ(١) وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ(٢) ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ(٣) وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا(٤) إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ(٥) ﴿٦٧﴾ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ(٦) هُوَ الْغَنِيُّ(٧) لَهُ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ(٨) إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَٰذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ(٩) ﴿٦٨﴾

وعلى الأوّل بيتّبع . وكان حقّه وما يتّبع الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء . فاقتصر على أحدهما للدلالة . والمحذوف مفعول (يدعون) . أو موصولة معطوفة على (من) كأنّه قيل ولله ما يتّبعه الذين يدعون من دون الله شركاء . أى وله شركاؤهم .

(١) إلّا ظنّهم أنّهم شركاء الله .

(٢) يحزِّرون ويقدّرون أن تكون شركاء تقديرا باطلا .

ثمّ نبّه على عظيم قدرته وشمول نعمته على عباده بقوله (هو الذى جعل لكم الليل) .

(٣) أى جعل لكم الليل مظلما لتستريحوا فيه من تعب التردّد فى النهار .

(٤) مضيئا لتبصروا فيه مطالب أرزاقكم ومكاسبكم .

(٥) (يسمعون) سماع مذكّر معتبر .

(٦) تنزيه له عن اتّخاذ الولد وتعجيب من كلمتهم الحمقاء .

(٧) علّة لنفى الولد لأنّه إنّما يطلب الولد ضعيف ليتقوّى به أو فقير ليستعين به أو ذليل ليتشرّف به . والكلّ أمارة الحاجة . فمن كان غنيّا غير محتاج كان الولد عنه منفيّا . ولأنّ الولد بعض الوالد فيستدعى أن يكون مركّبا . وكلّ مركّب ممكن . وكلّ ممكن يحتاج إلى الغير . فكان حادثا . فاستحال القديم أن يكون له ولد .

(٨) (له مافى السموات وما فى الأرض) ملكا . ولا تجتمع البنوّة معه .

(٩) ما عندكم من حجة بهذا القول . والباء حقّها أن تتعلّق بقوله (إن عندكم) على أن يجعل القول مكانا لسلطان كقولك : ما عندكم بأرضكم موز . كأنه قيل إن عندكم فيما تقولون سلطان . ولمّا نفى عنهم البرهان جعلهم غير عالمين فقال (أتقولون على الله ما لا تعلمون) .

قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ[1] لَا يُفْلِحُونَ[2] مَتَـٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا[3] ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ[4] بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ[5] وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ[6] نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ[7] يَـٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم[8] مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ[9] فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ[10] فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ[11] وَشُرَكَآءَكُمْ[12] ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً[13]

---

(١) بإضافة الولد إليه .

(٢) لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنّة .

(٣) أى افتراؤهم هذا منفعة قليلة فى الدنيا حيث يقيمون به رياستهم فى الكفر ومناصبة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بالتظاهر به .

(٤) المخلّد .

(٥) بكفرهم .

(٦) واقرأ عليهم .

(٧) (نبأ نوح) خبره مع قومه . والواقف عليه لازم إذ لو وصل لصار (إذ) ظرفا لقوله (واتل) . بل التقدير : واذكر (إذ قال لقومه) .

(٨) عظم وثقل كقوله (وإنّها لكبيرة إلّا على الخاشعين) .

(٩) (مقامى) مكانى . يعنى نفسه كقوله (ولمن خاف مقام ربّه جنّتان) أى خاف ربّه . أو قيامى ومكثى بين أظهركم ألف سنة إلّا خمسين عاما . أو مقامى وتذكيرى بآيات الله لأنّهم كانوا إذا وعظوا الجماعة قاموا على أرجلهم يعظونهم ليكون مكانهم بيّنا وكلامهم مسموعا .

(١٠) أى فوّضت أمرى إليه .

(١١) من أجمع الأمر إذا نواه وعزم عليه .

(١٢) الواو بمعنى مع . أى فأجمعوا أمركم مع شركائكم .

(١٣) أى غمّا عليكم وهمّا . والغمّ والغمّة كالكرب والكربة . أو ملتبسا فى خفية . والغمّة السترة من غمّه إذا ستره . ومنه الحديث "لا غمّة فى فرائض الله" أى لا تستر ولكن يجاهر بها . والمعنى ولا يكن قصدكم إلى إهلاكى مستورا عليكم ولكن مكشوفا مشهورا تجاهروننى به .

ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ[1] وَلَا تُنظِرُونِ[2] ۝ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ[3] فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ[4] إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ[5] وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ[6] ۝ فَكَذَّبُوهُ[7] فَنَجَّيْنَٰهُ[8] وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ[9] وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ[10] ۝ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ[11] رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ[12] فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ[13] فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ[14]

---

(١) (ثمّ اقضوا إلىّ) ذلك الأمر الذى تريدون بى ، أى أدّوا إلىّ ما هو حقّ عندكم من هلاكى كما يقضى الرجل غريمه . أو اصنعوا ما أمكنكم

(٢) ولا تمهلونى .

(٣) فإن أعرضتم عن تذكيرى ونصحى .

(٤) (فما سألتكم من أجر) فاوجب التولّى . أو (فما سألتكم من أجر) ففاتنى ذلك بتولّيكم.

(٥) وهو الثواب الذى يثيبنى به فى الآخرة . أى مانصحتكم إلّا لله لا لغرض من أغراض الدنيا . وفيه دلالة منع أخذ الأجر على تعليم القرآن والعلم الدينىّ .

(٦) من المستسلمين لأوامره ونواهيه. (إن أجرى) بالفتح مدنىّ وشامىّ وأبو عمرو وحفص.

(٧) فداموا على تكذيبه .

(٨) (فنجيناه) من الغرق .

(٩) يخلفون الهالكين بالغرق .

(١٠) هو تعظيم لما جرى عليهم، وتحذير لمن أنذرهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن مثله ، وتسلية له .

(١١) من بعد نوح عليه السلام .

(١٢) أى هودا وصالحا وإبراهيم ولوطا وشعيبا .

(١٣) بالحجج الواضحة المثبتة لدعواهم .

(١٤) فأصرّوا على الكفر بعد المجىء (بما كذبوا من قبل) من قبل مجيئهم . يريد أنّهم كانوا قبل بعثة الرسول أهل جاهلية مكذّبين بالحقّ . فما وقع فصل بين حالتيهم بعد بعثة الرسل وقبلها كأن لم يبعث إليهم أحد .

كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ(١) ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم(٢) مُّوسَىٰ وَهَـٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَـٰتِنَا(٣) فَٱسْتَكْبَرُوا۟(٤) وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ(٥) ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا(٦) قَالُوٓا۟ إِنَّ هَـٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ(٧) ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ(٨) أَسِحْرٌ هَـٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّـٰحِرُونَ(٩) ﴿٧٧﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا(١٠) عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا(١١) وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ(١٢) فِى ٱلْأَرْضِ(١٣) وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ(١٤) ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَـٰحِرٍ(١٥) عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾

(١) مثل ذلك الطبع نختم (على قلوب المعتدين) المجاوزين الحدّ فى التكذيب .

(٢) من بعد الرسل .

(٣) بالآيات التسع .

(٤) (فاستكبروا) عن قبولها . وأعظم الكبر أن يتهاون العبيد برسالة ربّهم بعد تبيّنها ويتعظّموا عن قبولها .

(٥) كفّارا ذوى آثام عظام فلذلك استكبروا عنها واجترءوا على ردّها .

(٦) فلمّا عرفوا أنّه هو الحقّ وأنّه من عند الله .

(٧) (قالوا) لحبّهم الشهوات (إنّ هذا لسحر مبين) وهم يعلمون أنّ الحقّ أبعد شىء من السحر .

(٨) (أتقولون) إنكار . ومقولهم محذوف أى هذا سحر . ثمّ استأنف إنكارا آخر فقال (أسحر هذا) خبر ومبتدأ .

(٩) أى لا يظفر (الساحرون) .

(١٠) لتصرفنا .

(١١) من عبادة الأصنام أو عبادة فرعون .

(١٢) أى الملك لأن الملوك موصوفون بالكبرياء والعظمة والعلوّ .(ويكون) حماد ويحيى .

(١٣) أرض مصر .

(١٤) بمصدّقين فيما جئتما به .

(١٥) (سحّار) حمزة وعلىّ .

فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ[1] إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ[2] إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ[3] ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ[4] وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ[5] ﴿٨٢﴾ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ[6] إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ[7] عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِمْ[8] أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ[9] وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ[10] ﴿٨٣﴾

(١) (ما) موصولة واقعة مبتدأ . و (جئتم به) صلتها . و (السحر) خبر . أى الذى جئتم به هو السحر لا الذى سمّاه فرعون وقومه سحرا من آيات الله . (آلسحر) بمد وقف أبو عمرو على الاستفهام . فعلى هذه القراءة (ما) استفهامية . أى أىّ شىء جئتم به ؟ أهو السحر ؟

(٢) يظهر بطلانه .

(٣) لا يثبته بل يدمّره .

(٤) (ويحقّ الله الحق) ويثبته (بكلماته) بأوامره وقضاياه . أو يظهر الإسلام بعداته بالنصرة .

(٥) (ولو كره المجرمون) ذلك .

(٦) (فما آمن لموسى) فى أوّل أمره .

(٧) إلا طائفة من ذرارى بنى إسرائيل كأنّه قيل إلا أولاد من أولاد قومه . وذلك أنّه دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون وأجابته طائفة من أبنائهم مع الخوف . أو الضمير فى (قومه) لفرعون. والذريّة مؤمن آل فرعون وآسية امرأته وخازنه وامرأة خازنه وماشطته .

(٨) الضمير فى (وملائهم) يرجع إلى فرعون بمعنى آل فرعون كما يقال ربيعة ومضر . أو لأنّه ذو أصحاب يأتمرون له . أو إلى الذريّة أى على خوف من فرعون وخوف من أشراف بنى إسرائيل لأنّهم كانوا يمنعون أعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى أنفسهم . دليله قوله (أن يفتنهم) يريد أن يعذّبهم فرعون .

(٩) لغالب فيها قاهر .

(١٠) (لمن المسرفين) فى الظلم والفساد وفى الكبر والعتو بادعائه الربوبيّة .

وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ (١) فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ (٢) إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ (٣) ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا (٤) رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (٥) ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ (٦) ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا (٧) وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً (٨) وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ (٩) وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ (١٠) ﴿٨٧﴾

(١) صدّقتم به وبآياته .

(٢) فإليه أسندوا أمركم فى العصمة من فرعون .

(٣) شرط فى التوكّل الإسلام وهو أن يسلموا نفوسهم لله أى يجعلوها له سالمة خالصة لا حظّ للشيطان فيها لأنّ التوكّل لا يكون مع التخليط .

(٤) إنّما قالوا ذلك لأنّ القوم كانوا مخلصين. لا جرم أن الله قبل توكّلهم وأجاب دعاءهم ونجّاهم وأهلك من كانوا يخافونه وجعلهم خلفاء فى أرضه. فمن أراد أن يصلح للتوكّل على ربه فعليه برفض التخليط إلى الإخلاص .

(٥) موضع فتنة لهم أى عذاب يعذّبوننا أو يفتنوننا عن ديننا أى يضلّوننا . والفاتن المضلّ عن الحقّ .

(٦) أى من تعذيبهم وتسخيرهم .

(٧) تبوّأ المكان اتّخذه مباءة كقوله توطّنه إذا اتّخذه وطنا . والمعنى اجعلا بمصر بيوتا من بيوته مباءة لقومكما ومرجعا يرجعون إليه للعبادة والصلاة فيه .

(٨) أى مساجد متوجّهة نحو القبلة وهى الكعبة . وكان موسى ومن معه يصلّون إلى الكعبة. وكانوا فى أوّل الأمر مأمورين بأن يصلّوا فى بيوتهم فى خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المسلمون على ذلك فى أوّل الإسلام بمكّة .

(٩) (وأقيموا الصلاة) فى بيوتكم حتّى تأمنوا .

(١٠) يا موسى . ثنّى الخطاب أوّلا ثمّ جمع ثمّ وحّد آخرا لأنّ اختيار مواضع العبادة ممّا يفوّض إلى الأنبياء. ثمّ جمع لأنّ اتّخاذ المساجد والصلاة فيها واجب على الجمهور. وخصّ موسى عليه السلام بالبشارة تعظيما لها وللمبشّر بها .

وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً[(١)] وَأَمْوَٰلًا[(٢)] فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ[(٣)] رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ[(٤)] وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ[(٥)] فَلَا يُؤْمِنُوا۟[(٦)] حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ[(٧)] ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا[(٨)] فَٱسْتَقِيمَا[(٩)] وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ[(١٠)] ﴿٨٩﴾

(١) هو ما يتزيّن به من لباس أو حلىّ أو فرش أو أثاث أو غير ذلك .

(٢) أى نقدا ونعما وضيعة .

(٣) (ليضلّوا) الناس عن طاعتك. كوفىّ. ولا وقف على الدنيا لأن قوله (ليضلّوا) متعلّق بآتيت. و(ربّنا) تكرار الأوّل للإلحاح فى التضرّع. قال الشيخ أبومنصور رحمه الله: إذا علم منهم أنّهم يضلّون الناس عن سبيله آتاهم ما آتاهم ليضلّوا عن سبيله . وهو كقوله : (إنّما نملى لهم ليزدادوا إثما) . فتكون الآية حجة على المعتزلة .

(٤) أى أهلكها وأذهب آثارها لأنّهم يستعينون بنعمك على معصيتك . والطمس المحو والهلاك . قيل صارت دراهمهم ودنانيرهم حجارة كهيئاتها منقوشة وقيل وسائر أموالهم كذلك.

(٥) اطبع على قلوبهم واجعلها قاسية .

(٦) جواب الدعاء الذى هو (اشدد) .

(٧) إلى أن يروا (العذاب الأليم) .

وكان كذلك فإنّهم لم يؤمنوا إلى الغرق : وكان ذلك إيمان يأس فلم يقبل . وإنّما دعا عليهم بهذا لما أيس من إيمانهم وعلم بالوحى أنّهم لايؤمنون. فأمّا قبل أن يعلم بأنّهم لا يؤمنون فلا يسع له أن يدعو بهذا الدعاء لأنّه أرسل إليهم ليدعوهم إلى الإيمان . وهو يدلّ على أنّ الدعاء على الغير بالموت على الكفر لا يكون كفرا .

(٨) قيل كان موسى عليه السلام يدعو وهرون يؤمّن . فثبت أنّ التأمين دعاء فكان إخفاؤه أولى . والمعنى أنّ دعاءكما مستجاب وما طلبتما كائن ولكن فى وقته .

(٩) فاثبتا على ما أنتما عليه من الدعوة والتبليغ . .

(١٠) ولا تتّبعانّ طريق الجهلة الذين لا يعلمون صدق الإجابة وحكمة الإمهال . فقد كان بين الدعاء والإجابة أربعون سنة. (ولا تتّبعان) بتخفيف النون وكسرها لالتقاء الساكنين تشبيها بنون التثنية، شامىّ. وخطّأه بعضهم لأنّ النون الخفيفة واجبة السكون. وقيل هو إخبار عمّا يكونان عليه وليس بنهى. أو هو حال وتقديره فاستقيما غير متّبعين(سبيل الذين لايعلمون).

وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ (١) فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ (٢) بَغْيًا وَعَدْوًا (٣) حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ (٤) قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ (٥) لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ (٦) ۝ ءَآلْـَٰٔنَ (٧) وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ (٨) ۝ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ (٩) بِبَدَنِكَ (١٠)

(١) هو دليل لنا على خالق الأفعال .

(٢) فلحقهم . يقال تبعته حتى أتبعته .

(٣) (بغيا) تطاولا (وعدوا) ظلما . وانتصبا على الحال أو على المفعول له .

(٤) لا وقف عليه لأن (قال آمنت) جواب (إذا) .

(٥) (إنه) حمزة وعلى على الاستئناف بدل من (آمنت) . وبالفتح غيرهما على حذف الباء التى هى صلة الإيمان .

(٦) فيه دليل على أن الإيمان والإسلام واحد حيث (قال آمنت) ثم قال (وأنا من المسلمين) .

كرّر فرعون المعنى الواحد ثلاث مرات فى ثلاث عبارات حرصا على القبول ثمّ لم يقبل منه حيث أخطأ وقته وكانت المرة الواحدة تكفى فى حالة الاختيار .

(٧) أتؤمن الساعة فى وقت الاضطرار حين أدركك الغرق وأيست من نفسك ؟ قيل قال ذلك حين ألجمه الغرق . والعامل فيه أتؤمن .

(٨) من الضالين المضلين عن الإيمان . روى أن جبريل عليه السلام أتاه بفتيا : ما قول الأمير فى عبد لرجل نشأ فى ماله ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه ؟ فكتب فيه يقول أبو العباس الوليد بن مصعب : جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعماءه أن يغرق فى البحر . فلما ألجمه الغرق ناوله جبريل عليه السلام خطه فعرفه .

(٩) نلقيك بنجوة من الأرض . فرماه الماء إلى الساحل كأنه ثور .

(١٠) فى موضع الحال أى فى الحال التى لا روح فيك وإنما أنت بدن . أو (ببدنك) كاملا سويا لم ينقص منه شىء ولم يتغير . أو عريانا لست إلا بدنا من غير لباس . أو بدرعك وكانت له درع من ذهب يعرف بها . وقرأ أبو حنيفة رضى الله عنه (بأبدانك) وهو مثل قولهم هو بأجرامه أى ببدنك كله وافيا بأجزائه . أو بدروعك لأنه ظاهر بينها .

لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً (١) وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ (٢) وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ (٣) إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٤) ﴿٩٣﴾ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ (٥)

---

(١) (لتكون) لمن وراءك من الناس علامة . وهم بنو إسرائيل . وكان فى أنفسهم أنّ فرعون أعظم شأنا من أن يغرق. وقيل أخبرهم موسى بهلاكه فلم يصدّقوه. فألقاه الله على الساحل حتّى عاينوه . وقيل (لمن خلفك) لمن يأتى بعدك من القرون. ومعنى كونه آية أن يظهر للناس عبوديّته ، وأنّ ما كان يدعيه من الربوبيّة محال ، وأنّه مع ما كان عليه من عظم الملك آل أمره إلى ما ترون لعصيانه ربّه فما الظنّ بغيره .

(٢) منزلا صالحا مرضيّاً وهو مصر والشام .

(٣) (فما اختلفوا) فى دينهم (حتى جاءهم العلم) أى التوراة . وهم اختلفوا فى تأويلها كما اختلف أمّة محمد صلّى الله عليه وسلّم فى تأويل الآيات من القرآن . أو المراد العلم بمحمّد . واختلاف بنى إسرائيل — وهم أهل الكتاب — اختلافهم فى صفته أنه هو أم ليس هو بعد ما جاءهم العلم أنه هو .

(٤) يميز المحقّ من المبطل ويجزى كلّا جزاءه .

(٥) لمّا قدّم ذكر بنى إسرائيل وهم قرّاء الكتاب ، ووصفهم بأنّ العلم قد جاءهم لأنّ أمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مكتوب فى التوراة والإنجيل ، وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، أراد أن يؤكّد علمهم بصحة القرآن وبصحّة نبوّته صلّى الله عليه وسلّم ويبالغ فى ذلك فقال : فإن وقع لك شكّ فرضا وتقديرا — وسبيل من خالجته شبهة أن يسارع إلى حلّها بالرجوع إلى قوانين الدين وأدلّته أو بمباحثة العلماء — فسل علماء أهل الكتاب فإنّهم من الإحاطة بصحّة ما أنزل إليك بحيث يصلحون لمراجعة مثلك فضلا عن غيرك . فالمراد وصف الأحبار بالرسوخ فى العلم بصحّة ما أنزل إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لا وصف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالشّك فيه .

لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ (١) فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ (٢) ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ (٣) فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ (٤) حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ (٥) ﴿٩٧﴾ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ (٦) ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَـٰنُهَآ (٧) إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ (٨)

(١) أى ثبت عندك بالآيات الواضحة والبراهين اللائحة أنّ ما أتاك هو الحقّ الذى لا مجال فيه للشكّ .

(٢) الشاكّين . ولا وقف عليه للعطف .

(٣) أى فاثبت ودم على ما أنت عليه من انتفاء المرية عنك والتكذيب بآيات الله . أو هو على طريقة التهييج والإلهاب كقوله (فلا تكوننّ ظهيرا للكافرين) . (ولا يصدنّك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك) ، ولزيادة التثبيت والعصمة . ولذلك قال عليه السلام عند نزوله "لا أشكّ ولا أسأل بل أشهد أنّه الحقّ" . أو خوطب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم والمراد أمّته.أى وإن كنتم فى شكّ مما أنزلنا إليكم كقوله (وأنزلنا إليكم نورا مبينا). أو الخطاب لكلّ سامع يجوز عليه الشكّ كقول العرب : إذا عزّ أخوك فهن. أو (إن) للنفى أى فما كنت فى شكّ فاسأل . أى لا نأمرك بالسؤال لأنّك شاكّ ولكن لتزداد يقينا كما ازداد إبراهيم عليه السلام بمعاينة إحياء الموتى . فإن قلت إنّما يجيء إن للنفى اذا كان بعده إلّا كقوله (إن الكافرون إلّا فى غرور) . قلت ذاك غير لازم ، ألا ترى إلى قوله (إن أمسكهما من أحد من بعده) فإن للنفى وليس بعده إلّا .

(٤) (حقّت عليهم كلمة ربّك) ثبت عليهم قول الله الذى كتبه فى اللوح وأخبر به الملائكة أنّهم يموتون كفّارا . أو قوله (لأملأنّ جهنّم) الآية . ولا وقف على (لا يؤمنون) لأنّ (ولو جاءتهم كلّ آية) تتعلّق بما قبلها .

(٥) أى عند اليأس فيؤمنون ولا ينفعهم . أو عند القيامة ولا يقبل منهم .

(٦) فهلّا كانت قرية واحدة من القرى التى أهلكناها تابت عن الكفر وأخلصت الإيمان قبل المعاينة ولم تؤخّر كما أخّر فرعون إلى أن أخذ بخنقه .

(٧) بأن تقبّل الله إيمانها منها بوقوعه فى وقت الاختيار .

(٨) استثناء منقطع. أى ولكن قوم يونس. أو متّصل والجملة فى معنى النفى . كأنّه قيل ما آمنت قرية من القرى الهالكة (إلّا قوم يونس) . وانتصابه على أصل الاستثناء .

لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ (١) ﴿٩٨﴾ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ (٢) جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ (٣) ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تُؤۡمِنَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ (٤)

(١) الى آجالهم . روى أنّ يونس عليه السلام بعث إلى نينوى من أرض الموصل فكذّبوه . فذهب عنهم مغاضبا . فلمّا فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح كلّهم وعجّوا أربعين ليلة وبرزوا إلى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابّهم وفرّقوا بين النساء والصبيان والدوابّ وأولادها فحنّ بعضهم إلى بعض وأظهروا الإيمان والتوبة فرحمهم وكشف عنهم . وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة وبلغ من توبتهم أن ترادّوا المظالم حتّى إنّ الرجل كان يقلع الحجر وقد وضع عليه أساس بنيانه فيردّه . وقيل خرجوا لمّا نزل بهم العذاب إلى شيخ من بقية علمائهم فقال لهم قولوا : ياحىّ حين لاحىّ ويا حىّ محيي الموتى ويا حىّ لا إله إلّا أنت. فقالوا . فكشف الله عنهم . وعن الفضيل قدّس الله روحه قالوا : اللّهم إنّ ذنوبنا قد عظمت وجلّت وأنت أعظم منها وأجلّ . افعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله .

(٢) على وجه الإحاطة والشمول .

(٣) مجتمعين على الإيمان مطبقين عليه لا يختلفون فيه . أخبر عن كمال قدرته ونفوذ مشيئته أنّه لو شاء لآمن من فى الأرض كلّهم ولكنّه شاء أن يؤمن به من علم منه اختيار الإيمان به ، وشاء الكفر ممن علم أنّه يختار الكفر ولا يؤمن به . وقول المعتزلة المراد بالمشيئة مشيئة القسر والإلجاء — أى لو خلق فيهم الإيمان جبرا لآمنوا. لكن قد شاء أن يؤمنوا اختيارا فلم يؤمنوا ، دليله (أفأنت تكره الناس حتّى يكونوا مؤمنين) أى ليس إليك مشيئة الإكراه والجبر فى الإيمان إنما ذلك إلىّ — فاسد . لأن الإيمان فعل العبد وفعله ما يحصل بقدرته ولا يتحقّق ذلك بدون الاختيار . وتأويله عندنا أنّ لله تعالى لطفا لو أعطاهم لآمنوا كلّهم عن اختيار. ولكن علم منهم أنّهم لايؤمنون فلم يعطهم ذلك وهو التوفيق. والاستفهام فى (أفأنت) بمعنى النفى أى لا تملك أنت يا محمد أن تكرههم على الإيمان لأنّه يكون بالتصديق والإقرار ولا يمكن الإكراه على التصديق .

(٤) بمشيئته أو بقضائه أو بتوفيقه وتسهيله أو بعلمه .

وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ(١) عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ(٢) ﴿١٠٠﴾ قُلِ ٱنظُرُوا۟(٣) مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ(٤) وَمَا(٥) تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ(٦) عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ(٧) ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ(٨) قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا(٩) وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟(١٠) كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ(١١) ﴿١٠٣﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ(١٢) إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ(١٣) وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ(١٤)

---

(١) أى العذاب أو السخط أو الشيطان، أى ويسلّط الشيطان. (ونجعل) حمّاد ويحى.

(٢) لا ينتفعون بعقولهم .

(٣) (انظروا) نظر استدلال واعتبار .

(٤) من الآيات والعبر باختلاف الليل والنهار وخروج الزروع والثمار .

(٥) (ما) نافية .

(٦) والرسل المنذرون أو الإنذارات .

(٧) لا يتوقّع إيمانهم وهم الذين لا يعقلون .

(٨) يعنى وقائع الله فيهم كما يقال أيّام العرب لوقائعها .

(٩) معطوف على كلام محذوف يدلّ عليه (إلّا مثل أيّام الذين خلوا من قبلهم) كأنّه قيل نهلك الأمم (ثمّ ننجى رسلنا) على حكاية الأحوال الماضية .

(١٠) ومن آمن معهم .

(١١) أى مثل ذلك الإنجاء (ننجى المؤمنين) منكم ونهلك المشركين. و(حقّا علينا) اعتراض أى حقّ ذلك علينا حقّا . (ننجى) بالتخفيف علىّ وحفص .

(١٢) يأهل مكّة .

(١٣) (إن كنتم فى شكّ من دينى) وصحّته وسداده فهذا دينى فاستمعوا وصفه. ثمّ وصف دينه فقال (فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله) أى الأصنام .

(١٤) يميتكم . وصفه بالتوفّى ليريهم أنّه الحقيق بأن يخاف ويتّقى ويعبد دون ما لا يقدر على شىء .

وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ[1] ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ[2] حَنِيفًا[3] وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ[4] وَلَا يَضُرُّكَ[5] فَإِن فَعَلْتَ[6] فَإِنَّكَ إِذًا[7] مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ[8] اللَّهُ بِضُرٍّ[9] فَلَا كَاشِفَ لَهُ[10] إِلَّا هُوَ[11] وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ[12] فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ[13] يُصِيبُ بِهِ[14]

---

(١) أى بأن أكون . يعنى أن الله أمرنى بذلك بما ركب فىّ من العقل وبما أوحى إلىّ فى كتابه .

(٢) أى (و)أوحى إلىّ (أن أقم) ليشاكل قوله (أمرت) . أى استقم مقبلا بوجهك على ما أمرك الله أو استقم إليه ولا تلتفت يمينا ولا شمالا .

(٣) حال من الدين أو الوجه .

(٤) (ما لا ينفعك) إن دعوته .

(٥) (ولا يضرك) إن خذلته .

(٦) فإن دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك . فكنى عنه بالفعل إيجازا .

(٧) (إذا) جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر كأن سائلا سأل عن تبعة عبادة الأوثان . وجعل من الظالمين لأنه لا ظلم أعظم من الشرك .

(٨) يصبك .

(٩) مرض .

(١٠) لذلك الضر .

(١١) إلا الله .

(١٢) عافية .

(١٣) فلا رادّ لمراده .

(١٤) بالخير .

مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ[1] وَهُوَ ٱلْغَفُورُ[2] ٱلرَّحِيمُ[3] ۝ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ[4] قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ[5] مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ[6] فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ[7] وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا[8] وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ[9] ۝ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ[10] حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ[11] ۝

---

(١) قطع بهذه الآية على عباده طريق الرغبة والرهبة إلّا إليه والاعتماد إلّا عليه .

(٢) المكفّر بالبلاء .

(٣) المعافى بالعطاء .

أتبع النهى عن عبادة الأوثان ووصفها بأنّها لا تنفع ولا تضرّ أن الله هو الضارّ النافع الذى إن أصابك بضرّ لم يقدر على كشفه إلّا هو وحده دون كلّ أحد فكيف بالجماد الذى لا شعور به ؟ وكذا إن أرادك بخير لم يردّ أحد ما يريده بك من الفضل والإحسان فكيف بالأوثان ؟ وهو الحقيق إذا بأن توجّه إليه العبادة دونها . وهو أبلغ من قوله (إن أرادنى الله بضرّ هل هنّ كاشفات ضرّه أو أرادنى برحمة هل هنّ ممسكات رحمته) . وإنّما ذكر المسّ فى أحدهما والإرادة فى الآخر كأنّه أراد أن يذكر الأمرين الإرادة والإصابة فى كلّ واحد من الضرّ والخير وأنّه لا رادّ لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما . فأوجز الكلام بأن ذكر المسّ وهو الإصابة فى أحدهما والإرادة فى الآخر ليدلّ بما ذكر على ما ترك . على أنّه قد ذكر الإصابة بالخير فى قوله (يصيب به من يشاء من عباده) .

(٤) يا أهل مكّة .

(٥) القرآن أو الرسول .

(٦) اختار الهدى واتّبع الحقّ .

(٧) فما نفع باختياره إلّا نفسه .

(٨) ومن آثر الضلال فما ضرّ إلّا نفسه . ودلّ اللام وعلى على معنى النفع والضرّ .

(٩) بحفيظ موكول إلىّ أمركم (إنّما أنا بشير ونذير) .

(١٠) (واصبر) على تكذيبهم وإيذائهم (حتّى يحكم الله) لك بالنصرة عليهم والغلبة .

(١١) لأنّه المطّلع على السرائر فلا يحتاج إلى بيّنة وشهود .

سورة هود عليه السلام مكيّة

وهى مائة وثلاث وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓر كِتَٰبٌ[1] أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ[2] ثُمَّ فُصِّلَتْ[3] مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ[4] ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ[5] إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ[6] نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ[7] ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ[8] يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا[9] إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى[10]

(١) أى هذا (كتاب) . فهو خبر مبتدأ محذوف .

(٢) صفة له . أى نظمت نظما رصينا محكما لا يقع فيه نقص ولا خلل كالبناء المحكم .

(٣) (ثم فصّلت) كما تفصل القلائد بالفرائد من دلائل التوحيد والأحكام والمواعظ والقصص . أو جعلت فصولا سورة سورة وآية وآية . أو فرّقت فى التنزيل ولم تنزل جملة . أو فصّل فيها ما يحتاج إليه العباد أى بيّن ولخّص . وليس معنى (ثمّ) التراخى فى الوقت ولكن فى الحال .

(٤) صفة أخرى لكتاب ، أو خبر بعد خبر ، أو صلة لأحكمت وفصّلت . أى من عنده أحكامها وتفصيلها .

(٥) مفعول له أى لئلا تعبدوا . أو (أن) مفسّرة لأنّ فى تفصيل الآيات معنى القول . كأنّه قيل قال لا تعبدوا إلّا الله . أو أمركم ألّا تعبدوا إلّا الله .

(٦) أى من الله .

(٧) أى أمركم بالتوحيد والاستغفار .

(٨) أى استغفروه من الشرك ثمّ ارجعوا إليه بالطاعة .

(٩) يطوّل نفعكم فى الدنيا بمنافع حسنة مرضيّة من عيشة واسعة ونعمة متتابعة .

(١٠) إلى أن يتوفّاكم .

وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ (١) وَإِن تَوَلَّوْاْ (٢) فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ (٣) ۝ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ (٤) وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٥) ۝ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ (٦) لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ (٧) أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ (٨) يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ (٩) إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (١٠) ۝ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا (١١)

(١) ويعط فى الآخرة كلّ من كان له فضل فى العمل وزيادة فيه جزاء فضله لا يبخس منه شيئا .

(٢) وإن تتولّوا .

(٣) هو يوم القيامة .

(٤) رجوعكم .

(٥) فكان قادرا على إعادتكم .

(٦) يزورّون عن الحقّ وينحرفون عنه لأنّ من أقبل على الشيء استقبله بصدره ومن ازورّ عنه وانحرف ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه .

(٧) ليطلبوا الخفاء من الله فلا يطّلع رسوله والمؤمنون على ازورارهم .

(٨) يتغطّون بها . أى يريدون الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم كراهة لاستماع كلام الله كقول نوح عليه السلام (جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم) .

(٩) أى لا تفاوت فى علمه بين إسرارهم وإعلانهم فلا وجه لتوصّلهم إلى ما يريدون من الاستخفاء والله مطّلع على ثنيهم صدورهم واستغشائهم ثيابهم ونفاقهم غير نافق عنده. قيل نزلت فى المنافقين .

(١٠) بما فيها .

(١١) (على الله رزقها) تفضّلا لا وجوبا .

وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا(1) وَمُسْتَوْدَعَهَا(2) كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ(3) ﴿٦﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ(4) وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ(5) لِيَبْلُوَكُمْ(6) أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا(7) وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ(8) ﴿٧﴾ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ(9) إِلَى أُمَّةٍ(10)

---

(1) مكانه من الأرض ومسكنه .

(2) حيث كان مودعا قبل الاستقرار من صلب أو رحم أو بيضة .

(3) كلّ واحد من الدواب ورزقها ومستقرّها ومستودعها فى اللوح . يعنى ذكرها مكتوب فيه مبيّن .

(4) (وهو الذى خلق السموات والأرض) وما بينهما (فى ستّة أيّام) من الأحد إلى الجمعة ، تعليما للتأنّى .

(5) أى فوقه . يعنى ما كان تحته خلق قبل خلق السموات والأرض إلّا المـاء . وفيه دليل على أنّ العرش والمـاء كانا مخلوقين قبل خلق السموات والأرض . قيل بدأه بخلق ياقوتة خضراء فنظر إليها بالهيبة فصارت ماء. ثمّ خلق ريحا فاقرّ المـاء على متنه ثمّ وضع عرشه على المـاء. وفى وقوف العرش على المـاء أعظم اعتبار لأهل الأفكار .

(6) أى خلق السموات والأرض وما بينهما للممتحن فيهما ولم تخلق هذه الأشياء لأنفسها.

(7) أ كثر شكرا. وعنه عليه السلام "أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع فى طاعة الله. فمن شكر وأطاع أثابه. ومن كفر وعصى عاقبه". ولمّا أشبه ذلك اختبار المختبر قال (ليبلوكم) أى ليفعل بكم ما يفعل المبتلى لأحوالكم كيف تعملون .

(8) أشار بهذا إلى القرآن لأن القرآن هو الناطق بالبعث. فإذا جعلوه سحرا فقد اندرج تحته إنكار ما فيه من البعث وغيره . (ساحر) حمزة وعلىّ يريدون الرسول . والساحر كاذب مبطل .

(9) عذاب الآخرة أو عذاب يوم بدر .

(10) إلى جماعة من الأوقات .

مَّعْدُودَةٍ(١) لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ(٢) أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ(٣) لَيْسَ(٤) مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ(٥) بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ(٦) ۝ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ(٧) مِنَّا رَحْمَةً(٨) ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ(٩) إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ(١٠) كَفُورٌ(١١) ۝ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ(١٢) لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ(١٣) عَنِّىٓ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ(١٤) فَخُورٌ(١٥) ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟(١٦)

---

(١) معلومة أو قلائل . والمعنى إلى حين معلوم .

(٢) (ليقولنّ ما يحبسه) ما يمنعه من النزول، استعجالا له على وجه التكذيب والاستهزاء .

(٣) (ألا يوم يأتيهم) العذاب . و (يوم) منصوب بمصروفا ، أى ليس العذاب مصروفا عنهم يوم يأتيهم .

(٤) (ليس) العذاب .

(٥) وأحاط بهم .

(٦) العذاب الذى كانوا به يستعجلون . وإنّما وضع (يستهزئون) موضع يستعجلون لأنّ استعجالهم كان على وجه الاستهزاء .

(٧) هو الجنس . واللام فى (لئن) لتوطئة القسم .

(٨) نعمة من صحّة وأمن وجدة .

(٩) ثمّ سلبناه تلك النعمة .

(١٠) جواب القسم. شديد اليأس من أن يعود إليه مثل تلك النعمة المسلوبة قاطع رجاءه من سعة فضل الله من غير صبر ولا تسليم لقضائه .

(١١) عظيم الكفران لما سلف له من التقلّب فى نعمة الله نسّاء له .

(١٢) وسعنا عليه النعمة بعد الفقر الذى ناله .

(١٣) أى المصائب التى ساءتنى .

(١٤) أشر بطر .

(١٥) (فخور) على الناس بما أذاقه الله من نعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر .

(١٦) (صبروا) فى المحنة والبلاء .

وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ[1] لَهُم مَّغْفِرَةٌ[2] وَأَجْرٌ كَبِيرٌ[3] ﴿١١﴾ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ[4] وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ[5] أَن يَقُولُوا۟[6] لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ[7] إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ[8] وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ[9] ﴿١٢﴾ أَمْ[10] يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ[11]

---

(١) وشكروا فى النعمة والرخاء .

(٢) (مغفرة) لذنوبهم .

(٣) يعنى الجنّة .

(٤) أى لعلّك تترك أن تلقيه اليهم وتبلّغه إيّاهم مخافة ردّهم له وتهاونهم به . كانوا يقترحون عليه آيات تعنّتا لا استرشادا ، لأنّهم لو كانوا مسترشدين لكانت آية واحدة مما جاء به كافية فى رشادهم . ومن اقتراحاتهم (لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك) وكانوا لا يعتدون بالقرآن ويتهاونون به فكان يضيق صدر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن يلقى اليهم مالا يقبلونه ويضحكون منه . فهيّجه لأداء الرسالة وطرح المبالاة بردّهم واستهزائهم واقتراحهم .

(٥) بأن تتلوه عليهم . ولم يقل ضيّق ليدلّ على أنّه ضيق عارض غير ثابت لأنّه عليه السلام كان أفسح الناس صدرا ، ولأنّه أشكل بتارك .

(٦) مخافة (أن يقولوا) .

(٧) هلّا أنزل عليه ما اقترحنا من الكنز لننفقه والملائكة لتصدّقه ولم أنزل عليه ما لا نريده ولا نقترحه .

(٨) أى ليس عليك إلّا أن تنذرهم بما أوحى إليك وتبلّغهم ما أمرت بتبليغه ولا عليك أن ردّوا أو تهاونوا .

(٩) يحفظ ما يقولون وهو فاعل بهم ما يجب أن يفعل . فتوكّل عليه وكل أمرك إليه وعليك بتبليغ الوحى بقلب فسيح وصدر منشرح غير ملتفت إلى استكبارهم ولا مبال بسفههم واستهزائهم .

(١٠) (أم) منقطعة .

(١١) الضمير لما يوحى إليك .

قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ(١) مِّثْلِهِۦ(٢) مُفْتَرَيَٰتٍ(٣) وَٱدْعُوا۟(٤) مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ(٥) ۝ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ(٦) فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ(٧) ۝ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ(٨) ۝

---

(١) تحدّاهم أوّلا بعشر سور ثمّ بسورة واحدة كما يقول المخابر فى الخطّ لصاحبه اكتب عشرة أسطر نحو ما أكتب . فإذا تبيّن له العجز عن ذلك قال قد اقتصرت منك على سطر واحد

(٢) (مثله) فى الحسن والجزالة. ومعنى (مثله) أمثاله ذهابا إلى مماثلة كلّ واحدة منها له .

(٣) صفة لعشر سور . لمّا قالوا افتريت القرآن واختلقته من عند نفسك وليس من عند الله أرخى معهم العنان وقال هبوا أنّى اختلقته من عند نفسى فأتوا أنتم أيضا بكلام مثله مختلق من عند أنفسكم فأنتم عرب فصحاء مثلى .

(٤) (وادعوا) إلى المعاونة على المعارضة .

(٥) (إن كنتم صادقين) أنه مفترى .

(٦) أى أنزل ملتبسا بما لا يعلمه إلّا الله من نظم معجز للخلق وإخبار بغيوب لا سبيل لهم إليه. (و) اعلموا عند ذلك (أن لا إله إلّا) الله وحده وأنّ توحيده واجب والإشراك به ظلم عظيم. وإنما جمع الخطاب بعد إفراده وهو قوله (لكم فاعلموا) بعد قوله (قل) لأنّ الجمع لتعظيم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. أو لأنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم والمؤمنين كانوا يحدّثونهم. أو لأنّ الخطاب للمشركين والضمير فى (فإن لم يستجيبوا) لمن استطعتم . أى فإن لم يستجب لكم من تدعونه من دون الله إلى المظاهرة على المعارضة لعلمهم بالعجز عنه (فاعلموا أنّما أنزل بعلم الله) أى بإذنه أو بأمره .

(٧) (فهل أنتم) متبعون للإسلام بعد هذه الحجة القاطعة ؟

ومن جعل الخطاب للمسلمين فمعناه فاثبتوا على العلم الذى أنتم عليه وازدادوا يقينا على أنّه منزل من عند الله وعلى التوحيد . ومعنى (فهل أنتم مسلمون) فهل أنتم مخلصون .

(٨) نوصّل إليهم أجور أعمالهم وافية كاملة من غير بخس فى الدنيا . وهو ما يرزقون فيها من الصّحة والرزق . وهم الكفّار أو المنافقون .

أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا[1] وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ[2] ﴿١٦﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ[3] وَيَتْلُوهُ[4] شَاهِدٌ[5] مِّنْهُ[6] وَمِن قَبْلِهِۦ[7] كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ[8] إِمَامًا وَرَحْمَةً[9] أُوْلَٰٓئِكَ[10] يُؤْمِنُونَ بِهِۦ[11] وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ[12]

---

[1] وحبط فى الآخرة ما صنعوه أو صنيعهم . أى لم يكن لهم ثواب لأنهم لم يريدوا به الآخرة . إنما أرادوا به الدنيا وقد وفى إليهم ما أرادوا .

[2] أى كان عملهم فى نفسه باطلا لأنه لم يعمل لغرض صحيح . والعمل الباطل لا ثواب له .

[3] (أ) من كان يريد الحياة الدنيا (فمن كان على بيّنة من ربّه) . أى لا يعقبونهم فى المنزلة ولا يقاربونهم . يعنى أن بين الفريقين تباينا بيّنا . وأراد بهم من آمن من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره . (كان على بيّنة من ربّه) أى على برهان من الله وبيان أن دين الإسلام حق . وهو دليل العقل .

[4] ويتبع ذلك البرهان .

[5] (شاهد) يشهد بصحّته وهو القرآن .

[6] من الله أو من القرآن فقد مرّ ذكره آنفا .

[7] ومن قبل القرآن .

[8] وهو التوراة. أى ويتلو ذلك البرهان أيضا من قبل القرآن (كتاب موسى) عليه السلام.

[9] (إماما) كتابا مؤتمّا به فى الدين قدوة فيه (ورحمة) ونعمة عظيمة على المنزل إليهم . وهما حالان .

[10] أى من كان على بيّنة .

[11] بالقرآن .

[12] بالقرآن .

مِنَ ٱلْأَحْزَابِ(١) فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ(٢) فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ(٣) مِّنْهُ(٤) إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ(٥) وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ(٦) أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ(٧) ۝ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ(٨) وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا(٩) وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ(١٠) ۝ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟(١١) مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ(١٢) وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ(١٣) يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ(١٤)

(١) يعنى أهل مكة ومن ضاهم من المتحزبين على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٢) مصيره ومورده .

(٣) شك .

(٤) من القرآن أو من الموعد .

(٥) يحبسون فى الموقف وتعرض أعمالهم :

(٦) ويشهد عليهم الأشهاد من الملائكة والنبيين بأنهم الكذابون على الله بأنه اتخذ ولدا وشريكا . و (الأشهاد) جمع شاهد كأصحاب وصاحب ، أو شهيد كشريف وأشراف .

(٧) الكاذبين على ربهم .

(٨) يصرفون الناس عن دينه .

(٩) يصفونها بالاعوجاج وهى مستقيمة . أو يبغون أهلها أن يعوجوا بالارتداد .

(١٠) (هم) الثانية لتأكيد كفرهم بالآخرة واختصاصهم به .

(١١) أى ما كانوا .

(١٢) بمعجزين الله فى الدنيا أن يعاقبهم لو أراد عقابهم .

(١٣) من يتولاهم فينصرهم منه ويمنعهم من عقابه . ولكنه أراد إنظارهم وتأخير عقابهم إلى هذا اليوم . وهو من كلام الأشهاد .

(١٤) لأنهم أضلوا الناس عن دين الله . (يضعف) مكى وشامى .

مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ[(١)] وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ[(٢)] ۝ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ[(٣)] وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ[(٤)] ۝ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ[(٥)] ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ[(٦)] أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ۝ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ[(٧)] هَلْ يَسْتَوِيَانِ[(٨)] مَثَلًا[(٩)] أَفَلَا تَذَكَّرُونَ[(١٠)] ۝

(١) أى استماع الحقّ .

(٢) (وما كانوا يبصرون) الحقّ .

(٣) حيث اشتروا عبادة الآلهة بعبادة الله .

(٤) وبطل عنهم وضاع ما اشتروه وهو (ما كانوا يفترون) من الآلهة وشفاعتها .

(٥) (هم الأخسرون) بالصدّ والصدود . وفى (لاجرم) أقوال أحدها أنّ (لا) ردّ لكلام سابق، أى ليس الأمر كما زعموا . ومعنى (جرم) كسب وفاعله مضمر و (أنهم فى الآخرة) فى محلّ النصب . والتقدير كسب قولهم خسرانهم فى الآخرة . وثانيها أنّ (لا جرم) كلمتان ركبتا فصار معناهما حقّاً . وأنّ فى موضع رفع بأنّه فاعل لحقّ أى حقّ خسرانهم . وثالثها أنّ معناه لا محالة .

(٦) واطمأنّوا إليه وانقطعوا إلى عبادته بالخشوع والتواضع . من الخبت وهى الأرض المطمئنة .

(٧) شبّه فريق الكافرين بالأعمى والأصمّ ، وفريق المؤمنين بالبصير والسميع .

(٨) يعنى الفريقين .

(٩) تشبيها . وهو نصب على التمييز .

(١٠) (أفلا تذكّرون) فتنتفعون بضرب المثل .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (١) ۝ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ (٢) إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ (٣) ۝ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ (٤) مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا (٥) وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا (٦) بَادِىَ (٧) ٱلرَّأْىِ (٨) وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ (٩)

(١) (أنّى) أى بأنى . والمعنى أرسلناه ملتبسا بهذا الكلام وهو قوله (إنى لكم نذير مبين) بالكسر فلمّا اتّصل به الجارّ فتح كما فتح فى كأنّ . والمعنى على الكسر . وبكسر الألف شامىّ ونافع وعاصم وحمزة على إرادة القول .

(٢) (أن) مفسّرة متعلّقة بأرسلنا أو بنذير .

(٣) وصف اليوم بأليم من الإسناد المجازى لوقوع الألم فيه .

(٤) يريد الأشراف لأنّهم يملئون القلوب هيبة والمجالس أبّهة ، أو لأنّهم ملئوا بالأحلام والآراء الصائبة .

(٥) أرادوا أنّه كان ينبغى أن يكون ملكا أو ملكا .

(٦) أخسّاؤنا . جمع الأرذل .

(٧) وبالهمزة أبو عمرو .

(٨) وبغير همز أبو عمرو . أى اتّبعوك ظاهر الرأى أو أوّل الرأى . من بدا يبدو إذا ظهر أو بدأ يبدأ إذا فعل الشيء أوّلا . وانتصابه على الظرف . أصله وقت حدوث ظاهر رأيهم أو أوّل رأيهم . فحذف ذلك وأقيم المضاف إليه مقامه . أرادوا أنّ اتّباعهم لك شيء عنّ لهم بديهة من غير رويّة ونظر ولو تفكّروا ما اتّبعوك . وإنّما استرذلوا المؤمنين لفقرهم وتأخرهم فى الأسباب الدنيويّة لأنّهم كانوا جهّالا ما كانو يعلمون إلّا ظاهرا من الحياة الدنيا فكان الأشرف عندهم من له جاه ومال كما ترى أكثر المتسمّين بالإسلام يعتقدون ذلك ويبنون عليه إكرامهم وإهانتهم . ولقد زلّ عنهم أنّ التقدّم فى الدنيا لا يقرّب أحدا من الله . وإنّما يبعده ولا يرفعه بل يضعه .

(٩) (من فضل) فى مال ورأى . عنوا نوحا وأتباعه .

بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ (1) ۝ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ (2) إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى (3)
وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ (4) فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ (5) أَنُلْزِمُكُمُوهَا (6) وَأَنتُمْ لَهَا
كَٰرِهُونَ (7) ۝ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ (8) مَالًا (9) إِنْ أَجْرِىَ (10) إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَمَآ
أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ (11) إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ (12) وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (13) ۝

(1) أى نوحا فى الدعوة ومتّبعيه فى الإجابة والتصديق. يعنى تواطأتم على الدعوة والإجابة تسبيبا للرياسة .

(2) أخبرونى .

(3) برهان وشاهد منه يشهد بصحة دعواى .

(4) يعنى النبوّة .

(5) (فعَميت) أى خفيت (فعُمّيت) حمزة وعلىّ وحفص ، أى أخفيت . أى اعميت عليكم البيّنة فلم تهدكم كما لو عمى على القوم دليلهم فى المفازة بقوا بغير هاد . وحقيقته أنّ الحجة كما جعلت بصيرة ومبصرة جعلت عمياء لأنّ الأعمى لا يهتدى ولا يهدى غيره .

(6) أى الرحمة . والواو دخلت هنا تتمّة للميم . وعن أبى عمرو إسكان الميم . ووجهه أنّ الحركة لم تكن إلاّ خلسة خفيفة فظنّها الراوى سكونا . وهو لحن لأنّ الحركة الإعرابيّة لايسوغ طرحها إلاّ فى ضرورة الشعر .

(7) لا تريدونها .

(8) على تبليغ الرسالة لأنّه مدلول قوله (إنّى لكم نذير) .

(9) أجرا يثقل عليكم إن أديتم ، أو علىّ إن أبيتم .

(10) (أجرىَ) مدنى وشامى وأبو عمرو وحفص

(11) جواب لهم حين سألوا طردهم ليؤمنوا به أنفة من المجالسة معهم .

(12) (إنّهم ملاقوا ربهم) فيشكوننى إليه إن طردتهم .

(13) تتسافهون على المؤمنين وتدعونهم أراذل، أو تجهلون لقاء ربكم، أو أنّهم خير منكم.

وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡ(١) أَفَلَا تَذَكَّرُونَ(٢) ۝ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ(٣) وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ(٤) وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ(٥) وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ(٦) إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ(٧) ۝ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا(٨) فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ(٩) إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝ قَالَ إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ(١٠) إِن شَآءَ

---

(١) من يمنعنى من انتقامه .

(٢) تتعظون .

(٣) (ولا أقول لكم عندى خزائن الله) فأدّعى فضلا عليكم بالغنى حتّى تجحدوا فضلى بقولكم (وما نرى لكم علينا من فضل) .

(٤) (ولا أعلم الغيب)حتّى أطّلع على ما فى نفوس أتباعى وضمائر قلوبهم . وهو معطوف على (عندى خزائن الله) أى (لا) أقول أنا (أعلم الغيب) .

(٥) (ولا أقول إنّى ملك) حتّى تقولوا لى ما أنت إلّا بشر مثلنا .

(٦) ولا أحكم على من استرذلتم من المؤمنين لفقرهم أنّ الله لن يؤتيهم خيرا فى الدنيا والآخرة لهوانهم عليه ، مساعدة لكم ونزولا على هواكم — والازدراء افتعال من زرى عليه إذا عابه . وأصله تزترى فأبدلت التاء دالا — (الله أعلم بما فى أنفسهم) من صدق الاعتقاد. وإنّما علىّ قبول ظاهر إقرارهم إذ لا أطّلع على خفىّ أسرارهم .

(٧) (إنّى إذًا لمن الظالمين) إن قلت شيئا من ذلك .

(٨) خاصمتنا .

(٩) (فأتنا بما تعدنا) من العذاب (إن كنت من الصادقين) فى وعدك .

(١٠) أى ليس الإتيان بالعذاب إلىّ . وإنّما هو إلى من كفرتم به .

وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ[1] ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ[2] إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ[3] هُوَ رَبُّكُمْ[4] وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ[5] ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ[6] قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ[7] ﴿٣٥﴾ وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ[8] فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ[9] ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا[10] وَوَحْيِنَا[11]

(١) أى لم تقدروا على الهرب منه .

(٢) هو إعلام موضع الغى ليتقى، والرشد ليقتفى. (ولكنى) (إنى أراكم) (نصحى) مدنى وأبو عمرو.

(٣) أى يضلكم. وهذا شرط دخل على شرط فيكون الثانى مقدما فى الحكم لما عرف. تقديره إن كان الله يريد أن يغويكم لا ينفعكم نصحى إن أردت أن أنصح لكم . وهو دليل بيّن لنا فى إرادة المعاصى .

(٤) فيتصرف فيكم على قضية إرادته .

(٥) فيجازيكم على أعمالكم .

(٦) بل أ (يقولون افتراه) .

(٧) يقال أجرم الرجل إذا أذنب. أى إن صح أنى افتريته فعلىّ عقوبة إجرامى أى افترائى. (وأنا برىء مما تجرمون) من إجرامكم فى إسناد الافتراء إلىّ . أى ولم يثبت ذلك وأنا برىء منه فلا وجه لإعراضكم ومعاداتكم .

(٨) إقناط من إيمانهم وأنه غير متوقع . وفيه دليل على أن للإيمان حكم التجدد كأنه قال إن الذى آمن يؤمن فى حادث الوقت. وعلى ذلك تخرج الزيادة التى ذكرت فى الإيمان بالقرآن.

(٩) فلا تحزن حزن بائس مستكين . والابتئاس افتعال من البؤس وهو الحزن والفقر . والمعنى فلا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وإيذائك ، فقد حان وقت الانتقام من أعدائك .

(١٠) هو فى موضع الحال أى اصنعها محفوظا. وحقيقته ملتبسا بأعيننا كأن لله معه أعينا تكلؤه من أن يزيغ فى صنعته عن الصواب .

(١١) وأنا نوحى إليك ونلهمك كيف تصنع. عن ابن عباس رضى الله عنهما لم يعلم كيف صنعة الفلك . فأوحى الله إليه أن يصنعها مثل جؤجؤ الطير .

وَلَا تُخَـٰطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ[1] إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ[2] ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ[3] وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُ[4] قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ[5] ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ[6] عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ[7] عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ[8] ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ[9] إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا[10]

(١) ولا تدعنى فى شأن قومك واستدفاع العذاب عنهم بشفاعتك .

(٢) محكوم عليهم بالإغراق وقد قضى به وجفّ القلم فلا سبيل إلى كفّه .

(٣) حكاية حال ماضية .

(٤) من عمله السفينة. وكان يعملها فى بريّة فى أبعد موضع من المـاء فكانوا يتضاحكون منه ويقولون له : يانوح صرت نجّارا بعد ما كنت نبيّا . وجواب كلّما (سخروا) . و (قال) استئناف على تقدير سؤال سائل . أو (قال) جواب و (سخروا) بدل من (مرّ) أو صفة لملأ .

(٥) (نسخر منكم) عند رؤية الهلاك (كما تسخرون) منّا عند رؤية الفلك .

روى أنّ نوحا عليه السـلام اتّخذ السفينة من خشب الساج فى سنتين . وكان طولهـا ثلثمائة ذراع أو ألفا ومائتى ذراع . وعرضها خمسون ذراعا أو ستمائة ذراع . وطولها فى السماء ثلاثون ذراعا . وجعل لها ثلاثة بطون. فحمل فى البطن الأسفل الوحوش والسباع والهوام، وفى البطن الأوسط الدوابّ والأنعـام . وركب نوح ومن معه فى البطن الأعلى مع ما يحتاج إليه من الزاد . وحمل معه جسد آدم عليه السلام وجعله حاجزا بين الرجال والنساء .

(٦) (من) فى محل نصب بتعلمون أى (فسوف تعلمون) الذى (يأتيه)— ويعنى به إيّاهم — (عذاب يخزيه) ويريد بالعذاب عذاب الدنيا وهو الغرق .

(٧) وينزل عليه .

(٨) وهو عذاب الآخرة .

(٩) هى التى يبتدأ بعدها الكلام أدخلت على الجملة من الشرط والجزاء . وهى غاية لقوله (ويصنع الفلك) أى وكان يصنعها إلى أن جاء وقت الموعد . وما بينهما من الكلام حال من (يصنع) . أى يصنعها (و) الحال أنّه (كلّما مرّ عليه ملأ من قومه سخروا منه) .

(١٠) عذابنـا .

وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ[1] قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا[2] مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ[3] وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ[4] وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ[5] ﴿٤٠﴾ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ[6] إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ[7] ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ[8]

(١) هو كناية عن اشتداد الأمر وصعوبته . وقيل معناه جاش الماء من تنّور الخبز. وكان من حجر لحواء فصار إلى نوح عليه السلام . وقيل التنّور وجه الأرض .

(٢) فى السفينة .

(٣) تفسيره فى سورة المؤمنين .

(٤) (وأهلك)عطف على اثنين. وكذا (ومن آمن) أى واحمل أهلك والمؤمنين من غيرهم . واستثنى من أهله (من سبق عليه القول) أنّه من أهل النار . وما سبق عليه القول بذلك إلّا للعلم بأنّه يختار الكفر بتقديره وإرادته . جلّ خالق العباد، عن أن يقع فى الكون خلاف ما أراد .

(٥) قال عليه السلام "كانوا ثمانية : نوح وأهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم" . وقيل كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة . وقيل كانوا اثنين وسبعين رجالا ونساء وأولاد نوح : سام وحام ويافث ونساؤهم . فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء .

(٦) (بسم الله) متّصل باركبوا، حالا من الواو .أى (اركبوا فيها) مسمّين الله أوقائلين بسم الله وقت إجرائها ووقت إرسائها. إمّا لأن المجرى والمرسى للوقت، وإمّا لأنهما مصدران كالإجراء والإرساء حذف منهما الوقت المضاف كقولهم: خفوق النجم. ويجوز أن يكون (بسم الله مجراها ومرساها) جملة برأسها غير متعلّقة بما قبلها. وهى مبتدأ وخبر .يعنى أنّ نوحا عليه السلام أمرهم بالركوب، ثمّ أخبرهم أنّ مجراها ومرساها بذكر اسم الله أى بسم الله إجراؤها وإرساؤها. وكان إذا أراد أن تجرى قال بسم الله فجرت، وإذا أراد أن ترسو قال بسم الله فرست. (مجريها) بفتح الميم وكسر الراء من جرى إمّا مصدر أو وقت، حمزة وعلىّ وحفص . وبضم الميم وكسر الراء أبو عمرو . والباقون بضمّ الميم وفتح الراء .

(٧) (لغفور) لمن آمن منهم (رحيم) حيث خلّصهم .

(٨) متّصل بمحذوف دلّ عليه (اركبوا فيها باسم الله) كأنّه قيل : فركبوا فيها يقولون بسم الله (وهى تجرى بهم) أى السفينة تجرى وهم فيها .

فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ(١) وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ(٢) وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ(٣) يَا بُنَيَّ(٤) ارْكَب مَّعَنَا(٥) وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ۝ قَالَ سَآوِي(٦) إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ(٧) قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ(٨) وَحَالَ بَيْنَهُمَا(٩) الْمَوْجُ فَكَانَ(١٠) مِنَ الْمُغْرَقِينَ ۝ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ(١١) وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي(١٢) وَغِيضَ الْمَاءُ(١٣)

---

(١) يريد موج الطوفان. وهو جمع موجة كتمر وتمرة. وهو ما يرتفع من الماء عند اضطرابه بدخول الرياح الشديدة فى خلاله . شبّه كلّ موجة منه بالجبل فى تراكبها وارتفاعها .

(٢) كنعان وقيل يام . والجمهور على أنّه ابنه الصلبيّ . وقيل كان ابن امرأته .

(٣) (فى معزل) عن أبيه وعن السفينة. مفعل من عزله عنه إذا نحّاه وأبعده. أو فى معزل عن دين أبيه .

(٤) بفتح الياء عاصم اقتصارا عليه من الألف المبدلة من ياء الإضافة من قولك يا بنيا . غيره بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الإضافة .

(٥) (اركب معنا) فى السفينة . أى أسلم واركب .

(٦) ألجأ .

(٧) يمنعنى من الغرق .

(٨) إلا الراحم وهو الله تعالى. أو (لا عاصم اليوم) من الطوفان (إلّا من رحم) الله . أى (إلّا) مكان (من رحم) الله من المؤمنين. وذلك أنّه لمّا جعل الجبل عاصما من الماء قال له لا يعصمك اليوم معتصم قطّ من جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان من رحمهم الله ونجّاهم، يعنى السفينة . أو هو استثناء منقطع كأنّه قيل ولكن من رحمه الله فهو المعصوم كقوله (ما لهم به من علم إلّا اتّباع الظنّ) .

(٩) بين ابنه والجبل أو بين نوح وابنه .

(١٠) فصار أو فكان فى علم الله .

(١١) انشفى (ماءك) وتشرّبى . والبلع النشف .

(١٢) أمسكى .

(١٣) نقص من غاضه إذا نقصه وهو لازم ومتعدّ .

وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ[1] وَٱسۡتَوَتۡ[2] عَلَى ٱلۡجُودِيِّ[3] وَقِيلَ بُعۡدٗا[4] لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾

(١) وأنجز ما وعد الله نوحا من إهلاك قومه .

(٢) واستقرت السفينة بعد أن طافت الأرض كلّها ستّة أشهر .

(٣) هو جبل بالموصل .

(٤) أى سحقا لقوم نوح الذين غرقوا . يقال بعد بعداً و بَعَداً اذا أرادوا البعد البعيد من حيث الهلاك والموت . ولذلك خص بدعاء السوء .

والنظر فى هذه الآية من أربع جهات: من جهة علم البيان وهو النظر فيما فيها من المجاز والاستعارة والكناية وما يتّصل بها . فنقول : إنّ الله تعالى لمّا أراد أن يبيّن معنى أردنا أن نردّ ما انفجر من الأرض إلى بطنها فارتدّ ، وأن نقطع طوفان السماء فانقطع ، وأن نغيض الماء النازل من السماء فغيض ، وأن نقضى أمر نوح وهو إنجاز ما كنّا وعدناه من إغراق قومه فقضى ، وأن نسوّى السفينة على الجودى فاستوت ، وأبقينا الظلمة غرقى ، بنى الكلام على تشبيه المراد بالأمر الذى لا يتأتّى منه — لكمال هيبته — العصيان ، وتشبيه تكوين المراد بالأمر الجزم النافذ فى تكوّن المقصود تصويرا لاقتداره العظيم وأنّ السموات والأرض منقادة لتكوينه فيها ما يشاء غير ممتنعة لإرادته فيها تغييرا وتبديلا كأنّها عقلاء مميّزون قد عرفوه حقّ معرفته وأحاطوا علما بوجوب الانقياد لأمره والإذعان لحكمه وتحتّم بذل المجهود عليهم فى تحصيل مراده. ثمّ بنى على تشبيه هذا نظم الكلام فقال عزّ وجلّ (وقيل) على سبيل المجاز عن الإرادة الواقع بسببها قول القائل ، وجعل قرينة المجاز الخطاب للجماد وهو (يا أرض . ويا سماء) ، ثم قال مخاطبا لها (يا أرض) و (يا سماء) على سبيل الاستعارة للشبه المذكور ، ثمّ استعار لغور الماء فى الأرض البلع الذى هو أعمال الجاذبة فى المطعوم للشبه بينهما وهو الذهاب إلى مقرّ خفىّ ، ثمّ استعار الماء للغذاء تشبيها له بالغذاء لتقوّى الأرض بالماء فى الإنبات كتقوّى الآكل بالطعام. ثمّ قال (ماءك) بإضافة الماء إلى الأرض على سبيل المجاز لاتّصال الماء بالأرض كاتّصال الملك بالمالك . ثمّ اختار لاحتباس المطر الإقلاع الذى هو ترك الفاعل الفعل للشبه بينهما فى عدم التأتّى. ثمّ قال (وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودى وقيل بعدا) ولم يصرّح بمن أغاض الماء ولا بمن قضى الأمر وسوّى السفينة وقال بعدا ، كما لم يصرّح بقائل (يا أرض. ويا سماء) سلوكا فى كلّ واحد من ذلك لسبيل الكناية وأنّ تلك الأمور العظام لاتكون إلّا بفعل فاعل قادر وتكوين مكوّن قاهر وأنّ فاعلها واحد لا يشاركه فى فعله فلا يذهب الوهم إلى أن يقول غيره (يا أرض ابلعى ماءك

ويا سمـاء أقلعى) ولا أن يكون الغائض والقاضى والمستوى غيره . ثمّ ختم الكلام بالتعريض تنبيها لسالكى مسلكهم فى تكذيب الرسل ظلمـا لأنفسهم إظهارا لمكان السـخط وأنّ ذلك العذاب الشديد ما كان إلا لظلمهم .

ومن جهة علم المعانى. وهو النظر فى فائدة كلّ كلمة فيها ، وجهة كلّ تقديم وتأخير فيما بين جملها . وذلك أنّه اختير (يا) دون أخواتها لكونها أكثر استعمالا ، ولدلالتها على بعد المنادى الذى يستدعيه مقام إظهار العظمة والملكوت وإبداء العزّة والجبروت وهو تبعيـد المنادى المؤذن بالتهاون به . ولم يقل يا أرضى لزيادة التهاون إذ الإضافة تستدعى القرب . ولم يقل يأيتها الأرض للاختصار . واختير لفظ الأرض والسماء لكونهما أخفّ وأدور . واختير (ابلعى) على ابتلعى لكونه أخصر وللتجانس بينه وبين (أقلعى). وقيل (أقلعى) ولم يقل عن المطر، وكذا لم يقل (يا أرض ابلعى ماءك) فبلعت (ويا سماء أقلعى) فأقلعت اختصاراً . واختير (غيض) على غيّض، وقيل(المـاء)دون أن يقول ماء الطوفان، و(الأمر) ولم يقل أمر نوح وقومه، لقصد الاختصـار والاستغناء بحرف العهد عن ذلك . ولم يقل وسوّيت على الجودى ، أى أقرّت على نحو (قيل)و(غيض) اعتباراً لبناء الفعل للفاعل مع السفينة فى قوله(وهى تجرى بهم) إرادة للطابقة . ثم قيل (بعدا للقوم) ولم يقل ليبعد القوم طلبا للتأكيد مع الاختصار . هـذا من حيث النظر إلى تركيب الكلم . وأمّا من حيث النظر إلى ترتيب الجمل فذلك أنّه قـدّم النداء على الأمر فقيل (يا أرض ابلعى ويا سماء أقلعى) ولم يقل ابلعى يا أرض وأقلعى يا سماء جريا على مقتضى الكلام فيمن كان مأمورا حقيقة من تقديم التنبيه ليتمكّن الأمر الوارد عقيبه فى نفس المنادى قصـدا بذلك لمعنى الترشيح . ثمّ قدّم أمر الأرض على أمر السماء وابتدأ به لابتداء الطوفان منها. ثمّ أتبع(وغيض المـاء) لاتّصاله بقصّة المـاء وأخذه بحجزتها. ثمّ ذكر ما هو المقصود وهو قوله (وقضى الأمر) أى أنجز الموعود من إهلاك الكفرة وإنجاء نوح ومن معه فى الفلك . وعلى هذا فاعتبر .

ومن جهة الفصـاحة المعنويّة. وهى كما ترى نظم للمعانى لطيف وتأدية لها ملخّصة مبيّنة لا تعقيد يُعثر الفكر فى طلب المراد ولا التواء يشيّك الطريق إلى المرتاد .

ومن جهة الفصاحة اللفظية . فألفاظها على ما ترى عربيّـة مستعملة سليمة عن التنافر بعيدة عن البشاعة عذبة على العذبات ، سلسلة على الأسَلات . كلّ منها كالمـاء فى السلاسة، وكالعسل فى الحلاوة ، وكالنسيم فى الرقة .

ومن ثمّ أطبق المعاندون على أنّ طوق البشر قاصر عن الإتيان بمثل هـذه الآية . ولله درّ شأن التنزيل لا يتأمّل العالم آية من آياته إلّا أدرك لطائف لا تسع الحصر. ولا تظنّن الآية مقصورة على المذكور ، فلعلّ المتروك أكثر من المسطور .

وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ (١) فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى (٢) وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ (٣) وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ (٤) ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ (٥) عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ (٦) مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ (٧)

(١) نداؤه ربّه دعاؤه له وهو قوله (ربّ) مع ما بعده من اقتضاء وعده فى تنجية أهله .

(٢) أى بعض أهلى لأنّه كان ابنه من صلبه أو كان ربيبا له فهو بعض أهله .

(٣) وإنّ كلّ وعد تعده فهو الحقّ الثابت الذى لا شكّ فى إنجازه والوفاء به . وقد وعدتنى أن تنجى أهلى فما بال ولدى ؟ .

(٤) أى أعلم الحكّام وأعدلهم إذ لا فضل لحاكم على غيره إلّا بالعلم والعدل . ورب غريق فى الجهل والجور من متقلّدى الحكومة فى زمانك قد لقب أقضى القضاة ومعناه أحكم الحاكمين فاعتبر واستعبر .

(٥) علّل لانتفاء كونه من أهله بقوله (إنّه عمل غير صالح) .

وفيه ايذان بأن قرابة الدّين غامرة لقرابة النسب ، وأن نسيبك فى دينك — وإن كان حبشيًا وكنت قرشيًا — لصيقك . ومن لم يكن على دينك ، وإن كان أمسّ أقاربك رحما فهو أبعد بعيد منك . وجعلت ذاته عملا غير صالح مبالغة فى ذمّه كقولها :

* فإنّما هى إقبال وإدبار * أو التقدير إنه ذو عمل . وفيه إشعار بأنّه إنّما أنجى من أنجى من أهله لصلاحهم لا لأنّهم أهله . وهذا لمّا انتفى عنه الصلاح لم تنفعه أبوّته . (عمِلَ غيرَ صالحٍ) علىّ: قال الشيخ أبو منصور رحمه الله كان عند نوح عليه السلام أنّ ابنه كان على دينه لأنّه كان ينافق . وإلّا لا يحتمل أن يقول ابنى من أهلى ويسأله نجاته وقد سبق منه النهى عن سؤال مثله بقوله (ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا إنّهم مغرقون) . فكان يسأله على الظاهر الذى عنده كما كان أهل النفاق يظهرون الموافقة لنبيّنا عليه السلام ويضمرون الخلاف له ولم يعلم بذلك حتّى أطلعه الله عليه . وقوله (ليس من أهلك) أى من الذين وعدت النجاة لهم وهم المؤمنون حقيقة فى السرّ والظاهر .

(٦) اجتزأ بالكسرة عن الياء كوفىّ . (تسألنى) بصرىّ (تسألنّى) مدنىّ . (تسألنّ) شامىّ . فحذف الياء واجتزأ بالكسرة . والنون نون التأكيد . (تسألنّ) مكىّ .

(٧) بجواز مسألته .

إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ[1] ۞ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ[2] وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ[3] أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۞ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا[4] وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ[5] وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن[6] مَّعَكَ وَأُمَمٌ[7] سَنُمَتِّعُهُمْ[8] ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ[9] ۞

---

(١) هو كما نهى رسولنا بقوله (فلا تكونن من الجاهلين) .

(٢) أى من أن أطلب منك فى المستقبل مالا علم لى بصحته تأدبا بأدبك واتعاظا بموعظتك.

(٣) (وإلا تغفر لى) ما فرط منى (وترحمنى) بالعصمة عن العود إلى مثله .

(٤) بتحية منا أو بسلامة من الغرق .

(٥) هى الخيرات النامية . وهى فى حقه بكثرة ذريته وأتباعه . فقد جعل أكثر الأنبياء من ذريته ، وأئمة الدين فى القرون الباقية من نسله .

(٦) (من) للبيان . فتراد الأمم الذين كانوا معه فى السفينة لأنهم كانوا جماعات. أو قيل لهم أمم لأن الأمم تتشعب منهم. أو لابتداء الغاية أى على أمم ناشئة ممن معك. وهى الأمم إلى آخر الدهر . وهو الوجه .

(٧) رفع بالابتداء .

(٨) (سنمتعهم) فى الدنيا بالسعة فى الرزق والخفض فى العيش . صفة . والخبر محذوف تقديره وممن معك (أمم سنمتعهم) . وإنما حذف لأن (ممن معك) يدل عليه .

(٩) أى فى الآخرة .

والمعنى أن السلام منا والبركات عليك وعلى أمم مؤمنين ينشئون ممن معك . وممن معك أمم ممتعون بالدنيا منقلبون إلى النار . وكان نوح عليه السلام أبا الأنبياء . والخلق بعد الطوفان منه وممن كان معه فى السفينة . وعن محمد بن كعب دخل فى ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة . وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر .

تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ(١) مِن قَبْلِ هَٰذَا(٢) فَاصْبِرْ(٣) إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ(٤) ﴿٤٩﴾ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ(٥) هُودًا(٦) قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ(٧) مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ(٨) إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ(٩) ﴿٥٠﴾ يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا(١٠) إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ(١١) ﴿٥١﴾

---

(١) (تلك) إشارة إلى قصّة نوح عليه السلام . ومحلّها الرفع على الابتداء . والجمل بعدها وهى (من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك) ، أخبار . أى تلك القصّة بعض أنباء الغيب موحاة إليك مجهولة عندك وعند قومك .

(٢) (من قبل هذا) الوقت أو من قبل إيحائى إليك و إخبارك بها .

(٣) (فاصبر) على تبليغ الرسالة وأذى قومك كما صبر نوح ، وتوقّع فى العاقبة لك ولمن كذّبك نحو ما كان لنوح ولقومه .

(٤) (إنّ العاقبة) فى الفوز والنصر والغلبة (للمتّقين) عن الشرك .

(٥) واحدا منهم . وانتصابه للعطف على (أرسلنا نوحا). أى (و) أرسلنا (إلى عاد أخاهم).

(٦) عطف بيان .

(٧) وحّدوه .

(٨) بالرفع ، نافع . صفة على محلّ الجارّ والمجرور . و بالجرّ ، على . على اللفظ .

(٩) تفترون على الله الكذب باتّخاذكم الأوثان له شركاء .

(١٠) ما من رسول إلّا واجه قومه بهذا القول لأنّ شأنهم النصيحة . والنصيحة لا يمحضها إلّا حسم المطامع . وما دام يتوهّم شىء منها لم تنجع ولم تنفع .

(١١) (أفلا تعقلون) إذ تردّون نصيحة من لا يطلب عليها أجرا إلّا من الله وهو ثواب الآخرة . ولا شىء أنفى للتهمة من ذلك .

وَيَـٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ[1] ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ[2] يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ[3] عَلَيْكُم مِّدْرَارًا[4] وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ[5] وَلَا تَتَوَلَّوْا۟[6] مُجْرِمِينَ[7] ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ يَـٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ[8] وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ[9] وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ[10] ﴿٥٣﴾

(١) آمنوا به .

(٢) (توبو إليه) من عبادة غيره .

(٣) أى المطر .

(٤) حال . أى كثيرة الدرور .

(٥) إنما قصد استمالتهم إلى الإيمان بكثرة المطر وزيادة القوة ، لأنهم كانوا أصحاب زروع وبساتين فكانوا أحوج شيء إلى الماء . وكانوا مدلّين بما أوتوا من شدّة البطش والقوة. وقيل أراد القوة بالمال أو على النكاح . وقيل حبس عنهم القطر ثلاث سنين وعقمت أرحام نسائهم . فوعدهم هود عليه السلام المطر والأولاد، على الإيمان والاستغفار . وعن الحسن بن علي رضى الله عنهما أنّه وفد على معاوية. فلمّا خرج قال له بعض حجابه إنّى رجل ذو مال ولا يولد لى. علّمنى شيئا لعلّ الله يرزقنى ولدا . فقال الحسن عليك بالاستغفار . فكان يكثر الاستغفار حتّى ربّما استغفر فى يوم واحد سبعمائة مرّة فولد له عشرة بنين. فبلغ ذلك معاوية : فقال هلّا سألته مم قال ذلك ؟ فوفد وفدة أخرى فسأله الرجل. فقال ألم تسمع قول هود (ويزدكم قوة إلى قوتكم) وقول نوح (ويمددكم بأموال وبنين) ؟

(٦) ولا تعرضوا عنّى وعمّا أدعوكم إليه .

(٧) مصرّين على إجرامكم وآثامكم .

(٨) كذب منهم وجحود كما قالت قريش لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم (لولا أنزل عليه آية من ربّه) مع فوت آياته الحصر .

(٩) هو حال من الضمير فى (تاركى آلهتنا) كأنّه قيل وما نترك آلهتنا صادرين(عن قولك).

(١٠) وما يصحّ من أمثالنا أن يصدّقوا مثلك فيما يدعوهم إليه . إقناطا له من الإجابة .

إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ(١) قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ(٢) فَكِيدُونِى جَمِيعًا(٣) ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ(٤) ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ(٥) إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ(٦) ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ(٧) وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ(٨) وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا(٩)

---

(١) (إن) حرف نفى، فنفى جميع القول إلا قولا واحدا وهو قولهم (اعتراك) أصابك (بعض آلهتنا بسوء) بجنون وخبل. وتقديره: ما نقول قولا إلا هذه المقالة أى قولنا اعتراك بعض آلهتنا بسوء.

(٢) أى من إشراككم آلهة من دونه، والمعنى إنى أشهد الله (أنى برىء مما تشركون). واشهدوا أنتم أيضا أنى برىء من ذلك. وجىء به على لفظ الأمر بالشهادة كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه: اشهد على أنى لا أحبك تهكما به واستهانة بحاله.

(٣) أنتم وآلهتكم.

(٤) لا تمهلون. فإنى لا أبالى بكم وبكيدكم ولا أخاف معرتكم وإن تعاونتم على. وكيف تضرنى آلهتكم وما هى إلا جماد لا يضر ولا ينفع؟ وكيف تنتقم منى إذا نلت منها وصددت عن عبادتها بأن تخبلنى وتذهب بعقلى؟

(٥) أى مالكها. لما ذكر توكله على الله وثقته بحفظه وكلاءته من كيدهم، وصفه بما يوجب التوكل عليه من اشتمال ربوبيته عليه وعليهم، ومن كون كل دابة فى قبضته وملكته وتحت قهره وسلطانه. والأخذ بالناصية تمثيل لذلك.

(٦) إن ربى على الحق لا يعدل عنه. أو (إن ربى) يدل (على صراط مستقيم).

(٧) هو فى موضع فقد ثبتت الحجة عليكم.

(٨) كلام مستأنف. أى ويهلككم الله ويجىء بقوم آخرين يخلفونكم فى دياركم وأموالكم.

(٩) (ولا تضرونه) بتوليكم (شيئا) من ضرر قط، إذ لا يجوز عليه المضار وإنما تضرون أنفسكم.

إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ[1] ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ[2] بِرَحْمَةٍ مِّنَّا[3] وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ[4] ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ[5] جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ[6] وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ[7] ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ[8] أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ[9] قَوْمِ هُودٍ[10] ﴿٦٠﴾ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم[11] مِّنَ الْأَرْضِ

(١) رقيب عليه مهيمن. فما تخفى عليه أعمالكم ولا يغفل عن مؤاخذتكم . أو من كان رقيبا على الأشياء كلّها حافظا لها وكانت الأشياء مفتقرة إلى حفظه عن المضارّ، لم يضرّ مثله مثلكم .

(٢) وكانوا أربعة آلاف .

(٣) أى بفضل منّا لا بعملهم . أو بالإيمان الذى أنعمنا عليهم .

(٤) وتكرار (نجينا) للتأكيد . أو الثانية من عذاب الآخرة ولا عذاب أغلظ منه .

(٥) (وتلك عاد) إشارة الى قبورهم وآثارهم كأنّه قال سيحوا فى الارض فانظروا إليها واعتبروا . ثمّ استأنف وصف أحوالهم فقال (جحدوا بآيات ربهم) .

(٦) لأنّهم إذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله (لا نفرق بين أحد من رسله) .

(٧) يريد رؤساءهم ودعاتهم إلى تكذيب الرسل . لأنّهم الذين يجبرون الناس على الأمور ويعاندون ربهم . ومعنى اتباع أمرهم طاعتهم .

(٨) لمّا كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم فى الدارين .

(٩) تكرار (ألا) مع النداء على كفرهم والدعاء عليهم تهويل لأمرهم وبعث على الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم . والدعاء ببعدا بعد هلاكهم — وهو دعاء بالهلاك — للدلالة على أنّهم كانوا مستأهلين له .

(١٠) عطف بيان لعاد . وفيه فائدة لأنّ عادا عادان الأولى القديمة التى هى قوم هود والقصّة فيهم والأخرى إرم .

(١١) لم ينشئكم منها إلّا هو . وإنشاؤهم منها خلق آدم من التراب ثمّ خلقهم من آدم .

وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا(١) فَٱسْتَغْفِرُوهُ(٢) ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ(٣) مُّجِيبٌ(٤) ۝ قَالُوا۟ يَـٰصَـٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا(٥) مَرْجُوًّا(٦) قَبْلَ هَـٰذَآ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا(٧) وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ(٨) مُرِيبٍ(٩) ۝ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ(١٠)

---

(١) وجعلكم عمارها وأراد منكم عمارتها. أو استعمركم من العمر، أى أطال أعماركم فيها. وكانت أعمارهم من ثلثمائة إلى ألف . وكان ملوك فارس قد أكثروا من حفر الأنهار وغرس الأشجار وعمروا الأعمار الطوال مع ما فيهم من الظلم فسأل نبىّ من أنبياء زمانهم ربّه عن سبب تعميرهم . فأوحى الله إليه أنهم عمروا بلادى فعاش فيها عبادى .

(٢) فاسألوه مغفرته بالإيمان .

(٣) دانى الرحمة

(٤) (مجيب) لمن دعاه .

(٥) فيما بيننا .

(٦) (مرجوًّا) للسيادة والمشاورة فى الأمور . أوكنا نرجو أن تدخل فى ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه .

(٧) حكاية حال ماضية .

(٨) من التوحيد .

(٩) موقع فى الريبة، من أرابه إذا أوقعه فى الريبة. وهى قلق النفس وانتفاء الطمأنينة .

(١٠) (رحمة) نبوّة . أتى بحرف الشكّ مع أنّه على يقين أنّه على بينة لأنّ خطابه للجاحدين فكأنّه قال : قدّروا أنّى على بيّنة من ربّى وأنّى نبىّ على الحقيقة وانظروا إن تابعتكم وعصيت ربّى فى أوامره (فمن ينصرنى من الله) فمن يمنعنى من عذاب الله (إن عصيته) فى تبليغ رسالته ومنعكم عن عبادة الأوثان .

فَمَا تَزِيدُونَنِي(1) غَيْرَ تَخْسِيرٍ(2) ۝ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً(3) فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ(4) وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ(5) فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ(6) ۝ فَعَقَرُوهَا(7) فَقَالَ(8) تَمَتَّعُوا۟(9) فِى دَارِكُمْ(10) ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ(11) ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ(12) ۝ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا(13) نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا(14)

---

(1) (فما تزيدوننى) بقولكم (أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا).

(2) بنسبتكم إياى إلى الخسار أو بنسبتى إيا كم إلى الخسران .

(3) (آية) نصب على الحال قد عمل فيها مادلّ عليه اسم الإشارة من معنى الفعل . و(لكم) متعلّق بآية حالا منها متقدّمة لأنّها لو تأخرت لكانت صفة لها . فلمّا تقدّمت انتصبت على الحال .

(4) أى ليس عليكم رزقها مع أنّ لكم نفعها .

(5) عقر أو نحر .

(6) عاجل .

(7) (فعقروها) يوم الأربعاء .

(8) (فقال) صالح .

(9) استمتعوا بالعيش .

(10) فى بلدكم . وتسمّى البلاد الديار لأنّه يدار فيها أى يتصرّف . أو فى دار الدنيا .

(11) (ثلاثة أيّام) ثمّ تهلكون . فهلكوا يوم السبت .

(12) أى غير مكذوب فيه . فاتّسع فى الظرف بحذف الحرف وإجرائه مجرى المفعول به . أو وعد غير كذب على أنّ المكذوب مصدر كالمعقول .

(13) (أمرنا) بالعذاب أو عذابنا .

(14) قال الشيخ رحمه الله : هذا يدلّ على أنّ من نجّى إنما نجّى برحمة الله تعالى لا بعمله كما قال عليه السلام " لا يدخل أحد الجنّة إلّا برحمة الله " .

وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ(١) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ(٢) ٱلْعَزِيزُ(٣) ۝ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ(٤) فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَـٰرِهِمْ(٥) جَـٰثِمِينَ(٦) ۝ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ(٧) أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟(٨) كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ(٩) ۝ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ(١٠) إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ(١١)

(١) بإضافة الخزى إلى اليوم والجرار اليوم بالإضافة . ويفتحها مدنى وعلى لأنه مضاف إلى إذ، وهو مبنى. وظروف الزمان إذا أضيفت إلى الأسماء المبهمة والأفعال الماضية بنيت واكتسبت البناء من المضاف اليه كقوله * على حين عاتبت المشيب على الصبا * والواو للعطف وتقديره(و) نجيناهم(من خزى يومئذ) أى من ذله وفضيحته. ولا خزى أعظم من خزى من كان هلاكه بغضب الله وانتقامه . وجاز أن يريد بيومئذ يوم القيامة كما فسر العذاب الغليظ بعذاب الآخرة .

(٢) القادر على تنجية أوليائه .

(٣) الغالب بإهلاك أعدائه .

(٤) أى صيحة جبريل عليه السلام .

(٥) منازلهم .

(٦) ميتين .

(٧) لم يقيموا فيها .

(٨) (ثمود) حمزة وحفص .

(٩) (لثمودٍ) على . فالصرف للذهاب إلى الحى أو الأب الأكبر . ومنعه للتعريف والتأنيث بمعنى القبيلة .

(١٠) جبريل وميكائيل واسرافيل أو جبريل مع أحد عشر ملكا .

(١١) هى البشارة بالولد أو بهلاك قوم لوط . والأول أظهر .

قَالُواْ سَلَٰمًا(١) قَالَ سَلَٰمٌ(٢) فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ(٣) حَنِيذٍ(٤) ۝ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ(٥) وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ۝ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ(٦) فَضَحِكَتْ(٧) فَبَشَّرْنَٰهَا(٨) بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ(٩) إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ(١٠) ۝ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ(١١) ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ(١٢)

---

(١) سلّمنا عليك سلاما .

(٢) أمركم (سلام) . (سِلْم) حمزة وعلىّ بمعنى السلام .

(٣) فما لبث فى المجىء به بل عجّل فيه . أو فما لبث مجيئه . والعجل ولد البقرة . وكان مال إبراهيم البقر .

(٤) مشوىّ بالحجارة المحماة .

(٥) نكر وأنكر بمعنى . وكانت عادتهم أنه إذا مسّ من يطرقهم طعامهم أمنوه وإلّا خافوه . والظاهر أنّه أحسّ بأنّهم ملائكة . ونكرهم لأنه تخوّف أن يكون نزولهم لأمر أنكره الله عليه أو لتعذيب قومه . دليله قوله (وأوجس منهم خيفة) أى أضمر منهم خوفا (قالوا لا تخف إنّا أرسلنا) بالعذاب (إلى قوم لوط). وإنّما يقال هذا لمن عرفهم ولم يعرف فيم أرسلوا . وإنّما قالوا (لا تخف) لأنّهم رأوا أثر الخوف والتغير فى وجهه .

(٦) (قائمة) وراء الستر تسمع تحاورهم . أو على رءوسهم تخدمهم .

(٧) (فضحكت) سرورا بزوال الخيفة ، أو بهلاك أهل الخبائث، أو من غفلة قوم لوط مع قرب العذاب . أو حاضت .

(٨) وخصّت بالبشارة لأنّ النساء أعظم سرورا بالولد من الرجال ، ولأنّه لم يكن لها ولد وكان لإبراهيم ولد وهو إسمعيل .

(٩) ومن بعده .

(١٠) بالنصب شامىّ وحمزة وحفص بفعل مضمر (فبشّرناها بإسحق) ووهبنا لها يعقوب من وراء إسحق . بالرفع غيرهم على الابتداء والظرف قبله خبر كما تقول فى الدار زيد .

(١١) الألف مبدلة من ياء الإضافة . وقرأ الحسن (يا ويلتى) بالياء على الأصل .

(١٢) ابنة تسعين سنة .

وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا[١] إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ[٢] ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ[٣] إِنَّهُۥ حَمِيدٌ[٤] مَّجِيدٌ[٥] ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ[٦] ﴿٧٤﴾

---

[١] ابن مائة وعشرين سنة . (هذا) مبتدأ و (بعلى) خبره و (شيخا) حال . والعامل معنى الإشارة التى دلّت عليه ذا ، أو معنى التنبيه الذى دلّ عليه (هذا) .

[٢] أن يولد ولد من هرمين (عجيب) . وهو استبعاد من حيث العادة .

[٣] (من أمر الله) من قدرته وحكمته . وإنما أنكرت الملائكة تعجّبها لأنّها كانت فى بيت الآيات ومهبط المعجزات والأمور الخارقة للعادات . فكان عليها أن تتوقّر ولا يزدهيها ما يزدهى سائر النساء الناشئات فى غير بيت النبوّة وأن تسبّح الله وتمجّده مكان التعجّب . وإلى ذلك أشارت الملائكة حيث قالوا(رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت) . أرادوا أن هذه وأمثالها ممّا يكرمكم به ربّ العزّة ويخصّكم بالإنعام به يا أهل بيت النبوّة . فليست بمكان عجيب . وهو كلام مستأنف علّل به إنكار التعجّب ، كأنّه قيل إيّاك والتعجّب لأنّ أمثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة من الله عليكم . وقيل الرحمة النبوّة والبركات الأسباط من بنى إسرائيل، لأنّ الأنبياء منهم وكلّهم من ولد إبراهيم . و(أهل البيت) نصب على النداء أو على الاختصاص .

[٤] محمود بتعجيل النعم .

[٥] ظاهر الكرم بتأجيل النقم .

[٦] (فلما ذهب عن ابراهيم الروع) الفزع — وهو ما أوجس من الخيفة حين نكر أضيافه — (وجاءته البشرى) بالولد (يجادلنا فى قوم لوط) أى لمّا اطمأن قلبه بعد الخوف وملىء سرورا بسبب البشرى فزع للمجادلة . وجواب لمّا محذوف تقديره أقبل يجادلنا . أو(يجادلنا) جواب لمّا . وإنّما جىء به مضارعا لحكاية الحال . والمعنى يجادل رسلنا ومجادلته إيّاهم أنّهم قالوا (إنّا مهلكو أهل هذه القرية) . فقال أرأيتم لو كان فيها خمسون مؤمنا أتهلكونها ؟ قالوا لا . قال فأربعون ؟ قالوا لا . قال فثلاثون ؟ قالوا لا حتّى بلغ العشرة . قالوا لا . قال أرأيتم إن كان فيها رجل واحد مسلم أتهلكونها ؟ قالوا لا . فعند ذلك (قال إنّ فيها لوطا . قالوا نحن أعلم بمن فيها . لننجّينّه وأهله) .

إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ۝ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ[1] إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ[2] وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ[3] ۝ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا[4] سِىٓءَ بِهِمْ[5] وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا[6] وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ[7] ۝

---

(١) (إن إبراهيم لحليم أوّاه) غير عجول على كلّ من أساء إليه . أو كثير الاحتمال ممن آذاه ، صفوح عمن عصاه كثير التأوه من خوف الله (منيب) تائب راجع إلى الله . وهــذه الصفات دالّة على رقة القلب والرأفة والرحمة . فبيّن أن ذلك ممّا حمله على المجادلة فيهم رجاء أن يرفع عنهم العذاب ويمهلوا لعلّهم يحدثون التوبة كما حمله على الاستغفار لأبيه . فقالت الملائكة (يا براهيم أعرض عن هذا) الجدال وإن كانت الرحمة ديدنك .

(٢) قضاؤه وحكمه .

(٣) لا يردّ بجدال وغير ذلك . (عذاب) مرتفع باسم الفاعل وهو (آتيهم) تقديره وإنهم يأتيهم .

(٤) ثمّ خرجوا من عند إبراهيم متوجّهين نحو قوم لوط وكان بين قرية إبراهيم وقوم لوط أربعة فراسخ .

(٥) لمّا أتوه ورأى هيئاتهم وجمالهم (سيء بهم) احزن . لأنه حسب انهم إنس . فخاف عليهم خبث قومه وأن يعجز عن مقاومتهم ومدافعتهم .

(٦) تمييز أي وضاق بمكانهم صدره .

(٧) شديد .

روى أنّ الله تعالى قال لهم لا تهلكوهم حتّى يشهد عليهم لوط أربع شهادات . فلمّا مشى معهم منطلقا بهم إلى منزله قال لهم أما بلغكم أمر هذه القرية ؟ قالوا وما أمرهم ؟ قال أشهد بالله إنّها لشرّ قرية في الأرض عملا . قال ذلك أربع مرّات . فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك أحد . فخرجت امرأته فأخبرت بهم قومها .

وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ (١) وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ (٢) قَالَ يَـٰقَوْمِ هَـٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى (٣) هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ (٤) فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ (٥) وَلَا تُخْزُونِ (٦) فِى ضَيْفِىٓ (٧) أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ (٨) ﴿٧٨﴾ قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ (٩) وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ (١٠) ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ (١١) ﴿٨٠﴾

---

(١) يسرعون كأنما يُدفعون دفعا .

(٢) ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون الفواحش حتى مرنوا عليها وقل عندهم استقباحها. فلذلك جاءوا يهرعون مجاهرين لا يكفهم حياء .

(٣) (هؤلاء بناتى) فتزوجوهن . أراد أن يقى أضيافه ببناته وذلك غاية الكرم . وكان تزويج المسلمات من الكفار جائزا فى ذلك الوقت كما جاز فى الابتداء فى هـذه الأمة . فقد زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنتيه من عتبة بن أبى لهب وأبى العاص وهما كافران . وقيل كان لهم سيدان مطاعان فأراد لوط أن يزوجهما ابنتيه .

(٤) أحل . (هؤلاء) مبتدأ و(بناتى) عطف بيان و(هن) فصل و(أطهر) خبر المبتدأ . أو (بناتى) خبر ، و (هن أطهر) مبتدأ وخبر .

(٥) (فاتقوا الله) بإيثارهن عليهم .

(٦) ولا تهينونى ولا تفضحونى . من الخزى . أو ولا تخجلونى . من الخزاية وهى الحياء . وبالياء أبو عمرو فى الوصل .

(٧) فى حق ضيوفى . فإنه إذا خزى ضيف الرجل أو جاره فقد خزى الرجل وذلك من عراقة الكرم وأصالة المروءة .

(٨) أى رجل واحد يهتدى إلى طريق الحق وفعل الجميل والكف عن السوء .

(٩) حاجة ، لأن نكاح الإناث أمر خارج عن مذهبنا فمذهبنا إتيان الذكران .

(١٠) عنوا إتيان الذكور وما لهم فيه من الشهوة .

(١١) جواب لو محـذوف أى لفعلت بكم ولصنعت . والمعنى لو قويت عليكم بنفسى أو أويت إلى قوى أستند اليه وأتمنع به فيحمينى منكم . فشبه القوى العزيز بالركن من الجبل فى شدته ومنعته .

قَالُوا يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا(١) إِلَيْكَ(٢) فَأَسْرِ(٣) بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ(٤) وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ(٥) إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ(٦) إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ(٧) ۝ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا(٨) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ(٩) مَّنضُودٍ(١٠) ۝ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ(١١)

---

(١) روى أنه أغلق بابه حين جاءوا وجعل يرادهم ما حكى الله عنه ويجادلهم فتسوروا الجدار . فلما رأت الملائكة ما لقى لوط من الكرب (قالوا يالوط) إن ركنك لشديد (إنا رسل ربك) فافتح الباب ودعنا و إياهم . ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام ربه فى عقوبتهم. فأذن له . فضرب بجناحه وجوههم فطمس أعينهم فأعماهم كما قال الله تعالى (فطمسنا أعينهم) فصاروا لا يعرفون الطريق . فخرجوا وهم يقولون النجاء فإن فى بيت لوط قوما سحرة .

(٢) جملة موضحة للتى قبلها ، لأنهم إذا كانوا رسل الله لم يصلوا إليه ولم يقدروا على ضرره .

(٣) (فاسر) بالوصل حجازى . من سرى .

(٤) طائفة منه أو نصفه .

(٥) (ولا يلتفت منكم أحد) بقلبه إلى ما خلف ، أو لا ينظر إلى ما وراءه ، أو لا يتخلف منكم أحد .

(٦) (امرأتك) مستثنى من (فأسر بأهلك). وبالرفع مكى وأبو عمرو على البدل من أحد. وفى إخراجها مع أهله روايتان : روى أنه أخرجها معهم وأمر ألا يلتفت منهم أحد إلا هى. فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماه. فأدركها حجر فقتلها. وروى أنه أمر بأن يخلفها مع قومها فإن هواها إليهم . فلم يسر بها . واختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين .

(٧) (إنه) أى إن الأمر . وروى أنه قال لهم متى موعد هلاكهم؟ قالوا (إن موعدهم الصبح) . فقال أريد أسرع من ذلك . فقالوا (أليس الصبح بقريب) ؟

(٨) جعل جبريل عليه السلام جناحه فى أسفلها ، أى أسفل قراها ، ثم رفعها إلى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم وأتبعوا الحجارة من فوقهم . وذلك قوله (وأمطرنا عليها حجارة من سجيل) . هى كلمة معربة من « سنك كل » بدليل قوله (حجارة من طين) .

(٩) نعت لسجيل . أى متتابع أو مجموع معد للعذاب .

(١٠) نعت لحجارة أى معلمة للعذاب . قيل مكتوب على كل واحد اسم من يرمى به .

(١١) فى خزائنه أو فى حكمه .

وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ[1] ۝ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا[2] قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ[3] وَٱلْمِيزَانَ[4] ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ[5] وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ[6] ۝ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟[7] ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ[8] ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ[9] وَلَا تَعْثَوْا۟[10] فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝

---

(١) بشيء بعيد. وفيه وعيد لأهل مكة، فإنّ جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم: يعنى ظالمى أمّتك. ما من ظالم منهم إلّا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة إلى ساعة . أو الضمير للقرى أى هى قريبة من ظالمى مكّة يمرّون بها فى مسايرهم .

(٢) (مدين) اسم مدينتهم أو اسم جدّهم مدين بن إبراهيم . أى وأرسلنا شعيبا إلى ساكنى مدين أو إلى بنى مدين .

(٣) أى المكيل بالمكيال .

(٤) والموزون بالميزان .

(٥) بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف . أو أراكم بنعمة من الله حقّها أن تقابل بغير ما تفعلون .

(٦) مهلك . من قوله (وأحيط بثمره) وأصله من إحاطة العدوّ . والمراد عذاب الاستئصال فى الدنيا أو عذاب الآخرة .

(٧) أتمّوهما .

(٨) بالعدل .

نهوا أوّلا عن عين القبيح الذى كانوا عليه من نقص المكيال والميزان ، ثمّ ورد الأمر بالإيفاء الذى هو حسن فى العقول لزيادة الترغيب فيه . وجىء به مقيدا بالقسط ، أى ليكن الإيفاء على وجه العدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان .

(٩) البخس النقص . كانوا ينقصون من أثمان ما يشترون من الأشياء فنهوا عن ذلك .

(١٠) العثى والعيث أشدّ الفساد نحو السرقة والغارة وقطع السبيل . ويجوز أن يجعل البخس والتطفيف عثيا منهم فى الأرض .

بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ[1] وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ[2] ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟[3] إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ[4] ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ[5] رِزْقًا حَسَنًا[6]

---

[1] (خير لكم إن كنتم مؤمنين) ما يبقى لكم من الحلال بعد التنزّه عمّا هو حرام عليكم بشرط أن تؤمنوا . نعم بقيّة الله خير للكفرة أيضـا لأنّهم يسلمون معها من تبعة البخس والتطفيف. إلّا أنّ فائدتها تظهر مع الإيمان من حصول الثواب مع النجاة من العقاب. ولا تظهر مع عدمه لانغماس صاحبها فى غمرات الكفر. وفى ذلك تعظيم للإيمان وتنبيه على جلالة شأنه . أو المراد (إن كنتم) مصدّقين لى فيما أقول لكم وأنصح به إيّاكم .

[2] (وما أنا عليكم بحفيظ) لنعمه عليكم . فاحفظوها بترك البخس .

[3] كان شعيب عليه السلام كثير الصلوات وكان قومه يقولون له : ماتستفيد بهذا ؟ فكان يقول إنّها تأمر بالمحاسن وتنهى عن القبائح . فقالوا على وجه الاستهزاء (أصلواتك تأمرك) أن تأمرنا بترك عبادة (ما) كان (يعبد آباؤنا أو أن) نترك التبسّط (فى أموالنا ما نشاء) من إيفاء ونقص ؟ وجاز أن تكون الصلوات آمرة مجازا كما سمّاها الله تعالى ناهية مجازا . وبالتوحيد كوفىّ غير أبى بكر .

[4] أى السفيه الضالّ . وهـذه تسمية على القلب استهزاء . أو إنّك حليم رشيد عندنا ولست تفعل بنا ما يقتضيه حالك .

[5] من لدنه .

[6] يعنى النبوّة والرسالة . أو مالا حلالا من غير بخس وتطفيف .

وجواب (أرأيتم) محذوف . أى أخبرونى إن كنت على حجة واضحة من ربّى وكنت نبيّا على الحقيقة أيصح لى أن لا آمركم بترك عبادة الأوثان والكفّ عن المعاصى ، والأنبياء لا يبعثون إلّا لذلك ؟

وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ(١) إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ(٢) مَا ٱسْتَطَعْتُ(٣) وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ(٤) عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ(٥) وَإِلَيْهِ أُنِيبُ(٦) ۝ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ(٧) أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ(٨) وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ(٩) ۝ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ(١٠) وَدُودٌ(١١) ۝ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ(١٢) وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا(١٣)

(١) يعنى أن أسبقكم إلى شهواتكم التى نهيتكم عنها لأستبدّ بها دونكم . يقال خالفنى فلان إلى كذا إذا قصده وأنت مولّ عنه . وخالفنى عنه إذا ولّى عنه وأنت قاصده. ويلقاك الرجل صادرا عن الماء فتسأله عن صاحبه فيقول خالفنى إلى الماء ، يريد أنّه قد ذهب إليه واردا وأنا ذاهب عنه صادرا .

(٢) ما أريد إلّا أن أصلحكم بموعظتى ونصيحتى وأمرى بالمعروف ونهيى عن المنكر .

(٣) ظرف. أى مدّة استطاعتى للإصلاح وما دمت متمكّنا منه لا آلو فيه جهدا .

(٤) وما كونى موفّقا لإصابة الحقّ فيما آتى وأذر إلّا بمعونته وتأييده .

(٥) اعتمدت .

(٦) أرجع فى السرّاء والضرّاء .

(٧) أى لا يكسبنّكم خلافى إصابة العذاب . جرم مثل كسب فى تعدّيه إلى مفعول واحد وإلى مفعولين .

(٨) وهو الغرق والريح والرجفة .

(٩) (ببعيد) فى الزمان فهم أقرب الهالكين منكم ، أو فى المكان فمنازلهم قريبة منكم ، أو فيما يستحق به الهلاك وهو الكفر والمساوى . وسوّى فى قريب وبعيد وقليل وكثير بين المذكّر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التى هى الصهيل والنهيق ونحوهما .

(١٠) يغفر لأهل الجفاء من المؤمنين .

(١١) يحبّ أهل الوفاء من الصالحين .

(١٢) أى لا نفهم صحّة ما تقول . وإلّا فكيف لا يفهم كلامه وهو خطيب الأنبياء .

(١٣) لا قوّة لك ولا عزّ فيما بيننا فلا تقدر على الامتناع منّا إن أردنا بك مكروها .

وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ (١) وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ (٢) وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا (٣) إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٤) ﴿٩٢﴾ وَيَـٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ (٥) إِنِّي عَـٰمِلٌ (٦) سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن (٧) يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ

(١) ولولا عشيرتك لقتلناك شر قتلة . وكان رهطه من أهل ملتهم . فلذلك أظهروا الميل اليهم والإكرام لهم .

(٢) (وما أنت علينا بعزيز) أى لا تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم . وإنما يعز علينا رهطك لأنهم من أهل ديننا . وقد دلّ إيلاء ضميره حرف النفى على أن الكلام واقع فى الفاعل لا فى الفعل. كأنه قيل (وما أنت علينا بعزيز) بل رهطك هم الأعزة علينا. ولذلك قال فى جوابهم (ياقوم أرهطى أعز عليكم من الله) . ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب . وإنمـا قال (أرهطى أعز عليكم من الله) والكلام واقع فيه وفى رهطه وأنهم الأعزة عليهم دونه، لأن تهاونهم به وهو نبى الله تهاون بالله.وحين عز عليهم رهطه دونه كان رهطه أعز عليهم من الله. ألا ترى إلى قوله تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله) ؟

(٣) ونسيتموه وجعلتموه كالشىء المنبوذ وراء الظهر لا يعبأ به. والظهرى منسوب إلى الظهر.والكسر من تغييرات النسب كقولهم فى النسبة إلى الأمس امسى .

(٤) قد أحاط بأعمالكم علما فلا يخفى عليه شىء منها .

(٥) هى بمعنى المكان . يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة . أو مصدر من مكُن فهـو مكين إذا تمكّن من الشىء . يعنى اعملوا قارين على جهتكم التى أنتم عليهـا من الشرك والشنآن لى ، أو اعملوا متمكّنين من عداوتى مطيقين لها .

(٦) (إنى عامل) على حسب ما يؤتينى الله من النصرة والتأييد ويمكننى .

(٧) (من) استفهامية معلّقة لفعل العلم عن عمله فيها، كأنه قيل سوف (تعلمون) أينا يأتيه عذاب (يخزيه) أى يفضحه وأينا هو كاذب . أو موصولة قـد عمل فيها كأنه قيل سوف تعلمون الشقى الذى يأتيه عذاب يخزيه والذى هو كاذب فى زعمكم ودعواكم. وإدخال الفاء

وَارْتَقِبُوٓاْ(١) إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ(٢) ۝ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ(٣) فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ(٤) ۝ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ(٥) أَلَا بُعْدًا(٦) لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ(٧) مُّبِينٍ ۝ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ(٨) فَاتَّبَعُوٓاْ

فى (سوف) وصل ظاهر بحرف وضع للوصل . ونزعها وصل تقديرىّ بالاستئناف الذى هو جواب لسؤال مقدّر كأنّهم قالوا : فماذا يكون إذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت أنت؟ فقال سوف تعلمون . والإتيان بالوجهين للتفنّن فى البلاغة . وأبلغهما الاستئناف .

(١) وانتظروا العاقبة وما أقول لكم .

(٢) منتظر . والرقيب بمعنى الراقب من رقبة كالضريب بمعنى الضارب . أو بمعنى المراقب كالعشير بمعنى المعاشر . أو بمعنى المرتقب كالرفيع بمعنى المرتفع .

(٣) صاح بهم جبريل فهلكوا. وإنّما ذكر فى آخر قصّة عاد ومدين (ولمّا جاء) وفى آخر قصّة ثمود ولوط (فلمّا جاء) لأنّهما وقعا بعد ذكر الموعد، وذلك قوله (إنّ موعدهم الصبح) (ذلك وعد غير مكذوب) فجىء بالفاء الذى هو للتسبيب كقولك : وعدته فلمّا جاء الميعاد كان كيت . وأمّا الأخريان فقد وقعتا مبتدأتين فكان حقّهما أن تعطفا بحرف الجمع على ما قبلهما كما تعطف قصّة على قصّة .

(٤) الجاثم اللازم لمكانه لا يريم . يعنى أنّ جبريل صاح بهم صيحة تزهق روح كلّ واحد منهم بحيث هو بغتة .

(٥) كأن لم يقيموا فى ديارهم أحياء متصرّفين متردّدين .

(٦) البعد بمعنى البَعَد وهو الهلاك، كالرشد بمعنى الرشد . ألا ترى إلى قوله (كما بعدت ثمود) . وقرئ (كما بَعُدت) . والمعنى فى البناءين واحد وهو نقيض القرب ، إلّا أنّهم فرّقوا بين البعد من جهة الهلاك و بين غيره فغيّروا البناء كما فرّقوا بين ضمانى الخير والشرّ فقالوا وعد وأوعد .

(٧) المراد به العصا لأنّها أبهرها .

(٨) أى الملأ .

أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ۝ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ[1] فَأَوْرَدَهُمُ[2] ٱلنَّارَ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ[3] ٱلْمَوْرُودُ[4] ۝ وَأُتْبِعُواْ فِى هَٰذِهِۦ[5] لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ[6] بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ[7] ۝ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ[8]

(١) هو تجهيل لمتّبعيه حيث تابعوه على أمره وهو ضلال مبين . وذلك أنّه ادّعى الألوهيّة وهو بشر مثلهم ، وجاهر بالظلم والشرّ الذى لا يأتى إلّا من شيطان . ومثله بمعزل عن الألوهية . وفيه أنّهم عاينوا الآيات والسلطان المبين وعلموا أنّ مع موسى الرشد والحقّ ثمّ عدلوا عن اتّباعه إلى اتّباع من ليس فى أمره رشد قطّ . أو المراد وما أمره بصالح حميد العاقبة . ويكون قوله (يقدم قومه يوم القيامة) أى يتقدّمهم وهم على عقبه ، تفسيرا له وإيضاحا . أى كيف يرشد أمر من هذه عاقبته ؟ والرشد يستعمل فى كلّ ما يحمد ويرتضى كما استعمل الغىّ فى كلّ ما يذمّ . ويقال قدمه بمعنى تقدّمه .

(٢) أدخلهم . وجىء بلفظ الماضى لأنّ الماضى يدلّ على أمر موجود مقطوع به . فكأنّه قيل يقدمهم فيوردهم النار لا محالة . يعنى كما كان قدوة لهم فى الضلال كذلك يتقدّمهم إلى النار وهم يتبعونه .

(٣) المورد .

(٤) الذى وردوه . شبّه بالفارط الذى يتقدّم الواردة إلى الماء وشبّه أتباعه بالواردة . ثمّ قال (وبئس الورد المورود) الذى يردونه ، النار . لأنّ الورد إنّما يراد لتسكين العطش والنار ضدّه .

(٥) أى الدنيا .

(٦) أى يلعنون فى الدنيا ويلعنون فى الآخرة .

(٧) (بئس الرفد المرفود) رفدهم . أى بئس العون المعان أو بئس العطاء المعطى .

(٨) (ذلك) مبتدأ (من أنباء القرى) خبر (نقصه عليك) خبر بعد خبر . أى ذلك النبأ بعض أنباء القرى المهلكة مقصوص عليك

مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ[١] ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ[٢] فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ[٣] ٱلَّتِى يَدْعُونَ[٤] مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ[٥] وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ[٦] ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ[٧] أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَـٰلِمَةٌ[٨] إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ[٩] ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ[١٠] لَـَٔايَةً[١١] لِّمَنْ خَافَ[١٢] عَذَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ

---

(١) (منها) من القرى (قائم وحصيد) أى بعضها باق وبعضها عافى الأثر كالزرع القائم على ساقه والذى حصد . والجملة مستأنفة لا محلّ لها من الإعراب .

(٢) (وما ظلمناهم) بإهلاكنا إيّاهم (ولكن ظلموا أنفسهم) بارتكاب ما به أهلكوا .

(٣) فما قدرت أن تردّ عنهم بأس الله .

(٤) يعبدون . وهى حكاية حال ماضية .

(٥) عذابه . و(لمّا) منصوب بما أغنت .

(٦) تخسير . يقال تبّ إذا خسر، وتبّبه غيره أوقعه فى الخسران. يعنى وما أفادتهم عبادة غير الله شيئا بل أهلكتهم .

(٧) محل الكاف الرفع، أى ومثل ذلك الأخذ (أخذ ربّك إذا أخذ القرى)، أى أهلها.

(٨) حال من (القرى) .

(٩) مؤلم شديد صعب على المأخوذ . وهذا تحذير لكلّ قرية ظالمة من كفّار مكّة وغيرها . فعلى كلّ ظالم أن يبادر التوبة ولا يغترّ بالإمهال .

(١٠) فيما قصّ الله من قصص الأمم الهالكة .

(١١) لعبرة .

(١٢) أى اعتقد صحّته ووجوده .

ذَٰلِكَ[1] يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ[2] وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ[3] ۝ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ[4] ۝ يَوْمَ يَأْتِ[5] لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ[6] فَمِنْهُمْ[7] شَقِىٌّ[8] وَسَعِيدٌ[9] ۝ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ[10] ۝

(١) إشارة إلى يوم القيامة لأنّ عذاب الآخرة دلّ عليه .

(٢) هو مرفوع بمجموع كما يرفع فعله إذا قلت يُجمع له الناس . وإنّما آثر اسم المفعول على فعله لما فى اسم المفعول من دلالته على ثبات معنى الجمع لليوم. وإنّه أثبت أيضا لإسناد الجمع إلى الناس وأنّهم لا ينفكون منه . يجمعون للحساب والثواب والعقاب .

(٣) أى مشهود فيه ، فاتّسع فى الظرف بإجرائه مجرى المفعول به. أى يشهد فيه الخلائق الموقف لا يغيب عنه أحد .

(٤) (وما نؤخّره) أى اليوم المذكور . الأجل يطلق على مدّة التأجيل كلّها وعلى منتهاها . والعدّ إنما هو للمدّة لا لغايتها ومنتهاها، فمعنى قوله (وما نؤخّره إلّا لأجل معدود)، إلّا لانتهاء مدّة معدودة بحذف المضاف . أو ما نؤخّر هذا اليوم إلّا لتنتهى المدّة التى ضربناها لبقاء الدنيا .

(٥) وبالياء مكىّ . وافقه أبو عمرو ونافع وعلىّ فى الوصل . وإثبات الياء هو الأصل إذ لا علّة توجب حذفها. وحذف الياء والاجتزاء عنها بالكسرة كثير فى لغة هذيل . ونظيره (ما كنّا نبغ) . وفاعل (يأت) ضمير يرجع إلى قوله (يوم مجموع له الناس) لا اليوم المضاف إلى (يأت) . و (يوم) منصوب باذكر أو بقوله (لا تكلّم) أى لا تتكلّم .

(٦) أى لا يشفع أحد إلّا بإذن الله . (من ذا الذى يشفع عنده إلّا بإذنه) .

(٧) الضمير لأهل الموقف لدلالة (لا تكلّم نفس) عليه . وقد مرّ ذكر الناس فى قوله (مجموع له الناس) .

(٨) معذّب .

(٩) أى (و) منهم (سعيد) أى منعّم .

(١٠) (لهم فيها زفير) هو أوّل نهيق الحمار (وشهيق) هو آخره. أوهما إخراج النفس وردّه. والجملة فى موضع الحال والعامل فيها الاستقرار الذى فى النار .

خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ (٢) إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ (٣) إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (٤) ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ (٥) فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ (٦) عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ (٧) ﴿١٠٨﴾

(١) حال مقدّرة .

(٢) فى موضع النصب . أى مدّة دوام السموات والأرض . والمراد سموات الآخرة وأرضها وهى دائمة مخلوقة للأبد . والدليل على أنّ لها سموات وأرضا قوله (يوم تبدّل الأرض غيرالأرض والسموات) . وقيل ما دام فوق وتحت ولأنّه لا بدّ لأهل الآخرة ممّا يقلّهم ويظلّهم إمّا سماء أو عرش . وكلّ ما أظلّك فهو سماء . أو هو عبارة عن التأبيد ونفى الانقطاع كقول العرب ما لاح كوكب وغير ذلك من كلمات التأبيد .

(٣) هو استثناء من الخلود فى عذاب النار . وذلك لأنّ أهل النار لا يخلّدون فى عذاب النار وحده، بل يعذّبون بالزمهرير وأنواع من العذاب سوى عذاب النار . أو (ما شاء) بمعنى من شاء . وهم قوم يخرجون من النار ويدخلون الجنّة فيقال لهم الجهنّميون وهم المستثنون من أهل الجنّة أيضا لمفارقتهم إيّاها بكونهم فى النار أيّاما . فهؤلاء لم يشقوا شقاوة من يدخل النار على التأبيد ولا سعدوا سعادة من لا تمسّه النار . وهو مروىّ عن ابن عباس والضحاك وقتادة رضى الله عنهم .

(٤) (فعّال لما يريد) بالشقىّ والسعيد .

(٥) (سُعدوا) حمزة وعلىّ وحفص . سعد لازم . وسعّده يسعّده متعدّ .

(٦) هو استثناء من الخلود فى نعيم الجنّة . وذلك أنّ لهم سوى الجنّة ما هو أكبر منها وهو رؤية الله تعالى ورضوانه . أو معناه إلا من شاء أن يعذّبه بقدر ذنبه قبل أن يدخله الجنّة . وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال الاستثناء فى الآيتين لأهل الجنّة . ومعناه ما ذكرنا أنّه لا يكون للمسلم العاصى الذى دخل النار خلود فى النار حيث يخرج منها ولا يكون له أيضا خلود فى الجنّة لأنّه لم يدخل الجنّة ابتداء . والمعتزلة لمّا لم يروا خروج العصاة من النار ردّوا الأحاديث المرويّة فى هذا الباب . وكفى به إثما مبينا .

(٧) (عطاء غير مجذوذ) غير مقطوع ولكنّه ممتدّ إلى غير نهاية كقوله (لهم أجر غير ممنون) . وهو نصب على المصدر أى أعطوا (عطاء) . قيل كفرت الجهمية بأربع آيات (عطاء غير مجذوذ) (أكلها دائم) (وما عند الله باق) (لا مقطوعة ولا ممنوعة) .

فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ[(١)] مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ[(٢)] وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ[(٣)] غَيْرَ مَنقُوصٍ[(٤)] ۝ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ[(٥)] فَٱخْتُلِفَ فِيهِ[(٦)] وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ[(٧)] لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ[(٨)] وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ[(٩)] مُرِيبٍ[(١٠)] ۝ وَإِنَّ كُلًّا[(١١)] لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ

(١) لمّا قصّ الله قصص عبدة الأوثان وذكر ما أحلّ بهم من نقمه وما أعدّ لهم من عذابه قال (فلا تك فى مرية ممّا يعبد هؤلاء) — أى فلا تشكّ بعد ما أنزل عليك من هذه القصص، فى سوء عاقبة عبادتهم لما أصاب أمثالهم قبلهم — تسلية لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وعدة بالانتقام منهم ، ووعيدا لهم .

(٢) يريد أنّ حالهم فى الشرك مثل حال آبائهم .وقد بلغك ما نزل بآبائهم فسينزلنّ بهم مثله . وهو استئناف معناه تعليل النهى عن المرية . و(ما) فى (مما) و (كما) مصدريّة أو موصولة ، أى من عبادتهم وكعبادتهم أو مما يعبدون من الأوثان ومثل ما يعبدون منها .

(٣) (وإنّا لموفّوهم نصيبهم) حظّهم من العذاب كما وفّينا آباءهم أنصباءهم .

(٤) حال من (نصيبهم) أى كاملا .

(٥) التوراة .

(٦) آمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف فى القرآن . وهو تسلية لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

(٧) أنّه لا يعاجلهم بالعذاب .

(٨) بين قوم موسى أو قومك بالعذاب المستأصل .

(٩) من القرآن أو من العذاب .

(١٠) من أراب الرجل إذا كان ذا ريبة على الإسناد المجازى .

(١١) التنوين عوض عن المضاف إليه، يعنى وإنّ كلهم أى وإنّ جميع المختلفين فيه (ليوفينهم). (وإنّ) مشدّدة (لمّا) مخفّف بصرى وعلى . (ما) مزيدة جىء بها ليفصل بها بين لام إنّ ولام (ليوفّينهم). وهو جواب قسم محذوف. واللام فى (لما) موطّئة للقسم . والمعنى وإنّ جميعهم والله (ليوفينهم).

رَبُّكَ أَعْمَـٰلَهُمْ[١] إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ[٢] وَمَن تَابَ مَعَكَ[٣] وَلَا تَطْغَوْا۟[٤] إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ[٥] ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ[٦]

بعكس الأولى — أبو بكر . مخفّفان مكىّ ونافع على إعمال المخفّفة عمل الثقيلة اعتبارا لأصلها الذى هو التثقيل ولأن إنّ تشبه الفعل. والفعل يعمل قبل الحذف وبعده نحو لم يكن ولم يك فكذا المشبّه به . مشدّدتان غيرهم . وهو مشكل . وأحسن ما قيل فيه أنه من لممت الشيء جمعته لمـّا .ثمّ وقف فصار لمـّا . ثم أجرى الوصل مجرى الوقف . وجاز أن يكون مثل الدعوى والثروى وما فيه ألف التأنيث من المصادر . وقرأ الزهرى (وإنّ كلّا لمـّا) بالتنوين كقوله (أكلا لمـّا) وهو يؤيّد ما ذكرنا . والمعنى وإنّ كلّا ملمومين أى مجموعين كأنّه قيل وإنّ كلّا جميعا كقوله (فسجد الملائكة كلّهم أجمعون). وقال صاحب الإيجاز (لمـّا) فيه معنى الظرف وقد دخل فى الكلام اختصار كأنّه قيل (وإنّ كلا لمـّا) بعثوا (ليوفينّهم ربّك أعمالهم.) وقال الكسائىّ ليس لى بتشديد (لمـّا) علم .

(١) أى جزاء أعمالهم من إيمان وجحود وحسن وقبيح .

(٢) فاستقم استقامة مثل الاستقامة التى أمرت بها غير عادل عنها .

(٣) معطوف على المستتر فى (استقم). وجاز للفاصل. يعنى فاستقم أنت وليستقم من تاب عن الكفر ورجع إلى الله مخلصا .

(٤) ولا تخرجوا عن حدود الله .

(٥) فهو مجازيكم فاتّقوه . قيل ما نزلت على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم آية كانت أشقّ عليه من هذه الآية . ولهذا قال "شيّبتنى هود" .

(٦) (ولا تركنوا) ولا تميلوا. قال الشيخ رحمه الله: هذا خطاب لأتباع الكفرة أى لا تركنوا إلى القادة والكبراء فى ظلمهم وفيما يدعونكم إليه (فتمسّكم النار). وقيل الركون إليهم الرضا بكفرهم. وقال قتادة ولا تلحقوا بالمشركين. وعن الموفّق أنّه صلّى خلف الإمام فلمّا قرأ هذه الآية غشى عليه فلمّا أفاق قيل له. فقال هذا فيمن ركن إلى من ظلم فكيف بالظالم! وعن الحسن جعل الله الدين بين لاءين (ولا تطغوا) (ولا تركنوا) . وقال سفيان : فى جهنّم واد لا يسكنه إلّا القرّاء

وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ[1] ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ[2] ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ[3] وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ[4] إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ[5] ذَٰلِكَ[6] ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ[7] ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ[8] فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ[9] ﴿١١٥﴾

الزائرون للملوك . وعن الأوزاعي : ما من شيء أبغض إلى الله من عالم يزور عاملا . وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم "من دعا لظالم بالبقاء فقد أحبّ أن يعصى الله في أرضه" . ولقد سئل سفيان عن ظالم أشرف على الهلاك في بريّة هل يسقى شربة ماء ؟ فقال لا . فقيل له يموت . فقال دعه يموت .

(١) حال من قوله (فتمسّكم النار) أي فتمسّكم النار وأنتم على هذه الحالة. ومعناه (وما لكم من دون الله من أولياء) يقدرون على منعكم من عذابه ولا يقدر على منعكم منه غيره .

(٢) ثم لا ينصركم هو لأنّه حكم بتعذيبكم. ومعنى (ثمّ) الاستبعاد أي النصرة من الله مستبعدة.

(٣) غدوة وعشية . وصلاة الغدوة الفجر . وصلاة العشيّة الظهر والعصر ، لأن ما بعد الزوال عشيّ . وانتصاب (طرفي النهار) على الظرف لأنّهما مضافان إلى الوقت كقولك أقمت عنده جميع النهار وأتيته نصف النهار وأوّله وآخره . تنصب هذا كله على إعطاء المضاف حكم المضاف اليه .

(٤) وساعات من الليل . جمع زلفة وهي ساعاته القريبة من آخر النهار . من أزلفه إذا قرّبه . وصلاة الزلف المغرب والعشاء .

(٥) إنّ الصلوات الخمس يذهبن الذنوب . وفي الحديث "إنّ الصلوات الخمس تكفّر ما بينها من الذنوب". أو الطاعات. قال عليه السلام "أتبع السيّئة الحسنة تمحها". أو سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر. وقيل نزلت في عمرو بن غزيّة الأنصاريّ بائع التمر. قال لامرأة: في البيت تمر أجود، فدخلت فقبّلها، فندم فجاءه حاكيا باكيا . فنزلت . فقال عليه السلام : هل شهدت معنا العصر؟ قال نعم . قال : هي كفّارة لك . فقيل أله خاصّة ؟ قال بل للناس عامّة .

(٦) إشارة إلى (فاستقم) فما بعده . أو القرآن .

(٧) عظة للتعظين .

(٨) (واصبر) على امتثال ما أمرت به والانتهاء عما نهيت عنه فلا يتمّ شيء منه إلّا به .

(٩) جاء بما هو مشتمل على جميع الأوامر والنواهي من قوله (فاستقم) إلى قوله (واصبر) وغير ذلك من الحسنات .

فَلَوْلَا كَانَ (١) مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ (٢) يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ (٣) إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ (٤) وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ (٥) مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ (٦) وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ (٧) ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ (٨) ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ (٩) ﴿١١٧﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً (١٠) وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١) ﴿١١٨﴾

(١) فهلّا كان . هو موضوع للتحضيض ومخصوص بالفعل .

(٢) أولو فضل . وسمّى الفضل والجُودة (بقيّة) ، لأن الرجل يستبق ممّا يخرجه أجوده وأفضله ، فصار مثلا فى الجودة والفضل . ويقال فلان من بقيّة القوم أى من خيارهم . ومنه قولهم فى الزوايا خبايا وفى الرجال بقايا .

(٣) عجّب محمدا عليه السلام وأمّته أن لم يكن فى الأمم التى ذكر الله إهلاكهم فى هذه السورة جماعة من أولى العقل والدين ينهون غيرهم عن الكفر والمعاصى .

(٤) استثناء منقطع . أى ولكن قليلا ممن أنجينا من القرون نهوا عن الفساد وسائرهم تاركون للنهى . و (من) فى (ممن أنجينا) للبيان لا للتبعيض لأن النجاة للناهين وحدهم بدليل قوله (أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا) .

(٥) أى التاركون للنهى عن المنكر ، وهو عطف على مضمر أى (إلا قليلا ممن أنجينا منهم) نهوا عن الفساد (واتّبع الذين ظلموا) شهواتهم . فهو عطف على نهوا .

(٦) أى اتّبعوا ما عرفوا فيه التنعّم والترفّه من حبّ الرياسة والثروة وطلب أسباب العيش الهنىء ورفضوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ونبذوه وراء ظهورهم .

(٧) اعتراض وحكم عليهم بأنّهم قوم مجرمون .

(٨) اللام لتأكيد النفى .

(٩) (بظلم) حال من الفاعل ، أى لا يصحّ أن يهلك الله القرى ظالما لها وأهلها قوم مصلحون تنزيها لذاته عن الظلم . وقيل الظلم الشرك أى لا يهلك القرى بسبب شرك أهلها وهم مصلحون فى المعاملات فيما بينهم لا يضمّون إلى شركهم فسادا آخر .

(١٠) أى متّفقين على الإيمان والطاعات عن اختيار ولكن لم يشأ ذلك . وقالت المعتزلة : هى مشيئة قسر : وذلك رافع للابتلاء فلا يجوز .

(١١) (مختلفين) فى الكفر والإيمان . أى ولكن شاء أن يكونوا مختلفين لمّا علم منهم اختيار ذلك .

إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ(١) وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ(٢) وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ(٣) ۝ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ(٤) مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ(٥) مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ(٦) وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ(٧) وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ(٨) ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ(٩) إِنَّا عَٰمِلُونَ(١٠) ۝ وَٱنتَظِرُوٓا۟(١١)

(١) إلّا ناسا عصمهم الله من الاختلاف فاتّفقوا على دين الحق غير مختلفين فيه .

(٢) أى ولمـا هم عليه من الاختلاف (خلقهم). فعندنا خلقهم للذى علم أنّهم سيصيرون إليه من اختلاف أو اتّفاق ولم يخلقهم لغير الذى علم أنّهم سيصيرون إليه. كذا فى شرح التأويلات.

(٣) (وتمّت كلمة ربّك) وهى قوله للملائكة (لأملأنّ جهنّم من الجنّة والناس أجمعين) لعلمه بكثرة من يختار الباطل .

(٤) (وكلّا) التنوين فيه عوض من المضاف إليه كأنّه قيل وكلّ نبأ. وهو منصوب بقوله (نقصّ عليك) .

(٥) بيان لكلّ .

(٦) بدل من (كلّا) . ومعنى تثبيت فؤاده زيادة يقينه لأنّ تكاثر الأدلّة أثبت للقلب .

(٧) أى فى هذه السورة أو فى هذه الأنباء المقتصّة ما هو حقّ .

(٨) من أهل مكّة وغيرهم .

(٩) على حالكم وجهتكم التى أنتم عليها .

(١٠) (إنّا عاملون) على مكانتنا .

(١١) (وانتظروا) بنا الدوائر .

إِنَّا مُنتَظِرُونَ(١) ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ(٢) وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ(٣) فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ(٤) وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ(٥) ﴿١٢٣﴾

---

(١) (إنّا منتظرون) أن ينزل بكم نحو ما اقتصّ الله تعالى من النقم النازلة بأشباهكم .

(٢) لا تخفى عليه خافية ممّا يجرى فيهما فلا تخفى عليه أعمالكم .

(٣) (وإليه يَرجع الأمر كلّه) فلا بدّ أن يرجع إليه أمرهم وأمرك فينتقم لك منهم. (يُرجع) نافع وحفص .

(٤) وتوكّل عليه فإنّه كافيك وكافلك وفى الحديث " من أحبّ أن يكون أقوى الناس فليتوكّل على الله تعالى" .

(٥) وبالتاء مدنىّ وشامىّ وحفص . أى أنت وهم على تغليب المخاطب . قيل خاتمة التوراة هذه الآية .

سورة يوسف عليه السلام مكيّة

وهى مائة وإحدى عشرة آية شامىّ واثنتا عشرة مكىّ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ (1) ۝ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا (2) لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (3) ۝ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ (4)

(1) (تلك) إشارة إلى آيات هذه السورة. و(الكتاب المبين) السورة. أى تلك الآيات التى أنزلت إليك فى هذه السورة آيات السورة الظاهر أمرها فى إعجاز العرب أو التى تبين لمن تدبّرها أنّها من عند الله لامن عند البشر، أو الواضحة التى لا تشتبه على العرب معانيها لنزولها بلسانهم، أو قد أبين فيها ما سألت عنه اليهود من قصّة يوسف عليه السلام . فقد روى أنّ علماء اليهود قالوا للشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر وعن قصة يوسف عليه السلام.

(2) أى أنزلنا هذا الكتاب الذى فيه قصّة يوسف عليه السلام فى حال كونه (قرآنا عربيّا) وسمّى بعض القرآن قرآنا لأنّه اسم جنس يقع على كلّه و بعضه .

(3) لكى تفهموا معانيه . (ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصّلت آياته) .

(4) نبيّن لك أحسن البيان. والقاصّ الذى يأتى بالقصّة على حقيقتها، عن الزجّاج. وقيل القصص يكون مصدرا بمعنى الاقتصاص. تقول: قصّ الحديث يقصّه قصصا. و يكون فعلا بمعنى مفعـول كالنقض والحسب . فعـلى الأول معناه نحن نقصّ عليك أحسن الاقتصاص على أن يكون (أحسن) منصوبا نصب المصدر لإضافته إليه . والمقصوص محذوف لأنّ (بما أوحينا إليك هذا القرآن) مغن عنه . والمراد بأحسن الاقتصاص أنّه اقتصّ على أبدع طريقة وأعجب أسلوب فإنّك لا ترى اقتصاصه فى كتب الأوّلين مقاربا لاقتصاصه فى القرآن . وإن أريد بالقصص المقصوص فمعنـاه نحن نقصّ عليك أحسن ما يقصّ من الأحاديث . وإنّما كان أحسن لمـا يتضمّن من العبر والحكم والعجائب التى ليست فى غيره . والظاهر أنّه أحسن ما يقتصّ فى بابه كما يقال: فلان أعلم الناس أى فى فنّه. واشتقاق القصص من قصّ أثره إذا تبعه لأنّ الذى يقصّ الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا .

بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ[1] وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ[2] ﴿٣﴾ إِذۡ[3] قَالَ يُوسُفُ[4] لِأَبِيهِ[5] يَٰٓأَبَتِ[6] إِنِّي رَأَيۡتُ[7] أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا[8] وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ[9] ﴿٤﴾ قَالَ يَٰبُنَيَّ[10] لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ[11]

(١) أى بإيحائنا إليك هذه السورة .

(٢) (لمن الغافلين) عنه. الضمير يرجع إلى (ما أوحينا). (إن) مخففة من الثقيلة. واللام فارقة بينها و بين النافية . يعنى وإنّ الشأن والحديث كنت من قبل إيحائنا إليك من الجاهلين به .

(٣) بدل اشتمال من (أحسن القصص) لأنّ الوقت مشتمل على القصص . أو التقدير اذكر (إذ قال) .

(٤) اسم عبرانىّ لا عربىّ إذ لو كان عربيّا لانصرف لخلوّه عن سبب آخر سوى التعريف .

(٥) يعقوب .

(٦) (أبتِ) شامىّ . وهى تاء تأنيث عوّضت عن ياء الإضافة لتناسبهما لأنّ كلّ واحدة منهما زائدة فى آخر الاسم . ولهذا قلبت هاء فى الوقف . وجاز إلحاق تاء التأنيث بالمذكّر كما فى رجل ربعة . وكسرت التاء لتدلّ على الياء المحذوفة . ومن فتح التاء فقد حذف الألف من يا أبتا واستبقى الفتحة قبلها كما فعل من حذف الياء فى ياغلام .

(٧) من الرؤيا لا من الرؤية .

(٨) أسماؤها ببيان النبىّ عليه السلام : جريان والذيال والطارق وقابس وعمودان والفليق والمصبح والصروح والفرغ ووثّاب وذو الكتفين .

(٩) (والشمس والقمر) هما أبواه أو أبوه وخالته . والكواكب إخوته . قيل الواو بمعنى مع أى رأيت الكواكب مع الشمس والقمر. وأجريت مجرى العقلاء فى (رأيتهم لى ساجدين) لأنه وصفها بما هو المختص بالعقلاء وهو السجود. وكرّرت الرؤيا لأنّ الأولى تتعلّق بالذات والثانية بالحال. أو الثانية كلام مستأنف على تقدير سؤال وقع جوابا له : كأنّ أباه قال له كيف رأيتها؟ فقال (رأيتهم لى ساجدين) أى متواضعين، وهو حال. وكان ابن ثنتى عشرة سنة يومئذ. وكان بين رؤيا يوسف ومصير إخوته إليه أربعون سنة أو ثمانون .

(١٠) بالفتح حيث كان حفص .

(١١) هى بمعنى الرؤية إلّا أنّها مختصّة بما كان منها فى المنام دون اليقظة . وفرّق بينهما بحرفى التأنيث كما فى القربة والقربى .

عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا[1] إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ[2] ۝ وَكَذَٰلِكَ[3] يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ[4] وَيُعَلِّمُكَ[5] مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ[6] وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ[7] كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ[8] مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ[9]

---

(١) جواب النهى أى إن قصصتها عليهم كادوك . عرف يعقوب عليه السلام أنّ الله يصطفيه للنبوّة وينعم عليه بشرف الدارين فخاف عليه حسد الإخوة. وإنّما لم يقل فيكيدوك كما قال (فكيدونى) لأنّه ضمّن معنى فعل يتعدّى باللام ليفيد معنى فعل الكيد مع إفادة معنى الفعل المضمّن فيكون آكد وأبلغ فى التخويف. وذلك نحو فيحتالوا لك. ألا ترى إلى تأكيده بالمصدر وهو (كيدا) .

(٢) ظاهر العداوة فيحملهم على الحسد والكيد .

(٣) ومثل ذلك الاجتباء الذى دلّت عليه رؤياك .

(٤) يصطفيك . والاجتباء الاصطفاء . افتعال من جبيت الشىء إذا حصّلته لنفسك وجبيت الماء فى الحوض جمعته .

(٥) كلام مبتدأ غير داخل فى حكم التشبيه . كأنّه قيل وهو يعلمك .

(٦) أى تأويل الرؤيا . وتأويلها عبارتها وتفسيرها . وكان يوسف أعبر الناس للرؤيا . أو تأويل أحاديث الأنبياء وكتب الله . وهو اسم جمع للحديث وليس بجمع أحدوثة .

(٧) بأن وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة الآخرة . أى جعلهم أنبياء فى الدنيا وملوكا ونقلهم عنها إلى الدرجات العلا فى الجنّة . وآل يعقوب أهله . وهم نسله وغيرهم . وأصل آل أهل بدليل تصغيره على أهيل . إلّا أنّه لا يستعمل إلّا فيمن له خطر يقال آل النبيّ وآل الملك . ولا يقال آل الحجّام ولكن أهله . وإنّما علم يعقوب أنّ يوسف يكون نبيّا وإخوته أنبياء استدلالا بضوء الكواكب فلذا قال (وعلى آل يعقوب) .

(٨) أراد الجدّ وأبا الجدّ .

(٩) عطف بيان لأبويك .

إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ(١) حَكِيمٌ(٢) ۞ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ(٣) ءَايَٰتٌ(٤) لِّلسَّآئِلِينَ(٥) ۞ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ(٦) وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ(٧) إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ(٨) مُّبِينٍ ۞ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ(٩) أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا(١٠)

(١) يعلم من يحق له الاجتباء .

(٢) يضع الأشياء مواضعها .

(٣) أى فى قصّتهم وحديثهم . وأسماؤهم يهوذا وروبين وشمعون ولاوى وزبولون ويشجر . وأمّهم ليا بنت ليان . ودان ونفتالى وجاد وآشر ، من سُرِّيّتين : زلفة وبلهة . فلمّا توفّيت ليا تزوّج أختها راحيل فولدت له بليامين ويوسف .

(٤) علامات ودلالات على قدرة الله وحكمته فى كلّ شىء . وآيات على نبوّة محمد صلّى الله عليه وسلّم للذين سألوه من اليهود عنها فأخبرهم من غير سماع من أحد ولا قراءة كتاب . (آية) مكّىّ .

(٥) لمن سأل عن قصّتهم وعرفها .

(٦) اللام لام الابتداء . وفيها تأكيد وتحقيق لمضمون الجملة . أرادوا أنّ زيادة محبّته لهما أمر ثابت لا شبهة فيه . وإنما قالوا (وأخوه) وهم إخوته أيضا لأنّ أمّهما كانت واحدة . وإنما قيل (أحبّ) فى الاثنين لأن "أفعل من" لا يفرّق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكّر والمؤنّث . ولا بدّ من الفرق مع لام التعريف . وإذا أضيف ساغ الأمران .

(٧) الواو للحال . والعصبة العشرة فصاعدا . أى أنّه يفضّلهما فى المحبّة علينا وهما صغيران لا كفاية فيهما ونحن عشرة رجال كفاة نقوم بمرافقه . فنحن أحقّ بزيادة المحبّة منهما لفضلنا بالكثرة والمنفعة عليهما .

(٨) غلط فى تدبير أمر الدنيا . ولو وصفوه بالضلالة فى الدين لكفروا .

(٩) من جملة ما حكى بعد قوله (إذ قالوا) كأنّهم أطبقوا على ذلك إلّا من قال (لا تقتلوا يوسف) . وقيل الآمر بالقتل شمعون والباقون كانوا راضين فجعلوا آمرين .

(١٠) (أرضا) منكورة مجهولة بعيدة عن العمران . وهو معنى تنكيرها وإخلائها عن الوصف . ولهذا الإبهام نصبت نصب الظروف المبهمة .

يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ [(١)] وَتَكُونُوا [(٢)] مِنْ بَعْدِهِ [(٣)] قَوْمًا صَالِحِينَ [(٤)] ﴿٩﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ [(٥)] لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ [(٦)] وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ [(٧)] يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ [(٨)] إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ [(٩)] ﴿١٠﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ [(١٠)] ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ [(١١)] وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ [(١٢)] ﴿١٢﴾

---

(١) يقبل عليكم إقبالة واحدة لا يلتفت عنكم إلى غيركم . والمراد سلامة محبّته لهم ممن يشاركهم فيها. فكان ذكر الوجه لتصوير معنى إقباله عليهم لأن الرجل إذا أقبل على الشيء أقبل بوجهه . ويجاز أن يراد بالوجه الذات كما قال (ويبقى وجه ربّك) .

(٢) مجزوم عطفا على (يخل لكم) .

(٣) من بعد يوسف أى من بعد كفايته بالقتل أو التغريب، أو من بعد قتله أو طرحه. فيرجع الضمير إلى مصدر اقتلوا أو اطرحوا .

(٤) تائبين إلى الله مما جنيتم عليه . أو يصلح حالكم عند أبيكم .

(٥) هو يهوذا . وكان أحسنهم فيه رأيا .

(٦) (لا تقتلوا يوسف) فإنّ القتل عظيم .

(٧) فى قعر البئر وما غاب منه عن عين الناظر . (غيابات) وكذا ما بعده ، مدنىّ .

(٨) بعض الأقوام الذين يسيرون فى الطريق .

(٩) (إن كنتم فاعلين) به شيئا .

(١٠) أى لم تخافنا عليه ونحن نريد له الخير ونشفق عليه ؟ وأرادوا بذلك — لمّا عزموا على كيد يوسف — استنزاله عن رأيه وعادته فى حفظه منهم . وفيه دليل على أنّه أحسّ منهم بما أوجب ألّا يأمنهم عليه .

(١١) (نرتع) نتّسع فى أكل الفواكه وغيرها . والرَّتْعة السعة. وبكسر العين حجازىّ من ارتعى يرتعى . افتعال من الرعى (ونلعب) نتفرّج بما يباح كالصيد والرمى والركض . الياء فيهما مدنىّ وكوفىّ . وبالنون فيهما مكىّ وشامىّ وأبو عمرو .

(١٢) (وإنّا له لحافظون) من أن يناله مكروه .

قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ[(١)] وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ[(٢)] ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ[(٣)] وَنَحْنُ عُصْبَةٌ[(٤)] إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ[(٥)] ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ[(٦)] وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ[(٧)] لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ[(٨)] هَٰذَا

---

(١) أى يحزننى ذهابكم به . واللام لام الابتداء .

(٢) اعتذر إليهم بأنّ ذهابهم به ممّا يحزنه لأنّه كان لا يصبر عنه ساعة ، وأنّه يخاف عليه من عدوة الذئب إذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم .

(٣) اللام موطّئة للقسم . والقسم محذوف تقديره والله (لئن أكله الذئب) .

(٤) أى فرقة مجتمعة مقتدرة على الدفع . والواو للحال .

(٥) جواب للقسم مجزئ عن جزاء الشرط . أى إن لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا إذا وخسرناها . وأجابوا عن عذره الثانى دون الأول لأنّ ذلك كان يغيظهم .

(٦) أى عزموا على إلقائه فى البئر . وهى بئر على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب عليه السلام. وجواب (لمّا) محذوف تقديره فعلوا به ما فعلوا من الأذى . فقد روى أنّهم لمّا برزوا به إلى البرّيّة أظهروا له العداوة وضربوه وكادوا يقتلونه فمنعهم يهوذا . فلمّا أرادوا إلقاءه فى الجبّ تعلّق بثيابهم فنزعوها من يده فتعلّق بحائط البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطّخوه بالدم فيحتالوا به على أبيهم . ودلّوه فى البئر وكان فيها ماء فسقط فيه. ثمّ أوى إلى صخرة فقام عليها وهو يبكى. وكان يهوذا يأتيه بالطعام. ويروى أنّ إبراهيم عليه السلام حين ألقى فى النار جرّد عن ثيابه فأتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنّة فألبسه إيّاه. فدفعه إبراهيم إلى إسحق، وإسحق إلى يعقوب . فجعله يعقوب فى تميمة علّقها فى عنق يوسف فأخرجه جبريل وألبسه إيّاه .

(٧) أوحى إليه فى الصغر كما أوحى إلى يحيى وعيسى عليهما السلام . وقيل كان إذ ذاك مدركا .

(٨) أى لتحدثنّ إخوتك بما فعلوا بك .

وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١) ۝ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً (٢) يَبْكُونَ (٣) ۝ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ (٤) وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَـٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا (٥) وَلَوْ كُنَّا صَـٰدِقِينَ (٦) ۝ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ (٧) بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ (٨) بَلْ سَوَّلَتْ (٩)

(١) (وهم لايشعرون) أنك يوسف لعلو شأنك وكبرياء سلطانك. وذلك أنهم حين دخلوا عليه ممتارين (فعرفهم وهم له منكرون) دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال إنه ليخبرنى هذا الجام أنه كان لكم أخ من أبيكم يقال له يوسف وأنكم ألقيتموه فى غيابة الجب وقلتم لأبيه أكله الذئب وبعتموه بثمن بخس . أو يتعلق (وهم لا يشعرون) بأوحينا أى آنسناه بالوحى وأزلنا عن قلبه الوحشة (وهم لا يشعرون) .

(٢) للاستتار والتجسر على الاعتذار .

(٣) حال . عن الأعمش : لا تصدق باكية بعد إخوة يوسف .

(٤) لما سمع صوتهم فزع وقال ما لكم يا بنى هل أصابكم فى غنمكم شىء ؟ قالوا لا . قال فما بالكم وأين يوسف ؟ (قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق) أى نتسابق فى العدو أو فى الرمى . والافتعال والتفاعل يشتركان كالارتماء والترامى وغير ذلك .

(٥) بمصدق لنا .

(٦) ولو كنا عندك من أهل الصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف . فكيف وأنت سيئ الظن بنا غير واثق بقولنا .

(٧) ذى كذب . أو وصف بالمصدر مبالغة كأنه نفس الكذب وعينه كما يقال للكذاب هو الكذب بعينه ، والزور بذاته . روى أنهم ذبحوا سخلة ولطخوا القميص بدمها وزل عنهم أن يمزقوه . وروى أن يعقوب عليه السلام لما سمع بخبر يوسف صاح بأعلى صوته وقال أين القميص؟ وأخذه وألقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص . وقال : تالله ما رأيت كاليوم ذئبا أحلم من هذا . أكل ابنى ولم يمزق عليه قميصه . وقيل كان فى قميص يوسف ثلاث آيات : كان دليلا ليعقوب على كذبهم ، وألقاه على وجهه فارتد بصيرا ، ودليلا على براءة يوسف حين قد من دبره . ومحل (على قميصه) النصب على الظرف كأنه قيل وجاءوا فوق قميصه بدم .

(٨) (قال) يعقوب عليه السلام .

(٩) زينت أو سهلت .

لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا (١) فَصَبْرٌ جَمِيلٌ (٢) وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ (٣) ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ (٤) فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ (٥) فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ (٦) قَالَ يَا بُشْرَىٰ (٧) هَٰذَا غُلَامٌ (٨) وَأَسَرُّوهُ (٩) بِضَاعَةً (١٠) وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (١١) ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ (١٢) بِثَمَنٍ بَخْسٍ (١٣) دَرَاهِمَ (١٤)

---

(١) (أمرا) عظيما ارتكبتموه .

(٢) خبر أو مبتدأ لكونه موصوفا، أى فأمرى صبر جميل أو فصبر جميل أجمل . وهو ما لا شكوى فيه إلى الخلق .

(٣) أى أستعينه على احتمال ما تصفون من هلاك يوسف والصبر على الرزء فيه .

(٤) رفقة تسير من قبل مدين إلى مصر. وذلك بعد ثلاثة أيام من إلقاء يوسف فى الجبّ. فأخطئوا الطريق فنزلوا قريبا منه . وكان الجبّ فى قفرة بعيدة من العمران . وكان ماؤه ملحا فعذب حين ألقى فيه يوسف .

(٥) هو الذى يرد المـاء ليستقى للقوم اسمه مالك بن ذعر الخزاعىّ .

(٦) أرسل الدلو ليملأها . فتشبّث يوسف بالدلو فنزعه .

(٧) كوفىّ . نادى البشرى، كأنّه يقول تعالى فهذا أوانك . غيرهم (بشراى) على إضافتها لنفسه . أو هو اسم غلامه فناداه مضافا إلى نفسه .

(٨) قيل ذهب به فلمّا دنا من أصحابه صاح بذلك يبشّرهم به .

(٩) الضمير للوارد وأصحابه. أخفوه من الرفقة. أو لإخوة يوسف فإنّهم قالوا للرفقة : هذا غلام لنا قد أبق فاشتروه منّا ، وسكت يوسف مخافة أن يقتلوه .

(١٠) حال ، أى أخفوه متاعا للتجارة . والبضاعة ما بضع من المـال للتجارة أى قطع .

(١١) بمـا يعمل إخوة يوسف بأبيهم وأخيهم من سوء الصنيع .

(١٢) وباعوه .

(١٣) مبخوس ناقص عن القيمة نقصانا ظاهرا . أو زيف .

(١٤) بدل من (ثمن) .

مَّعْدُودَةٍ(١) وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ(٢) ﴿٢٠﴾ وَقَالَ الَّذِى اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ(٣) لِامْرَأَتِهِ(٤) أَكْرِمِى مَثْوَاهُ(٥) عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا(٦) أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا(٧) وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى الْأَرْضِ(٨) وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ(٩) وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ(١٠)

(١) قليلة تعدّ عدّا ولا توزن . لأنّهم كانوا يعدّون ما دون الأربعين و يزنون الأربعين وما فوقها . وكانت عشرين درهما .

(٢) ممن يرغب عما فى يده فيبيعه بالثمن الطفيف . و (فيه) ليس من صلة (الزاهدين) أى غير راغبين لأن الصلة لا تتقدّم على الموصول . وإنما هو بيان كأنّه قيل فى أىّ شىء زهدوا فقال زهدوا (فيه) .

أو معنى (وشروه) واشتروه يعنى الرفقة من إخوته (وكانوا فيه من الزاهدين) أى غير راغبين لأنّهم اعتقدوا أنّه آبق . ويروى أنّ إخوته اتّبعوهم وقالوا استوثقوا منه لا يأبق .

(٣) هو قطفير ، وهو العزيز الذى كان على خزائن مصر . والملك يومئذ الريان بن الوليد وقد آمن بيوسف ومات فى حياته . واشتراه العزيز بزنته ورقا وحريرا ومسكا . وهو ابن سبع عشرة سنة وأقام فى منزله ثلاث عشرة سنة ، واستوزره ريان بن الوليد وهو ابن ثلاثين سنة ، وآتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، وتوفّى وهو ابن مائة وعشرين سنة .

(٤) راعيل أو زليخا واللام متعلّقة بقال لا باشتراه .

(٥) اجعلى منزله ومقامه عندنا كريما أى حسنا مرضيّا بدليل قوله "إنّه ربّى أحسن مثواى" . وعن الضحاك : بطيب معاشه ولين لباسه ووطىء فراشه .

(٦) لعلّه إذا تدرّب وراض الأمور وفهم مجاريها نستظهر به على بعض ما نحن بسبيله .

(٧) أو نتبنّاه ونقيمه مقام الولد . وكان قطفير عقيما وقد تفرّس فيه الرشد فقال ذلك .

(٨) (وكذلك) إشارة إلى ما تقدّم من إنجائه وعطف قلب العزيز عليه . والكاف منصوب تقديره ومثل ذلك الإنجاء والعطف (مكّنّا ليوسف) أى كما أنجيناه وعطّفنا عليه العزيز كذلك مكّنّا له (فى الأرض) أى أرض مصر وجعلناه ملكا يتصرّف فيها بأمره ونهيه.

(٩) (ولنعلّمه من تأويل الأحاديث) كان ذلك الإنجاء والتمكين .

(١٠) لا يمنع عمّا شاء . أو على أمر يوسف بتبليغه ما أراد له دون ما أراد إخوته .

وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ(١) ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ(٢) ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا(٣) وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ(٤) ﴿٢٢﴾ وَرَٰوَدَتْهُ(٥) ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ(٦) وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ(٧) قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ(٨) إِنَّهُۥ(٩) رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ(١٠) إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ(١١) ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ(١٢) وَهَمَّ بِهَا(١٣) لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ

---

(١) (لا يعلمون) ذلك .

(٢) منتهى استمداد قوته . وهو ثمان عشرة سنة أو إحدى وعشرون .

(٣) حكمة . وهو العلم مع العمل واجتناب ما يجهل فيه . أو حكما بين الناس وفقها .

(٤) تنبيه على أنه كان محسنا فى عمله متقيا فى عنفوان أمره .

(٥) أى طلبت يوسف أن يواقعها . والمراودة مفاعلة من راد يرود إذا جاء وذهب . كأن المعنى خادعته عن نفسه ، أى فعلت فعل المخادع لصاحبه عن الشيء الذى لا يريد أن يخرجه من يده يحتال أن يغلبه عليه ويأخذه منه . وهى عبارة عن التمحل لمواقعته إياها .

(٦) وكانت سبعة .

(٧) (هَيْتَ) اسم لتعال وأقبل . وهو مبنى على الفتح . (هَيْتُ) مكى بناه على الضم . (هِيتَ) مدنى وشامى . واللام للبيان . كأنه قيل : لك أقول هذا كما تقول هلم لك .

(٨) أعوذ بالله معاذا .

(٩) أى إن الشأن والحديث .

(١٠) (ربى) سيدى ومالكى — يريد قطفير (أحسن مثواى) حين قال لك (أكرمى مثواه) . فما جزاؤه أن أخونه فى أهله . أو أراد بقوله (إنه ربى) الله تعالى لأنه مسبب الأسباب .

(١١) الخائنون أو الزناة .

(١٢) هم عزم . يقال هم بالأمر إذا قصده وعزم عليه .

(١٣) (وهم بها) هم الطباع مع الامتناع ، قاله الحسن . وقال الشيخ أبو منصور رحمه الله (وهم بها) هم خطرة ولا صنع للعبد فيما يخطر بالقلب ولا مؤاخذة عليه . ولو كان همه كهمها لما مدحه الله تعالى بأنه من عباده المخلصين . وقيل (وهم بها) وشارف أن يهم بها . وجواب (لولا أن رأى برهان ربه) محذوف أى لكان ما كان . وقيل (وهم بهـا)

كَذَٰلِكَ[1] لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ[2] وَٱلْفَحْشَآءَ[3] إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ[4] ﴿٢٤﴾ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ[5]

جوابه . ولا يصح، لأن جواب لولا لا يتقدم عليها لأنه فى حكم الشرط وله صدر الكلام . والبرهان الحجة . ويجوز أن يكون (وهمّ بها) داخلا فى حكم القسم فى قوله (ولقد همّت به) ويجوز أن يكون خارجا . ومن حق القارئ إذا قدر خروجه من حكم القسم وجعله كلاما برأسه ، أن يقف على (به) ويبتدئ بقوله (وهمّ بها) . وفيه أيضا إشعار بالفرق بين الهمّين . وفسر همّ يوسف بأنه حلّ تكّة سراويله وقعد بين شعبها الأربع وهى مستلقية على قفاها . وفسّر البرهان بأنه سمع صوتا إيّاك وإيّاها مرّتين، فسمع ثالثا أعرض عنها. فلم ينجع فيه حتى مثل له يعقوب عاضّا على أنملته . وهو باطل. ويدلّ على بطلانه قوله (هى راودتنى عن نفسى) ولو كان ذلك منه أيضا لما برّأ نفسه من ذلك . وقوله (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء) . ولو كان كذلك لم يكن السوء مصروفا عنه . وقوله (ذلك ليعلم أنّى لم أخنه بالغيب) ولو كان كذلك لخانه بالغيب. وقوله (ماعلمنا عليه من سوء) (الآن حصحص الحقّ أنا راودته عن نفسه وإنّه لمن الصادقين) . ولأنه لو وجد منه ذلك لذكرت توبته واستغفاره كما كان لآدم ونوح وذى النون وداود عليهم السلام . وقد سمّاه الله مخلصا . فعلم بالقطع أنّه ثبت فى ذلك المقام وجاهد نفسه مجاهدة أولى العزم ناظرا فى دلائل التحريم حتّى استحق من الله الثناء .

(١) محلّ الكاف نصب . أى مثل ذلك التثبيت ثبتناه . أو رفع أى الأمر مثل ذلك .

(٢) خيانة السيّد .

(٣) الزنا .

(٤) بفتح اللام حيث كان مدنىّ وكوفىّ . أى الذين أخلصهم الله لطاعته . وبكسرها غيرهم . أى الذين أخلصوا دينهم لله . ومعنى (من عبادنا) بعض عبادنا أى هو مخلص من جملة المخلصين .

(٥) وتسابقا إلى الباب هى للطلب وهو للهرب . على حذف الجارّ وإيصال الفعل كقوله (واختار موسى قومه) ، أو على تضمين (استبقا) معنى ابتدرا . نفر منها يوسف فأسرع يريد الباب ليخرج وأسرعت وراءه لتمنعه الخروج . ووحّد الباب وإن كان جمعه فى قوله (وغلّقت الأبواب) لأنّه أراد الباب البرّانىّ الذى هو المخرج من الدار . ولمّا هرب يوسف جعل فَرَاش القفل يتناثر ويسقط حتّى خرج .

وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ[1] وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ[2] ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى[3] وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ[4] إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ[5] ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ[6]

---

(١) اجتذبته من خلفه فانقدّ أى انشق حين هرب منها إلى الباب وتبعته تمنعه .

(٢) وصادفا بعلها قطفير مقبلا يريد أن يدخل . فلمّا رأته احتالت لتبرئة ساحتها عند زوجها من الريبة ولتخويف يوسف طمعا فى أن يواطئها خيفة منها ومن مكرها . (ما) نافية أى ليس جزاؤه إلّا السجن أو(عذاب أليم) وهو الضرب بالسياط . ولم تصرّح بذكر يوسف وأنه أراد بها سوءا لأنّها قصدت العموم أى كلّ من أراد بأهلك سوءا فحقّه أن يسجن أو يعذّب ، لأنّ ذلك أبلغ فيما قصدت من تخويف يوسف .

(٣) لمّا عرضته للسجن والعذاب ووجب عليه الدفع عن نفسه (قال هى راودتنى) . ولولا ذلك لكتم عليها ولم يفضحها .

(٤) هو ابن عم لها . وإنّما ألقى الله الشهادة على لسان من هو من أهلها لتكون أوجب للحجّة عليها وأوثق لبراءة يوسف . وقيل كان ابن خال لها وكان صبيّا فى المهد . وسمّى قوله شهادة لأنّه أدّى مؤدّى الشهادة فى أن ثبت به قول يوسف وبطل قولها .

(٥) والتقدير (وشهد شاهد) فقال (إن كان قميصه) . وإنّما دلّ قدّ قميصه من قبُل على أنّها صادقة لأنّه يسرع خلفها ليلحقها فيعثر فى مقادم قميصه فيشقّه . ولأنّه يقبل عليها وهى تدفعه عن نفسها فيتخرق قميصه من قبل. وأمّا تنكير(قبل) و(دبر) فمعناه من جهة يقال لها قبل ومن جهة يقال لها دبر. وأمّا جمع بين إن التى للاستقبال وبين كان لأنّ المعنى إن يعلم أنّه كان قميصه قدّ .

(٦) (فلمّا رأى) قطفير(قميصه قدّ من دبر) وعلم براءة يوسف وصدقه وكذبها (قال إنّه) إنّ قولك (ما جزاء من أراد باهلك سوءا) ، أو إن هذا الأمر وهو الاحتيال لنيل الرجال (من كيدكنّ) الخطاب لها ولأمتها .

إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (١) ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ (٢) أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ (٣) إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ (٤) ﴿٢٩﴾ وَقَالَ نِسْوَةٌ (٥) فِي الْمَدِينَةِ (٦) امْرَأَتُ الْعَزِيزِ (٧) تُرَاوِدُ فَتَاهَا (٨) عَن نَّفْسِهِ (٩) قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا (١٠) إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (١١) ﴿٣٠﴾

---

(١) لأنهنّ ألطف كيدا وأعظم حيلة . وبذلك يغلبن الرجال. والقصريات منهنّ معهنّ ما ليس مع غيرهنّ من البوائق . وعن بعض العلماء إني أخاف من النساء أ كثر ممـا أخاف من الشيطان لأنّ الله تعالى قال (إنّ كيد الشيطان كان ضعيفا) وقال لهنّ (إنّ كيدكنّ عظيم) .

(٢) حذف منه حرف النداء لأنّه منادى قريب مفاطن للحديث. وفيه تقريب له وتلطيف لمحلّه .

(٣) (أعرض عن هذا) الأمر واكتمه ولا تحدّث به. ثمّ قال لراعيل (واستغفرى لذنبك).

(٤) من جملة القوم المتعمّدين للذنب . يقال خطئ إذا أذنب متعمّدا . وإنّما قال بلفظ التذكير تغليبا للذكور على الإناث . وكان العزيز رجلا حليما قليل الغيرة حيث اقتصر على هذا القول .

(٥) جماعة من النساء . وكنّ خمسا : امرأة الساقى ، وامرأة الخبّاز ، وامرأة صاحب الدوابّ، وامرأة صاحب السجن، وامرأة الحاجب . والنسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيثها غير حقيقيّ . ولذا لم يقل قالت . وفيه لغتان كسر النون وضمّها .

(٦) فى مصر .

(٧) يردن قطفير. والعزيز الملك بلسان العرب .

(٨) غلامها يقال فتاى وفتاتى أى غلامى وجاريتى .

(٩) لتنال شهوتها منه .

(١٠) تمييز أى قد شغفها حبّه . يعنى خرق حبّه شغاف قلبها حتى وصـل إلى الفؤاد . والشغاف حجاب القلب أو جلدة رقيقة يقال لهـا لسان القلب .

(١١) فى خطأ وبعد عن طريق الصواب .

فَلَمَّا سَمِعَتْ (١) بِمَكْرِهِنَّ (٢) أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ (٣) وَأَعْتَدَتْ (٤) لَهُنَّ مُتَّكَأً (٥) وَءَاتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا (٦) وَقَالَتِ (٧) اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ (٨) وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ (٩)

(١) راعيل .

(٢) باغتيابهنّ وقولهنّ (امرأة العزيز) عشقت عبدها الكنعانىّ ، ومقتها . وسمّى الاغتياب مكرا لأنّه فى خفية وحال غيبة كما يخفى الماكر مكره . وقيل كانت استكتمتهنّ سرّها فأفشينه عليها .

(٣) دعتهنّ . قيل دعت أربعين امرأة منهنّ الخمس المذكورات .

(٤) وهيّأت . افتعلت من العتاد .

(٥) ما يتّكئن عليه من نمارق . قصدت بتلك الهيئة — وهى قعودهنّ متّكئات والسكاكين فى أيديهنّ — أن يدهشن عند رؤيته ويشغلن عن نفوسهنّ فتقع أيديهنّ على أيديهنّ فيقطعنها . لأنّ المتّكئ إذا بهت لشىء وقعت يده على يده .

(٦) وكانوا لا يأكلون فى ذلك الزمان إلا بالسكاكين كفعل الأعاجم .

(٧) بكسر التاء بصرىّ وعاصم وحمزة . وبضمّها غيرهم .

(٨) أعظمنه وهبن ذلك الحسن الرائق والجمال الفائق . وكان فضل يوسف على الناس فى الحسن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء . وكان إذا سار فى أزقة مصر يرى تلألؤ وجهه على الجدران . وكان يشبه آدم يوم خلقه ربّه . وقيل ورث الجمال من جدّته سارّة. وقيل أكبرن بمعنى حضن . والهاء للسكت، إذ لا يقال النساء قد حضنه لأنّه لا يتعدّى إلى مفعول يقال أكبرت المرأة إذا حاضت.وحقيقته دخلت فى الكبر لأنها بالحيض تخرج من حدّ الصغر . وكأنّ أبا الطيب أخذ من هذا التفسير قوله :

خف الله واستر ذا الجمال ببرقع * فإن لحت حاضت فى الخدور العواتق

(٩) وجرحنها كما تقول كنت أقطع اللحم فقطعت يدى تريد جرحتها . أى أردن أن يقطعن الطعام الذى فى أيديهن فدهشن لمّا رأينه فخدشن أيديهنّ .

وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ(١) مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ(٢) ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ(٣) وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ(٤) وَلَيَكُونًا(٥) مِّنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي(٦) إِلَيْهِ .

---

(١) حاشا كلمة تفيد معنى التنزيه فى باب الاستثناء . تقول أساء القوم حاشا زيد . وهى حرف من حروف الجر فوضعت موضع التنزيه والبراءة . فمعنى (حاشا الله) براءة الله وتنزيه الله . وقراءة أبى عمرو (حاشا لله) نحو قولك سقيا لك كأنه قال براءة ثم قال لله لبيان من يبرأ و ينزه . وغيره (حاش لله) بحذف الألف الأخيرة . والمعنى تنزيه الله من صفات العجز ، والتعجب من قدرته على خلق جميل مثله .

(٢) نفين عنه البشرية لغرابة جماله وأثبتن له الملكية و بتتن بها الحكم لما ركز فى الطباع أن لا أحسن من الملك كما ركز فيها أن لا أقبح من الشيطان .

(٣) تقول هو ذلك العبد الكنعانى الذى صورتن فى أنفسكن ثم لمتننى فيه . تعنى إنكن لم تصورنه حق صورته و إلا لعذرتننى فى الافتتان به .

(٤) الاستعصام بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كأنه فى عصمة وهو يجتهد فى الاستزادة منها . وهذا بيان جلى على أن يوسف عليه السلام برىء مما فسر به أولئك الفريق الهم والبرهان . ثم قلن له أطع مولاتك . فقالت راعيل (ولئن لم يفعل ما آمره)— الضمير راجع الى (ما) وهى موصولة . والمعنى (ما آمر) به فحذف الجار كما فى قوله أمرتك الخير . أو (ما) مصدرية . والضمير يرجع الى يوسف أى ولئن لم يفعل أمرى إياه أى موجب أمرى ومقتضاه — (ليسجنن) ليحبسن .

(٥) الألف بدل من نون التأكيد الخفيفة .

(٦) (وليكونا من الصاغرين) مع السراق والسفاك والأباق ، كما سرق قلبى وأبق منى وسفك دمى بالفراق . فلا يهنأ ليوسف الطعام والشراب والنوم هنالك ، كما منعنى هنا كل ذلك . ومن لم يرض بمثلى فى الحرير على السرير أميرا ، حصل فى الحصير على الحصير حسيرا . فلما سمع يوسف تهديدها (قال رب السجن أحب إلى مما يدعوننى إليه) . أسند الدعوة

وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ(١) أَصْبُ إِلَيْهِنَّ(٢) وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ(٣) ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ(٤) فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ(٥) الْعَلِيمُ(٦) ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا(٧) لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ(٨) لَيَسْجُنُنَّهُ(٩) حَتَّىٰ حِينٍ(١٠) ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ(١١)

إليهنّ لأنهنّ قلن له : ما عليك لو أجبت مولاتك . أو افتتنت كلّ واحدة به فدعته إلى نفسها سرّا . فالتجأ إلى ربّه (قال ربّ السجن أحبّ إلىّ) من ركوب المعصية .

(١) فزع منه إلى الله فى طلب العصمة .

(٢) أمل إليهن . والصبوة الميل إلى الهوى . ومنه الصّبا لأنّ النفوس تصبو إليها لطيب نسيمها وروحها .

(٣) من الذين لا يعملون بما يعلمون لأنّ من لا جدوى لعلمه فهو ومن لم يعلم سواء . أو من السفهاء .

(٤) لما كان فى قوله (وإلّا تصرف عنّى كيدهنّ) معنى طلب الصرف والدعاء ، قال (فاستجاب له ربّه) . أى أجاب الله دعاءه .

(٥) (السميع) لدعوات الملتجئين إليه .

(٦) (العليم) بحاله وحالهنّ .

(٧) (بدا) فاعله مضمر لدلالة مايفسّره عليه وهو (ليسجننّه). والمعنى بدا لهم بداء أى ظهر لهم رأى (ليسجننّه) . والضمير فى (لهم) للعزيز وأهله .

(٨) وهى الشواهد على براءته كقدّ القميص وقطع الأيدى وشهادة الصبىّ وغير ذلك .

(٩) (ليسجننّه) لإبداء عذر الحال، وإرخاء الستر على القيل والقال. وما كان ذلك إلّا باستنزال المرأة لزوجها. وكان مطواعا لها وجميلا ذلولا زمامه فى يدها . وقد طمعت أن يذلّله السجن ويسخّره لها . أو خافت عليه العيون ، وظنّت فيه الظنون . فألجأها الخجل من الناس ، والوجل من الياس ، إلى أن رضيت بالحجاب ، مكان خوف الذهاب ، لتشتفى بخبره ، إذا منعت من نظره .

(١٠) إلى زمان . كأنّها اقترحت أن يسجن زمانا حتّى تبصر ما يكون منه .

(١١) (ودخل معه السجن فتيان) عبدان للملك : خبازه وشرابيّه ، بتهمة السمّ . فأدخلا

قَالَ أَحَدُهُمَآ (١) إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ (٢) أَعْصِرُ خَمْرًا (٣) وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ (٤) إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ (٥) إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ (٦) ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ (٧) قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا (٨)

السجن ساعة أدخل يوسف لأنّ مع يدلّ على معنى الصحبة . تقول خرجت مع الأمير تريد مصاحبا له . فيجب أن يكون دخولهما السجن مصاحبين له .

(١) أى شرابيّه .

(٢) أى فى المنام وهى حكاية حال ماضية .

(٣) أى عنبا تسمية للعنب بمـا يؤول إليه . أو الخمر بلغة عمان اسم للعنب

(٤) أى خبّازه .

(٥) بتأويل ما رأيناه .

(٦) من الذين يحسنون عبارة الرؤيا ، أو من المحسنين إلى أهل السجن . فإنّك تداوى المريض ، وتعزّى الحزين ، وتوسع على الفقير . فأحسن إلينا بتأويل ما رأينا . وقيل إنّهما تحالمـا له ليمتحناه . فقال الشرابىّ : إنّى رأيت كأنّى فى بستان فإذا بأصل حبلة عليها ثلاثة عناقيد من عنب فقطفتها وعصرتها فى كأس الملك وسقيته . وقال الخبّاز : إنّى رأيت كأنّ فوق رأسى ثلاث سلال فيها أنواع الأطعمة . فإذا سباع الطير تنهش منها .

(٧) أى ببيان ماهيّته وكيفيّته لأنّ ذلك يشبه تفسير المشكل . لمّـا استعبراه ووصفـاه بالإحسان افترص ذلك فوصل به وصف نفسه بمـا هو فوق علم العلماء وهو الإخبار بالغيب وأنه ينبئهما بمـا يحمل إليهما من الطعـام فى السجن قبل أن يأتيهما ويصفه لهما و يقول اليوم يأتيكما طعام من صفته كيت وكيت . فيكون كذلك . وجعل ذلك تخلّصا إلى أن يذكر لهما التوحيد و يعرض عليهما الإيمـان ويزيّنه لهما ويقبّح إليهما الشرك . وفيه أنّ العالم إذا جهلت منزلته فى العلم فوصف نفسه بمـا هو بصدده — وغرضه أن يقتبس منه ، لم يكن من باب التزكية .

(٨) إشارة لهما إلى التأويل، أى ذلك التأويل والإخبار بالمغيبات .

بِمَا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ إِنِّي[1] تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ[2] ۝ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ[3] مَا كَانَ لَنَآ[4] أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍ[5] ذَٰلِكَ[6] مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ[7] ۝ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ[8] ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ[9] ۝ مَا تَعْبُدُونَ[10] مِن دُونِهِۦٓ[11] إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم[12]

(١) أوحى به إلىّ ولم أتلقه عن تكهّن وتنجّم .

(٢) يجوز أن يكون كلاما مبتدأ وأن يكون تعليلا لما قبله . أى علّمنى ذلك وأوحى به إلىّ لأنى رفضت ملّة أولئك وهم أهل مصر ومن كان الفتيان على دينهم. وتكرير "هم" للتوكيد. والمراد به ترك الابتداء لا أنه كان فيه ثم تركه .

(٣) وهى الملّة الحنيفيّة. وذكر الآباء ليريهما أنه من بيت النبوّة بعد أن عرّفهما أنه نبىّ يوحى إليه بما ذكر من إخباره بالغيوب ، ليقوّى رغبتهما فى اتّباع قوله .

(٤) ما صحّ لنا معشر الأنبياء .

(٥) أىّ شىء كان صنما أو غيره .

(٦) (ذلك) التوحيد .

(٧) (لا يشكرون) فضل الله فيشركون به ولا ينتهون .

(٨) ياساكنى السجن كقوله (أصحاب النار وأصحاب الجنّة) .

(٩) يريد التفرّق فى العدد والتكاثر . أى أأن تكون أرباب شتّى يستعبدكما هذا ويستعبدكما هذا (خير) لكما (أم) أن يكون لكما ربّ واحد قهّار لا يغالب ولا يشارك فى الربوبيّة ؟ وهذا مثل ضرب لعبادة الله وحده ولعبادة الأصنام .

(١٠) خطاب لهما ولمن كان على دينهما من أهل مصر.

(١١) من دون الله .

(١٢) أى سمّيتم ما لا يستحق الألوهيّة آلهة ثمّ طفقتم تعبدونها ، فكأنكم لا تعبدون إلا أسماء لا مسمّيات لها . ومعنى (سمّيتموها) سمّيتم بها يقال سمّيته زيدا وسمّيته بزيد .

مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا(١) مِن سُلْطَٰنٍ(٢) إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ(٣) ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ(٤) ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ(٥) أَمَّآ أَحَدُكُمَا(٦) فَيَسْقِى رَبَّهُۥ(٧) خَمْرًا(٨) وَأَمَّا ٱلْـَٔاخَرُ(٩) فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ(١٠) ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ(١١) أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا

(١) بتسميتها .

(٢) حجة .

(٣) (إن الحكم) فى أمر العبادة والدين (إلّا لله) . ثمّ بيّن ما حكم به فقال : (أمر ألّا تعبدوا إلّا إيّاه) .

(٤) (ذلك الدين القيّم) الثابت الذى دلّت عليه البراهين (ولكنّ أكثر الناس لايعلمون) وهذا يدلّ على أنّ العقوبة تلزم العبد وإن جهل إذا أمكن له العلم بطريقه) .

(٥) عبّر الرؤيا فقال : (يا صاحبى السجن) .

(٦) يريد الشرابىّ .

(٧) سيّده .

(٨) أى يعود إلى عمله .

(٩) أى الخبّاز .

(١٠) روى أنّه قال للأوّل ما رأيت من الكرمة وحسنها هو الملك وحسن حالك عنده . وأما القضبان الثلاثة فإنّها ثلاثة أيّام تمضى فى السجن ثمّ تخرج وتعود إلى ما كنت عليه . وقال للثانى ما رأيت من السلال ثلاثة أيّام ثمّ تخرج فتقتل . ولمّا سمع الخبّاز صلبه قال : ما رأيت شيئا . فقال يوسف (قضى الأمر الذى فيه تستفتيان) أى قطع وتمّ ما تستفتيان فيه من أمركما وشأنكما . أى ما يجرّ إليه من العاقبة وهى هلاك أحدهما ونجاة الآخر .

(١١) الظانّ هو يوسف عليه السلام إن كان تأويله بطريق الاجتهاد . وإن كان بطريق الوحى فالظانّ هو الشرابىّ . أو يكون الظنّ بمعنى اليقين .

ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾

(١) صفنى عند الملك بصفتى وقص عليه قصتى لعله يرحمنى ويخلصنى من هذه الورطة .

(٢) فأنسى الشرابى (ذكر ربه) أى أن يذكره لربه أو عند ربه . أو فأنسى يوسف ذكر الله حين وكل أمره إلى غيره . وفى الحديث « رحم الله أخى يوسف لو لم يقل (اذكرنى عند ربك) لما لبث فى السجن سبعا » .

(٣) أى سبعا عند الجمهور . والبضع ما بين الثلاث إلى التسع .

(٤) لما دنا فرج يوسف رأى ملك مصر الريان بن الوليد رؤيا عجيبة هالته . رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف . فابتلعت العجاف السمان. ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا أخر يابسات قد استحصدت وأدركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها . فاستعبرها فلم يجد فى قومه من يحسن عبارتها . وقيل كان ابتداء بلاء يوسف فى الرؤيا . ثم كان سبب نجاته أيضا الرؤيا . (سمان) جمع سمين وسمينة . والعجاف المهازيل . والعجف الهزال الذى ليس بعده . والسبب فى وقوع (عجاف) جمعا لعجفاء — وأفعل وفعلاء لا يجمعان على فعال — حمله على نقيضه وهو سمان. ومن دأبهم حمل النظير على النظير والنقيض على النقيض . وفى الآية دلالة على أن السنبلات اليابسة كانت سبعا كالخضر ، لأن الكلام مبنى على انصبابه إلى هذا العدد فى البقرات السمان والعجاف والسنابل الخضر فوجب أن يتناول معنى الأخر السبع ويكون قوله (وأخر يابسات) بمعنى وسبعا أخر .

(٥) كأنه أراد الأعيان من العلماء والحكماء .

(٦) اللام فى (للرؤيا) للبيان كقوله (وكانوا فيه من الزاهدين). أو لأن المفعول به إذا تقدم على الفعل لم يكن فى قوته على العمل فيه مثله إذا تأخر عنه فعضد بهـا . تقول عبرت الرؤيا وللرؤيا عبرت . أو يكون للرؤيا خبر كان كقولك : كان فلان لهذا الأمر إذا كان مستقلا به متمكنا منه ، و(تعبرون) خبر آخر أو حال . وحقيقة عبرت الرؤيا ذكرت عاقبتها وآخر أمرها كما

قَالُوٓا۟ أَضْغَـٰثُ أَحْلَـٰمٍ(١) وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَـٰمِ بِعَـٰلِمِينَ(٢) ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا(٣) مِنْهُمَا(٤) وَٱدَّكَرَ(٥) بَعْدَ أُمَّةٍ(٦) أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ(٧) فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ(٨)

تقول عبرت النهر إذا قطعته حتّى تبلغ آخر عرضه وهو عِبْره . ونحوه أوّلت الرؤيا إذا ذكرت مآلها وهو مرجعها . وعبرت الرؤيا بالتخفيف هو الذى اعتمده الأثبات ورأيتهم ينكرون عبّرت بالتشديد والتعبير والمعبّر .

(١) أى هى (أضغاث أحلام) أى تخاليطها وأباطيلها وما يكون منها من حديث نفس أو وسوسة شيطان . وأصل الأضغاث ما جمع من أخلاط النبات وحزم من أنواع الحشيش . الواحد ضغث . فاستعيرت لذلك . والإضافة بمعنى من أى أضغاث من أحلام . وإنّما جمع وهو حُلْم واحد تزايدا فى وصف الحلم بالبطلان . وجاز أن يكون قد قصّ عليهم مع هذه الرؤيا رؤيا غيرها .

(٢) أرادوا بالأحلام المنامات الباطلة فقالوا ليس لها عندنا تأويل. إنّما التأويل للمنامات الصحيحة . أو اعترفوا بقصور علمهم وأنّهم ليسوا فى تأويل الأحلام بخابرين .

(٣) (نجا) من القتل .

(٤) من صاحبى السجن .

(٥) بالدال هو الفصيح . وأصله اذتكر فأبدلت الذال دالا والتاء دالا وأدغمت الأولى فى الثانية لتقارب الحرفين . وعن الحسن (واذّكر) . ووجهه أنّه قلب التاء ذالا وأدغم . أى تذكّر يوسف وما شاهد منه .

(٦) بعد مدّة طويلة. وذلك أنه حين استفتى الملك فى رؤياه وأعضل على الملك تأويلها، تذكّر الناجى يوسف وتأويله رؤياه ورؤيا صاحبه وطلبه إليه أن يذكره عند الملك .

(٧) أنا أخبركم به عمّن عنده علمه .

(٨) (فأرسلونى) بالياء يعقوب . أى فابعثونى إليه لأسأله . فأرسلوه إلى يوسف فأتاه فقال: (يوسف أيّها الصديق) أيّها البليغ فى الصدق . وإنّما قال له ذلك لأنّه ذاق وتعرّف صدقه فى تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه حيث جاء كما أوّل .

أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ (١) لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (٢) ﴿﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ (٣) دَأَبًا (٤) فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ (٥) إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ (٦) ﴿﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ (٧) مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ (٨) إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ (٩) ﴿﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ (١٠) عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ (١١) ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ (١٢) ﴿﴾

---

(١) إلى الملك وأتباعه .

(٢) (لعلّهم يعلمون) فضلك ومكانك من العلم فيطلبوك ويخلّصوك من محنتك .

(٣) هو خبر فى معنى الأمر كقوله (تؤمنون بالله واليوم الآخر وتجاهدون) . دليله قوله (فذروه فى سنبله) . وإنّما يخرج الأمر فى صورة الخبر للمبالغة فى وجود المأمور به فيجعل كأنّه موجود فهو يخبر عنه .

(٤) بسكون الهمزة . وحفص يحرّكه . وهما مصدرا دأب فى العمل . وهو حال من المأمورين أى دائبين .

(٥) (فذروه فى سنبله) كى لا يأكله السوس .

(٦) (مّما تأكلون) فى تلك السنين .

(٧) هو من إسناد المجاز . جعل أكل أهلهنّ مسندا إليهنّ .

(٨) أى فى السنين المخصبة .

(٩) تحرزون وتخبئون .

(١٠) أى من بعد أربع عشرة سنة .

(١١) من الغوث أى يجاب مستغيثهم . أو من الغيث أى يمطرون . يقال : غيثت البلاد إذا مطرت .

(١٢) (يعصرون) العنب والزيتون والسمسم فيتّخذون الأشربة والأدهان . (تعصرون) حمزة . فأوّل البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب ، والعجاف واليابسات بسنين مجدبة . ثمّ بشرهم بعد الفراغ من تأويل الرؤيا بأنّ العام الثامن يجىء مباركا كثير الخير غزير النعم . وذلك من جهة الوحى .

وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ (١) قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ (٢) فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ (٣) ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ (٤) إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ (٥) ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ (٦) إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ (٧) مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ (٨) قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ (٩)

(١) (فلمّا جاءه الرسول) ليخرجه من السجن .

(٢) أى الملك .

(٣) أى حال (النسوة) .

(٤) إنّما تثبّت يوسف وتأنّى فى إجابة الملك وقدّم سؤال النسوة ليظهر براءة ساحته عمّا رمى به وسجن فيه لئلا يتسلّق به الحاسدون إلى تقبيح أمره عنده ويجعلوه سلّما إلى حطّ منزلته لديه، ولئلا يقولوا ما خلّد فى السجن سبع سنين إلّا لأمر عظيم وجرم كبير . وفيه دليل على أنّ الاجتهاد فى نفى التهم واجب وجوب اتّقاء الوقوف فى مواقفها . وقال عليه السلام "لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما أخبرتهم حتّى أشترط أن يخرجونى . ولقد عجبت منه حين أتاه الرسول فقال (ارجع إلى ربّك) ولو كنت مكانه ولبثت فى السجن ما لبث لأسرعت الإجابة وبادرت الباب ولما ابتغيت العذر . إن كان لحليما ذا أناة". ومن كرمه وحسن أدبه أنّه لم يذكر سيّدته مع ما صنعت به وتسبّبت فيه من السجن والعذاب واقتصر على ذكر المقطّعات أيديهنّ .

(٥) أى إنّ كيدهنّ عظيم لا يعلمه إلّا الله وهو مجازيهنّ عليه .

(٦) رجع الرسول إلى الملك من عند يوسف برسالته فدعا الملك النسوة المقطّعات أيديهنّ ودعا امرأة العزيز ثمّ (قال) لهنّ : (ما خطبكنّ)، ما شأنكنّ (إذ راودتنّ يوسف عن نفسه) . هل وجدتنّ منه ميلا إليكنّ ؟

(٧) تعجّبا من قدرته على خلق عفيف مثله .

(٨) من ذنب .

(٩) ظهر واستقرّ .

أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ(١) وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ(٢) إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ(٣) إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ(٤) ﴿٥٣﴾

(١) (وإنّه لمن الصادقين) فى قوله (هى راودتنى عن نفسى). ولا مزيد على شهادتهنّ له للبراءة والنزاهة واعترافهنّ على أنفسهن بأنّه لم يتعلّق بشىء مما قرف به. ثمّ رجع الرسول إلى يوسف وأخبره بكلام النسوة وإقرار امرأة العزيز وشهادتها على نفسها فقال يوسف (ذلك) أى امتناعى من الخروج والتثبّت لظهور البراءة (ليعلم) العزيز (أنّى لم أخنه بالغيب) بظهر الغيب فى حرمته. (بالغيب) حال من الفاعل أو المفعول على معنى وأنا غائب عنه أو وهو غائب عنّى. أو (ليعلم) الملك أنّى لم أخن العزيز.

(٢) أى (و) ليعلم (أنّ الله لايهدى كيد الخائنين) لايسدّده. وكأنّه تعريض بامرأته فى خيانتها أمانة زوجها. ثمّ أراد أن يتواضع لله ويهضم نفسه لئلا يكون لها مزكّيا وليبيّن أنّ ما فيه من الأمانة بتوفيق الله وعصمته فقال (وما أبرّئ نفسى) من الزلل وما أشهد لها بالبراءة الكلّية ولا أزكّيها فى عموم الأحوال. أو فى هذه الحادثة لما ذكرنا من الهمّ الذى هو الخطرة البشرية لا عن طريق القصد والعزم.

(٣) أراد الجنس أى أنّ هذا الجنس يأمر بالسوء ويحمل عليه لما فيه من الشهوات.

(٤) (إلّا مارحم ربّى) إلّا البعض الذى رحمه ربّى بالعصمة. ويجوز أن يكون (ما رحم) فى معنى الزمان أى إلا وقت رحمة ربّى. يعنى أنّها أمّارة بالسوء فى كلّ وقت إلّا وقت العصمة. أو هو استثناء منقطع. أى ولكن رحمة ربّى هى التى تصرف الإساءة.

وقيل هو من كلام امرأة العزيز أى (ذلك) الذى قلت (ليعلم) يوسف (أنّى لم أخنه) ولم أكذب عليه فى حال الغيبة وجئت بالصدق فيما سئلت عنه (وما أبرّئ نفسى) مع ذلك من الخيانة فإنّى قد خنته حين قرفته وقلت (ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلّا أن يسجن) وأودعته السجن — تريد الاعتذار مما كان منها — إنّ كلّ نفس (لأمّارة بالسوء إلّا ما رحم ربّى) إلّا نفسا رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف (إنّ ربّى غفور رحيم) استغفرت ربّها واسترحمته مما ارتكبت. وإنّما جعل من كلام يوسف ولا دليل عليه ظاهر لأن المعنى يقود إليه. وقيل هذا من تقديم القرآن وتأخيره أى قوله (ذلك ليعلم) متّصل بقوله (فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطّعن أيديهنّ).

وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي[1] فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ[2] قَالَ[3] إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ[4] ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ[5] ﴿٥٥﴾

---

(١) اجعله خالصا لنفسى .

(٢) (فلمّا كلّمه) وشاهد منه ما لم يحتسب .

(٣) (قال) الملك ليوسف .

(٤) (مكين) ذو مكانة ومنزلة. (أمين) مؤتمن على كلّ شيء. روى أنّ الرسول جاءه ومعه سبعون حاجبا وسبعون مركبا و بعث إليه لباس الملوك فقال أجب الملك فخرج من السجن. ودعا لأهله اللهم عطّف عليهم قلوب الأخيار، ولا تعم عليهم الأخبار. فهم أعلم الناس بالأخبار فى الواقعات. وكتب على باب السجن هذه منازل البلواء، وقبور الأحياء، وشماتة الأعداء، وتجربة الأصدقاء. ثمّ اغتسل وتنظّف من درن السجن ولبس ثيابا جددا . فلمّا دخل على الملك قال اللّهم إنّى أسألك بخيرك من خيره ، وأعوذ بعزّتك وقدرتك من شرّه . ثمّ سلّم عليه ودعا له بالعبرانيّة . فقال ما هذا اللسان ؟ قال لسان آبائى . وكان الملك يتكلّم بسبعين لسانا فكلّمه بها فأجابه بجميعها فتعجّب منه . وقال أيّها الصدّيق إنّى أحبّ أن أسمع رؤياى منك . قال رأيت بقرات فوصف لونهنّ وأحوالهنّ ومكان خروجهنّ . ووصف السنابل وما كان منها على الهيئة التى رآها الملك . وقال له من حقّك أن تجمع الطعام فى الأهراء فيأتيك الخلق من النواحى ويمتارون منك ويجتمع لك من الكنوز ما لم يجتمع لأحد قبلك. قال الملك: ومن لى بهذا ومن يجمعه ؟ (قال) يوسف (اجعلنى على خزائن الأرض) ولّنى على خزائن أرضك يعنى مصر .

(٥) أمين أحفظ ما تستحفظنيه ، عالم بوجوه التصرّف . وصف نفسه بالأمانة والكفاية وهما طلبة الملوك ممن يولّونه . و إنّما قال ذلك ليتوصّل إلى إمضاء أحكام الله و إقامة الحقّ و بسط العدل والتمكّن ممّا لأجله بعث الأنبياء إلى العباد ، ولعلمه أنّ أحدا غيره لا يقوم مقامه فى ذلك . فطلبه ابتغاء وجه الله لا لحبّ الملك والدنيا . وفى الحديث "رحم الله أخى يوسف لو لم يقل اجعلنى على خزائن الأرض لاستعمله من ساعته ولكنّه أخر ذلك سنة" .

وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ[1] يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ[2] نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا[3] مَن نَّشَآءُ[4] وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ[5] ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟[6] وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ[7] ﴿٥٧﴾ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ

قالوا : وفيه دليل على أنّه يجوز أن يتولّى الإنسان عمالة من يد سلطان جائر. وقد كان السلف يتولّون القضاء من جهة الظلمة . وإذا علم النبيّ أو العالم أنّه لا سبيل إلى الحكم بأمر الله ودفع الظلم إلّا بتمكين الملك الكافر أو الفاسق فله أن يستظهر به . وقيل : كان الملك يصدر عن رأيه ولا يعترض عليه فى كلّ ما رأى وكان فى حكم التابع له .

[1] ومثل ذلك التمكين الظاهر (مكّنّا ليوسف فى الأرض) أرض مصر . وكانت أربعين فرسخا فى أربعين. والتمكين الإقدار وإعطاء المُكْنة .

[2] أى كلّ مكان أراد أن يتّخذه منزلا لم يمنع منه لاستيلائه على جميعها ودخولها تحت سلطانه . (نشاء) مكيّ .

[3] بعطائنا فى الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم .

[4] من اقتضت الحكمة أن نشاء له ذلك .

[5] (ولا نضيع أجر المحسنين) فى الدنيا .

[6] يريد يوسف وغيره من المؤمنين إلى يوم القيامة .

[7] (وكانوا يتّقون) الشرك والفواحش. قال سفيان بن عيينة: المؤمن يثاب على حسناته فى الدنيا والآخرة. والفاجر يعجّل له الخير فى الدنيا وماله فى الآخرة من خلاق. وتلا الآية. روى أنّ الملك توّج يوسف وختمه بخاتمه وردّاه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكلّلا بالدرّ والياقوت. فقال: أمّا السرير فأشدّ به ملكك. وأمّا الخاتم فأدبّر به أمرك. وأمّا التاج فليس من لباسى ولا لباس آبائى . فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوّض الملك إليه أمره . وعزل قطفير. ثمّ مات بعد . فزوّجه الملك امرأته . فلمّا دخل عليها قال أليس هذا خيراً مما طلبت ؟ فوجدها عذراء. فولدت له ولدين افرائيم وميشا. وأقام العدل بمصر وأحبّته الرجال والنساء وأسلم على يديه الملك وكثير من الناس . وباع من أهل مصر فى سنى القحط الطعام بالدراهم والدنانير

وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ(١) ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ(٢) قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ(٣) أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ(٤) وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ(٥) ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى(٦) وَلَا تَقْرَبُونِ(٧) ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ(٨) وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ(٩) ﴿٦١﴾

فى السنة الأولى حتّى لم يبق معهم شىء منها ، ثمّ بالحلىّ والجواهر فى الثانية ، ثمّ بالدوابّ فى الثالثة ، ثمّ بالعبيد والإماء فى الرابعة ، ثمّ بالدور والعقار فى الخامسة ، ثمّ بأولادهم فى السادسة ، ثمّ برقابهم فى السابعة حتّى استرقّهم جميعا . ثمّ أعتق أهل مصر عن آخرهم وردّ عليهم أملاكهم . وكان لا يبيع لأحد من الممتارين أكثر من حمل بعير .

وأصاب أرض كنعان نحو ما أصاب مصر فأرسل يعقوب بنيه ليمتاروا . وذلك قوله : (وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم) بلا تعريف .

(١) لتبدّل الزىّ ، ولأنه كان من وراء الحجاب ، ولطول المدّة وهو أربعون سنة .

(٢) أعطى كلّ واحد منهم حمل بعير . وقرئ بكسر الجيم شاذًّا .

(٣) روى أنّه لمّا رآهم وكلّموه بالعبرانيّة ، قال لهم : أخبرونى من أنتم وما شأنكم؟ قالوا : نحن قوم من أهل الشام رعاة أصابنا الجهد بجئنا نمتار . فقال لعلّكم جئتم عيونا تنظرون عورة بلادى . فقالوا معاذ الله ! نحن بنو نبىّ حزين لفقد ابن كان أحبّنا إليه . وقد أمسك أخا له من أمّه يستأنس به . فقال ائتونى به إن صدقتم .

(٤) أتمّه .

(٥) كان قد أحسن إنزالهم وضيافتهم . رغّبهم بهذا الكلام على الرجوع إليه .

(٦) فلا أبيعكم طعاما .

(٧) أى فإن لم تأتونى به تحرموا ولا تقرّبوا فهو داخل فى حكم الجزاء مجزوم معطوف على محلّ قوله (فلا كيل لكم) . أو هو بمعنى النهى .

(٨) سنخادعه عنه ونحتال حتّى ننزعه من يده .

(٩) (وإنّا لفاعلون) ذلك لا محالة لا نفرّط فيه ولا نتوانى . قال فدعوا بعضكم رهنا . فتركوا عنده شمعون وكان أحسنهم رأيا فى يوسف .

وَقَالَ لِفِتْيَـٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَـٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَـٰفِظًا

(١) كوفى غير أبى بكر. (لفتيته) غيرهم. وهما جمع فتى كإخوة وإخوان فى أخ. وفعلة للقلة وفعلان للكثرة. أى لغلمانه الكيالين.

(٢) أوعيتهم وكانت نعالا أو أدما أو ورقا وهو أليق بالدس فى الرحال.

(٣) يعرفون حق ردها وحق التكرم بإعطاء البدلين.

(٤) (إذا انقلبوا إلى أهلهم) وفرغوا ظروفهم.

(٥) لعل معرفتهم بذلك تدعوهم إلى الرجوع إلينا، أو ربما لا يجدون بضاعة بها يرجعون، أو ما فيهم من الديانة يعيدهم لرد الأمانة، أو لم ير من الكرم أن يأخذ من أبيه وإخوته ثمنا.

(٦) (فلما رجعوا إلى أبيهم) بالطعام وأخبروه بما فعل.

(٧) يريدون قول يوسف (فإن لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى) لأنهم إذا أنذروا بمنع الكيل فقد منع الكيل.

(٨) نرفع المانع من الكيل و(نكتل) من الطعام ما نحتاج إليه. (يكتل) حمزة وعلى أى يكتل أخونا فينضم اكتياله إلى اكتيالنا.

(٩) (وإنا له لحافظون) عن أن يناله مكروه.

(١٠) يعنى أنكم قلتم فى يوسف (أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وإنا له لحافظون) كما تقولونه فى أخيه ثم خنتم بضمانكم فما يؤمننى من مثل ذلك؟ ثم قال (فالله خير حافظا). فتوكل على الله فيه ودفعه إليهم.

(١١) كوفى غير أبى بكر، وهو حال أو تمييز. ومن قرأ (حفظا) فهو تمييز لا غير.

وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ(١) ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي(٢) هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ(٣) ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ(٤) ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا(٥) مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ(٦) إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ(٧)

---

(١) فأرجو أن ينعم علىّ بحفظه ولا يجمع علىّ مصيبتين . قال كعب لمّا قال (فالله خير حفظا) قال الله تعالى وعزّتى وجلالى لأردّنّ عليك كليهما .

(٢) (ما) للنفى، أى (ما نبغى) فى القول ولا نتجاوز الحقّ. أو (ما نبغى شيئا) وراء مافعل بنا من الإحسان. أو ما نريد منك بضاعة أخرى. أو للاستفهام، أى أىّ شىء نطلب وراء هذا؟

(٣) (هذه بضاعتنا ردّت إلينا) جملة مستأنفه موضّحة لقوله (ما نبغى) والجمل بعدها معطوفة عليها أى أنّ بضاعتنا (ردّت الينا) فنستظهر بها (ونمير أهلنا) فى رجوعنا إلى الملك . أى نجلب لهم ميرة . وهى طعـام يحمل من غير بلدك (ونحفظ أخانا) فى ذهابنا ومجيئنا فمـا يصيبه شىء ممـا تخافه (ونزداد) وسق (بعير) باستصحاب أخينا .

(٤) سهل عليه متيسّر لا يتعاظمه .

(٥) (حتّى تؤتون) وباليـاء مكّىّ (موثقا) عهدا (من الله) . والمعـنى حتّى تعطونى ما أتوثّق به من عند الله . أى أراد أن يحلفوا له بالله . وإنّمـا جعل الحلف بالله موثقا منه لأنّ الحلف به ممّـا يؤكّد به العهود . وقد أذن الله فى ذلك فهو إذن منه .

(٦) جواب اليمين لأنّ المعنى حتّى تحلفوا (لتأتنّنى به) .

(٧) إلا أن تغلبوا فلم تطيقوا الإتيان به فهو مفعول له . والكلام المثبت — وهو قوله (لتأتنّنى به) — فى تأويل النفى . أى لا تمتنعوا من الإتيان به إلا للإحاطة بكم. يعنى لا تمنعوا منه لعلّة من العلل إلا لعلّة واحدة وهى (أن يحاط بكم). فهو استثناء من أعمّ العامّ فى المفعول له. والاستثناء من أعمّ العامّ لا يكون إلاّ فى النفى . فلا بدّ من تأويله بالنفى .

فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ

(١) قيل حلفوا بالله ربّ محمد عليه السلام .

(٢) بعضهم يسكت عليه لأن المعنى (قال) يعقوب . غير أنّ السكته تفصل بين القول والمقول وذا لا يجوز . فالأولى أن يفرّق بينهما بالصوت فيقصد بقوة النغمة اسم الله .

(٣) من طلب الموثق وإعطائه .

(٤) رقيب مطّلع .

(٥) الجمهور على أنّه خاف عليهم العين لجمالهم وجلالة أمرهم . ولم يأمرهم بالتفرق فى الكرة الأولى لأنّهم كانوا مجهولين فى الكرة الأولى . فالعين حقّ عندنا . ووجه بأن يحدث الله تعالى عند النظر إلى الشيء والإعجاب به نقصانا فيه خللا . وكان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يعوّذ الحسن والحسين رضى الله عنهما فيقول : أعيذكما بكلمات الله التامّة من كلّ هامّة ، ومن كل عين لامّة . وأنكر الجبائى العين وهو مردود بما ذكرنا . وقيل إنّه أحبّ ألاّ يفطن بهم أعداؤهم فيحتالوا لإهلاكهم .

(٦) أى إن كان الله أراد بكم سوءا لم ينفعكم ولم يدفع عنكم ما أشرت به عليكم من التفرق وهو مصيبكم لا محالة .

(٧) التوكّل تفويض الأمر إلى الله تعالى والاعتماد عليه .

(٨) أى متفرقين .

(٩) (ما كان يغنى عنهم) دخولهم من أبواب متفرقة .

(١٠) أى شيئا قطّ حيث أصابهم ماساءهم مع تفرّقهم من إضافة السرقة إليهم ، وافتضاحهم بذلك ، وأخذ أخيهم بوجدان الصواع فى رحله ، وتضاعف المصيبة على أبيهم .

إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا[(1)] وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ[(2)] لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ[(3)] وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ[(4)] ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ[(5)] قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ[(6)] ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ[(7)] جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ[(8)] فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ[(9)] أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ[(10)]

(١) (إلّا حاجة) استثناء منقطع أى ولكن حاجة (فى نفس يعقوب قضاها) وهى شفقته عليهم .

(٢) يعنى قوله (وما أغنى عنكم) وعلمه بأنّ القدر لا يغنى عنه الحذر .

(٣) لتعليمنا إيّاه .

(٤) (لا يعلمون) ذلك .

(٥) ضمّ إليه بنيامين .

(٦) روى أنّهم قالوا له : هـذا أخونا قد جئناك به ، فقال لهم أحسنتم . فأنزلهم وأكرمهم ثمّ أضافهم وأجلس كلّ اثنين منهم على مائدة فبقى بنيامين وحده فبكى وقال لو كان أخى يوسف حيًّا لأجلسنى معه . فقال يوسف بقى أخوكم وحيدا فأجلسه معه على مائدته وجعل يؤاكله. وقال له أتحبّ أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك؟ قال ومن يجد أخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل . فبكى يوسف وعانقه . ثمّ قال له (إنّى أنا أخوك) يوسف (فلا تبتئس) فلا تحزن (بما كانوا يعملون) بنا فيما مضى. فإنّ الله قد أحسن إلينا وجمعنا على خير. ولا تعلمهم بما أعلمتك . وروى أنّه قال له فأنا لا أفارقك . قال لقد علمت اغتمام والدى بى. فإن حبستك ازداد غمّه . ولا سبيل إلى ذلك إلّا أن أنسبك إلى ما لا يجمد . قال لا أبالى. فافعل ما بدا لك. قال فإنى أدس صاعى فى رحلك ثمّ أنادى عليك بأنّك سرقته ليتهيّأ لى ردّك بعد تسريحك معهم . فقال افعل .

(٧) هيّأ أسبابهم وأوفى الكيل لهم .

(٨) السقاية هى مشربة يسقى بها وهى الصواع . قيل كان يسقى بهـا الملك ثمّ جعلت صاعا يكال به لعزّة الطعام . وكان يشبه الطاس من فضّة أو ذهب .

(٩) ثمّ نادى مناد. آذنه أى أعلمه . وأذّن أكثر الإعلام . ومنه المؤذّن لكثرة ذلك منه. روى أنّهم ارتحلوا وأمهلهم يوسف عليه السلام حتّى انطلقوا ثمّ أمر بهم فأدركوا وحبسوا ثمّ قيل لهم (أيّتها العير إنّكم لسارقون) .

(١٠) هى الإبل التى عليها الأحمال لأنّها تعير أى تذهب وتجىء . والمراد أصحاب العير .

إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ[1] ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ[2] وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ[3] ﴿٧٢﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ[4] لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ[5] وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ[6] ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ[7] إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ[8] ﴿٧٤﴾ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ[9] فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ[10] كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ[11] ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ[12] ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا[13]

---

(١) كناية عن سرقتهم إياه من أبيه .

(٢) هو الصاع .

(٣) يقوله المؤذن يريد وأنا بحمل البعير كفيل أؤدّيه إلى من جاء به . وأراد وِسْق بعير من طعام جعلا لمن حصّله .

(٤) قسم فيه معنى التعجّب مما أضيف إليهم .

(٥) استشهدوا بعلمهم لما ثبت عندهم من دلائل دينهم وأمانتهم حيث دخلوا وأفواه رواحلهم مشدودة لئلا تتناول زرعا أو طعاما لأحد من أهل السوق ، ولأنّهم ردّوا بضاعتهم التى وجدوها فى رحالهم .

(٦) وما كنّا نوصف قطّ بالسرقة .

(٧) الضمير للصواع أى فما جزاء سرقته .

(٨) (إن كنتم كاذبين) فى جحودكم وادّعائكم البراءة منه .

(٩) أى جزاء سرقته أخذ من وجد فى رحله . وكان حكم السارق فى آل يعقوب أن يسترقّ سنة . فلذلك استفتوا فى جزائه .

(١٠) تقرير الحكم . أى فأخذ السارق نفسه هو جزاؤه لا غير .
أو (جزاؤه) مبتدأ والجملة الشرطية كما هى خبره .

(١١) (كذلك نجزى الظالمين) أى السراق ، بالاسترقاق .

(١٢) فبدأ بتفتيش أوعيتهم قبل وعاء بنيامين لنفى التهمة حتّى بلغ وعاءه فقال ما أظنّ هذا أخذ شيئا . فقالوا والله لا نتركه حتّى تنظر فى رحله فإنّه أطيب لنفسك وأنفسنا .

(١٣) أى الصواع . ذكّر ضمير الصواع مرّات ثم أنّثه لأنّ التأنيث يرجع إلى السقاية ،

مِن وِعَآءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ[١] مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ[٢] إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ[٣] نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ[٤] مَّن نَّشَآءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ[٥] ﴿٧٦﴾ قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ[٦] فَأَسَرَّهَا[٧] يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ

أو لأن الصواع يذكّر ويؤنّث . روى أنّهم لمّا استخرجوا الصاع من رحل بنيامين نكس إخوته رءوسهم حياء وأقبلوا عليه وقالوا له فضحتنا وسوّدت وجوهنا . يا بنى راحيل ما يزال لنا منكم بلاء . متى أخذت هذا الصاع؟ فقال بنو راحيل الذين لا يزال منكم عليهم بلاء . ذهبتم بأخى فأهلكتموه . ووضع هذا الصواعَ فى رحلى الذى وضع البضاعة فى رحالكم .

(١) الكاف فى محلّ النصب أى مثل ذلك الكيد العظيم (كدنا ليوسف) يعنى علّمناه إيّاه.

(٢) تفسير للكيد وبيان له ، لأنّ الحكم فى دين الملك — أى فى سيرته — للسارق أن يغرم مثلى ما أخذ لا أن يستعبد .

(٣) أى ما كان ليأخذه إلّا بمشيئة الله وإرادته فيه .

(٤) بالتنوين كوفىّ أى فى العلم كما رفعنا درجة يوسف فيه .

(٥) فوقه أرفع درجة منه فى علمه . أو فوق العلماء كلّهم عليم (هو) دونه فى العلم وهو الله عزّ وجلّ .

(٦) أرادوا يوسف . قيل دخل كنيسة فأخذ تمثالا صغيرا من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه . وقيل كان فى المنزل دجاجة فأعطاها السائل . وقيل كانت منطقة لإبراهيم عليه السلام يتوارثها أكابر ولده فورثها إسحق ثمّ وقعت إلى ابنته وكانت أكبر أولاده فحضنت يوسف وهى عمّته بعد وفاة أمّه، وكانت لا تصبر عنه . فلمّا شبّ أراد يعقوب أن ينزعه منها فعمدت إلى المنطقة فحزمتها على يوسف تحت ثيابه وقالت: فقدت منطقة إسحق فانظروا من أخذها . فوجدوها محزومة على يوسف . فقالت إنّه لى سَلَم افعل به ما شئت . فخلاه يعقوب عندها حتّى ماتت .

(٧) أى مقالتهم إنّه سرق كأنّه لم يسمعها .

يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا[١] وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ[٢] ﴿٧٧﴾ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا[٣] فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ[٤] إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ[٥] ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ[٦] إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ[٧] ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا[٨] مِنْهُ[٩] خَلَصُوا نَجِيًّا[١٠] قَالَ كَبِيرُهُمْ[١١] أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ[١٢] فِي يُوسُفَ

(١) تمييز. أى أنتم شرّ منزلة فى السرَق لأنكم سرقتم أخاكم يوسف من أبيه .

(٢) تقولون أو تكذبون .

(٣) (كبيرا) فى السنّ وفى القدر .

(٤) أبدله على وجه الاسترهان أو الاستعباد. فإنّ أباه يتسلّى به عن أخيه المفقود .

(٥) (إنّا نراك من المحسنين) إلينا فأتمم إحسانك . أو من عادتك الإحسان فاجر على عادتك ولا تغيّرها .

(٦) أي نعوذ بالله معاذا من أن نأخذ . فأضيف المصدر إلى المفعول به وحذف من .

(٧) (إذا) جواب لهم وجزاء لأنّ المعنى إن أخذنا بدله ظلمنا . وهذا لأنّه وجب على قضية فتواكم أخذ من وجد الصاع فى رحله واستعباده . فلو أخذنا غيره كان ذلك ظلما فى مذهبكم . فلم تطلبون ما عرفتم أنه ظلم ؟

(٨) يئسوا . وزيادة السين والتاء للمبالغة كما مرّ فى (استعصم) .

(٩) من يوسف وإجابته إيّاهم .

(١٠) (خلصوا) انفردوا عن الناس خالصين لا يخالطهم سواهم (نجيّا) ذوى نجوى ، أو فوجا(نجيّا)أى مناجيا لمناجاة بعضهم بعضا. أو تمحضوا تناجيا لاستجماعهم لذلك و إفاضتهم فيه بجدّ واهتمام كأنّهم فى أنفسهم صورة التناجى وحقيقته . فالنجيّ يكون بمعنى المناجى كالسمير بمعنى المسامر ، و بمعنى المصدر الذى هو التناجى . و كان تناجيهم فى تدبير أمرهم على أيّ صفة يذهبون وماذا يقولون لأبيهم فى شأن أخيهم .

(١١) (كبيرهم) فى السنّ وهو روبين. أو فى العقل والرأى وهو يهوذا. أو رئيسهم وهو شمعون.

(١٢) (ما) صلة . أى ومن قبل هذا قصّرتم فى شأن يوسف ولم تحفظوا عهد أبيكم . أو مصدريّة . ومحلّ المصدر الرفع على الابتداء . وخبره الظرف وهو (من قبل) . ومعناه وقع (من قبلُ) تفريطكم (فى يوسف) .

فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ(١) حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ(٢) أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِي(٣) وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ(٤) ۝ ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ(٥) وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا(٦) وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ(٧) ۝ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا(٨) وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا(٩) وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ۝ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا(١٠) فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ(١١) جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ(١٢) ٱلْحَكِيمُ(١٣) ۝ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ(١٤)

---

(١) فلن أفارق أرض مصر .

(٢) (حتّى يأذن لى أبى) فى الانصراف إليه .

(٣) (أو يحكم الله لى) بالخروج منها أو بالموت أو بقتالهم .

(٤) لأنّه لا يحكم إلّا بالعدل .

(٥) وقرئ (سُرِّق) ، أى نسب إلى السرقة .

(٦) (وما شهدنا) عليه بالسرقة (إلّا بما علمنا) من سرقته وتيقّنّا إذ الصواع استخرج من وعائه .

(٧) وما علمنا أنّه سيسرق حين أعطيناك الموثق .

(٨) يعنى مصر . أى أرسل إلى أهلها فاسألهم عن كنه القصّة .

(٩) وأصحاب العير . وكانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب عليه السلام .

(١٠) (و إنّا لصادقون) فى قولنا . فرجعوا إلى أبيهم وقالوا له ما قال لهم أخوهم (قال بل سوّلت لكم أنفسكم أمرا) أردتموه. و إلا فمن أدرى ذلك الرجل أنّ السارق يسترقّ لولا فتواكم وتعليمكم .

(١١) بيوسف وأخيه وكبيرهم .

(١٢) (العليم) بحالى فى الحزن والأسف .

(١٣) الذى لم يبتلنى بذلك إلّا لحكمة .

(١٤) وأعرض عنهم كراهة لما جاءوا به .

وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ[1] عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ[2] عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ[3] فَهُوَ كَظِيمٞ[4] ﴿٨٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ[5] تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا[6] أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾

---

(١) أضاف الأسف — وهو أشدّ الحزن والحسرة — إلى نفسه . والألف بدل من ياء الإضافة . والتجانس بين الأسف ويوسف غير متكلّف . ونحوه (اثّاقلتم إلى الأرض أرضيتم) . (وهم ينهون عنه وينأون عنه) . (ويحسبون أنّهم يحسنون صنعا) (من سبأ بنبأ) . وإنّما تأسّف على يوسف دون أخيه وكبيرهم لتمادى أسفه على يوسف دون الآخرين . وفيه دليل على أنّ الرزء فيه مع تقادم عهده كان غضّا عنده طريّا .

(٢) إذا كثر الاستعبار محقت العبرة سواد العين وقلبته إلى بياض كدر . قيل قد عمى بصره . وقيل كان يدرك إدراكا ضعيفا .

(٣) لأن الحزن سبب البكاء الذى حدث منه البياض فكأنّه حدث من الحزن . قيل ما جفت عينا يعقوب من وقت فراق يوسف إلى حين لقائه ثمانين عاما ، وما على وجه الأرض أكرم على الله من يعقوب . ويجوز للنبيّ عليه السلام أن يبلغ به الجزع ذلك المبلغ لأنّ الإنسان مجبول على ألّا يملك نفسه عند الحزن ، فلذلك حمد صبره . ولقد بكى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على ولده إبراهيم . وقال "القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الربّ وإنّا عليك يا إبراهيم لمحزونون" . وإنّما المذموم الصياح والنياحة ولطم الصدور والوجوه وتمزيق الثياب .

(٤) مملوء من الغيظ على أولاده ولا يظهر ما يسوءهم . فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله : (إذ نادى وهو مكظوم) من كظم السقاء إذا شدّه على ملئه .

(٥) أى لا تفتأ فحذف حرف النفى لأنّه لا يلتبس إذ لو كان إثباتا لم يكن بدّ من اللام والنون . ومعنى لا تفتأ لا تزال .

(٦) مشفيا على الهلاك مرضا .

قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ(١) وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ(٢) ﴿٨٦﴾ يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ(٣) مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ(٤) مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ(٥) لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ(٦) وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ(٧) فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ(٨)

(١) البثّ أصعب الهمّ الذى لا يصبر عليه صاحبه فيبثّه إلى الناس ، أى ينشره . أى لا أشكو إلى أحد منكم ومن غيركم . إنّما أشكو إلى ربّى داعيا له وملتجئا إليه . فخلّونى وشكايتى . وروى أنّه أوحى إلى يعقوب إنّما وجدت عليكم لأنكم ذبحتم شاة فوقف ببابكم مسكين فلم تطعموه . وإنّ أحبّ خلق إلىّ الأنبياء ثمّ المساكين . فاصنع طعاما وادع عليه المساكين . وقيل اشترى جارية مع ولدها فباع ولدها فبكت حتّى عميت .

(٢) وأعلم من رحمته أنّه يأتينى بالفرج من حيث لا أحتسب وروى أنّه رأى ملك الموت فى منامه فسأله هل قبضت روح يوسف ؟ فقال لا والله هو حىّ فاطلبه . وعلّمه هذا الدعاء : ياذا المعروف الدائم الذى لا ينقطع معروفه أبدا ولا يحصيه غيرك ، فرّج عنّى .

(٣) فتعرّفوا منهما وتطلّبوا خبرهما . وهو تفعّل من الإحساس وهو المعرفة .

(٤) ولا تقنطوا من رحمة الله وفرجه .

(٥) إنّ الأمر والشأن .

(٦) (إنه لا ييأس من روح الله إلّا القوم الكافرون) لأنّ من آمن يعلم أنّه متقلّب فى رحمة الله ونعمته . وأمّا الكافر فلا يعرف رحمة الله ولا تقلّبه فى نعمته فييأس من رحمته . فخرجوا من عند أبيهم راجعين إلى مصر (فلمّا دخلوا عليه) على يوسف (قالوا يأيّها العزيز مسّنا وأهلنا الضرّ) الهزال من الشدّة والجوع .

(٧) مدفوعة يدفعها كلّ تاجر رغبة عنها واحتقارا لها . من أزجيته إذا دفعته وطردته . قيل كانت دراهم زيوفا لا تؤخذ إلا بوضيعة وقيل كانت صوفا وسمنا .

(٨) الذى هو حقّنا .

وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ(١) إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ۝ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ(٢) ۝ قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ(٣) لَأَنتَ يُوسُفُ(٤) قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى(٥) قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ(٦) إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ(٧) وَيَصْبِرْ(٨) فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ(٩) ۝ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا(١٠) وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ(١١) ۝

---

(١) وتفضّل علينا بالمسامحة والإغماض عن رداءة البضاعة . أو زدنا على حقّنا . أو هب لنا أخانا .

(٢) لمّا قالوا(مسّنا وأهلنا الضرّ)وتضرّعوا إليه وطلبوا منه أن يتصدّق عليهم ارفضّت عيناه ولم يتمالك أن عرّفهم نفسه حيث (قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف) ؟ أى هل علمتم قبح مافعلتم بيوسف وأخيه (إذ أنتم جاهلون) لاتعلمون قبحه ، أو إذ أنتم فى حدّ السفه والطيش؟ وفعلهم بأخيه تعريضهم إيّاه للغمّ بإفراده عن أخيه لأبيه وأمّه، و إيذاؤهم له بأنواع الأذى .

(٣) بهمزتين كوفىّ وشامىّ .

(٤) اللام لام الابتداء و (أنت) مبتدأ و(يوسف) خبره . والجملة خبر إنّ .

(٥) وإنّما ذكر أخاه وهم قد سألوه عن نفسه لأنّه كان فى ذكر أخيه بيان لما سألوه عنه.

(٦) (قد منّ الله علينا) بالألفة بعد الفرقة. وذكر نعمة الله بالسلامة والكرامة، ولم يبدأ بالملامة .

(٧) (إنّه من يتّق) الفحشاء .

(٨) (ويصبر) عن المعاصى وعلى الطاعة .

(٩) أى أجرهم . فوضع المحسنين موضع الضمير لاشتماله على المتّقين والصابرين. وقيل: من يتّق مولاه ، ويصبر على بلواه ، لا يضيّع أجره فى دنياه وعقباه .

(١٠) اختارك وفضّلك علينا بالعلم والحلم والتقوى والصبر الحسن .

(١١) وإنّ شأننا وحالنا أنّا كنّا خاطئين متعمّدين للإثم لم نتّق ولم نصبر . لا جرم أنّ الله أعزّك بالملك وأذلّنا بالتمسكن بين يديك .

قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ (١) ٱلْيَوْمَ (٢) يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ (٣) ﴿٩٢﴾ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا (٤) فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا (٥) وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ (٦) ﴿٩٣﴾

---

(١) لا تعيير عليكم .

(٢) متعلق بالتثريب أو بيغفر. والمعنى لا أثرّبكم اليوم وهو اليوم الذى هو مظنّة التثريب فما ظنّكم بغيره من الأيّام ؟ ثمّ ابتدأ فقال : (يغفر الله لكم) . فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم . يقال غفر الله لك و يغفر لك على لفظ المـاضى والمضارع. أو (اليوم يغفر الله لكم) بشارة بعاجل غفران الله . وروى أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أخذ بعضادتى باب الكعبة يوم الفتح فقال لقريش : ما ترونى فاعلا بكم؟ قالوا نظنّ خيرا . أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت . فقال أقول ما قال أخى يوسف (لا تثريب عليكم اليوم) . وروى أنّ أبا سفيان لمـّا جاء ليسلم قال له العباس إذا أتيت رسول الله فاتل عليه (قال لا تثريب عليكم اليوم). ففعل. فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم غفر الله لك ولمن علّمك . ويروى أنّ إخوته لمـّا عرفوه أرسلوا إليه أنّك تدعونا إلى طعامك بكرة وعشيّا ونحن نستحي منك لمـا فرط منّا فيك . فقال يوسف إنّ أهل مصر وإن ملكت فيهم فإنّهم ينظرون إلىّ بالعين الأولى ويقولون سبحان من بلّغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ . ولقد شرفت الآن بكم حيث علم الناس أنّى من حفدة إبراهيم .

(٣) أى إذا رحمتكم وأنا الفقير القتور، فما ظنّكم بالغنىّ الغفور ؟

(٤) سألهم عن حال أبيه. فقالوا إنّه عمى من كثرة البكاء. قال (اذهبوا بقميصى هذا) . قيل هو القميص المتوارث الذى كان فى تعويذ يوسف وكان من الجنّة أمره جبريل أن يرسله إليه فإنّ فيه ريح الجنّة لا يقع على مبتلى ولا سقيم إلّا عوفى .

(٥) يصر بصيرا . تقول جاء البناء محكما أى صار . أو (يأت) إلىّ وهو بصير. قال يهوذا أنا أحمل قميص الشفاء ، كما ذهبت بقميص الجفاء . وقيل حمله وهو حاف حاسر من مصر إلى كنعان وبينهما مسيرة ثمـانين فرسخا .

(٦) لينعموا بآثار ملكى ، كما اغتمّوا بأخبار هلكى .

وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ(١) قَالَ أَبُوهُمْ(٢) إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ(٣) لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ(٤) ۝ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ(٥) الْقَدِيمِ(٦) ۝ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ(٧) أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ(٨) فَارْتَدَّ(٩) بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ(١٠) ۝

(١) خرجت من عريش مصر . يقال فصل من البلد فصولا إذا انفصل منه وجاوز حيطانه .

(٢) (قال أبوهم) لولد ولده ومن حوله من قومه .

(٣) أوجده الله ريح القميص حين أقبل من مسيرة ثمانية أيام .

(٤) التفنيد النسبة إلى الفند وهو الخرف وإنكار العقل من هرم يقال شيخ مفنّد . والمعنى لولا تفنيدكم إيّاى لصدّقتمونى .

(٥) أى أسياطه .

(٦) لفى ذهابك عن الصواب قديما فى إفراط محبّتك ليوسف . أو فى خطائك القديم من حبّ يوسف . وكان عندهم أنّه قد مات .

(٧) أى يهوذا .

(٨) طرح البشير القميص على وجه يعقوب . أو ألقاه يعقوب .

(٩) فرجع . يقال ردّه فارتدّ . وارتدّه إذا ارتجعه .

(١٠) (قال ألم أقل لكم) يعنى قوله (إنّى لأجد ريح يوسف) أو قوله (ولا تيأسوا من روح الله). وقوله (إنّى أعلم من الله ما لا تعلمون) كلام مبتدأ لم يقع عليه القول. أو وقع عليه والمراد قوله (إنّما أشكو بثّى وحزنى إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون). وروى أنّه سأل البشير كيف يوسف؟ قال هو ملك مصر فقال ما أصنع بالملك؟! على أىّ دين تركته؟ قال على دين الإسلام. قال الآن تمّت النعمة .

قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ[١] ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ[٢] ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا[٣] وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ[٤] مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا

---

(١) أى سل الله مغفرة ما ارتكبنا فى حقك وحق ابنك . إنّا تبنا واعترفنا بخطايانا .

(٢) أخر الاستغفار إلى وقت السحر ، أو إلى ليلة الجمعة ، أو ليتعرف حالهم فى صدق التوبة ، أو إلى أن يسأل يوسف هل عفا عنهم .

ثمّ إنّ يوسف وجه إلى أبيه جهازا ومائتى راحلة ليتجهز إليه بمن معه . فلمّا بلغ قريبا من مصر خرج يوسف والملك فى أربعة آلاف من الجند والعظماء وأهل مصر بأجمعهم فتلقوا يعقوب وهو يمشى يتوكأ على يهوذا (فلمّا دخلوا على يوسف آوى إليه) ضمّ إليه (أبويه) واعتنقهما. قيل كانت أمّه باقية . وقيل ماتت وتزوج أبوه خالته. والخالة أمّ كما أنّ العمّ أب. ومنه قوله (وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق) . ومعنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر أنه حين استقبلهم أنزلهم فى مضرب خيمة أو قصر كان له ثمّة فدخلوا عليه وضمّ إليه أبويه (وقال) لهم بعد ذلك (ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين) من ملوكها. وكانوا لا يدخلونها إلّا بجواز أو من القحط. وروى أنه لمّا لقيه قال يعقوب عليه السلام: السلام عليك يامذهب الأحزان. وقال له يوسف : يا أبت بكيت علىّ حتّى ذهب بصرك ألم تعلم أنّ القيامة تجمعنا ؟ قال بلى . ولكن خشيت أن يسلب دينك فيحال بينى وبينك . وقيل إنّ يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجال ونساء وخرجوا منها مع موسى ومقاتلتهم ستمائة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعون رجلا سوى الذرية والهرمى . وكانت الذرية ألف ألف ومائتى ألف .

(٣) قيل لمّا دخلوا مصر وجلس فى مجلسه مستويا على سريره واجتمعوا إليه أكرم أبويه فرفعهما على السرير (وخرّوا له) يعنى الإخوة الأحد عشر والأبوين (سجدا) وكانت السجدة عندهم جارية مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد. وقال الزجاج: سنة التعظيم فى ذلك الوقت أن يسجد للمعظم. وقيل ما كانت إلّا انحناء دون تعفير الجباه . وخرورهم سجدا يأباه . وقيل (وخرّوا) لأجل يوسف (سجدا) لله شكرا . وفيه نبوة أيضا. واختلف فى استنبائهم.

(٤) أى الرؤيا .

رَبِّي حَقًّا[1] وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ[2] إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ[3] وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ[4] مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ[5] إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ[6] إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ[7] ﴿١٠٠﴾ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ[8] وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ[9] فَاطِرَ[10] ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ[11] تَوَفَّنِي مُسْلِمًا[12]

(١) أى صادقة . وكان بين الرؤيا و بين التأويل أربعون سنة أو ثمانون أو ست وثلاثون أو اثنتان وعشرون .

(٢) يقال أحسن إليه و به وكذلك أساء إليه و به .

(٣) ولم يذكر الجب لقوله (لا تثريب عليكم اليوم) .

(٤) من البادية لأنهم كانوا أصحاب مواش ينتقلون فى المياه والمناجع .

(٥) أى أفسد بيننا وأغرى .

(٦) أى لطيف التدبير (لما يشاء) .

(٧) (الحكيم) بتأخير الآمال إلى الآجال . أو حكم بالائتلاف بعد الاختلاف .

(٨) ملك مصر .

(٩) تفسير كتب الله أو تعبير الرؤيا . و (من) فيهما للتبعيض إذ لم يؤت إلا بعض ملك الدنيا و بعض التأويل .

(١٠) انتصابه على النداء .

(١١) أنت الذى تتولانى بالنعمة فى الدارين ، و بوصل الملك الفانى بالملك الباقى .

(١٢) طلب الوفاة على حال الإسلام كقول يعقوب لولده (ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) . وعن الضحاك ، مخلصا . وعن التسترى (مسلما) إليك أمرى . وفى عصمة الأنبياء : إنما دعا به يوسف ليقتدى به قومه ومن بعده ممن ليس بمأمون العاقبة لأن ظواهر الأنبياء لنظر الأمم إليهم .

وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (١) ۝ ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ (٢) ۝ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (٣) ۝ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ (٤) مِنْ أَجْرٍ (٥)

---

(١) من آبائي أو على العموم .

روى أنّ يوسف أخذ بيد يعقوب فطاف به فى خزائنه فأدخله خزائن الذهب والفضّة وخزائن الثياب وخزائن السلاح حتّى أدخله خزانة القراطيس . قال يا بنيّ ما أعقّك ! عندك هذه القراطيس وما كتبت إليّ على ثمان مراحل . فقال أمرنى جبريل . قال أو ما تسأله ؟ قال أنت أبسط إليه منّى فاسأله . فقال جبريل الله أمرنى بذلك لقولك (وأخاف أن يأكله الذئب) قال فهلّا خفتنى . وروى أنّ يعقوب أقام معه أربعا وعشرين سنة ثمّ مات وأوصى أن يدفنه بالشام إلى جنب أبيه إسحق . فمضى بنفسه ودفنه ثمّة ثمّ عاد إلى مصر وعاش بعد أبيه ثلاثا وعشرين سنة . فلمّا تمّ أمره طلبت نفسه الملك الدائم فتمنّى الموت . وقيل ما تمنّاه نبيّ قبله ولا بعده . فتوفّاه الله طيّبا طاهرا . فتخاصم أهل مصر وتشاحنوا فى دفنه كلّ يحبّ أن يدفن فى محلّتهم حتى همّوا بالقتال فرأوا أن يعملوا له صندوقا من مرمر وجعلوه فيه ودفنوه فى النيل بمكان يمرّ عليه الماء ثمّ يصل إلى مصر ليكونوا كلهم فيه شرّعا حتّى نقل موسى عليه السلام بعد أربعمائة سنة تابوته إلى بيت المقدس . وولد له افرائيم وميشا وولد لإفرائيم نون ولنون يوشع فتى موسى . ولقد توارثت الفراعنة من العماليق بعده مصر . ولم تزل بنو إسرائيل تحت أيديهم على بقايا دين يوسف وآبائه .

(٢) (ذلك) إشارة إلى ماسبق من نبأ يوسف . والخطاب لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم . وهو مبتدأ (من أنباء الغيب) و (نوحيه إليك) خبران (وما كنت لديهم) لدى بنى يعقوب (إذ أجمعوا أمرهم) عزموا على ما همّوا به من إلقاء يوسف فى البئر (وهم يمكرون) بيوسف ويبغون له الغوائل . والمعنى أنّ هذا النبأ غيب لم يحصل لك إلّا من جهة الوحى لأنّك لم تحضر بنى يعقوب حين اتّفقوا على إلقاء أخيهم فى البئر .

(٣) أراد العموم أو أهل مكّة . أى وما هم بمؤمنين ولو اجتهدت كلّ الاجتهاد على إيمانهم .

(٤) على التبليغ أو على القرآن .

(٥) جُعْل .

إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ [(١)] ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ [(٢)] ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ [(٣)] ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓا۟ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ [(٤)] مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ [(٥)] بَغْتَةً [(٦)] وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ [(٧)] ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ [(٨)]

---

(١) ما هو إلاّ عظة من الله (للعالمين) وحثّ على طلب النجاة على لسان رسول من رسله .

(٢) (وكأيّن من آية) من علامة ودلالة على الخالق وعلى صفاته وتوحيده (فى السموات والأرض يمرّون عليها) على الآيات أو على الأرض ويشاهدونها (وهم عنها) عن الآيات (معرضون) لا يعتبرون بها . والمراد ما يرون من آثار الأمم الهالكة وغير ذلك من العبر .

(٣) أى وما يؤمن أكثرهم فى إقراره بالله وبأنّه خلقه وخلق السموات والأرض إلاّ وهو مشرك بعبادة الوثن . الجمهور على أنّها نزلت فى المشركين لأنّهم مقرّون بالله خالقهم ورازقهم . وإذا حزبهم أمر شديد دعوا الله . ومع ذلك يشركون به غيره . ومن جملة الشرك ما يقوله القدريّة من إثبات قدرة التخليق للعبد . والتوحيد المحض ما يقوله أهل السنة وهو أنّه لا خالق إلاّ الله .

(٤) عقوبة تغشاهم وتشملهم .

(٥) القيامة .

(٦) حال ، أى بغتة .

(٧) (وهم لا يشعرون) بإتيانها .

(٨) (هذه) السبيل التى هى الدعوة إلى الإيمان والتوحيد (سبيلى) . والسبيل والطريق يذكّران ويؤنّثان . ثمّ فسّر سبيله بقوله (أدعوا إلى الله على بصيرة) أى أدعو إلى دينه مع حجة واضحة غير عمياء .

أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي(١) وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ(٢) وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ(٣) ۝ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا(٤) نُّوحِىٓ(٥) إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ(٦) أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ(٧) خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟(٨) أَفَلَا تَعْقِلُونَ(٩) ۝ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ(١٠) وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا۟(١١) جَآءَهُمْ نَصْرُنَا(١٢)

---

(١) (أنا) تأكيد للمستتر فى (أدعو) (ومن اتّبعنى) عطف عليه أى أدعو إلى سبيل الله أنا ويدعو إليه من اتّبعنى أو (أنا) مبتدأ و (على بصيرة) خبر مقدّم (ومن اتّبعنى) عطف على (أنا). يخبر ابتداء بأنّه ومن اتّبعه على حجة و برهان لا على هوى .

(٢) وأنزّهه عن الشركاء .

(٣) (وما أنا من المشركين) مع الله غيره .

(٤) لا ملائكة لأنّهم كانوا يقولون (لوشاء ربّنا لأنزل ملائكة). أو ليست فيهم امرأة.

(٥) بالنون حفص .

(٦) لأنّهم أعلم وأحلم . وأهل البوادى فيهم الجهل والجفاء .

(٧) أى (ولدار) الساعة (الآخرة) .

(٨) (خيرللذين اتّقوا) الشرك وآمنوا به .

(٩) وبالياء مكّىّ وأبو عمرو وحمزه وعلى .

(١٠) يئسوا من إيمان القوم .

(١١) (وظنّوا أنّهم قد كُذّبوا) وأيقن الرسل أنّ قومهم كذّبوهم . وبالتخفيف كوفىّ ، أى وظنّ المرسل إليهم أنّ الرسل قد كذّبوا أى أخلفوا . أو وظنّ المرسل إليهم أنّهم كذبوا من جهة الرسل أى كذبتهم الرسل فى أنّهم ينصرون عليهم ولم يصدقوهم فيه .

(١٢) (جاءهم نصرنا) للأنبياء والمؤمنين بهم بغتة من غير احتساب .

فَنُجِّيَ[1] مَن نَّشَآءُ[2] وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا[3] عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ[4] ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ[5] عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ[6] مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ[7] وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ[8] وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ[9] وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ[10] ﴿١١١﴾

(١) بنون واحدة وتشديد الجيم وفتح الياء شامىّ وعاصم، على لفظ الماضى المبنىّ للمفعول. والقائم مقام الفاعل (من). الباقون (فننجى) بنونين ثانيتهما ساكنة مخفاة لجيم بعدها، وإسكان الياء.

(٢) أى النبىّ ومن آمن به .

(٣) عذابنا .

(٤) الكافرين .

(٥) أى فى قصص الأنبياء وأممهم . أو فى قصّة يوسف وإخوته .

(٦) حيث نقل من غاية الحبّ إلى غيابة الجبّ ، ومن الحصير إلى السرير . فصارت عاقبة الصبر سلامة وكرامة ونهاية المكر وخامة وندامة .

(٧) ما كان القرآن حديثا مفترى كما زعم الكفّار .

(٨) ولكن تصديق الكتب التى تقدّمته وما نصب بعد (لكن) معطوف على خبر (كان).

(٩) (وتفصيل كلّ شىء) يحتاج إليه فى الدين لأنّه القانون الذى تستند إليه السنّة والإجماع والقياس .

(١٠) (وهدى) من الضلال (و رحمة) من العذاب (لقوم يؤمنون) بالله وأنبيائه .

عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم «علموا أرقاءكم سورة يوسف فأيّما عبد تلاها وعلّمها أهله وما ملكت يمينه هوّن الله عليه سكرات الموت وأعطاه القوّة ألّا يحسد مسلما» . قال الشيخ أبو منصور رحمه الله فى ذكر قصّة يوسف عليه السلام وإخوته تصبير لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم على أذى قريش كأنّه يقول إنّ إخوة يوسف مع موافقتهم إيّاه فى الدين ومع الأخوة عملوا بيوسف ما عملوا من الكيد والمكر وصبر على ذلك ، فأنت مع مخالفتهم إيّاك فى الدين أحرى أن تصبر على أذاهم . وقال وهب إنّ الله تعالى لم ينزل كتابا إلّا وفيه سورة يوسف عليه السلام تامّة كما هى فى القرآن العظيم . والله أعلم .

سورة الرعد مكّية

وهى ثلاث وأربعون آية كوفىّ وخمس وأربعون آية شامىّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓر[1] تِلْكَ[2] ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ[3] وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ[4] مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ[5] وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ[6] ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ[7] تَرَوْنَهَا[8] ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ[9] وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ[10] كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى[11]

(١) أنا الله أعلم وأرى . عن ابن عباس رضى الله عنهما .

(٢) إشارة إلى آيات السورة .

(٣) أريد بالكتاب السورة . أى (تلك) الآيات (آيات) السورة الكاملة العجيبة فى بابها .

(٤) أى القرآن كلّه .

(٥) خبر (والذى) .

(٦) (ولكنّ أكثر الناس لا يؤمنون) فيقولون تقوّله محمد . ثمّ ذكر ما يوجب الإيمان فقال (الله الذى رفع السموات) . أى خلقها مرفوعة لا أن تكون موضوعة فرفعها . و (الله) مبتدأ والخبر (الذى رفع السموات) .

(٧) حال . وهو جمع عماد أو عمود .

(٨) الضمير يعود إلى السموات . أى ترونها كذلك فلا حاجة إلى البيان . أو إلى عمد فيكون فى موضع جرّ على أنّه صفة لعمد . أى بغير عمد مرئيّة .

(٩) استولى بالاقتدار ونفوذ السلطان .

(١٠) (وسخّر الشمس والقمر) لمنافع عباده ومصالح بلاده .

(١١) وهو انقضاء الدنيا .

يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ[١] يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ[٢] لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ[٣] ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ[٤] وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ[٥] وَأَنْهَٰرًا[٦] وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ[٧] يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ[٨] إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ[٩] ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ[١٠] وَجَنَّٰتٌ[١١] مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ[١٢] يُسْقَىٰ[١٣] بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ[١٤] بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ[١٥]

(١) أمر ملكوته وربوبيّته .

(٢) يبيّن آياته فى كتبه المنزلة .

(٣) لعلّكم توقنون بأنّ هذا المدبّر والمفصّل لابدّ لكم من الرجوع إليه .

(٤) بسطها .

(٥) جبالا ثوابت .

(٦) (وأنهارا) جارية .

(٧) أى الأسود والأبيض والحلو والحامض والصغير والكبير وما أشبه ذلك .

(٨) يلبسه مكانه فيصير أسود مظلما بعد ما كان أبيض منيرا . (يغشّى) حمزة وعلىّ وأبو بكر .

(٩) فيعلمون أنّ لها صانعا عليما حكيما قادرا .

(١٠) بقاع مختلفة مع كونها متجاورة متلاصقة طيّبة إلى سبخة ، وكريمة إلى زهيدة ، وصلبة إلى رخوة . وذلك دليل على قادر مدبّر مريد موقع لأفعاله على وجه دون وجه .

(١١) معطوفة على (قطع) .

(١٢) (وزرع) بالرفع مكىّ وبصرىّ وحفص عطف على (قطع) . غيرهم بالجرّ بالعطف على (أعناب) . والصنوان جمع صنو . وهى النخلة لها رأسان وأصلها واحد . وعن حفص بضمّ الصاد . وهما لغتان .

(١٣) وبالياء عاصم وشامىّ .

(١٤) وبالياء حمزة وعلىّ .

(١٥) فى الثمر . وبسكون الكاف نافع ومكّى .

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١) ۝ وَإِن تَعْجَبْ (٢) فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ (٣) أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ (٤) أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ (٥) وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ (٦) وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٧) ۝ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ (٨) وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ (٩) وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ (١٠) ۝ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ

(١) عن الحسن : مثّل اختلاف القلوب فى آثارها وأنوارها وأسرارها باختلاف القطع فى أنهارها وأزهارها وثمـارها .

(٢) (وإن تعجب) يا محمد من قولهم فى إنكار البعث .

(٣) خبر ومبتدأ. أى فقولهم حقيق بأن يتعجب منه، لأنّ من قدر على إنشاء ما عدّد عليك كانت الإعادة أهون شيء عليه وأيسره . فكان إنكارهم أعجوبة من الأعاجيب .

(٤) (أئذا كنّا) إلى آخر قولهم ، فى محلّ الرفع بدل من (قولهم) . قرأ عاصم وحمزة كلّ واحد بهمزتين .

(٥) (أولئك) الكافرون المتمادون فى كفرهم .

(٦) وصف لهم بالإصرار . أو من جملة الوعيد .

(٧) دلّ تكرار (أولئك) على تعظيم الأمر .

(٨) بالنقمة قبل العافية . وذلك أنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بالعذاب استهزاء منهم بإنذاره .

(٩) أى عقوبات أمثالهم من المكذّبين فما لهم لم يعتبروا بها فلا يستهزئوا؟ والمثلة العقوبة لما بين العقاب والمعاقب عليه من المماثلة . (وجزاء سيّئة سيّئة مثلها) .

(١٠) (وإنّ ربّك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) أى مع ظلمهم أنفسهم بالذنوب. ومحلّه الحال ، أى ظالمين لأنفسهم . قال السدى : يعنى المؤمنين . وهى أرجى آية فى كتاب الله حيث ذكر المغفرة مع الظلم وهو بدون التوبة فإنّ التوبة تزيلها وترفعها . (وإنّ ربّك لشديد العقاب) على الكافرين . أو هما جميعا فى المؤمنين لكنّه معلّق بالمشيئة فيهما . أى (يغفر لمن يشاء ويعذّب من يشاء) .

لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ[١] وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ[٢] ﴿٧﴾ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ[٣] وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ[٤] ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ[٥] وَٱلشَّهَٰدَةِ[٦] ٱلْكَبِيرُ[٧] ٱلْمُتَعَالِ[٨] ﴿٩﴾ سَوَآءٌ[٩] مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ[١٠] بِٱلَّيْلِ

(١) لم يعتدّوا بالآيات المنزلة على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عنادا . فاقترحوا نحو آيات موسى وعيسى من انقلاب العصا حيّة و إحياء الموتى . فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم (إنّما أنت منذر) إنّما أنت رجل أرسلت منذرا مخوّفا لهم من سوء العاقبة وناصحا كغيرك من الرسل، وما عليك إلّا الإتيان بما يصحّ به أنّك رسول منذر . وصحّة ذلك حاصلة بأيّ آية كانت . والآيات كلّها سواء فى حصول صحّة الدعوى بها .

(٢) (هاد) من الأنبياء يهديهم إلى الدين ويدعوهم إلى الله بآية خصّ بها لا بما يريدون ويتحكّمون .

(٣) (ما) فى هذه المواضع الثلاثة موصولة . أى يعلم ما تحمله من الولد على أىّ حال هو من ذكورة وأنوثة وتمام وخداج وحسن وقبح وطول وقصر وغير ذلك ، وما تغيضه الأرحام أى ويعلم ما تنقصه ـ يقال غاض الماء وغضته أنا ـ وما تزداده . والمراد عدد الولد فإنّها تشتمل على واحد واثنين وثلاثة وأربعة . أو جسد الولد فإنّه يكون تامّا ومخدجا . أو مدّة الولادة فإنها تكون أقلّ من تسعة أشهر وأزيد عليها إلى سنتين عندنا ، وإلى أربع عند الشافعى وإلى خمس عند مالك . أو مصدرية . أى يعلم حمل كل أنثى ويعلم غيض الأرحام وازديادها .

(٤) بقدر وحدّ لا يجاوزه ولا ينقص عنه لقوله (إنّا كلّ شىء خلقناه بقدر) .

(٥) ما غاب عن الخلق .

(٦) ما شاهدوه .

(٧) العظيم الشأن الذى كلّ شىء دونه .

(٨) المستعلى على كلّ شىء بقدرته ، أو الذى كبر عن صفات المخلوقين وتعالى عنها . وبالياء فى الحالين مكّىّ .

(٩) (سواء) أى فى علمه .

(١٠) متوار .

وَسَارِبٌ(١) بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُ مُعَقِّبَٰتٌ(٢) مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ(٣) يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ(٤) إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ(٥) حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ(٦) وَإِذَآ أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا(٧) فَلَا مَرَدَّ لَهُ(٨) وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ(٩) ﴿١١﴾

---

(١) ذاهب فى سربه ، أى فى طريقه ووجهه . يقال سرب فى الأرض سروبا . (وسارب) عطف على (من هو مستخف) لا على (مستخف) . أو على (مستخف) غير أنّ (من) فى معنى الاثنين .

(٢) (له) الضمير مردود على (من) . كأنّه قيل : لمن أسرّ ومن جهر ومن استخفى ومن سرب (معقّبات) جماعات من الملائكة تعتقب فى حفظه . والأصل معتقبات فأدغمت التاء فى القاف . أو هو مفعّلات من عقّبه إذا جاء على عقبه لأنّ بعضهم يعقب بعضا ، أو لأنّهم يعقبون ما يتكلّم به فيكتبونه .

(٣) أى قدّامه ووراءه .

(٤) هما صفتان جميعا . وليس (من أمر الله) بصلة للحفظ . كأنّه قيل له معقّبات من أمر الله . أو (يحفظونه من) أجل (أمر الله) ، أى من أجل أنّ الله تعالى أمرهم بحفظه . أو (يحفظونه) من بأس الله ونقمته إذا أذنب بدعائهم له .

(٥) من العافية والنعمة .

(٦) من الحال الجميلة بكثرة المعاصى .

(٧) عذابا .

(٨) فلا يدفعه شىء .

(٩) (وما لهم) من دون الله (من وال) ممن يلى أمرهم ويدفع عنهم .

هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا[1] وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ[2] ٱلثِّقَالَ[3] ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ[4] وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ[5] وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ[6] فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ[7] وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ[8] ﴿١٣﴾

---

(١) انتصبا على الحال من البرق ، كأنّه فى نفسه خوف وطمع . أو على ذا خوف وذا طمع . أو من المخاطبين أى خائفين وطامعين . والمعنى يخاف من وقوع الصواعق عند لمع البرق ويطمع فى الغيث . قال أبو الطيب :

فتى كالسحاب الجون يخشى ويرتجى * يرجّى الحيا منه وتخشى الصواعق

أو يخاف المطر من له فيه ضرر كالمسافر ومن له بيت يكف ،ومن البلاد مالا ينتفع أهله بالمطر كأهل مصر ؛ ويطمع فيه من له نفع فيه .

(٢) هو اسم جنس والواحدة سحابة .

(٣) (الثقال) بالماء . وهو جمع ثقيلة . تقول سحابة ثقيلة وسحاب ثقال .

(٤) قيل يسبّح سامعو الرعد من العباد الراجين للمطر أى يصيحون بسبحان الله والحمد لله. وعن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال"الرعد ملك موكّل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب" . والصوت الذى يسمع ، زجره السحاب حتّى ينتهى إلى حيث أمر .

(٥) ويسبّح (الملائكة) من هيبته وإجلاله .

(٦) الصاعقة نار تسقط من السماء .

(٧) لمّا ذكر علمه النافذ فى كلّ شىء واستواء الظاهر والخفىّ عنده وما دلّ على قدرته الباهرة ووحدانيّته قال (وهم يجادلون فى الله) . يعنى الذين كذّبوا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (يجادلون فى الله) حيث ينكرون على رسوله ما يصفه به من القدرة على البعث وإعادة الخلائق بقولهم (من يحيى العظام وهى رميم) ويردّون الواحدانيّة باتّخاذ الشركاء ويجعلونه بعض الأجسام بقولهم الملائكة بنات الله . أو الواو للحال أى (فيصيب بها من يشاء) فى حال جدالهم . وذلك أن أربد أخا لبيد بن ربيعة العامرىّ قال لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم — حين وفد عليه مع عامر بن الطفيل قاصدين لقتله فرمى الله عامرا بغدّة كغدّة البعير وموت فى بيت سلوليّة وأرسل على أربد صاعقة فقتله : — أخبرنى عن ربّنا أمن نحاس هو أم من حديد .

(٨) أى المماحلة وهى شدّة المماكرة والمكايدة . ومنه تمحّل لكذا إذا تكلّف لاستعمال

لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ(١) وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ(٢) مِن دُونِهِۦ(٣) لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ(٤) إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ(٥) وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ(٦)

الحيلة واجتهد فيه . ومحل بفلان إذا كاده وسعى به إلى السلطان . والمعنى أنّه شديد المكر والكيد لأعدائه يأتيهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون .

(١) أضيفت إلى الحقّ الذى هو ضدّ الباطل للدلالة على أنّ الدعوة ملابسة للحقّ وأنّها بمعزل من الباطل . والمعنى أنّ الله سبحانه يدعى فيستجيب الدعوة و يعطى الداعى سؤله فكانت دعوة ملابسة للحقّ لكونه حقيقا بأنّه يوجّه اليه الدعاء لما فى دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا ينفع ولا يجدى دعاؤه . واتّصال (شديد المحال) و(له دعوة الحقّ) بما قبله على قصّة أربد ، ظاهر لأنّ إصابته بالصاعقة محال من الله ومكر به من حيث لم يشعر . وقد دعا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عليه وعلى صاحبه بقوله : "اللهم اخسفهما بما شئت" فأجيب فيهما . فكانت الدعوة دعوة حقّ . وعلى الأوّل وعيد للكفرة على مجادلتهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بحلول محاله بهم وإجابة دعوة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فيهم إن دعا عليهم .

(٢) والآلهة الذين يدعوهم الكفّار .

(٣) من دون الله .

(٤) (بشىء) من طلباتهم .

(٥) استثناء من المصدر أى من الاستجابة التى دلّ عليها (لايستجيبون) لأنّ الفعل بحروفه يدلّ على المصدر، وبصيغته على الزمان، وبالضرورة على المكان والحال. فجاز استثناء كلّ منها من الفعل . فصار التقدير : لا يستجيبون استجابة إلا استجابة كاستجابة باسط كفّيه إلى الماء . أى كاستجابة الماء لمن بسط كفّيه إليه يطلب منه أن يبلغ فاه . والماء جماد لا يشعر ببسط كفّيه ولا بعطشه وحاجته إليه ولا يقدر أن يجيب دعاءه ويبلغ فاه . وكذلك ما يدعونه جماد لا يحسّ بدعائهم ولا يستطيع إجابتهم ولا يقدر على نفعهم . واللام فى (ليبلغ) متعلّق بباسط كفّيه .

(٦) وما الماء ببالغ فاه .

وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ[1] ۝ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ[2] طَوْعًا[3] وَكَرْهًا[4] وَظِلَـٰلُهُم[5] بِٱلْغُدُوِّ[6] وَٱلْآصَالِ[7] ۝ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ[8] قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ[9] لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا[10] قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ[11]

---

(١) فى ضياع لا منفعة فيه . لأنهم إن دعوا الله لم يجبهم، و إن دعوا الأصنام لم تستطع إجابتهم .

(٢) (ولله يسجد من فى السموات والأرض) سجود تعبّد وانقياد .

(٣) حال . يعنى الملائكة والمؤمنين .

(٤) يعنى المنافقين والكافرين فى حال الشدّة والضيق .

(٥) معطوف على (من) ، جمع ظلّ .

(٦) جمع غداة كقُنِىّ وقناة .

(٧) جمع أُصُل جمع أصيل . قيل ظلّ كلّ شىء يسجد لله بالغدوّ والآصال وظلّ الكافر يسجد كرها وهو كاره وظلّ المؤمن يسجد طوعا وهو طائع .

(٨) (قل) حكاية لاعترافهم لأنه إذا قال لهم (من ربّ السموات والأرض) لم يكن لهم بدٌّ من أن يقولوا (الله). دليله قراءة ابن مسعود وأبىّ (قالوا الله). أو هو تلقين أى فإن لم يجيبوا فلقّنهم فإنّه لا جواب إلّا هذا .

(٩) أبعد أن علمتموه ربّ السموات والأرض اتخذتم من دونه آلهة ؟

(١٠) لايستطيعون لأنفسهم أن ينفعوها أو يدفعوا ضررا عنها. فكيف يستطيعونه لغيرهم وقد آثرتموهم على الخالق الرازق المثيب المعاقب ؟ فما أبين ضلالتكم ! .

(١١) أى الكافر والمؤمن . أو من لا يبصر شيئا ومن لا يخفى عليه شىء .

أَمْ هَلْ تَسْتَوِى الظُّلُمَٰتُ وَالنُّورُ (١) أَمْ جَعَلُوا (٢) لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِۦ (٣) فَتَشَٰبَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ (٤) قُلِ اللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ (٥) وَهُوَ الْوَٰحِدُ (٦) الْقَهَّٰرُ (٧) (٨) أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ (٩) مَاءً (١٠) فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ (١١) بِقَدَرِهَا (١٢) فَاحْتَمَلَ (١٣) السَّيْلُ زَبَدًا (١٤) رَّابِيًا (١٥)

(١) مثل الكفر والإيمان . (يستوى) كوفيّ غير حفص .

(٢) بل أجعلوا . ومعنى الهمزة الإنكار .

(٣) خلقوا مثل خلقه . وهو صفة لشركاء أى أنّهم لم يتّخذوا لله شركاء خالقين قد خلقوا مثل خلق الله .

(٤) فاشتبه عليهم مخلوق الله بمخلوق الشركاء حتّى يقولوا : قدر هؤلاء على الخلق كما قدر الله عليه فاستحقّوا العبادة فنتّخذهم له شركاء ونعبدهم كما يعبد . ولكنّهم اتّخذوا له شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا أن يقدروا على ما يقدر عليه الخالق .

(٥) أى خالق الأجسام والأعراض . لا خالق غير الله ، ولا يستقيم أن يكون له شريك فى الخلق فلا يكون له شريك فى العبادة . ومن قال إنّ الله لم يخلق أفعال الخلق وهم خلقوها فتشابه الخلق على قولهم .

(٦) المتوحد بالربوبيّة .

(٧) لا يغالب وما عداه مربوب ومقهور .

(٨) أى الواحد القهار وهو الله سبحانه .

(٩) من السحاب .

(١٠) مطرا .

(١١) جمع واد وهو الموضع الذى يسيل فيه الماء بكثرة . وإنّما نكّر لأنّ المطر لا يأتى إلّا على طريق المناوبة بين البقاع فيسيل بعض أودية الأرض دون بعض .

(١٢) بمقدارها الذى علم الله أنّه نافع للممطور عليهم غير ضارّ .

(١٣) أى رفع .

(١٤) هو ما على وجه الماء من الرغوة . والمعنى علاه زبد .

(١٥) منتفخا مرتفعا على وجه السيل .

وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ[1] فِي النَّارِ[2] ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ[3] أَوْ مَتَاعٍ[4] زَبَدٌ مِّثْلُهُ[5] كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ[6] فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً[7] وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ[8] فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ[9] كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ[10] (١٧)

(١) وبالياء كوفى غير أبى بكر . و (من) لابتداء الغاية ، أى ومنه ينشأ زبد مثل زبد الماء . أو للتبعيض أى وبعضه زبد .

(٢) حال من الضمير فى (عليه) أى (ومما توقدون عليه) ثابتا (فى النار) .

(٣) مبتغين حلية . فهو مصدر فى موضع الحال من الضمير فى (توقدون) .

(٤) (أو متاع) من الحديد والنحاس والرصاص يتخذ منها الأوانى وما يتمتع به فى الحضر والسفر . وهو معطوف على (حلية) أى زينة من الذهب والفضة .

(٥) (زبد) خبث وهو مبتدأ . (مثله) نعت له . و (مما توقدون) خبر له . أى لهذه الفلزات إذا أغليت زبد مثل زبد الماء .

(٦) أى مثل الحق والباطل .

(٧) حال أى متلاشيا . وهو ما تقذفه القدر عند الغليان ، والبحر عند الطغيان . والجفء الرمى . وجفأت الرجل صرعته .

(٨) من الماء والحلىّ والأوانى .

(٩) فيثبت الماء فى العيون والآبار والحبوب والثمار . وكذلك الجواهر تبقى فى الأرض مدّة طويلة .

(١٠) ليظهر الحقّ من الباطل .

قيل هــذا مثل ضربه الله للحقّ وأهله والباطل وحزبه . فمثل الحقّ وأهله بالماء الذى ينزل من السماء فتسيل به أودية النــاس فيحيون به وينفعهم بأنواع المنافع ، وبالفلز الذى ينتفعون به فى صوغ الحلىّ منه واتخاذ الأوانى والآلات المختلفات . وذلك ماكث فى الأرض باق بقاء ظاهرا : يثبت الماء فى منافعه وكذلك الجواهر تبقى أزمنة متطاولة . وشبّه الباطل فى سرعة اضمحلاله ووشك زواله بزبد السيل الذى يرمى به ، وبزبد الفلز الذى يطفو فوقه إذا أذيب . قال الجمهور : وهــذا مثل قاله الله تعالى للقرآن والقلوب والحقّ والباطل . فالماء

لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ(١) لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ(٢) وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُۥ(٣) لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦٓ(٤) أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ(٥) وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ(٦)

القرآن نزل لحياة الجنان كالماء للأبدان والأودية للقلوب . ومعنى (بقدرها) بقدر سعة القلب وضيقه . والزبد هواجس النفس ووساوس الشيطان . والماء الصافى المنتفع به مثل الحقّ . فكما يذهب الزبد باطلا ويبقى صفو الماء كذلك تذهب هواجس النفس ووساوس الشيطان ويبقى الحقّ كما هو . وأما حلية الذهب والفضّة فمثل للأحوال السنيّة والأخلاق الزكيّة . وأمّا متاع الحديد والنحاس والرصاص فمثل للأعمال الممدّة بالإخلاص المعدّة للخلاص . فان الأعمال جالبة للثواب دافعة للعقاب كما أنّ تلك الجواهر بعضها أداة النفع للكسب وبعضها آلة الدفع فى الحروب . وأما الزبد فالرياء والخلل والملل والكسل .

(١) أى أجابوا . اللام متعلّقة بيضرب ، أى (كذلك يضرب الله الأمثال) للمؤمنين الذين استجابوا .

(٢) هى صفة لمصدر (استجابوا) ، أى استجابوا الاستجابة الحسنى .

(٣) أى (و) للكافرين (الذين لم يستجيبوا) . أى هما مثلا الفريقين .

(٤) كلام مبتدأ فى ذكر ماأعدّ لغير المستجيبين . أى لو ملكوا أموال الدنيا وملكوا معها مثلها لبذلوه ليدفعوا عن أنفسهم عذاب الله .

والوجه أنّ الكلام قد تمّ عند قوله (كذلك يضرب الله الأمثال) وما بعده كلام مستأنف . و (الحسنى) مبتدأ خبره (للذين استجابوا) . والمعنى لهم المثوبة الحسنى وهى الجنّة . (والذين لم يستجيبوا) مبتدأ خبره (لو) مع ما فى حيّزه .

(٥) المناقشة فيه . فى الحديث "من نوقش الحساب عُذّب" .

(٦) ومرجعهم بعد المحاسبة النار .

وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ (١) ﴿١٨﴾ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ (٢) إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ (٣) ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ (٤) يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ (٥) ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ (٦) وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ (٧) وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ (٨) ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ (٩) ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ (١٠) وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ (١١)

(١) المكان الممهد . والمذموم محذوف أى جهنم .

(٢) دخلت همزة الإنكار على الفاء لإنكار أن تقع شبهة ما بعد ماضرب من المثل فى أن حال من علم (أن ما أنزل إليك من ربك الحق) فاستجاب ، بمعزل من حال الجاهل الذى لم يستبصر فيستجيب وهو المراد بقوله (كمن هو أعمى) ، كبعد ما بين الزبد والماء والخبث والإبريز .

(٣) أى الذين عملوا على قضايا عقولهم فنظروا واستبصروا .

(٤) (الذين) مبتدأ والخبر (أولئك لهم عقبى الدار) كقوله (والذين ينقضون عهد الله ... أولئك لهم اللعنة) وقيل هو صفة (لأولى الألباب) . والأول أوجه . وعهد الله ما عقدوه على أنفسهم من الشهادة بربوبيته . (وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى) .

(٥) ما أوثقوه على أنفسهم وقبلوه من الإيمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد . تعميم بعد تخصيص .

(٦) من الأرحام والقرابات . ويدخل فيه وصل قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابة المؤمنين الثابتة بسبب الإيمان (إنما المؤمنون إخوة) بالإحسان إليهم على حسب الطاقة ونصرتهم والذب عنهم والشفقة عليهم وإفشاء السلام عليهم وعيادة مرضاهم . ومنه مراعاة حق الأصحاب والخدم والجيران والرفقاء فى السفر .

(٧) أى وعيده كله .

(٨) (ويخافون) خصوصا (سوء الحساب) فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا .

(٩) مطلق فيما يصبر عليه من المصائب فى النفوس والأموال ومشاق التكاليف .

(١٠) لا ليقال ما أصبره وأحمله للنوازل، وأوقره عند الزلازل، ولا لئلا يعاب فى الجزع .

(١١) داوموا على إقامتها .

وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ[1] سِرًّا وَعَلَانِيَةً[2] وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ[3] أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ[4] ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ[5] يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ[6] وَالْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم[7] مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم[8] بِمَا صَبَرْتُمْ[9] فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ[10] ﴿٢٤﴾ وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ[11] وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ اللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ[12]

---

(١) أى من الحلال وإن كان الحرام رزقا عندنا .

(٢) يتناول النوافل لأنها فى السرّ أفضل ، والفرائض لأنّ المجاهرة بها أفضل نفيا للتهمة .

(٣) ويدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيّئ غيرهم . أو اذا حُرموا ، أعطوا وإذا ظُلموا عفوا ، وإذا قُطعوا وصلوا ، وإذا أذنبوا تابوا ، وإذا هربوا أنابوا ، وإذا رأوا منكرا أمروا بتغييره . فهذه ثمانية أعمال تشير إلى ثمانية أبواب الجنة .

(٤) عاقبة الدنيا . وهى الجنة لأنها التى أرادها الله أن تكون عاقبة الدنيا ومرجع أهلها .

(٥) بدل من عقبى الدار .

(٦) (ومن صلح) أى آمن (من آبائهم وأزواجهم وذرّياتهم) وقرئ (صلُح) . والفتح أفصح . و(من) فى محلّ الرفع بالعطف على الضمير فى (يدخلونها) . وساغ ذلك وإن لم يؤكد لأنّ ضمير المفعول صار فاصلا . وأجاز الزجاج أن يكون مفعولا معه . ووصفهم بالصلاح ليعلم أنّ الأنساب لا تنفع بنفسها . والمراد أبَوا كلّ واحد منهم فكأنه قيل من آبائهم وأمهاتهم .

(٧) (يدخلون عليهم) فى قدر كلّ يوم وليلة ثلاث مرات ، بالهدايا وبشارات الرضا .

(٨) فى موضع الحال . إذ المعنى قائلين (سلام عليكم) أو مسلّمين .

(٩) متعلّق بمحذوف تقديره هذا (بما صبرتم) . أى هذا الثواب بسبب صبركم عن الشهوات أو على أمر الله . أو بسلام أى نسلّم عليكم ونكرمكم بصبركم . والأوّل أوجه .

(١٠) (فنعم عقبى الدار) الجنات .

(١١) من بعد ما أوثقوه به من الاعتراف والقبول .

(١٢) (ويفسدون فى الأرض) بالكفر والظلم .

أُولَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ[1] وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ[2] ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ[3] وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا[4] وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ[5] ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ[6] قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ[7] وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ[8] ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ[9] ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم[10] بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ[11] أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ[12] ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ[13] ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ

---

(١) الإبعاد من الرحمة .

(٢) يحتمل أن يراد سوء عاقبة الدنيا لأنه فى مقابلة عقبى الدار ، وأن يراد بالدار جهنم وبسوئها عذابها .

(٣) أى ويضيق لمن يشاء . والمعنى (الله) وحده هو (يبسط الرزق...ويقدر) دون غيره.

(٤) (وفرحوا) بما بسط لهم من الدنيا فرح بطر وأشر لا فرح سرور بفضل الله وإنعامه عليهم ، ولم يقابلوه بالشكر حتى يؤجروا بنعيم الآخرة .

(٥) وخفى عليهم أن نعيم الدنيا فى جنب نعيم الآخرة ليس إلا شيئا نزرا يتمتع به كعُجْلة الراكب وهو ما يتعجله من تميرات أو شربة سويق .

(٦) أى الآية المقترحة .

(٧) (يضل من يشاء) باقتراح آيات بعد ظهور المعجزات .

(٨) ويرشد إلى دينه من رجع إليه بقلبه .

(٩) هم (الذين) . أو محله النصب بدل من (من) .

(١٠) تسكن .

(١١) (بذكر الله) على الدوام . أو بالقرآن أو بوعده .

(١٢) بسبب ذكره تطمئن قلوب المؤمنين .

(١٣) مبتدأ

طُوبَىٰ[1] لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ[2] ﴿٢٩﴾ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ[3] لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ[4] وَهُمْ يَكْفُرُونَ[5] بِالرَّحْمَٰنِ[6] قُلْ هُوَ رَبِّي[7] لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ[8] عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ[9] وَإِلَيْهِ مَتَابِ[10] ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ[11]

---

(١) خبره . وهو مصدر من طاب كبشرى . ومعنى طوبى لك أصبت خيرا وطيبا . ومحلّها النصب أو الرفع كقولك طيبا لك وطيب لك وسلاما لك وسلام لك . واللام فى (لهم) للبيان مثلها فى سقيا لك . والواو فى (طوبى) منقلبة عن ياء لضمّة ما قبلها كموقن . والقراءة فى (وحسن مآب) بالرفع والنصب تدلّ على محلّيها .

(٢) مرجع .

(٣) (كذلك) مثل ذلك الإرسال (أرسلناك) إرسالا له شأن وفضل على سائر الإرسالات . ثمّ فسّر كيف أرسله فقال (فى أمّة قد خلت من قبلها أمم) . أى أرسلناك فى أمّة قد تقدّمتها أمم كثيرة فهى آخر الأمم وأنت خاتم الأنبياء .

(٤) لتقرأ عليهم الكتاب العظيم (الذى أوحينا إليك) .

(٥) وحال هؤلاء أنّهم يكفرون .

(٦) بالبليغ الرحمة الذى وسعت رحمته كلّ شىء .

(٧) (قل هو ربّى) وربّ كلّ شىء .

(٨) أى هو ربّى الواحد المتعالى عن الشركاء .

(٩) (عليه توكّلت) فى نصرتى عليكم .

(١٠) مرجعى فيثيبنى على مصابرتكم . (متابى وعقابى ومآبى) فى الحالين يعقوب .

(١١) (ولو أنّ قرآنا سيّرت به الجبال) عن مقارّها، أو (قطعت به الأرض) حتّى تتصدّع وتتزايل قطعا، أو (كلّم به الموتى) فتسمع وتجيب، لكان هذا القرآن . لكونه غاية فى التذكير ونهاية فى الإنذار والتخويف . بجواب (لو) محذوف . أو معناه (ولو أنّ قرآنا) وقع به تسيير الجبال وتقطيع الأرض وتكليم الموتى وتنبيهم ، لما آمنوا به ولما تنبّهوا عليه كقوله (ولو أنّنا نزلنا إليهم الملائكة) الآية .

بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا[1] أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ[2] ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟[3] قَارِعَةٌ[4] أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ[5] حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ[6] إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ[7] ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ[8] لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ[9] ﴿٣٢﴾

(١) بل لله القدرة على كلّ شيء وهو قادر على الآيات التى اقترحوها .

(٢) أفلم يعلم . وهى لغة قوم من النخع . وقيل إنما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمّنه معناه لأنّ اليائس عن الشيء عالم بأنّه لا يكون ، كما استعمل النسيان فى معنى الترك لتضمّن ذلك . دليله قراءة علىّ رضى الله عنه (أفلم يتبيّن) . وقيل إنّما كتبه الكاتب وهو ناعس مستوى السنّات . وهذه والله فرية ما فيها مرية .

(٣) من كفرهم وسوء أعمالهم .

(٤) داهية تقرعهم بما يحلّ الله بهم فى كلّ وقت من صنوف البلايا والمصائب فى نفوسهم وأولادهم وأموالهم .

(٥) (أو تحلّ) القارعة قريبا منهم فيفزعون ويتطاير عليهم شررها ويتعدّى إليهم شرورها .

(٦) أى موتهم أو القيامة .

أو (لايزال) كفّار مكّة (تصيبهم بما صنعوا) برسول الله من العداوة والتكذيب (قارعة) لأنّ جيش رسول الله يغير حول مكّة ويختطف منهم (أو تحلّ) أنت يا محمد قريبا من دارهم بجيشك يوم الحديبية (حتى يأتى وعد الله) أى فتح مكّة .

(٧) أى لا خلف فى موعده .

(٨) الإملاء الإمهال وأن يترك مُلاوة من الزمان فى خفض وأمن .

(٩) وهذا وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم الآيات على رسول الله استهزاء به ، وتسلية له .

أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ(١) وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ(٢) قُلْ سَمُّوهُمْ(٣) أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ(٤) أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ(٥) بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ(٦) وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ(٧) وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ(٨) ۝ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا(٩) وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَقُّ(١٠) وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ(١١) ۝ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ(١٢) ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ(١٣)

---

(١) احتجاج عليهم فى إشراكهم بالله. يعنى أفالله الذى هو رقيب (على كلّ نفس) صالحة أو طالحة (بما كسبت) يعلم خيره وشره ويعدّ لكلّ جزاءه ، كمن ليس كذلك .

(٢) أى الأصنام .

(٣) أى سموهم له من هم ونبّئوه بأسمائهم .

(٤) أم المنقطعة أى بل أتنبؤنه بشركاء لا يعلمهم فى الأرض وهو العالم بما فى السموات والأرض. فإذا لم يعلمهم علم أنهم ليسوا بشىء . والمراد نفى أن يكون له شركاء .

(٥) بل أتسمّونهم شركاء بظاهر من القول من غير أن يكون لذلك حقيقة كقوله (ذلك قولهم بأفواههم . ما تعبدون من دونه إلّا أسماء سمّيتموها) .

(٦) كيدهم للإسلام بشركهم .

(٧) عن سبيل الله . بضم الصاد كوفىّ . ويفتحها غيرهم . ومعناه وصـدّوا المسلمين عن سبيل الله .

(٨) من أحد يقدر على هدايته .

(٩) (لهم عذاب فى الحياة الدنيا) بالقتل والأسر وأنواع المحن .

(١٠) أشدّ لدوامه .

(١١) من حافظ من عذابه .

(١٢) صفتها التى هى فى غرابة المثل. وارتفاعه بالابتداء والخبر محذوف أى فيما يتلى عليكم (مثل الجنة) . أو الخبر (تجرى من تحتها الأنهار) كما تقول صفة زيد أسمر .

(١٣) ثمرها دائم الوجود لا ينقطع .

وَظِلُّهَا[(١)] تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا[(٢)] وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ[(٣)] يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ[(٤)] مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ[(٥)] قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ[(٦)] إِلَيْهِ أَدْعُو[(٧)] وَإِلَيْهِ مَآبِ[(٨)] ﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ[(٩)] حُكْمًا عَرَبِيًّا[(١٠)] وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ[(١١)] ﴿٣٧﴾

(١) (وظلّها) دائم لا ينسخ كما ينسخ فى الدنيا بالشمس .

(٢) أى الجنّة الموصوفة عقبى تقواهم يعنى منتهى أمرهم .

(٣) يريد من أسلم من اليهود كابن سلام ونحوه ، ومن النصارى بأرض الحبشة .

(٤) أى ومن أحزابهم . وهم كفرتهم الذين تحزّبوا على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالعداوة ككعب بن الأشرف وأصحابه والسيّد والعاقب وأشياعهما .

(٥) لأنهم كانوا لا ينكرون الأقاصيص وبعض الأحكام والمعانى مما هو ثابت فى كتبهم. وكانوا ينكرون نبوّة محمد عليه الصلاة والسلام وغير ذلك مما حرّفوه وبدّلوه من الشرائع .

(٦) هو جواب المنكرين. أى (قل إنّما أمرت) فيما أنزل إلىّ بـ(أن أعبدالله ولا أشرك به). فإنكاركم له إنكار لعبادة الله وتوحيده . فانظروا ما ذا تنكرون مع ادّعائكم وجوب عبادة الله وألّا يشرك به .

(٧) (إليه أدعوا) خصوصا لا أدعو إلى غيره .

(٨) (وإليه) لا إلى غيره (مآب) مرجعى . وأنتم تقولون مثل ذلك فلا معنى لإنكاركم .

(٩) ومثل ذلك الإنزال أنزلناه مأمورا فيه بعبادة الله وتوحيده والدعوة إليه وإلى دينه والإنذار بدار الجزاء .

(١٠) حكمة عربيّة مترجمة بلسان العرب . وانتصابه على الحال .

(١١) كانوا يدعون رسول الله صلّى الله عليه وسلم إلى أمور يشاركهم فيها . فقيل (ولئن اتّبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم) أى ثبوت العلم بالحجج القاطعة والبراهين الساطعة

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ (١) وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً (٢) وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ (٣) لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ (٤) ۝ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ (٥) وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (٦) ۝ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ (٧) ۝ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ (٨)

(مالك من الله من ولىّ ولا واق) أى لا ينصرك ناصر ولا يقيك منه واق . وهـذا من باب التهييج والبعث للسامعين على الثبات فى الدين ، وألا يزلّ زالّ عند الشبهة بعد استمساكه بالحجة . وإلّا فكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من شدّة الثبات بمكان .

(١) كانوا يعيبونه بالزواج والولاد ويقترحون عليـه الآيات وينكرون النسخ فنزل (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك) إلى (يمحو الله ما يشاء ويثبت) .

(٢) نساء وأولادا .

(٣) أى ليس فى وسعه إتيان الآيات على ما يقترحه قومه وإنّما ذلك إلى الله .

(٤) لكلّ وقت حكم يكتب على العباد ، أى يفرض عليهم على ما تقتضيه حكمته .

(٥) ينسخ (ما يشاء) نسخه (ويثبت) بدله ما يشاء ، أو يتركه غير منسوخ . أو يمحو من ديوان الحفظة ما يشاء ويثبت غيره . أو يمحو كفر التائبين ويثبت إيمـانهم أو يميت من حان أجله وعكسه . (ويثبّت) مدنىّ وشامىّ وحمزة وعلىّ .

(٦) أى أصل كلّ كتاب وهو اللوح المحفوظ لأنّ كلّ كائن مكتوب فيه .

(٧) وكيفما دارت الحال ــ أريناك مصارعهم وما وعدناهم من إنزال العذاب عليهم ، أو توفّيناك قبل ذلك ــ (فإنّما عليك البلاغ) فما يجب عليك إلّا تبليغ الرسالة فحسب وعلينا حسابهم وجزاؤهم على أعمالهم لا عليك . فلا يهمّنك إعراضهم ولا تستعجل بعذابهم .

(٨) أرض الكفرة .

نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا[١] وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ[٢] وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤١﴾[٣] وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ[٤] ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا[٥] قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ[٦]

---

(١) بما نفتح على المسلمين من بلادهم فننقص دار الحرب ونزيد فى دار الإسلام . وذلك من آيات النصرة والغلبة . والمعنى عليك البلاغ الذى حمّلته ولا تهتمّ بما وراء ذلك فنحن نكفيكه ونتمّ ما وعدناك من النصرة والظفر .

(٢) لا رادّ لحكمه . والمعقّب الذى يكرّ على الشىء فيبطله . وحقيقته الذى يعقّبه أى يقفّيه بالردّ والإبطال . ومنه قيل لصاحب الحق معقّب لأنه يقفّى غريمه بالاقتضاء والطلب . والمعنى أنّه حكم للإسلام بالغلبة والإقبال ، وعلى الكفر بالإدبار والانتكاس . ومحلّ (لا معقب لحكمه) النصب على الحال كأنه قيل : والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاءنى زيد لا عمامة على رأسه ولا قلنسوة له ، تريد حاسرا .

(٣) فعمّا قليل يحاسبهم فى الآخرة بعد عذاب الدنيا .

(٤) (وقد مكر الذين من قبلهم) أى كفّار الأمم الخالية بأنبيائهم . والمكر إرادة المكروه فى خفية . ثمّ جعل مكرهم كلا مكر بالإضافة إلى مكره فقال (فلله المكر جميعا) . ثمّ فسّر ذلك بقوله (يعلم ما تكسب كلّ نفس وسيعلم الكفّار لمن عقبى الدار) يعنى العاقبة المحمودة . لانّ من علم ما تكسب كلّ نفس وأعدّ لها جزاءها فهو المكر كلّه ، لأنّه يأتيهم من حيث لا يعلمون وهم فى غفلة عما يراد بهم . (الكافر) على إرادة الجنس حجازىّ وأبو عمرو .

(٥) المراد بهم كعب بن الأشرف ورؤساء اليهود . قالوا (لست مرسلا) ولهذا قال عطاء هى مكّيّة إلّا هذه الآية .

(٦) بما أظهر من الأدلّة على رسالتى . والباء دخلت على الفاعل و (شهيدا) تمييز .

وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ (١) ۝

(١) قيل هو الله عزّ وجل . والكتاب اللوح المحفوظ . دليله قراءة من قرأ (ومِن عنده علم الكتاب) أى ومن لدنه علم الكتاب لأنّ علمَ من علمه من فضله ولطفه . وقيل ومن هو من علماء أهل الكتاب الذين أسلموا لأنّهم يشهدون بنعته فى كتبهم . وقال ابن سلّام فىّ نزلت هذه الآية . وقيل هو جبريل عليه السلام . و(مَن) فى موضع الجرّ بالعطف على لفظ الله . أو فى موضع الرفع بالعطف على محلّ الجارّ والمجرور إذ التقدير كفى الله . و(علم الكتاب) يرتفع بالمقدّر فى الظرف فيكون فاعلا لأنّ الظرف صلة لمن . و (من) هنا بمعنى الذى، والتقدير من ثبتَ عنده علم الكتاب. وهذا لأنّ الظرف إذا وقع صلة يعمل عمل الفعل نحو مررت بالذى فى الدار أخوه . فأخوه فاعل كما تقول بالذى استقر فى الدار أخوه . فى القراءة بكسر ميم (مِن) يرتفع العلم بالابتداء .

سورة إبراهيم عليه السلام مكيّة

اثنتان وخمسون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر كِتَٰبٌ(١) أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ(٢) لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ(٣) بِإِذْنِ رَبِّهِمْ(٤) إِلَىٰ صِرَٰطِ(٥) ٱلْعَزِيزِ(٦) ٱلْحَمِيدِ(٧) ۝ ٱللَّهِ(٨) ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ(٩) وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ(١٠) ۝ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ(١١)

(١) هو خبر مبتدأ محذوف أى هذا (كتاب) يعنى السورة .

(٢) (أنزلناه إليك) فى موضع الرفع صفة للنكرة .

(٣) (لتخريج الناس) بدعائك إياهم (من الظلمات إلى النور) من الضلالة إلى الهدى .

(٤) بتيسيره وتسهيله . مستعار من الإذن الذى هو تسهيل الحجاب . وذلك ما يمنحهم من التوفيق .

(٥) بدل من النور بتكرير العامل .

(٦) الغالب بالانتقام .

(٧) المحمود على الإنعام .

(٨) بالرفع مدنىّ وشامىّ على هو (الله) . وبالجر غيرهما على أنه عطف بيان للعزيز الحميد .

(٩) (الذى له ما فى السموات وما فى الأرض) خلقا وملكا .

(١٠) وهو مبتدأ وخبر وصفة . لمّا ذكر الخارجين من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان توعّد الكافرين بالويل وهو نقيض الوأل وهو النجاة . وهو اسم معنى كالهلاك .

(١١) يختارون ويؤثرون .

ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ (١) وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا (٢) أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ (٣) ۝ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ (٤) فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ (٥) وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ (٦) وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ (٧) ٱلْحَكِيمُ (٨) ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ (٩) أَنْ أَخْرِجْ (١٠) قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ

---

(١) عن دينه .

(٢) يطلبون لسبيل الله زيغا واعوجاجا . والأصل ويبغون لها فحذف الجار وأوصل الفعل . (الذين) مبتدأ خبره (أولئك فى ضلال) . أو مجرور صفة للكافرين . أو منصوب على الذم أو مرفوع على أعنى (الذين) أو هم (الذين) .

(٣) (بعيد) عن الحق . ووصف الضلال بالبعد من الإسناد المجازى . والبعد فى الحقيقة للضالّ لأنّه هو الذى يتباعد عن طريق الحقّ فوصف به فعله كما تقول جدّ جدّه .

(٤) (وما أرسلنا من رسول إلّا بلسان قومه) إلّا متكلّما بلغتهم (ليبيّن لهم) ما هو مبعوث به وله . فلا يكون لهم حجة على الله ولا يقولون له لم نفهم ما خوطبنا به . فإن قلت إنّ رسولنا صلّى الله عليه وسلّم بعث إلى الناس جميعا بقوله (قل يأيّها الناس إنّى رسول الله إليكم جميعا) بل إلى الثقلين وهم على ألسنة مختلفة فإن لم تكن للعرب حجة فلغيرهم الحجة . قلت لا يخلو إمّا أن ينزل بجميع الألسنة أو بواحد منها . فلا حاجة إلى نزوله بجميع الألسنة لأنّ الترجمة تنوب عن ذلك وتكفى التطويل . فتعيّن أن ينزل بلسان واحد . وكان لسان قومه أولى بالتعيين لأنّهم أقرب إليه ولأنّه أبعد من التحريف والتبديل .

(٥) من آثر سبب الضلالة .

(٦) من آثر سبب الاهتداء .

(٧) فلا يغالب على مشيئته .

(٨) فلا يخذل إلّا أهل الخذلان .

(٩) (بآياتنا) التسع .

(١٠) بأن أخرج أو أى أخرج لأنّ الإرسال فيه معنى القول كأنّه قيل أرسلناه وقلنا له (أخرج قومك) .

وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ(١) لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ(٢) ۝ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم(٣) مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ(٤) وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ(٥) مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ۝ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ(٦)

(١) وأنذرهم بوقائعه التى وقعت على الأمم قبلهم ، قوم نوح وعاد وثمود : ومنه أيام العرب لحروبها وملاحمها. أو بأيام الإنعام حيث ظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى وفلق لهم البحر .

(٢) (لكل صبار) على البلايا (شكور) على العطايا كأنه قال لكل مؤمن إذ الإيمان نصفان : نصف صبر ونصف شكر .

(٣) (إذ) ظرف للنعمة بمعنى الإنعام أى إنعامه عليكم ذلك الوقت. أو بدل اشتمال من نعمة الله أى اذكروا وقت إنجائكم .

(٤) ذكر فى البقرة (يذبحون) وفى الأعراف (يقتلون) بلا واو، وهنا مع الواو. والحاصل أن التذبيح حيث طرح الواو جعل تفسيرا للعذاب وبيانا له ، وحيث أثبت الواو جعل التذبيح من حيث إنه زاد على جنس العذاب كأنه جنس آخر .

(٥) الإشارة إلى العذاب والبلاء المحنة . أو إلى الإنجاء . والبلاء النعمة (ونبلوكم بالشر والخير فتنة) .

(٦) (وإذ تأذن) أى آذن . ونظير تأذن وآذن توعد وأوعد . ولا بد فى تفعل من زيادة معنى ليس فى أفعل ، كأنه قيل وإذ آذن ربكم إيذانا بليغا تنتفى عنده الشكوك والشبه . وهو من جملة ما قال موسى لقومه . وانتصابه للعطف على نعمة الله عليكم كأنه قيل (وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم) واذكروا حين (تأذن ربكم) والمعنى (وإذ تأذن ربكم) فقال (لئن شكرتم) يابنى إسرائيل ماخولتكم من نعمة الإنجاء وغيرها (لأزيدنكم) نعمة إلى نعمة . فالشكر قيد الموجود وصيد المفقود . وقيل إذا سمعت النعمة نغمة الشكر تأهبت للزيد . وقال ابن عباس رضى الله عنهما (لئن شكرتم) بالجد فى الطاعة (لأزيدنكم) بالجد فى المثوبة .

وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ (١) ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ (٢) وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا (٣) فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ (٤) ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ (٥) وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ (٦) جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ (٧) فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ (٨) وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ (٩) وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ (١٠) ﴿٩﴾

(١) (ولئن كفرتم) ما أنعمت به عليكم (إنّ عذابي لشديد) لمن كفر نعمتى . أمّا فى الدنيا فسلب النعم . وأمّا فى العقبى فتوالى النقم .

(٢) يا بنى إسرائيل .

(٣) والناس كلّهم .

(٤) (لغنىّ) عن شكركم (حميد) وإن لم يحمده الحامدون . وأنتم ضررتم أنفسكم حيث حرمتموها الخير الذى لابدّ لكم منه .

(٥) من كلام موسى لقومه . أو ابتداء خطاب لأهل عصر محمد عليه السلام .

(٦) جملة من مبتدأ وخبر وقعت اعتراضا . أو عطف (الذين من بعدهم) على (قوم نوح) و(لايعلمهم إلّا الله) اعتراض. والمعنى أنّهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم إلّا الله. وعن ابن عباس رضى الله عنهما بين عدنان وإسماعيل ثلاثون أبا لا يعرفون . وروى أنّه عليه السلام قال عند نزول هذه الآية «كذب النسّابون» .

(٧) بالمعجزات .

(٨) الضميران يعودان إلى الكفرة، أى أخذوا أناملهم بأسنانهم تعجّبا . أو عضّوا عليها تغيّظا . أو الثانى يعود إلى الأنبياء أى ردّ القوم أيديهم فى أفواه الرسل كى لا يتكلّموا بما أرسلوا به .

(٩) من الإيمان بالله والتوحيد .

(١٠) موقع فى الريبة .

قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ[١] فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ[٢] وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى[٣] قَالُوٓا۟[٤] إِنْ أَنتُمْ[٥] إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا[٦] تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا[٧] فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ[٨] ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ[٩] وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ[١٠] وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ[١١]

---

(١) أدخلت همزة الإنكار على الظرف لأنّ الكلام ليس فى الشكّ إنّما هو فى المشكوك فيه وأنّه لا يحتمل الشكّ لظهور الأدلّة . وهو جواب قولهم (وإنّا لفى شكّ) .

(٢) (يدعوكم) إلى الإيمان (ليغفر لكم من ذنوبكم) إذا آمنتم . ولم تجئ مع (من) إلّا فى خطاب الكافرين كقوله (واتّقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم . يا قومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم) . وقال فى خطاب المؤمنين (هل أدلّكم على تجارة) إلى أن قال (يغفر لكم ذنوبكم) وغير ذلك مما يعرف بالاستقراء . وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين ولئلا يسوّى بين الفريقين فى الميعاد .

(٣) إلى وقت قد سمّاه وبيّن مقداره .

(٤) أى القوم .

(٥) ما أنتم .

(٦) لا فضل بيننا وبينكم ولا فضل لكم علينا فلم تخصّون بالنبوّة دوننا ؟

(٧) يعنى الأصنام .

(٨) بحجّة بيّنة . وقد جاءتهم رسلهم بالبيّنات وإنّما أرادوا بالسلطان المبين آية قد اقترحوها تعنّتا ولجاجا .

(٩) تسليم لقولهم إنّهم بشر مثلهم .

(١٠) (ولكنّ الله يمنّ على من يشاء من عباده) بالإيمان والنبوّة كما منّ علينا .

(١١) جواب لقولهم (فأتونا بسلطان مبين) . والمعنى أنّ الإتيان بالآية التى قد اقترحتموها ليس إلينا ولا فى استطاعتنا . وإنّما هو أمر يتعلّق بمشيئة الله تعالى .

وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ[1] ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا[2] وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا[3] وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ[4] ﴿١٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ[5] لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا[6] فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ[7] ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ[8] مِنۢ بَعْدِهِمْ

---

(١) أمر منهم للمؤمنين كافة بالتوكل وقصدوا به أنفسهم قصدا أوليا كأنهم قالوا ومن حقنا أن نتوكل على الله فى الصبر على معاندتكم ومعاداتكم وإيذائكم . ألا ترى إلى قوله (وما لنا ألا نتوكل على الله) .

(٢) معناه وأى عذر لنا فى ألا نتوكل عليه وقد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية كل منا سبيله الذى يجب عليه سلوكه فى الدين . قال أبو تراب : التوكل طرح البدن فى العبودية ، وتعلق القلب بالربوبية ، والشكر عند العطاء ، والصبر عند البلاء .

(٣) جواب قسم مضمر أى حلفوا على الصبر على أذاهم وألا يمسكوا عن دعائهم

(٤) أى فليثبت المتوكلون على توكلهم حتى لا يكون تكرارا .

(٥) (سبْلنا ، لرسْلهم) أبو عمرو .

(٦) (لنخرجنكم من أرضنا) من ديارنا (أو لتعودن فى ملتنا) أى ليكونن أحد الأمرين : إخراجكم أو عودكم ، وحلفوا على ذلك . والعود بمعنى الصيرورة وهو كثير فى كلام العرب . أو خاطبوا به كل رسول ومن آمن معه فغلبوا فى الخطاب الجماعة على الواحد .

(٧) القول مضمر أو أجرى الإيحاء مجرى القول لأنه ضرب منه .

(٨) أى أرض الظالمين وديارهم . فى الحديث " من آذى جاره ورثه الله داره " .

ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي(١) وَخَافَ وَعِيدِ(٢) ۝ وَٱسْتَفْتَحُوا(٣) وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ(٤) ۝ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ(٥) وَيُسْقَىٰ(٦) مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ(٧) ۝ يَتَجَرَّعُهُۥ(٨) وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ(٩) وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ(١٠) وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ(١١)

(١) (ذلك) الإهلاك والإسكان . أى ذلك الأمر حق (لمن خاف مقامى) موقفى ، وهو موقف الحساب. أو المقام مقحم. أو خاف قيامى عليه بالعلم كقوله (أفمن هو قائم على كلّ نفس بما كسبت) . والمعنى أنّ ذلك حقّ للتقين .

(٢) عذابى . وبالياء يعقوب .

(٣) واستنصروا الله على أعدائهم . وهو معطوف على (أوحى إليهم) .

(٤) وخسر كلّ متكبّر بطر (عنيد) مجانب للحقّ . معناه فنصروا وظفروا وأفلحوا (وخاب كلّ جبّار عنيد) وهم قومهم .

وقيل الضمير للكفّار . ومعناه واستفتح الكفّار على الرسل ظنّا منهم بأنهم على الحقّ والرسل على الباطل (وخاب كلّ جبّار عنيد) منهم ولم يفلح باستفتاحه .

(٥) من بين يديه (جهنّم) . وهذا وصف حاله وهو فى الدنيا لأنه مرصد لجهنّم فكأنّها بين يديه وهو على شفيرها . أو وصف حاله فى الآخرة حيث يبعث ويوقف .

(٦) معطوف على محذوف تقديره (من ورائه جهنّم) يلقى فيها ما يلقى (ويسقى) .

(٧) ما يسيل من جلود أهل النار . و(صديد) عطف بيان لماء لأنه مبهم فبيّن بقوله (صديد) .

(٨) يشربه جُرعة جرعة .

(٩) ولا يقارب أن يسيغه فكيف تكون الإساغة ؟ كقوله (لم يكد يراها) أى لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها ؟ .

(١٠) أى أسباب الموت من كلّ جهة، أو من كلّ مكان من جسده . وهذا تفظيع لما يصيبه من الآلام. أى لو كان ثمّة موت لكان كلّ واحد منها مهلكا .

(١١) لأنه لو مات لاستراح .

وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ(١) ۝ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ(٢) أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ(٣) ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ(٤) فِى يَوْمٍ عَاصِفٍۖ(٥) لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَىْءٍۚ(٦) ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ(٧) ۝ أَلَمْ تَرَ(٨) أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ(٩) ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۚ(١٠) إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ(١١) ۝ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ(١٢) ۝

---

(١) ومن بين يديه . أى فى كل وقت يستقبله يتلقى عذابا أشد مما قبله وأغلظ . وعن الفضيل هو قطع الأنفاس وحبسها فى الأجساد .

(٢) مبتدأ محذوف الخبر أى فيما يتلى عليكم (مثل الذين كفروا بربّهم) والمثل مستعار للصفة التى فيها غرابة .

(٣) جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم ؟ فقيل (أعمالهم كرماد) .

(٤) (الرياح) مدنىّ .

(٥) جعل العصف لليوم وهو لما فيه وهو الريح كقولك : يوم ماطر . وأعمال الكفرة المكارم التى كانت لهم من صلة الأرحام وعتق الرقاب وفداء الأسرى وعقر الإبل للأضياف وغير ذلك . شبهها فى حبوطها لبنائها على غير أساس — وهو الإيمان بالله تعالى — برماد طيّرته الريح العاصف .

(٦) (لا يقدرون) يوم القيامة (مّما كسبوا) من أعمالهم (على شىء) أى لا يرون له أثرا من ثواب كما لا يُقدر من الرماد المطيّر فى الريح على شىء .

(٧) إشارة إلى بعد ضلالهم عن طريق الحقّ أو عن الثواب .

(٨) ألم تعلم . الخطاب لكلّ أحد .

(٩) (خالق) مضافا حمزة وعلىّ .

(١٠) بالحكمة والأمر العظيم ولم يخلقها عبثا .

(١١) أى هو قادر على أن يعدم الناس ويخلق مكانهم خلقا آخر على شكلهم أو على خلاف شكلهم إعلاما بأنّه قادر على إعدام الموجود وإيجاد المعدوم .

(١٢) بمتعذّر .

وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا(١) فَقَالَ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُا۟(٢) لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟(٣) إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا(٤) فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ(٥) قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَـٰكُمْ(٦) سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا(٧) مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ(٨) ﴿٢١﴾

(١) ويبرزون يوم القيامة. وإنما جيء به بلفظ الماضى لأن ما أخبر به عز وجل لصدقه كأنه قد كان ووجد. ونحوه (ونادى أصحاب الجنة. ونادى أصحاب النار) وغير ذلك. ومعنى بروزهم لله والله تعالى لايتوارى عنه شيء حتى يبرز له، أنهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون أن ذلك خاف على الله. فإذا كان يوم القيامة انكشفوا لله عند أنفسهم وعلموا أن الله لا تخفى عليه خافية. أو خرجوا من قبورهم فبرزوا لحساب الله وحكمه.

(٢) (الضعفاء) فى الرأى وهم السفلة والأتباع. وكتب الضعفاء بواو قبل الهمزة على لفظ من يفخم الألف قبل الهمزة فيميلها إلى الواو.

(٣) وهم السادة والرؤساء الذين استغووهم وصدوهم عن الاستماع إلى الأنبياء واتباعهم.

(٤) تابعين. جمع تابع على تبع كخادم وخدم وغائب وغيب. أو ذوى تبع. والتبع الاتباع يقال تبعه تبعا.

(٥) فهل تقدرون على دفع شيء مما نحن فيه. و(من) الأولى للتبيين والثانية للتبعيض كأنه قيل (فهل أنتم مغنون عنا) بعض الشيء الذى هو عذاب الله. أو هما للتبعيض، أى فهل أنتم مغنون عنا بعض شيء هو بعض عذاب الله.

(٦) لما كان قول الضعفاء توبيخا لهم وعتابا على استغوائهم لأنهم علموا أنهم لا يقدرون على الإغناء عنهم، قالوا لهم مجيبين معتذرين (لو هدانا الله لهديناكم) أى لو هدانا الله إلى الإيمان فى الدنيا لهديناكم إليه. أو لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم، أى لأغنينا عنكم وسلكنا بكم طريق النجاة كما سلكنا بكم طريق الهلكة.

(٧) مستويان علينا الجزع والصبر. والهمزة وأم للتسوية. روى أنهم يقولون فى النار: تعالوا نجزع. فيجزعون خمسمائة عام. فلا ينفعهم الجزع. فيقولون: تعالوا نصبر. فيصبرون خمسمائة عام فلا ينفعهم الصبر. ثم يقولون (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا). واتصاله بما قبله من حيث إن عتابهم لهم كان جزعا مما هم فيه. فقالوا لهم (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا) يريدون أنفسهم وإياهم لاجتماعهم فى عقاب الضلالة التى كانوا مجتمعين فيها. يقولون ما هذا الجزع والتوبيخ ولا فائدة فى الجزع كما لا فائدة فى الصبر.

(٨) منجى ومهرب جزعنا أم صبرنا. ويجوز أن يكون هذا من كلام الضعفاء والمستكبرين جميعا.

وَقَالَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ[١] إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ[٢] وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍ[٣] إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ[٤] فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى[٥] فَلَا تَلُومُونِى[٦] وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم[٧] مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ[٨] إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ[٩] مِن قَبْلُ[١٠] إِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾

(١) لمّا حكم بالجنّة والنار لأهليهما وفرغ من الحساب ودخل أهل الجنّة الجنّة وأهل النار النار .

(٢) روى أنّ الشيطان يقوم عند ذلك خطيبا على منبر من نار فيقول لأهل النار (إنّ الله وعدكم وعد الحقّ) وهو البعث والجزاء على الأعمال فوفى لكم بما وعدكم (ووعدتكم) بأن لا بعث ولا حساب ولا جزاء(فأخلفتكم) كذبتكم .

(٣) من تسلّط واقتدار .

(٤) لكنّى دعوتكم إلى الضلالة بوسوستى وتزيينى . والاستثناء منقطع لأنّ الدعاء ليس من جنس السلطان .

(٥) فأسرعتم إجابتى .

(٦) لأنّ من تجرّد للعداوة لا يلام إذا دعا إلى أمر قبيح ، مع أنّ الرحمن قد قال لكم (لا يفتننّكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنّة) .

(٧) حيث اتّبعتمونى بلا حجّة ولا برهان . وقول المعتزلة هذا دليل على أنّ الإنسان هو الذى يختار الشقاوة أو السعادة ويحصّلها لنفسه وليس من الله إلّا التمكين ولا من الشيطان إلّا التزيين ، باطل لقوله (لو هدانا الله) أى إلى الإيمـان (لهديناكم) كما مرّ .

(٨) لا ينجى بعضنا بعضا من عذاب الله ولا يغيثه. والإصراخ الإغاثة. (بمصرخىِّ) حمزة إتباعا للخاء. غيره بفتح الياء لئلا تجتمع الكسرة والياءان بعد كسرتين . وهو جمع مصرخ . فالياء الأولى ياء الجمع والثانية ضمير المتكلم .

(٩) وبالياء بصرىّ . وما مصدريّة .

(١٠) متعلّق بأشركتمونى، أى كفرت اليوم بإشراككم إيّاى مع الله من قبل هذا اليوم أى فى الدنيا كقوله (ويوم القيامة يكفرون بشرككم) . ومعنى كفره بإشراكهم إيّاه تبرّؤه

وَأُدْخِلَ[1] ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ[2] تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ[3] ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا[4] كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ[5] أَصْلُهَا ثَابِتٌ[6] وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ[7] ﴿٢٤﴾

منه واستنكاره له كقوله (إنّا برآء منكم وممّا تعبدون من دون الله كفرنا بكم). أو (من قبل) متعلّق بكفرت و (ما) موصولة، أى كفرت (من قبل) حين أبيت السجود لآدم بالذى أشركتمونيه وهو الله عزّ وجلّ. تقول: أشركنى فلان أى جعلنى له شريكا. ومعنى إشراكهم الشيطان بالله طاعتهم له فيما كان يزيّنه لهم من عبادة الأوثان. وهذا آخر قول الشيطان. وقوله (إنّ الظالمين لهم عذاب أليم) قول الله عزّ وجلّ. وقيل هو من تمام كلام إبليس. وإنّما حكى الله عزّ وجلّ ما سيقوله فى ذلك الوقت ليكون لطفا للسامعين.

(1) عطف على (برزوا).

(2) متعلق بأدخل أى أدخلتهم الملائكة الجنّة بإذن الله وأمره.

(3) هو تسليم بعضهم على بعض فى الجنّة أو تسليم الملائكة عليهم.

(4) أى وصفه و بيّنه.

(5) (كلمة) نصب بمضمر. أى جعل (كلمة طيّبة كشجرة طيّبة). وهو تفسير لقوله (ضرب الله مثلا) نحو شرّف الأمير زيدا كساه حلة وحمله على فرس. أو انتصب (مثلا) و (كلمة) بضرب أى ضرب كلمة طيّبة مثلا يعنى جعلها مثلا. ثمّ قال (كشجرة طيّبة) على أنّها خبر مبتدأ محذوف أى هى كشجرة طيّبة.

(6) أى فى الأرض ضارب بعروقه فيها.

(7) (و) أعلاها و رأسها (فى السماء).

والكلمة الطيّبة كلمة التوحيد. أصلها تصديق بالجنان. وفرعها إقرار باللسان. وأُكلها عمل الأركان. وكما أنّ الشجرة شجرة و إن لم تكن حاملا، فالمؤمن مؤمن وإن لم يكن عاملا. ولكنّ الأشجار لا تراد إلّا للثمار. فما أقوات النار إلّا من الأشجار إذا اعتادت الإخفار فى عهد الإثمار. والشجرة كلّ شجرة مثمرة طيّبة الثمار كالنخلة وشجرة التين ونحو ذلك. والجمهور على أنّها النخلة. فعن ابن عمر أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال ذات يوم "إنّ الله تعالى ضرب مثل المؤمن شجرة فأخبرونى ما هى؟". فوقع الناس فى شجر البوادى. وكنت

تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ(١) بِإِذْنِ رَبِّهَا(٢) وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ(٣) ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ(٤) كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ(٥) ٱجْتُثَّتْ(٦) مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ(٧) ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ(٨) ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ(٩) فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا(١٠) وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ(١١) وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ(١٢)

صبيًا . فوقع فى قلبى أنها النخلة فهبت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن أقولها وأنا أصغر القوم . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : ألا إنها النخلة. فقال عمر: "يا بنىّ لو كنت قلتها لكانت أحبّ إلىّ من حمر النعم" .

(١) تعطى ثمرها كلّ وقت وقّته الله لإثمارها .

(٢) بتيسير خالقها وتكوينه .

(٣) لأنّ فى ضرب الأمثال زيادة إفهام وتذكير وتصوير للمعانى .

(٤) هى كلمة الكفر .

(٥) هى كلّ شجرة لا يطيب ثمرها . وفى الحديث أنّها شجرة الحنظل .

(٦) استؤصلت جثّتها . وحقيقة الاجتثاث أخذ الجثّة كلّها وهو فى مقابلة (أصلها ثابت).

(٧) أى استقرار . يقال : قرّ الشىء قرارا كقولك ثبت ثبوتا . شبّه بها القول الذى لا يعضد بحجّة فهو داحض غير ثابت .

(٨) أى يديمهم عليه .

(٩) هو قول لا إله إلّا الله محمّد رسول الله .

(١٠) حتّى إذا فتنوا فى دينهم لم يزلّوا كما ثبت الذين فتنهم أصحاب الأخدود وغير ذلك .

(١١) الجمهور على أنّ المراد به فى القبر بتلقين الجواب وتمكين الصواب . فعن البراء أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ذكر قبض روح المؤمن فقال "ثمّ تعاد روحه فى جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فى قبره فيقولان له من ربّك؟ وما دينك؟ ومن نبيّك؟ فيقول: ربّى الله ودينى الإسلام ونبيّى محمّد صلّى الله عليه وسلّم . فينادى مناد من السماء أن صدق عبدى . فذلك قوله (يثبّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت). ثمّ يقول الملكان عشت سعيدا ومتّ حميدا . نم نومة العروس" .

(١٢) فلا يثبّتهم على القول الثابت فى مواقف الفتن وتزلّ أقدامهم أوّل شىء . وهم فى الآخرة أضلّ وأزلّ .

وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ(١) ﴿٢٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا(٢) وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ(٣) دَارَ ٱلْبَوَارِ(٤) ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ(٥) يَصْلَوْنَهَا(٦) وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ(٧) ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا(٨) لِّيُضِلُّوا۟(٩) عَن سَبِيلِهِۦ قُلْ تَمَتَّعُوا۟(١٠) فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ(١١) إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾ قُل لِّعِبَادِىَ(١٢) ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ(١٣) سِرًّا وَعَلَانِيَةً(١٤)

(١) فلا اعتراض عليه فى تثبيت المؤمنين و إضلال الظالمين .

(٢) أى (بدّلوا) شكر نعمة الله كفرا لأنّ شكرها الذى وجب عليهم وضعوا مكانه كفرا فكأنهم غيّروا الشكر إلى الكفر وبدّلوه تبديلا . وهم أهل مكّة. أكرمهم بمحمّد عليه السلام فكفروا نعمة الله بدل ما لزمهم من الشكر .

(٣) الذين تابعوهم على الكفر .

(٤) دار الهلاك .

(٥) عطف بيان .

(٦) يدخلونها .

(٧) وبئس المقر جهنم .

(٨) أمثالا فى العبادة أو فى التسمية .

(٩) وبفتح الياء مكىّ وأبو عمرو .

(١٠) (تمتّعوا) فى الدنيا . والمراد به الخزلان والتخلية . وقال ذو النون التمتع أن يقضى العبد ما استطاع من شهوته .

(١١) مرجعكم إليها .

(١٢) خصّهم بالإضافة إليه تشريفا . وبسكون الياء شامىّ وحمزة وعلىّ والأعشى .

(١٣) المقول محذوف، لأنّ (قل) تقتضى مقولا وهو أقيموا. وتقديره قل لهم أقيموا الصلاة وأنفقوا، يقيموا الصلاة وينفقوا . وقيل إنّه أمر وهو المقول والتقدير ليقيموا ولينفقوا فحذف اللام لدلالة (قل) عليه . ولو قيل (يقيموا الصلاة وينفقوا) ابتداء بحذف اللام لم يجز .

(١٤) انتصبا على الحال أى ذوى سرّ وعلانية يعنى مسرّين ومعلنين ، أو على الظرف أى وقتى سرّ وعلانية، أو على المصدر أى إنفاق سرّ و إنفاق علانية. والمعنى إخفاء التطوع و إعلان الواجب .

مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ[1] ۝ ٱللَّهُ[2] ٱلَّذِي[3] خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ[4] فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ[5] وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ۝ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ[6] وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ[7] ۝ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ[8] وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ[9]

(١) أى لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالّة . والخلال المخالّة . وإنّما ينتفع فيه بالإنفاق لوجه الله . بفتحهما مكيّ وبصريّ . والباقون بالرفع والتنوين .

(٢) مبتدأ .

(٣) خبره .

(٤) من السحاب مطرا .

(٥) (من الثمرات) بيان للرزق أى أخرج به رزقا هو ثمرات . أو(من الثمرات) مفعول (أخرج) و (رزقا) حال من المفعول .

(٦) دائبين . وهو حال من الشمس والقمر ، أى يدأبان فى سيرهما وإنارتهما ودرئهما الظلمات وإصلاحهما ما يصلحان من الأرض والأبدان والنبات .

(٧) يتعاقبان خلفة لمعاشكم وسباتكم .

(٨) (من) للتبعيض ، أى آتاكم بعض جميع ما سألتموه، أو (وآتاكم من كلّ) شيء سألتموه وما لم تسألوه . فما موصوفة والجملة صفة لها وحذفت الجملة الثانية لأن الباقى يدلّ على المحذوف كقوله (سرابيل تقيكم الحرّ) . (من كلٍّ) عن أبى عمرو . و(ما سألتموه) نفى ومحلّه النصب على الحال. أى آتاكم من جميع ذلك غير سائليه . أو ما موصولة أى وآتاكم من كل ذلك ما احتجتم إليه . فكأنكم سألتموه أو طلبتموه بلسان الحال .

(٩) لاتطيقوا عدّها وبلوغ آخرها. هذا إذا أرادوا أن يعدّوها على الإجمال. وأما التفصيل فلا يعلمه إلّا الله .

إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ(١) ۝ وَإِذْ قَالَ(٢) إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ(٣) ءَامِنًا(٤) وَٱجْنُبْنِى(٥) وَبَنِىَّ(٦) أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ(٧) ۝ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ(٨) فَمَن تَبِعَنِى(٩) فَإِنَّهُۥ مِنِّى(١٠) وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ(١١) ۝ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى(١٢) بِوَادٍ(١٣) غَيْرِ ذِى زَرْعٍ(١٤)

(١) (لظلوم) يظلم النعمة بإغفال شكرها (كفّار) شديد الكفران لها. أو (ظلوم) فى الشدة يشكو ويجزع (كفّار) فى النعمة يجمع ويمنع . والإنسان للجنس فيتناول الإخبار بالظلم والكفران من يوجدان منه .

(٢) (و) اذكر (إذ قال إبراهيم) .

(٣) أى البلد الحرام .

(٤) ذا أمن . والفرق بين هذه وبين ما فى البقرة أنهُ قد سأل فيها أن يجعله من جملة البلدان التى يأمن أهلها ، وفى الثانى أن يخرجه من صفة الخوف إلى الأمن كأنه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا .

(٥) وبعّدنى أى ثبّتنى وأدمنى على اجتناب عبادتها كما قال (واجعلنا مسلمين لك) ، أى ثبّتنا على الإسلام .

(٦) أراد بنيه من صلبه .

(٧) من (أن نعبد الأصنام) .

(٨) جعلن مضلّات على طريق التسبيب لأنّ الناس ضلّوا بسببهن فكأنّهن أضللنهم .

(٩) (فمن تبعنى) على ملّتى وكان حنيفا مسلما مثلى .

(١٠) أى هو بعضى لفرط اختصاصه بى .

(١١) (ومن عصانى) فيما دون الشرك (فإنّك غفور رحيم) . أو (ومن عصانى) عصيان شرك (فإنّك غفور رحيم) إن تاب وآمن .

(١٢) بعض أولادى وهم إسمعيل ومن ولد منه .

(١٣) هو وادى مكّة .

(١٤) لا يكون فيه شىء من زرع قطّ .

عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ (١) رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ (٢) فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ (٣) تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ (٤) وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ (٥) لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (٦) ۝ رَبَّنَآ (٧) إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ (٨) وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ (٩) ۝ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ (١٠) إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ (١١)

(١) هو بيت الله . سمّى به لأنّ الله تعالى حرّم التعرض له والتهاون به وجعل ما حوله حرما لمكانه، أو لأنه لم يزل ممنّعا يهابه كلّ جبّار، أو لأنه محترم عظيم الحرمة لايحلّ انتهاكها، أو لأنه حرّم على الطوفان أى منع منه كما سمّى عتيقا لأنه أعتق منه .

(٢) اللام متعلقة بـ(أسكنت) أى ما أسكنتهم بهذا الوادى البلقع إلّا (ليقيموا الصلاة) عند بيتك المحرّم و يعمروه بذكرك وعبادتك .

(٣) (أفئدة من) أفئدة (الناس) . و(من) للتبعيض . لما روى عن مجاهد "لو قال أفئدة الناس لزاحمتكم عليه فارس والروم والترك والهند". أو للابتداء كقولك : القلب منّى سقيم تريد قلبى فكأنّه قيل أفئدة ناس. ونكّرت المضاف إليه فى هذا التمثيل لتنكير أفئدة — لأنّها فى الآية نكرة — ليتناول بعض الأفئدة .

(٤) تسرع إليهم من البلاد الشاسعة وتطير نحوهم شوقا .

(٥) (وارزقهم من الثمرات) مع سكناهم واديا ما فيه شىء منها ، بأن تجلب إليهم من البلاد الشاسعة .

(٦) (لعلّهم يشكرون) النعمة فى أن يرزقوا أنواع الثمرات فى واد ليس فيه شجر ولا ماء .

(٧) النداء المكرّر دليل التضرّع واللجأ إلى الله .

(٨) تعلم السرّ كما تعلم العلن .

(٩) من كلام الله عزّ وجلّ تصديقا لإبراهيم عليه السلام، أو من كلام إبراهيم. و(من) للاستغراق كأنّه قيل وما يخفى على الله شىء ما

(١٠) (على) بمعنى مع . وهو فى موضع الحال أى وهب وأنا كبير .

(١١) روى أنّ إسمعيل ولد له وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له إسحق وهو ابن مائة واثنتى عشرة سنة . وروى أنّه ولد له إسمعيل لأربع وستين و إسحق لتسعين . وإنّما ذكر حال الكبر لأنّ المنة بهبة الولد فيها أعظم لأنّها حال وقوع اليأس من الولادة . والظفر بالحاجة على عقب اليأس من أجلّ النعم . ولأن الولادة فى تلك السن العالية كانت آية لإبراهيم .

إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ(١) ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي(٢) رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ(٣) ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ(٤) وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ(٥) ﴿٤١﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ(٦) إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ(٧) لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ(٨) ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ(٩) مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ(١٠) لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ(١١)

---

(١) مجيب الدعاء من قولك سمع الملك كلام فلان إذا تلقاه بالإجابة والقبول . ومنه سمع الله لمن حمده . وكان قد دعا ربّه وسأله الولد فقال (ربّ هب لى من الصالحين) فشكر لله ما أكرمه به من إجابته . وإضافة السمع إلى الدعاء من إضافة الصفة إلى مفعولها ، وأصله لسميعٌ الدعاء. وقد ذكر سيبويه فعيلا فى جملة أبنية المبالغة العاملة عمل الفعل كقولك هذا رحيم أباه .

(٢) وبعض ذرّيتى عطفا على المنصوب فى(اجعلنى) . وإنّما بعّض لأنّه علم بإعلام الله أنّه يكون فى ذريّته كفّار . عن ابن عباس رضى الله عنهما لا يزال من ولد إبراهيم ناس على الفطرة إلى أن تقوم الساعة .

(٣) بالياء فى الوصل والوقف مكّىّ. ووافقه أبو عمرو وحمزة فى الوصل . الباقون بلا ياء . أى استجب دعائى أو عبادتى (وأعتزلكم وما تدعون من دون الله) .

(٤) أى آدم وحواء ، أو قاله قبل النهى واليأس عن إيمان أبويه .

(٥) أى يثبت . أو أسند إلى الحساب قيام أهله إسنادا مجازيّا مثل (واسأل القرية) .

(٦) تسلية للمظلوم وتهديد للظالم . والخطاب لغير الرسول عليه السلام . وإن كان للرسول فالمراد تثبيته عليه السلام على ما كان عليه من أنّه لايحسب الله غافلا كقوله :(ولا تكوننّ من المشركين . ولا تدع مع الله إلها آخر) . وكما جاء فى الأمر (يأيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله) وقيل المراد به الإيذان بأنّه عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه منه شىء وأنّه معاقبهم على قليله وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد كقوله (والله بما تعملون عليم) .

(٧) أى عقوبتهم .

(٨) أى أبصارهم لا تقر فى أماكنها من هول ما ترى .

(٩) مسرعين إلى الداعى .

(١٠) رافعيها .

(١١) لا يرجع إليهم نظرهم فينظروا إلى أنفسهم .

وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَآءٌ (١) ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ (٢) فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ (٣) رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ (٤) ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ (٥) وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ (٦) وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ (٧) ﴿٤٥﴾

(١) صفر من الخير لا تعى شيئاً، من الخوف . والهواء الخلاء الذى لم تشغله الأجرام . فوصف به فقيل قلب فلان هـواء إذا كان جبانا لا قوة فى قلبـه ولا جراءة . وقيل جُوف لا عقول لهم .

(٢) أى يوم القيامة . و(يوم) مفعول ثان لأنذر لا ظرف، إذ الإنذار لا يكون فى ذلك اليوم

(٣) أى الكفّار .

(٤) أى ردّنا إلى الدنيا وأمهلنا إلى أمد وحدّ من الزمان قريب نتدارك ما فرّطنا فيه من إجابة دعوتك واتّباع رسلك . فيقال لهم (أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال) أى حلفتم فى الدنيا أنّكم إذا متّم لا تزالون عن تلك الحالة ولا تنتقلون إلى دار أخرى ، يعنى كفرتم بالبعث كقوله (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لايبعث الله من يموت). و(ما لكم) جواب القسم. وإنّما جاء بلفظ الخطاب لقوله (أقسمتم) . ولو حكى لفظ المقسمين لقيل ما لنا من زوال . أو أريد باليوم يوم هلا كهم بالعذاب العاجل . أو يوم موتهم معـذّبين بشدّة السكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى . فإنّهم يسألون يومئذ أن يؤخّرهم ربهم إلى أجل قريب .

(٥) (ظلموا أنفسهم) بالكفر. يقال سكن الدار وسكن فيها لأنّ السكنى من السكون وهو اللبث . والأصل تعديته بفى نحو قرّ فى الدار وأقام فيها ولكنّه لـمّا نقل إلى سكون خاصّ تصرّف فيه فقيل سكن الدار كما قيل تبوّأها . ويجوز أن يكون سكنوا من السكون أى قرّوا فيها واطمأنّوا طيّبى النفوس سائرين سيرة من قبلهم فى الظلم والفساد لا يحدّثونها بما لقى الأوّلون من أيّام الله وكيف كان عاقبة ظلمهم فيعتبروا ويرتدعوا .

(٦) (وتبيّن لكم) بالأخبار أو المشاهدة، وفاعل (تبيّن) مضمر دلّ عليه الكلام أى تبيّن لكم حالهم. و(كيف) ليس بفاعل لأنّ الاستفهام لايعمل فيه ما قبله. وإنّما نصب (كيف) بقوله (فعلنا بهم) أى أهلكناهم وانتقمنا منهم .

(٧) أى صفات مافعلوا وما فعل بهم وهى فى الغرابة كالأمثال المضروبة لكلّ ظالم .

وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ(١) وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ(٢) وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ(٣) ۝ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ(٤) إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ(٥) ذُو ٱنتِقَامٍ(٦) ۝ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ(٧)

---

(١) أى مكرهم العظيم الذى استفرغوا فيه جهدهم وهو مافعلوه من تأييد الكفر و بطلان الإسلام .

(٢) هو مضاف إلى الفاعل كالأول . والمعنى ومكتوب عند الله مكرهم فهو مجازيهم عليه بمكر هو أعظم منه . أو إلى المفعول أى عند الله مكرهم الذى يمكرهم به وهو عذابهم الذى يأتيهم من حيث لايشعرون .

(٣) (لتزول) بكسر اللام الأولى ونصب الثانية . والتقدير و إن وقع مكرهم لزوال أمر النبى صلى الله عليه وسلم فعبر عن النبى عليه السلام بالجبال لعظم شأنه . (كان) تامة و(إن) نافية دليله قراءة ابن مسعود (وما كان مكرهم) واللام مؤكدة لها كقوله (وما كان الله ليعذبهم) . والمعنى ومحال أن تزول الجبال بمكرهم . على أن الجبال مثل لآيات الله وشرائعه لأنها بمنزلة الجبال الراسية ثباتا وتمكنا . و بفتح اللام الأولى ورفع الثانية على . أى (وإن كان مكرهم) من الشدة بحيث تزول منه الجبال وتنقطع عن أماكنها . فإن مخففة من إن واللام مؤكدة .

(٤) يعنى قوله (إنا لننصر رسلنا . كتب الله لأغلبن أنا ورسلى) . (مخلف) مفعول ثان لتحسبن وأضاف (مخلف) إلى (وعده) وهو المفعول الثانى له . والأول (رسله) . والتقدير مخلف رسله وعده . وإنما قدم المفعول الثانى على الأول ليعلم أنه لايخلف الوعد أصلا . كقوله (إن الله لايخلف الميعاد) . ثم قال (رسله) ليؤذن أنه إذا لم يخلف وعده أحدا فكيف يخلفه رسله الذين هم خيرته وصفوته ؟

(٥) غالب لا يماكر .

(٦) (ذو انتقام) لأوليائه من أعدائه .

(٧) (يوم) انتصابه على الظرف للانتقام ، أو على إضمار اذكر . والمعنى (يوم تبدل) هذه (الأرض) التى تعرفونها أرضا أخرى (غير) هذه المعروفة (و) تبدل (السموات) غير السموات . و إنما حذف لدلالة ما قبله عليه . والتبديل التغيير . وقد يكون فى الذوات كقولك : بدلت الدراهم دنانير ، وفى الأوصاف كقولك بدلت الحلقة خاتما إذا أذبتها وسويتها خاتما فنقلتها من

وَبَرَزُوا۟[1] لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ[2] ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ[3] يَوْمَئِذٍ[4] مُّقَرَّنِينَ[5] فِى ٱلْأَصْفَادِ[6] ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم[7] مِّن قَطِرَانٍ[8] وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ[9] ﴿٥٠﴾

شكل إلى شكل واختلف فى تبديل الأرض والسموات فقيل تُبدّل أوصافها وتسير عن الأرض جبالها وتفجّر بحارها وتسوّى فلا ترى فيها عوجا ولا أمتا . وعن ابن عباس رضى الله عنهما "هى تلك الأرض وإنما تغيّر". وتبدّل السماء بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها أبوابا. وقيل تخلق بدلها أرض وسموات أخر. وعن ابن مسعود رضى الله عنه يحشر الناس على أرض بيضاء لم يخطئ عليها أحد خطيئة. وعن علىّ رضى الله عنه تبدّل أرضا من فضّة وسموات من ذهب .

(١) وخرجوا من قبورهم .

(٢) هو كقوله (لمن الملك اليوم لله الواحد القهّار) ، لأنّ الملك إذا كان لواحد غلّاب لايغالب فلا مستغاث لأحد إلى غيره ، كان الأمر فى غاية الشدّة .

(٣) الكافرين .

(٤) يوم القيامة .

(٥) قرن بعضهم مع بعض أو مع الشياطين أو قرنت أيديهم إلى أرجلهم مغلّلين .

(٦) متعلّق بمقرّنين أى يقرنون فى الأصفاد . أو غير متعلّق به. والمعنى مقرّنين مصفّدين. والأصفاد القيود أو الأغلال .

(٧) قمصهم .

(٨) هو ما يتحلّب من شجر يسمّى الأبهل فيطبخ فيهنأ به الإبل الجربى فيحرق الجرب بحدّته وحرّه . ومن شأنه أن يسرع فيه اشتعال النار . وهو أسود اللون منتن الريح فيطلى به جلود أهل النار حتّى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل ليجتمع عليهم لذع القطران وحرقته وإسراع النار فى جلودهم واللون الوحش ونتن الريح . على أنّ التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين . وكلّ ما وعده الله أو أوعد به فى الآخرة فبينه وبين ما نشاهد من جنسه مالا يقادر قدره وكأنّه ماعندنا منه إلّا الأسامى والمسمّيات ثمّة . نعوذ بالله من سخطه وعذابه (من قِطْرٍآنٍ) زيد ، عن يعقوب : نحاس مذاب بلغ حرّه إناه .

(٩) تعلوها باشتعالها . وخصّ الوجه لأنّه أعزّ موضع فى ظاهر البدن كالقلب فى باطنه ولذا قال (تطّلع على الأفئدة) .

لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ[1] إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ[2] ﴿٥١﴾ هَـٰذَا[3] بَلَـٰغٌ لِّلنَّاسِ[4] وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ[5] وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ[6] وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ[7] ﴿٥٢﴾

---

(١) أى يفعل بالمجرمين مايفعل ليجزى كلّ نفس مجرمة ما كسبت ، أو كلّ نفس من مجرمة ومطيعة لأنه إذا عاقب المجرمين لإجرامهم علم أنّه يثيب المؤمنين بطاعته .

(٢) يحاسب جميع العباد فى أسرع من لمح البصر .

(٣) أى ما وصفه فى قوله (ولا تحسبنّ) إلى قوله (سريع الحساب) .

(٤) كفاية فى التذكير والموعظة .

(٥) بهذا البلاغ . وهو معطوف على محذوف أى لينصحوا (ولينذروا) .

(٦) لأنّهم إذا خافوا ما أنذروا به دعتهم المخافة إلى النظر حتى يتوصّلوا إلى التوحيد.لأنّ الخشية أمّ الخير كلّه .

(٧) ذوو العقول .

سورة الحجــر مكيّة

وهى تسع وتسعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ[1] ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ[2] ﴿٢﴾ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟[3] وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ[4]

---

(١) (تلك) إشارة إلى ماتضمنته السورة من الآيات. و(الكتاب) والقرآن المبين السورة. وتنكير القرآن للتفخيم. والمعنى (تلك آيات الكتاب) الكامل فى كونه كتابا (و) أى (قرآن مبين) كأنه قيل الكتاب الجامع للكمال وللغرابة فى البيان .

(٢) (ربما) بالتخفيف مدنىّ وعاصم. و بالتشديد غيرهما. و(ما) هى الكافّة لأنها حرف يجرّ مابعده ويختصّ بالاسم النكرة . فإذا كفّت وقع بعدها الفعل الماضى والاسم . وإنما جاز (يودّ الذين كفروا) لأنّ المترقّب فى إخبار الله تعالى بمنزلة الماضى المقطوع به فى تحقّقه، فكأنه قيل ربما ودّ . ووداتهم تكون عند النزع أو يوم القيامة إذا عاينوا حالهم وحال المسلمين ، أو إذا رأوا المسلمين يخرجون من النار فيتمنّى الكافر لو كان مسلما . كذا روى عن ابن عباس رضى الله عنهما (لو كانوا مسلمين) حكاية ودادتهم . وإنّما جىء بها على لفظ الغيبة لأنهم مخبر عنهم كقولك : حلف بالله ليفعلنّ . ولو قيل حلف بالله لأفعلن ولو كنّا مسلمين لكان حسنا . وإنما قلّل برُبّ لأنّ أهوال القيامة تشغلهم عن التمنّى ، فإذا أفاقوا من سكرات العذاب ودّوا لو كانوا مسلمين . وقول من قال إنّ (ربّ) يعنى بها الكثرة سهو لأنّه ضدّ ما يعرفه أهل اللغة لأنّها وضعت للتقليل .

(٣) أمر إهانة أى اقطع طمعك من ارعوائهم ودعهم عن النهى عمّا هم عليه والصدّ عنه بالتذكرة والنصيحة وخلّهم (يأكلوا و يتمتّعوا) بدنياهم .

(٤) ويشغلهم أملهم وأمانيهم عن الإيمــان .

فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ(١) ۝ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ(٢) ۝ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ(٣) ۝ وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ(٤) ۝ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ(٥) ۝

---

(١) (فسوف يعلمون) سوء صنيعهم . وفيه تنبيه على أنّ إيثار التلذّذ والتنعّم وما يؤدّى إليه طول الأمل ليس من أخلاق المؤمنين .

(٢) (ولها كتاب) جملة واقعة صفة لقرية . والقياس ألا يتوسّط الواو بينهما كما فى (وما أهلكنا من قرية إلّا لها منذرون) . وإنّما توسّطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف إذ الصفة ملتصقة بالموصوف بلا واو بجىء بالواو تأكيدا لذلك . والوجه أن تكون هذه الجملة حالا لقرية — لكونها فى حكم الموصوفة كأنّه قيل وما أهلكنا قرية من القرى — لا وصفا . وقوله (كتاب معلوم) أى مكتوب معلوم وهو أجلها الذى كتب فى اللوح المحفوظ وبيّن . ألا ترى إلى قوله (ما تسبق من أمّة أجلها) فى موضع كتابها .

(٣) أى عنه . وحذف لأنّه معلوم . وأنّث الأمة أولا ثمّ ذكّرها آخرا حملا على اللفظ والمعنى .

(٤) (وقالوا) أى الكفّار (يأيّها الذى نزّل عليه الذكر) أى القرآن (إنّك لمجنون) . يعنون محمّدا عليه السلام . وكان هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء كما قال فرعون (إنّ رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون) . وكيف يقرّون بنزول الذكر عليه وينسبونه إلى الجنون . والتعكيس فى كلامهم للاستهزاء . والتهكّم سائغ ومنه (فبشّرهم بعذاب أليم . إنّك لأنت الحليم الرشيد) . والمعنى إنّك لتقول قول المجانين حيث تدعى أنّ الله نزّل عليك الذكر .

(٥) (لو) ركبت مع (لا) و(ما) لامتناع الشىء لوجود غيره أو التحضيض . وهل ركّبت مع لا للتحضيض فحسب . والمعنى هلّا تأتينا بالملائكة يشهدون بصدقك أو هلّا تأتينا بالملائكة للعقاب على تكذيبنا لك إن كنت صادقا .

مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ(١) إِلَّا بِٱلْحَقِّ(٢) وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا(٣) مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ(٤) وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ(٥) ﴿٩﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ(٦) ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم(٧) مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ(٨) ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ(٩) فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾

(١) كوفىّ غير أبى بكر . (تُنَزَّلُ الملائكةُ) أبو بكر ، و(تَنَزَّلُ الملائكةُ) أى تتنزل عليهم .

(٢) إلّا تنزيلا ملتبسا بالحكمة .

(٣) (إذا) جواب لهم . وجزاء الشرط مقدّر . تقديره (و) لو نزّلنا الملائكة (ما كانوا) منظرين إذا وما أُخّر عذابهم .

(٤) القرآن .

(٥) وهو ردّ لإنكارهم واستهزائهم فى قولهم (يأيّها الذى نزّل عليه الذكر) . ولذلك قال (إنّا نحن) فأكّد عليهم أنّه هو المنزّل على القطع وأنّه هو الذى نزّله محفوظا من الشياطين وهو حافظه فى كلّ وقت من الزيادة والنقصان والتحريف والتبديل بخلاف الكتب المتقدّمة فإنّه لم يتولّ حفظها وإنّما استحفظها الربّانيّين والأحبار فاختلفوا فيما بينهم بغيا فوقع التحريف ولم يكل القرآن إلى غير حفظه . وقد جعل قوله (وإنّا له لحافظون) دليلا على أنّه منزّل من عنده آية . إذ لو كان من قول البشر أو غير آية لتطرّق عليه الزيادة والنقصان كما يتطرّق على كلّ كلام سواه . أو الضمير فى (له) لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم كقوله (والله يعصمك) .

(٦) أى (ولقد أرسلنا من قبلك) رسلا (فى) الفرق (الأوّلين) . والشيعة الفرقة إذا اتّفقوا على مذهب وطريقة .

(٧) حكاية حال ماضية لأنّ (ما) لا تدخل على مضارع إلّا وهو فى معنى الحال ولا على ماض إلّا وهو قريب من الحال .

(٨) يعزّى نبيّه عليه السلام .

(٩) أى كما سلكنا الكفر أو الاستهزاء فى شيع الأوّلين (نسلكه) أى الكفر أو الاستهزاء ، (فى قلوب المجرمين) من أمّتك من اختار ذلك . يقال سلكت الخيط فى الإبرة وأسلكته إذا أدخلته فيها . وهو حجة على المعتزلة فى الأصلح وخلق الأفعال .

لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ[1] وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ[2] ۝ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ[3] فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ[4] ۝ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ[5] ۝ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ[6] بُرُوجًا[7] وَزَيَّنَّٰهَا[8] لِلنَّٰظِرِينَ ۝ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ۝ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ[9] ۝

(١) بالله أو بالذكر. وهو حال .

(٢) مضت طريقتهم التى سنّها الله فى إهلاكهم حين كذّبوا رسله . وهو وعيد لأهل مكّة على تكذيبهم .

(٣) ولو أظهرنا لهم أوضح آية وهو فتح باب من السماء .

(٤) يصعدون .

(٥) حيّرت أو حبست من الإبصار من السكْر أو من السكَر. (سُكِرَتْ) مكّى أى حبست كما يحبس النهر من الجرى .

والمعنى أنّ هؤلاء المشركين بلغ من غلوّهم فى العناد أن لو فتح لهم باب من أبواب السماء، ويسّر لهم معراج يصعدون فيه إليها، ورأوا من العيان ما رأوا ، لقالوا هو شىء نتخايله لاحقيقة له ، ولقالوا (بل نحن قوم مسحورون) قد سحرنا محمد بذلك . أو الضمير للملائكة ، أى لو أريناهم الملائكة يصعدون فى السماء عيانا لقالوا ذلك . وذكر الظلول ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون . وقال (إنّما) ليدلّ على أنّهم يبتّون القول بأنّ ذلك ليس إلّا تسكيرا للأبصار .

(٦) خلقنا فيها .

(٧) نجوما أو قصورا فيها الحرس أو منازل للنجوم .

(٨) أى السماء .

(٩) (وحفظناها) أى السماء (من كلّ شيطان رجيم) ملعون أو مرمىّ بالنجوم (إلّا من استرق السمع) أى المسموع — و (من) فى محل النصب على الاستثناء (فأتبعه شهاب) نجم ينقضّ فيعود (مبين) ظاهر للبصرين . قيل كانوا لا يحجبون عن السموات كلّها . فلمّا ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات . فلمّا ولد محمد صلّى الله عليه وسلّم منعوا من السموات كلّها .

وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا (١) وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ (٢) وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ (٣) ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا (٤) مَعَايِشَ (٥) وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ (٦) ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ (٧) ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ (٨) فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ (٩)

(١) بسطناها من تحت الكعبة . والجمهور على أنه تعالى مدّها على وجه الماء .

(٢) فى الأرض جبالا ثوابت .

(٣) وزن بميزان الحكمة وقدّر بمقدار تقتضيه لا تصلح فيه زيادة ولا نقصان : أوله وزن وقدر فى أبواب المنفعة والنعمة . أو ما يوزن كالزعفران والذهب والفضّة والنحاس والحديد وغيرها . وخصّ ما يوزن لانتهاء الكيل إلى الوزن .

(٤) فى الأرض .

(٥) ما يعاش به من المطاعم جمع معيشة . وهى بياء صريحة بخلاف الخبائث ونحوها فإن تصريح الياء فيها خطأ .

(٦) (من) فى محل النصب بالعطف على معايش، أو على محلّ لكم . كأنّه قيل (وجعلنا لكم فيها معايش و) جعلنا لكم (من لستم له برازقين). أو جعلنا لكم فيها معايش ولمن لستم له برازقين. وأراد بهم العيال والمماليك والخدم الذين يظنّون أنّهم يرزقونهم ويخطئون. فإنّ الله هو الرزاق يرزقهم وإيّاهم . ويدخل فيه الأنعام والدوابّ ونحو ذلك . ولا يجوز أن يكون محلّ (من) جرّا بالعطف على الضمير المجرور فى (لكم) لأنّه لا يعطف على الضمير المجرور إلّا بإعادة الجارّ .

(٧) ذكر الخزائن تمثيل . والمعنى وما من شىء ينتفع به العباد إلّا ونحن قادرون على إيجاده وتكوينه والإنعام به . وما نعطيه إلّا بمقدار معلوم. فضرب الخزائن مثلا لاقتداره على كلّ مقدور .

(٨) جمع لاقحة . أى (وأرسلنا الرياح) حوامل بالسحاب لأنّها تحمل السحاب فى جوفها كأنّها لاقحة بها . من لقحت الناقة حملت . وضدّها العقيم . (الريح) حمزة .

(٩) فجعلناه لكم سقيا .

وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ(١) ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ(٢) وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ(٣) ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ(٤) ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ(٥) إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ(٦) ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ(٧) مِن صَلْصَٰلٍ(٨) مِّنْ حَمَإٍ(٩) مَّسْنُونٍ(١٠) ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ(١١) خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ(١٢) مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ(١٣) ﴿٢٧﴾

(١) نفى عنهم ما أثبته لنفسه فى قوله (وإن من شىء إلا عندنا خزائنه) كأنه قال نحن الخازنون للماء، على معنى نحن القادرون على خلقه فى السماء وإنزاله منها وما أنتم عليه بقادرين، دلالة على عظيم قدرته وعجزهم .

(٢) أى نحيي بالإيجاد ونميت بالإفناء. أو نميت عند انقضاء الآجال، ونحيي لجزاء الأعمال. على التقديم والتأخير. إذ الواو لجمع المطلق .

(٣) الباقون بعد هلاك الخلق كلهم . وقيل للباقى وارث استعارة من وارث الميت لأنه يبقى بعد فنائه .

(٤) من تقدم ولادة وموتا ومن تأخر، أو من خرج من أصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد . أو من تقدم فى الإسلام أو فى الطاعة أو فى صف الجماعة أو صف الحرب ومن تأخر .

(٥) أى هو وحده يقدر على حشرهم ويحيط بحصرهم .

(٦) باهر الحكمة واسع العلم .

(٧) أى آدم .

(٨) طين يابس غير مطبوخ .

(٩) صفة لصلصال أى خلقه (من صلصال) كائن (من حمأ) أى طين أسود متغير .

(١٠) مصـوّر .

وفى الأول كان ترابا فعجن بالمـاء فصار طينا فمكث فصار حمأ فخلص فصار سلالة فصوّر ويبس فصار صلصالا فلا تناقض .

(١١) أبا الجنّ كآدم للناس . أوهو إبليس . وهومنصوب بفعل مضمر يفسره (خلقناه) .

(١٢) من قبل آدم .

(١٣) من نار الحر الشديد النافذ فى المسام. قيل هذه السموم جزء من سبعين جزءا من سموم النار التى خلق الله منها الجان .

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (1) ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ (2) وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى (3) فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ (4) ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (5) ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ (6) أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ (7) ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ (8) ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ (9) لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا (10)

(1) واذكر وقت قوله للملائكة (إنى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون) .

(2) أتممت خلقته وهيأتها لنفخ الروح فيها .

(3) وجعلت فيه الروح وأحييته . وليس ثمة نفخ وإنما هو تمثيل . والإضافة للتخصيص .

(4) هو أمر من وقع يقع . أى اسقطوا على الأرض . يعنى اسجدوا له . ودخل الفاء لأنه جواب (إذا) . وهو دليل على أنه يجوز تقدم الأمر عن وقت الفعل .

(5) فالملائكة جمع عام محتمل للتخصيص فقطع باب التخصيص بقوله (كلهم) . وذكر الكل احتمل تأويل التفرق فقطعه بقوله (أجمعون) .

(6) ظاهر الاستثناء يدل على أنه كان من الملائكة لأن المستثنى يكون من جلس المستثنى منه . وعن الحسن أن الاستثناء منقطع ولم يكن هو من الملائكة . قلنا غير المأمور لا يصير بالترك ملعونا . وقال فى الكشاف : كان بينهم مأمورا معهم بالسجود فغلب اسم الملائكة ثم استثنى بعد التغليب كقولك : رأيتهم إلا هندا .

(7) امتنع أن يكون معهم . و (أبى) استئناف على تقدير قول قائل يقول هلا سجد . فقيل (أبى) ذلك واستكبر عنه . وقيل معناه ولكن إبليس أبى .

(8) حرف الجر مع أن محذوف تقديره (مالك) فى (ألا تكون مع الساجدين) أى أى غرض لك فى إبائك السجود .

(9) اللام لتأكيد النفى أى لا يصح منى أن أسجد .

(10) من السماء أو من الجنة أو من جملة الملائكة .

فَإِنَّكَ رَجِيمٌ[1] ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ[2] ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي[3] إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ[4] ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ[5] فِي الْأَرْضِ[6] وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ[7] ﴿٤٠﴾

---

(١) مطرود من رحمة الله. ومعناه ملعون لأنّ اللعنة هو الطرد من الرحمة والإبعاد منها .

(٢) ضرب يوم الدين حدّا للعنة لأنّه أبعد غاية يضربها النـاس فى كلامهم . والمراد به أنك مذموم مدعوّ عليك باللعنة فى السموات والأرض إلى يوم الدين من غير أن تعذّب . فإذا جاء ذلك اليوم عذّبت بمـا ينسى اللعن معه .

(٣) فأخّرنى .

(٤) يوم الدين. و(يوم يبعثون) و(يوم الوقت المعلوم) فى معنى واحد. ولكن خولف بين العبارات سلوكا بالكلام طريقة البلاغة . وقيل إنّمـا سأل الإنظار إلى اليوم الذى فيه يبعثون لئلا يموت . لأنّه لا يموت يوم البعث أحد . فلم يجب إلى ذلك وأنظر إلى آخر أيام التكليف .

(٥) الباء للقسم. و(ما) مصدريّة. وجواب القسم (لأزيّننّ لهم). والمعنى أقسم بإغوائك إيّاى (لأزيّننّ لهم) المعاصى. ونحو قوله (بما أغويتنى لأزيّننّ لهم) (فبعزّتك لأغوينّهم) فى أنّه إقسام. إلّا أنّ أحدهما إقسام بصفة الذات والثانى بصفة الفعل. وقد فرّق الفقهاء بينهما. فقال العراقيّون الحلف بصفة الذات كالقدرة والعظمة والعزّة يمين ، والحلف بصفة الفعل كالرحمة والسخط ليس بيمين. والأصحّ أنّ الأيمان مبنية على العرف فمـا تعارف الناس الحلف به يكون يمينا وما لا فلا . والآية حجة على المعتزلة فى خلق الأفعال . وحملهم على التسبيب عدول عن الظاهر .

(٦) فى الدنيا التى هى دار الغرور . أو أراد : إنّى أقدر على الاحتيال لآدم والتزيين له الأكل من الشجرة وهو فى السماء فأنا على التزيين لأولاده فى الأرض أقدر .

(٧) وبكسر اللام بصرىّ ومكّىّ وشامىّ . استثنى المخلصين لأنّه علم أنّ كيده لا يعمل فيهم ولا يقبلونه منه .

قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (١) ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ (٢) أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ (٣) ﴿٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ (٤) ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا (٥) بِسَلَٰمٍ (٦) ءَامِنِينَ (٧) ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ (٨)

---

(١) أى هذا طريق حقّ علىّ أن أراعيه وهو ألّا يكون لك سلطان على عبادى إلّا من اختار اتّباعك منهم لغوايته. وقيل معنى (علىّ) إلىّ . (علىٌّ) يعقوب من علوّ الشرف والفضل.

(٢) الضمير للغاوين .

(٣) (لها سبعة أبواب لكلّ باب منهم) من أتباع إبليس (جزء مقسوم) نصيب معلوم مفرز. قيل أبواب النار أطباقها وأدراكها . فأعلاها للموحّدين يعذّبون بقدر ذنوبهم ثمّ يخرجون . والثانى لليهود والثالث للنصارى . والرابع للصابئين . والخامس للمجوس . والسادس للمشركين . والسابع للمنافقين .

(٤) وبضم العين مدنىّ وبصرىّ وحفص . المتّقى على الإطلاق من يتّقى ما يجب اتّقاؤه مما نهى عنه . وقال فى الشرح إن دخل أهل الكبائر فى قوله (لها سبعة أبواب لكلّ باب منهم جزء مقسوم) فالمراد بالمتّقين الذين اتّقوا الكبائر . وإلّا فالمراد به الذين اتّقوا الشرك

(٥) أى يقال لهم ادخلوها .

(٦) حال . أى سالمين أو مسلّما عليكم تسلّم عليكم الملائكة .

(٧) (آمنين) من الخروج منها والآفات فيها . وهو حال أخرى .

(٨) وهو الحقد الكامن فى القلب . أى إن كان لأحدهم غلّ فى الدنيا على آخر نزع الله ذلك فى الجنّة من قلوبهم وطيّب نفوسهم . وعن علىّ رضى الله عنه أرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم . وقيل معناه طهّر الله قلوبهم من أن يتحاسدوا على الدرجات فى الجنّة ونزع منها كلّ غلّ وألقى فيها التوادّ والتحابّ .

إِخْوَانًا(١) عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ(٢) ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ(٣) وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ نَبِّئْ(٤) عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ(٥) ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئْهُمْ(٦) عَن ضَيْفِ(٧) إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا(٨) قَالَ(٩) إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ(١٠) ﴿٥٢﴾ قَالُوا لَا تَوْجَلْ(١١) إِنَّا نُبَشِّرُكَ(١٢) بِغُلَامٍ عَلِيمٍ(١٣) ﴿٥٣﴾

---

(١) حال .

(٢) كذلك . قيل تدور بهم الأسرّة حيثما داروا فيكونون فى جميع أحوالهم متقابلين يرى بعضهم بعضا .

(٣) (لا يمسّهم) فى الجنّة تعب .

(٤) فتمام النعمة بالخلود .

(٥) لمّا أتمّ ذكر الوعد والوعيد أتبعه (نبّئ عبادى) تقريرا لما ذكر وتمكينا له فى النفوس . قال عليه السلام "لو يعلم العبد قدر عفو الله لما تورّع عن حرام . ولو يعلم قدر عذابه لبخع نفسه فى العبادة ولما أقدم على ذنب" .

(٦) وأخبر أمّتك . عطفه على (نبّئ عبادى) ليتّخذوا ما أحلّ من العذاب بقوم لوط عبرة يعتبرون بها سخط الله وانتقامه من المجرمين ويتحقّقوا عنده أنّ عذابه (هو العذاب الأليم) .

(٧) أى أضيافه . وهو جبريل عليه السلام مع أحد عشر ملكا . والضيف يجىء واحدا وجمعا لأنّه مصدر ضافه .

(٨) أى نسلّم عليك سلاما أو سلّمنا سلاما .

(٩) أى إبراهيم .

(١٠) خائفون لا متناعهم من الأكل أو لدخولهم بغير إذن وبغير وقت .

(١١) لا تخف .

(١٢) استئناف فى معنى التعليل للنهى عن الوجل . أى أنّك مبشّر آمن فلا توجل . وبالتخفيف وفتح النون حمزة .

(١٣) هو إسحق . لقوله فى سورة هود (فبشّرناها بإسحق) .

قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ(١) فَبِمَ تُبَشِّرُونَ(٢) ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ(٣) فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَـٰنِطِينَ(٤) ﴿٥٥﴾ قَالَ(٥) وَمَن يَقْنَطُ(٦) مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ(٧) ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ(٨) أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ(٩) ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ(١٠) ﴿٥٩﴾

---

(١) أى أبشرتمونى مع مس الكبر بأن يولد لى؟ أى أن الولادة أمر مستنكر عادة مع الكبر.

(٢) هى ما الاستفهامية داخلها معنى التعجب كأنه قيل فبأى أعجوبة (تبشرون). وبكسر النون والتشديد مكى. والأصل تبشروننى فأدغم نون الجمع فى نون العماد ثم حذفت الياء وبقيت الكسرة دليلا عليها. (تبشرون) بالتخفيف نافع. والأصل تبشروننى فحذفت الياء اجتزاء بالكسرة وحذف نون الجمع لاجتماع النونين. والباقون بفتح النون وحذف المفعول. والنون نون الجمع.

(٣) باليقين الذى لا لبس فيه.

(٤) من الآيسين من ذلك.

(٥) (قال) إبراهيم.

(٦) وبكسر النون بصرى وعلى.

(٧) إلا المخطئون طريق الصواب. أو إلا الكافرون كقوله (إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون) أى لم أستنكر ذلك قنوطا من رحمته ولكن استبعادا له فى العادة التى أجراها.

(٨) فما شأنكم.

(٩) أى قوم لوط.

(١٠) يريد أهله المؤمنين. والاستثناء منقطع لأن القوم موصوفون بالإجرام. والمستثنى ليس كذلك. أو متصل فيكون استثناء من الضمير فى (مجرمين). كأنه قيل (إلى قوم) قد أجرموا كلهم (إلا آل لوط) وحدهم والمعنى يختلف باختلاف الاستثناءين. لأن آل لوط مخرجون فى المنقطع من حكم الإرسال. يعنى أنهم أرسلوا إلى القوم المجرمين خاصة ولم يرسلوا إلى آل لوط أصلا. ومعنى إرسالهم إلى القوم المجرمين كإرسال السهم إلى المرمى فى أنه فى معنى التعذيب والإهلاك، كأنه قيل إنا أهلكنا قوما مجرمين. ولكن آل لوط أنجيناهم. وأما فى المتصل فهم داخلون

إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ(١) قَدَّرْنَآ(٢) إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ(٣) ۝ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ(٤) ۝ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ(٥) ۝ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ(٦) وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ(٧) ۝ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ(٨) وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ(٩)

فى حكم الإرسال . يعنى أنّ الملائكة أرسلوا اليهم جميعا ليهلكوا هؤلاء وينجوا هؤلاء . وإذا انقطع الاستثناء جرى (إنا لمنجّوهم أجمعين) مجرى خبر لكنّ فى الاتّصال بآل لوط لأنّ المعنىّ لكنّ آل لوط منجّون . وإذا اتّصل كان كلاما مستأنفا كأنّ إبراهيم عليه السلام قال لهم فما حال آل لوط ؟ فقالوا (إنّا لمنجّوهم) .

(١) مستثنى من الضمير المجرور فى (لمنجّوهم) وليس باستثناء من الاستثناء لأنّ الاستثناء من الاستثناء إنّما يكون فيما اتّحد الحكم فيه بأن يقول أهلكناهم إلّا آل لوط (إلّا امرأته). وهنا قد اختلف الحكمان لأنّ (إلّا آل لوط) متعلّق بأرسلنا أو بمجرمين و(إلّا امرأته) متعلّق بمنجّوهم فكيف يكون استثناء من استثناء ؟ (لمنجوهم) بالتخفيف حمزة وعلىّ .

(٢) وبالتخفيف أبو بكر .

(٣) الباقين فى العذاب . قيل لو لم تكن اللام فى خبرها لوجب فتح إنّ لأنّه مع اسمه وخبره مفعول (قدّرنا). ولكنّه كقوله (ولقد علمت الجنّة إنّهم لمحضرون). وإنّما أسند الملائكة فعل التقدير إلى أنفسهم ولم يقولوا قدّر الله لقربهم. كما يقول خاصّة الملك أمرنا بكذا والآمر هو الملك .

(٤) أى لا أعرفكم . أى ليس عليكم زىّ السفر ولا أنتم من أهل الحضر . فأخاف أن تطرقونى بشّر .

(٥) أى ما جئناك بما تنكرنا لأجله . بل جئناك بما فيه سرورك وتشفّيك من أعدائك وهو العذاب الذى كنت تتوعّدهم بنزوله فيمترون فيه أى يشكّون ويكذّبونك .

(٦) باليقين من عذابهم .

(٧) (وأنّا لصادقون) فى الإخبار بنزوله بهم .

(٨) فى آخر الليل أو بعد ما يمضى شىء صالح من الليل .

(٩) وسر خلفهم لتكون مطلعا عليهم وعلى أحوالهم .

وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ (١) وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ (٢) ۝ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ (٣) مُّصْبِحِينَ (٤) ۝ وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ (٥) يَسْتَبْشِرُونَ (٦) ۝ قَالَ (٧) إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ (٨) ۝ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ (٩) ۝ قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ (١٠) ۝ قَالَ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي (١١)

---

(١) لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقّوا لهم . أو جعل النهى عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التوانى والتوقّف لأنّ من يلتفت لا بدّ له فى ذلك من أدنى وقفة .

(٢) حيث أمركم الله بالمضىّ إليه وهو الشام أو مصر .

(٣) عدّى (قضينا) بإلى لأنّه ضمّن معنى أوحينا كأنّه قيل وأوحينا إليه مقضيّا مبتوتا . وفسّر ذلك الأمر بقوله (أنّ دابر هؤلاء مقطوع) . وفى إبهامه وتفسيره تفخيم للأمر . ودابرهم آخرهم ، أى يستأصلون عن آخرهم حتّى لايبقى منهم أحد .

(٤) وقت دخولهم فى الصبح . وهو حال من هؤلاء .

(٥) سدوم التى ضرب بقاضيها المثل فى الجور .

(٦) (يستبشرون) بالملائكة طمعا منهم فى ركوب الفاحشة .

(٧) (قال) لوط .

(٨) (فلا تفضحون) بفضيحة ضيفى لأنّ من أساء إلى ضيفى فقد أساء إلىّ .

(٩) أى ولاتذلّونى بإذلال ضيفى . من الخزى وهو الهوان . وبالياء فيهما يعقوب .

(١٠) عن أن تجير منهم أحدا أو تدفع عنهم . فانّهم كانوا يتعرّضون لكلّ أحد . وكان عليه السلام يقوم بالنهى عن المنكر والحجز بينهم وبين المتعرّض له . فأوعدوه وقالوا (لئن لم تنته يالوط لتكوننّ من المخرجين) . أو عن ضيافة الغرباء .

(١١) فانكحوهنّ ولا تتعرّضوا لهم . وكان نكاح المؤمنات من الكفّار جائزا .

إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ ۝ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ[١] ۝ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ[٢] مُشْرِقِينَ[٣] ۝ فَجَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا[٤] وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ۝ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ[٥] ۝ وَإِنَّهَا[٦] لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ[٧] ۝ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ[٨] ۝ وَإِن[٩] كَانَ أَصْحَـٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَـٰلِمِينَ[١٠] ۝

---

(١) (إن كنتم فاعلين) إن كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما أحلّ الله دون ما حرّم . فقالت الملائكة للوط عليه السلام (لعمرك إنّهم لفى سكرتهم) أى فى غوايتهم التى أذهبت عقولهم وتمييزهم بين الخطأ الذى هم عليه و بين الصواب الذى تشير به عليهم من ترك البنين إلى البنات. (يعمهون) يتحيّرون فكيف يقبلون قولك و يصغون إلى نصيحتك؟ أو الخطاب لرسول الله صلّى عليه وسلّم. وهو قسم بحياته، وما أقسم بحياة أحد قط، تعظيما له. والعَمر والعُمر واحد. وهو البقاء إلّا أنّهم خصّوا القسم بالمفتوح إيثارا للأخفّ لكثرة دور الحلف على ألسنتهم . ولذا حذفوا الخبر. وتقديره لعمرك قسمى .

(٢) صيحة جبريل عليه السلام .

(٣) داخلين فى الشروق وهو بزوغ الشمس .

(٤) رفعها جبريل عليه السلام إلى السماء ثمّ قلبها . والضمير لقرى قوم لوط .

(٥) للتفرّسين المتأمّلين كأنّهم يعرفون باطن الشىء بسمة ظاهرة .

(٦) وإنّ هذه القرى يعنى آثارها .

(٧) ثابت يسلكه الناس لم يندرس بعد . وهم يبصرون تلك الآثار . وهو تنبيه لقريش كقوله (وإنّكم لتمرّون عليهم مصبحين وبالليل) .

(٨) لأنّهم المنتفعون بذلك .

(٩) وإنّ الأمر والشأن (كان أصحاب الأيكة) أى الغيضة وهم قوم شعيب عليه السلام.

(١٠) لكافرين .

فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ(١) وَإِنَّهُمَا(٢) لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ(٣) ۝ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ(٤) ٱلْمُرْسَلِينَ(٥) ۝ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ(٦) ۝ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا(٧) ءَامِنِينَ(٨) ۝ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ(٩) مُصْبِحِينَ(١٠) ۝ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ(١١) ۝ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ(١٢)

(١) فأهلكناهم لمّا كذّبوا شعيبا .

(٢) يعنى قرى قوم لوط والأيكة .

(٣) لبطريق واضح. والإمام لسم ما يؤتمّ به فسمّى به الطريق. ومطمر البنّاء لأنهما مما يؤتمّ به.

(٤) هم ثمود . والحجر واديهم . وهو بين المدينة والشام .

(٥) يعنى بتكذيبهم صالحا لأنّ كلّ رسول كان يدعو إلى الإيمان بالرسل جميعا . فمن كذّب واحدا منهم فكأنّما كذّبهم جميعا . أو أراد صالحا ومن معه من المؤمنين كما قيل "الخبيبون" فى ابن الزبير وأصحابه .

(٦) أى أعرضوا عنها ولم يؤمنوا بها .

(٧) أى ينقُبون فى (الجبال بيوتا) أو يبنون من الحجارة .

(٨) (آمنين) لوثاقة البيوت واستحكامها من أن تنهدم ومن نقب اللصوص والأعداء. أو (آمنين) من عذاب الله يحسبون أنّ الجبال تحميهم منه .

(٩) العذاب .

(١٠) فى اليوم الرابع وقت الصبح .

(١١) من بناء البيوت الوثيقة واقتناء الأموال النفيسة .

(١٢) إلّا خلقا ملتبسا بالحقّ لا باطلا وعبثا. أو بسبب العدل والإنصاف يوم الجزاء على الأعمال .

وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ (١) لَآتِيَةٌ (٢) فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ (٣) ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ (٤) ٱلْعَلِيمُ (٥) ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا (٦) مِّنَ ٱلْمَثَانِى (٧) وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ (٨) ﴿٨٧﴾

(١) أى القيامة لتوقّعها كلّ ساعة .

(٢) وإنّ الله ينتقم لك فيها من أعدائك ويجازيك وإيّاهم على حسناتك وسيّئاتهم فإنّه ما خلق السموات والأرض وما بينهما إلّا لذلك .

(٣) فأعرض عنهم إعراضا جميلا بحلم وإغضاء . قيل هو منسوخ بآية السيف . وإن أريد به المخالفة فلا يكون منسوخا .

(٤) الذى خلقك وخلقهم .

(٥) (العليم) بحالك وحالهم فلا يخفى عليه مايجرى بينكم وهو يحكم بينكم .

(٦) أى سبع آيات . وهى الفاتحة . أو سبع سور . وهى الطوال . واختلف فى السابعة فقيل الأنفال وبراءة لأنّهما فى حكم سورة بدليل عدم التسمية بينهما . وقيل سورة يونس . أو أسباع القرآن .

(٧) هى من التثنية وهى التكرير . لأنّ الفاتحة مما يتكرّر فى الصلاة . أو من الثناء لاشتمالها على ماهو ثناء على الله . الواحد مثناة أو مثنية صفة للآية . وأمّا السور أو الأسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد ولما فيها من الثناء كأنّها تثنى على الله . وإذا جعلتَ السبع مثانى فمن للتبيين . وإذا جعلتَ القرآن مثانى فمن للتبعيض .

(٨) هذا ليس بعطف الشيء على نفسه لأنه إذا أريد بالسبع الفاتحة أو الطوال فما وراءهن ينطلق عليه اسم القرآن لأنّه اسم يقع على البعض كما يقع على الكلّ.دليله قوله (بما أوحينا إليك هذا القرآن) يعنى سورة يوسف . وإذا أريد به الأسباع فالمعنى (ولقد آتيناك) مايقال له السبع المثانى (والقرآن العظيم) أى الجامع لهذين النعتين وهو التثنية أو الثناء والعظم .

لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ[1] أَزْوَٰجًا[2] مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ[3] وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ[4] ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ[5] ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾

---

(١) أى لا تطمح ببصرك طموح راغب فيه متمنّ له .

(٢) أصنافا من الكفّار كاليهود والنصارى والمجوس . يعنى قد أوتيت النعمة العظمى التى كلّ نعمة وإن عظمت فهى إليها حقيرة وهى القرآن العظيم . فعليك أن تستغنى به ولا تمدّنّ عينيك إلى متاع الدنيا . وفى الحديث "ليس منّا من لم يتغنّ بالقرآن". وحديث أبى بكر : من أوتى القرآن فرأى أن أحداً أوتى من الدنيا أفضل مما أوتى فقد صغّر عظيما وعظّم صغيرا .

(٣) أى لا تمنّ أموالهم(ولا تحزن عليهم)أنّهم لم يؤمنوا فيتقوّى بمكانهم الإسلام والمسلمون.

(٤) وتواضع لمن معك من فقراء المؤمنين وطب نفسا عن إيمان الأغنياء . (وقل) لهم (إنّى أنا النذير المبين) أنذركم ببيان و برهان أنّ عذاب الله نازل بكم .

(٥) (كما أنزلنا على المقتسمين) متعلّق بقوله (ولقد آتيناك) أى أنزلنا عليك مثل (ما أنزلنا على المقتسمين) . وهم أهل الكتاب (الذين جعلوا القرآن عضين) أجزاء — جمع عضة وأصلها عضوة فعلة من عضّى الشاة إذا جعلها أعضاء — حيث قالوا بعنادهم : بعضـه حقّ موافق للتوراة والإنجيل ، وبعضه باطل مخالف لها . فاقتسموه إلى حقّ و باطل وعضّوه . وقيل كانوا يستهزئون به فيقول بعضهم سـورة البقرة لى ، ويقول الآخر سـورة آل عمران لى . أو أريد بالقرآن ما يقرءونه من كتبهم وقد اقتسموه : فاليهود أقرّت ببعض التوراة وكذّبت ببعض ، والنصارى أقرّت ببعض الإنجيل و كذّبت ببعض .

و يجوز أن يكون(الذين جعلوا القرآن عضين) منصو با بالنذير أى أنذر المعضّين الذين يجزّئون القرآن إلى سحر وشعر وأساطير ، مثل ما أنزلنا على المقتسمين — وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكّة أيّام الموسم فقعدوا فى كلّ مدخل متفرّقين لينفّروا الناس عن الإيمـان برسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم يقول بعضهم : لا تغترّوا بالخارج منّا فإنّه ساحر ، ويقول الآخر كذّاب والآخر شاعر . فأهلكهم الله .

و (لا تمدّنّ عينيك) على الوجه الأوّل اعتراض بينهما لأنّه لمّـا كان ذلك تسلية لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن تكذيبهم وعداوتهم اعترض بمـا هو مدد لمعنى التسلية من النهى عن الالتفات إلى دنياهم والتأسّف على كفرهم ، ومن الأمر بأن يُقبل بكلّيته على المؤمنين.

فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ[(١)] ۝ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ[(٢)] وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ[(٣)] ۝ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ[(٤)] ۝ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ[(٥)] ۝ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ[(٦)] ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ[(٧)] ۝ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ[(٨)] حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ[(٩)] ۝

---

(١) أقسم بذاته و ر بوبيته ليسألنّ يوم القيامة واحدا واحدا من هؤلاء المقتسمين عمّا قالوه فى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أو فى القرآن أو فى كتب الله .

(٢) فاجهر به وأظهره . يقال صدع بالحجة إذا تكلّم بها جهارا من الصديع وهو الفجر . أو (فاصدع) فافرق بين الحقّ والباطل من الصدع فى الزجاجة وهو الإبانة (بما تؤمر). والمعنى (بمـا تؤمر) به من الشرائع فحذف الجار كقوله * أمرتك الخير فافعل ما أمرت به .

(٣) هو أمر استهانة بهم .

(٤) الجمهور على أنّها نزلت فى خمسة نفر كانوا يبالغون فى إيذاء رسول الله صلّى الله عليه وسلّم والاستهزاء به فأهلكهم الله . وهم الوليد بن المغيرة مرّ بنبّـال فتعلّق بثوبه سهم فأصاب عرقا فى عقبه فقطعه فمات ، والعاص بن وائل دخل فى أخمصه شوكة فانتفخت رجله فمات ، والأسود بن عبد المطلب عمى ، والأسود بن عبد يغوث جعل ينطح رأسه بالشجرة و يضرب وجهه بالشوك حتّى مات ، والحرث بن قيس امتخط قيحا ومات .

(٥) (فسوف يعلمون) عاقبة أمرهم يوم القيامة .

(٦) (بمـا يقولون) فيك ، أو فى القرآن ، أو فى الله .

(٧) فافزع فيما نابك إلى الله — والفزع الى الله هو الذكر الدائم وكثرة السجود — يكفك و يكشف عنك الغمّ .

(٨) ودم على عبادة ربّك .

(٩) أى الموت . يعنى ما دمت حيّا فاشتغل بالعبادة. وكان رسول الله صلّى الله عليـه وسلّم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة .

سورة النحل مكّيّة

وهى مائة وثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

أَتَىٰ أَمْرُ ٱللَّهِ [1] فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ [2] ۝ يُنَزِّلُ [3] ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ [4] مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ [5] فَٱتَّقُونِ [6] ۝ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ [7] ۝

(١) كانوا يستعجلون ما وعدوا من قيام الساعة ونزول العذاب بهم يوم بدر استهزاء وتكذيبا بالوعد ، فقيل لهم (أتى أمر الله). أى هو بمنزلة الآتى الواقع وإن كان منتظراً لقرب وقوعه .

(٢) تبرّأ جلّ وعزّ عن أن يكون له شريك وعن إشراكهم . فما موصولة أو مصدريّة. واتّصال هذا باستعجالهم من حيث إنّ استعجالهم استهزاء وتكذيب ، وذلك من الشرك .

(٣) وبالتخفيف مكّىّ وأبو عمرو .

(٤) بالوحى أو بالقرآن لأنّ كلّا منهما يقوم فى الدين مقام الروح فى الجسد ، أو يحيى القلوب الميّتة بالجهل .

(٥) (أن) مفسّرة لأنّ تنزيل الملائكة بالوحى فيه معنى القول . ومعنى (أنذروا أنّه لا إله إلّا أنا) أعلموا بأنّ الأمر ذلك، من نذرت بكذا إذا علمته . والمعنى أعلموا النّاس قولى (لا إله إلّا أنا) .

(٦) نخافون . وبالياء يعقوب .

(٧) وبالتاء فى الموضعين حمزة وعلىّ . دلّ على وحدانيته وأنّه لا إله إلّا هو بما ذكر ممّا لا يقدر عليه غيره من خلق السموات والأرض وهو قوله (خلق السموات والأرض بالحقّ)، وخلق الإنسان وما يكون منه وهو قوله (خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين) ،

خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (١) ۝ وَٱلْأَنْعَـٰمَ خَلَقَهَا (٢) لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ (٣) وَمَنَـٰفِعُ (٤) وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥) ۝ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٦) ۝ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ (٧) إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَـٰلِغِيهِ

وخلق ما لابدّ له منه من البهائم لأكله وركوبه وحمل أثقاله وسائر حاجاته وهو قوله (والأنعام خلقها لكم)، وخلق ما لا يعلمون من أصناف خلائقه وهو قوله (ويخلق ما لا تعلمون). ومَن هذا وصفه يتعالى عن أن يشرك به غيره.

(١) أى فإذا هو منطيق مجادل عن نفسه مكافح لخصومه مبين لحجته بعد ما كان نطفة لا حسّ به ولا حركة. أو فإذا هو خصيم لربه منكر على خالقه قائل (من يحيي العظام وهى رميم)؟ وهو وصف للإنسان بالوقاحة والتمادى فى كفران النعمة.

(٢) هى الأزواج الثمانية وأكثر ما يقع على الإبل. وانتصابها بمضمر يفسّره الظاهر كقوله (والقمر قدّرناه منازل). أو بالعطف على الإنسان. أى خلق الإنسان والأنعام. ثمّ قال (خلقها لكم) أى ما خلقها إلّا لكم يا جنس الإنسان.

(٣) هو اسم ما يدفأ به من لباس معمول من صوف أو وبر أو شعر.

(٤) وهى نسلها ودرّها.

(٥) قدّم الظرف وهو يؤذن بالاختصاص — وقد يؤكل من غيرها — لأنّ الأكل منها هو الأصل الذى يعتمده الناس فى معايشهم. وأمّا الأكل من غيرها كالدجاج والبطّ وصيد البرّ والبحر فكغير المعتدّ به وكالجارى مجرى التفكّه.

(٦) (ولكم فيها جمال حين) تردّونها من مراعيها إلى مراحها بالعشىّ (وحين) ترسلونها بالغداة إلى مسارحها. منّ الله تعالى بالتجمّل بها كما منّ بالانتفاع بها لأنّه من أغراض أصحاب المواشى، لأنّ الرعيان إذا روّحوها بالعشىّ وسرّحوها بالغداة تزيّنت بإراحتها وتسريحها الأفنية وفرحت أربابها وكسبتهم الجاه والحرمة عند الناس. وإنّما قدمت الإراحة على التسريح لأنّ الجمال فى الإراحة أظهر إذا أقبلت ملأى البطون حافلة الضروع.

(٧) أحمالكم.

إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ[1] إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ[2] ۝ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً[3] وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ[4] وَمِنْهَا جَآئِرٌ[5] وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ[6] ۝ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم[7] مِّنْهُ شَرَابٌ

---

(١) وبفتح الشين أبو جعفر . وهما لغتان فى معنى المشقّة . وقيل المفتوح مصدر شقّ الأمر عليه شقّاً . وحقيقته راجعة إلى الشقّ الذى هو الصدع . وأما الشّق فالنصف كأنّه يذهب نصف قوّته لما ينال من الجهد . والمعنى (وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه) لو لم تخلق الإبل إلّا بجهد ومشقّة ، فضلا أن تحملوا أثقالكم على ظهوركم . أو معناه (لم تكونوا بالغيه) بها (إلّا بشق الأنفس) . وقيل أثقالكم أبدانكم . ومنه الثقلان للجنّ والإنس . ومنه (وأخرجت الأرض أثقالها) أى بنى آدم .

(٢) حيث رحمكم بخلق هذه الحوامل وتيسير هذه المصالح .

(٣) (والخيل)عطف على(الأنعام). أى وخلق هذه للركوب والزينة. وقد احتج أبو حنيفة رحمه الله على حرمة أكل لحم الخيل بأنّه علّل خلقها للركوب والزينة ولم يذكر الأكل بعد ما ذكره فى الأنعام ومنفعة الأكل أقوى . والآية سيقت لبيان النعمة ولا يليق بالحكيم أن يذكر فى مواضع المنّة أدنى النعمتين ويترك أعلاهما . وانتصاب (زينة) على المفعول له عطفا على محلّ (لتركبوها) .

(٤) المراد به الجنس . ولذا قال (ومنها جائر) . والقصد مصدر بمعنى الفاعل . وهو القاصد يقال سبيل قصد وقاصد أى مستقيم . كأنّه يقصد الوجه الذى يؤمّه السالك لا يعدل عنه . ومعناه أنّ هداية الطريق الموصّل إلى الحقّ ، عليه . كقوله (إنّ علينا للهدى) . وليس ذلك للوجوب إذ لا يجب على الله شىء ولكن يفعل ذلك تفضّلا . وقيل معناه وإلى الله . وقال الزّجاج : معناه (وعلى الله) تبيين الطريق الواضح المستقيم والدعاء إليه بالحجج .

(٥) أى من السبيل مائل عن الاستقامة .

(٦) أراد هداية اللطف بالتوفيق والإنعام بعد الهدى العام .

(٧) (لكم) متعلّق بأنزل . أو خبر لشراب . وهو ما يشرب .

وَمِنْهُ شَجَرٌ(١) فِيهِ تُسِيمُونَ(٢) ﴿١٠﴾ يُنبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ(٣) إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ(٤) ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ(٥) إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ(٦) ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ(٧) مُخْتَلِفًا(٨) أَلْوَٰنُهُۥٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ(٩) ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا(١٠)

---

(١) يعنى الشجر الذى ترعاه المواشى .

(٢) من سامت الماشية إذا رعت فهى سائمة . وأسامها صاحبها . وهو من السُّومة. وهى العلامة. لأنّها تؤثّر بالرعى علامات فى الأرض .

(٣) ولم يقل كلّ الثمرات لأنّ كلّها لا تكون إلّا فى الجنّة وإنّما أُنبت فى الأرض بعض من كلّها للتذكرة .

(٤) فيستدلّون بها عليه وعلى قدرته وحكمته . والآية الدلالة الواضحة .

(٥) بنصب الكلّ على (و) جعل (النجومَ مسخراتٍ) . (والنجومُ مسخراتٌ) فقط — حفص. (والشمسُ والقمرُ والنجومُ مسخراتٌ) شامىّ على الابتداء والخبر .

(٦) جمع الآية وذكر العقل لأنّ الآثار العلويّة أظهر دلالة على القدرة الباهرة وأبين شهادة للكبرياء والعظمة .

(٧) معطوف على (الليل والنهار) . أى ما خلق فيها من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك .

(٨) حال .

(٩) يتّعظون .

(١٠) هو السمك . ووصفه بالطراوة لأن الفساد يسرع إليه فيؤكل سريعا طريًّا خيفة الفساد . وإنّما لايحنث بأكله إذا حلف لا يأكل لحما ، لأنّ مبنى الأيمان على العرف . ومن قال لغلامه اشتر بهذه الدراهم لحما فجاء بالسمك كان حقيقا بالإنكار .

وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً(١) تَلْبَسُونَهَا(٢) وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ(٣) فِيهِ(٤) وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ(٥) وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ(٦) ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ(٧) أَن تَمِيدَ بِكُمْ(٨) وَأَنْهَٰرًا(٩) وَسُبُلًا(١٠) لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ(١١) ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ(١٢) وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ(١٣) ﴿١٦﴾

---

(١) هي اللؤلؤ والمرجان .

(٢) المراد بلبسهم لبس نسائهم . ولكنهنّ إنّما يتزيّن بها من أجلهم فكأنّها زينتهم ولباسهم .

(٣) جوارى تجرى جريا وتشقّ الماء شقّا . والمخر شقّ الماء بحيزومها .

(٤) فى البحر .

(٥) هو عطف على محذوف أى لتعتبروا (ولتبتغوا) . وابتغاء الفضل التجارة .

(٦) (تشكرون) الله على ما أنعم عليكم به .

(٧) جبالا ثوابت .

(٨) كراهية أن تميل بكم وتضطرب ، أولئلا تميد بكم . لكنّ حذف المضاف أكثر . قيل خلق الله الأرض فجعلت تميد . فقالت الملائكة : ماهى بمقرّ أحد على ظهرها . فأصبحت وقد أرسيت بالجبال لم تدر الملائكة ممّ خلقت .

(٩) (و) جعل فيها (أنهارا) لأنّ (ألقى) فيه معنى جعل .

(١٠) طرقا .

(١١) (لعلّكم تهتدون) إلى مقاصدكم ، أو إلى توحيد ربّكم .

(١٢) هى معالم الطرق وكلّ ما يستدلّ به السابلة من جبل وغير ذلك .

(١٣) المراد بالنجم الجنس ، أو هو الثريّا ، والفرقدان ، وبنات نعش ، والجدى . فإن قلت (وبالنجم هم يهتدون) مخرج عن سنن الخطاب ، مقدّم فيه النجم ، مقحم فيه (هم) ، كأنّه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون . فمن المراد بهم ؟ قلت كأنّه أراد قريشا فلهم اهتداء بالنجوم فى مسايرهم ولهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر أوجب عليهم والاعتبار ألزم لهم فخصّصوا .

أَفَمَن يَخْلُقُ⁽¹⁾ كَمَن لَّا يَخْلُقُ⁽²⁾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ⁽³⁾ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا⁽⁴⁾ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ⁽⁵⁾ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ⁽⁶⁾ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ⁽⁷⁾ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ⁽⁸⁾ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ⁽⁹⁾ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ⁽¹⁰⁾

---

(1) أى الله تعالى .

(2) أى الأصنام . وجىء بمن الذى هو لأولى العلم لزعمهم حيث سمّوها آلهة وعبدوها فأجروها مجرى أولى العلم ، أو لأنّ المعنى أنّ من يخلق ليس كمن لا يخلق من أولى العلم فكيف بما لا علم عنده ؟ وإنّما لم يقل أفمن لا يخلق كمن يخلق — مع اقتضاء المقام بظاهره إيّاه لكونه إلزاما للذين عبدوا الأوثان وسمّوها آلهة تشبيها بالله — لأنّهم حين جعلوا غير الله مثل الله فى تسميته باسمه والعبادة له فقد جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبيها بهـا ، فأنكر عليهم ذلك بقوله (أفمن يخلق كمن لا يخلق) . وهو حجّة على المعتزلة فى خلق الأفعال .

(3) فتعرفون فساد ما أنتم عليه .

(4) لا تضبطوا عددها ولا تبلغه طاقتكم فضلا أن تطيقوا القيام بحقّها من أداء الشكر . وإنّمـا أتبع ذلك ما عدّد من نعمه تنبيها على أنّ ما وراءها لا ينحصر ولا يعدّ .

(5) يتجاوز عن تقصيركم فى أداء شكر النعمة ولا يقطعها عنكم لتفريطكم .

(6) (يعلم ما تسرّون وما تعلنون) من أقوالكم وأفعالكم . وهو وعيد .

(7) والآلهة الذين يدعوهم الكفّار . وبالتاء غير عاصم .

(8) أى هم (أموات) .

(9) نفى عنهم خصائص الإلهيّة بنفى كونهم خالقين وأحياء لا يموتون وعالمين بوقت البعث ، وأثبت لهم صفات الخلق بأنّهم مخلوقون أموات جاهلون بالبعث . ومعنى (أموات غير أحياء) أنّهم لو كانوا آلهة على الحقيقة لكانوا أحياء غير أموات أى غير جائز عليها الموت وأمرهم بالعكس من ذلك . والضمير فى (يبعثون) للداعين ، أى لا يشعرون متى تبعث عبدتهم . وفيه تهكّم بالمشركين وأنّ آلهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء منهم على عبادتهم ؟ وفيه دلالة على أنّه لا بدّ من البعث .

(10) أى ثبت بما مرّ أنّ الإلهيّة لا تكون لغير الله وأنّ معبودكم واحد .

فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ (١) وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ (٢) ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ (٣) أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ (٤) إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ (٥) ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم (٦) مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٧) ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم (٨) بِغَيْرِ عِلْمٍ (٩) أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ (١٠) ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ (١١)

(١) (منكرة) للوحدانيّة .

(٢) (وهم مستكبرون) عنها وعن الإقرار بها .

(٣) حقًّا .

(٤) أى سرّهم وعلانيتهم فيجازيهم . وهو وعيد .

(٥) (المستكبرين) عن التوحيد . يعنى المشركين .

(٦) لهؤلاء الكفار .

(٧) (ماذا) منصوب بأنزل، أى أىّ شيء (أنزل ربكم). أو مرفوع على الابتداء أى أىّ شيء أنزله ربّكم. و(أساطير) خبر مبتدأ محذوف. قيل هو قول المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكّة ينفّرون عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إذا سألهم وفود الحاجّ عمّا أنزل على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قالوا (أساطير الأوّلين) أى أحاديث الأوّلين وأباطيلهم . واحدتها أسطورة . وإذا رأوا أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يخبرونهم بصدقه وأنّه نبىّ . فهم الذين قالوا خيرا .

(٨) أى قالوا ذلك إضلالا للناس فحملوا أوزار ضلالهم كاملة وبعض أوزار من ضلّ بضلالهم وهو وزر الإضلال لأنّ المضلّ والضالّ شريكان . واللام للتعليل .

(٩) حال من المفعول . أى يضلّون من لا يعلم أنّهم ضلّال .

(١٠) محلّ (ما) رفع .

(١١) أى من جهة القواعد وهى الأساطين . وهذا تمثيل . يعنى أنّهم سوّوا منصوبات ليمكروا بها رسل الله بجعل الله هلاكهم فى تلك المنصوبات كحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه

فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ۝ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَـٰٓقُّونَ فِيهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ۝ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ۝

بالأساطين فأتى البنيان من الأساطين بأن ضعضعت فسقط عليهم السقف وماتوا وهلكوا . والجمهور على أن المـراد به نمرود بن كنعان حين بنى الصرح ببابل طوله خمسة آلاف ذراع وقيل فرعان فأهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا . (فأتى الله) أى أمره بالاستئصال.

(١) من حيث لا يحتسبون ولا يتوقعون .

(٢) يذلهم بعذاب الخزى سوى ما عذبوا به فى الدنيا .

(٣) على الإضافة إلى نفسه حكاية لإضافتهم ليوبخهم بها على طريق الاستهزاء بهم .

(٤) تعادون وتخاصمون المؤمنين فى شأنهم (تشاقون) نافع أى تشاقوننى فيهم، لأن مشاقة المؤمنين كأنها مشاقة الله .

(٥) أى الأنبياء والعلماء من أممهم الذين كانوا يدعونهم إلى الإيمان و يعظونهم فلا يلتفون إليهم ويشاقونهم . يقولون ذلك شماتة بهم . أو هم الملائكة .

(٦) الفضيحة .

(٧) العذاب .

(٨) وبالياء حمزة وكذا ما بعده .

(٩) (ظالمى أنفسهم) بالكفر بالله .

(١٠) (فألقوا السلم) أى الصلح والاستسلام ، أى أخبتوا وجاءوا بخلاف ما كانوا عليه فى الدنيا من الشقاق وقالوا (ما كنا نعمل من سوء) وجحدوا ما وجد منهم من الكفران والعداوة . فرد عليهم أولو العلم وقالوا (بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون) فهو يجازيكم عليه . وهذا أيضا من الشماتة . وكذلك (فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين) جهنم .

وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ (١) مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ خَيْرًا (٢) لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ (٣) فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ (٤) وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ (٥) وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ (٦) ۝ جَنَّٰتُ (٧) عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا (٨) تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ (٩) يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ (١٠) ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١١) ۝ هَلْ يَنظُرُونَ (١٢) إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ (١٣)

---

(١) (اتقوا) الشرك .

(٢) وإنما نصب هذا ورفع أساطير، لأن التقدير هنا أنزل (خيرا) فأطبقوا الجواب على السؤال . وثمة التقدير هو (أساطير الأولين) فعدلوا بالجواب عن السؤال .

(٣) أى آمنوا وعملوا الصالحات أو قالوا (لا إله إلا الله) . وهو بدل من (خيرا) حكاية لقول الذين اتقوا . أى قالوا هذا القول . فقدم عليه تسميته خيرا ثم حكاه . أو هو كلام مستأنف عدة للقائلين وجعل قولهم من جملة إحسانهم .

(٤) بالرفع أى ثواب وأمن وغنيمة .

(٥) أى لهم فى الآخرة ماهو خير منها كقوله (فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة).

(٦) دار الآخرة . فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره .

(٧) خبر لمبتدأ محذوف .أو هو المخصوص بالمدح .

(٨) حال .

(٩) طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر لأنه فى مقابلة (ظالمى أنفسهم) .

(١٠) قيل إذا أشرف العبد المؤمن على الموت جاءه ملك فقال : السلام عليك ياولى الله الله يقرأ عليك السلام . ويبشره بالجنة .

(١١) بعملكم . يقال لهم فى الآخرة (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) .

(١٢) ما ينتظر هؤلاء الكفار .

(١٣) (إلا أن تأتيهم الملائكة) لقبض أرواحهم . وبالياء على وحمزة .

أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ (١) كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ (٢) وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ (٣) وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٤) ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ (٥) وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ (٦) ﴿٣٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا (٧) وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ (٨) كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ (٩) فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ (١٠) ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ (١١) وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ (١٢) فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ (١٣) وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ (١٤) فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ

(١) أى العذاب المستأصل أو القيامة .

(٢) مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب .

(٣) (وما ظلمهم الله) بتدميرهم .

(٤) حيث فعلوا ما استحقوا به التدمير .

(٥) جزاء سيئات أعمالهم .

(٦) وأحاط بهم جزاء استهزائهم .

(٧) هذا كلام صدر منهم استهزاء ولو قالوه اعتقاداً لكان صوابا .

(٨) يعنى البحيرة والسائبة ونحوهما .

(٩) أى كذبوا الرسل وحرموا الحلال وقالوا مثل قولهم استهزاء

(١٠) إلا أن يبلغوا الحق ويطلعوا على بطلان الشرك وقبحه .

(١١) بأن وحدوه .

(١٢) الشيطان ، يعنى طاعته .

(١٣) لاختيارهم الهدى .

(١٤) أى لزمته لاختياره إياها .

كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ(١) ۝ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ(٢) وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ(٣) ۝ وَأَقْسَمُوا۟(٤) بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ(٥) وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا(٦) وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ(٧) ۝ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ(٨) ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ(٩) وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰذِبِينَ(١٠) ۝ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَـٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ(١١) ۝

---

(١) حيث أهلكهم الله وأخلى ديارهم منهم .

(٢) بفتح الياء وكسر الدال كوفى . الباقون بضم الياء وفتح الدال . والوجه فيه أن (من يضلّ) مبتدأ و (لا يُهدَى) خبره . ذكر عناد قريش وحرص رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على إيمانهم وأعلمه أنهم من قسم من حقّت عليه الضلالة .

(٣) (ومالهم من ناصرين) يمنعونهم من جريان حكم الله عليهم ويدفعون عنهم عذابه الذى أعدّلهم.

(٤) معطوف على (وقال الذين أشركوا) .

(٥) هو إثبات لما بعد النفى ، أى بلى يبعثهم .

(٦) هو مصدر مؤكّد لما دلّ عليه (بلى) لأنّ يبعث موعد من الله وبيّن أنّ الوفاء بهذا الوعد حق .

(٧) (لا يعلمون) أنّ وعده حقّ أو أنّهم يبعثون .

(٨) متعلّق بما دلّ عليه (بلى) أى يبعثهم (ليبيّن لهم) ، والضمير لمن يموت وهو يشمل المؤمنين والكافرين .

(٩) هو الحقّ .

(١٠) (كاذبين) فى قولهم (لا يبعث الله من يموت) .

(١١) (فيكونُ) أى فهو يكون . وبالنصب شامىّ وعلىّ على جواب كن . (قولنا) مبتدأ و (أن نقول) خبره و(كن فيكون) من كان التامّة التى بمعنى الحدوث والوجود . أى إذا أردنا وجود شىء فليس إلّا أن نقول له احدث فهو يحدث بلا توقّف . وهذه عبارة عن سرعة الإيجاد ، تبيّن أنّ مرادا لايمتنع عليه وأنّ وجوده عند إرادته غير متوقّف كوجود المأمور به عند أمر الآمر المطاع إذا ورد على المأمور المطيع الممتثل ، ولا قول ثمّ . والمعنى أنّ إيجاد كلّ مقدور على الله بهذه السهولة فكيف يمتنع عليه البعث الذى هو من بعض المقدورات ؟

وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ(١) مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟(٢) لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً(٣) وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ(٤) ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟(٥) وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ(٦) ﴿٤٢﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ(٧) فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ(٨) إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ(٩) وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ(١٠)

---

(١) فى حقّه ولوجهه .

(٢) هم رسول الله وأصحابه . ظلمهم أهل مكّة ففرّوا بدينهم إلى الله . منهم من هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة فجمع بين الهجرتين ومنهم من هاجر إلى المدينة .

(٣) صفة للمصدر، أى تبوئة (حسنة). أو (لنبوئنّهم) مباءة حسنة وهى المدينة حيث آواهم أهلها ونصروهم .

(٤) الوقف لازم عليه لأنّ جواب (لو) محذوف. والضمير للكفّار. أى لو علموا ذلك لرغبوا فى الدين . أو للمهاجرين أى (لو كانوا يعلمون) لزادوا فى اجتهادهم وصبرهم .

(٥) أى هم (الذين صبروا) أو أعنى الذين صبروا. وكلاهما مدح. أى صبروا على مفارقة الوطن — الذى هو حرم الله المحبوب فى كلّ قلب فكيف بقلوب قوم هو مسقط رءوسهم؟ — وعلى المجاهدة وبذل الأرواح فى سبيل الله .

(٦) أى يفوّضون الأمر إلى ربّهم ويرضون بما أصابهم فى دين الله .

(٧) (يوحَى إليهم) على ألسنة الملائكة . (نوحى) حفص .

(٨) أهل الكتاب ليعلموكم أنّ الله لم يبعث إلى الأمم السالفة إلّا بشرا . وقيل للكتاب الذكر لأنّه موعظة وتنبيه للغافلين .

(٩) أى بالمعجزات والكتب. والباء يتعلّق برجالا صفة له، أى رجالا ملتبسين بالبيّنات . أو بأرسلنا مضمرا كأنّه قيل : بم أرسل الرسل ؟ فقيل بالبيّنات . أو بيوحَى، أى يوحى إليهم بالبيّنات . أو بلا تعلمون . وقوله (فاسألوا أهل الذكر) اعتراض على الوجوه المتقدمة .

(١٠) القرآن .

لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ[1] وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ[2] ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ[3] أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ[4] أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ[5] ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ[6] فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ[7] فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ[8] ﴿٤٧﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا[9] إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ[10] يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ[11] عَنِ الْيَمِينِ[12] وَالشَّمَائِلِ[13] سُجَّدًا لِّلَّهِ[14] وَهُمْ دَاخِرُونَ[15] ﴿٤٨﴾

---

(١) (ما نزّل إليهم) فى الذكر مما أمروا به ونهوا عنه ووعدوا به وأوعدوا .

(٢) (ولعلّهم يتفكّرون) فى تنبيهاته فيتنبهوا .

(٣) أى المكرات السيّئات . وهم أهل مكّة وما مكروا به رسول الله عليه السلام

(٤) كما فعل بمن تقدّمهم .

(٥) أى بغتة .

(٦) متقلّبين فى مسايرهم ومتاجرهم .

(٧) متخوّفين وهو أن يهلك قوما قبلهم فيتخوّفوا فيأخذهم العذاب وهم متخوّفون متوقّعون . وهو خلاف قوله (من حيث لا يشعرون) .

(٨) حيث يحلم عنكم ولا يعاجلكم مع استحقاقكم . والمعنى أنّه إذا لم يأخذكم مع ما فيكم فإنّما رأفته تقيكم ورحمته تحميكم .

(٩) وبالتاء حمزة وعلىّ وأبو بكر .

(١٠) (ما) موصولة بخلق الله وهو مبهم بيانه (من شىء) .

(١١) أى ترجع من موضع إلى موضع . وبالتاء بصرىّ .

(١٢) أى الأيمان .

(١٣) جمع شمال .

(١٤) حال من الظلال . عن مجاهد "إذا زالت الشمس سجد كل شىء" .

(١٥) صاغرون . وهو حال من الضمير فى (ظلاله) لأنّه فى معنى الجمع . وهو ما خلق الله من كلّ شىء له ظلّ . وجمع بالواو والنون لأن الدخور من أوصاف العقلاء أو لأنّا فى جملة

وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ[1] وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ[2] رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ[3] وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ[4] ﴿٥٠﴾ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ[5] فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ[6] ﴿٥١﴾

ذلك من يعقل فغلّب . والمعنى أو لم يروا إلى ما خلق الله من الأجرام التى لها ظلال متفيّئة عن أيمانها وشمائلها، أى ترجع الظلال من جانب إلى جانب منقادة لله تعالى غير ممتنعة عليه فيما سخّرها له من التفيّؤ. والأجرام فى أنفسها داخرة أيضا صاغرة منقادة لأفعال الله فيها غير ممتنعة.

(1) (من) بيان لما فى السموات وما فى الأرض جميعا، على أن فى السموات خلقا يدبّون فيها كما تدبّ الأناسىّ فى الأرض . أو بيان لما فى الأرض وحده . والمراد بما فى السموات ملائكتهن ، وبقوله (والملائكة) ملائكة من الحفظة وغيرهم . قيل المراد بسجود المكلّفين طاعتهم وعبادتهم، وبسجود غيرهم انقيادهم لإرادة الله . ومعنى الانقياد يجمعهما فلم يختلفا . فلذا جاز أن يعبّر عنهما بلفظ واحد . وجىء بما إذ هو صالح للعقلاء وغيرهم . ولو جىء بمن لتناول العقلاء خاصّة .

(2) هو حال من الضمير فى (لايستكبرون) أى لايستكبرون خائفين .

(3) إن علّقته بيخافون فمعناه يخافونه أن يرسل عليهم عذابا من فوقهم . وإن علّقته بربّهم حالا منه فمعناه (يخافون ربّهم) غالبا لهم قاهرا كقوله (وهو القاهر فوق عباده) .

(4) وفيه دليل على أن الملائكة مكلّفون مدارون على الأمر والنهى وأنّهم بين الخوف والرجاء .

(5) فان قلت إنّما جمعوا بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا عندى رجال ثلاثة، لأن المعدود عار عن الدلالة على العدد الخاصّ. فأما رجل ورجلان فمعدودان فيهما دلالة على العدد فلا حاجة إلى أن يقال رجل واحد ورجلان اثنان . قلت الاسم الحامل لمعنى الإفراد والتثنية دالّ على شيئين على الجنسية والعدد المخصوص، فإذا أريدت الدلالة على أن المعنىّ به منهما هو العدد شفع بما يؤكّده فدلّ به على القصد إليه والعناية به ؛ ألا ترى أنّك لو قلت إنّما هو إله ولم تؤكّده بواحد لم يحسن وخيّل أنّك تثبت الإلهية لا الوحدانية .

(6) نقل الكلام عن الغيبة إلى التكلّم وهو من طريقة الالتفات وهو أبلغ فى الترغيب من قوله فإيّاه فارهبوا . (فارهبونى) يعقوب .

وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا[١] أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ۝ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ[٢] ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ[٣] فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ[٤] ۝ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ[٥] ۝ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ[٦] ۝ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ[٧] تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ[٨] عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ[٩] ۝ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ[١٠]

---

(١) (وله الدين) أى الطاعة (واصبا) واجبا ثابتا لأنّ كلّ نعمة منه . فالطاعة واجبة له على كلّ منعم عليه . وهو حال عمل فيه الظرف . أو (وله) الجزاء دائمـا يعنى الثواب والعقاب .

(٢) وأىّ شىء اتّصل بكم من نعمة عافية وغنى وخصب (ف) هو (من الله) .

(٣) المرض والفقر والجدب .

(٤) فما تتضرّعون إلاّ إليه . والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة .

(٥) الخطاب فى (وما بكم من نعمة) إن كان عامّا فالمراد بالفريق الكفرة . وإن كان الخطاب للمشركين فقوله (منكم) للبيان لا للتبعيض . كأنّه قال فإذا (فريق) كافر وهم أنتم . ويجوز أن يكون فيهم من اعتبر كقوله (فلمّا نجّاهم إلى البرّ فمنهم مقتصد) .

(٦) (بمـا آتيناهم) من نعمة الكشف عنهم — كأنّهم جعلوا غرضهم فى الشرك كفران النعمة . ثمّ أوعدهم فقال : (فتمتّعوا فسوف تعلمون) هو عدول إلى الخطاب على التهديد .

(٧) (لمـا لا يعلمون) أى لآلهتهم . ومعنى (لا يعلمون) أنّهم يسمّونها آلهة ويعتقدون فيها أنّها تضرّ وتنفع وتشفع عند الله ، وليس كذلك لأنّهـا جماد لا تضرّ ولا تنفع . أو الضمير فى (لا يعلمون) للآلهة أى لأشياء غير موصوفة بالعلم ولا تشعر أجعلوا لهـا نصيبا فى أنعامهم وزروعهم أم لا . وكانوا يجعلون لهم ذلك تقربا إليهم .

(٨) وعيد .

(٩) (عمّـا كنتم تفترون) من أنّها آلهة وأنّها أهل للتقرّب إليها .

(١٠) كانت خزاعة وكنانة تقول : الملائكة بنات الله .

سُبْحَـٰنَهُۥ[١] وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ[٢] ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا[٣] وَهُوَ كَظِيمٌ[٤] ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ[٥] أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ[٦] ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ[٧] وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ[٨] وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ[٩] ﴿٦٠﴾

---

(١) تنزيه لذاته من نسبة الولد إليه ، أو تعجّبٌ من قولهم .

(٢) يعنى البنين . ويجوز فى (ما) الرفع على الابتداء و(لهم) الخبر . والنصب على العطف على البنات، و(سبحانه) اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه. أى وجعلوا لأنفسهم ما يشتهون من الذكور .

(٣) أى صار. فظل، وأمسى، وأصبح، وبات، تستعمل بمعنى الصيرورة لأن أكثر الوضع يتّفق بالليل فيظلّ نهاره مغتمًا مسودّ الوجه من الكآبة والحياء من الناس .

(٤) مملوء حنقا على المرأة .

(٥) يستخفى منهم من أجل سوء المبشّر به ومن أجل تعييرهم ويحدّث نفسه وينظر أيمسك ما بُشّر به على هون وذلّ أم يئده .

(٦) حيث يجعلون الولد الذى هذا محلّه عندهم لله ويجعلون لأنفسهم من هو على عكس هذا الوصف .

(٧) صفة السوء وهى الحاجة إلى الأولاد الذكور وكراهة الإناث ووأدهنّ خشية الإملاق.

(٨) وهو الغنى عن العالمين والنزاهة عن صفات المخلوقين .

(٩) الغالب فى تنفيذ ما أراد (الحكيم) فى إمهال العباد .

وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ[١] وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى[٢] فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۝ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ[٣] وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ[٤] لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ[٥] ۝ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ[٦]

---

(١) (ولو يؤاخذ الله الناس) بكفرهم ومعاصيهم (ما ترك) على الأرض (من دابّة) قط، ولأهلكها كلّها بشؤم ظلم الظالمين. عن أبي هريرة رضي الله عنه «إن الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم» . وعن ابن مسعود رضي الله عنه «كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم» . وعن ابن عباس رضي الله عنهما (من دابّة) من مشرك يدبّ .

(٢) أي أجل كلّ أحد . أو وقت تقتضيه الحكمة . أو القيامة .

(٣) ما يكرهونه لأنفسهم من البنات، ومن شركاء في رياستهم، ومن الاستخفاف برسلهم. ويجعلون له أرذل أموالهم ولأصنامهم أكرمها .

(٤) (وتصف ألسنتهم الكذب) مع ذلك . أي ويقولون الكذب (أنّ لهم الحسنى) عند الله وهي الجنّة إن كان البعث حقّا كقوله (ولئن رجعت إلى ربّي إنّ لي عنده للحسنى) . و(أنّ لهم الحسنى) بدلا من الكذب .

(٥) (مُفْرِطون) نافع . (مفرّطون) أبو جعفر ، فالمفتوح بمعنى مقدّمون إلى النار معجّلون إليها من أفرطت فلانا وفرّطته في طلب الماء إذا قدّمته ، أو منسيّون متروكون من أفرطت فلانا خلفي إذا خلّفته ونسيته . والمكسور المخفّف من الإفراط في المعاصي . والمشدّد من التفريط في الطاعات أي التقصير فيها .

(٦) أي أرسلنا رسلا إلى من تقدّمك من الأمم .

فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ (١) فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ (٢) وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٣) ۝ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ (٤) إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ (٥) ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ (٦) وَهُدًى وَرَحْمَةً (٧) لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٨) ۝ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ (٩) مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا (١٠)

(١) من الكفر والتكذيب بالرسل .

(٢) أى قرينهم فى الدنيا تولى إضلالهم بالغرور . أو الضمير لمشركى قريش . أى زين للكفار قبلهم أعمالهم فهو ولى هؤلاء لأنهم منهم . أو هو على حذف المضاف أى فهو ولى أمثالهم اليوم .

(٣) (ولهم عذاب أليم) فى القيامة .

(٤) القرآن .

(٥) للنـاس .

(٦) هو البعث لأنه كان فيهم من يؤمن به .

(٧) معطوفان على محل (لتبين) إلا أنهما انتصبا على أنهما مفعول لها لأنهما فعلا الذى أنزل الكتاب . ودخلت اللام على (لتبين) لأنه فعل المخاطب لا فعل المنزل .

(٨) (يسمعون) سماع إنصاف وتدبر لأن من لم يسمع بقلبه فكأنه لا يسمع .

(٩) وبفتح النون نافع وشامى وأبو بكر . قال الزجاج: سقيته وأسقيته بمعنى واحد . ذكر سيبويه الأنعام فى الأسماء المفردة الواردة على أفعال ، ولذا رجع الضمير إليه مفردا . وأما (فى بطونها) فى سورة المؤمنين فلأن معناه الجمع . وهو استئناف كأنه قيل كيف العبرة؟ فقال (نسقيكم مما فى بطونه) .

(١٠) أى يخلق الله اللبن وسيطا بين الفرث والدم يكتنفانه و بينه و بينهما برزخ لا يبغى أحدهما عليه بلون ولا طعم ولا رائحة، بل هو خالص من ذلك كله . قيل إذا أكلت البهيمة العلف فاستقر فى كرشها طبخته فكان أسفله فرثا وأوسطه لبنا وأعلاه دما . والكبد مسلطة

سَآئِغًا لِّلشَّـٰرِبِينَ(١) ۝ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَـٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْـهُ سَكَرًا(٢) وَرِزْقًا حَسَنًا(٣) إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ وَأَوْحَىٰ(٤) رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِـذِى(٥) مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّـا يَعْرِشُونَ(٦) ۝

على هـذه الأصناف الثلاثة تقسمها فتجرى الدم فى العروق واللبن فى الضروع ويبقى الفرث فى الكرش ثمّ ينحدر . وفى ذلك عبرة لمن اعتبر . وسئل شقيق عن الإخلاص فقال تمييز العمل من العيوب كتمييز اللبن من بين فرث ودم .

(١) سهل المرور فى الحلق . ويقال : لم يغصّ أحد باللبن قطّ .

و (من) الأولى للتبعيض لأنّ اللبن بعض ما فى بطونها ، والثانية لابتداء الغاية .

(٢) يتعلّق بمحذوف تقديره (و)نسقيكم (من ثمرات النخيل والأعناب) أى من عصيرها. وحذف لدلالة (نسقيكم) قبله عليه. و (تتّخذون منه سكرا) بيان وكشف عن كنه الإسقاء . أو بتتّخذون. و (منه) من تكرير الظرف للتوكيد. والضمير فى (منه) يرجع إلى المضاف المحذوف الذى هو العصير . والسكر الخمر .سمّيت بالمصدر من سكر سكرا وسكرا نحو رشدا ورشدا . ثمّ فيه وجهان أحدهما أنّ الآية سابقة على تحريم الخمر فتكون منسوخة.وثانيهما أن يجمع بين العتاب والمنّة . وقيل السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر إذا طبخ حتّى يذهب ثلثاه ثمّ يترك حتّى يشتدّ . وهو حلال عند أبى حنيفة وأبى يوسف رحمهما الله إلى حدّ السكر . ويحتجان بهذه الآية وبقوله عليه السلام "الخمر حرام لعينها والسكر من كلّ شراب" وبأخبار جمّة .

(٣) هو الخلّ والرُبّ والتمر والزبيب وغير ذلك .

(٤) وألهم .

(٥) (أن) هى أن المفسّرة لأنّ الإيحاء فيه معنى القول . قال الزجاج: واحد النحل نحلة كنخل ونخلة . والتأنيث باعتبار هذا .

(٦) يرفعون من سقوف البيت أو ما يبنون للنحل فى الجبال والشجر والبيوت من الأماكن التى تعسّل فيها و (من) فى (من الجبال) و (من الشجر ومما يعرشون) للتبعيض لأنّها لا تبنى بيوتها فى كلّ جبل وكلّ شجر وكلّ ما يعرش. والضمير فى (يعرشون) للناس . وبضم الراء شامىّ وأبو بكر .

ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ(١) فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ(٢) ذُلُلًا(٣) يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ(٤) مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ(٥) فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ(٦) إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ(٧) ﴿٦٩﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ(٨) وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ(٩)

---

(١) أى ابنى البيوت ثمّ كلى كلّ ثمرة تشتهينها .

(٢) فإذا أكلتها فادخلى الطـرق التى ألهمك وأفهمك فى عمل العسل . أو إذا أكلت الثمـار فى المواضع البعيدة من بيوتك (فاسلكى) إلى بيوتك راجعة (سبل ربّك) لا تضلّين فيها .

(٣) جمع ذلول . وهى حال من السبل لأنّ الله تعالى ذلّلها وسهّلها ، أو من الضمير فى (فاسلكى) أى وأنت ذلل منقادة لمـا أمرت به غير ممتنعة .

(٤) تلقيه من فيها ، يريد العسل لأنّه ممّـا يشرب .

(٥) منه أبيض وأصفر وأحمر من الشباب والكهول والشيب أو على ألوان أغذيتها .

(٦) لأنّه من جملة الأدوية النافعة . وقلّ معجون من المعاجين لم يذكر الأطباء فيه العسل. وليس الغرض أنّه شفاء لكلّ مريض كما أنّ كلّ دواء كذلك . وتنكيره لتعظيم الشفاء الذى فيه ، أو لأنّ فيه بعض الشفاء لأنّ النكرة فى الإثبات تخصّ. وشكا رجل استطلاق بطن أخيه فقال عليه السلام : اسقه عسلا . فجاءه وقال زاده شرا . فقال عليه السلام صدق الله وكذب بطن أخيك . اسقه عسلا ، فسقاه فصحّ . وعن ابن مسعود رضى الله عنه : العسل شفاء من كلّ داء والقرآن شفاء لمـا فى الصدور . فعليكم بالشفاءين القرآن والعسل. ومن بدع الروافض أنّ المراد بالنحل علىّ وقومه . وعن بعضهم أنّ رجلا قال عند المهدىّ إنّمـا النحل بنو هاشم يخرج من بطونهم العلم . فقال له رجل جعل الله طعامك وشرابك ممّـا يخرج من بطونهـم . فضحك المهدىّ . وحدّث به المنصور فاتّخذه أضحوكة من أضاحيكهم .

(٧) (يتفكّرون) فى عجيب أمرها فيعلمون أنّ الله أودعها علما بذلك وفطّنها كما أعطى أولى العقول عقولهم .

(٨) بقبض أرواحكم من أبدانكم .

(٩) إلى أخسّه وأحقره وهو خمس وسبعون سنة أو ثمـانون أو تسعون .

لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا[1] إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ[2] ۝ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ[3] أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ[4] ۝ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ[5] أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً[6] وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ[7]

---

(١) لينسى ما يعلم . أو لئلا يعلم زيادة علم على علمه .

(٢) (عليم) بحكم التحويل إلى الأرذل من الأكل أو إلى الإفناء من الإحياء، (قدير) على تبديل ما يشاء كما يشاء من الأشياء .

(٣) أى جعلكم متفاوتين فى الرزق فرزقكم أفضل مما رزق مماليككم وهم بشر مثلكم (فما الذين فضلوا) فى الرزق يعنى الملاك (برادى رزقهم) بمعطى رزقهم (على ماملكت أيمانهم فهم فيه سواء). فكان ينبغى أن تردوا فضل مارزقتموه عليهم حتى تتساووا فى الملبس والمطعم. (فهم فيه سواء) جملة اسمية وقعت فى موضع جملة فعلية فى موضع النصب لأنه جواب النفى بالفاء وتقديره (فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ماملكت أيمانهم) فيستووا مع عبيدهم فى الرزق .

أو هو مثل ضربه الله للذين جعلوا له شركاء. فقال لهم: أنتم لاتسوون بينكم وبين عبيدكم فيما أنعمت به عليكم ولا تجعلونهم فيه شركاء ولاترضون ذلك لأنفسكم. فكيف رضيتم أن تجعلوا عبيدى لى شركاء ؟

(٤) وبالتاء أبو بكر. بفعل ذلك من جملة جحود النعمة .

(٥) أى من جنسكم .

(٦) جمع حافد . وهو الذى يحفد أى يسرع فى الطاعة والخدمة . ومنه قول القانت "وإليك نسعى ونحفد". واختلف فيه فقيل هم الأختان على البنات . وقيل أولاد الأولاد. أو المعنى (و) جعل لكم (حفدة) أى خدما يحفدون فى مصالحكم ويعينونكم .

(٧) أى بعضها لأن كل الطيبات فى الجنة وطيبات الدنيا انموذج منها .

أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ[1] وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ[2] يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا[3] وَلَا يَسْتَطِيعُونَ[4] ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ[5] إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا[6] عَبْدًا[7] مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا[8] هَلْ يَسْتَوُونَ[9] الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ[10] ﴿٧٥﴾

---

(١) هو ما يعتقدونه من منفعة الأصنام وشفاعتها .

(٢) أى الإسلام .

أو الباطل الشيطان والنعمة محمد صلّى الله عليه وسلّم . أو الباطل مايسوّل لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة وغيرهما. ونعمة الله ما أحلّ لهم .

(٣) (ما لا يملك لهم رزقا) أى الصنم وهو جماد لا يملك أن يرزق شيئا . فالرزق يكون بمعنى المصدر وبمعنى ما يرزق . فإن أردت المصدر نصبت به (شيئا) أى لا يملك أن يرزق شيئا . وإن أردت المرزوق كان (شيئا) بدلا منه أى قليلا. و (من السموات والأرض) صلة للرزق إن كان مصدرا أى لا يرزق من السموات مطرا ولا من الأرض نباتا ، وصفة إن كان اسما لما يرزق .

(٤) الضمير لما ، لأنه فى معنى الآلهة بعد ما قال (لا يملك) على اللفظ . والمعنى لا يملكون الرزق ولا يمكنهم أن يملكوه ولا يتأتّى ذلك منهم .

(٥) فلا تجعلوا لله مثلا فإنّه لا مثل له . أى فلا تجعلوا له شركاء .

(٦) (يعلم) أنّه لا مثل له من الخلق (وأنتم لا تعلمون) ذلك، أو (إنّ الله يعلم) كيف يضرب الأمثال (وأنتم لا تعلمون) ذلك. والوجه الأول. ثم ضرب المثل فقال (ضرب الله مثلا عبدا) .

(٧) هو بدل من (مثلا) .

(٨) مصدران فى موضع الحال . أى مثلكم فى إشراككم بالله الأوثان مثل من سوّى بين عبد مملوك عاجز عن التصرّف وبين حرّ مالك قد رزقه الله مالا فهو يتصرّف فيه وينفق منه ماشاء . وقيّد بالمملوك ليميّزه من الحرّ لأنّ اسم العبد يقع عليهما جميعا إذ هما من عباد الله . وبـ(لايقدر على شيء) ليمتاز من المكاتب والمأذون فهما يقدران على التصرّف. (ومن) موصوفة أى وحرّا رزقناه ليطابق عبدا ، أو موصولة .

(٩) جمع الضمير لإرادة الجمع أى لا يستوى القبيلان .

(١٠) (لايعلمون) بأن الحمد والعبادة لله .

وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ[1] وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ[2] أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ[3] هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ[4] وَهُوَ[5] عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ[6] ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ[7] وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ[8] إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ[9]

---

(١) زاد فى البيان فقال (وضرب الله مثلا رجلين) . الأبكم الذى ولد أخرس فلا يفهم ولا يفهم .

(٢) أى ثقل وعيال على من يلى أمره ويعوله .

(٣) حيثما يرسله ويصرفه فى مطلب حاجة أو كفاية مهمّ لم ينفع ولم يأت بنجح .

(٤) أى ومن هو سليم الحواسّ نفّاع ذو كفايات مع رشد وديانة فهو يأمر الناس بالعدل والخير .

(٥) (وهو) فى نفسه .

(٦) على سيرة صالحة ودين قويم .

وهـذا مثل ثان ضربه لنفسه ولما يفيض على عباده من آثار رحمته ونعمته وللأصنام التى هى أموات لا تضرّ ولا تنفع .

(٧) أى يختصّ به علم ما غاب فيهما عن العباد وخفى عليهم علمه . أو أراد بغيب السموات والأرض يوم القيامة على أنّ علمه غائب عن أهل السموات والأرض لم يطّلع عليه أحد منهم .

(٨) (وما أمر الساعة) فى قرب كونها وسرعة قيامها (إلّا) كرجع طرف ـــ وإنّما ضرب به المثل لأنّه لا يعرف زمان أقلّ منه ـــ (أو هو) أى الأمر (أقرب) . وليس هذا لشكّ المخاطب . ولكن المعنى كونوا فى كونها على هذا الاعتبار . وقيل بل (هو أقرب) .

(٩) (إنّ الله على كلّ شىء قدير) فهو يقـدر على أن يقيم الساعة ويبعث الخلق لأنّه بعض المقدورات . ثمّ دلّ على قدرته بما بعده فقال (والله أخرجكم من بطون أمّهاتكم)

لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا[1] وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ[2] ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا[3] إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ[4] فِي جَوِّ السَّمَاءِ[5] مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ[6] إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ[7] ﴿٧٩﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا[8] وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا[9] تَسْتَخِفُّونَهَا[10] يَوْمَ ظَعْنِكُمْ[11] وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ[12]

وبكسر الألف وفتح الميم ، علىّ ، إتباعا لكسرة النون . وبكسرهما حمزة . والهاء مزيدة فى أمّهات للتوكيد كما زيدت فى أراق فقيل أهراق . وشذّت زيادتها فى الواحدة .

(١) حال أى غير عالمين شيئا من حقّ المنعم الذى خلقكم فى البطون .

(٢) أى وما ركب فيكم هذه الأشياء إلّا آلات لإزالة الجهل الذى ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه . والأفئدة فى فؤاد كالأغربة فى غراب وهو من جموع القلّة التى جرت مجرى جموع الكثرة لعدم السماع فى غيرها .

(٣) وبالتاء شامىّ وحمزة .

(٤) مذلّلات للطيران بما خلق لها من الأجنحة والأسباب المواتية لذلك .

(٥) هو الهواء المتباعد من الأرض فى سمت العلوّ .

(٦) (ما يمسكهنّ) فى قبضهنّ وبسطهنّ ووقوفهنّ (إلّا الله) بقدرته . وفيه نفى لما يصوّره الوهم من خاصيّة القوى الطبيعيّة .

(٧) (يؤمنون) بأنّ الخلق لا غنى به عن الخالق .

(٨) هو فَعَل بمعنى مفعول أى ما يسكن إليه وينقطع إليه من بيت أو إلف .

(٩) هى قباب الأدم .

(١٠) ترونها خفيفة المحمل فى الضرب والنقض والنقل .

(١١) بسكون العين كوفىّ وشامىّ . وبفتح العين غيرهم . والظعن بفتح العين وسكونها الارتحال .

(١٢) قراركم فى منازلكم . والمعنى أنّها خفيفة عليكم فى أوقات السفر والحضر ، على أنّ اليوم بمعنى الوقت .

وَمِنْ أَصْوَافِهَا(١) وَأَوْبَارِهَا(٢) وَأَشْعَارِهَا(٣) أَثَٰثًا(٤) وَمَتَٰعًا(٥) إِلَىٰ حِينٍ(٦) ۝ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا(٧) وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا(٨) وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ(٩) تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ(١٠) وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ(١١) كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ(١٢) ۝ فَإِن تَوَلَّوْا(١٣) فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ(١٤) ۝ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ(١٥) ۝

---

(١) أى أصواف الضأن .

(٢) وأوبار الإبل .

(٣) وأشعار المعز .

(٤) متاع البيت .

(٥) وشيئا ينتفع به .

(٦) مدّة من الزمان .

(٧) كالأشجار والسقوف .

(٨) جمع كِنّ وهو ما سترك من كهف أو غار .

(٩) هى القمصان والثياب من الصوف والكتّان والقطن .

(١٠) وهى تقى البرد أيضا ، إلّا أنه اكتفى بأحد الضدّين ولأنّ الوقاية من الحرّ أهم عندهم لكون البرد يسيرا محتملا .

(١١) ودروعا من الحديد تردّ عنكم سلاح عدوّكم فى قتالكم . والبأس شدّة الحرب . والسربال عام يقع على ما كان من حديد أو غيره .

(١٢) أى تنظرون فى نعمته الفائضة فتؤمنون به وتنقادون له .

(١٣) أعرضوا عن الإسلام .

(١٤) أى فلا تبعة عليك فى ذلك لأنّ الذى عليك هو التبليغ الظاهر، وقد فعلت .

(١٥) (يعرفون نعمة الله) التى عددناها بأقوالهم فإنّهم يقولون إنّها من الله . (ثمّ ينكرونها) بأفعالهم حيث عبدوا غير المنعم . أو فى الشدّة ثمّ فى الرخاء . (وأكثرهم الكافرون)

وَيَوْمَ نَبْعَثُ(١) مِن كُلِّ(٢) أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ(٣) لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ(٤) ۝ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا(٥) ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ(٦) وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ(٧) ۝ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَآءَهُمْ(٨) قَالُوا رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا(٩) ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا(١٠) مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ(١١) ۝ وَأَلْقَوْا(١٢) إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ(١٣)

أى الجاحدون غير المعترفين . أو (نعمة الله) نبوّة محمد صلّى الله عليه وسلّم . كانوا يعرفونها ثمّ ينكرونها عنادا وأكثرهم الجاحدون المنكرون بقلوبهم . و (ثمّ) يدلّ على أنّ إنكارهم أمر مستبعد بعد حصول المعرفة لأنّ حقّ من عرف النعمة أن يعترف لا أن ينكر .

(١) انتصابه باذكر .

(٢) نحشر .

(٣) نبيّا يشهد لهم وعليهم بالتصديق والتكذيب والإيمان والكفر .

(٤) (ثمّ لا يؤذن للذين كفروا) فى الاعتذار . والمعنى لا حجّة لهم. فدلّ بترك الإذن على أن لا حجّة لهم ولا عذر . (ولا هم يستعتبون) ولا هم يسترضون . أى لا يقال لهم أرضوا ربكم لأنّ الآخرة ليست بدار عمل . ومعنى (ثمّ) أنّهم يُمنون أى يُبتلون بعد شهادة الأنبياءعليهم السلام بما هو أطم وأغلب منها وهو أنّهم يمنعون الكلام فلا يؤذن لهم فى إلقاء معذرة ولا إدلاء بحجّة.

(٥) كفروا .

(٦) (فلا يخفّف عنهم) أى العذاب بعد الدخول .

(٧) يمهلون قبله .

(٨) أوثانهم التى عبدوها .

(٩) أى آلهتنا التى جعلناها شركاء .

(١٠) أى نعبد .

(١١) أى أجابوهم بالتكذيب لأنها كانت جمادا لا تعرف من عبدها. ويحتمل أنّهم كذّبوهم فى تسميتهم شركاء وآلهة تنزيها لله عن الشرك .

(١٢) يعنى الذين ظلموا .

(١٣) إلقاء السلم الاستسلام لأمر الله وحكمه بعد الإباء والاستكبار فى الدنيا .

وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ (١) ﴿٨٧﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ (٢) وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ (٣) زِدْنَـٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ (٤) بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ (٥) ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ (٦) وَجِئْنَا بِكَ (٧) شَهِيدًا عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ (٨) وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا (٩) لِّكُلِّ شَىْءٍ (١٠) وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ (١١) ﴿٨٩﴾

---

(١) وبطل عنهم (ما كانوا يفترون) من أن لله شركاء وأنهم ينصرونهم ويشفعون لهم ، حين كذبوهم وتبرءوا منهم .

(٢) (الذين كفروا) فى أنفسهم .

(٣) وحملوا غيرهم على الكفر .

(٤) أى عذابا بكفرهم وعذابا بصدهم عن سبيل الله .

(٥) بكونهم مفسدين الناس بالصد .

(٦) يعنى نبيهم لأنه كان يبعث أنبياء الأمم فيهم منهم .

(٧) يا محمد .

(٨) على أمتك .

(٩) (تبيانا) بليغا .

(١٠) من أمور الدين . أما فى الأحكام المنصوصة فظاهر . وكذا فيما ثبت بالسنة أو بالإجماع أو بقول الصحابة أو بالقياس لأن مرجع الكل إلى الكتاب حيث أمرنا فيه باتباع رسوله عليه السلام وطاعته بقوله (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) وحثنا على الإجماع فيه بقوله (ويتبع غير سبيل المؤمنين) وقد رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته اتباع أصحابه بقوله " أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم " . وقد اجتهدوا وقاسوا ووطئوا طرق الاجتهاد والقياس مع أنه أمرنا به بقوله (فاعتبروا يا أولى الأبصار) . فكانت السنة والإجماع وقول الصحابى والقياس مستندة إلى تبيان الكتاب . فتبين أنه كان تبيانا لكل شىء .

(١١) ودلالة إلى الحق ورحمة لهم وبشارة لهم بالجنة .

إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ[1] وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ[2] وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ[3] وَٱلْمُنكَرِ[4] وَٱلْبَغْىِ[5] يَعِظُكُمْ[6] لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ[7] ۝ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ[8] إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ[9] بَعْدَ تَوْكِيدِهَا[10] وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا[11]

---

(١) (إن الله يأمر بالعدل) بالتسوية فى الحقوق فيا بينكم وترك الظلم و إيصال كلّ ذى حقّ إلى حقه . (والإحسان) إلى من أساء إليكم . أو هما الفرض والندب ، لأن الفرض لا بدّ من أن يقع فيه تفريط فيجبره الندب .

(٢) و إعطاء ذى القرابة وهو صلة الرحم .

(٣) عن الذنوب المفرطة فى القبح .

(٤) ما تنكره العقول .

(٥) طلب التطاول بالظلم والكبر .

(٦) حال أو مستأنف .

(٧) تتعظون بمواعظ الله . وهذه الآية سبب إسلام عثمان بن مظعون فإنّه قال : ما كنت أسلمت إلاّ حياء منه عليه السلام لكثرة ما كان يعرض علىّ الإسلام ولم يستقر الإيمان فى قلبى حتّى نزلت هذه الآية وأنا عنده فاستقر الإيمان فى قلبى فقرأتها على الوليد بن المغيرة فقال : والله إنّ له لحلاوة و إنّ عليه لطلاوة و إنّ أعلاه لمثمر و إنّ أسفله لمغدق وما هو بقول البشر . وقال أبو جهل : إنّ إلهه ليأمر بمكارم الأخلاق . وهى أجمع آية فى القرآن للخير والشرّ ولهذا يقرؤها كلّ خطيب على المنبر فى آخر كلّ خطبة لتكون عظة جامعة لكلّ مأمور ومنهى .

(٨) هى البيعة لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم على الإسلام (إنّ الذين يبايعونك إنّما يبايعون الله) .

(٩) أيمان البيعة .

(١٠) بعد توثيقها باسم الله . وأكّد ووكّد لغتان فصيحتان . والأصل الواو والهمزة بدل منها .

(١١) شاهدا ورقيبا لأنّ الكفيل مراع لحال المكفول به مهيمن عليه .

إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ[1] ۝ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا[2] تَتَّخِذُونَ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ[3] إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ[4] وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ[5] ۝ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً[6] وَلَـٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ[7] وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ[8] وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ[9] ۝ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ[10]

---

(١) (يعلم ما تعملون) من البرّ والحنث فيجازيكم به .

(٢) (ولا تكونوا) فى نقض الأيمان كالمرأة التى أنحت على غزلها بعد أن أحكمته وأبرمته بجعلته (أنكاثا) . جمع نِكث وهو ما ينكث فتله . قيل هى ريطة وكانت حمقاء تغزل هى وجواريها من الغداة إلى الظهر ثمّ تأمرهنّ فينقضن ما غزلن .

(٣) (تتّخذون أيمانكم) حال كأنكاثا (دخلا بينكم) . أحد مفعولى تتّخذ . أى ولاتنقضوا أيمانكم متّخذيها (دخلا بينكم) أى مفسدة وخيانة ، بسبب (أن تكون أمّة) يعنى جماعة قريش (هى أربى) هى أزيد عددا وأوفر مالا (من أمّة) من جماعة المؤمنين . (هى أربى) مبتدأ وخبر فى موضع الرفع صفة لأمّة . و (أمّة) فاعل (تكون) . وهى تامّة . و (هى) ليست بفصل لوقوعها بين نكرتين .

(٤) الضمير للمصدر . أى إنما يختبركم بكونهم أربى لينظر أتتمسّكون بحبل الوفاء بعهد الله وما وكّدتم من أيمان البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلّم أم تغترّون بكثرة قريش وثروتهم وقلّة المؤمنين وفقرهم .

(٥) (وليبيّننّ لكم يوم القيامة) إذا جازاكم على أعمالكم بالثواب والعقاب (ما كنتم فيه تختلفون) . وفيه تحذير عن مخالفة ملّة الإسلام .

(٦) حنيفة مسلمة .

(٧) من علم منه اختيار الضلالة .

(٨) من علم منه اختيار الهداية .

(٩) (ولتسألنّ) يوم القيامة (عمّا كنتم تعملون) فتجزون به .

(١٠) كرّر النهى عن اتّخاذ الأيمان دخلا بينهم تأكيدا عليهم وإظهارا لعظمه .

فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا (١) وَتَذُوقُوا السُّوٓءَ (٢) بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ (٣) وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٤) ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا (٥) إِنَّمَا عِندَ اللَّهِ (٦) هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ (٧) يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ (٨) بَاقٍ (٩) وَلَنَجْزِيَنَّ (١٠)

---

(١) فتزلّ أقدامكم عن محجّة الإسلام بعد ثبوتها عليها . وإنّمـا وحّدت القدم ونكّرت لاستعظام أن تزلّ قدم واحدة عن طريق الحقّ بعد أن تثبت عليه فكيف بأقدام كثيرة ؟

(٢) (وتذوقوا السوء) فى الدنيا .

(٣) بصدودكم (عن سبيل الله) وخروجكم عن الدين . أو بصدّكم غيركم لأنّهم لو نقضوا أيمان البيعة وارتدّوا لاتّخـذوا نقضها سنّة لغيرهم يستنّون بها .

(٤) (ولكم) فى الآخرة (عذاب عظيم) .

(٥) ولا تستبدلوا (بعهد الله) . وبيعة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (ثمنا قليلا) . عرضاً من الدنيا يسيرا . كأنّ قوما ممّن أسـلم بمكّة زيّن لهم الشيطان ــ لجزعهم ممّا رأوا من غلبة قريش واستضعافهم المسلمين ، ولمـا كانوا يعدونهم إن رجعوا من المواعيد ــ أن ينقضوا ما بايعوا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فثبّتهم الله .

(٦) (إنّمـا عند الله) من ثواب الآخرة .

(٧) (ما عندكم) من أعراض الدنيا .

(٨) (وما عند الله) من خزائن رحمته .

(٩) لا ينفد .

(١٠) و بالنون بمكّىّ وعاصم .

ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ(١) أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ(٢) وَهُوَ مُؤْمِنٌ(٣) فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً(٤) وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ(٥) بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ(٦) ٱلرَّجِيمِ(٧) ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ(٨) سُلْطَٰنٌ(٩) عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ(١٠) ﴿٩٩﴾

(١) (الذين صبروا) على أذى المشركين ومشاقّ الإسلام .

(٢) (مَن) مبهم يتناول المؤمنين إلّا أنّ ظاهره للذكور فبيّن بقوله (من ذكر أو أنثى) ليعم الموعد النوعين .

(٣) شرط الإيمان لأنّ أعمال الكفار غير معتدّ بها . وهو يدلّ على أنّ العمل ليس من الإيمان .

(٤) أى فى الدنيا لقوله (ولنجزينّهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) . وعده الله ثواب الدنيا والآخرة كقوله (فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة) وذلك أنّ المؤمن مع العمل الصالح ، موسرا كان أو معسرا ، يعيش عيشا طيّبا . إن كان موسرا فظاهر ، وإن كان معسرا فمعه ما يطيّب عيشه وهو القناعة والرضا بقسمة الله تعالى . وأمّا الفاجر فأمره بالعكس . إن كان معسرا فظاهر . وإن كان موسرا فالحرص لايدعه أن يتهنّأ بعيشه . وقيل الحياة الطيّبة القناعة أو حلاوة الطاعة أو المعرفة بالله وصدق المقام مع الله وصدق الوقوف على أمر الله والإعراض عمّا سوى الله .

(٥) فإذا أردت قراءة القرآن فاستعذ بالله . فعبر عن إرادة الفعل بلفظ الفعل لأنّها سبب له . والفاء للتعقيب إذ القراءة المصدّرة بالاستعاذة من العمل الصالح المذكور .

(٦) يعنى إبليس .

(٧) المطرود أو الملعون . قال ابن مسعود رضى الله عنه قرأت على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقلت أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم . فقال لى قل : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . هكذا أقرأنيه جبريل عليه السلام .

(٨) لإبليس .

(٩) تسلّط وولاية .

(١٠) فالمؤمن المتوكّل لا يقبل منه وسواسه .

إِنَّمَا سُلْطَـٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ(١) وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ(٢) مُشْرِكُونَ ۝ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ(٣) قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ(٤) بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ(٥) ۝ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ(٦) مِن رَّبِّكَ(٧) بِٱلْحَقِّ(٨) لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟(٩) وَهُدًى وَبُشْرَىٰ(١٠) لِلْمُسْلِمِينَ(١١) ۝ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ(١٢)

---

(١) يتخذونه ولياً ويتبعون وساوسه .

(٢) الضمير يعود إلى ربّهم أو إلى الشيطان أى بسببه .

(٣) تبديل الآية مكان الآية هو النسخ. والله تعالى ينسخ الشرائع بالشرائع لحكمة رآها وهو معنى قوله (والله أعلم بما ينزّل) وبالتخفيف مكيّ وأبو عمرو .

(٤) هو جواب (إذا). وقوله (والله أعلم بما ينزّل) اعتراض. كانوا يقولون إنّ محمّدا يسخر بأصحابه. يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غدا فيأتيهم بما هو أهون. ولقد افتروا. فقد كان ينسخ الأشقّ بالأهون ، والأهون بالأشقّ .

(٥) (لا يعلمون) الحكمة فى ذلك .

(٦) أى جبريل عليه السلام. أضيف إلى القدس وهو الطهر كما يقال حاتم الجود. والمراد الروح المقدّس وحاتم الجواد . والمقدّس المطهّر من المآثم .

(٧) من عنده وأمره .

(٨) حال . أى نزّله ملتبسا بالحكمة .

(٩) ليبلوهم بالنسخ حتّى إذا قالوا فيه هو الحقّ من ربّنا والحكمة لأنّه حكيم لا يفعل إلّا ماهو حكمة وصواب ، حكم لهم بثبات القدم وصحّة اليقين وطمأنينة القلوب .

(١٠) مفعول لهما معطوفان على محلّ (ليثبّت) . والتقدير تثبيتا لهم وإرشادا وبشارة .

(١١) فيه تعريض بحصول أضداد هذه الخصال لغيرهم .

(١٢) أرادوا به غلاما كان لحويطب قد أسلم وحسن إسلامه اسمه عائش أو يعيش . وكان صاحب كتب . أو هو جبر غلام رومىّ لعامر بن الحضرمىّ. أو عبدان جبر ويسار . كانا يقرآان التوراة والإنجيل. فكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يسمع ما يقرآان. أو سلمان الفارسى .

لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ(١) إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ(٢) ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ(٣) لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ(٤) وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ(٥) ۝ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ(٦) وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ(٧) ۝ مَن(٨)

---

(١) و بفتح الياء والحاء حمزة وعلىّ .

(٢) أى لسان الرجل الذى يميلون قولهم عن الاستقامة إليه، لسان أعجمى غير بيّن. (وهذا) القرآن (لسان عربىّ مبين) ذو بيان وفصاحة. ردّا لقولهم و إبطالا لطعنهم. وهذه الجملة أعنى (لسان الذى يلحدون إليه أعجمىّ) لامحلّ لها لأنها مستأنفة جواب لقولهم . واللسان اللغة . و يقال ألحد القبر ولحده وهو ملحد وملحود إذا أمال حفره عن الاستقامة فحفر فى شقّ منه . ثمّ استعير لكلّ إمالة عن الاستقامة فقالوا ألحد فلان فى قوله وألحد فى دينه . ومنه الملحد لأنّه أمال مذهبه عن الأديان كلّها .

(٣) أى القرآن .

(٤) (لا يهديهم الله) ماداموا مختارين الكفر .

(٥) (ولهم) فى الآخرة (عذاب أليم) على كفرهم .

(٦) (إنّما يفترى الكذب) على الله (الذين لايؤمنون بآيات الله) أى إنّما يليق افتراء الكذب بمن لايؤمن لأنّه لايترقّب عقابا عليه . وهو ردّ لقولهم (إنّما أنت مفتر) .

(٧) إشارة إلى (الذين لا يؤمنون) . أى (وأولئك هم الكاذبون) على الحقيقة الكاملون فى الكذب لأنّ تكذيب آيات الله أعظم الكذب . أو (وأولئك هم الكاذبون) فى قولهم (إنّما أنت مفتر) .

(٨) جوّزوا أن يكون (من) شرطا مبتدأ و حذف جوابه لأنّ جواب (من شرح) دالّ عليه كأنّه قيل من كفر بالله فعليهم غضب . وأن يكون بدلا من (الذين لا يؤمنون بآيات الله) على أن يجعل (وأولئك هم الكاذبون) اعتراضا بين البدل والمبدل منه . والمعنى إنّما يفترى الكذب (من كفر بالله من بعد إيمانه) . واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء . ثمّ قال (ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله) . وأن يكون بدلا من المبتدأ الذى هو (أولئك) . أى ومن كفر بالله من بعد إيمانه (هم الكاذبون) . أو من الخبر الذى هو الكاذبون أى وأولئك هم (من كفر بالله من بعد إيمانه). وأن ينتصب على الذم.

كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِالْإِيمَـٰنِ[1] وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا[2] فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ ذَٰلِكَ[3] بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا عَلَى الْـَٔاخِرَةِ[4] وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْكَـٰفِرِينَ[5] ۝ أُولَـٰٓئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ[6] وَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ الْغَـٰفِلُونَ[7] ۝ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى الْـَٔاخِرَةِ هُمُ الْخَـٰسِرُونَ ۝ ثُمَّ[8] إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا[9] مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا[10]

(١) ساكن به . روى أنّ ناسا من أهل مكّة فتنوا فارتدّوا. وكان فيهم من أكره فأجرى كلمة الكفر على لسانه وهو معتقد للإيمان. منهم عمّار — وأما أبواه ياسر وسميّة فقد قتلا، وهما أوّل قتيلين فى الإسلام — فقيل لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم إن عمّارا كفر. فقال « كلّا إنّ عمّارا ملئ إيمانا من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه». فأتى عمّار رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو يبكى. فجعل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يمسح عينيه .وقال مالك؟ «إن عادوا لك فعد لهم بمـا قلت» . وما فعل أبو عمار أفضل لأنّ فى الصبر على القتل إعزازا للإسلام .

(٢) أى طاب به نفسا واعتقده .

(٣) إشارة إلى الوعيد وهو لحوق الغضب والعذاب العظيم .

(٤) أى بسبب إيثارهم الدنيا على الآخرة .

(٥) (وأنّ الله لا يهدى القوم الكافرين) ماداموا مختارين للكفر .

(٦) فلا يتدبّرون ولا يصغون إلى المواعظ ولا يبصرون طريق الرشاد .

(٧) أى الكاملون فى الغفلة لأنّ الغفلة عن تدبّر العواقب هى غاية الغفلة ومنتهاها .

(٨) (ثمّ) يدلّ على تباعد حال هؤلاء من حال أولئك .

(٩) (للذين هاجروا) من مكّة، أى أنّه لهم لا عليهم . يعنى أنّه وليّهم وناصرهم لا عدوّهم وخاذلهم كما يكون الملك للرجل لا عليه فيكون محميا منفوعا غير مضرور .

(١٠) (من بعد مافتنوا) بالعذاب والإكراه على الكفر. (فتنوا) شامىّ. أى بعد ما عذّبوا المؤمنين ثمّ أسلموا .

ثُمَّ جَٰهَدُواْ(١) وَصَبَرُوٓاْ(٢) إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا(٣) لَغَفُورٞ(٤) رَّحِيمٌ(٥) ۝ يَوۡمَ(٦) تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا(٧) وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ(٨) وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ(٩) ۝ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ(١٠) كَانَتۡ ءَامِنَةٗ(١١) مُّطۡمَئِنَّةٗ(١٢) يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا(١٣)

(١) (ثم جاهدوا) المشركين بعد الهجرة .

(٢) (وصبروا) على الجهاد .

(٣) من بعد هذه الأفعال وهى الهجرة والجهاد والصبر .

(٤) (لغفور) لهم لما كان منهم من التكلم بكلمة الكفر تقية .

(٥) لا يعذبهم على ما قالوا فى حالة الإكراه .

(٦) منصوب برحيم أو باذكر .

(٧) وإنما أضيفت النفس إلى النفس لأنه يقال لعين الشيء وذاته نفسه وفى نقيضه غيره . والنفس الجملة كما هى . فالنفس الأولى هى الجملة والثانية عينها وذاتها فكأنه قيل يوم يأتى كل إنسان يجادل عن ذاته لا يهمه شأن غيره كل يقول : نفسى نفسى . ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها كقولهم (هؤلاء أضلونا) (ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا) الآية . (والله ربنا ما كنا مشركين) .

(٨) تعطى جزاء عملها وافيا .

(٩) (وهم لا يظلمون) فى ذلك .

(١٠) أى جعل القرية التى هذه حالها مثلا لكل قوم أنعم الله عليهم فأبطرتهم النعمة فكفروا وتولوا فأنزل الله بهم نقمته . فيجوز أن يراد قرية مقدرة على هذه الصفة، وأن تكون فى قرى الأولين قرية كانت هذه حالها فضربها الله مثلا لمكة إنذارا من مثل عاقبتها .

(١١) (كانت آمنة) من القتل والسبى .

(١٢) لا يزعجها خوف لأن الطمأنينة مع الأمن والانزعاج والقلق مع الخوف .

(١٣) واسعا .

مِّن كُلِّ مَكَانٍ(١) فَكَفَرَتْ(٢) بِأَنْعُمِ(٣) ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ(٤) ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ(٥) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ(٦) ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ(٧) حَلَٰلًا طَيِّبًا(٨) وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ(٩) ﴿١١٤﴾

---

(١) من كلّ بلد .

(٢) فكفر أهلها .

(٣) جمع نعمـة على ترك الاعتداد بالتـاء كدرع وأدرع . أو جمع نعم كبؤس وأبؤس .

(٤) الإذاقة واللباس استعارتان . والإذاقة المستعارة موقّعة على اللباس المستعار . ووجه صحّة ذلك أنّ الإذاقة جارية عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها فى البلايا والشـدائد وما يمسّ الناس منها فيقولون : ذاق فلان البؤس والضّر وأذاقه العذاب . شبّه ما يدرك من أثر الضرر والألم بمـا يدرك من طعم المرّ والبشع . وأما اللباس فقد شبّه به — لاشتماله على اللابس — ما غشى الإنسان والتبس به من بعض الحوادث . وأمّا إيقاع الإذاقة على لباس الجوع والخوف فلأنّه لمّـا وقع عبارة عمّا يغشى منهما ويلابس ؛ فكأنّه قيل فأذاقهم ما غشيهم من من الجوع والخوف .

(٥) أى محمد صلّى الله عليه وسلم .

(٦) أى (فأخذهم العذاب) فى حال التباسهم بالظلم . قالوا إنّه القتل بالسيف يوم بدر .

(٧) روى أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وجه إلى أهل مكّة فى سنى القحط بطعام ففرّق فيهم . فقال الله لهم بعد أن أذاقهم الجوع (فكلوا ممـا رزقكم الله) على يدى محمد صلّى الله عليه وسلم .

(٨) بدلا عمّـا كنتم تأكلونه حراما خبيثا من الأموال المـأخوذة بالغارات والغصوب وخبائث الكسوب .

(٩) تطيعون . أو إن صحّ زعمكم أنكم تعبدون الله بعبادة الآلهة لأنّها شفعاؤكم عنده .

إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١) ﴿﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ (٢) لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ (٣) إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ (٤) وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ (٥) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ (٦)

---

(١) إنّما للحصر. عدّد عليهم محرّمات الله ونهاهم عن تحريمهم وتحليلهم بأهوائهم ، أى المحرّم هذا دون البحيرة وأخواتها . وباقى الآية قد مرّ تفسيره .

(٢) (الكذب)منصوب بلا تقولوا. أى(ولا تقولوا)الكذب لما تصفه ألسنتكم من البهائم بالحلّ والحرمة فى قولكم (ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرّم على أزواجنا)من غير استناد ذلك الوصف إلى الوحى أو إلى القياس المستنبط منه . واللام مثلها فى قولك لاتقولوا لما أحلّ الله هو حرام. وقوله (هذا حلال وهذا حرام) بدل من الكذب . ولك أن تنصب (الكذب) بتصف وتجعل(ما) مصدريّة وتعلّق (هذا حلال وهذا حرام) بلا تقولوا. أى ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام وهذا لوصف ألسنتكم الكذب . أى ولا تحرّموا ولا تحلّلوا لأجل قول تنطق به ألسنتكم ويجول فى أفواهكم لا لأجل حجّة و بيّنة ولكن قول ساذج ودعوى بلا برهان. وقوله (تصف ألسنتكم الكذب) من فصيح الكلام جعل قولهم كأنّه عين الكذب فإذا نطقت به ألسنتهم فقد حلّت الكذب بحليته وصوّرته بصورته . كقولك وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر .

(٣) اللام من التعليل الذى لا يتضمّن معنى الغرض .

(٤) (متاع) خبر مبتدأ محذوف . أى منفعتهم فيما هم عليه من أفعال الجاهليّة منفعة قليلة وعذابها عظيم .

(٥) فى سورة الأنعام . يعنى (وعلى الذين هادوا حرّمنا كلّ ذى ظفر) الآية .

(٦) (وما ظلمناهم) بالتحريم .

وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ(١) ۝ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ(٢) ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا(٣) لَغَفُورٌ(٤) رَّحِيمٌ(٥) ۝ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً(٦) قَانِتًا(٧) لِّلَّهِ حَنِيفًا(٨) وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ(٩) ۝ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ(١٠)

(١) فحرمنا عليهم عقوبة على معاصيهم .

(٢) فى موضع الحال . أى عملوا السوء جاهلين غير متدبّرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم ومرادهم لذّة الهوى لا عصيان المولى .

(٣) من بعد التوبة .

(٤) (لغفور) بتكفيرما كثر وقلّ من الجرائم .

(٥) (رحيم) بتوثيق ما وثّقوا بعد العزائم .

(٦) إنّه كان وحده أمّة من الأمم لكماله فى جميع صفات الخير كقوله :

ليس على الله بمستنكر * أن يجمع العالم فى واحد

وعن مجاهد كان مؤمنا وحده والناس كلّهم كفّار. أو كان أمّة بمعنى مأموم يؤمّه الناس ليأخذوا منه الخير .

(٧) هو القائم بما أمره الله. وقال ابن مسعود رضى الله عنه : إنّ معاذا كان أمّة قانتا لله . فقيل له إنّما هو إبراهيم عليه السلام. فقال : الأمة الذى يعلم الخير، والقانت المطيع لله ورسوله. وكان معاذ كذلك . وقال عمر رضى الله عنه : لو كان معاذ حيّا لاستخلفته فإنّى سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول «أبو عبيدة أمين هذه الأمّة. ومعاذ أمّة لله قانت لله ليس بينه وبين الله يوم القيامة إلّا المرسلون » .

(٨) مائلا عن الأديان إلى ملّة الإسلام .

(٩) نفى عنه الشرك تكذيبا لكفّار قريش لزعمهم أنّهم على ملّة أبيهم إبراهيم . وحذف النون للتشبيه بحروف اللين .

(١٠) روى أنّه كان لا يتغذّى إلّا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا. فأخّر غداءه فإذا هو بفوج من الملائكة فى صورة البشر فدعاهم إلى الطعام فخيّلوا له أن بهم جذاما فقال : الآن وجبت مؤاكلتكم شكرا لله على أنّه عافانى وابتلاكم .

ٱجْتَبَٰهُ (١) وَهَدَٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢) ۝ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً (٣) وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (٤) ۝ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (٥) ۝ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ (٦) وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٧) ۝ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ (٨) بِٱلْحِكْمَةِ (٩) وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ (١٠)

---

(١) اختصّه واصطفاه للنبوة .

(٢) إلى ملّة الإسلام .

(٣) نبوة وأموالا وأولادا . أو تنويه الله بذكره فكلّ أهل دين يتولّونه ، أو قول المصلّى منّا كما صليت على إبراهيم .

(٤) لمن أهل الجنّة .

(٥) فى (ثمّ) تعظيم منزلة نبيّنا عليه السلام وإجلال محلّه والإيذان بأنّ أشرف ما أوتى خليل الله من الكرامة اتّباع رسولنا ملّته .

(٦) أى فرض عليهم تعظيمه وترك الاصطياد فيه .

(٧) روى أنّ موسى عليه السلام أمرهم أن يجعلوا فى الأسبوع يوما للعبادة وأن يكون يوم الجمعة . فأبوا عليه وقالوا نريد اليوم الذى فرغ الله فيه من خلق السموات والأرض وهو السبت ، إلّا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة . فهذا اختلافهم فى السبت لأنّ بعضهم اختاروه وبعضهم اختاروا عليه الجمعة . فأذن الله لهم فى السبت وابتلاهم بتحريم الصيد . فأطاع أمر الله الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون . وأعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله دون أولئك. وهو يحكم بينهم يوم القيامة فيجازى كلّ واحد من الفريقين بما هو أهله .

(٨) إلى الإسلام .

(٩) بالمقالة الصحيحة المحكمة وهو الدليل الموضّح للحقّ المزيل للشبهة .

(١٠) وهى التى لا يخفى عليهم أنّك تناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم فيها . أو بالقرآن أى ادعهم بالكتاب الذى هو حكمة وموعظة حسنة . أو الحكمة المعرفة بمراتب الأفعال . والموعظة الحسنة : أن يخلط الرغبة بالرهبة ، والإنذار بالبشارة .

وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ(١) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ(٢) ﴿﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ(٣) وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ(٤) ﴿﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ(٥) وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ(٦) وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ(٧) ﴿﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ(٨) ﴿﴾

---

(١) بالطريقة التى هى أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة . أو بما يوقظ القلوب ويعظ النفوس ويجلو العقول . وهو ردّ على من يأبى المناظرة فى الدين .

(٢) أى هو أعلم بهم فمن كان فيه خير كفاه الوعظ القليل ومن لا خير فيه عجزت عنه الحيل .

(٣) سمّى الفعل الأول عقوبة والعقوبة هى الثانية لازدواج الكلام كقوله (وجزاء سيّئة سيّئة مثلها) . فالثانية ليست بسيّئة . والمعنى إن صنع بكم صنيع سوء من قتل أو نحوه فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه . روى أنّ المشركين مثّلوا بالمسلمين يوم أحد : بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم . فرأى النبيّ عليه السلام حمــزة مبقور البطن فقال « أما والذى أحلف به لأمثّلنّ بسبعين مكانك » فنزلت . فكفّر عن يمينه وكفّ عمّا أراده . ولا خلاف فى تحريم المثلة لورود الأخبار بالنهى عنها حتّى بالكلب العقور .

(٤) الضمير فى (لهو) يرجع إلى مصدر (صبرتم) . والمراد بالصابرين المخاطبون . أى ولئن صبرتم لصبركم خير لكم . فوضع الصابرين موضع الضمير ثناء من الله عليهم لأنّهم صابرون على الشدائد . ثمّ قال لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم (واصبر) أنت فعزم عليه بالصبر .

(٥) أى بتوفيقه وتثبيته .

(٦) على الكفّار أن لم يؤمنوا ، أو على المؤمنين وما فعل بهــم الكفّار فإنّهم وصلوا إلى مطلوبهم .

(٧) (ضيق) مكىّ . والضيق تخفيف الضيّق أى فى أمر ضيّق . ويجوز أن يكونا مصدرين كالقيل والقول . والمعنى ولا يضيقنّ صدرك من مكرهم فإنّه لا ينفذ عليك .

(٨) أى هو ولىّ الذين اجتنبوا السيّئات وولىّ العاملين بالطاعات . قيل من اتّقى فى أفعاله وأحسن فى أعماله كان الله معه فى أحواله . ومعيّته نصرته فى المأمور وعصمته فى المحظور .

سورة الإسراء مكيّة

وهى مائة وعشر آيات بصرىّ وإحدى عشرة آية كوفىّ وشامىّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَٰنَ(١) ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ(٢) بِعَبْدِهِۦ(٣) لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ(٤) إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا(٥)

(١) تنزيه الله عن السوء . وهو علم للتسبيح كعثمان للرجل . وانتصابه بفعل مضمر متروك إظهاره تقديره أسبح الله (سبحان). ثم نزّل سبحان منزلة الفعل فسدّ مسدّه ودلّ على التنزيه البليغ .

(٢) محمد صلّى الله عليه وسلّم . وسرى وأسرى لغتان .

(٣) نصب على الظرف. وقيّده بالليل والإسراء لايكون إلّا بالليل للتأكيد، أو ليدلّ بلفظ التنكير على تقليل مدّة الإسراء ، وأنّه أسرى به فى بعض الليل من مكّة إلى الشام مسيرة أربعين ليلة .

(٤) قيل أسرى به من دار أمّ هانىء بنت أبى طالب . والمراد بالمسجد الحرام الحرم لإحاطته بالمسجد والتباسه به . وعن ابن عباس رضى الله عنهما : الحرم كلّه مسجد . وقيل هو المسجد الحرام بعينه . وهو الظاهر . فقد قال عليه السلام «بينا أنا فى المسجد الحرام فى الحجر عند البيت بين النائم واليقظان إذ أتانى جبريل بالبراق وقد عرج بى إلى السماء فى تلك الليلة » وكان العروج به من بيت المقدس . وقد أخبر قريشا عن عيرهم وعدد جمالها وأحوالها وأخبرهم أيضا بما رأى فى السماء من العجائب وأنّه لقى الأنبياء عليهم السلام وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى . وكان الإسراء قبل الهجرة بسنة وكان فى اليقظة . وعن عائشة رضى الله عنها أنّها قالت والله ما فُقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن عرج بروحه . وعن معاوية مثله . وعلى الاوّل الجمهور ، إذ لا فضيلة للحالم ولا مزيّة للنائم .

(٥) هو بيت المقدس لأنّه لم يكن حينئذ وراءه مسجد .

ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ[1] لِنُرِيَهُۥ[2] مِنْ ءَايَٰتِنَآ[3] إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ[4] ٱلْبَصِيرُ[5] ۝ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ[6] هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟[7] مِن دُونِى وَكِيلًا[8] ۝ ذُرِّيَّةَ[9] مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝ وَقَضَيْنَآ[10] إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ

(١) يريد بركات الدين والدنيا لأنه متعبّد الأنبياء عليهم السلام ومهبط الوحى . وهو محفوف بالأنهار الجارية والأشجار المثمرة .

(٢) أى محمدا عليه السلام .

(٣) (من آياتنا) الدالّة على وحدانيّة الله وصدق نبوّته برؤيته السموات وما فيها من الآيات .

(٤) (السميع) للأقوال .

(٥) (البصير) بالأفعال . ولقد تصرّف الكلام على لفظ الغائب والمتكلّم فقيل (أسرى) ثمّ (باركنا) ثمّ (إنّه هو) وهى طريقة الالتفات التى هى من طرق البلاغة .

(٦) أى الكتاب . وهو التوراة .

(٧) أى لا تتّخذوا . وبالياء أبو عمرو . أى لئلا يتّخذوا .

(٨) ربًّا تكلون إليه أموركم .

(٩) (ذرية) نصب على الاختصاص ، أو على النداء فيمن قرأ (لا تتّخذوا) بالتاء على النهى . أى قلنا لهم (لا تتّخذوا من دونى وكيلا) يا (ذرّيّة من حملنا مع نوح إنّه) إنّ نوحا عليه السلام (كان عبدا شكورا) فى السرّاء والضرّاء — والشكر مقابلة النعمة بالثناء على المنعم . روى أنّه كان لا يأكل ولا يشرب ولا يلبس إلّا قال : الحمد لله — وأنتم ذرّيّة من آمن به وحمل معه . فاجعلوه أسوتكم ، كما جعله آباؤكم أسوتهم . وآية رشد الأبناء ، صحّة الاقتداء بسنّة الآباء . وقد عرفتم حال الآباء هنالك ، فكونوا أيّها الأبناء كذلك .

(١٠) وأوحينا إليهم وحيا مقضيا أى مقطوعا مبتوتا بأنّهم يفسدون فى الأرض لا محالة . والكتاب التوراة . و (لتفسدنّ) جواب قسم محذوف . أو جرى القضاء المبتوت مجرى القسم فيكون (لتفسدنّ) جوابا له ، كأنّه قال : وأقسمنا (لتفسدنّ فى الأرض) .

مَرَّتَيْنِ (١) وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا (٢) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا (٣) بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ (٤) عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ (٥) فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ (٦) وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا (٧) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ (٨) وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (٩) إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا (١٠) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ (١١)

(١) أولا هما قتل زكريا عليه السلام وحبس أرمياء عليه السلام حين أنذرهم سخط الله، والآخرة قتل يحيى بن زكرياء عليهما السلام وقصد قتل عيسى عليه السلام .

(٢) ولتستكبرن عن طاعة الله من قوله (إن فرعون علا فى الأرض) . والمراد به البغى والظلم وغلبة المفسدين على المصلحين .

(٣) أى وعد عقاب أولاهما .

(٤) سلّطنا عليكم .

(٥) أشداء فى القتال . يعنى سنحاريب وجنوده أو بختنصر أو جالوت . قتلوا علماءهم وأحرقوا التوراة وخرّبوا المسجد وسبوا منهم سبعين ألفا .

(٦) ترددوا للغارة فيها . قال الزجاج : الجوس طلب الشيء بالاستقصاء .

(٧) وكان وعد العقاب وعدا لابدّ أن يفعل .

(٨) (ثمّ رددنا لكم) الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتم عن الفساد والعلوّ . قيل هى قتل بختنصر واستنقاذ بنى إسرائيل أسراهم وأموالهم ورجوع الملك إليهم . وقيل أعدنا لكم الدولة بملك طالوت وقتل داود جالوت .

(٩) (وجعلناكم أكثر نفيرا) مما كنتم. وهو تمييز جمع نفر وهو من ينفر مع الرجل من قومه.

(١٠) قيل اللام بمعنى على كقوله (وعليها ما اكتسبت) . والصحيح أنها على بابها لأنّ اللام للاختصاص والعامل مختصّ بجزاء عمله حسنة كانت أو سيئة. يعنى أنّ الإحسان والإساءة كلاهما مختصّ بأنفسكم لا يتعدّى النفع والضرر إلى غيركم . وعن علىّ رضى الله عنه ما أحسنت إلى أحد ولا أسأت إليه .

(١١) وعد المرّة الآخرة .

لِيَسُـۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ[1] وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ[2] كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا[3] ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ[4] وَإِنْ عُدتُّمْ[5] عُدْنَا[6] وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا[7] ﴿٨﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ[8] وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا[9] لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾

(١) أى بعثنا هؤلاء ليسوءوا وجوهكم . وحذف لدلالة ذكره أولا عليه . أى ليجعلوها بادية آثار المساءة والكآبة فيها كقوله (سيئت وجوه الذين كفروا) . (ليسوء) شامى وحمزة وأبو بكر . والضمير لله عزّ وجلّ أو للوعد أو للبعث . (لنسوء) — علىّ .

(٢) بيت المقدس .

(٣) (ما علوا) مفعول ليتبّروا. أى ليهلكوا كلّ شيء غلبوه واستولوا عليه . أو بمعنى مدّة علوّهم .

(٤) (عسى ربكم أن يرحمكم) بعد المرّة الثانية إن تبتم توبة أخرى وانزجرتم عن المعاصى.

(٥) (وإن عدتم) مرّة ثالثة .

(٦) (عدنا) إلى عقوبتكم . وقد عادوا فأعاد الله عليهم النقمة بتسليط الأكاسرة وضرب الإتاوة عليهم . وعن ابن عباس رضى الله عنهما " سُلّط عليهم المؤمنون إلى يوم القيامة " .

(٧) محبسا . يقال للسجن محصر وحصير .

(٨) للحالة التى هى أقوم الحالات وأسدّها وهى توحيد الله والإيمان برسله والعمل بطاعته أو للملة أو للطريقة .

(٩) (ويَبْشُر) حمزة وعلىّ (المؤمنين) بـ (أنّ لهم أجرا كبيرا) أى الجنّة، وبـ (أنّ الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا) أى أعددنا — قلبت تاء — (لهم عذابا أليما) يعنى النار . والآية تردّ القول بالمنزلة بين المنزلتين حيث ذكر المؤمنين وجزاءهم والكافرين وجزاءهم ولم يذكر الفسقة .

وَيَدْعُ ٱلْإِنسَـٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ[1] وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولًا[2] ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً[3] لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ

---

(١) أى ويدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه وأهله وماله وولده، كما يدعو لهم بالخير. أو يطلب النفع العاجل وإن قلّ بالضرر الآجل وإن جلّ. وسقوط الواو من (يدع) فى الخط على موافقة اللفظ .

(٢) يتسرّع إلى طلب كلّ ما يقع فى قلبه ويخطر بباله لا يتأنى فيه تأنّى المتبصّر . أو أريد بالإنسان الكافر وأنّه يدعوه بالعذاب استهزاء ويستعجل به كما يدعو بالخير إذا مسّته الشدّة (وكان الإنسان عجولا) يعنى أنّ العذاب آتيه لا محالة فما هذا الاستعجال؟ . وعن ابن عباس رضى الله عنهما : هو النضر بن الحرث قال (اللهم إن كان هذا هو الحقّ من عندك) الآية . فأجيب فضربت عنقه صبرا .

(٣) أى الليل والنهار آيتان فى أنفسهما . فتكون الإضافة فى آية الليل وآية النهار للتبيين كإضافة العدد إلى المعدود . أى (فمحونا) الآية التى هى الليل (وجعلنا) الآية التى هى النهار (مبصرة). أو وجعلنا نيّرى الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر (فمحونا آية الليل) التى هى القمر حيث لم يخلق له شعاعا كشعاع الشمس فترى الأشياء به رؤية بيّنة (وجعلنا) الشمس ذات شعاع يبصر فى ضوئها كلّ شىء لتتوصّلوا ببياض النهار إلى التصرّف فى معايشكم (ولتعلموا) باختلاف الجديدين (عدد السنين والحساب) يعنى حساب الآجال ومواسم الأعمال. ولو كانا مثلين لما عرف الليل من النهار، ولا استراح حرّاص المكتسبين والتجّار .

وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَـٰهُ تَفْصِيلًا[1] ۝ وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ[2] فِى عُنُقِهِۦ[3] وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا[4] ۝ ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ[5] كَفَىٰ بِنَفْسِكَ[6] ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا[7] ۝ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا[8] وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ[9]

---

(١) (وكلّ شيء) ممّا تفتقرون إليه فى دينكم ودنياكم بيّناه بيانا غير ملتبس فأزحنا عللكم وما تركنا لكم حجّة علينا .

(٢) عمله .

(٣) يعنى أنّ عمله لازم له لزوم القلادة أو الغلّ للعنق لا يفكّ عنه .

(٤) (يلقاه) شاميّ صفة لكتابا(منشورا) حال من (يلقاه) يعنى غير مطويّ يمكننا قراءته. أو هما صفتان للكتاب .

(٥) ونقول له (اقرأ كتابك) أى كتاب أعمالك . وكلّ يبعث قارئا .

(٦) الباء زائدة . أى كفى نفسك .

(٧) تمييز . وهو بمعنى حاسب . و(على)متعلّق به، من قولك حسب عليه كذا. أو بمعنى الكافى. وضع موضع الشهيد فعدّى بعلى لأنّ الشاهد يكفى المدّعى ما أهمّه .وإنّما ذكّر(حسيبا) لأنّه بمنزلة الشهيد والقاضى والأمير، إذا الغالب أن يتولّى هذه الأمور الرجال فكأنّه قيل (كفى) نفسك رجلا (حسيبا) . أو تؤوّل النفس بالشخص .

(٨) أى فلها ثواب الاهتداء وعليها وبال الضلال .

(٩) أى كلّ نفس حاملة وزرا فإنّما تحمل وزرها، لا وزر نفس أخرى .

وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا[1] ۝ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً[2] أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا[3] فَفَسَقُوا فِيهَا[4] فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ[5] فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا[6] ۝ وَكَمْ[7] أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ[8] مِن بَعْدِ نُوحٍ[9] وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا[10] ۝ مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ[11] لِمَن نُّرِيدُ[12]

---

(١) وما صحّ منـا أن نعذّب قوما عذاب استئصال فى الدنيا إلّا بعـد أن نرسل إليهم رسولا يلزمهم الحجّة .

(٢) أى أهل قرية .

(٣) (أمرنا) متنعميها وجبابرتها بالطاعة ، عن أبى عمرو والزجّاج .

(٤) أى خرجوا عن الأمر كقولك : أمرته فعصى .

أو (أمرنا) كثّرنا ، دليله قراءة يعقوب (آمرنا) ومنه الحديث « خير المال سكّة مأبورة ومهرة مأمورة » أى كثيرة النسل .

(٥) فوجب عليها الوعيد .

(٦) فأهلكناها إهلاكا .

(٧) مفعول .

(٨) بيان لكم .

(٩) يعنى عادا وثمود وغيرهما .

(١٠) (وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا) وإن أخفوها فى الصدور (بصيرا) وإن أرخوا عليها الستور .

(١١) لا ما يشاء .

(١٢) بدل من (له) بإعادة الجار . وهو بدل البعض من الكلّ . إذ الضمير يرجع إلى (مَن) . أى من كانت العاجلة همّه ولم يرد غيرها كالكفرة تفضّلنا عليـه من منافعها بمـا نشاء لمن نريد . فقيّد المعجّل بمشيئته والمعجّل له بإرادته . وهكذا الحال ترى كثيرا من هؤلاء يتمنّون ما يتمنّون ولا يعطون إلّا بعضا منه ، وكثيرا منهم يتمنّون ذلك البعض وقد حرموه فاجتمع عليهم فقر الدنيا وفقر الآخرة . وأما المؤمن التقىّ فقد اختار غنى الآخرة . فإن أوتى حظّا من الدنيا فبها . وإلّا فربّمـا كان الفقر خيرا له .

ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ(١) جَهَنَّمَ يَصْلَـٰهَا(٢) مَذْمُومًا(٣) مَّدْحُورًا(٤) ۝ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا(٥) وَهُوَ مُؤْمِنٌ(٦) فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا(٧) ۝ كُلًّا(٨) نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ(٩) مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ(١٠) وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا(١١) ۝ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَـٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا(١٢) ۝

---

(١) (ثمّ جعلنا له) فى الآخرة (جهنّم) .

(٢) يدخلها .

(٣) ممقوتا .

(٤) مطرودا من رحمة الله .

(٥) هو مفعول به أى حقّها من السعى وكفاءها من الأعمال الصالحة .

(٦) مصدّق لله فى وعده ووعيده .

(٧) مقبولا عند الله مثابا عليه. عن بعض السلف: من لم يكن معه ثلاث لم ينفعه عمله: إيمان ثابت ، ونيّة صادقة ، وعمل مصيب . وتلا الآية . فإنّه شرط فيها ثلاث شرائط فى كون السعى مشكورا إرادة الآخرة والسعى فيما كلّف والإيمان الثابت .

(٨) كلّ واحد من الفريقين. والتنوين عوض عن المضاف إليه. وهو منصوب بقوله (نمدّ)

(٩) بدل من (كلّا) . أى نمدّ (هؤلاء وهؤلاء) أى من أراد العاجلة ومن أراد الآخرة .

(١٠) رزقه . و(من) تتعلّق بنمدّ. والعطاء اسم للمعطى أى نزيدهم من عطائنا ونجعل الآنف منه مددا للسالف لا نقطعه. فنرزق المطيع والعاصى جميعا على وجه التفضّل .

(١١) (وما كان عطاء ربّك) ممنوعا عن عباده وإن عصوا .

(١٢) (انظر) بعين الاعتبار (كيف فضّلنا بعضهم على بعض) فى المال والجاه والسعة والكمال (وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) . روى أنّ قوما من الأشراف فمن دونهم اجتمعوا بباب عمر رضى الله عنه . فخرج الإذن لبلال وصهيب . فشقّ على أبى سفيان . فقال سهيل بن عمرو إنّما أتينا من قِبَلنا . إنّهم دعوا ودعينا — يعنى إلى الإسلام — فأسرعوا وأبطأنا . وهذا باب عمر . فكيف التفاوت فى الآخرة ! ولئن حسدتموهم على باب عمر لما أعدّ الله لهم فى الجنّة أكثر .

لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ (١) فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا (٢) ۝ وَقَضَىٰ رَبُّكَ (٣) أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ (٤) إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا (٥) إِمَّا يَبْلُغَنَّ (٦) عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ (٧) أَوْ كِلَاهُمَا (٨) فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ (٩) وَلَا تَنْهَرْهُمَا (١٠) وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (١١) ۝

(١) الخطاب للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم والمراد به أمّته .

(٢) فتصير جامعا على نفسك الذمّ والخذلان . وقيل مشتوما بالإهانة محروما عن الإعانة ، إذ الخذلان ضدّ النصر والعون . دليله قوله تعالى (إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده) حيث ذكر الخذلان بمقابلة النصر .

(٣) وأمر أمرا مقطوعا به .

(٤) (أن) مفسّرة و(لا تعبدوا) نهى . أو بألّا تعبدوا .

(٥) وأحسنوا بالوالدين إحسانا أو بأن تحسنوا بالوالدين إحسانا .

(٦) (إمّا) هى إن الشرطية زيدت عليها ما تأكيدا لها . ولذا أدخلت النون المؤكّدة فى الفعل. ولو أفردت "إن" لم يصح دخولها. لا تقول إن تكرمنّ زيدا يكرمك ولكن إمّا تكرمنّه.

(٧) فاعل (يبلغنّ). وهو فى قراءة حمزة وعلىّ (يبلغانّ)، بدل من ألف الضمير الراجع إلى الوالدين .

(٨) عطف على (أحدهما) فاعلا وبدلا .

(٩) مدنىّ وحفص. (أفٍّ)مكّىّ وشامىّ(أفَّ)غيرهم. وهو صوت يدل على تضجّر. فالكسر على أصل التقاء الساكنين ، والفتح للتخفيف ، والتنوين لإرادة التنكير أى أتضجّر تضجّرا . وتركه لقصد التعريف أى أتضجّر التضجّر المعلوم .

(١٠) ولا تزجرهما عمّا يتعاطيانه ممّا لا يعجبك . والنهى والنهر أخوان .

(١١) (وقل لهما) بدل التأفيف والنهر (قولا كريما) جميلا ليّنا كما يقتضيه حسن الأدب . أو هو أن يقول يا أبتاه يا أمّاه ولا يدعوهما بأسمائهما فإنّه من الجفاء . ولا بأس به فى غير وجهه كما قالت عائشة رضى الله عنها نحلنى أبو بكر كذا . وفائدة (عندك) أنّهما إذا صارا كلّا على ولدهما ولا كافل لهما غيره فهما عنده فى بيته وكنفه وذلك أشقّ عليه فهو مأمور بأن يستعمل معهما لين الخلق حتّى لا يقول لهما إذا أضجره ما يستقذر منهما أفّ فضلا

وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ (١) وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا (٢) ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ (٣) إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا (٤) ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ (٥) وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ (٦)

عمّا يزيد عليه . ولقد بالغ سبحانه فى التوصية بهما حيث افتتحها بأن شفع الإحسان إليهما بتوحيده ثمّ ضيق الأمر فى مراعاتهما حتّى لم يرخّص فى أدنى كلمة تنفلت من المتضجّر مع موجبات الضجر ومع أحوال لا يكاد يصبر الإنسان معها .

(١) أى اخفض لهما جناحك كما قال (واخفض جناحك للمؤمنين) فأضافه إلى الذلّ كما أضيف حاتم إلى الجود . والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل (من الرحمة) من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم إلى من كان أفقر خلق الله إليهما بالأمس . وقال الزجاج : وألن جانبك متذلّلا لهما من مبالغتك فى الرحمة لهما .

(٢) ولا تكتف برحمتك عليهما التى لا بقاء لها وادع الله بأن يرحمهما رحمته الباقية واجعل ذلك جزاء لرحمتهما عليك فى صغرك وتربيتهما لك. والمراد بالخطاب غيره عليه السلام. والدعاء مختّص بالأبوين المسلمين . وقيل إذا كانا كافرين له أن يسترحم لهما بشرط الإيمان وأن يدعو الله لهما بالهداية . وعن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم « رضا الله فى رضا الوالدين وسخطه فى سخطهما » . وروى « يفعل البارّ ما شاء أن يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاقّ ما شاء أن يفعل فلن يدخل الجنّة » . وعنه عليه السلام « إيّاكم وعقوق الوالدين فإنّ الجنّة يوجد ريحها من مسيرة ألف عام ولا يجد ريحها عاقّ ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جارّ إزاره خيلاء . إنّ الكبرياء لله ربّ العالمين » .

(٣) بما فى ضمائركم من قصد البرّ إلى الوالدين ومن النشاط والكرامة فى خدمتهما .

(٤) (إن تكونوا) قاصدين الصلاح والبرّ ثمّ فرطت منكم فى حال الغضب وعند حرج الصدر هنة تؤدّى إلى أذاهما ثمّ أبتم إلى الله واستغفرتم منها (فإنّه كان للأوّابين غفورا) الاوّاب الذى إذا أذنب بادر إلى التوبة . فجاز أن يكون هذا عامّا لكلّ من فرطت منه جناية ثمّ تاب منها و يندرج تحته الجانى على أبويه التائب من جنايته لوروده على أثره

(٥) (وآت ذا القربى) منك حقّه أى النفقة إذا كانوا محارم فقراء .

(٦) أى (وآت) هؤلاء حقّهم من الزكاة .

وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا[1] ۝ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ[2] وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا[3] ۝ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ[4] ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا[5] ۝ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ[6] فَتَقْعُدَ مَلُومًا[7] مَّحْسُورًا[8] ۝

---

(١) ولا تسرف إسرافا . قيل : التبذير تفريق المال فى غير الحق والمحلّ. فمن مجاهد : لو أنفق مدّا فى باطل كان تبذيرا. وقد أنفق بعضهم نفقة فى خير فأكثر. فقال له صاحبه لاخير فى السرف . فقال لا سرف فى الخير .

(٢) أمثالهم فى الشرارة . وهى غاية المذمّة لأنّه لاشرّ من الشيطان. أو هم إخوانهم وأصدقاؤهم لأنّهم يطيعونهم فيا يأمرونهم به من الإسراف .

(٣) فما ينبغى أن يطاع فإنّه لا يدعو إلّا إلى مثل فعله .

(٤) وإن أعرضت عن ذى القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الردّ .

(٥) أى وإن أعرضت عنهم لفقد رزق من ربّك ترجو أن يفتح لك — فسمّى الرزق رحمة — فردّهم ردّا جميلا . فوضع الابتغاء موضع الفقد ، لأنّ فاقد الرزق مبتغ له فكان الفقد سبب الابتغاء والابتغاء مسبّبا عنه فوضع المسبّب موضع السبب . يقال يسُر الأمر وعسُر مثل سعُد الرجل ونحُس فهو مفعول. وقيل معناه (فقل لهم) رزقنا الله وإيّاكم من فضله على أنّه دعاء لهم ييسّر عليهم فقرهم كأنّ معناه قولا ذا ميسور وهو اليسر، أى دعاء فيه يسر . و(ابتغاء) مفعول له أو مصدر فى موضع الحال . و(ترجوها) حال .

(٦) (كلّ) نصب على المصدر لإضافته اليه . وهذا تمثيل لمنع الشحيح وإعطاء المسرف وأمر بالاقتصاد الذى هو بين الإسراف والتقتير .

(٧) فتصير (ملوما) عند الله لأنّ المسرف غير مرضىّ عنده وعند الناس — يقول الفقير أعطى فلانا وحرمنى ، ويقول الغنىّ ما يحسن تدبير أمر المعيشة . وعند نفسك إذا احتجت فندمت على ما فعلت .

(٨) منقطعا بك لا شىء عندك : من حسره السفر إذا أثّر فيه أثرا بليغا . أو عاريا من حسر رأسه . وقد خاطرت مسلمة ضرّتها اليهوديّة فى أنّه، يعنى محمدا عليه السلام، أجود من

إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ(١) وَيَقْدِرُ(٢) إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا(٣) بَصِيرًا(٤) ۝ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ(٥) إِمْلَٰقٍ(٦) نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ(٧) إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا(٨) كَبِيرًا ۝ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ(٩) إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً(١٠) وَسَآءَ سَبِيلًا(١١) ۝ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ(١٢) وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا(١٣)

موسى عليه السلام فبعثت ابنتها تسأله قميصه الذى عليه فدفعه وقعد عريانا فأقيمت الصلاة فلم يخرج للصلاة ، فنزلت .

(١) سلّى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عمّا كان يرهقه من الإضاقة بأن ذلك ليس لهوان منك عليه ولا لبخل به عليك ولكن لأن بسط الأرزاق وقدرها مفوّض إلى الله تعالى ، فقال (إنّ ربك يبسط الرزق لمن يشاء) فليس البسط إليك .

(٢) أى هو يضيّق فلا لوم عليك .

(٣) (خبيرا) بمصالحهم فيمضيها .

(٤) (بصيرا) بحوائجهم فيقضيها .

(٥) قتلهم أولادهم وأدهم بناتهم .

(٦) فقر .

(٧) نهاهم عن ذلك وضمن أرزاقهم .

(٨) إثما عظيما. يقال خطىء خطئا كأثم إثما . (خَطَأ) شامى. وهو ضدّ الصواب اسم من أخطأ . وقيل هو والخطء كالحذر والحذر . (خطاء) بالمدّ والكسر مكّى .

(٩) القصر فيه أكثر. والمدّ لغة . وقد قرىء به . وهو نهى عن دواعى الزنى كالمسّ والقبلة ونحوهما . ولو أريد النهى عن نفس الزنا لقال ولا تزنوا .

(١٠) معصية مجاوزة حدّ الشرع والعقل .

(١١) وبئس طريقا طريقه .

(١٢) أى بارتكاب ما يبيح الدم .

(١٣) غير مرتكب ما يبيح الدم .

فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا[1] فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ[2] إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا[3] ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ[4] حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ[5] وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ[6] إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا[7] ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ[8] ٱلْمُسْتَقِيمِ[9] ذَٰلِكَ خَيْرٌ[10] وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا[11] ﴿٣٥﴾

---

(١) تسلطا على القاتل فى الاقتصاص منه .

(٢) الضمير للولى . أى فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين والقاتل واحد كعادة أهل الجاهلية . أو الإسراف المثلة . أو الضمير للقاتل الأول . (فلا تسرف) حمزة وعلى على خطاب الولى أو قاتل المظلوم .

(٣) الضمير للولى أى حسبه أن الله قد نصره بأن أوجب له القصاص فلا يستزد على ذلك ، أو للمظلوم أى الله ناصره حيث أوجب القصاص بقتله وينصره فى الآخرة بالثواب ، أو للذى يقتله الولى بغير حق ويسرف فى قتله فإنه كان منصورا بإيجاب القصاص على المسرف . وظاهر الآية يدل على أن القصاص يجرى بين الحر والعبد وبين المسلم والذمى لأن أنفس أهل الذمة والعبيد داخلة فى الآية لكونها محرمة .

(٤) بالخصلة والطريقة التى هى أحسن وهى حفظه وتثميره .

(٥) أى ثمانى عشرة سنة .

(٦) بأوامر الله تعالى ونواهيه .

(٧) مطلوبا يطلب من المعاهد ألا يضيعه ويفى به . أو إن صاحب العهد كان مسئولا .

(٨) بكسر القاف حمزة وعلى وحفص . وهو كل ميزان صغير أو كبير من موازين الدراهم وغيرها . وقيل هو القرسطون أى القبان .

(٩) المعتدل .

(١٠) (ذلك خير) فى الدنيا .

(١١) عاقبة . وهو تفعيل من آل إذا رجع وهو ما يؤول إليه .

وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ[1] إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا[2] ۝ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا[3] إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ[4] وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا[5] ۝ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا[6] ۝

(١) ولا تتبع ما لم تعلم ، أى لا تقل رأيتُ وما رأيتَ وسمعتُ وما سمعتَ . وعن ابن الحنفيّة لا تشهد بالزور . وعن ابن عباس: لا ترم أحدا بما لا تعلم. ولا يصحّ التثبّت به لمبطل الاجتهاد لأنّ ذلك نوع من العلم (فإن علمتموهنّ مؤمنات) وأقام الشارع غالب الظنّ مقام العلم وأمر بالعمل به كما فى الشهادات . ولنا فى العمل بخبر الواحد لما ذكرنا .

(٢) (أولئك) إشارة إلى السمع والبصر والفؤاد، لأنّ أولئك كما يكون إشارة إلى العقلاء يكون إشارة إلى غيرهم كقول جرير .

ذمّ المنازل بعد منزلة اللوى ✻ والعيش بعد أولئك الأيّام

و(عنه) فى موضع الرفع بالفاعلية ، أى كلّ واحد منها كان مسئولا عنه. فمسئول مسند إلى الجارّ والمجرور كالمغضوب فى (غير المغضوب عليهم). يقال للإنسان : لم سمعت مالم يحلّ لك سماعه ولم نظرت إلى مالم يحلّ لك النظر إليه ولم عزمت على مالم يحلّ لك العزم عليه؟ كذا فى الكشاف. وفيه نظر لبعضهم لأن الجار والمجرور إنما يقومان مقام الفاعل إذا تأخرا عن الفعل . فأمّا إذا تقدّما فلا .

(٣) هو حال أى ذا مرح .

(٤) لن تجعل فيها خرقا بدوسك لها وشدّة وطأتك .

(٥) بتطاولك، وهو تهكّم بالمختال . أو لن تحاذيها قوّة. وهو حال من الفاعل أو المفعول.

(٦) كوفىّ وشامىّ على إضافة سيّئ إلى ضمير (كلّ) . (سيّئة) غيرهم. وذكّر (مكروها) لأنّ السيّئة فى حكم الأسماء بمنزلة الذنب والإثم زال عنه حكم الصفات فلا اعتبار بتأنيثه . ألا تراك تقول الزنى سيّئة كما تقول السرقة سيّئة. فإن قلت الخصال المذكورة بعضها سيّئ وبعضها حسن. ولذلك قرأ من قرأ (سيّئه) بالإضافة — أى ما كان من المذكور سيّئا كان عند الله مكروها — فما وجه قراءة من قرأ (سيّئة) ؟ قلت (كلّ ذلك) إحاطة بما نهى عنه خاصّة لا بجميع الخصال المعدودة .

ذَٰلِكَ[1] مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ[2] وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا[3] ۝ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنَـٰثًا[4] إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا[5] ۝ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ[6] لِيَذَّكَّرُوا۟[7] وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا[8] ۝ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ[9]

(١) إشارة إلى ما تقدّم من قوله (لا تجعل مع الله إلها آخر) إلى هذه الغاية .

(٢) مما يحكم العقل بصحّته وتصلح النفس بأسوته .

(٣) مطرودا من الرحمة .

عن ابن عباس رضى الله عنهما هذه الثمانى عشرة آية كانت فى ألواح موسى عليه السلام أوّلها (لا تجعل مع الله إلها آخر) وآخرها (مدحورا) . ولقد جعلت فاتحتها وخاتمتها النهى عن الشرك لأنّ التوحيد رأس كلّ حكمة وملاكها . ومن عَدِمه لم تنفعه حكمة و إن بذّ فيها الحكماء وحكّ بيافوخه السماء . وما أغنت عن الفلاسفة أسفار الحكم ، وهم عن دين الله أضل من النعم .

(٤) خاطب الذين قالوا الملائكة بنات الله . الهمزة للإنكار . يعنى أفخصّكم ربّكم على وجه الخلوص والصفاء بأفضل الأولاد وهم البنون ، واتخذ أدونهم وهى البنات ؟ وهذا خلاف الحكمة وما عليه معقولكم . فالعبيد لا يؤثرون بأجود الأشياء وأصفاها ويكون أردؤها وأدونها للسادات .

(٥) حيث أضفتم إليه الأولاد وهى من خواصّ الأجسام، ثم فضّلتم عليه أنفسكم حيث تجعلون له ماتكرهون .

(٦) أى التنزيل . والمراد ولقد صرّفناه أى هــذا المعنى فى مواضع من التنزيل . فترك الضمير لأنّه معلوم .

(٧) وبالتخفيف حمزة وعلىّ. أى كرّرناه ليتّعظوا .

(٨) (إلّا نفورا) عن الحقّ . وكان الثورىّ إذا قرأها يقول زادنى لك خضوعا ما زاد أعداءك نفورا .

(٩) مع الله .

ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ[1] إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا[2] ۝ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ[3] عُلُوًّا[4] كَبِيرًا[5] ۝ تُسَبِّحُ[6] لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ[7] وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ[8] إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا[9] غَفُورًا[10] ۝ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا[11] ۝ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً[12]

---

(١) وبالياء مكيّ وحفص .

(٢) يعني لطالبوا إلى من له الملك والربوبيّة (سبيلا) بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض، أو لتقربوا إليه كقوله (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة) . و(إذًا) دالّة على أنّ ما بعدها وهو (لا بتغوا) جواب عن مقالة المشركين وجزاء للو .

(٣) وبالتاء حمزة وعليّ .

(٤) أي تعاليا . والمراد البراءة من ذلك والنزاهة .

(٥) وصف العلو بالكبر مبالغة في معنى البراءة والبعد ممّا وصفوه به .

(٦) وبالتاء عراقيّ غير أبي بكر .

(٧) أي يقول سبحان الله وبحمده . عن السديّ . قال عليه السلام « ما أصطيد حوت في البحر ولا طائر يطير إلّا بما يضيع من تسبيح الله تعالى » . أو سبب لتسبيح الناظر إليه، والدالّ على الخير كفاعله . والوجه الأوّل .

(٨) لاختلاف اللغات أو لتعسّر الإدراك .

(٩) (حليما) عن جهل العباد .

(١٠) (غفورا) لذنوب المؤمنين .

(١١) ذا ستر ، أو حجابا لا يرى فهو مستور .

(١٢) جمع كنان وهو الذي يستر الشيء .

أَن يَفْقَهُوهُ[1] وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا[2] وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ[3] وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ[4] نُفُورًا[5] ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ[6] إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ[7] إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ[8] إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا[9] ﴿٤٧﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ[10] فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا[11] ﴿٤٨﴾ وَقَالُوٓا۟[12]

---

(١) كراهة أن يفقهوه .

(٢) ثقلا يمنع من الاستماع .

(٣) يقال وحد يحد وحدا وحدة نحو وعد يعد وعدا وعدة. فهو مصدر سدّ مسدّ الحال. أصله يحد وحده بمعنى واحدا .

(٤) رجعوا على أعقابهم .

(٥) مصدر بمعنى التولية . أو جمع نافر كقاعد وقعود . أى يحبّون أن تذكر معه آلهتهم لأنّهم مشركون فإذا سمعوا بالتوحيد نفروا .

(٦) أى نحن أعلم بالحال أو الطريقة التى يستمعون القرآن بها . فالقرآن هو المستمع وهو محذوف . (وبه) حال وبيان لما ، أى يستمعون القرآن هازئين لا جادين، والواجب عليهم أن يستمعوه جادّين .

(٧) (إذ) نصب بأعلم . أى (أعلم) وقت استماعهم بما به يستمعون وبما يتناجون به (إذ هم) ذوو (نجوى) .

(٨) بدل من (إذ هم) .

(٩) سُحر فجُنّ .

(١٠) مثّلوك بالشاعر والساحر والمجنون .

(١١) أى (فضلّوا) فى جميع ذلك ضلال من يطلب فى التيه طريقا يسلكه فلا يقدر ليه فهو متحيّر فى أمره لا يدرى ما يصنع .

(١٢) أى منكرو البعث .

أءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا(١) ۝ قُلْ كُونُوا۟ حِجَـٰارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ(٢) فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ(٣) فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ(٤) وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ(٥) قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا(٦) ۝ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ(٧) فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ(٨) وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا(٩) ۝ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ(١٠)

(١) أى مجدّدا . (وخلقا) حال ، أى مخلوقين .

(٢) أى السموات والأرض فانّها تكبر عندكم عن قبول الحياة . والمعنى أنّكم تستبعدون أن يجدّد الله خلقكم ويردّه إلى حال الحياة بعد ما كنتم عظاما يابسة مع أنّ العظام بعض أجزاء الحيّ ، بل هي عمود خلقه الذى يبنى عليه سائره فليس ببدع أن يردّها الله بقدرته إلى الحالة الأولى . ولكن لو كنتم أبعد شيء من الحياة وهو أن تكونوا حجارة أو حديدا لكان قادرا على أن يردّكم إلى حال الحياة .

(٣) (قل) يعيدكم (الذى فطركم أوّل مرّة) .

(٤) فسيحركونها نحوك تعجّبا واستهزاء .

(٥) (ويقولون متى هو) أى البعث ، استبعادا له ونفيا .

(٦) أى هو قريب . وعسى للوجوب .

(٧) (يوم يدعوكم) إلى المحاسبة وهو يوم القيامة .

(٨) أى تجيبون حامدين . والباء للحال . عن سعيد بن جبير ينفضون التراب عن رءوسهم ويقولون : سبحانك اللهم وبحمدك .

(٩) أى لبثا قليلا أو زمانا قليلا فى الدنيا أو فى القبر .

(١٠) (وقل) للمؤمنين (يقولوا) للمشركين الكلمة (التى هى أحسن) وألين ولا يخاشنوهم وهى أن يقولوا يهديكم الله . أو فسّر (التى هى أحسن) بقوله (ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم) بالهداية والتوفيق (أو إن يشأ يعذّبكم) بالخذلان . أى يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم إنكم من أهل النار وإنّكم معذبون وما أشبه ذلك ممّا يغيظهم ويهيجهم على الشرّ . وقوله (إنّ الشيطان ينزغ بينهم) اعتراض .

إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ (١) إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا (٢) ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا (٣) ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ (٤) وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا (٥) ﴿٥٥﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ (٦) فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا (٧) ﴿٥٦﴾

---

(١) يلقى بينهم الفساد ويغرى بعضهم على بعض ليوقع بينهم المشاقة . والنزغ إيقاع الشرّ وإفساد ذات البين . وقرأ طلحة (ينزِغ) بالكسر . وهما لغتان .

(٢) ظاهر العداوة .

(٣) (وما أرسلناك) حافظا لأعمالهم وموكولا إليك أمرهم . وإنّما أرسلناك بشيرا ونذيرا . فدارهم ومُرْ أصحابك بالمداراة .

(٤) (وربّك أعلم بمن فى السموات والأرض) وبأحوالهم وبكلّ ما يستأهل كلّ واحد منهم .

(٥) (ولقد فضّلنا بعض النبيّين على بعض) فيه إشارة إلى تفضيل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأنّه خاتم الأنبياء وأنّ أمّته خير الأمم — وقوله (وآتينا داود زبورا) دلالة على وجه تفضيله — لأنّ ذلك مكتوب فى زبور داود . قال الله تعالى (ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أنّ الأرض يرثها عبادى الصالحون) وهم محمد وأمّته . ولم يعرّف الزبور هنا وعرّفه فى قوله (ولقد كتبنا فى الزبور) لأنّه كالعباس وعباس والفضل وفضل .

(٦) (ادعوا الذين زعمتم) أنّها آلهتكم (من دونه) من دون الله . وهم الملائكة أو عيسى وعزير أو نفر من الجنّ عبدهم ناس من العرب ثمّ أسلم الجنّ ولم يشعروا .

(٧) أى ادعوهم فهم لا يستطيعون أن يكشفوا عنكم الضرّ من مرض أو فقر أو عذاب ولا أن يحوّلوه من واحد إلى آخر .

أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ[1] أَيُّهُمْ أَقْرَبُ[2] وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ[3] إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا[4] ﴿٥٧﴾ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا[5] كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ[6] مَسْطُورًا[7] ﴿٥٨﴾

---

(١) (أولئك) مبتدأ. (الذين يدعون) صفة. أى يدعونهم آلهة أو يعبدونهم. والخبر (يبتغون إلى ربهم الوسيلة). يعنى أن آلهتهم أولئك يبتغون الوسيلة وهى القربة إلى الله عز وجل.

(٢) بدل من واو (يبتغون) و(أى) موصولة. أى يبتغى من هو أقرب منهم الوسيلة إلى الله. فكيف بغير الأقرب؟ أو ضمن يبتغون (الوسيلة) معنى يحرصون. فكأنه قيل يحرصون (أيهم) يكون (أقرب) إلى الله. وذلك بالطاعة وازدياد الخير.

(٣) (ويرجون رحمته ويخافون عذابه) كغيرهم من عباد الله. فكيف يزعمون أنهم آلهة؟

(٤) حقيقا بأن يحذره كل أحد من ملك مقرب ونبى مرسل فضلا عن غيرهم.

(٥) قيل الهلاك للصالحة والعذاب للطالحة.

(٦) فى اللوح المحفوظ.

(٧) مكتوبا. وعن مقاتل: وجدت فى كتب الضحاك فى تفسيرها: أما مكة فيخربها الحبشة. وتهلك المدينة بالجوع، والبصرة بالغرق، والكوفة بالترك، والجبال بالصواعق والرواجف. وأما خراسان فعذابها ضروب. وأما بلخ فتصيبهم هدة فيهلك أهلها. وأما بدخشان فيخربها أقوام، وأما ترمذ فأهلها يموتون بالطاعون. وأما صغانيان إلى واشجرد فيقتلون بقتل ذريع. وأما سمرقند فيغلب عليها بنو قنطوراء فيقتلون أهلها قتلا ذريعا. وكذا فرغانة والشاش واسبيجاب وخوارزم. وأما بخارى فهى أرض الجبابرة فيموتون قحطا وجوعا. وأما مرو فيغلب عليها الرمل ويهلك بها العلماء والعباد. وأما هراة فيمطرون بالحيات فتأكلهم أكلا. وأما نيسابور فيصيب أهلها رعد وبرق وظلمة فيهلك أكثرهم. وأما الرى فيغلب عليها الطبرية والديلم فيقتلونهم. وأما أرمينية وأذربيجان فيهلكها سنابك الخيول والجيوش والصواعق والرواجف. وأما همذان فالديلم يدخلها ويخربها. وأما حلوان فتمر بها ريح ساكنة وهم نيام فيصبح أهلها

وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْآيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا[1] وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْآيَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا[2] ۝ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ[3] وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ

قردة وخنازير . ثم يخرج رجل من جهينة فيدخل مصر فويل لأهلها ولأهل دمشق، وويل لأهل أفريقية وويل لأهل الرملة ولا يدخل بيت المقدس . وأما سجستان فيصيبهم ريح عاصف أياما ثمّ هدّة تأتيهم ويموت فيها العلماء . وأمّا كرمان وأصبهان وفارس فيأتيهم عدوّ. وصاحوا صيحة تخلع القلوب وتموت الأبدان .

(١) استعير المنع لترك إرسال الآيات و(أن) الأولى مع صلتها فى موضع النصب لأنّها مفعول ثان لمنعنا . و(أن) الثانية مع صلتها فى موضع الرفع لأنّها فاعل (منعنا) . والتقدير وما منعنا إرسال الآيات إلّا تكذيبُ الأوّلين . والمراد الآيات التى اقترحتها قريش من قلب الصفا ذهبا ومن إحياء الموتى وغير ذلك . وسنّة الله فى الأمم أنّ من اقترح منهم آية فأجيب إليها ثمّ لم يؤمن ، أن يعاجل بعذاب الاستئصال . والمعنى وما منعنا عن إرسال ما يقترحونه من الآيات إلّا أن كذّب بها الذين هم أمثالهم من المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود وأنّها لو أرسلت لكذّبوا بها تكذيب أولئك وعذّبوا العذاب المستأصل . وقد حكمنا أن نؤخّر أمر من بُعثتَ إليهم إلى يوم القيامة . ثمّ ذكر من تلك الآيات التى اقترحها الأوّلون ثمّ كذبوا بها لمّا أرسلت فأهلكوا ، واحدة. وهى ناقة صالح عليه السلام لأنّ آثار هلاكهم قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم. فقال (وآتينا ثمود الناقة) باقتراحهم (مبصرة) آية بيّنة (فظلموا بها) فكفروا بها .

(٢) إن أراد بها الآيات المقترحة فالمعنى لا نرسلها (إلّا تخويفا) من نزول العذاب العاجل كالطليعة والمقدّمة له . فإن لم يخافوا وقع عليهم . وإن أراد غيرها فالمعنى (وما نرسل) ما نرسل من الآيات كآيات القرآن وغيرها (إلّا تخويفا) وإنذارا بعذاب الآخرة . وهو مفعول له .

(٣) واذكر إذ أوحينا إليك أنّ ربّك أحاط بقريش علما وقدرة فكلّهم فى قبضته فلا تبال بهم وامض لأمرك وبلّغ ما أرسلت به . أو بشّرناك بوقعة بدر وبالنصرة عليهم وذلك قوله (سيهزم الجمع ويولّون الدبر) . (قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنّم وبئس المهاد) . فجعله كأن قد كان ووجد . فقال (أحاط بالناس) على سنته فى أخباره . ولعلّ الله

وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا (١)

تعالى أراه مصارعهم فى منامه . فقد كان يقول حين ورد ماء بدر « والله لكأنى أنظر إلى مصارع القوم» وهو يومئ إلى الأرض ويقول «هذا مصرع فلان». فتسامعت قريش بما أوحى إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من أمر بدر وما أرى فى منامه من مصارعهم فكانوا يضحكون ويسخرون ويستعجلون به استهزاء .

(١) أى (و) ماجعلنا (الشجرة الملعونة فى القرآن) إلّا فتنة للناس. فأنهم حين سمعوا بقوله (إنّ شجرة الزقّوم طعام الأثيم) جعلوها سخرية وقالوا إنّ محمدا يزعم أنّ الجحيم تحرق الحجارة ثمّ يقول تنبت فيها الشجرة . (وما قدروا الله حقّ قدره) إذ قالوا ذلك فإنّه لا يمتنع أن يجعل الله الشجرة من جنس لا تأكله النار فوبر السمندل -وهو دويبّة ببلاد الترك- يتّخذ منه مناديل إذا اتّسخت طرحت فى النار فذهب الوسخ وبقى المنديل سالما لا تعمل فيه النار . وترى النعامة تبتلع الجمر فلا يضرّها. وخلق فى كلّ شجرة نارا فلا تحرقها . فجاز أن يخلق فى النار شجرة لا تحرقها . والمعنى أنّ الآيات إنّما ترسل تخويفا للعباد وهؤلاء قد خوّفوا بعذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر وخوّفوا بعذاب الآخرة و بشجرة الزقوم فما أثّر فيهم . ثمّ قال (ونخوّفهم) أى بمخاوف الدنيا والآخرة (فما يزيدهم) التخويف (إلّا طغيانا كبيرا) فكيف يخاف قوم هذه حالهم بإرسال ما يقترحون من الآيات ؟

وقيل الرؤيا هى الإسراء . والفتنة ارتداد من استعظم ذلك . وبه تعلّق من يقول كان الإسراء فى المنام . ومن قال كان فى اليقظة فسّر الرؤيا بالرؤية. وإنّما سمّاها رؤيا على قول المكذّبين حيث قالوا له : لعلّها رؤيا رأيتها، استبعادا منهم، كما سمّى أشياء بأساميها عند الكفرة كقوله (فراغ إلى آلهتهم) . (أين شركائى) . أوهى رؤيا أنّه سيدخل مكّة . والفتنة الصدّ بالحديبية . فإن قلت: ليس فى القرآن ذكر لعن شجرة الزقوم ؟ قلت : معناه والشجرة الملعون آكلها وهم الكفرة ، لأنّه قال (ثمّ إنّكم أيّها الضالّون المكذّبون لآكلون من شجر من زقّوم فمالئون منها البطون) . فوصفت بلعن أهلها على المجاز . ولأنّ العرب تقول لكلّ طعام مكروه ضارّ ملعون ولأنّ اللعن هو الإبعاد من الرحمة . وهى فى أصل الجحيم فى أبعد مكان من الرحمة .

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا[1] ۝ قَالَ أَرَءَيْتَكَ[2] هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ[3] ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا[4] ۝ قَالَ ٱذْهَبْ[5] فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ۝ وَٱسْتَفْزِزْ[6] مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ[7]

---

(١) هو تمييز أو حال من الموصول . والعامل فيه (أأسجد) على (أأسجد) له وهو طين أى أصله طين .

(٢) الكاف لا موضع لها ، لأنّها ذكرت لخطاب تأكيدا . (هذا) مفعول به . والمعنى أخبرنى عن هذا الذى (كرّمت علىّ) أى فضّلته لم كرّمته علىّ و (أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين) ؟ فحذف ذلك اختصارا لدلالة ماتقدّم عليه . ثمّ ابتدأ فقال : (لئن أخّرتنى) وبلا ياء كوفىّ وشامىّ . واللام موطّئة للقسم المحذوف .

(٣) لأستأصلنّهم بإغوائهم .

(٤) وهم المخلصون . قيل من كلّ ألف واحد . وإنّما علم الملعون ذلك بالإعلام أو لأنّه رأى أنّه خلق شهوانىّ .

(٥) ليس من الذهاب الذى هو ضدّ المجىء . وإنّما معناه امض لشأنك الذى اخترته خذلانا وتخلية . ثمّ عقّبه بذكر ما جرّه سوء اختياره فقال (فمن تبعك منهم فإنّ جهنّم جزاؤكم) والتقدير فإنّ جهنّم جزاؤهم وجزاؤك. ثمّ غلّب المخاطب على الغائب فقيل (جزاؤكم جزاء موفورا) أى موفّرا . وانتصب بإضمار تجازون .

(٦) استزلّ أو استخفّ . استفزّه أى استخفّه . والفزّ الخفيف .

(٧) بالوسوسة أو بالغناء أو بالمزمار .

وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ (١) وَرَجِلِكَ (٢) وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ (٣) وَعِدْهُمْ (٤) وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (٥) ۝ إِنَّ عِبَادِي (٦) لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ (٧) وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا (٨) ۝ رَّبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي (٩) لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ (١٠) إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۝ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ (١١) فِي الْبَحْرِ

---

(١) (وأجلب عليهم) أجمع وصح بهم . من الجلبة وهو الصياح .

(٢) بكلّ راكب وماش من أهل العيث. فالخيل الخيّالة والرجل اسم جمع للراجل ونظيره الركب والصحب. (ورجِلك) حفص على أن فعلا بمعنى فاعل كتعب وتاعب. ومعناه وجمعك الرجل . وهذا لأنّ أقصى ما يستطاع فى طلب الأمور الخيل والرجل . وقيل يجوز أن يكون لإبليس خيل ورجال .

(٣) قال الزّجاج كل معصية فى مال وولد فإبليس شريكهم فيها كالربا والمكاسب المحرمة والبحيرة والسائبة والإنفاق فى الفسوق والإسراف ومنع الزكاة والتوصّل إلى الأولاد بالسبب الحرام والتسمية بعبد العزّى وعبد شمس .

(٤) (وعدهم) المواعيد الكاذبة من شفاعة الآلهة والكرامة على الله بالأنساب الشريفة وإيثار العاجل على الآجل ونحو ذلك .

(٥) هو تزيين الخطأ بما يوهم أنّه صواب .

(٦) (إنّ عبادى) الصالحين .

(٧) (ليس لك عليهم سلطان) يد بتبديل الإيمان ولكن بتسويل العصيان .

(٨) (وكفى بربّك وكيلا) لهم يتوكّلون به فى الاستعاذة منك أو حافظا لهم منك .
والكلّ أمر تهديد فيعاقب به . أو إهانة ، أى لا يخلّ ذلك بملكى .

(٩) يجرى ويسيّر .

(١٠) يعنى الربح فى التجارة .

(١١) أى خوف الغرق .

ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ (١) فَلَمَّا نَجَّـٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ (٢) وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ (٣) كَفُورًا (٤) ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ (٥) أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ (٦) أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا (٧) ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا (٨) ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا (٩) مِّنَ ٱلرِّيحِ

(١) ذهب عن أوهامكم كلّ من تدعونه فى حوادثكم إلا إيّاه وحده فإنّكم لا تذكرون سواه. أو (ضلّ من تدعون) من الآلهة عن إغاثتكم ولكنّ الله وحده الذى ترجونه، على الاستثناء المنقطع .

(٢) (أعرضتم) عن الإخلاص بعد الخلاص .

(٣) أى الكافر .

(٤) (كفورا) للنعم .

(٥) الهمزة للإنكار. والفاء للعطف على محذوف تقديره (أ) نجوتم (فأمنتم) فحملكم ذلك على الإعراض .

(٦) انتصب (جانب) بيخسف مفعولا به كالأرض فى قوله (فخسفنا به وبداره الأرض) و(بكم) حال . والمعنى أن يخسف جانب البرّ أى يقلبه وأنتم عليه . والحاصل أنّ الجوانب كلّها فى قدرته سواء. وله فى كلّ جانب، برّا كان أو بحرا، سبب من أسباب الهلاك. ليس جانب البحر وحده مختصّا به بل إن كان الغرق فى جانب البحر ففى جانب البرّ الخسف . وهو تغييب تحت التراب . والغرق تغييب تحت الماء . فعلى العاقل أن يستوى خوفه من الله فى جميع الجوانب وحيث كان .

(٧) هى الريح التى تحصب أى ترمى بالحصباء . يعنى أو إن لم يصبكم بالهلاك من تحتكم بالخسف أصابكم به من فوقكم بريح يرسلها عليكم فيها الحصباء .

(٨) (ثمّ لا تجدوا لكم وكيلا) يصرف ذلك عنكم .

(٩) أى (أم أمنتم) أن يقوّى دواعيكم ويوفّر حوائجكم إلى أن ترجعوا فتركبوا البحر الذى نجّاكم منه فأعرضتم فينتقم منكم بأن (يرسل عليكم قاصفا من الريح) وهى الريح التى لها قصيف وهو الصوت الشديد، أو هو الكاسر للفلك .

فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ(١) ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا(٢) ﴿٦٩﴾ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ(٣) وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ(٤) وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ(٥) وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا(٦) ﴿٧٠﴾ يَوْمَ(٧) نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ(٨)

(١) بكفرانكم النعمة وهو إعراضكم حين نجاكم .

(٢) مطالبا من قوله (فاتّباع بالمعروف) أى مطالبة . والمعنى إنا نفعل ما نفعل بهم ثمّ لا تجد أحدا يطالبنا بما فعلنا انتصارا ودركا للثار من جهتنا . وهذا نحو قوله (ولا يخاف عقباها) . (أن نخسف ، أو نرسل ، أن نعيدكم ، فنرسل ، فنغرقكم) بالنون مكىّ وأبو عمرو .

(٣) (ولقد كرّمنا بنى آدم) بالعقل والنطق والخطّ والصورة الحسنة والقامة المعتدلة وتدبير أمر المعاش والمعاد والاستيلاء وتسخير الأشياء وتناول الطعام بالأيدى . وعن الرشيد أنّه أحضر طعاما فدعا بالملاعق وعنده أبو يوسف رحمه الله تعالى . فقال له جاء فى تفسير جدّك ابن عباس رضى الله عنهما قوله تعالى (ولقد كرّمنا بنى آدم) جعلنا لهم أصابع يأكلون بها . فأحضرت الملاعق . فردّها وأكل بأصابعه .

(٤) (وحملناهم فى البرّ) على الدواب (والبحر) على السفن .

(٥) باللذيذات أو بما كسبت أيديهم .

(٦) أى على الكلّ كقوله (وأكثرهم كاذبون) . قال الحسن : أى كلّهم . وقوله (وما يتّبع أكثرهم إلّا ظنّا) ذكر فى الكشّاف أنّ المراد بالأكثر الجميع . وعنه عليه السلام "المؤمن أكرم على الله من الملائكة" . وهذا لأنّهم مجبولون على الطاعة ففيهم عقل بلا شهوة ، وفى البهائم شهوة بلا عقل ، وفى الآدمى كلاهما . فمن غلب عقله شهوته فهو أكرم من الملائكة ومن غلبت شهوته عقله فهو شرّ من البهائم . ولأنّه خالق الكلّ لهم وخلقهم لنفسه .

(٧) (يوم) منصوب باذكر .

(٨) الباء للحال . والتقدير مختلطين بإمامهم أى بمن ائتموا به من نبىّ أو مقدّم فى الدين أو كتاب أو دين . فيقال يا أتباع فلان يا أهل دين كذا أو كتاب كذا . وقيل بكتاب أعمالهم فيقال يا أصحاب كتاب الخير ويا أصحاب كتاب الشرّ .

فَمَنْ أُوتِيَ(١) كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ(٢) يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ(٣) وَأَضَلُّ سَبِيلًا(٤) ﴿٧٢﴾ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ(٥) وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا(٦) ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا(٧) ﴿٧٤﴾

---

(١) (فمن أوتى) من هؤلاء المدعوين .

(٢) وإنّما قيل (أولئك) لأنّ (من) فى معنى الجمع .

(٣) (ولا يظلمون فتيلا) ولا ينقصون من ثوابهم أدنى شىء . ولم يذكر الكفّار وإيتاء كتبهم بشمالهم اكتفاءً بقوله (ومن كان فى هذه الدنيا أعمى فهو فى الآخرة أعمى) كذلك . والأعمى مستعار ممن لا يدرك المبصرات لفساد حاسّته لمن لا يهتدى إلى طريق النجاة . أمّا فى الدنيا فلفقد النظر وأمّا فى الآخرة فلأنّه لا ينفعه الاهتداء إليه . وقد جوّزوا أن يكون الثانى بمعنى التفضيل بدليل عطف (وأضلّ) . ومن ثمّ قرأ أبو عمرو الأوّل ممالا والثانى مفخّما لأنّ أفعل التفضيل تمامه بمن فكانت ألفه فى حكم الواقعة فى وسط الكلمة فلا يقبل الإمالة . وأمّا الأوّل فلم يتعلّق به شىء فكانت ألفه واقعة فى الطرف فقبلت الإمالة . وأمالهما حمزة وعلىّ ونخّمهما الباقون .

(٤) (وأضلّ سبيلا) من الأعمى أى أضلّ طريقا .

(٥) نزل لمّا قالت قريش اجعل آية رحمة آية عذاب وآية عذاب آية رحمة حتّى نؤمن بك . (إن) مخفّفة من الثقيلة . واللام فارقة بينها وبين النافية . والمعنى إنّ الشأن قاربوا أن يفتنوك أى يخدعوك فاتنين (عن الذى أوحينا إليك) من أوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا . لتتقوّل علينا ما لم نقل . يعنى ما اقترحوه من تبديل الوعد وعيداً والوعيد وعداً .

(٦) أى ولو اتّبعت مرادهم (لاتّخذوك خليلا) ولكنت لهم وليّاً وخرجت من ولايتى .

(٧) ولولا تثبيتنا وعصمتنا لقاربت أن تميل إلى مكرهم (شيئا قليلا) ركونا قليلا . وهذا تهييج من الله له وفضل تثبيت .

إِذاً لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ[1] ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً[2] ﴿﴾ وَإِن كَادُوا[3] لَيَسْتَفِزُّونَكَ[4] مِنَ الْأَرْضِ[5] لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذاً لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ[6] إِلَّا قَلِيلاً ﴿﴾ سُنَّةَ[7] مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُسُلِنَا

---

(1) لو قاربت تركن إليهم أدنى ركنة (لأذقناك) عذاب الآخرة وعذاب القبر مضاعفين لعظم ذنبك بشرف منزلتك ونبوتك كما قال (يانساء النبيّ من يأت منكن بفاحشة) الآية . وأصل الكلام لأذقناك عذاب الحياة وعذاب الممات لأنّ العذاب عذابان عذاب فى الممات وهو عذاب القبر وعذاب فى حياة الآخرة وهو عذاب النار . والعذاب يوصف بالضعف كقوله (فآتهم عذابا ضعفا من النار) أى مضاعفا . فكأنّ أصل الكلام لأذقناك عذابا ضعفا فى الحياة وعذابا ضعفا فى الممات . ثمّ حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه وهو الضعف ثمّ أضيفت الصفة إضافة الموصوف فقيل (ضعف الحياة وضعف الممات) . و يجوز أن يراد بضعف الحياة عذاب الحياة الدنيا و بضعف الممات ما يعقب الموت من عذاب القبر وعذاب النار . وفى ذكر الكيدودة وتقليلها مع إتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف فى الدارين دليل على أنّ القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شأن فاعله . ولما نزلت كان عليه السلام يقول " اللّهم لاتكلنى إلى نفسى طرفة عين " .

(2) معينا لك يمنع عذابنا عنك .

(3) أى أهل مكة .

(4) ليزعجونك بعدوانهم ومكرهم .

(5) من أرض مكة .

(6) (وإذًا) لايبقون (خلفك) بعدك أى بعد إخراجك — (خلافك) كوفىّ غير أبى بكر وشامىّ بمعناه — (إلّا) زمانا (قليلا) فإنّ الله مهلكهم . وكان كما قال فقد أهلكوا ببدر بعد إخراجه بقليل . أو معناه ولو أخرجوك لاستؤصلوا عن بكرة أبيهم . ولم يخرجوه بل هاجر بأمر ربّه . وقيل من أرض العرب أو من أرض المدينة .

(7) يعنى أن كلّ قوم أخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم فسنّة الله أن يهلكهم . ونصبت نصب المصدر المؤكّد ، أى سنّ الله ذلك سنّة .

وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا (١) ۝ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ (٢) إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ (٣) وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ (٤) إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا (٥) ۝ وَمِنَ ٱلَّيْلِ (٦) فَتَهَجَّدْ (٧) بِهِۦ (٨) نَافِلَةً لَّكَ (٩) عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا (١٠) ۝ وَقُل رَّبِّ

---

(١) تبديلا .

(٢) لزوالها . وعلى هذا ، الآية جامعة للصلوات الخمس . أو لغروبها . وعلى هذا يخرج الظهر والعصر .

(٣) هو الظلمة وهو وقت صلاة العشاء .

(٤) صلاة الفجر . سميت قرآنا — وهو القراءة — لكونها ركنا كما سمّيت ركوعا وسجودا . وهو حجّة على الأصمّ حيث زعم أنّ القراءة ليست بركن . أو سمّيت قرآنا لطول قراءتها . وهو عطف على الصلاة .

(٥) يشهده ملائكة الليل والنهار : ينزل هؤلاء ويصعد هؤلاء فى آخر ديوان الليل وأوّل ديوان النهار . أو يشهده الكثير من المصلّين فى العادة .

(٦) وعليك بعض الليل .

(٧) التهجّد ترك الهجود للصلاة . ويقال فى النوم أيضا تهجّد .

(٨) بالقرآن .

(٩) عبادة زائدة لك على الصلوات الخمس. وضع (نافلة) موضع تهجّدا لأنّ التهجّد عبادة زائدة . فكان التهجّد والنافلة يجمعهما معنى واحد . والمعنى أن التهجّد زيد لك على الصلوات المفروضة غنيمة لك أو فريضة عليك خاصّة دون غيرك لأنّه تطوّع لهم .

(١٠) نصب على الظرف. أى (عسى أن يبعثك) يوم القيامة فيقيمك (مقاما محمودا) . أو ضمّن يبعثك معنى يقيمك . وهو مقام الشفاعة عند الجمهور . ويدلّ عليه الأخبار ، أو هو مقام يعطى فيه لواء الحمد .

أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ[1] صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ[2] وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا[3] ۝ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ[4] إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا[5] ۝ وَنُنَزِّلُ[6] مِنَ[7] ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ[8] وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ[9] إِلَّا خَسَارًا[10] ۝ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ[11] وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ[12]

(١) هو مصدر . أى (أدخلنى) القبر إدخالا مرضيًا على طهارة من الزلّات .

(٢) أى (أخرجنى) منه عند البعث إخراجا مرضيًا ملقّى بالكرامة آمنا من الملامة . دليله ذكره على أثر ذكر البعث .

وقيل نزلت حين أمر بالهجرة . يريد إدخال المدينة والإخراج من مكّة . أو هو عامّ فى كلّ ما يدخل فيه ويلابسه من أمر ومكان .

(٣) حجّة تنصرنى على من خالفنى . أو ملكا وعزّا قويًا ناصراً للإسلام على الكفر مظهرا له عليه .

(٤) (وقل جاء الحقّ) الإسلام (وزهق) وذهب وهلك (الباطل) الشرك . أو جاء القرآن وهلك الشيطان .

(٥) كان مضمحلا فى كلّ أوان .

(٦) وبالتخفيف أبو عمرو .

(٧) (من) للتبيين .

(٨) (ماهو شفاء) من أمراض القلوب (ورحمة للمؤمنين) وتفريج للكروب ، وتطهير للعيوب ، وتكفير للذنوب . وفى حديث "من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله" .

(٩) الكافرين .

(١٠) ضلالا لتكذيبهم به وكفرهم .

(١١) (وإذا أنعمنا على الإنسان) بالصحّة والسعة ، أو (أنعمنا) بالقرآن (أعرض) من ذكر الله .

(١٢) تأكيد للإعراض لأنّ الإعراض عن الشىء أن يولّيه عرض وجهه . والنأى بالجانب أن يلوى عنه عطفه ويولّيه ظهره . أو أراد الاستكبار لأنّ ذلك من عادة المستكبرين (نأى) بالإمالة حمزة ، وبكسرها علىّ .

وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ[1] كَانَ يَـُٔوسًا[2] ۝ قُلْ كُلٌّ[3] يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ[4] فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا[5] ۝ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى[6] وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا[7] ۝

(١) الفقر والمرض أو نازلة من النوازل .

(٢) شديد اليأس من روح الله .

(٣) أى كلّ أحد .

(٤) على مذهبه وطريقته التى تشاكل حاله فى الهدى والضلال .

(٥) أسدّ مذهبا وطريقة .

(٦) أى من أمر يعلمه ربّى . الجمهور على أنّه الروح الذى فى الحيوان . سألوه عن حقيقته فأخبر أنّه من أمر الله أى ممّا استأثر بعلمه . وعن أبى هريرة "لقد مضى النبىّ صلّى الله عليه وسلّم وما يعلم الروح" . وقد عجزت الأوائل عن إدراك ماهيّته بعد إنفاق الأعمار الطويلة على الخوض فيه . والحكمة فى ذلك تعجيز العقل عن إدراك معرفة مخلوق مجاور له ليدلّ على أنّه عن إدراك خالقه أعجز . ولذا ردّ ما قيل فى حدّه إنّه جسم دقيق هوائىّ فى كلّ جزء من الحيوان . وقيل هو خلق عظيم روحانىّ أعظم من الملك . وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو جبريل عليه السلام (نزل به الروح الأمين على قلبك) . وعن الحسن القرآن . دليله (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا) ولأنّ به حياة القلوب و(من أمر ربّى) أى من وحيه وكلامه ليس من كلام البشر . وروى أنّ اليهود بعثت إلى قريش أن سلوه عن أصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح . فإن أجاب عن الكلّ أو سكت عن الكلّ فليس بنبىّ وإن أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبىّ . فبيّن لهم القصّتين وأبهم أمر الروح وهو مبهم فى التوراة . فندموا على سؤالهم . وقيل كان السؤال عن خلق الروح . يعنى أهو مخلوق أم لا . وقوله (من أمر ربّى) دليل خلق الروح . فكان هذا جوابا .

(٧) الخطاب عامّ . فقد روى أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لمّا قال لهم ذلك قالوا نحن مختصّون بهذا الخطاب أم أنت معنا فيه ؟ فقال بل نحن وأنتم لم نؤت من العلم إلّا قليلا. وقيل هو خطاب لليهود خاصّة لأنّهم قالوا للنبىّ صلّى الله عليه وسلّم قد أوتينا التوراة وفيها

وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ۝ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا[1] ۝ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا[2] ۝ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا[3] لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ[4] فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا[5] ۝

الحكمة وقد تلوت (ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا) . فقيل لهم إنّ علم التوراة قليل فى جنب علم الله . فالقلّة والكثرة من الأمور الإضافيّة . فالحكمة التى أوتيها العبد خير كثير فى نفسها إلّا أنها إذا أضيفت إلى علم الله تعالى فهى قليلة .

(١) نبّه على نعمة الوحى وعزّاه بالصبر على أذى الجدال فى السؤال . (لنذهبنّ) جواب قسم محذوف مع نيابته عن جزاء الشرط . واللام الداخلة على إن توطئة للقسم . والمعنى إن شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه من الصدور والمصاحف فلم نترك له أثرا (ثم لا تجد لك) بعد الذهاب به من يتوكّل علينا باسترداده وإعادته محفوظا مسطورا (إلّا) أن يرحمك ربّك فيردّه عليك كأنّ رحمته تتوكّل عليه بالردّ . أو يكون على الاستثناء المنقطع . أى ولكن رحمة من ربّك تركته غير مذهوب به . وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظا بعد المنّة العظيمة فى تنزيله وتحفيظه .

(٢) معينا . و(لا يأتون) جواب قسم محذوف . ولولا اللام الموطّئة لجاز أن يكون جوابا للشرط كقوله * يقول لا غائب مالى ولا حرم * لأنّ الشرط وقع ماضيا . أى لو تظاهروا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن فى بلاغته وحسن نظمه وتأليفه لعجزوا عن الإتيان بمثله . نزل جوابا لقول النضر (لو نشاء لقلنا مثل هذا) .

(٣) ردّدنا وكرّرنا .

(٤) من كلّ معنى هو كالمثل فى غرابته وحسنه .

(٥) جحودا . وإنّما جاز (فأبى أكثر الناس إلّا كفورا) ولم يجز ضربت إلّا زيدا لأنّ (أبى) متأوّل بالنفى كأنّه قيل فلم يرضوا (إلّا كفورا) .

وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ(1) لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ(2) يَنۢبُوعًا(3) ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ(4) ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا(5) تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا(6) أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا(7) ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ(8) أَوْ تَرْقَىٰ(9) فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ(10) حَتَّىٰ تُنَزِّلَ(11) عَلَيْنَا

---

(1) وبالتخفيف كوفيّ . لمّا تبين إعجاز القرآن وانضمّت إليه المعجزات الأخر ولزمتهم الحجة وغُلبوا اقترحوا الآيات فعل المبهوت المحجوج المتحيّر .

(2) أى مكّة .

(3) عينا غزيرة من شأنها أن تنبع بالماء لا تقطع . يفعول من نبع الماء .

(4) التشديد هنا مجمع عليه .

(5) وسطها .

(6) بفتح السين مدنىّ وعاصم أى قطعا . يقال : أعطنى كسفة من هذا الثوب . وبسكون السين غيرهما جمع كسفة كسدرة وسدر . يعنون قوله (إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء) .

(7) كفيلا بما تقول شاهدا بصحّته . والمعنى (أو تأتى بالله) قبيلا وبالملائكة قُبُلا كقوله "كنت منه ووالدى بريّا" . أو مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر ونحوه (لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربّنا) . أو جماعة . حالا من الملائكة .

(8) ذهب .

(9) تصعد إليها .

(10) لأجل رقيّك .

(11) وبالتخفيف أبو عمرو .

كِتَٰبًا(١) نَّقْرَؤُهُۥ(٢) قُلْ(٣) سُبْحَانَ رَبِّى(٤) هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا(٥) ۝ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا(٦) ۝ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا(٧) ۝ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ(٨)

(١) (كتابا) من السماء فيه تصديقك .

(٢) صفة كتاب .

(٣) (قال) مكىّ وشامىّ . أى قال الرسول .

(٤) تعجب من اقتراحاتهم عليه .

(٥) أى أنا رسول كسائر الرسل بشر مثلهم . وكان الرسل لا يأتون قومهم إلا بما يظهره الله عليهم من الآيات فليس أمر الآيات إلىّ إنما هو إلى الله فما بالكم تتخيّرونها علىّ ؟

(٦) (وما منع) أهل مكّة (أن يؤمنوا) محلّه نصب بأنه مفعول ثان لمنع (إذ جاءهم الهدى) النبىّ والقرآن (إلا أن قالوا) فاعل منع . والتقدير وما منعهم الإيمان بالقرآن و بنبوّة محمد صلّى الله عليه وسلّم إلا قولهم (أبعث الله بشرا رسولا) أى إلا شبهة تمكنت فى صدورهم وهى إنكارهم أن يرسل الله البشر . والهمزة فى (أبعث الله) للإنكار . وما أنكروه ففى قضية حكمته(*) منكر .

(٧) (لو كان فى الأرض ملائكة يمشون) على أقدامهم كما يمشى الإنس — ولا يطيرون بأجنحتهم إلى السماء فيسمعوا من أهلها و يعلموا ما يجب علمه — (مطمئنين) حال ، أى ساكنين فى الأرض قارّين (لنزّلنا عليهم من السماء ملكا) يعلمهم الخير و يهديهم المراشد . فأمّا الإنس فإنما يرسل الملك إلى مختار منهم للنبوّة فيقوم ذلك المختار بدعوتهم و إرشادهم . و(بشرا) و(ملكا) حالان من (رسولا) .

(٨) (شهيدا) على أنّى بلّغت ما أرسلت به إليكم وأنكم كذبتم وعاندتم . (شهيدا) تمييز أو حال .

(*) قوله منكر هكذا فى النسخ الخط والطبع ولعل قبله سقطا تقديره خلافه ويدلّ عليه عبارة الكشاف ونصّها (وما أنكروه فخلافه هو المنكر عند الله لأنّ قضيّة حكمته ألا يرسل ملك الوحى إلاّ إلى أمثاله أو إلى الأنبياء) اهـ

إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًا(١) بَصِيرًا(٢) ۝ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ(٣) وَمَن يُضْلِلْ(٤) فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ(٥) مِن دُونِهِۦ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ(٦) عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا(٧) مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ(٨) زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا(٩) ۝ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا(١٠) وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ۝

(١) المنذرين والمنذَرين .

(٢) (خبيرا) عالما بأحوالهم (بصيرا) بأفعالهم فهو مجازيهم . وهذه تسلية لرسول الله عليه السلام ووعيد للكفرة .

(٣) وبالياء يعقوب وسهل . وافقهما أبوعمرو ومدنى فى الوصل . أى من وفّقه الله لقبول ما كان من الهدى فهو المهتدى عند الله .

(٤) أى ومن يخذله ولم يعصمه حتّى قبل وساوس الشيطان .

(٥) أى أنصارا .

(٦) أى يسحبون عليها كقوله (يوم يسحبون فى النار على وجوههم) . وقيل لرسول الله عليه الصلاة والسلام: كيف يمشون على وجوههم ؟ قال "إن الذى أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم" .

(٧) كما كانوا فى الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق ويتصامّون عن استماعه ، فهم فى الآخرة كذلك لا يبصرون ما يقرّ أعينهم ولا يسمعون ما يلذّ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم .

(٨) طَفِئ لهبها .

(٩) توقّدا .

(١٠) أى (ذلك)العذاب بسبب أنّهم كذّبوا بالإعادة بعد الإفناء . فجعل الله جزاءهم أن سلّط النار على أجزائهم تأكلها ثمّ يعيدها لا يزالون على ذلك ليزيد فى تحسّرهم على تكذيبهم البعث .

أَوَ لَمْ يَرَوْا[1] أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ[2] وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ[3] فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا[4] ﴿٩٩﴾ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ[5] خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ[6] إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ[7] وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا[8] ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ[9]

---

(١) (أو لم) يعلموا .

(٢) من الإنس .

(٣) وهو الموت أو القيامة .

(٤) جحودا مع وضوح الدليل .

(٥) تقديره لو تملكون أنتم ، لأن لو تدخل على الأفعال دون الأسماء فلابدّ من فعل بعدها فأضمر تملك على شريطة التفسير وأبدل من الضمير المتّصل وهو الواو ضمير منفصل وهو (أنتم) لسقوط ما يتّصل به من اللفظ. فأنتم فاعل الفعل(المضمر) و(تملكون) تفسيره. وهذا هو الوجه الذى يقتضيه علم الإعراب . وأما ما يقتضيه علم البيان فهو أنّ(أنتم تملكون) فيه دلالة على الاختصاص وأنّ الناس هم المختصّون بالشحّ المتبالغ .

(٦) رزقه وسائر نعمه على خلقه .

(٧) أى لبخلتم خشية أن يفنيه الإنفاق .

(٨) بخيلا .

(٩) عن ابن عباس رضى الله عنهما : هى العصا واليد والجراد والقمّل والضفادع والدم والحجر والبحر والطور الذى نتقه على بنى إسرائيل . وعن الحسن : الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر والطور .

فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ (١) إِذْ جَآءَهُمْ (٢) فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا (٣) ﴿١٠١﴾ قَالَ (٤) لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ (٥) وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا (٦) ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم (٧) مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ (٨)

(١) (ف) قلنا له (أسأل بنى إسرائيل). أى سلهم من فرعون وقل له (أرسل معى بنى إسرائيل).

(٢) (إذ) متعلق بالقول المحذوف أى فقلنا له سلهم حين (جاءهم).

(٣) سحرت فخولط عقلك.

(٤) أى موسى.

(٥) (لقد علمتَ) يا فرعون (ما أنزل هؤلاء) الآيات (إلا ربّ السموات والأرض) خالقهما (بصائر) — حال. أى بيّنات مكشوفات — إلا أنك معاند. ونحوه (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا). (علمتُ) علىّ. أى إنّى لست مسحورا كما وصفتنى، بل أنا عالم بصحّة الأمر، وأنّ هذه الآيات منزلها (ربّ السموات والأرض).

(٦) قارع ظنّه بظنّه كأنه قال إن ظننتنى (مسحورا) فأنا أظنّك (مثبورا) هالكا. وظنّى أصحّ من ظنّك لأنّ له أمارة ظاهرة وهى إنكارك ما عرفت صحّته ومكابرتك لآيات الله بعد وضوحها. وأمّا ظنك فكذب بحت لأنّ قولك مع علمك بصحّة أمرى إنّى لأظنك مسحورا قول كذب. وقال الفراء (مثبورا) مصروفا عن الخير من قولهم ما ثبرك عن هذا، أى ما منعك وصرفك.

(٧) (فأراد أن) يخرجهم أى موسى وقومه (من) أرض مصر. أو ينفيهم عن ظهر الأرض بالقتل والاستئصال. فحاق به مكره بأن استفزّه الله بإغراقه مع قبطه.

(٨) من بعد فرعون.

لِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱسۡكُنُواْ ٱلۡأَرۡضَ(١) فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ(٢) جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفٗا(٣) ﴿١٠٤﴾
وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَ(٤) وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا(٥) ﴿١٠٥﴾
وَقُرۡءَانٗا(٦) فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ(٧) وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا(٨) ﴿١٠٦﴾

---

(١) (اسكنوا الأرض) التى أراد فرعون أن يستفزّكم منها

(٢) أى القيامة .

(٣) جمعا مختلطين إياكم وإياهم ثمّ نحكم بينكم ونميّز بين سعدائكم وأشقيائكم . واللفيف الجماعات من قبائل شتى .

(٤) وما أنزلنا القرآن إلّا بالحكمة وما نزل إلّا ملتبسا بالحقّ والحكمة لاشتماله على الهداية إلى كلّ خير . أو ما أنزلناه من السماء إلّا بالحقّ محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول إلّا محفوظا بهم من تخليط الشياطين . قال الراوى اشتكى محمد بن السمّاك فأخذنا ماءه وذهبنا به إلى طبيب نصرانىّ فاستقبلنا رجل حسن الوجه طيّب الرائحة نقىّ الثوب . فقال لنا إلى أين؟ فقلنا له إلى فلان الطبيب نريه ماء ابن السمّاك. فقال سبحان الله تستعينون على ولىّ الله بعدوّ الله . اضربوه على الأرض وارجعوا إلى ابن السمّاك وقولوا له ضع يدك على موضع الوجع وقل(وبالحقّ أنزلناه وبالحقّ نزل). ثمّ غاب عنّا فلم نره . فرجعنا إلى ابن السمّاك فأخبرناه بذلك فوضع يده على موضع الوجع وقال ما قال الرجل وعوفى فى الوقت . وقال : كان ذلك الخضر عليه السلام .

(٥) (مبشّرا) بالجنة (ونذيرا) من النار .

(٦) منصوب بفعل يفسّره (فرقناه) أى فصّلناه أو فرقنا فيه الحقّ من الباطل .

(٧) على تؤدة وتثبت .

(٨) (ونزّلناه تنزيلا) على حسب الحوادث .

قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ (١) إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ (٢) إِذَا يُتْلَىٰ (٣) عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (٤) ۝ وَيَقُولُونَ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (٥) ۝ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ (٦) يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ (٧) خُشُوعًا (٨) ۝ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَـٰنَ (٩)

(١) أى اختاروا لأنفسكم النعيم المقيم أو العذاب الأليم .

(٢) أى التوراة من قبل القرآن .

(٣) القرآن .

(٤) حال .

(٥) علّل بقوله (إنّ الذين أوتوا العلم من قبله) لقوله (آمنوا به أولا تؤمنوا). أى أعرض عنهم فإنّهم إن لم يؤمنوا به ولم يصدّقوا بالقرآن فإنّ خيرا منهم وهم العلماء الذين قرءوا الكتب قد آمنوا به وصدّقوه فإذا تلى عليهم خرّوا سجّدا وسبّحوا الله تعظيما لأمره ولإنجازه ما وعد فى الكتب المنزّلة وبشّر به من بعثة محمد صلّى الله عليه وسلّم وإنزال القرآن عليه . وهو المراد بالوعد المذكور. (إنْ) بمعنى إنّه وهى تؤكّد الفعل كما أنّ إنّ تؤكّد الاسم وكما أكّدت (إنّ) باللام فى (إنّهم لمحضرون) أكّدت (إن) باللام فى (لمفعولا) .

(٦) معنى الخرور للذّقن السقوط على الوجه . وإنّما خصّ الذقن لأنّ أقرب الأشياء من وجهه إلى الأرض عند السجود الذقن. يقال خرّ على وجهه وعلى ذقنه وخرّ لوجهه ولذقنه. أمّا معنى على فظاهر . وأمّا معنى اللام فكأنّه جعل ذقنه ووجهه للخرور واختصّه به إذ اللام للاختصاص. وكرّر (يخرّون للأذقان) لاختلاف الحالين وهما خرورهم فى حال كونهم ساجدين وخرورهم فى حال كونهم باكين .

(٧) القرآن .

(٨) لين قلب ورطوبة عين .

(٩) لمّا سمعه أبو جهل يقول يا الله يارحمن قال إنّه نهانا أن نعبد إلهين وهو يدعو إلها آخر. فنزلت. وقيل إن أهل الكتاب قالوا إنّك لتقلّ ذكر الرحمن وقد أكثر الله فى التوراة هذا الاسم . فنزلت . والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء . و(أو) للتخيير أى سمّوا بهذا الاسم أو بهذا أواذكروا إمّا هذا وإمّا هذا .

أَيًّا مَّا تَدْعُواْ[1] فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ[2] وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا[3] ۝ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا[4] وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ[5] وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ[6] وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا[7] ۝

---

(١) التنوين عوض من المضاف إليه . و (ما) زيدت للتوكيد . و (أيًّا) نصب بتدعوا وهو مجزوم بأىّ ، أى أىّ هذين الاسمين ذكرتم وسمّيتم .

(٢) الضمير في (فله) يرجع إلى ذات الله تعالى . والفاء لأنّه جواب الشرط . أى أيًّا ماتدعوا فهو حسن . فوضع موضعه قوله (فله الأسماء الحسنى) لأنّه إذا حسنت أسماؤه كلّها حسن هذان الاسمان لأنّهما منها . ومعنى كونها أحسن الأسماء أنّها مستقلّة بمعانى التمجيد والتقديس والتعظيم .

(٣) (ولا تجهر) بقراءة صلاتك على حذف المضاف لأنه لا يلبس ، إذ الجهر والمخافتة صفتان تعتقبان على الصوت لا غير . والصلاة أفعال وأذكار . وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلم يرفع صوته بقراءته فإذا سمعها المشركون لغوا وسبّوا فأمر بأن يخفض من صوته . والمعنى (ولا تجهر) حتّى تسمع المشركين (ولا تخافت بها) حتى لاتسمع من خلفك (وابتغ بين ذلك) بين الجهر والمخافتة (سبيلا) وسطا . أو معناه (ولا تجهر بصلاتك) كلّها (ولا تخافت بها) كلّها (وابتغ بين ذلك سبيلا) بأن تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة النهار . أو (بصلاتك) بدعائك .

(٤) كما زعمت اليهود والنصارى وبنو مليح .

(٥) كما زعم المشركون .

(٦) أى لم يذلّ فيحتاج إلى ناصر أو لم يوال أحداً من أجل مذلّة به ليدفعها بموالاته .

(٧) وعظّمه وصفه بأنّه أكبر من يكون له ولد أو شريك . وسمّى النبىّ عليه السلام الآية آية العزّ . وكان إذا أفصح الغلام من بنى عبد المطلب علّمه هذه الآية .

سورة الكهف مكيّة

وهى مائة وإحدى عشرة آية بصرى وعشر آيات كوفى

بسم الله الرحمن الرحيم

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ (١) ٱلْكِتَـٰبَ (٢) وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا (٣) ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا (٤) لِّيُنذِرَ (٥) بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ (٦) وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ (٧)

(١) محمد صلّى الله عليه وسلّم .

(٢) القرآن . لقّن الله عباده وفقّههم كيف يثنون عليه ويحمدونه على أجزل نعمائه عليهم وهى نعمة الإسلام وما أنزل على محمد صلّى الله عليه وسلّم من الكتاب الذى هو سبب نجاتهم .

(٣) أى شيئا من العِوج . والعِوج فى المعانى كالعَوج فى الأعيان . يقال فى رأيه عِوج وفى عصاه عَوج . والمراد نفى الاختلاف والتناقض عن معانيه وخروج شىء منه من الحكمة .

(٤) مستقيما . وانتصابه بمضمر وتقديره جعله (قيّما) لأنّه إذا نفى عنه العوج فقد أثبت له الاستقامة. وفائدة الجمع بين نفى العوج وإثبات الاستقامة — وفى أحدهما غنى عن الآخر — التأكيد . فربّ مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من أدنى عوج عند التصفّح . أو (قيّما) على سائر الكتب مصدّقا لها شاهدا بصحّتها .

(٥) أنذر متعدّ إلى مفعولين كقوله (إنّا أنذرناكم عذابا قريبا) . فاقتصر على أحدهما . وأصله (لينذر) الذين كفروا (بأسا) عذابا (شديدا) . وإنما اقتصر على أحد مفعولى أنذر لأنّ المنذر به هو المسوق إليه فاقتصر عليه .

(٦) صادرا من عنده .

(٧) أى بأنّ لهم . (ويَبْشُر) حمزة وعلىّ .

أَجْرًا حَسَنًا[(١)] ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ[(٢)] فِيهِ أَبَدًا[(٣)] ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا[(٤)] ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ[(٥)] وَلَا لِءَابَآئِهِمْ[(٦)] كَبُرَتْ كَلِمَةً[(٧)] تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ[(٨)] إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا[(٩)] ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ[(١٠)] عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ[(١١)] إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟

(١) أى الجنة .

(٢) حال من هُمْ فى (لهم) .

(٣) فى الأجر وهو الجنة .

(٤) ذكر المنذرين دون المنذر به بعكس الأوّل استغناء بتقديم ذكره .

(٥) أى بالولد أو باتخاذه. يعنى أنّ قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط . فإن قلت اتخاذ الله ولدا فى نفسه محال فكيف قيل ما لهم به من علم ؟ قلت معناه ما لهم به من علم لأنّه ليس ممّا يعلم لاستحالته . وانتفاء العلم بالشىء إمّا للجهل بالطريق الموصل إليه أو لأنّه فى نفسه محال .

(٦) المقلّدين .

(٧) نصب على التمييز . وفيه معنى التعجب كأنّه قيل ما أكبرها كلمة ! . والضمير فى (كبرتْ) يرجع إلى قولهم (اتخذ الله ولدا). وسمّيت كلمة كما يسمّون القصيدة بها .

(٨) صفة لكلمة تفيد استعظاما لاجترائهم على النطق بها وإخراجها من أفواههم فإنّ كثيرا ممّا يوسوسه الشيطان فى قلوب الناس من المنكرات لا يتمالكون أن يتفوّهوا به بل يكظمون عليه فكيف بمثل هذا المنكر ؟

(٩) ما يقولون ذلك (إلّا كذبا) هو صفة لمصدر محذوف أى قولا كذبا .

(١٠) قاتل نفسك .

(١١) أى آثار الكفّار. شبّهه وإيّاهم حين تولّوا عنه ولم يؤمنوا به وما تداخله من الأسف على تولّيهم برجل فارقه أحبّته فهو يتساقط حسرات على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وتلهّفا على فراقهم .

بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ[1] أَسَفًا[2] ۝ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا[3] لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا[4] ۝ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا[5] ۝ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ[6] كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا[7] ۝ إِذْ[8] أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً[9] وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا[10] ۝

---

(١) بالقرآن .

(٢) مفعول له أى لفرط الحزن . والأسف المبالغة فى الحزن والغضب .

(٣) أى ما يصلح أن يكون زينة لها ولأهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها .

(٤) وحسن العمل الزهد فيها وترك الاغترار بها .

(٥) ثمّ زهّد فى الميل إليها بقوله (وإنّا لجاعلون ما عليها) من هذه الزينة (صعيدا) أرضا ملساء (جرزا) يابسا لا نبات فيها بعد أن كانت خضراء معشبة . والمعنى نعيدها بعد عمارتها خرابا بإماتة الحيوان وتجفيف النبات والأشجار وغير ذلك .

(٦) لمّا ذكر من الآيات الكلّيّة تزيين الأرض بما خلق فوقها من الأجناس التى لا حصر لها وإزالة ذلك كلّه كأن لم يكن قال (أم حسبت أنّ أصحاب الكهف والرقيم) يعنى أنّ ذلك أعظم من قصّة أصحاب الكهف وإبقاء حياتهم مدّة طويلة . والكهف الغار الواسع فى الجبل . والرقيم اسم كلبهم أو قريتهم . أو اسم كتاب كتب فى شأنهم . أو اسم الجبل الذى فيه الكهف .

(٧) أى (كانوا) آية (عجبا) من آياتنا . وصفا بالمصدر . أو على ذات عجب .

(٨) أى اذكر (إذ) .

(٩) أى رحمة من خزائن رحمتك وهى المغفرة والرزق والأمن من الأعداء .

(١٠) (وهيّء لنا من أمرنا) أى الذى نحن عليه من مفارقة الكفّار (رشدا) حتّى نكون بسببه راشدين مهتدين . أو اجعل أمرنا (رشدا) كلّه كقولك : رأيت منك أسدا . أو يسر لنا طريق رضاك .

فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا(١)(٢) ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ(٣) لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ(٤) أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا(٥) ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ(٦) إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ(٧) ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى(٨) ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ(٩)

---

(١) أى ضربنا عليها حجابا من النوم . يعنى أنمناهم إنامة ثقيلة لا تنبّههم فيها الأصوات، فحذف المفعول الذى هو الحجاب .

(٢) ذوات عدد ، فهو صفة لسنين . قال الزجاج: أى تعدّ عددا لكثرتها لأنّ القليل يعلم مقداره من غير عدد فإذا كثر عدّ . فأمّا دراهم معدودة فهى على القلّة لأنّهم كانوا يعدّون القليل ويزنون الكثير .

(٣) أيقظناهم من النوم .

(٤) (أىّ الحزبين) المختلفين منهم فى مدّة لبثهم لأنّهم لمّا انتبهوا اختلفوا فى ذلك . وذلك قوله (قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربّكم أعلم بما لبثتم) . وكان الذين قالوا (ربّكم أعلم بما لبثتم) هم الذين علموا أن لبثهم قد تطاول . أو (أىّ الحزبين) المختلفين من غيرهم .

(٥) غاية . و(أحصى) فعل ماض . و(أمدا) ظرف لأحصى أو مفعول به . والفعل الماضى خبر المبتدأ، وهو (أىّ). والمبتدأ مع خبره سدّ مسدّ مفعولى(نعلم). والمعنى أيّهم ضبط(أمدا)لأوقات لبثهم وأحاط علما بأمد لبثهم . ومن قال أحصى أفعل من الإحصاء وهو العدّ فقد زلّ لأن بناءه من غير الثلاثىّ المجرد ليس بقياس . وإنّما قال (لنعلم) مع أنّه تعالى لم يزل عالما بذلك لأنّ المراد ما تعلّق به العلم من ظهور الأمر لهم ليزدادوا إيمانا واعتبارا وليكون لطفا لمؤمنى زمانهم وآية بيّنة لكفّاره . أو المراد (لنعلم) اختلافهما موجودا كما علمناه قبل وجوده .

(٦) بالصدق .

(٧) جمع فتى. والفتوة بذل الندى وكفّ الأذى وترك الشكوى واجتناب المحارم واستعمال المكارم . وقيل الفتى من لا يدّعى قبل الفعل ولا يزكّى نفسه بعد الفعل .

(٨) يقينا . وكانوا من خواصّ دقيانوس قد قذف الله فى قلوبهم الإيمان وخاف بعضهم بعضا . وقالوا ليخل اثنان اثنان منّا فيظهر كلاهما ما يضمر لصاحبه . ففعلوا فحصل اتّفاقهم على الإيمان .

(٩) وقوّيناها بالصبر على هجران الأوطان والفرار بالدين إلى بعض الغيران وجسّرناهم على القيام بكلمة الحقّ والتظاهر بالإسلام .

إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ (١) هَٰؤُلَاءِ (٢) قَوْمُنَا (٣) اتَّخَذُوا (٤) مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ (٥) عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ (٦) فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (٧) ﴿١٥﴾ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ (٨) وَمَا يَعْبُدُونَ (٩) إِلَّا اللَّهَ (١٠) فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ (١١) يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ (١٢)

(١) (إذ قاموا) بين يدى الجبّار وهو دقيانوس من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الأصنام (فقالوا ربّنا ربّ السموات والأرض) مفتخرين (لن ندعو من دونه إلها). ولئن سمّيناهم آلهة (لقد قلنا إذا شططا) قولا ذا شطط وهو الإفراط فى الظلم والإبعاد فيه من شطّ يشُطّ ويشِطّ إذا بعد.

(٢) مبتدأ.

(٣) عطف بيان.

(٤) خبر. وهو إخبار فى معنى الإنكار.

(٥) هلّا (يأتون) على عبادتهم. فحذف المضاف.

(٦) بحجّة ظاهرة وهو تبكيت، لأنّ الإتيان بالسلطان على عبادة الأوثان محال.

(٧) بنسبة الشريك إليه.

(٨) خطاب من بعضهم لبعض حين صمّمت عزيمتهم على الفرار بدينهم.

(٩) نصب عطف على الضمير. أى (وإذ اعتزلتموهم) واعتزلتم معبوديهم.

(١٠) استثناء متّصل لأنّهم كانوا يقرّون بالخالق ويشركون معه غيره كأهل مكّة. أو منقطع أى وإذ عزلتم الكفّار والأصنام التى يعبدونها من دون الله.

أو هو كلام معترض إخبار من الله تعالى عن الفتية أنّهم لم يعبدوا غير الله.

(١١) صيروا إليه. أو اجعلوا الكهف مأواكم.

(١٢) من رزقه.

وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا[1] ۝ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ[2] عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ[3] مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ[4] وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا[5] ۝ وَتَحْسَبُهُمْ[6] أَيْقَاظًا[7] وَهُمْ رُقُودٌ[8]

---

(١) (مَرْفِقا) مدنىّ وشامىّ . وهو ما يرتفق به أى ينتفع . وإنّما قالوا ذلك ثقة بفضل الله وقوة فى رجائهم لتوكّلهم عليه ونصوع يقينهم . أو أخبرهم به نبىّ فى عصرهم .

(٢) بتخفيف الزاى كوفىّ . (تَزْوَرّ) شامىّ (تزّاور) غيرهم . وأصله تتزاور فخفّف بإدغام التاء فى الزاى أو حذفها . والكلّ من الزَوَر وهو الميل . ومنه زاره إذا مال إليه . والزُور الميل عن الصدق .

(٣) (تزاور عن كهفهم) أى تميل عنه ولا يقع شعاعها عليهم (ذات اليمين) جهة اليمين . وحقيقتها الجهة المسمّاة باليمين . (وإذا غربت تقرضهم) تقطعهم أى تتركهم وتعدل عنهم . (وهم) فى متّسع من الكهف . والمعنى أنّهم فى ظلّ نهارهم كلّه لا تصيبهم الشمس فى طلوعها ولا غروبها مع أنّهم فى مكان واسع منفتح معرّض لإصابة الشمس لولا أنّ الله يحجبها عنهم . وقيل متفسح من غارهم ينالهم فيه رَوح الهواء وبرد النسيم ولا يحسّون كرب الغار . (ذلك) أى ما صنعه الله بهم من ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة آية (من آيات الله) . يعنى أنّ ما كان فى ذلك السمت تصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصا لهم بالكرامة . وقيل باب الكهف شمالىّ مستقبل لبنات نعش فهم فى مَقْنَأة أبدا . ومعنى (ذلك من آيات الله) أنّ شأنهم وحديثهم من آيات الله .

(٤) مثل ما مرّ فى (سبحان) وهو ثناء عليهم بأنّهم جاهدوا فى الله وأسلموا له وجوههم فأرشدهم إلى نيل تلك الكرامة السنيّة .

(٥) أى من أضلّه فلا هادى له .

(٦) بفتح السين شامىّ وحمزة وعاصم غير الأعشى . وهو خطاب لكلّ أحد .

(٧) جمع يَقُظ .

(٨) نيام . قيل عيونهم مفتّحة وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك (أيقاظا) .

وَنُقَلِّبُهُمْ[3] ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ[1] وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ[2] ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ[3] لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ[4] لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ[5] فِرَارًا[6] وَلَمُلِئْتَ[7] مِنْهُمْ رُعْبًا[8] ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ[9] لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ[10] قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ[11] كَمْ لَبِثْتُمْ[12] قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ[13]

---

(١) قيل لهم تقلّبتان فى السنة . وقيل تقلّبة واحدة فى يوم عاشوراء .

(٢) حكاية حال ماضية لأنّ اسم الفاعل لا يعمل إذا كان فى معنى المضىّ .

(٣) بالفناء أو بالعتبة .

(٤) لو أشرفت عليهم فنظرت إليهم .

(٥) لأعرضت عنهم وهربت منهم .

(٦) منصوب على المصدر لأنّ معنى (ولّيت منهم) فررت منهم .

(٧) و بتشديد اللّام حجازىّ للمبالغة .

(٨) تمييز . وبضم العين شامىّ وعلىّ . وهو الخوف الذى يرعب الصــدر أى يملأه . وذلك لمـا ألبسهم الله من الهيبة أو لطول أظفارهم وشعورهم وعظم أجرامهم . وعن معاوية أنّه غزا الروم فمرّ بالكهف فقال أريد أن أدخل . فقال ابن عباس رضى الله عنهما لقد قيــل لمن هو خير منك (لولّيت منهم فرارا) . فدخلت جماعة بأمره فأحرقتهم ريح .

(٩) وكما أنمناهم تلك النومة كذلك أيقظناهم إظهارا للقدرة على الإنامة والبعث جميعا .

(١٠) ليسأل بعضهم بعضا و يتعرّفوا حالهم وما صنع الله بهم فيعتــبروا و يستدلّوا على عظم قدرة الله و يزدادوا يقينا ويشكروا ما أنعم الله به عليهم .

(١١) رئيسهم .

(١٢) كم مدّة لبثكم .

(١٣) جواب مبنىّ على غالب الظن وفيه دليل على جواز الاجتهاد والقول بالظنّ الغالب .

قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ (١) فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم (٢) بِوَرِقِكُمْ (٣) هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ (٤) فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ (٥) أَزْكَىٰ (٦) طَعَامًا (٧) فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ (٨)

---

(١) بمدة لبثكم. إنكار عليهم من بعضهم كأنهم قد علموا بالأدلة أو بإلهام أن المدة متطاولة وأن مقدارها لا يعلمه إلا الله . وروى أنهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم بعد الزوال فظنوا أنهم في يومهم . فلما نظروا إلى طول أظفارهم وأشعارهم قالوا ذلك . وقد استدل ابن عباس رضى الله عنهما على أن الصحيح أن عددهم سبعة لأنه قد قال فى الآية (قال قائل منهم كم لبثتم) وهذا واحد. وقالوا فى جوابه لبثنا يوما أو بعض يوم وهو جمع وأقله ثلاثة . ثم قال (ربكم أعلم بما لبثتم) وهذا قول جمع آخرين فصاروا سبعة .

(٢) كأنهم قالوا ربكم أعلم بذلك لا طريق لكم إلى علمه فخذوا فى شىء آخر مما يهمكم (فابعثوا أحدكم) أى يمليخا .

(٣) هى الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة . وبسكون الراء أبو عمرو وحمزة وأبو بكر .

(٤) هى طرسوس . وحملهم الورق عند فرارهم دليل على أن حمل النفقة وما يصلح للسافر هو رأى المتوكلين على الله دون المتكلين على الاتفاقات ، وعلى ما فى أوعية القوم من النفقات . وعن بعض العلماء أنه كان شديد الحنين إلى بيت الله ويقول ما لهذا السفر إلا شيئان : شد الهميان ، والتوكل على الرحمن .

(٥) أى أهلها فحذف كما فى (واسأل القرية) . و(أى) مبتدأ وخبره (أزكى) .

(٦) أحل وأطيب أو أكثر وأرخص .

(٧) تمييز .

(٨) وليتكلف اللطف فيما يباشره من أمر المبايعة حتى لا يغبن ، أو فى أمر التخفى حتى لا يعرف .

وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا[1] ۝ إِنَّهُمْ[2] إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ[3] يَرْجُمُوكُمْ[4] أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ[5] وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا[6] أَبَدًا ۝ وَكَذَٰلِكَ[7] أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا[8] أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ[9] حَقٌّ[10] وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا[11] إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ[12]

---

(١) ولا يفعلنّ ما يؤدّى إلى الشعور بنا من غير قصد منه . فسمّى ذلك إشعارا منه بهم لأنّه سبب فيه .

(٢) الضمير راجع إلى الأهل المقدّر فى (أيّها) .

(٣) يطّلعوا عليكم .

(٤) يقتلوكم أخبث القتلة .

(٥) (أو يعيدوكم فى ملّتهم) بالإكراه . والعود بمعنى الصيرورة كثير فى كلامهم .

(٦) (إذاً) يدلّ على الشرط أى (ولن تفلحوا) إن دخلتم فى دينهم (أبدا) .

(٧) وكما أنمناهم وبعثناهم — لما فى ذلك من الحكمة — أطلعنا عليهم .

(٨) أى الذين أطلعناهم على حالهم .

(٩) وهو البعث .

(١٠) كائن لأنّ حالهم فى نومهم وانتباههم بعدها كحال من يموت ثمّ يبعث .

(١١) فإنّهم يستدلّون بأمرهم على صحة البعث .

(١٢) (إذ) متعلق بأعثرنا . أى أعثرناهم عليهم حين يتنازع أهل ذلك الزمان (بينهم أمرهم) أمر دينهم ويختلفون فى حقيقة البعث — فكان بعضهم يقول تبعث الأرواح دون الأجساد، وبعضهم يقول تبعث الأجساد مع الأرواح — ليرتفع الخلاف وليتبيّن أنّ الأجساد تبعث حيّة حسّاسة فيها أرواحها كما كانت قبل الموت .

فَقَالُوا۟[1] ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا[2] رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ[3] قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ[4] لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم[5] مَّسْجِدًا[6] ﴿٢١﴾

(١) (فقالوا) حين توفّى الله أصحاب الكهف .

(٢) أى على باب كهفهم لئلا يتطرق إليهم الناس ضناً بتربتهم ومحافظة عليها كما حفظت تربة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالحظيرة .

(٣) من كلام المتنازعين كأنّهم تذاكروا أمرهم وتناقلوا الكلام فى أنسابهم وأحوالهم ومدّة لبثهم . فلمّا لم يهتدوا إلى حقيقة ذلك قالوا (ربّهم أعلم بهم) . أو من كلام الله عزّ وجلّ ردّا لقول الخائضين فى حديثهم .

(٤) من المسلمين وملكهم وكانوا أولى بهم وبالبناء عليهم .

(٥) على باب الكهف .

(٦) (مسجدا) يصلّى فيه المسلمون ويتبرّكون بمكانهم .

روى أنّ أهل الإنجيل عظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم حتّى عبدوا الأصنام وأكرهوا على عبادتها . وممن شدّد فى ذلك دقيانوس فأراد فتية من أشراف قومه على الشرك وتوعّدهم بالقتل فأبوا إلّا الثبات على الإيمان والتصلّب فيه ثمّ هربوا إلى الكهف ومرّوا بكلب فتبعهم فطردوه فأنطقه الله تعالى فقال : ما تريدون منّى ؟ إنّى أحبّ أحبّاء الله . فناموا وأنا أحرسكم . وقيل مروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم ودخلوا الكهف . فضرب الله على آذانهم . وقبل أن يبعثهم الله ملك مدينتهم رجل صالح مؤمن . وقد اختلف أهل مملكته فى البعث معترفين وجاحدين فدخل الملك بيته وأغلق بابه ولبس مسحًا وجلس على رماد وسأل ربّه أن يبيّن لهم الحقّ. فألقى الله فى نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سدّ به فم الكهف ليتّخذه حظيرة لغنمه . ولمّا دخل المدينة من بعثوه لابتياع الطعام وأخرج الورق وكان من ضرب دقيانوس ، اتّهموه بأنّه وجد كنزا فذهبوا به إلى الملك فقصّ عليه القصّة . فانطلق الملك وأهل المدينة معه وأبصروهم وحمدوا الله على الآية الدالة على البعث . ثمّ قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شرّ الجنّ والإنس. ثمّ رجعوا إلى مضاجعهم وتوفّى الله أنفسهم. فألقى الملك عليهم ثيابه وأمر بجعل لكلّ واحد تابوت من ذهب فرآهم فى المنام كارهين للذهب بجعلها من الساج . وبنى على باب الكهف (مسجدا) .

سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ (١) قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم

---

(١) الضمير فى (سيقولون) لمن خاض فى قصّتهم فى زمن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من المؤمنين وأهل الكتاب . سألوا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عنهم فأخّر الجواب إلى أن يوحى إليه فيهم . فنزلت إخباراً بما سيجرى بينهم من اختلافهم فى عددهم وأنّ المصيب منهم من يقول سبعة وثامنهم كلبهم . ويروى أنّ السيّد والعاقب وأصحابهما من أهل نجران كانوا عند النبىّ صلّى الله عليه وسلّم فجرى ذكر أصحاب الكهف فقال السيّد—وكان يعقوبياً— كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم. وقال العاقب—وكان نسطورياً— كانوا خمسة سادسهم كلبهم . وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم . فحقّق الله قول المسلمين . وإنّما عرفوا ذلك بإخبار رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وبما ذكرنا من قبل . وعن علىّ رضى الله عنه هم سبعة نفر أسماؤهم يمليخا ومكشلينا ومشلينا هؤلاء أصحاب يمين الملك.وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش. وكان يستشير هؤلاء الستّة فى أمره . والسابع الراعى الذى وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس . واسم مدينتهم أفسوس واسم كلبهم قطمير . وسين الاستقبال وإن دخل فى الأوّل دون الآخرين فهما داخلان فى حكم السين كقولك: قد أكرم وأنعم تريد معنى التوقّع فى الفعلين جميعا . أو أريد بيفعل معنى الاستقبال الذى هو صالح له . (ثلاثة) خبر مبتدأ محذوف أى هم ثلاثة . وكذلك خمسة وسبعة . و (رابعهم كلبهم) جملة من مبتدأ وخبر واقعة صفة لثلاثة . وكذلك (سادسهم كلبهم) و(ثامنهم كلبهم). (رجما بالغيب) رميا بالخبر الخفىّ وإتيانا به كقوله (ويقذفون بالغيب) أى يأتون به. أو وضع الرجم موضع الظنّ فكأنّه قيل ظنّاً بالغيب لأنّهم أكثروا أن يقولوا رجم بالظنّ مكان قولهم ظنّ حتّى لم يبق عندهم فرق بين العبارتين . والواو الداخلة على الجملة الثالثة هى الواو التى تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل على الواقعة حالا عن المعرفة فى قولك: جاءنى رجل ومعه آخر ومررت بزيد وفى يده سيف. وفائدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على أنّ اتّصافه بها أمر ثابت مستقرّ . وهذه الواو التى آذنت بأنّ الذين قالوا (سبعة وثامنهم كلبهم) قالوه عن ثبات علم ولم يرجموا بالظنّ كما رجم غيرهم . دليله أنّ الله تعالى أتبع القولين الأوّلين قوله (رجما بالغيب) . وأتبع القول الثالث قوله (قل ربّى أعلم بعدّتهم) أى (قل ربّى أعلم بعدّتهم) وقد أخبركم بها بقوله (سبعة وثامنهم كلبهم) .

مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ[١] فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا[٢] وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا[٣] ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ[٤] وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ[٥]

---

(١) قال ابن عباس رضى الله عنهما : أنا من ذلك القليل . وقيل (إلّا قليل) من أهل الكتاب خاصّة . أى سيقول أهل الكتاب فيهم كذا وكذا ولا علم بذلك إلّا فى قليل منهم ، وأكثرهم على ظنّ وتخمين .

(٢) فلا تجادل أهل الكتاب فى شأن أصحاب الكهف إلا جدالا ظاهرا غير متعمّق فيه وهو أن تقصّ عليهم ما أوحى الله إليك فحسب ولا تزيد من غير تجهيل لهم . أو بمشهد من الناس ليظهر صدقك .

(٣) ولا تسأل أحدا منهم عن قصّتهم سؤال متعنّت له حتّى يقول شيئا فتردّه عليه وتزيّف ما عنده ، ولا سؤال مسترشد لأنّ الله تعالى قد أرشدك بأن أوحى إليك قصّتهم .

(٤) (ولا تقولنّ) لأجل شىء تعزم عليه (إنّى فاعل ذلك) الشىء (غدا) أى فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد خاصّة . (إلّا أن يشاء الله) أن تقوله بأن يأذن لك فيه . أو ولا تقولنّه إلّا بأن يشاء الله أى إلّا بمشيئته . وهو فى موضع الحال أى إلّا ملتبسا بمشيئة الله قائلا إن شاء الله. وقال الزجّاج : معناه (ولا تقولنّ) إنّى أفعل ذلك إلّا بمشيئة الله تعالى لأنّ قول القائل أنا أفعل ذلك إن شاء الله معناه لا أفعله إلّا بمشيئة الله . وهذا نهى تأديب من الله لنبيّه حين قالت اليهود لقريش : سلوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وذى القرنين . فسألوه فقال ائتونى غدا أخبركم ولم يستثن . فأبطأ عليه الوحى حتّى شقّ عليه .

(٥) (واذكر) مشيئة ربّك وقل إن شاء الله إذا فرط منك نسيان لذلك . والمعنى (إذا نسيت) كلمة الاستثناء ثمّ تنبّهت عليها فتداركها بالذكر . عن الحسن : مادام فى مجلس الذكر . وعن ابن عباس رضى الله عنهما ولو بعد سنة . وهذا محمول على تدارك التبرّك بالاستثناء ، فأمّا الاستثناء المغيّر حكما فلا يصح إلّا متّصلا . وحكى أنّه بلغ المنصور أنّ أبا حنيفة رحمه الله خالف ابن عباس رضى الله عنهما فى الاستثناء المنفصل فاستحضره لينكر عليه . فقال له

وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا[١] ۝ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ[٢] وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا[٣] ۝ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟[٤] لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ[٥] أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ[٦] مَا لَهُم[٧] مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ[٨]

أبو حنيفة هذا يرجع عليك. إنك تأخذ البيعة بالأيمان. أفترضى أن يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك؟ . فاستحسن كلامه وأمر الطاعن فيه بإخراجه من عنده . أو معناه (واذكر ربك) بالتسبيح والاستغفار إذا نسيت كلمة الاستثناء تشديدا فى البعث على الاهتمام بها . أو صلّ صلاة نسيتها إذا ذكرتها . أو إذا نسيت فاذكره ليذكرك المنسىّ .

(١) يعنى إذا نسيت شيئا فاذكر ربك. وذكر ربك عند نسيانه أن تقول (عسى ربّى أن يهدين) لشىء آخر بدل هذا المنسىّ أقرب منه رشدا وأدنى خيرا ومنفعة. (أن يهدين . إن ترن . أن يؤتين . أن تعلّمن) مكىّ فى الحالين . ووافقه أبو عمرو ومدنىّ فى الوصل .

(٢) يريد لبثهم فيه أحياء مضروبا على آذانهم هذه المدّة . وهو بيان لما أجمل فى قوله (فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عددا). و(سنين) عطف بيان لثلثمائة. (ثلاثمائة سنين) بالإضافة حمزة وعلىّ على وضع الجمع موضع الواحد فى التمييز كقوله (بالأخسرين أعمالا) .

(٣) أى تسع سنين لدلالة ما قبله عليه . و(تسعا) مفعول به لأنّ زاد تقتضى مفعولين فازداد يقتضى مفعولا واحدا .

(٤) أى هو أعلم من الذين اختلفوا فيهم بمدّة لبثهم والحقّ ما أخبرك به .

أو هو حكاية لكلام أهل الكتاب و(قل الله أعلم) ردّ عليهم. والجمهور على أنّ هذا إخبار من الله سبحانه وتعالى أنّهم لبثوا فى كهفهم كذا مدّة .

(٥) ذكر اختصاصه بعلم ما غاب فى السموات والأرض وخفى فيها من أحوال أهلها .

(٦) أى وأسمع به . والمعنى ما أبصره بكلّ موجود وما أسمعه لكلّ مسموع .

(٧) لأهل السموات والأرض .

(٨) من متولّ لأمورهم .

وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ[1] أَحَدًا[2] ۝ وَٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ[3] وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا[4] ۝ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم[5] بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ[6] يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ[7] وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ[8] تُرِيدُ[9] زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا[10] وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا[11] ۝ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ[12]

---

(١) فى قضائه . (ولا تشرك) على النهى شامىّ .

(٢) (أحدا) منهم .

(٣) كانوا يقولون له ائت بقرآن غير هـذا أو بدّله فقيل له (واتل ما أوحى إليك من كتاب ربّك) أى من القرآن ولا تسمع لما يهذون به من طلب التبديل فإنّه لا مبدل لكلماته . أى لا يقدر أحد على تبديلها أو تغييرها إنّما يقدر على ذلك هو وحده .

(٤) ملجأ تعدل إليه إن هممت بذلك .

(٥) احبسها معهم وثبّتها . نزل لمّا قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم نحّ هؤلاء الموالى — وهم صهيب وعمّار وخبّاب وسلمان وغيرهم من فقراء المسلمين — نجالسك .

(٦) دائبين على الدعاء فى كلّ وقت. أو (بالغداة) لطلب التوفيق والتيسير ، (والعشىّ) لطلب عفو التقصير. أو هما صلاة الفجر والعصر . (بالغُدوة) شامىّ .

(٧) رضا الله .

(٨) ولا تجاوز. عداه إذا جاوزه. وعدّى بعن لتضمّن عدا معنى نبا فى قولك نبت عنه عينه. وفائدة التضمين إعطاء مجموع معنيين وذلك أقوى من إعطاء معنى فذّ .

(٩) فى موضع الحال .

(١٠) من جعلنا قلبه غافلا عن الذكر . وهو دليل لنا على أنّه تعالى خالق أفعال العباد .

(١١) مجاوزا عن الحقّ .

(١٢) أى الإسلام أو القرآن . و (الحقّ) خبر مبتدأ محذوف أى هو .

فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ (١) إِنَّآ أَعْتَدْنَا (٢) لِلظَّـٰلِمِينَ (٣) نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا (٤) وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ (٥) يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ (٦) يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ (٧) بِئْسَ ٱلشَّرَابُ (٨) وَسَآءَتْ (٩) مُرْتَفَقًا (١٠) ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ (١١) لَهُمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ

---

(١) أى جاء الحق وزاحت العلل فلم يبق إلّا اختياركم لأنفسكم ماشئتم من الأخذ فى طريق النجاة أو فى طريق الهلاك . وجىء بلفظ الأمر والتخيير لأنّه لمّا مكّن من اختيار أيّهما شاء فكأنّه مخيّر مأمور بأن يتخيّر ما شاء من النجدين. ثمّ ذكر جزاء من اختار الكفر فقال (إنّا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها) . وبيّن جزاء من اختار الإيمان فقال (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنّا لا نضيع أجر من أحسن عملا) .

(٢) هيّأنا .

(٣) للكافرين . فقيّد بالسياق — كما تركت حقيقة الأمر والتخيير بالسياق — وهو قوله (إنّا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها) .

(٤) شبّه ما يحيط بهم من النار بالسرادق . وهى الحجرة التى تكون حول الفسطاط . أو هو دخان يحيط بالكفّار قبل دخولهم النار . أو هو حائط من نار يطيف بهم .

(٥) (وإن يستغيثوا) من العطش .

(٦) هو دُرْدِىّ الزيت . أو ما أذيب من جواهر الأرض . وفيه تهكّم بهم .

(٧) إذا قدّم ليشرب انشوى الوجه من حرارته .

(٨) (بئس الشراب) ذلك .

(٩) (وساءت مرتفقا) النار .

(١٠) متّكأ من الرفق . وهذه لمشاكلة قوله (وحسنت مرتفقا) . وإلّا فلا ارتفاق لأهل النار .

(١١) (أولئك) كلام مستأنف بيان للأجر المبهم . ولك أن تجعل (إنّا لانضيع) و(أولئك) خبرين معا . والمراد مَن أحسن منهم عملا كقولك : السمن منوان بدرهم . أو لأنّ (من أحسن عملا) و (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) ينتظمهما معنى واحد فأقام (من أحسن) مقام الضمير .

تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ(١) مِن ذَهَبٍ(٢) وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ(٣) وَإِسْتَبْرَقٍ(٤) مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ(٥) نِعْمَ ٱلثَّوَابُ(٦) وَحَسُنَتْ(٧) مُرْتَفَقًا(٨) ﴿٣١﴾ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ(٩)

(١) (من) للابتداء. وتنكير أساور — وهى جمع أسورة التى هى جمع سوار — لإبهام أمرها فى الحسن.

(٢) (من) للتبيين.

(٣) ما رق من الديباج.

(٤) ما غلظ منه. أى يجمعون بين النوعين.

(٥) خص الاتكاء لأنه هيئة المتنعمين والملوك على أسرتهم.

(٦) الجنة.

(٧) (وحسنت) الجنة والأرائك.

(٨) متكأ.

(٩) ومثل حال الكافرين والمؤمنين بحال رجلين — وكانا أخوين فى بنى إسرائيل، أحدهما كافر اسمه قطروس والآخر مسلم اسمه يهوذا — وقيل هما المذكوران فى (والصافات) فى قوله (قال قائل منهم إنى كان لى قرين) — ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فجعلاها شطرين. فاشترى الكافر أرضا بألف دينار. فقال المؤمن: اللهم إن أخى اشترى أرضا بألف دينار وأنا أشترى منك أرضا فى الجنة بألف. فتصدق به. ثم بنى أخوه دارا بألف. فقال: اللهم إنى أشترى منك دارا فى الجنة بألف فتصدق به. ثم تزوج أخوه امرأة بألف. فقال: اللهم إنى جعلت ألفا صداقا للحور. ثم اشترى أخوه خدما ومتاعا بألف دينار. فقال: اللهم إنى اشتريت منك الولدان المخلدين بألف. فتصدق به. ثم أصابته حاجة فجلس لأخيه على طريقه فمر به فى حشمه فتعرض له فطرده ووبخه على التصدق بماله.

جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ(١) وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ(٢) وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا(٣) ۝
كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ(٤) أُكُلَهَا(٥) وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا(٦) وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا(٧) ۝
وَكَانَ لَهُۥ(٨) ثَمَرٌ(٩) فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ(١٠) أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا(١١) ۝

---

(١) بساتين من كروم .

(٢) وجعلنا النخل محيطا بالجنّتين . وهذا ممّا يؤثره الدهاقين فى كرومهم أن يجعلوها مؤزّرة بالأشجار المثمرة . يقال : حفّوه إذا أطافوا به وحففته بهم أى جعلتهم حافّين حوله . وهو متعدّ إلى مفعول واحد فتزيده الباء مفعولا ثانيا .

(٣) جعلناها أرضا جامعة للأقوات والفواكه . ووصف العمارة بأنّها متواصلة متشابكة لم يتوسّطها ما يقطعها مع الشكل الحسن والترتيب الأنيق .

(٤) أعطت . حمل على اللفظ لأنّ لفظ كلتا مفرد . ولو قيل آتتا على المعنى لجاز .

(٥) ثمرها .

(٦) ولم تنقص من أكلها شيئا .

(٧) نعتهما بوفاء الثمار وتمام الأكل من غير نقص ثمّ بما هو أصل الخير ومادّته من أمر الشرب بجعله أفضل ما يسقى به وهو النهر الجارى فيها .

(٨) لصاحب الجنّتين .

(٩) أنواع من المال . من ثمّر ماله إذا كثّره . أى كانت له إلى الجنّتين الموصوفتين الأموال الكثيرة من الذهب والفضة وغيرهما. (له ثمر).(وأحيط بثمره) بفتح الميم والثاء عاصم، وبضم الثاء وسكون الميم أبو عمرو ، وبضمّهما غيرهما .

(١٠) يراجعه الكلام من حار يحور إذا رجع . يعنى قطروس أخذ بيد المسلم يطوف به فى الجنّتين ويريه ما فيهما ويفاخره بما ملك من المال دونه .

(١١) أنصارا وحشما . أو أولادا ذكورا لأنّهم ينفرون معه دون الإناث .

وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ(١) وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ(٢) قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا(٣) ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً(٤) وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا(٥) ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا(٦) ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠(٧) هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا(٨) ﴿٣٨﴾

(١) إحدى جنّتيه. أو سمّاهما جنّة لاتّحاد الحائط ، وجنّتين للنهر الجارى بينهما .

(٢) ضارّ لها بالكفر .

(٣) أى أن تهلك هذه الجنة . شكّ فى بيدودة جنّته لطول أمله وتمادى غفلته واغتراره بالمهلة . وترى أكثر الأغنياء من المسلمين تنطق ألسنة أحوالهم بذلك .

(٤) كائنة .

(٥) إقسام منه على أنّه إن ردّ إلى ربّه على سبيل الفرض كما زعم صاحبه ليجدنّ فى الآخرة خيرا من جنّته فى الدنيا، ادّعاء لكرامته عليه ومكانته عنده. (منقلبا) تمييز أى مرجعا وعاقبة .

(٦) (أكفرت بالذى خلقك من تراب) أى خلق أصلك لأنّ خلق أصله سبب فى خلقه . وكان خلقه خلقا له . (ثمّ من نطفة) أى خلقك من نطفة . (ثم سوّاك رجلا) عدلك وكمّلك إنسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال . جعله كافرا بالله لشكّه فى البعث .

(٧) بالألف فى الوصل شامىّ . الباقون بغير ألف. و بالألف فى الوقف اتّفاق . وأصله لكن أنا فحذفت الهمزة وألقيت حركتها على نون لكن فتلاقت النونان فأدغمت الأولى فى الثانية بعد أن سكنت .

(٨) (هو) ضمير الشأن. والشأن (الله ربّى) . والجملة خبر أنا والراجع منها إليه ياء الضمير وهو استدراك لقوله (أكفرت) . قال لأخيه: أنت كافر بالله لكنّى مؤمن موحّد، كما تقول: زيد غائب لكنّ عمرا حاضر. وفيه حذف. أى أقول هو الله بدليل عطف (ولا أشرك بربّى أحدا).

وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ (١) إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ (٢) مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا (٣) ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ (٤) وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا (٥) مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (٦) ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا (٧) فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا (٨) ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ (٩) فَأَصْبَحَ (١٠)

---

(١) وهلّا (إذ دخلت جنّتك قلت ما شاء الله) . (ما) موصولة مرفوعة المحلّ على أنّها خبر مبتدأ محذوف تقديره الأمر (ما شاء الله) . أو شرطيّة منصوبة الموضع والجزاء محذوف، يعنى أىّ شىء شاء الله كان. والمعنى هلّا قلت عند دخولها والنظر إلى ما رزقك الله منها الأمر (ما شاء الله) اعترافا بأنّها وكلّ ما فيها إنّما حصل بمشيئة الله وأنّ أمرها بيده إن شاء تركها عامرة وإن شاء خرّبها ، (لا قوة إلا بالله) إقرارا بأنّ ما قويت به على عمارتها وتدبير أمرها هو بمعونته وتأييده .

(٢) من قرأ بنصب (أقلّ) فقد جعل(أنا)فصلا. ومَن رفَع — وهو الكسائى — جعله مبتدأ و(أقلّ) خبره ، والجملة مفعولا ثانيا لترنى .

(٣) فيه نصرة لمن فسّر النفر بالأولاد فى قوله (وأعزّ نفرا) .

(٤) (فعسى ربّى أن يؤتين خيرا من جنّتك) فى الدنيا أو فى العقبى .

(٥) عذابا .

(٦) أرضا بيضاء يزلق عليها لملاستها .

(٧) غائرا أى ذاهبا فى الأرض .

(٨) فلا يتأتّى منك طلبه فضلا عن الوجود .

والمعنى إن ترن أفقر منك فأنا أتوقّع من صنع الله أن يقلب ما بى وما بك من الفقر والغنى فيرزقنى لإيمانى جنّة خيرا من جنّتك ويسلبك لكفرك نعمته ويخرّب بساتينك .

(٩) هو عبارة عن إهلاكه . وأصله من أحاط به العدوّ لأنّه إذا أحاط به فقد ملكه واستولى عليه . ثمّ استعمل فى كلّ إهلاك .

(١٠) أى الكافر .

يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ[1] عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ[2] خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا[3] وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا[4] ۝ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ[5] مِن دُونِ ٱللَّهِ[6] وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا[7] ۝ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ[8] لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ۝

(١) (يقلب كفيه) يضرب إحداهما على الأخرى تندما وتحسرا . وإنما صار تقليب الكفين كناية عن الندم والتحسر لأن النادم يقلب كفيه ظهراً لبطن، كما كُنِيَ عن ذلك بعض الكف والسقوط فى اليد . ولأنه فى معنى الندم عدى تعديته بعلى كأنه قيل فأصبح يندم على ما أنفق.

(٢) أى فى عمارتها .

(٣) يعنى أن كرومها المعرشة سقطت عروشها على الأرض وسقطت فوقها الكروم .

(٤) تذكر موعظة أخيه فعلم أنه أُتِيَ من جهة كفره وطغيانه فتمنى لولم يكن مشركا حتى لا يهلك الله بستانه حين لم ينفعه التمنى . ويجوز أن يكون توبة من الشرك وندما على ما كان منه ودخولا فى الإيمان .

(٥) يقدرون على نصرته . (يكن) بالياء حمزة وعلى .

(٦) أى هو وحده القادر على نصرته لا يقدر أحد غيره أن ينصره . إلا أنه لم ينصره لحكمة .

(٧) وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله .

(٨) (الولاية) بكسر الواو، حمزة وعلى . فهى بالفتح النصرة والتولى، وبالكسر السلطان والملك . والمعنى هنالك أى فى ذلك المقام وتلك الحال النصرة لله وحده لا يملكها غيره ولا يستطيعها أحد سواه . تقريرا لقوله (ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله) . أو (هنالك) السلطان والملك (لله) لا يغلب . أو فى مثل تلك الحال الشديدة يتولى الله ويؤمن به كل مضطر . يعنى أن قوله (ياليتنى لم أشرك بربى أحدا) كلمة ألجئ إليها فقالها جزعا مما دهاه من شؤم كفره . ولولا ذلك لم يقلها . أو (هنالك الولاية لله) ينصر فيها أولياءه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم . يعنى أنه نصر فيما فعل بالكافر أخاه المؤمن وصدق قوله (فعسى ربى

وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا (1) ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا (2) وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا (3) ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ (4)

أن يؤتينى خيرا من جنّتك ويرسل عليها حسبانا من السماء) ويؤيّده قوله (هو خير ثوابا وخير عقبا) أى لأوليائه. أو (هنالك) إشارة إلى الآخرة أى فى تلك الدار الولاية لله كقوله (لمن الملك اليوم). (الحقّ) بالرفع أبو عمرو وعلىّ صفة للولاية. أو خبر مبتدأ محذوف، أى هى الحقّ أو هو الحقّ. غيرهما بالجرّ صفة لله. (عقبا) بسكون القاف عاصم وحمزة. وبضمّها غيرهما وفى الشواذ (عقبى) على وزن فعلى. وكلّها بمعنى العاقبة.

(1) أى هى (كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض) فالتفّ بسببه وتكاثف حتّى خالط بعضه بعضا. أو أثّر فى النبات الماء فاختلط به حتّى روى (فأصبح هشيما) يابسا متكسّرا. الواحدة هشيمة (تذروه الرياح) تنسفه وتطيّره. (الريح) حمزة وعلىّ. (وكان الله على كلّ شىء) من الإنشاء والإفناء (مقتدرا) قادرا. شبّه حال الدنيا فى نضرتها وبهجتها وما يتعقّبها من الهلاك والإفناء بحال النبات يكون أخضر ثمّ يهيج فتطيّره الريح كأن لم يكن.

(2) لا زاد القبر وعدّة العقبى.

(3) أعمال الخير التى تبقى ثمرتها للإنسان، أو الصلوات الخمس، أو سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر. (خير عند ربّك ثوابا) جزاء (وخير أملا) لأنّه وعد صادق وأكثر الآمال كاذبة. يعنى أنّ صاحبها يأمل فى الدنيا ثواب الله ويصيبه فى الآخرة.

(4) (و) اذكر (يوم تسيّر الجبال) مكّى وشامىّ وأبو عمرو. أى تسير فى الجوّ أو يذهب بها بأن تجعل هباء منثورا منبثا.

وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً[1] وَحَشَرْنَٰهُمْ[2] فَلَمْ نُغَادِرْ[3] مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا[4] لَّقَدْ جِئْتُمُونَا[5] كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ[6] بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا[7] ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ[8] فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ[9] مِمَّا فِيهِ[10] وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ[11] صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا[12]

(١) ليس عليها ما يسترها ممّا كان عليها من الجبال والأشجار .

(٢) أى الموتى . وإنّما قال (وحشرناهم) ماضيا بعد (نسيّر) و(ترى) للدلالة على حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الأهوال كأنّه قيل (وحشرناهم) قبل ذلك .

(٣) أى فلم نترك . غادره أى تركه ومنه الغدر ترك الوفاء، والغدير ما غادره السيل .

(٤) مصطفّين ظاهرين ترى جماعتهم كما ترى كلّ واحد لا يحجب أحد أحداً . شبهت حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان .

(٥) أى قلنا لهم (لقد جئتمونا) . وهذا المضمر يجوز أن يكون عامل النصب فى (يوم نسيّر) .

(٦) أى لقد بعثناكم كما أنشأناكم أوّل مرّة . أو جئتمونا عراة لا شىء معكم كما خلقناكم أوّلا .

(٧) وقتا لإنجاز ما وعدتم على ألسنة الأنبياء من البعث والنشور . أو مكان وعد للمحاسبة .

(٨) أى صحف الأعمال .

(٩) خائفين .

(١٠) من الذنوب .

(١١) أى لا يترك شيئا من المعاصى .

(١٢) حصرها وضبطها .

وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا(١) وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا(٢) ۝ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ(٣) فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ(٤) فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ(٥) أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِي(٦) وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ(٧) بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا(٨) ۝ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ(٩) خَلْقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ(١٠) وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ(١١)

(١) (حاضرا) فى الصحف عتيدا . أو جزاء (ما عملوا) .

(٢) فيكتب عليه ما لم يعمل أو يزيد فى عقابه أو يعذبه بغير جرم .

(٣) (اسجدوا لآدم) سجود تحيّة أو سجود انقياد .

(٤) وهو مستأنف كأنّ قائلا قال ما له لم يسجد ؟ فقيل (كان من الجنّ) .

(٥) خرج عمّا أمر ربّه به من السجود . وهو دليل على أنّه كان مأمورا بالسجود مع الملائكة .

(٦) الهمزة للإنكار والتعجّب كأنّه قيل أعقيب ما وجد منه تتّخذونه وذرّيته (أولياء من دونى) وتستبدلونهم بى ؟ ومن ذرّيته لاقيس موسوس الصلاة، والأعور صاحب الزنا، وبتر صاحب المصائب، ومطوس صاحب الأراجيف، وداسم يدخل ويأكل مع من لم يسمّ الله تعالى .

(٧) أعداء .

(٨) بئس البدل من الله إبليس لمن استبدله فأطاعه بدل طاعة الله .

(٩) أى إبليس وذرّيته .

(١٠) يعنى أنكم اتخذتموهم شركاء لى فى العبادة وإنّما يكونون شركاء فيها لو كانوا شركاء فى الإلهيّة . فنفى مشاركتهم فى الإلهيّة بقوله (ما أشهدتهم خلق السموات والأرض) لأعتضد بهم فى خلقها ، أو أشاورهم فيه . أى تفرّدت بخلق الأشياء فأفردونى فى العبادة .

(١١) أى ولا أشهدت بعضهم خلق بعض كقوله (ولا تقتلوا أنفسكم) .

وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا(١) ۝ وَيَوْمَ يَقُولُ(٢) نَادُوا۟(٣) شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا(٤) ۝ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟(٥) أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا(٦) وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا(٧) مَصْرِفًا(٨) ۝ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ(٩) وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا(١٠) ۝

(١) أى وما كنت متّخذهم (عضدا) أى أعوانا. فوضع المضلّين موضع الضمير ذمّا لهم بالإضلال . فإذا لم يكونوا عضدا لى فى الخلق فما لكم تتّخذونهم شركاء لى فى العبادة ؟

(٢) (ويوم يقول) الله للكفّار . وبالنون حمزة .

(٣) ادعوا بصوت عال .

(٤) (نادوا شركائى الذين زعمتم) أنّهم فيكم شركائى يمنعوكم من عذابى . وأراد الجنّ وأضاف الشركاء إليه على زعمهم توبيخا لهم (فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا) مهلكا من وبق يبق وبوقا إذا هلك وهو مكان الهلاك والعذاب الشديد أو مصدر كالموعد. أى (وجعلنا بينهم) واديا من أودية جهنّم مشتركا يهلكون فيه جميعا. أو الملائكة وعزيرا وعيسى. والموبق البرزخ البعيد. أى وجعلنا بينهم أمدا بعيدا لأنّهم فى قعر جهنّم وهم فى أعلى الجنان .

(٥) فأيقنوا .

(٦) مخالطوها واقعون فيها .

(٧) عن النار .

(٨) معدلا .

(٩) (من كلّ مثل) يحتاجون إليه .

(١٠) تمييز. أى أكثر الأشياء التى يتأتّى منها الجدل – إن فصّلتها واحدا بعد واحد – خصومة ومماراة بالباطل . يعنى أن جدل الإنسان أكثر من جدل كلّ شىء .

وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا (١) ۝ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ (٢) وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ (٣) لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ (٤) وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى (٥) وَمَآ أُنذِرُوا۟ (٦) هُزُوًا (٧) ۝ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ (٨) فَأَعْرَضَ عَنْهَا (٩) وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً (١٠)

---

(١) (إذ جاءهم الهدى) أى سببه وهو الكتاب والرسول. (أن) الأولى نصب، والثانية رفع. وقبلها مضاف محذوف تقديره (وما منع الناسَ) الإيمانَ والاستغفارَ إلا انتظارُ (أن تأتيهم سنة الأولين) وهى الإهلاك أو انتظارُ (أن يأتيهم العذاب) أى عذاب الآخرة (قبلا) كوفىّ. أى أنواعا جمع قبيل. الباقون (قِبَلا) أى عيانا .

(٢) يوقف عليه ويستأنف بقوله (ويجادل الذين كفروا) .

(٣) هو قولهم للرسل (ما أنتم إلّا بشر مثلنا) (ولو شاء الله لأنزل ملائكة) ونحو ذلك .

(٤) ليزيلوا ويبطلوا بالجدال النبوّة .

(٥) القرآن .

(٦) (ما) موصولة. والراجع من الصلة محذوف أى وما أنذروه من العقاب. أو مصدريّة أى وإنذارَهم .

(٧) موضع استهزاء بسكون الزاى والهمزة حمزة . وبإبدال الهمزة واوا حفص . وبضمّ الزاى والهمزة غيرهما .

(٨) بالقرآن . ولذلك رجع الضمير إليها مذكّرا فى قوله (أن يفقهوه) .

(٩) فلم يتذكّر حين ذكّر ولم يتدبّر .

(١٠) (ونسى) عاقبة (ما قدمت يداه) من الكفر والمعاصى غير متفكّر فيها ولا ناظر فى أنّ المسىء والمحسن لابدّ لهما من جزاء . ثمّ علّل إعراضهم ونسيانهم بأنّهم مطبوع على قلوبهم بقوله (إنّا جعلنا على قلوبهم أكنّة) أغطية . جمع كنان وهو الغطاء . وجمع بعد الإفراد حملا على لفظ (من) ومعناه .

أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا(١) وَإِن تَدْعُهُمْ(٢) إِلَى ٱلْهُدَىٰ(٣) فَلَن يَهْتَدُوٓا۟(٤) إِذًا(٥) أَبَدًا(٦) ۝ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ(٧) ذُو ٱلرَّحْمَةِ(٨) لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ(٩) بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ(١٠) لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا(١١) ۝ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ(١٢)

---

(١) ثقلا عن استماع الحق .

(٢) يا محمد .

(٣) إلى الإيمان .

(٤) فلا يكون منهم اهتداء البتة .

(٥) جزاء وجواب . فدلّ على انتفاء اهتدائهم لدعوة الرسول — بمعنى أنّهم جعلوا ما يجب أن يكون سبب وجود الاهتداء سببا فى انتفائه — وعلى أنّه جواب للرسول على تقدير قوله مالى لا أدعوهم حرصا على إسلامهم ؟ فقيل (وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا) .

(٦) مدّة التكليف كلّها .

(٧) البليغ المغفرة .

(٨) الموصوف بالرحمة .

(٩) أى ومن رحمته ترك مؤاخذته أهل مكّة عاجلا مع فرط عداوتهم لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

(١٠) وهو يوم بدر .

(١١) منجى ولا ملجأ . يقال وأل إذا نجا ووأل إليه إذا لجأ إليه .

(١٢) (وتلك) مبتدأ . (القرى) صفة ، لأنّ أسماء الإشارة توصف بأسماء الأجناس . والخبر (أهلكناهم) . أو (تلك القرى) نصب بإضمار أهلكنا على شريطة التفسير . والمعنى (وتلك) أصحاب (القرى أهلكناهم) . والمراد قوم نوح وعاد وثمود .

لَمَّا ظَلَمُوا(١) وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا(٢) ۝ وَإِذْ(٣) قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ(٤) لَآ أَبْرَحُ(٥) حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا(٦) ۝ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا(٧)

(١) (لمّا ظلموا) مثل ظلم أهل مكّة .

(٢) وضربنا لإهلاكهم وقتا معلوما لا يتأخّرون عنه كما ضربنا لأهل مكّة يوم بدر . والمُهلَك الإهلاك ووقته . وبفتح الميم وكسر اللام حفص . وبفتحهما أبو بكر، أى لوقت هلاكهم أو لهلاكهم . والموعد وقت أو مصدر .

(٣) (و) اذكر (إذ) .

(٤) هو يوشع بن نون . وإنّما قيل فتاه لأنّه كان يخدمه ويتبعه ويأخذ منه العلم .

(٥) (لا أبرح) لا أزال . وقد حذف الخبر لدلالة الحال والكلام عليه . أمّا الأولى فلأنّها كانت حال سفر . وأمّا الثانى فلأنّ قوله (حتّى أبلغ مجمع البحرين) غاية مضروبة تستدعى ما هى غاية له. فلا بدّ أن يكون المعنى (لا أبرح) أسير (حتّى أبلغ مجمع البحرين) . وهو المكان الذى وعد فيه موسى لقاء الخضر عليهما السلام. وهو ملتقى بحر فارس والروم. وسمّى خضرا لأنّه أينما يصلّى يخضرّ ما حوله .

(٦) أو أسير زمانا طويلا ، قيل ثمانون سنة . روى أنّه لمّا ظهر موسى عليه السلام على مصر مع بنى إسرائيل واستقرّوا بها بعد هلاك القبط سأل ربّه : أىّ عبادك أحبّ اليك؟ قال الذى يذكرنى ولا ينسانى. قال: فأى عبادك أقضى؟ قال الذى يقضى بالحقّ ولا يتّبع الهوى . قال: فأىّ عبادك أعلم؟ قال الذى يبتغى علم الناس إلى علمه عسى أن يصيب كلمة تدلّه على هدى أو تردّه عن ردى . فقال : إن كان فى عبادك من هو أعلم منّى فدلّنى عليه . قال أعلم منك الخضر. قال : أين أطلبه ؟ قال على الساحل عند الصخرة . قال: يا ربّ كيف لى به ؟ قال تأخذ حوتا فى مكتل، فحيث فقدته فهو هناك . فقال لفتاه : إذا فقدت الحوت فأخبرنى . فذهبا يمشيان فرقد موسى فاضطرب الحوت ووقع فى البحر. فلمّا جاء وقت الغداء طلب موسى الحوت فأخبره فتاه بوقوعه فى البحر . فأتيا الصخرة فإذا رجل مُسَجّى بثوبه . فسلّم عليه موسى . فقال : وأنّى بأرضنا السلام ؟ فعرّفه نفسه . فقال : يا موسى أنا على علم علّمنيه الله لا تعلمه أنت ، وأنت على علم علّمكه الله لا أعلمه أنا .

(٧) مجمع البحرين .

نَسِيَا حُوتَهُمَا(١) فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ(٢) سَرَبًا(٣) ۝ فَلَمَّا جَاوَزَا(٤) قَالَ(٥) لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا(٦) ۝ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ(٧) فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ(٨) إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ(٩) أَنْ أَذْكُرَهُۥ(١٠) وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا(١١) ۝ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ(١٢)

---

(١) أى نسى أحدهما وهو يوشع لأنه كان صاحب الزاد. دليله (فإنى نسيت الحوت) وهو كقولهم نسوا زادهم وإنما ينساه متعهد الزاد. قيل كان الحوت سمكة مملوحة فنزلا ليلة على شاطئ عين الحياة ونام موسى. فلما أصاب السمكة روح الماء وبرده عاشت ووقعت فى الماء.

(٢) أى اتخذ طريقا له من البر إلى البحر.

(٣) نصب على المصدر أى سرب فيه سربا. يعنى دخل فيه واستتر به.

(٤) (فلما جاوزا) مجمع البحرين ثم نزلا وقد سارا ما شاء الله.

(٥) (قال) موسى.

(٦) تعبا ولم يتعب ولا جاع قبل ذلك.

(٧) هى موضع الموعد.

(٨) وبضم الهاء حفص.

(٩) (وما أنسانيه إلا الشيطان) بإلقاء الخواطر فى القلب.

(١٠) بدل من الهاء فى (أنسانيه) أى وما أنسانى ذكره (إلا الشيطان).

(١١) وهو أن أثره بقى إلى حيث سار.

(١٢) نطلب. وبالياء مكى. وافقه أبو عمرو وعلى ومدنى فى الوصل. وبغير ياء فيهما غيرهما اتباعا لخط المصحف. و(ذلك) إشارة إلى اتخاذه سبيلا، أى (ذلك) الذى كنا نطلب لأن ذهاب الحوت كان علما على لقاء الخضر عليه السلام.

فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا[1] قَصَصًا[2] ۝ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ[3] ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا[4] وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا[5] ۝ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا[6] ۝ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ[7] صَبْرًا[8] ۝ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا[9] ۝ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا[10] وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا[11] ۝ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى[12]

---

(١) فرجعا فى الطريق الذى جاءا فيه .

(٢) يقصّان (قصصا) أى يتّبعان آثارهما اتّباعا . قال الزجاج : القصص اتّباع الأثر.

(٣) أى الخضر راقدا تحت ثوب أو جالسا فى البحر .

(٤) هى الوحى والنبوة أو العلم أو طول الحياة .

(٥) يعنى الإخبار بالغيوب . وقيل العلم اللدنّى ما حصل للعبد بطريق الإلهام .

(٦) أى علما ذا رشد أرشد به فى دينى (رَشَدًا) أبو عمرو وهما لغتان كالبخَل والبخل . وفيه دليل على أنّه لا ينبغى لأحد أن يترك طلب العلم وإن كان قد بلغ نهايته وأن يتواضع لمن هو أعلم منه .

(٧) وبفتح الياء حفص . وكذا ما بعده فى هذه السورة .

(٨) أى عن الإنكار والسؤال .

(٩) تميز . نفى استطاعة الصبر معه على وجه التأكيد . وعلّل ذلك بأنه يتولّى أمورا هى فى ظاهرها مناكير. والرجل الصالح لا يتمالك أن يجزع إذا رأى ذلك فكيف إذا كان نبيّا ؟

(١٠) من الصابرين عن الإنكار والاعتراض .

(١١) فى محل النصب عطف على (صابرا) أى (ستجدنى .... صابرا) وغير عاص . أو هو عطف على (ستجدنى) ولا محلّ له .

(١٢) بفتح اللام وتشديد النون مدنىّ وشامىّ . وبسكون اللام وتخفيف النون غيرهما. والياء ثابتة فيهما إجماعا .

عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا(١) ۝ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا(٢) قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا(٣) لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا(٤) ۝ قَالَ(٥) أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ۝ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ(٦) وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا(٧) ۝ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَـٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا(٨)

(١) أى فمن شرط اتباعك لى أنك إذا رأيت منى شيئا وقد علمت أنه صحيح إلا أنه خفى عليك وجه صحته فأنكرت فى نفسك ألا تفاتحنى بالسؤال ولا تراجعنى فيه حتى أكون أنا الفاتح عليك . وهذا من أدب المتعلم مع العالم والمتبوع مع التابع .

(٢) (فانطلقا) على ساحل البحر يطلبان السفينة. فلما ركباها قال أهلها هما من اللصوص. وقال صاحب السفينة أرى وجوه الأنبياء. فحملوهما بغير نول . فلما لججوا أخذ الخضر الفأس فخرق السفينة بأن قلع لوحين من ألواحها مما يلى الماء فجعل موسى يسد الخرق بثيابه .

(٣) (ليغرق أهلُها) حمزة وعلىّ من غرق .

(٤) أتيت شيئا عظيما من أمِر الأمر إذا عظم .

(٥) أى الخضر .

(٦) لما رأى موسى أن الخرق لا يدخله الماء ولم يفر من السفينة (قال لا تؤاخذنى بما نسيت) بالذى نسيته أو بشىء نسيته أو بنسيانى . أراد أنه نسى وصيته ولا مؤاخذة على الناسى . أو أراد بالنسيان الترك أى لا تؤاخذنى بما تركت من وصيتك أول مرة .

(٧) رهقه إذا غشيه. وأرهقه إياه. أى ولا تغشنى عسرا من أمرى. وهو اتباعه إياه . أى ولا تعسر علىّ متابعتك ويسرها علىّ بالإغضاء وترك المناقشة .

(٨) قيل ضرب برأسه الحائط. وقيل أضجعه ثم ذبحه بالسكين. وإنما قال (فقتله) بالفاء وقال (خرقها) بغير فاء لأن خرقها جعل جزاء للشرط وجعل قتله من جملة الشرط معطوفا عليه والجزاء (قال أقتلت نفسا) وإنما خولف بينهما لأن خرق السفينة لم يتعقب الركوب وقد تعقب القتل لقاء الغلام .

زَكِيَّةً(١) بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا(٢) نُّكْرًا(٣) ۝ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ(٤) إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا(٥) فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا(٦) ۝ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ(٧) اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا(٨) فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا(٩) فَوَجَدَا فِيهَا(١٠) جِدَارًا(١١) يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ(١٢)

(١) (زاكية) حجازى وأبو عمرو . وهى الطاهرة من الذنوب، إما لأنها طاهرة عنده لأنه لم يرها قد أذنبت أو لأنها صغيرة لم تبلغ الحنث .

(٢) أى لم تقتل نفسا فيقتص منها . وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن نجدة الحرورى كتب إليه كيف جاز قتله وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان ؟ فكتب إليه : إن علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك أن تقتل .

(٣) وبضم الكاف حيث كان مدنى وأبو بكر . وهو المنكر . وقيل النكر أقل من الإمر لأن قتل نفس واحدة أهون من إغراق أهل السفينة . أو معناه (جئت شيئا) أنكر من الأول لأن الخرق يمكن تداركه بالسد ولا يمكن تدارك القتل .

(٤) زاد (لك) هنا لأن النكر فيه أكثر .

(٥) بعد هذه الكرة أو المسألة .

(٦) أعذرت فيما بينى وبينك فى الفراق . و (لدنى) بتخفيف النون مدنى وأبو بكر .

(٧) هى أنطاكية أو الأبلة وهى أبعد أرض الله من السماء .

(٨) استضافا .

(٩) ضيفه أنزله وجعله ضيفه قال عليه السلام "كانوا أهل قرية لئاما". وقيل "شر القرى التى تبخل بالقرى" .

(١٠) فى القرية .

(١١) (جدارا) طوله مائة ذراع .

(١٢) يكاد يسقط . استعيرت الإرادة للمداناة والمشارفة كما استعير الهم والعزم لذلك .

فَأَقَامَهُۥ(١) قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا(٢) ۝ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ(٣) سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ۝ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ(٤) فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا(٥) وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ(٦) يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا(٧) ۝ وَأَمَّا الْغُلَٰمُ(٨) فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ

(١) (فأقامه) بيده . أو مسحه بيده فقام واستوى . أو نقضه وبناه .

(٢) كانت الحال حال اضطرار وافتقار إلى المطعم وقد لزّتهما الحاجة إلى آخر كسب المرء وهو المسألة فلم يجدا مواسيا . فلما أقام الجدار لم يتمالك موسى لمّا رأى من الحرمان ومساس الحاجة أن قال (لو شئتَ لاتّخذت عليه أجرا) . أى لطلبت على عملك جعلا حتّى تستدفع به الضرورة . (لتخذت) بتخفيف التاء وكسر الخاء وإدغام الذال بصرىّ . وبإظهارها مكىّ . وبتشديد التاء وفتح الخاء وإظهار الذال حفص . وبتشديد التاء وفتح الخاء وإدغام الذال فى التاء غيرهم . والتاء فى تخذ أصل كما فى تبع . واتّخذ افتعل منه كاتّبع من تبع . وليس من الأخذ فى شىء .

(٣) (هذا) إشارة إلى السؤال الثالث . أى هذا الاعتراض سبب الفراق . والأصل هذا فراقٌ بينى و بينك . وقد قرئ به . فأضيف المصدر إلى الظرف كما يضاف إلى المفعول به .

(٤) قيل كانت لعشرة إخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون فى البحر .

(٥) أجعلها ذات عيب .

(٦) (وكان) أمامهم، أو خلفهم (ملك).وكان طريقهم فى رجوعهم عليه وما كان عندهم خبره . أعلم الله به الخضر . وهو جلندى .

(٧) أى (يأخذ كلّ سفينة) صالحة لا عيب فيها (غصبا) . وإن كانت معيبة تركها . وهو مصدر .أو مفعول له . فان قلت قوله (فأردت أن أعيبها) مسبّب عن خوف الغصب عليها فكان حقّه أن يتأخر عن السبب . قلت المراد به التأخير وإنّما قدّم للعناية .

(٨) وكان اسمه الحسين .

فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا[1] ۝ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا[2] ۝ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ[3] يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ[4] وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا[5] وَكَانَ أَبُوهُمَا[6] صَٰلِحًا[7] فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا[8] وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً[9] مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى[10]

---

(١) تخفنا أن يُغشيَ الوالدين المؤمنين (طغيانا) عليهما (وكفرا) لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه ويُلحق بهما شرًا وبلاء ، أو يعديهما بدائه ويُضلّهما بضلاله فيرتدا بسببه . وهو من كلام الخضر . وإنما خشى الخضر منه ذلك لأنّه تعالى أعلمه بحاله وأطلعه على سرّ أمره . وإن كان من قول الله تعالى فعنى (تخشينا) فعلمنا إن عاش أن يصير سببا لكفر والديه .

(٢) (يبدلها ربهما) مدنىّ وأبو عمرو (خيرا منه زكاة) طهارة ونقاء من الذنوب (وأقرب رحما) رحمة وعطفا . و(زكاة) و(رحما) تمييز . روى أنّه وُلدت لهما جارية تزوّجها نبيّ فولدت نبيًا أو سبعين نبيًا . أو أبدلها ابنا مؤمنا مثلهما . (رُحُما) شامىّ . وهما لغتان .

(٣) أصرم وصريم .

(٤) هى القرية المذكورة .

(٥) أى لوح من ذهب مكتوب فيه: "عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن، وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب ، وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح ، وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل ، وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلّبها بأهلها كيف يطمئنّ إليها . لا إله إلا الله محمد رسول الله". أو مال مدفون من ذهب وفضّة، أو صحف فيها علم. والأول أظهر. وعن قتادة أحلّ الكنز لمن قبلنا وحرّم علينا . وحرّمت الغنيمة عليهم وأحلّت لنا .

(٦) قيل جدّهما السابع .

(٧) ممن يصحبنى . وعن الحسين بن علىّ رضى الله عنهما أنّه قال لبعض الخوارج فى كلام جرى بينهما : بم حفظ الله الغلامين؟ قال بصلاح أبيهما. قال فأبى وجدّى خير منه .

(٨) أى الحلم .

(٩) مفعول له . أو مصدر منصوب بأراد ربّك لأنّه فى معنى رحمهما .

(١٠) وما فعلت ما رأيت (عن أمرى) عن اجتهادى . وإنما فعلته بأمر الله . والهاء تعود إلى الكلّ أو إلى الجدار .

ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ[1] مَا لَمْ تَسْطِع[2] عَّلَيْهِ صَبْرًا ۝ وَيَسْـَٔلُونَكَ[3] عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ[4]

(١) أى الأجوبة الثلاثة .

(٢) حذف التاء تخفيفا .

وقد زلّ أقدام أقوام من الضلال فى تفضيل الولىّ على النبىّ . وهو كفر جلىّ حيث قالوا أمر موسى بالتعلّم من الخضر وهو ولىّ . والجواب أنّ الخضر نبىّ . وإن لم يكن، كما زعم البعض، فهذا ابتلاء فى حقّ موسى عليه السلام. على أنّ أهل الكتاب يقولون إنّ موسى هذا ليس موسى بن عمران ، إنّما هو موسى بن مانان. ومن المحال أن يكون الولىّ وليّا إلّا بإيمانه بالنبىّ ثمّ يكون النبىّ دون الولىّ . ولا غضاضة فى طلب موسى العلم لأنّ الزيادة فى العلم مطلوبة . وإنّما ذكر أوّلا (فأردت) لأنه إفساد فى الظاهر وهو فعله ، وثالثا (فأراد ربّك) لأنّه إنعام محض وغير مقدور البشر ، وثانيا (فأردنا) لأنّه إفساد من حيث الفعل إنعام من حيث التبديل . وقال الزجاج : معنى (فأردنا) فأراد الله عزّ وجل . ومثله فى القرآن كثير .

(٣) (ويسألونك) أى اليهود على جهة الامتحان . أو أبو جهل وأشياعه .

(٤) هو الاسكندر الذى ملك الدنيا . قيل ملكها مؤمنان: ذو القرنين وسليمان، وكافران نمرود وبختنصر . وكان بعد نمرود . وقيل كان عبدا صالحا ملّكه الله الأرض وأعطاه العلم والحكمة وسخّر له النور والظلمة . فإذا سرى يهديه النور من أمامه وتحوطه الظلمة من ورائه . وقيل نبيّاً ، وقيل ملكا من الملائكة . وعن علىّ رضى الله عنه أنّه قال ليس بملك ولا نبىّ ولكن كان عبدا صالحا ضرب على قرنه الأيمن فى طاعة الله فمات . ثمّ بعثه الله فضرب على قرنه الأيسر فمات فبعثه الله فسمّى ذا القرنين . وفيكم مثله ، أراد نفسه . قيل كان يدعوهم إلى التوحيد فيقتلونه فيحييه الله تعالى . وقال عليه السلام سمّى ذا القرنين لأنّه طاف قرنى الدنيا يعنى جانبيها شرقها وغربها . وقيل كان له قرنان أى ضفيرتان أو انقرض فى وقته قرنان من الناس . أو لأنّه ملك الروم وفارس . أو الترك والروم . أو كان لتاجه قرنان . أو على رأسه ما يشبه القرنين أو كان كريم الطرفين أبا وأمّا . وكان من الروم .

قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُم مِّنْهُ(١) ذِكْرًا ۝ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ(٢) وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ(٣) سَبَبًا(٤) ۝ فَأَتْبَعَ سَبَبًا(٥) ۝ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ(٦) وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ(٧) وَوَجَدَ عِندَهَا(٨) قَوْمًا(٩) قُلْنَا يَٰذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ

(١) من ذى القرنين .

(٢) جعلنا له فيها مكانة واعتلاء .

(٣) (من كلّ شيء) أراده من أغراضه ومقاصده فى ملكه .

(٤) طريقا موصّلا إليه . السبب ما يتوصّل به إلى المقصود من علم أو قدرة .

(٥) فأراد بلوغ المغرب (فأتبع سببا) يوصله إليه حتّى بلغ ، وكذلك أراد المشرق فأتبع سببا ، وأراد بلوغ السدّين فأتبع سببا . (فأتبع سببا . ثمّ أتبع) كوفىّ وشامىّ . الباقون بوصل الألف وتشديد التاء . عن الأصمعى : (أتبع) لحق . و (اتّبع) اقتفى وإن لم يلحق .

(٦) أى منتهى العمارة نحو المغرب وكذا المطلع . قال صلّى الله عليه وسلّم «بدء أمره أنّه وجد فى الكتب أنّ أحد أولاد سام يشرب من عين الحياة فيخلّد بجعل يسير فى طلبها والخضر وزيره وابن خالته فظفر فشرب ولم يظفر ذو القرنين» .

(٧) ذات حمأة ، من حمئت البئر إذا صارت فيها الحمأة . (حامية) شامىّ وكوفىّ غير حفص بمعنى حارّة . وعن أبى ذرّ كنت رديف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على جمل فرأى الشمس حين غابت فقال أتدري يا أبا ذرّ أين تغرب هذه ؟ قلت الله ورسوله أعلم . قال فإنّها تغرب فى عين حامية . وكان ابن عباس رضى الله عنهما عند معاوية فقرأ معاوية (حامية) . فقال ابن عباس (حمئة) فقال معاوية لعبد الله بن عمرو كيف تقرؤها ؟ فقال كما يقرأ أمير المؤمنين . ثمّ وجه إلى كعب الأحبار كيف تجد الشمس تغرب ؟ قال فى ماء وطين كذلك نجده فى التوراة . فوافق قول ابن عباس رضى الله عنهما . ولا تنافى . فجاز أن تكون العين جامعة للوصفين جميعا .

(٨) عند تلك العين .

(٩) (قوما) عراة من الثياب لباسهم جلود الصيد وطعامهم ما لفظ البحر . وكانوا كفارا .

وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا[1] ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ[2] عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا[3] فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ[4] وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا[5] ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ[6] لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا[7] سِتْرًا[8] ﴿٩٠﴾

---

(١) إن كان نبيًّا فقد أوحى الله إليه بهذا . وإلا فقد أوحى إلى نبيّ فأمره النبيّ به . أو كان إلهاما . خيّر بين أن يعذّبهم بالقتل إن أصرّوا على أمرهم و بين أن يتّخذ فيهم حسنا بإكرامهم وتعليم الشرائع إن آمنوا . أو التعذيب القتل واتّخاذ الحسن الأسر لأنّه بالنظر إلى القتل إحسان .

(٢) (قال) ذو القرنين (أمّا من ظلم فسوف نعذّبه) بالقتل . (ثم يردّ إلى ربه فيعذّبه) فى القيامة . يعنى أمّا من دعوته إلى الإسلام فأبى إلّا البقاء على الظلم العظيم وهو الشرك فذاك هو المعذّب فى الدارين .

(٣) أى عمل ما يقتضيه الإيمان .

(٤) (فله جزاءً الفعلة (الحسنى) التى هى كلمة الشهادة . (جزاءُ الحسنى) كوفىّ غير أبى بكر ، أى فله الفعلة الحسنى جزاء .

(٥) أى ذا يسر . أى لا نأمره بالصعب الشاقّ ولكن بالسهل المتيسّر من الزكاة والخراج وغير ذلك .

(٦) هم الزنج .

(٧) من دون الشمس .

(٨) أى أبنية . عن كعب أرضهم لاتمسك الأبنية وبها أسراب ، فإذا طلعت الشمس دخلوها فإذا ارتفع النهار خرجوا إلى معايشهم . أو الستر اللباس . عن مجاهد : من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس أكثر من جميع أهل الأرض .

كَذَٰلِكَ[(1)] وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ[(2)] خُبْرًا[(3)] ۝ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۝ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ[(4)] وَجَدَ مِن دُونِهِمَا[(5)] قَوْمًا[(6)] لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا[(7)] ۝ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ[(8)] مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ[(9)] فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا[(10)]

---

(1) أى أمر ذى القرنين (كذلك)، أى كما وصفناه تعظيما لأمره. أو بلغ مطلع الشمس مثل ذلك أى كما بلغ مغربها. أو تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذى تغرب عليهم. يعنى أنهم كفرة مثلهم وحكمهم مثل حكمهم فى تعذيبه لمن بقى منهم على الكفر وإحسانه إلى من آمن منهم.

(2) من الجنود والآلات وأسباب الملك.

(3) نصب على المصدر لأن فى (أحطنا) معنى خبرنا.

(4) بين الجبلين. وهما جبلان سد ذو القرنين ما بينهما. (السُّدين) و(سُدا) مكى وأبو عمرو وحفص. (السَّدين) و(سَدا) حمزة وعلى. وبضمهما غيرهم. قيل ما كان مسدودا خلقة فهو مضموم وما كان من عمل العباد فهو مفتوح. وانتصب (بين) على أنه مفعول به لبلغ كما انجر بالإضافة فى (هذا فراق بينى وبينك) وكما ارتفع فى (لقد تقطع بينكم) لأنه من الظروف التى تستعمل أسماء وظروفا. وهذا المكان فى منقطع أرض الترك مما يلى المشرق.

(5) من ورائهما.

(6) هم الترك.

(7) أى لا يكادون يفهمونه إلا بجهد ومشقة من إشارة ونحوها. (يُفقِهون) حمزة وعلى أى لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لأن لغتهم غريبة مجهولة.

(8) هما اسمان أعجميان بدليل منع الصرف. وهمزهما عاصم فقط. وهما من ولد يافث. أو يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل والديلم.

(9) قيل كانوا يأكلون الناس. وقيل كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يتركون شيئا أخضر إلا أكلوه ولا يابسا إلا احتملوه ولا يموت أحدهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح. وقيل هم على صنفين طوال مفرطو الطول وقصار مفرطو القصر.

(10) (خراجا) حمزة وعلى. أى جعلا نخرجه من أموالنا. ونظيرهما النول والنوال.

عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي[(١)] فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ[(٢)] فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ[(٣)] أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا[(٤)] ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ[(٥)] الْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ[(٦)] قَالَ انفُخُوا[(٧)] حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ[(٨)] نَارًا[(٩)] قَالَ ءَاتُونِيٓ[(١٠)] أُفْرِغْ[(١١)]

---

(١) بالإدغام . وبفكّه مكيّ .

(٢) أى ما جعلنى (فيه) مكينا من كثرة المال واليسار (خير) مما تبذلون لى من الخراج فلا حاجة لى إليه .

(٣) بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل ، وبالآلات .

(٤) جدار أو حاجز حصينا موثقا . والردم أكبر من السدّ .

(٥) قطع الحديد . والزبرة القطعة الكبيرة . قيل حفر الأساس حتى بلغ الماء وجعل الأساس من الصخر والنحاس المذاب . والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى سدّ ما بين الجبلين الى أعلاهما . ثمّ وضع المنافيخ حتى إذا صارت كالنار صبّ النحاس المذاب على الحديد المحمى فاختلط والتصق بعضه ببعضه وصار جبلا صلدا . وقيل بعد ما بين السدّين مائة فرسخ .

(٦) بفتحتين جانبى الجبلين لأنهما يتصادفان أى يتقابلان . (الصُّدُفين) مكيّ وبصريّ وشاميّ . (الصُّدْفين) أبو بكر .

(٧) أى (قال) ذو القرنين للعملة (انفخوا) فى الحديد .

(٨) أى المنفوخ فيه وهو الحديد .

(٩) كالنار .

(١٠) أعطونى (قال ائتونى) بوصل الألف حمزة . وإذا ابتدأ كسر الألف . أى جيئونى .

(١١) أصبّ .

عَلَيْهِ قِطْرًا (١) ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْطَاعُوا (٢) أَن يَظْهَرُوهُ (٣) وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٤) ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي (٥) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي (٦) جَعَلَهُ (٧) دَكَّاءَ (٨) وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩) ﴿٩٨﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ (١٠) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ (١١)

(١) نحاسا مذابا لأنّه يقطر. وهو منصوب بأفرغ. وتقديره آتونى قطرا أفرغ عليه قطرا. فحذف الأوّل لدلالة الثانى عليه.

(٢) بحذف التاء تخفيفًا لأنّ التاء قريبة المخرج من الطاء.

(٣) أن يعلوا السدّ.

(٤) أى لا حيلة لهم فيه من صعود لارتفاعه ولا نقب لصلابته.

(٥) أى هذا السدّ نعمة من الله ورحمة على عباده. أو هذا الإقدار والتمكين من تسويته.

(٦) فإذا دنا مجيء يوم القيامة وشارف أن يأتى.

(٧) أى السدّ.

(٨) (دكّا) أى مدكوكا مبسوطا مسوّى بالأرض. وكلّ ما انبسط بعد ارتفاع فقد اندكّ. (دكّاء) كوفى أى أرضا مستوية.

(٩) آخر قول ذى القرنين.

(١٠) وجعلنا (بعضهم) بعض الخلق (يومئذ يموج) يختلط (فى بعض) أى يضطربون ويختلطون إنسهم وجنّهم حيارى. ويجوز أن يكون الضمير ليأجوج ومأجوج وأنّهم يموجون حين يخرجون ممّا وراء السدّ مزدحمين فى البلاد. وروى أنّهم يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابّه. ثمّ يأكلون الشجر ومن ظفروا به من الناس. ولا يقدرون أن يأتوا مكّة والمدينة وبيت المقدس. ثمّ يبعث الله نغفًا فى أقفائهم فيدخل فى آذانهم فيموتون.

(١١) (ونفخ فى الصور) لقيام الساعة.

فَجَمَعْنَٰهُمْ[1] جَمْعًا[2] ۝ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا[3] ۝ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى[4] وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا[5] ۝ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ[6] إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا[7] ۝ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا[8] ۝ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ[9] فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا[10] ۝ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ[11]

---

(1) أى جمع الخلائق للثواب والعقاب .

(2) تأكيد .

(3) وأظهرناها لهم فرأوها وشاهدوها .

(4) (عن آياتى) التى يُنظر إليها فأذكَّر بالتعظيم . أو عن القرآن وتأمل معانيه .

(5) أى كانوا صمًّا عنه إلا أنه أبلغ إذ الأصم قد يستطيع السمع إذا صيح به . وهؤلاء كأنهم أصميتْ أسماعهم فلا استطاعة بهم للسمع .

(6) أى أفظنّ الكفّار اتخاذهم عبادى ، يعنى الملائكة وعيسى عليهم السلام ، أولياءَ نافعهم . بئس ما ظنّوا. وقيل(أن) بصلتها سدّ مسدّ مفعولى (أفحسب). و(عبادى أولياء) مفعولا (أن يتخذوا) وهذا أوجه . يعنى أنّهم لا يكونون لهم أولياء .

(7) هو ما يقام للنزيل وهو الضيف . ونحوه (فبشّرهم بعذاب أليم) .

(8) (أعمالا). تمييز. وإنّما جمع — والقياس أن يكون مفردا — لتنوّع الأهواء. وهم أهل الكتاب أو الرهبان .

(9) ضاع وبطل. وهو فى محلّ الرفع أى هم (الذين) .

(10) فلا يكون لهم عندنا وزن ومقدار .

(11) هى عطف بيان لجزاؤهم .

بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا[1] ﴿١٠٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ[2] فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا[3] ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا[4] ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ[5]

---

(١) أى جزاؤهم جهنّم بكفرهم واستهزائهم بآيات الله ورسله .

(٢) حال .

(٣) (لا يبغون عنها حولا) تحوّلا إلى غيرها ، رضا بما أعطوا . يقال حال من مكانه حولا . أى لا مزيد عليها حتّى تنازعهم أنفسهم إلى أجمع لإغراضهم وأمانيهم . وهذه غاية الوصف . لأن الإنسان فى الدنيا فى أىّ نعيم كان فهو طامح مائل الطرف إلى أرفع منه . أو المراد نفى التحوّل وتأكيد الخلود .

(٤) (قل لو كان البحر) أى ماء البحر (مدادا) قال أبو عبيدة : المداد ما يكتب به . أى لو كتبت كلمات علم الله وحكمته وكان البحر مدادا لها — والمراد بالبحر الجنس — (لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربّى ولو جئنا بمثله) بمثل البحر مددا لنفد أيضا والكلمات غير نافدة . و(مددا) تمييز نحو لى مثله رجلا . والمدد مثل المداد وهو ما يمدّ به . (ينفد) حمزة وعلىّ . قيل قال حيى بن أخطب فى كتابكم (ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا) ثمّ تقرءون (وما أوتيتم من العلم إلّا قليلا) فنزلت . يعنى أنّ ذلك خير كثير ولكنّه قطرة من بحر كلمات الله .

(٥) فمن كان يأمل حسن لقاء ربّه وأن يلقاه لقاء رضا وقبول . أو فمن كان يخاف سوء لقاء ربّه . والمراد باللقاء القدوم عليه . وقيل رؤيته كما هو حقيقة اللفظ . والرجاء على هذا مجرى على حقيقته .

فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا[1] وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا[2]

(١) خالصا لا يريد به إلّا وجه ربّه ولا يخلط به غيره . وعن يحيى بن معاذ هو ما لا يستحى منه .

(٢) هو نهى عن الشرك أو عن الرياء . قال صلّى الله عليه وسلّم "اتّقوا الشرك الأصغر". قالوا : وما الشرك الأصغر ؟ قال الرياء " .

قال صلّى الله عليه وسلّم "من قرأ سورة الكهف فهو معصوم ثمانية أيّام من كلّ فتنة تكون . فإن يخرج الدجّال فى تلك الثمانية عصمه الله من فتنة الدجّال . ومن قرأ (قل إنّما أنا بشر مثلكم يوحى إلىّ) إلى آخرها عند مضجعه كان له نورا يتلألأ من مضجعه إلى مكّة حشو ذلك النور ملائكة يصلّون عليه حتّى يقوم من مضجعه . وإن كان مضجعه بمكّة فتلاها كان له نورا يتلألأ من مضجعه إلى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلّون عليه ويستغفرون له حتى يستيقظ ".

سورة مريم عليها السلام مكّيّة

وهي ثمان أو تسع وتسعون آية مدنيّ وشاميّ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

كٓهيعٓصٓ (١) ۝ ذِكْرُ (٢) رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ (٣) زَكَرِيَّآ (٤) ۝ إِذْ (٥) نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا (٦) ۝ قَالَ رَبِّ (٧) إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى (٨) وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا (٩)

---

(١) قال السُّدّي هو اسم الله الأعظم. وقيل هو اسم للسورة. قرأ عليّ ويحيى بكسر الهاء والياء. ونافع بين الفتح والكسر وإلى الفتح أقرب. وأبو عمرو بكسر الهاء وفتح الياء. وحمزة بعكسه. وغيرهم بفتحهما.

(٢) خبر مبتدأ أي هذا (ذكر).

(٣) مفعول الرحمة.

(٤) بالقصر حمزة وعليّ وحفص. وهو بدل من (عبده).

(٥) ظرف للرحمة.

(٦) دعاه دعاء سرًّا كما هو المأمور به. وهو أبعد عن الرياء وأقرب إلى الصفاء. أو أخفاه لئلا يلام على طلب الولد في أوان الكبر لأنّه كان ابن خمس وسبعين أو ثمانين سنة.

(٧) هذا تفسير الدعاء. وأصله يا ربّي فحذف حرف النداء والمضاف إليه اختصارا.

(٨) (وهن) ضعف. وخصّ العظم لأنّه عمود البدن وبه قوامه. فإذا وهن تداعى وتساقطت قوّته. ولأنّه أشدّ ما فيه وأصلبه فإذا وهن كان ما وراءه أوهن. ووحّده لأنّ الواحد هو الدالّ على معنى الجنسيّة. والمراد أنّ هذا الجنس الذي هو العمود والقوام وأشدّ ما تركّب منه الجسد قد أصابه الوهن.

(٩) تمييز. أي فشا في رأسي الشيب. واشتعلت النار إذا تفرّقت في التهابها وصارت شعلا. شبّه الشيب بشواظ النار في بياضه، وانتشاره في الشعر وأخذه منه كلّ مأخذ باشتعال النار.

وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ (١) رَبِّ شَقِيًّا (٢) ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ (٣) مِن وَرَآءِى (٤)

ولا ترى كلاما أفصح من هذا . ألا ترى أنّ أصل الكلام يارب قد شخت . إذ الشيخوخة تشتمل على ضعف البدن وشيب الرأس المتعرض لها . وأقوى منه ضعف بدنى وشاب رأسى . ففيه التقرير للتفصيل . وأقوى منه وهنت عظام بدنى . ففيه عدول عن التصريح إلى الكناية فهى أبلغ منه . وأقوى منه أنا وهنت عظام بدنى . وأقوى منه إنى وهنت عظام بدنى . وأقوى منه إنّى وهنت العظام من بدنى ففيه سلوك طريق الإجمال والتفصيل . وأقوى منه إنّى وهنت العظام منّى ففيه ترك توسيط البدن . وأقوى منه إنّى وهن العظم منّى لشمول الوهن العظام فردا فردا باعتبار ترك جمع العظم إلى الإفراد لصحّة حصول وهن المجموع بالبعض دون كلّ فرد فرد . ولهذا تركت الحقيقة فى شاب رأسى إلى أبلغ وهى الاستعارة لحصل اشتعل شيب رأسى . وأبلغ منه اشتعل رأسى شيبا لإسناد الاشتعال إلى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس لإفادة شمول الاشتعال الرأس . إذ وزان اشتعل شيب رأسى واشتعل رأسى شيبا وزان اشتعل النار فى بيتى واشتعل بيتى نارا . والفرق نيّر . ولأن فيه الإجمال والتفصيل كما عرف فى طريق التمييز . وأبلغ منه واشتعل الرأس منّى شيبا لما مرّ . وأبلغ منه واشتعل الرأس شيبا ففيه اكتفاء بعلم المخاطب أنّه رأس زكريا بقرينة العطف على وهن العظم .

(١) مصدر مضاف إلى المفعول أى بدعائى إيّاك .

(٢) أى كنت مستجاب الدعوة قبل اليوم سعيدا به غير شقىّ فيه . يقال سعد فلان بحاجته إذا ظفر بها وشقى إذا خاب ولم ينلها . وعن بعضهم أنّ محتاجا سأله وقال أنا الذى أحسنت إلىّ وقت كذا . فقال مرحبا بمن توسّل بنا إلينا وقت حاجته . وقضى حاجته .

(٣) هم عصبته: إخوته وبنو عمه . وكانوا شرار بنى إسرائيل فخافهم أن يغيّروا الدين وألّا يحسنوا الخلافة على أمّته فطلب عقبا صالحا من صلبه يقتدى به فى إحياء الدين .

(٤) بعد موتى . وبالقصر وفتح الياء كهداى مكّىّ . وهذا الظرف لا يتعلّق بخفت لأنّ وجود خوفه بعد موته لا يتصوّر . ولكن بمحذوف . أو بمعنى الولاية فى (الموالى)، أى خفت فعل (الموالى) وهو تبديلهم وسوء خلافتهم (من ورائى) . أو (خفت) الذين يلون الأمر (من ورائى) .

وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا[1] فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ[2] وَلِيًّا[3] ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ[4] وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا[5] ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ[6] لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا[7] ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ[8] وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا[9] ﴿٨﴾

(١) عقيما لا تلد .

(٢) اختراعا منك بلا سبب لأن امرأتى لا تصلح للولادة .

(٣) ابنا يلى أمرك بعدى .

(٤) (يرثنى ويرث) برفعهما صفة لوليا (من آل يعقوب) بن إسحق . أى هب لى ولدا وارثا منّى العلم ومن آل يعقوب النبوّة . ومعنى وراثة النبوّة أنه يصلح لأن يوحى إليه . ولم يرد أنّ نفس النبوّة تورث . ويجزمهما أبو عمرو وعلىّ على أنّه جواب للدعاء . يقال ورثته وورثت منه .

(٥) مرضيّا ترضاه أو راضيا عنك وبحكمك .

(٦) فأجاب الله تعالى دعاءه وقال (يا زكريّا إنّا نبشّرك بغلام اسمه يحيى) . تولّى الله تسميته تشريفا له .(نَبْشُرك) بالتخفيف حمزة .

(٧) لم يسمّ أحد بيحيى قبله . وهذا دليل على أنّ الاسم الغريب جدير بالأثرة . وقيل مثلا وشبيها ولم يكن له مثل فى أنّه لم يعص ولم يهمّ بمعصية قطّ وأنّه ولد بين شيخ وعجوز وأنه كان حصورا .

(٨) فلمّا بشّرته الملائكة به قال ربّ (أنّى يكون لى غلام) . كيف يكون لى غلام ؟ وليس هذا باستبعاد ، بل هو استكشاف أنّه بأىّ طريق يكون ؟ أيوهب له وهو وامرأته بتلك الحال أم يحوّلان شابّين ؟

(٩) أى بلغت عتيّا — وهو اليبس والجساوة فى المفاصل والعظام كالعود اليابس — من أجل الكبر والطعن فى السنّ العالية . (عتيّا) و (صليّا) و (جثيّا) و (بكيّا) بكسر الأوائل حمزة وعلىّ ، وحفص إلّا فى (بُكيّا) .

قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ[١] وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ[٢] وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا[٣] ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً[٤] قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا[٥] ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ[٦] فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ[٧] أَن[٨] سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا[٩] ﴿١١﴾ يَٰيَحْيَىٰ[١٠] خُذِ ٱلْكِتَٰبَ[١١] بِقُوَّةٍ[١٢] وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ[١٣] صَبِيًّا[١٤] ﴿١٢﴾

(١) الكاف رفع. أى الأمر (كذلك). تصديق له. ثمّ ابتدأ (قال ربّك). أو نصب بقال. و (ذلك) إشارة إلى مبهم يفسّره (هو علىّ هيّن) أى خلق يحيى من كبيرين سهل.

(٢) أوجدتك من قبل يحيى. (خلقناك) حمزة وعلىّ.

(٣) لأنّ المعدوم ليس بشىء.

(٤) علامة أعرف بها حبل امرأتى.

(٥) حال من ضمير (تكلّم) أى حال كونك سوىّ الأعضاء واللسان. يعنى علامتك أن تمنع الكلام فلا تطيقه وأنت سليم الجوارح ما بك خرس ولا بكم. ودلّ ذكر الليالى هنا والأيّام فى آل عمران على أنّ المنع من الكلام استمرّ به ثلاثة أيّام ولياليهنّ إذ ذكر الأيّام يتناول ما بإزائها من الليالى. وكذا ذكر الليالى يتناول ما بإزائها من الأيّام عرفا.

(٦) من موضع صلاته. وكانوا ينتظرونه.

(٧) ولم يقدر أن يتكلّم (فأوحى إليهم) أشار بأصبعه

(٨) (أن) هى المفسّرة.

(٩) صلّوا صلاة الفجر والعصر.

(١٠) أى وهبنا له يحيى وقلنا له بعد ولادته وأوانّ الخطاب (يا يحيى).

(١١) التوراة.

(١٢) حال أى بجدّ واستظهار بالتوفيق والتأييد.

(١٣) الحكمة. وهو فهم التوراة والفقه فى الدين.

(١٤) حال. قيل دعاه الصبيان إلى اللعب وهو صبىّ فقال: ما للّعب خلقنا.

وَحَنَانًا(١) مِّن لَّدُنَّا(٢) وَزَكَوٰةً(٣) وَكَانَ تَقِيًّا(٤) ۝ وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ(٥) وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا(٦) عَصِيًّا(٧) ۝ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا(٨) ۝ وَٱذْكُرْ(٩) فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ(١٠) ٱنتَبَذَتْ(١١) مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ۝

---

(١) شفقة ورحمة لأبويه وغيرهما . عطفا على (الحكم) .

(٢) من عندنا .

(٣) أى طهارة وصلاحا فلم يعمد بذنب .

(٤) مسلما مطيعا .

(٥) وبارًا بهما لا يعصيهما .

(٦) متكبّرا .

(٧) عاصيا لربّه .

(٨) أمان من الله له (يوم ولد) من أن ينـاله الشيطان (ويوم يموت) من فتّانى القبر (ويوم يبعث حيّاً) من الفزع الأكبر . قال ابن عيينة إنّها أوحش المواطن .

(٩) (واذكر) يا محمد أى اقرأ عليهم فى القرآن قصّة مريم ليقفوا عليها ويعلموا ما جرى عليها .

(١٠) بدل من (مريم) بدل اشتمال إذ الأحيان مشتملة على ما فيها . وفيه أنّ المقصود بذكر مريم ذكر وقتها هذا لوقوع هذه القصّة العجيبة فيه .

(١١) أى اعتزلت (مكانا) ظرف . أى تخلّت للعبادة فى مكان مما يلى شرقىّ بيت المقدس ، أو من دارها معتزلة عن الناس . وقيل قعدت فى مشرقه للاغتسال من الحيض .

فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا(١) فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا(٢) فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا(٣) ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا(٤) ﴿١٨﴾ قَالَ(٥) إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ(٦) لِأَهَبَ لَكِ(٧) غُلَامًا زَكِيًّا(٨) ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ(٩) يَكُونُ لِي غُلَامٌ(١٠) وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ(١١)

---

(١) جعلت بينها وبين أهلها حجابا يسترها لتغتسل وراءه .

(٢) جبريل عليه السلام . والإضافة للتشريف . وإنما سمّى روحا لأن الدين يحيا به وبوحيه .

(٣) أى فتمثل لها جبريل فى صورة آدمىّ شابّ أمرد وضئ الوجه جعد الشعر . مستوى الخلق . وإنما مثّل لها فى صورة الإنسان لتستأنس بكلامه ولا تنفِر عنه . ولو بدا لها فى صورة الملائكة لنفرت ولم تقدر على استماع كلامه .

(٤) أى إن كان يرجى منك أن تتقى الله فإنى عائذة به منك .

(٥) (قال) جبريل عليه السلام .

(٦) أمنها مما خافت وأخبر أنه ليس بآدمىّ بل هو رسول من استعاذت به .

(٧) (لأهب لك) بإذن الله تعالى. أو لأكون سببا فى هبة الغلام بالنفخ فى الدرع. (ليهب لك) أى الله أبو عمرو ونافع .

(٨) طاهرا من الذنوب أو ناميا على الخير والبركة .

(٩) كيف .

(١٠) ابن .

(١١) زوج بالنكاح .

وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا[1] ﴿٢٠﴾ قَالَ[2] كَذَٰلِكِ[3] قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ[4] وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ[5] وَرَحْمَةً مِّنَّا[6] وَكَانَ[7] أَمْرًا مَّقْضِيًّا[8] ﴿٢١﴾ فَحَمَلَتْهُ[9] فَٱنتَبَذَتْ[10] بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا[11] ﴿٢٢﴾

(١) فاجرة تبغى الرجال . أى تطلب الشهوة من أىّ رجل كان . ولا يكون الولد عادة إلّا من أحد هذين . والبغىّ فعول عند المبرّد . بغوى فقلبت الواو ياء وأدغمت وكسرت الغين إتباعا . ولذا لم تلحق تاء التأنيث كما لم تلحق فى امرأة صبور وشكور . وعند غيره هى فعيل ولم تلحقها الهاء لأنها بمعنى مفعولة . وإن كانت بمعنى فاعلة فهو قد يشبّه به مثل (إنّ رحمة الله قريب).

(٢) (قال) جبريل .

(٣) أى الأمر كما قلت لم يمسسك رجل نكاحا أو سفاحا .

(٤) أى إعطاء الولد بلا أب علىّ سهل .

(٥) تعليل معلّله محذوف ، أى (ولنجعله آية للناس) فعلنا ذلك . أو هو معطوف على تعليل مضمر أى لنبيّن به قدرتنا (ولنجعله آية للناس) اى عبرة وبرهانا على قدرتنا .

(٦) (ورحمة منّا) لمن آمن به .

(٧) (وكان) خلق عيسى .

(٨) مقدّرا مسطورا فى اللوح .

(٩) فلمّا اطمأنت إلى قوله دنا منها فنفخ فى جيب درعها فوصلت النفخة إلى بطنها (فحملته) . أى الموهوب وكانت سنّها ثلاث عشرة سنة أو عشرا أو عشرين .

(١٠) اعتزلت وهو فى بطنها . والجارّ والمجرور فى موضع الحال . عن ابن عباس رضى الله عنهما كانت مدّة الحمل ساعة واحدة كما حملته نبذته . وقيل ستّة أشهر وقيل سبعة وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية إلّا عيسى . وقيل حملته فى ساعة ووضعته فى ساعة .

(١١) بعيدا من أهلها وراء الجبل . وذلك لأنّها لمّا أحسّت بالحمل هربت من قومها مخافة اللائمة .

فَأَجَآءَهَا[1] ٱلْمَخَاضُ[2] إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ[3] قَالَتْ يَـٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَـٰذَا[4] وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا[5] ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ[6] أَلَّا تَحْزَنِى[7] قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا[8] ﴿٢٤﴾

(١) جاء بها وقيل ألجأها . وهو منقول من جاء إلّا أنّ استعماله قد تغيّر بعد النقل إلى معنى الإلجاء . ألا تراك لا تقول جئت المكان وأجاءنيه زيد .

(٢) وجع الولادة .

(٣) أصلها . وكانت يابسة . وكان الوقت شتاء . وتعريفها مشعر بأنّها كانت نخلة معروفة . وجاز أن يكون التعريف للجنس أى جذع هذه الشجرة كأنّه تعالى أرشدها إلى النخلة ليطعمها منها الرطب لأنّه خُرْسَةُ النفساء أى طعامها .

(٤) (قالت) جزعا ممّا أصابها (ياليتنى مت قبل هذا) اليوم . (مِت) مدنىّ وكوفىّ غير أبى بكر . وغيرهم بالضمّ . يقال مات يموت ومات يمات .

(٥) شيئا متروكا لا يعرف ولا يذكر . بفتح النون حمزة وحفص . وبالكسر غيرهما . ومعناهما واحد . وهو الشىء الذى حقّه أن يطرح وينسى لحقارته

(٦) (مَن تحتها) أى الذى تحتها . فمن فاعل وهو جبريل عليه السلام لأنّه كان بمكان منخفض عنها . أو عيسى عليه السلام لأنّه خاطبها من تحت ذيلها . (مِن تحتها) مدنىّ وكوفىّ سوى أبى بكر . والفاعل مضمر وهو عيسى عليه السلام أو جبريل . والهاء فى (تحتها) للنخلة .

(٧) (ألا تحزنى) لشدّة ما لقيت . سلّيت بقوله (لا تحزنى) لا تهتمى بالوحدة وعدم الطعام والشراب ومقالة الناس . و(أن) بمعنى أى .

(٨) (قد جعل ربّك) بقربك أو تحت أمرك إن أمرته أن يجرى جرى وإن أمرته أن يقف وقف (سريّا) نهرا صغيرا . عند الجمهور . وسئل النبىّ صلى الله عليه وسلم عن السرىّ فقال هو الجدول . وعن الحسن سيّدا كريما يعنى عيسى عليه السلام . وروى أنّ خالد بن صفوان قال له إنّ العرب تسمّى الجدول سريّا . فقال الحسن صدقت . ورجع إلى قوله .

وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ [١] تُسَـٰقِطْ [٢] عَلَيْكِ رُطَبًا [٣] جَنِيًّا [٤] ۝ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا [٥] فَإِمَّا [٦] تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَـٰنِ صَوْمًا [٧]

---

(١) قال ابن عباس رضى الله عنهما ضرب عيسى أو جبريل عليهما السلام بعقبه الأرض فظهرت عين ماء عذب بجرى النهر اليابس فاخضرّت النخلة وأثمرت وأينعت ثمرتها فقيل لها (وهزّى إليك) حرّكى إلى نفسك (بجذع النخلة) قال أبو علىّ الباء زائدة . أى هزّى جذع النخلة .

(٢) بإدغام التاء الأولى فى الثانية مكىّ ومدنىّ وشامىّ وأبو عمرو وعلىّ وأبو بكر . والأصل تتساقط بإظهار التاءين. و(تساقط) بفتح التاء والقاف وطرح التاء الثانية وتخفيف السين حمزة. و(يسّاقط) بفتح الياء والقاف وتشديد السين يعقوب وسهل وحمّاد ونصير. و(تُساقط) حفص من المفاعلة. وتسقط و يسقط وتسقط و يسقط ــ التاء للنخلة والياء للجذع. فهذه تسع قراءات.

(٣) تمييز أو مفعول به على حسب القراءة .

(٤) طريّاً . وقالوا التمر للنفساء عادة من ذلك الوقت . وقيل ما للنفساء خير من الرطب ولا للمريض من العسل .

(٥) (فكلى) من الجنىّ (واشربى) من السرىّ (وقرّى عينا) بالولد الرضىّ . و(عينا) تمييز أى طيبى نفسا بعيسى وارفضى عنك ما أحزنك .

(٦) أصله إن ما فضمّت إن الشرطية إلى ما وأدغمت فيها .

(٧) أى فإن رأيت آدمياً يسألك عن حالك (فقولى إنّى نذرت للرحمن) صمتا وإمساكا عن الكلام . وكانوا يصومون عن الكلام كما يصومون عن الأكل والشرب . وقيل صياما حقيقة وكان صيامهم فيه الصمت فكان التزامه التزامه . وقد نهى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن صوم الصمت . فصار ذلك منسوخا فينا . وإنّما أمرت أن تنذر السكوت لأنّ عيسى عليه السلام يكفيها الكلام بما يبرّئ به ساحتها، ولئلا تجادل السفهاء . وفيه دليل على أنّ السكوت عن السفيه واجب . وما قُدِعَ سفيه بمثل الإعراض ، ولا أطلق عنانه بمثل العِراض . وإنّما أخبرتهم بأنّها نذرت الصوم بالإشارة . وقد تسمّى الإشارة كلاما وقولا . ألا ترى إلى قول الشاعر فى وصف القبور * وتكلّمت عن أوجه تبلى * وقيل كان وجوب الصمت بعد هذا الكلام . أو سوّغ لها هذا القدر بالنطق .

فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا[1] ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُواْ يَـٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا[2] ﴿٢٧﴾ يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ[3] مَا كَانَ أَبُوكِ[4] ٱمْرَأَ سَوْءٍ[5] وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ[6] بَغِيًّا[7] ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا[8] ﴿٢٩﴾

---

(١) آدميا .

(٢) (فأتت) بعيسى (قومها) بعد ما طهرت من نفاسها (تحمله) حال منها . أى أقبلت نحوهم حاملة إياه . فلما رأوه معها (قالوا يامريم لقدجئت شيئا فريا) بديعا عجيبا . والفرى القطع . كأنه يقطع العادة .

(٣) وكان أخاها من أبيها ومن أفضل بنى إسرائيل. أو هو أخو موسى عليه السلام . وكانت من أعقابه وبينهما ألف سنة . وهذا كما يقال يا أخا همدان أى يا واحدا منهم . أو رجل صالح أو طالح فى زمانها شبهوها به فى الصلاح أو شتموها به .

(٤) عمران .

(٥) زانيا .

(٦) حنة .

(٧) زانية

(٨) (فأشارت) الى عيسى أن يجيبهم. وذلك أن عيسى عليه السلام قال لها لا تحزنى وأحيلى بالجواب على . وقيل أمرها جبريل بذلك . ولما أشارت إليه غضبوا وتعجبوا و(قالوا كيف نكلم من كان) حدث ووجد (فى المهد) المعهود (صبيا) حال .

قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ(١) ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَـٰبَ(٢) وَجَعَلَنِي نَبِيًّا(٣) ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ(٤) وَأَوْصَـٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ(٥) مَا دُمْتُ حَيًّا(٦) ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِي(٧) وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا(٨) شَقِيًّا(٩) ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا(١٠) ﴿٣٣﴾

---

(١) لمّا أسكتت بأمر الله لسانها الناطق أنطق الله لها اللسان الساكت حتّى اعترف بالعبوديّة وهو ابن أربعين ليلة أو ابن يوم . روى أنّه أشار بسبابته وقال بصوت رفيع (إنّى عبد الله) . وفيه ردّ لقول النصارى .

(٢) الإنجيل .

(٣) روى عن الحسن أنّه كان فى المهد نبيّا. وكلامه معجزته . وقيل معناه أنّ ذلك سبق فى قضائه أو جعل الآتى لا محالة كأنّه وجد .

(٤) نفّاعا حيث كنت أو معلّما للخير .

(٥) وأمرنى (بالصلاة والزكاة) إن ملكت مالا . وقيل صدقة الفطر أو تطهير البدن. ويحتمل بأن آمركم (بالصلاة والزكاة) .

(٦) نصب على الظرف أى مدّة حياتى .

(٧) عطفا على (مباركا) أى بارّا بها أكرمها وأعظّمها .

(٨) متكبّرا .

(٩) عاقّا .

(١٠) (يوم) ظرف . والعامل فيه الخبر وهو (علىّ) أى ذلك السلام الموجّه إلى يحيى فى المواطن الثلاثة موجّه إلىّ إن كان حرف التعريف للعهد . وإن كان للجنس فالمعنى وجنس السلام (علىّ) . وفيه تعريض باللعنة على أعداء مريم وابنها لأنّه إذا قال وجنس السلام علىّ فقد عرّض بأن ضدّه عليكم إذ المقام مقام مناكرة وعناد فكان مئنّة لمثل هـذا التعريض .

ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ(١) قَوْلَ ٱلْحَقِّ(٢) ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ(٣) ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ(٤) أَن يَتَّخِذَ مِن(٥) وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ(٦) إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ(٧) ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ(٨) ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ(٩) ﴿٣٦﴾

---

(١) (ذلك) مبتدأ (عيسى) خبره (ابن مريم) نعته أو خبر ثان . أى (ذلك) الذى قال إنى كذا وكذا (عيسى بن مريم) لا كما قالت النصارى إنه إله أو ابن الله .

(٢) (قولَ الحقّ) كلمةُ الله . فالقول الكلمة . والحقّ الله . وقيل له (كلمة الله) لأنّه ولد بقوله كن بلا واسطة أب . وارتفاعه على أنه خبر بعد خبر . أو خبر مبتدأ محذوف أو بدل من عيسى . ونصبه شامىّ وعاصم على المدح أو على المصدر . أى أقول (قول الحقّ) هو ابن مريم وليس بإله كما يدّعونه .

(٣) يشكّون من المرية الشكّ. أو يختلفون من المراء فقالت اليهود ساحر كذاب. وقالت النصارى ابن الله وثالث ثلاثة .

(٤) ما ينبغى له .

(٥) جىء بمن لتأكيد النفى .

(٦) نزّه ذاته عن اتّخاذ الولد .

(٧) بالنصب شامىّ . أى كما قال لعيسى كن فكان من غير أب . ومن كان متّصفا بهذا كان منزّها أن يشبه الحيوان الوالد .

(٨) (وإنّ) بالكسر شامىّ وكوفىّ على الابتداء. وهو من كلام عيسى. يعنى كما أنا عبده فأنتم عبيده، علىّ وعليكم أن نعبده . ومن فتح عطف على (بالصلاة) أى (وأوصانى بالصلاة وبالزكاة) وبأنّ (الله ربّى وربّكم) أو علّقه بما بعده أى ولأنّ (الله ربّى وربّكم فاعبدوه) .

(٩) فاعبدوه ولا تشركوا به شيئا (هذا) الذى ذكرت .

فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ⁽¹⁾ مِنۢ بَيۡنِهِمۡ⁽²⁾ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ⁽³⁾ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ⁽⁴⁾ ﴿٣٧﴾ أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ⁽⁵⁾ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ⁽⁶⁾ ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٣٨﴾

(١) الحزب الفرقة المنفردة برأيها عن غيرها . وهم ثلاث فرق نسطوريّة ويعقوبيّة وملكانيّة .

(٢) من بين أصحابه أو من بين قومه أو من بين الناس . وذلك أنّ النصارى اختلفوا في عيسى حين رفع ثمّ اتّفقوا على أن يرجعوا إلى قول ثلاثة كانوا عندهم أعلم أهل زمانهم وهو يعقوب ونسطور وملكان . فقال يعقوب : هو الله هبط إلى الأرض ثمّ صعد إلى السماء . وقال نسطور : كان ابن الله أظهره ما شاء ثمّ رفعه إليه . وقال الثالث : كذبوا كان عبدا مخلوقا نبيّا . فتبع كلّ واحد منهم قوم .

(٣) من الأحزاب إذ الواحد منهم على الحقّ .

(٤) هو يوم القيامة . أو من شهودهم هول الحساب والجزاء في يوم القيامة ، أو من شهادة ذلك اليوم عليهم وأن تشهد عليهم الملائكة والأنبياء وجوارحهم بالكفر . أو من مكان الشهادة أو وقتها . أو المراد يوم اجتماعهم للتشاور فيه . وجعله عظيما لفظاعة ما شهدوا به في عيسى .

(٥) الجمهور على أنّ لفظه أمر ومعناه التعجّب والله تعالى لا يوصف بالتعجّب . ولكن المراد أنّ إسماعهم وإبصارهم جدير بأن يتعجّب منهما بعد ما كانوا صمّا وعميا في الدنيا . قال قتادة إن عموا وصمّوا عن الحقّ في الدنيا فما أسمعهم وما أبصرهم بالهدى يوم لا ينفعهم ! و(بهم) مرفوع المحلّ على الفاعليّة كأكرم بزيد فمعناه كرم زيد جدّا .

(٦) أقيم الظاهر مقام المضمر — أى لكنّهم (اليوم) في الدنيا بظلمهم أنفسهم حيث تركوا الاستماع والنظر حين يجدى عليهم ووضعوا العبادة في غير موضعها (في ضلال) عن الحقّ (مبين) ظاهر ، وهو اعتقادهم عيسى إلها معبودا مع ظهور آثار الحدث فيه — إشعارا بأن لا ظلم أشدّ من ظلمهم .

وَأَنذِرْهُمْ(١) يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ(٢) إِذْ قُضِىَ(٣) ٱلْأَمْرُ(٤) وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ(٥) ۝ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا(٦) وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ(٧) ۝ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِبْرَٰهِيمَ(٨) إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا(٩) ۝ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ(١٠)

(١) خوّفهم .

(٢) يوم القيامة لأنّه يقع فيه الندم على ما فات . وفي الحديث "إذا رأوا منازلهم في الجنّة أن لو آمنوا" .

(٣) بدل من يوم الحسرة أو ظرف لحسرة وهو مصدر .

(٤) فرغ من الحساب وتصادر الفريقان إلى الجنّة والنار .

(٥) (وهم فى غفلة) هنا عن الاهتمام لذلك المقام (وهم لا يؤمنون) لا يصدّقون به . و(هم) و(هم) حالان أى وأنذرهم على هذا الحال غافلين غير مؤمنين .

(٦) أى نتفرّد بالملك والبقاء ، عند تعميم الهلك والفناء . وذكر (من) لتغليب العقلاء .

(٧) بضم الياء وفتح الجيم . وفتح اليـاء يعقوب أى يردّون . فيجازون جزاء وفاقا .

(٨) (واذكر) لقومك (فى الكتاب) القرآن (إبراهيم) قصّته مع أبيه . والمراد بذكر الرسول إيّاه وقصّته فى الكتاب أن يتلو ذلك على الناس ويبلّغه إيّاهم كقوله (واتل عليهم نبأ إبراهيم) . وإلّا فالله عزّ وعلا هو ذاكره ومورده فى تنزيله .

(٩) (نبيّا) بغير همز. وهمزه نافع. قيل: الصادق المستقيم فى الأفعال، والصدّيق المستقيم فى الأحوال. فالصدّيق من أبنية المبالغة. ونظيره الضحّيك . والمراد فرط صدقه وكثرة ما صدّق به من غيوب الله وآياته وكتبه ورسله . أى كان مصدّقا لجميع الأنبياء وكتبهم وكان نبيّا فى نفسه. وهذه الجملة وقعت اعتراضا بين إبراهيم وبين ما هو بدل منه وهو (إذ قال) . وجاز أن يتعلّق (إذ) بكان أو بصدّيقا نبيّا. أى كان جامعا لخصائص الصدّيقين والأنبياء حين خاطب أباه بتلك المخاطبات .

(١٠) بكسر التاء . وفتحها ابن عامر . والتـاء عوض من ياء الإضافة . ولا يقال يا أبتى لئلا يجمع بين العوض والمعوّض منه .

لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ[1] وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا[2] ۝ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ[3] مَا لَمْ يَأْتِكَ[4] فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ[5] صِرَٰطًا سَوِيًّا[6] ۝ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ[7] إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا[8] ۝ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ[9] أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا[10] ۝

(١) المفعول فيهما منسيّ غير منويّ. ويجوز أن يقدر أى لا يسمع شيئا ولا يبصر شيئا .

(٢) يحتمل أن يكون (شيئا) فى موضع المصدر أى (شيئا) من الإغناء، وأن يكون مفعولا به من قولك : أغن عنّى وجهك أى بعّد .

(٣) الوحى أو معرفة الربّ .

(٤) (ما) فى (ما لا يسمع) و(ما لم يأتك) يجوز أن تكون موصولة او موصوفة .

(٥) أرشدك .

(٦) مستقيما .

(٧) لا تطعه فيما سوّل من عبادة الصنم .

(٨) عاصيا .

(٩) قيل أعلم .

(١٠) قرينا فى النار تليه ويليك . فانظر فى نصيحته كيف راعى المجاملة والرفق والخلق الحسن كما أمر. ففى الحديث "أوحى الى إبراهيم : إنّك خليلى . حسّن خلقك ولو مع الكفّار ، تدخل مداخل الأبرار" . فطلب منه أوّلا العلّة فى خطئه طلب منبّه على تماديه ، موقظ لإفراطه وتناهيه لأنّ من يعبد أشرف الخلق منزلة — وهم الأنبياء — كان محكوما عليه بالغيّ المبين . فكيف بمن يعبد حجرا أو شجرا لا يسمع ذكر عابده ، ولا يرى هيئات عبادته ، ولا يدفع عنه بلاء ، ولا يقضى له حاجه ؟ ثمّ ثنّى بدعوته إلى الحقّ مترفّقا به متلطّفا فلم يسمّ أباه بالجهل المفرط ، ولا نفسه بالعلم الفائق . ولكنّه قال: إنّ معى شيئا من العلم ليس معك. وذلك علم الدلالة على الطريق السوىّ. فهب أنّى وإيّاك فى مسير ، وعندى معرفة بالهداية دونك

قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾

فاتبعنى أنجك من أن تضل وتتيه . ثم ثلث بنهيه عما كان عليه بأن الشيطان الذى عصى الرحمن الذى جميع النعم منه ، أوقعك فى عبادة الصنم وزينها لك . فأنت عابده فى الحقيقة . ثم ربع بتخويفه سوء العاقبة وما يجره ما هو فيه من التبعة والوبال ، مع مراعاة الأدب حيث لم يصرح بأن العقاب لاحق به ، وأن العذاب لاصق به . بل قال (أخاف أن يمسك عذاب) بالتنكير المشعر بالتقليل . كأنه قال إنى أخاف أن يصيبك نفيان ، من عذاب الرحمن . وجعل ولاية الشيطان ودخوله فى جملة أشياعه وأوليائه ، أكبر من العذاب كما أن رضوان الله أكبر من الثواب فى نفسه . وصدّر كل نصيحة بقوله (يا أبت) توسلا إليه واستعطافا وإشعارا بوجوب احترام الأب وإن كان كافرا .

(١) (قال) آزر توبيخا .

(٢) أى أترغب عن عبادتها . فناداه ولم يقابل (يا أبت) بيا بنى . وقدّم الخبر على المبتدأ لأنه كان أهم عنده .

(٣) (لئن لم تنته) عن شتم الأصنام .

(٤) لأقتلنك بالرجام أو لأضربنك بها حتى تتباعد . أو لأشتمنك .

(٥) عطف على محذوف يدل عليه (لأرجمنك) تقديره فاحذرنى (واهجرنى) .

(٦) ظرف أى زمانا طويلا . من الملاوة .

(٧) (سلام عليك) سلام توديع ومتاركة ، أو تقريب وملاطفة . ولذا وعده بالاستغفار بقوله (سأستغفر لك ربى) سأسأل الله أن يجعلك من أهل المغفرة بأن يهديك للإسلام .

(٨) ملطفا بعموم النعم . أو رحيما أو مكرما . والحفاوة الرأفة والرحمة والكرامة .

(٩) أراد بالاعتزال المهاجرة من أرض بابل إلى الشام .

(١٠) أى ما تعبدون من أصنامكم .

(١١) (وأدعوا ربى) وأعبد ربى . ثم قال تواضعا وهضما للنفس ومعرضا بشقاوتهم بدعاء آلهتهم (عسى ألا أكون بدعاء ربى شقيا) أى كما شقيتم أنتم بعبادة الأصنام .

فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ[1] وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا[2] ۝ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا[3] وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ[4] عَلِيًّا[5] ۝ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا[6] وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا[7] ۝ وَنَٰدَيْنَٰهُ[8] مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ[9] ٱلْأَيْمَنِ[10] وَقَرَّبْنَٰهُ[11]

(١) فلمّا اعتزل الكفّار ومعبودهم .

(٢) (وهبنا له إسحق) ولدا (ويعقوب) نافلة ليستأنس بهما (و) كلّ واحد منهما (جعلنا نبيّا) . أى لمّا ترك الكفّار الفجّار لوجهه عوّضه أولادا مؤمنين أنبياء .

(٣) هي المال والولد .

(٤) ثناء حسنا وهو الصلاة على إبراهيم وآل إبراهيم فى الصلوات. وعبّر باللسان عمّا يوجد باللسان كما عبّر باليد عمّا يطلق باليد وهى العطيّة .

(٥) رفيعا مشهورا .

(٦) كوفيّ غير المفضل. أى أخلصه الله واصطفاه. و(مخلصا) بالكسر غيرهم أى أخلص هو العبادة لله تعالى . فهو مخلَص بما له من السعادة بأصل الفطرة ، ومخلِص فيما عليه من العبادة بصدق الهمّة

(٧) الرسول الذى معه كتاب من الأنبياء . والنبيّ الذى ينبئ عن الله عزّ وجلّ وإن لم يكن معه كتاب كيوشع .

(٨) دعوناه وكلّمناه ليلة الجمعة .

(٩) هو جبل بين مصر ومدين .

(١٠) من اليمين أى من ناحية اليمين . والجمهور على أنّ المراد أيمن موسى عليه السلام لأنّ الجبل لا يمين له . والمعنى أنّه حين أقبل من مدين يريد مصر نودى من الشجرة وكانت فى جانب الجبل على يمين موسى عليه السلام .

(١١) (وقرّبناه) تقريب منزلة ومكانة لا منزل ومكان .

نَجِيًّا(١) ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَآ(٢) أَخَاهُ(٣) هَٰرُونَ(٤) نَبِيًّا(٥) ﴿٥٣﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ(٦) إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ(٧) وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا(٨) ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ(٩) بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ(١٠) وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا(١١) ﴿٥٥﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ(١٢) إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا(١٣) ﴿٥٦﴾

---

(١) حال أى مناجيا كنديم بمعنى منادم .

(٢) من أجل رحمتنا وترأفنا عليه .

(٣) مفعول .

(٤) بدل منه .

(٥) حال أى وهبنا له نبوة أخيه وإلا فهرون كان أكبر سناً منه .

(٦) هو ابن إبراهيم فى الأصح .

(٧) وافيه . وعد رجلا أن يقيم مكانه حتى يعود إليه فانتظره سنة فى مكانه حتى عاد . وناهيك أنه وعد من نفسه الصبر على الذبح فوفى . وقيل لم يعد ربه موعدا إلا أنجزه . وإنما خصه بصدق الوعد وإن كان موجودا فى غيره من الأنبياء تشريفا له ولأنه المشهور من خصاله .

(٨) (وكان رسولا) إلى جرهم (نبيًا) مخبرا منذرا .

(٩) أمته لأن النبى أبو أمته وأهل بيته . وفيه دليل على أنه لم يداهن غيره .

(١٠) يحتمل أنه إنما خصت هاتان العبادتان لأنهما أما العبادات البدنية والمالية .

(١١) قرئ (مرضوًا) على الأصل .

(١٢) هو أخنوخ أول مرسل بعد آدم عليه السلام وأول من خط بالقلم وخاط اللباس ونظر فى علم النجوم والحساب واتخذ الموازين والمكاييل والأسلحة فقاتل بنى قابيل . وقولهم سمى به لكثرة دراسته كتب الله، لا يصح .لأنه لو كان إفعيلا من الدرس لم يكن فيه إلا سبب واحد وهو العلمية وكان منصرفا فامتناعه من الصرف دليل العجمة .

(١٣) أنزل الله عليه ثلاثين صحيفة .

وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا(١) ۝ أُولَٰٓئِكَ(٢) ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ(٣) مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ(٤) وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ(٥) وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ(٦) وَإِسْرَٰٓءِيلَ(٧) وَمِمَّنْ(٨) هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ(٩) إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ(١٠) ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا(١١)

(١) هو شرف النبوة والزلفى عند الله . وقيل معناه رفعته الملائكة إلى السماء الرابعة . وقد رآه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ليلة المعراج فيها. وعن الحسن إلى الجنّة لا شيء أعلى من الجنة. وذلك أنه حبّب لكثرة عبادته إلى الملائكة . فقال لملك الموت أذقني الموت يهن عليّ . ففعل ذلك بإذن الله فحيي . وقال أدخلني النار أزدد رهبة ففعل . ثمّ قال أدخلني الجنّة أزدد رغبة . ثم قال له اخرج فقال قد ذقت الموت ووردت النار فما أنا بخارج من الجنة. فقال الله عزّوجلّ بأذني فعل ، وبإذني دخل . فدعه .

(٢) إشارة إلى المذكورين في السورة من زكرياء إلى إدريس

(٣) (من) للبيان لأنّ جميع الأنبياء منعم عليهم .

(٤) (من) للتبعيض. وكان إدريس من ذريّة آدم لقربه منه لأنّه جدّ أبي نوح .

(٥) إبراهيم من ذريّة من حمل مع نوح لأنّه ولد سام بن نوح .

(٦) إسماعيل وإسحق ويعقوب .

(٧) أي ومن ذريّة إسرائيل . أي يعقوب وهم موسى وهرون وزكريّا ويحيي وعيسى لأنّ مريم من ذريّته .

(٨) يحتمل العطف على (من) الأولى والثانية .

(٩) (هدينا) لمحاسن الإسلام (واجتبينا) من الأنام . أو لشرح الشريعة ، وكشف الحقيقة .

(١٠) أي إذا تليت عليهم كتب الله المنزلة . وهو كلام مستأنف إن جعلت (الذين) خبرا لأولئك . وإن جعلته صفة له كان خبرا . (يتلى) بالياء قتيبه لوجود الفاصل مع أنّ التأنيث غير حقيقيّ .

(١١) سقطوا على وجوههم ساجدين رغبة .

وَبُكِيًّا(١) ۝ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ(٢) خَلْفٌ(٣) أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ(٤) وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ(٥) فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا(٦) ۝ إِلَّا مَن تَابَ(٧) وَءَامَنَ(٨) وَعَمِلَ صَٰلِحًا(٩) فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ(١٠) ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا(١١) ۝ جَنَّٰتِ(١٢) عَدْنٍ(١٣)

(١) باكين رهبة. جمع باك كسجود وقعود في جمع ساجد وقاعد. في الحديث "اتلوا القرآن وابكوا وإن لم تبكوا فتباكوا". وعن صالح المرى قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لى ياصالح هذه القراءة فأين البكاء ؟ ويقول في سجود التلاوة سبحان ربى الأعلى ثلاثا ...

(٢) فجاء من بعد هؤلاء المفضلين .

(٣) اولاد سوء . وبفتح اللام العقب الخير . عن ابن عباس هم اليهود . وعن على رضى الله عنه من بنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور . وعن قتادة رضى الله عنه هو في هذه الأمة .

(٤) تركوا الصلاة المفروضة .

(٥) ملاذ النفوس .

(٦) جزاء غى . وكل شر عند العرب غى وكل خير رشاد . وعن ابن عباس وابن مسعود هو واد في جهنم أعد للمصرين على الزنا وشارب الخمر وآكل الربا والعاق وشاهد الزور .

(٧) رجع عن كفره .

(٨) (وآمن) بشرطه .

(٩) (وعمل صالحا) بعد إيمانه .

(١٠) بضم الياء وفتح الخاء مكى وبصرى وأبو بكر .

(١١) أى لا ينقصون شيئا من جزاء أعمالهم ولا يمنعونه بل يضاعف لهم . أو لا يظلمون شيئا من الظلم .

(١٢) بدل من (الجنة) لأن الجنة تشتمل على (جنات عدن) لأنها جنس . أو نصب على المدح .

(١٣) معرفة لأنها علم لمعنى العدن وهو الإقامة . أو علم لأرض الجنة لكونها مكان إقامة .

ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ(١) بِٱلۡغَيۡبِ(٢) إِنَّهُۥ(٣) كَانَ وَعۡدُهُۥ(٤) مَأۡتِيًّا(٥) ۝ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا(٦) لَغۡوًا(٧) إِلَّا سَلَٰمًا(٨) وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةً وَعَشِيًّا(٩) ۝ تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ(١٠) مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا(١١) ۝

---

(١) أى (عباده) التائبين المؤمنين الذين يعملون الصالحات كما سبق ذكرهم، ولأنه أضافهم إليه وهو للاختصاص وهؤلاء أهل الاختصاص .

(٢) أى وعدها وهى غائبة عنهم غير حاضرة . أو هم غائبون عنها لا يشاهدونها .

(٣) ضمير الشأن أو ضمير الرحمن .

(٤) أى موعوده وهو الجنّة .

(٥) أى هم يأتونها .

(٦) فى الجنّة .

(٧) فحشا أو كذبا . أو مالا طائل تحته من الكلام وهو المطروح منه . وفيه تنبيه على وجوب تجنّب اللغو واتّقائه حيث نزّه الله عنه داره التى لا تكليف فيها .

(٨) أى لكن يسمعون سلاما من الملائكة أو من بعضهم على بعض . أو لا يسمعون فيها إلّا قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة . فهو استثناء منقطع عند الجمهور . وقيل معنى السلام هو الدعاء بالسلامة . ولمّا كان أهل دار السلام أغنياء عن الدعاء بالسلامة كان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فائدة الإكرام .

(٩) أى يؤتون بأرزاقهم على مقدار طرفى النهار من الدنيا اذ لا ليل ولا نهار ثمّ ، لأنّهم فى النور أبدا وإنّما يعرفون مقدار النهار برفع الحجب ومقدار الليل بإرخائها . والرزق بالبكرة والعشىّ أفضل العيش عند العرب فوصف الله جنّته بذلك . وقيل أراد دوام الرزق كما تقول أنا عند فلان بكرة وعشيّا تريد الدوام .

(١٠) أى نجعلها ميراث أعمالهم يعنى ثمرتها وعاقبتها . وقيل يرثون المساكن التى كانت لأهل النار لو آمنوا لأنّ الكفر موت حكما .

(١١) (من كان تقيّا) عن الشرك .

وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾

---

(١) عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبيّ عليه السلام قال ياجبريل ما منعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟ فنزل. التنزّل على معنيين: معنى النزول على مهل، ومعنى النزول على الإطلاق والأوّل أليق هنا . يعنى أنّ نزولنا فى الأحايين وقتا غبّ وقت ليس إلّا بأمر الله .

(٢) أى له ما قدّامنا وما خلفنا من الأماكن وما نحن فيها فلا نتمالك أن ننتقل من مكان إلّا بأمر الله ومشيئته وهو الحافظ العالم بكلّ حركة وسكون وما يحدث من الأحوال لا تجوز عليه الغفلة والنسيان فأنّى لنا أن نتقلّب فى ملكوته إلا إذا أذن لنا فيه ؟

(٣) (ربّ) بدل من (ربُّك).أو خبر مبتدإ محذوف أى هو (ربّ السموات والأرض) ثمّ قال لرسوله لمـا عرفت أنّه متصف بهذه الصفات (فاعبده واصطبر لعبادته) أى فاثبت على عبادته واصبر على مكافأة الحسود، لعبادة المعبود، واصبر على المشاقّ لأجل عبادة الخلّاق. أى لتتمكّن من الإتيان بها .

(٤) شبيها ومثلا . أو هل يسمّى أحد باسم الله غيره؟ لأنّه مخصوص بالمعبود بالحقّ. أى إذا صح أن لا معبود يوجّه إليه العباد العبادة إلّا هو وحده لم يكن بدّ من عبادته والاصطبار على مشاقّها .

(٥) تهافت أبيّ بن خلف عظما وقال أنبعث بعد ما صرنا كذا؟ فنزل. والعامل فى (إذا) ما دلّ عليه الكلام وهو أبعث أى إذا ما متُّ أبعث . وانتصابه بأخرج ممتنع لأنّ ما بعد لام الابتداء لا يعمل فيا قبلها فلا تقول اليوم لزيد قائم . ولام الابتـداء الداخلة على المضارع تعطى معنى الحال وتؤكّد مضمون الجملة . فلمّـا جامعت حرف الاستقبال خلصت للتوكيد واضمحلّ معنى الحال.و(ما) فى (إذا ما) للتوكيد أيضا، فكأنّه قال أحقّا أنا سنخرج من القبور أحياء حين يتمكّن فينا الموت والهلاك ؟ على وجه الاستنكار والاستبعاد . وتقـديم الظرف و إيلاؤه حرف الإنكار من قِبَل أنّ ما بعد الموت هو وقت كون الحياة منكرة ومنه جاء إنكارهم.

أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَٰنُ(١) أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ(٢) وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا(٣) ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَٰطِينَ(٤) ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا(٥) ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا(٦) ﴿٦٩﴾

---

(١) (يذكر) خفيف شامىّ ونافع وعاصم من الذكر والسائر بتشديد الذال والكاف وأصله (يتذكّر) كقراءة أبىّ فادغمت التاء فى الذال. أى أولا يتدبر؟ والواو عطفت (لا يذكر) على (يقول) ووسطت همزة الإنكار بين المعطوف عليه وحرف العطف. يعنى أيقول ذلك ولا يتذكّر حال النشأة الأولى حتّى لا ينكر النشأة الأخرى؟ فإنّ تلك أدلّ على قدرة الخالق حيث أخرج الجواهر والأعراض من العدم إلى الوجود. وأما الثانية فليس فيها إلّا تأليف الأجزاء الموجودة وردّها إلى ما كانت عليه مجموعة بعد التفريق.

(٢) من قبل الحالة التى هو فيها وهى حالة بقائه.

(٣) هو دليل على ما بيّنّا وعلى أنّ المعدوم ليس بشىء خلافا للمعتزلة.

(٤) (فوربّك لنحشرنّهم) أى الكفّار المنكرين للبعث (والشياطين) الواو للعطف. وبمعنى مع أوقع. أى يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين أغووهم: يقرن كلّ كافر مع شيطان فى سلسلة. وفى إقسام الله باسمه مضافا إلى رسوله تفخيم لشأن رسوله.

(٥) حال. جمع جاث: أى بارك على الركب. ووزنه فعول لأنّ أصله جثوو كسجود وساجد. أى يعتلون من المحشر إلى شاطئ جهنّم عتلا على حالهم التى كانوا عليها فى الموقف جثاة على ركبهم غير مشاة على أقدامهم.

(٦) (ثمّ لننزعنّ من كلّ شيعة) طائفة شاعت — أى تبعت — غاويا من الغواة (أيّهم أشدّ على الرحمن عتيّا) جرأة أو فجورا. أى لنخرجنّ من كلّ طائفة من طوائف الغىّ أعتاهم فأعتاهم فإذا اجتمعوا طرحناهم فى النار على الترتيب نقدّم أولاهم بالعذاب فأولاهم. وقيل المراد بأشدّهم عتيّا الرؤساء لتضاعف جرمهم لكونهم ضُلّالا ومضلّين. قال سيبويه (أيّهم) مبنىّ على الضمّ لسقوط صدر الجملة التى هى صلته وهو "هو" من هو (أشدّ) حتّى لو جىء به لأعرب بالنصب

ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا[1] صِلِيًّا[2] ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا[3]

وقيل أيهم هو أشدّ. وهذا لأنّ الصلة توضّح الموصول وتبيّنه كما أنّ المضاف إليه يوضّح المضاف ويخصّصه. فكما أنّ حذف المضاف إليه فى (من قبل) يوجب بناء المضاف وجب أن يكون حذف الصلة أو شيء منها موجبا للبناء. وموضعها نصب بننزع. وقال الخليل هى معربة. وهى مبتدأ و (أشدّ) خبره، وهو رفع على الحكاية تقديره (لننزعنّ) الذين يقال فيهم (أيّهم أشدّ على الرحمن عتيّا). ويجوز أن يكون النزع واقعا على (من كلّ شيعة) كقوله (ووهبنا لهم من رحمتنا) أى لننزعنّ بعض كلّ شيعة فكأنّ قائلا قال من هم ؟ فقيل أيّهم أشدّ عتيّا. و (على) يتعلّق بالفعل أى عتوّهم أشدّ على الرحمن.

(١) أحقّ بالنار والباء تتعلّق بأولى.

(٢) تمييز. أى دخولا.

(٣) (وإن منكم) أحد (إلّا واردها) داخلها. والمراد النار. والورود الدخول عند علىّ وابن عباس رضى الله عنهم. وعليه جمهور أهل السنة لقوله تعالى (فأوردهم النار) ولقوله تعالى (لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها) ولقوله (ثمّ ننجّى الذين اتّقوا). إذ النجاة إنّما تكون بعد الدخول ولقوله عليه السلام " الورود الدخول لا يبقى برّ ولا فاجر إلّا دخلها. فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على إبراهيم ". وتقول النار للمؤمن "جز يا مؤمن. فانّ نورك أطفأ لهبى". وقيل الورود بمعنى الدخول لكنّه يختصّ بالكفّار لقراءة ابن عباس (وإن منهم) وتحمل القراءة المشهورة على الالتفات. وعن عبد الله الورود الحضور لقوله تعالى (ولما ورد ماء مدين) وقوله (أولئك عنها مبعدون). وأجيب عنه بأن المراد عن عذابها. وعن الحسن وقتادة الورود المرور على الصراط لأنّ الصراط ممدود عليها فيسلم أهل الجنّة ويتقاذف أهل النار. وعن مجاهد ورود المؤمن النار هو مسّ الحمّى جسده فى الدنيا لقوله عليه السلام " الحمّى حظّ كلّ مؤمن من النار ". وقال رجل من الصحابة لآخر: أيقنت بالورود ؟ قال نعم. قال: وأيقنت بالصدر ؟ قال لا. قال: ففيم الضحك وفيم التثاقل ؟

كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا(١) ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى(٢) ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا(٣) وَّنَذَرُ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا(٤) ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا(٥) ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ

---

(١) أى كان ورودهم واجبا كائنا محتوما . والحتم مصدر حتم الأمر إذا أوجبه فسمّى به الموجب كقولهم ضرب الأمير .

(٢) وعلىّ بالتخفيف .

(٣) (الذين اتقوا) عن الشرك وهم المؤمنون .

(٤) فيه دليل على دخول الكلّ لأنّه قال(ونذر) ولم يقل وندخل . والمذهب أنّ صاحب الكبيرة قد يعاقب بقدر ذنبه ثمّ ينجو لا محالة. وقالت المرجئة الخبيثة: لا يعاقب لأنّ المعصية لا تضرّ مع الإسلام عندهم . وقالت المعتزلة : يخلّد .

(٥) (و إذا تتلى عليهم آياتنا) أى القرآن (بيّنات) ظاهرات الإعجاز وحججا وبراهين — حال مؤكّدة كقوله (وهو الحقّ مصدّقا) إذ آيات الله لا تكون إلّا واضحة وحججا — (قال الذين كفروا) أى مشركو قريش وقد رجّلوا شعورهم وتكلّفوا فى زيّهم (للذين آمنوا) للفقراء ورءوسهم شعثة وثيابهم خشنة (أىّ الفريقين) نحن أم أنتم (خير مقاما) بالفتح — وهو موضع القيام . والمراد المكان والمسكن . و بالضم مكىّ وهو موضع الإقامة والمنزل — (وأحسن نديّا) مجلسا يجتمع القوم فيه للشاورة . ومعنى الآية أنّ الله تعالى يقول إذا أنزلنا آية فيها دلائل و براهين أعرضوا عن التدبّر فيها إلى الافتخار بالثروة والمال وحسن المنزل والحال . فقال تعالى (وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا) . (كم) مفعول أهلكنا و (من) تبيين لإبهامها . أى كثيرا من القرون أهلكنا . وكلّ أهل عصر قرن لمن بعدهم .

هُمْ أَحْسَنُ⁽¹⁾ أَثَٰثًا⁽²⁾ وَرِءْيًا⁽³⁾ ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ⁽⁴⁾ فَلْيَمْدُدْ⁽⁵⁾ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ⁽⁶⁾ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ⁽⁷⁾ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا⁽⁸⁾ وَأَضْعَفُ جُندًا⁽⁹⁾ ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ⁽¹⁰⁾ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى

(1) فى محل النصب صفة لِكَمْ . الا ترى أنّك لو تركت (هم) كان (أحسن) نصبا على الوصفية.

(2) هو متاع البيت أو ما جدّ من الفرش .

(3) منظرا وهيئة فعل بمعنى مفعول، من رأيت. (وريّا) بغير همز مشدّدا نافع وابن عامر على قلب الهمزة ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ثمّ الإدغام . أو من الرىّ الذى هو النعمة .

(4) الكفر .

(5) جواب (مَن) لأنّها شرطيّة وهذا الأمر بمعنى الخبر. أى من كفر مدّ له الرحمن. يعنى أمهله وأملى له فى العمر ليزداد طغيانا وضلالا كقوله تعالى (إنّما نملى لهم ليزدادوا إثما) وإنّما أخرج على لفظ الأمر إيذانا بوجوب ذلك وأنّه مفعول لا محالة كالمأمور به الممتثل ليقطع معاذير الضّلال .

(6) هى متّصلة بقوله (خير مقاما وأحسن نديّا) . وما بينهما اعتراض . أى لا يزالون يقولون هذا القول إلى أن يشاهدوا الموعود رأى عين .

(7) (إمّا العذاب) فى الدنيا وهو تعذيب المسلمين إيّاهم بالقتل والأسر (وإمّا الساعة) أى القيامة وما ينالهم من الخزى والنكال . فهما بدلان ممّا يوعدون .

(8) منزلا .

(9) أعوانا وأنصارا . أى فحينئذ يعلمون أنّ الأمر على عكس ما قدّروه وأنّهم شرّ مكانا وأضعف جندا لا خير مقاما وأحسن نديّا وأنّ المؤمنين على خلافه صفتهم .

وجاز أن تتّصل بما يليها. والمعنى أنّ الذين فى الضلالة ممدود لهم فى ضلالتهم لا ينفكّون عن ضلالتهم إلى أن يعاينوا نصرة الله المؤمنين أو يشاهدوا الساعة . و (حتّى) هى التى يحكى بعدها الجمل. الا ترى أنّ الجملة الشرطية واقعة بعدها وهى قوله (إذا رأوا ما يوعدون... فسيعلمون).

(10) (ويزيد) معطوف على موضع (فليمدد) لوقوعه موضع الخبر. تقديره من كان فى الضلالة مدّ أو يمدّ له الرحمن و(يزيد) ، أى يزيد فى ضلال الضّالّ بخذلانه ويزيد المهتدين أى المؤمنين (هدى) ثباتا على الاهتداء أو يقينا و بصيرة بتوفيقه .

وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا(١) أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا(٢) أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ(٣) أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا(٤) كَلَّا(٥) سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ(٦) وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ(٧) مَدًّا(٨)

(١) أعمال الآخرة كلّها أو الصلوات الخمس أو سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر (خير) ممّا يفتخر به الكفّار (وخير) مرجعا وعاقبة . تهكّم بالكفّار لأنّهم قالوا للمؤمنين (أىّ الفريقين خير مقاما وأحسن نديّا) .

(٢) (لأوتينّ)ثَمَّ. (وُلْدًا) بضم الواو وسكون اللام فى أربعة مواضع : ههنا ، وفى الزخرف ، ونوح ، حمزة وعلىّ جمع ولد كأُسْد فى أَسَد أو بمعنى الوَلَد كالعُرْب فى العَرَب. ولمّا كانت رؤية الأشياء طريقا إلى العلم بها وصحّة الخبر عنها استعملوا أرأيت فى معنى أخبر . والفاء أفادت التعقيب كأنّه قال أخبر أيضا بقصّة هذا الكافر واذكر حديثه عقيب حديث أولئك . وقوله (لأوتينّ) جواب قسم مضمر .

(٣) من قولهم اطّلع الجبل إذا ارتقى إلى أعلاه . الهمزة للاستفهام وهمزة الوصل محذوفة أى انظر فى اللوح المحفوظ فرأى منيّته ؟

(٤) موثقا أن يؤتيه ذلك . أو العهد كلمة الشهادة .

عن الحسن نزلت فى الوليد بن المغيرة . والمشهور أنّها فى العاص بن وائل . فقد روى أنّ خباب بن الأرتّ صاغ للعاص بن وائل حليّا فاقتضاه الأجر . فقال إنّكم تزعمون أنّكم تبعثون وأنّ فى الجنّة ذهبا وفضّة . فأنا أقضيك ثمّ فإنّى أوتى مالا وولدا حينئذ .

(٥) ردع وتنبيه على الخطأ أى هو مخطئ فيما تصوّره لنفسه فليرتدع عنه .

(٦) أى قوله . والمراد سنظهر له ونعلمه أنّا كتبنا قوله . لأنّه كما قال كتب من غير تأخير. قال الله تعالى (ما يلفظ من قول إلّا لديه رقيب عتيد) . وهو كقوله * إذا ما انتسبنا لم تلدنى لئيمة * أى علم وتبيّن بالانتساب أنّى لست بابن لئيمة .

(٧) نزيده (من العذاب) كما يزيد فى الافتراء والاجتراء. من المدد يقال مدّه وأمدّه بمعنى.

(٨) أكّد بالمصدر لفرط غضبه تعالى .

وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ[1] وَيَأْتِينَا فَرْدًا[2] ۝ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً[3] لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا[4] ۝ كَلَّا[5] سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ[6] وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا[7] ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ[8] تَؤُزُّهُمْ أَزًّا[9] ۝ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ[10]

[1] أى نزوى عنه ما زعم أنه يناله فى الآخرة . والمعنى مسمى ما يقول وهو المال والولد .

[2] حال. أى بلا مال ولا ولد كقوله (ولقد جئتمونا فرادى) . فما يجدى عليه تمنيه وتألّيه .

[3] أى اتخذ هؤلاء المشركون أصناما يعبدونها .

[4] أى ليعتزّوا بآلهتهم ويكونوا لهم شفعاء وأنصارا ينقذونهم من العذاب .

[5] ردع لهم عمّا ظنّوا .

[6] الضمير للآلهة . أى سيجحدون عبادتهم وينكرونها ويقولون والله ما عبدتمونا وأنتم كاذبون . أو للمشركين أى ينكرون أن يكونوا قد عبدوها كقوله (والله ربّنا ما كنّا مشركين) .

[7] (ويكونون) أى المعبودون (عليهم) على المشركين (ضدا) خصما . لأنّ الله تعالى ينطقهم فتقول: يارب عذّب هؤلاء الذين عبدونا من دونك . والضدّ يقع على الواحد والجمع . وهو فى مقابلة (لهم عزّا) . والمراد ضدّ العزّ وهو الذلّ والهوان . أى (يكونون عليهم ضدّا) لما قصدوه . أى يكونون عليهم ذلّا لا لهم عزّا . وإن رجع الضمير فى (سيكفرون) و (يكونون) إلى المشركين فالمعنى (ويكونون عليهم) أى أعداءهم (ضدّا) أى كفرة بهم بعد أن كانوا يعبدونها .

[8] عجب نبيّه عليه السلام بقوله (ألم تر أنّا أرسلنا الشياطين على الكافرين) . أى خلّيناهم وإيّاهم من أرسلت البعير أطلقته . أو سلّطناهم عليهم بالإغواء .

[9] تغريهم على المعاصى إغراء . والأزّ والهزّ أخوان . ومعناهما التهييج وشدّة الإزعاج.

[10] (فلا تعجل عليهم) بالعذاب .

إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا(١) ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا(٢)(٣) ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ(٤) إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا(٥) ﴿٨٦﴾ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ(٦) إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا(٧) ﴿٨٧﴾

(١) أى (إنما نعد لهم) أعمالهم للجزاء، وأنفاسهم للفناء. وقرأها ابن السماك عند المأمون فقال إذا كانت الأنفاس بالعدد، ولم يكن لها مدد، فما أسرع ما تنفد!.

(٢) نصب (يوم) بمضمر أى (يوم نحشر ... ونسوق) نفعل بالفريقين مالا يوصف. أو اذكر (يوم نحشر).

(٣) ركبانا على نوق رحالها ذهب وعلى نجائب سروجها ياقوت. جمع وافد كركب وراكب.

(٤) (ونسوق) الكافرين سوق الأنعام لأنهم كانوا أضل من الأنعام.

(٥) عطاشا لأن من يرد الماء لا يرده إلا لعطش. وحقيقة الورد المسير إلى الماء فيسمى به الواردون. فالورد جمع وارد.

ذكر المتقون بأنهم يجمعون إلى ربهم الذى غمرهم برحمته كما يفد الوفود على الملوك تبجيلا لهم، والكافرون بأنهم يساقون إلى النار كأنهم نعم عطاش تساق إلى الماء استخفافا بهم.

(٦) حال. والواو إن جعل ضميرا فهو للعباد ودل عليه ذكر المتقين والمجرمين لأنهم على هذه القسمة. ويجوز أن يكون علامة للجمع كالتى فى أكلونى البراغيث والفاعل (من اتخذ) لأنه فى معنى الجمع. ومحل (من اتخذ) رفع على البدل من واو (يملكون) أو على الفاعلية. أو نصب على تقدير حذف المضاف أى (إلا) شفاعة (من اتخذ). والمراد (لا يملكون) أن يشفع لهم.

(٧) بأن آمن. فى الحديث "من قال لا إله إلا الله كان له عند الله عهد". وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه ذات يوم "أيعجز أحدكم أن يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا؟ قالوا وكيف ذلك؟ قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة إنى أعهد إليك بأنى أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك. وأنك إن تكلنى إلى نفسى تقربنى من الشر وتباعدنى من الخير. وإنى لا أثق إلا برحمتك فاجعل لى عهدا توفينيه يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد. فإذا قال ذلك طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش. فإذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين كان لهم عند الله عهد؟ فيدخلون الجنة". أو يكون من عهد الأمير إلى فلان بكذا إذا أمره به. أى لا يشفع إلا المأمور بالشفاعة المأذون له فيها.

وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا(۱) ۝ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا(۲) ۝ تَكَادُ(۳) السَّمَٰوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ(٤) مِنْهُ(٥) وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ(٦) وَتَخِرُّ(۷) الْجِبَالُ هَدًّا(۸) ۝ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا(۹) ۝ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا(۱۰) ۝

(۱) أى النصارى واليهود ومن زعم أنّ الملائكة بنات الله .

(۲) خاطبهم بهذا الكلام بعد الغيبة . وهو التفات . أو أمر نبيّه عليه السلام بأن يقول لهم ذلك . والإدّ العجب أو العظيم المنكر. والإدّة الشدّة . وأدّنى الأمر أثقلنى وعظم علىّ أدًّا .

(۳) تقرب . وبالياء نافع وعلىّ .

(٤) وبالنون بصرىّ وشامىّ وحمزة وخلف وأبو بكر. الانفطار من فطره إذا شقّه . والتفطّر من فطّره إذا شقّقه .

(٥) من عظم هذا القول .

(٦) تخسف وتنفصل أجزاؤها .

(۷) تسقط .

(۸) كسرا أو قطعا أو هدما. والهدّة صوت الصاعقة من السماء . وهو مصدر أى تُهدّ هدًّا من سماع قولهم . أو مفعول له أو حال أى مهدودة .

(۹) (أن دعوا) لأن سمّوا . ومحلّه جر بدل من الهاء فى (منه). أو نصب مفعول له . علّل الخرور بالهدّ والهدّ بدعاء الولد للرحمن . أو رفع فاعل هدّا أى هدّها دعاؤهم للرحمن ولدا .

(۱۰) انبغى مطاوع بغى إذا طلب أى ما يتأتّى له اتّخاذ الولد وما يتطلّب لو طلب مثلا لأنّه محال غير داخل تحت الصحّة . وهذا لأن اتّخاذ الولد لحاجة ومجانسة وهو منزّه عنهما . وفى اختصاص الرحمن وتكريره مرّات بيان أنّه الرحمن وحده لا يستحقّ هذا الاسم غيره لأنّ أصول النعم وفروعها منه . فلينكشف عن بصرك غطاؤه . فأنت وجميع ما عندك عطاؤه . فمن أضاف إليه ولدا فقد جعله كبعض خلقه وأخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرحمن .

إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا(١) ۝ لَقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا(٢) ۝ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا(٣) ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا(٤) ۝ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ(٥) بِلِسَانِكَ(٦) لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ(٧) وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا(٨) ۝

---

(١) (من) نكرة موصوفة صفتها (فى السموات والأرض). وخبر (كلّ) (إلّا آتى الرحمن) ووحّد (آتى) و(آتيه) حملا على لفظ (كلّ) وهو اسم فاعل من أتى. وهو مستقبل أى يأتيه (عبدا). حال أى خاضعا ذليلا منقادا. والمعنى ما (كلّ من فى السموات والأرض) من الملائكة والناس إلّا هو يأتى الله يوم القيامة مقرّا بالعبوديّة. والعبوديّة والبنوّة تتنافيان حتّى لو ملك الأب ابنه يعتق عليه. ونسبة الجميع إليه نسبة العبد إلى المولى. فكيف يكون البعض ولدا والبعض عبدا ؟ . وقرأ ابن مسعود (آت الرحمن) على أصله قبل الإضافة .

(٢) أى حصرهم بعلمه وأحاط بهم .

(٣) أى كلّ واحد منهم يأتيه يوم القيامة منفردا بلا مال ولا ولد أو بلا معين ولا ناصر.

(٤) مودّة فى قلوب العباد . قال الربيع : يحبّهم ويحبّبهم إلى الناس . وفى الحديث "يعطى المؤمن مقة فى قلوب الأبرار ، ومهابة فى قلوب الفجّار" . وعن قتادة وهرم ما أقبل العبد إلى الله إلّا أقبل الله بقلوب العباد إليه . وعن كعب ما يستقرّ لعبد ثناء فى الأرض حتّى يستقرّ له فى السماء .

(٥) سهّلنا القرآن .

(٦) بلغتك . حال .

(٧) المؤمنين .

(٨) شدادا فى الخصومة بالباطل . أى الذين يأخذون فى كلّ لديد أى شقّ من المراء والجدال . جمع ألدّ . يراد به أهل مكّة .

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ[1] هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا[2] ﴿٩٨﴾

(١) تخويف لهم وإنذار.

(٢) (هل تحسّ منهم من أحد) أى هل تجد أو ترى أو تعلم — والإحساس الإدراك بالحاسّة — (أو تسمع لهم ركزا) صوتا خفيّا. ومنه الركاز. أى لمّا أتاهم عذابنا لم يبق شخص يُرى ولا صوت يُسمَع. يعنى هلكوا كلّهم. فكذا هؤلاء إن أعرضوا عن تدبّر ما أنزل عليك فعاقبتهم الهلاك. فليهن عليك أمرهم. والله أعلم.

سورة طه صلّى الله عليه وسلّم مكّيّة

وهى مائة وخمس وثلاثون آية كوفىّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طه (١) ۝ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ (٢) لِتَشْقَىٰٓ (٣) ۝ إِلَّا تَذْكِرَةً (٤) لِّمَن يَخْشَىٰ (٥) ۝ تَنزِيلًا (٦)

---

(١) فخّم الطاء لاستعلائها وأمال الهاء أبو عمرو . وأمالها حمزة وعلىّ وخلف وأبو بكر. وفخّمهما على الأصل غيرهم . وما روى عن مجاهد والحسن والضحّاك وعطاء وغيرهم أنّ معناه يارجل فإن صحّ فظاهر . وإلّا فالحقّ ما هو المذكور فى سورة البقرة .

(٢) إن جعلتَ (طه) تعديدا لأسماء الحروف فهو ابتداء كلام . وإن جعلتها اسما للسورة احتملت أن تكون خبرا عنها ، وهى فى موضع المبتدأ ــ و(القرآن) ظاهر أوقع موقع المضمر لأنّها قرآن ــ وأن يكون جوابا لها وهى قسم .

(٣) لتتعب لفرط تأسّفك عليهم وعلى كفرهم وتحسّرك على أن يؤمنوا ، أو بقيام الليل . فإنّه روى أنّه عليه السلام صلّى بالليل حتّى تورّمت قدماه . فقال له جبريل أبق على نفسك فإنّ لها عليك حقّا . أى ما أنزلناه لتنهك نفسك بالعبادة وما بعثتَ إلّا بالحنيفيّة السمحة .

(٤) استثناء منقطع ، أى لكن أنزلناه تذكرة . أو حال .

(٥) لمن يخاف الله أو لمن يؤول أمره إلى الخشية .

(٦) بدل من تذكرة إذا جعل حالا . ويجوز أن ينتصب بنزّل مضمر ، أو على المدح ، أو بيخشى مفعولا به . أى أنزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله .

مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ (١) ٱلْعُلَى (٢) ۝ ٱلرَّحْمَٰنُ (٣) عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ (٤) ۝ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ (٥) وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ (٦) ۝ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ (٧) فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ (٨) وَأَخْفَى (٩) ۝

---

(١) (من) يتعلّق بتنزيلا صلة له .

(٢) جمع العليـا تأنيث الأعلى . ووصف السموات بالعلى دليل ظاهر على عظم قدرة خالقها .

(٣) رفع على المدح خبر مبتدأ محذوف أى هو (الرحمن) .

(٤) استولى ، عن الزجّاج. ونبّه بذكر العرش — وهو أعظم المخلوقات — على غيره. وقيل لمّـا كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك ممّـا يردف المُلك جعلوه كناية عن المُلك فقالوا استوى فلان على العرش أى ملك وإن لم يقعد على السرير البتة . وهذا كقولك : يد فلان مبسوطة أى جواد وإن لم يكن له يد رأسا . والمذهب قول علىّ رضى الله عنه : الاستواء غير مجهول ، والتكييف غير معقول ، والإيمـان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، لأنّه تعالى كان ولا مكان ، فهو على ما كان ، قبل خلق المكان ، لم يتغيّر عما كان .

(٥) خبر ومبتدأ ومعطوف أى ذلك كلّه ملكه .

(٦) ما تحت سبع الأرضين أو هو الصخرة التى تحت الأرض السابعة .

(٧) ترفع صوتك .

(٨) ما أسررته إلى غيرك . أو ما أسررته فى نفسك .

(٩) (وأخفى) منه . وهو ما أخطرته ببالك أو ما ستسرّه فى نفسك .

ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ(١) ﴿٨﴾ وَهَلْ(٢) أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ(٣) ﴿٩﴾ إِذْ(٤) رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟(٥) إِنِّىٓ ءَانَسْتُ(٦) نَارًا لَّعَلِّىٓ(٧) ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ(٨) أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى(٩) ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا(١٠) نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ(١١)

---

(١) أى هو واحد بذاته وإن افترقت عبارات صفاته . ردّ لقولهم إنك تدعو آلهة حين سمعوا أسماءه تعالى . (والحسنى) تأنيث الأحسن .

(٢) أى وقد .

(٣) خبره . قفّاه بقصّة موسى عليه السلام ليتأسّى به فى تحمّل أعباء النبوّة بالصبر على المكاره ولينال الدرجة العليا كما نالها موسى .

(٤) (إذ) ظرف لمضمر . أى حين رأى نارا كان كيت . أو مفعول به لا ذكر . روى أنّ موسى عليه السلام استأذن شعيبا فى الخروج إلى أمّه . وخرج بأهله . فولد له ابن فى الطريق فى ليلة مظلمة مثلجة وقد ضلّ الطريق وتفرّقت ماشيته ولا ماء عنده . وقدح فصلد زنده . فرأى عند ذلك (نارا) فى زعمه وكان نورا .

(٥) أقيموا فى مكانكم .

(٦) أبصرت . والإيناس رؤية شىء يؤنس به .

(٧) بنى الأمر على الرجاء لئلا يعد ما ليس يستيقن الوفاء به .

(٨) نار مقتبسة فى رأس عود أو فتيلة .

(٩) ذوى هدى . أو قوما يهدوننى الطريق . ومعنى الاستعلاء فى (على النار) أنّ أهل النار يستعلون المكان القريب منها .

(١٠) (أتاها) أى النار . وجد نارا بيضاء تتوقّد فى شجرة خضراء من أسفلها إلى أعلاها . وكانت شجرة العنّاب أو العوسج . ولم يجد عندها أحدا . وروى أنّه كلّما طلبها بعدت منه . فإذا تركها قربت منه . ثمّ (نودى) موسى .

(١١) بكسر الهمزة أى (نودى) فقيل (يا موسى إنّى) . أو لأنّ النداء ضرب من القول فعومل معاملته . وبالفتح مكّىّ وأبو عمرو . أى نودى بأنّى .

أَنَا۠ رَبُّكَ[1] فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ[2] إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ[3] طُوًى[4] ۝ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ[5] فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ[6] ۝ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى[7] وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ[8] ۝ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ[9] أَكَادُ[10] أُخْفِيهَا[11]

(١) (أنا) مبتدأ أو تأكيد أو فصل. وكرّر الضمير لتحقيق المعرفة وإماطة الشبهة. روى أنّه لمّا نودى (ياموسى) قال من المتكلم؟ فقال الله عزوجل (أنا ربّك) فعرف أنّه كلام الله عزّ وجلّ بأنّه سمعه من جميع جهاته الستّ وسمعه بجميع أعضائه.

(٢) انزعهما لتصيب قدميك بركة الوادى المقدّس، أو لأنّهما كانتا من جلد حمار ميّت غير مدبوغ أو لأنّ الحفوة تواضع لله. ومن ثمّ طاف السلف بالكعبة حافين. والقرآن يدلّ على أنّ ذلك احترام للبقعة وتعظيم لها. فخلعهما وألقاهما من وراء الوادى.

(٣) المطهّر أو المبارك.

(٤) (طوى) حيث كان منوّن شامىّ وكوفىّ لأنّه اسم علم للوادى. وهو بدل منه. وغيرهم بغير تنوين بتأويل البقعة. وقرأ أبو زيد بكسر الطاء بلا تنوين.

(٥) اصطفيتك للنبوّة. (وإنّا اخترناك) حمزة.

(٦) (لما يوحى) إليك، للذى يوحى أو للوحى. واللام يتعلّق باستمع أو باخترتك.

(٧) وحدّنى وأطعنى.

(٨) لتذكرنى فيها لاشتمال الصلاة على الأذكار. أو لأنّى ذكرتها فى الكتب وأمرت بها. أو لأنْ أذكرك بالمدح والثناء. أو لذكرى خاصّة لا تشوبه بذكر غيرى. أو لتكون لى ذاكرا غير ناس. أو لأوقات ذكرى وهى مواقيت الصلاة لقوله (إنّ الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا). وقد حمل على ذكر الصلاة بعد نسيانها. وذا يصحّ بتقدير حذف المضاف أى لذكر صلاتى. وهذا دليل على أنّه لا فريضة بعد التوحيد أعظم منها.

(٩) (آتية) لا محالة.

(١٠) أريد، عن الأخفش. وقيل صلة.

(١١) قيل هو من الأضداد أى أظهرها. أو أسترها عن العباد فلا أقول هى آتية لإرادتى إخفاءها. ولولا ما فى الإخبار بإتيانها مع تعمية وقتها من الحكمة، وهو أنهم إذا لم يعلموا متى تقوم كانوا على وجل منها فى كلّ وقت، لما أخبرت به.

لِتُجْزَىٰ[1] كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ[2] ۝ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا[3] مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا[4] وَاتَّبَعَ هَوَاهُ[5] فَتَرْدَىٰ[6] ۝ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ[7] ۝ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا[8] وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي[9] وَلِيَ[10] فِيهَا مَآرِبُ[11] أُخْرَىٰ[12] ۝

---

(١) متعلق بآتية .

(٢) بسعيها من خير أو شرّ .

(٣) فلا يصرفنّك عن العمل للساعة أو عن إقامة الصلاة أو عن الإيمان بالقيامة . فالخطاب لموسى والمراد به أمّته .

(٤) لا يصدّق بها .

(٥) (واتّبع هواه) فى مخالفة أمره .

(٦) فتهلك .

(٧) (ما) مبتدأ و(تلك) خبره . وهى بمعنى هذه . و (بيمينك) حال عمل فيها معنى الإشارة أى قارّة أو مأخوذة بيمينك . أو (تلك) موصول صلته (بيمينك) . والسؤال للتنبيه لتقع المعجزة بها بعد التنبّه ، أو للتوطين لئلا يهوله انقلابها حيّة . أو للإيناس ورفع الهيبة للمكالمة .

(٨) أعتمد عليها إذا أعييت أو وقفت على رأس القطيع وعند الطفرة .

(٩) أخبط ورق الشجر (على غنمى) لتأكل .

(١٠) (ولىَ) حفص .

(١١) جمع مأربة بالحركات الثلاث وهى الحاجة .

(١٢) والقياس أخر . وإنّما قال (أخرى) ردّا إلى الجماعة أو لنسق الآى . وكذا الكبرى . لمّا ذكر بعضها شكرا أجمل الباقى حياء من التطويل أو ليسأل عنها الملك العلّام ، فيزيد فى الإكرام . والمآرب الأخر أنّها كانت تماشيه ، وتحدّثه ، وتحارب العدوّ والسباع ، وتصير رشاء فتطول بطول البئر ، وتصير شعبتاها دلوا ، وتكونان شمعتين بالليل ، وتحمل زاده ، ويركزها فتثمر ثمرة يشتهيها ، ويركزها فينبع الماء فإذا رفعها نضب ، وكانت تقيه الهوامّ .

والزيادة على الجواب لتعداد النعم شكرا . أو لأنّها جواب سؤال آخر لأنّه لمّا قال (هى عصاى) قيل له ما تصنع بها ؟ فأخذ يعدّد منافعها .

قَالَ أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ [1] ۝ فَأَلْقَىٰهَا [2] فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ۝ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ [3] سَنُعِيدُهَا [4] سِيرَتَهَا [5] ٱلْأُولَىٰ ۝ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ [6] تَخْرُجْ بَيْضَآءَ [7]

(١) اطرح عصاك لتفزع مما تتكئ عليه فلا تسكن إلا بنا، وترى فيها كنه ما فيها من المآرب، فتعتمد علينا فى المطالب .

(٢) فطرحها .

(٣) (تسعى) تمشى سريعا. قيل انقلبت ثعبانا يبتلع الصخر والشجر. فلما رآها تبتلع كل شىء خاف وإنما وصفت بالحية هنا، وبالثعبان وهو العظيم من الحيات وبالجان وهو الدقيق فى غيرها، لأن الحية اسم جنس يقع على الذكر والأنثى والصغير والكبير. وجاز أن تنقلب حية صفراء دقيقة ثم يتزايد جرمها حتى تصير ثعبانا . فأريد بالجان أول حالها وبالثعبان مآلها . أو لأنها كانت فى عظم الثعبان وسرعة الجان . وقيل كان بين لحييها أربعون ذراعا . ولما قال له ربه (خذها ولا تخف) بلغ من ذهاب خوفه أن أدخل يده فى فمها وأخذ بلحييها .

(٤) سنردها .

(٥) تأنيث الأول . والسيرة الحالة التى يكون عليها الإنسان غريزية كانت أو مكتسبة. وهى فى الأصل فعلة من السير كالركبة من الركوب . ثم استعملت بمعنى الحالة والطريقة . وانتصبت على الظرف أى سنعيدها فى طريقتها الأولى أى فى حال ما كانت عصا . والمعنى نردها عصا كما كانت . وأرى ذلك موسى عند المخاطبة لئلا يفزع منها إذا انقلبت حية عند فرعون .

(٦) نبه على آية أخرى فقال (واضمم يدك إلى جناحك) إلى جنبك تحت العضد . وجناحا الإنسان جنباه . والأصل المستعار منه جناحا الطائر. سميا جناحين لأنه يجنحهما أى يميلهما عند الطيران . والمعنى أدخلها تحت عضدك .

(٧) (تخرج بيضاء) لها شعاع كشعاع الشمس يغشى البصر .

مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً[1] أُخْرَىٰ[2] ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ[3] ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى[4] ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى[5] ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى[6] ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى[7] ﴿٢٨﴾

---

(١) برص .

(٢) (آية أخرى) لنبوّتك . (بيضاء) (وآية) حالان معا . و (من غير سوء) صلة (بيضاء) كقولك : ابيضّت من غير سوء . وجاز أن ينتصب (آية) بفعل محذوف يتعلّق به (لنريك من آياتنا الكبرى) أى خذ هذه الآية أيضا بعد قلب العصا حيّة لنريك بهاتين الآيتين بعض (آياتنا الكبرى) العظمى أو لنريك بهما الكبرى من آياتنا . أو المعنى فعلنا ذلك لنريك من آياتنا الكبرى .

(٣) جاوز حدّ العبودية إلى دعوى الربوبيّة .

(٤) لمّا أمره بالذهاب إلى فرعون الطاغى وعرف أنّه كلّف أمرا عظيما يحتاج إلى صدر فسيح (قال ربّ اشرح لى صدرى) وسّعه ليحتمل الوحى والمشاقّ ورديء الأخلاق من فرعون وجنده .

(٥) وسهّل علىّ ما أمرتنى به من تبليغ الرسالة إلى فرعون . و (اشرح لى صدرى) آكد من اشرح صدرى لأنّه تكرير للمعنى الواحد من طريق الإجمال والتفصيل لأنّه يقول (اشرح لى) و (يسّر لى) علم أنّ ثمّة مشروحا وميسّرا ثمّ رفع الإبهام بذكر الصدر والأمر .

(٦) افتح (عقدة من لسانى) وكان فى لسانه رتّة للجمرة التى وضعها على لسانه فى صباه . وذلك أنّ موسى أخذ لحية فرعون ولطمه لطمة شديدة فى صغره فأراد قتله . فقالت آسية أيّها الملك إنّه صغير لا يعقل . فجعلت فى طشت نارا وفى طشت يواقيت ووضعتهما لدى موسى فقصد اليواقيت فأمال الملك يده إلى النار فرفع جمرة فوضعها على لسانه فاحترق لسانه فصار لكنة منها . وروى أن يده احترقت واجتهد فرعون فى علاجها فلم تبرأ . ولمّا دعاه قال إلى أىّ ربّ تدعونى قال إلى الذى أبرأ يدى وقد عجزت عنها . و (من لسانى) صفة لعقدة كأنّه قيل عقدة من عقد لسانى وهذا يشعر بأنّه لم تزل العقدة بكمالها . وأكثرهم على ذهاب جميعها .

(٧) (يفقهوا قولى) عند تبليغ الرسالة .

وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ۝ هَٰرُونَ أَخِي[1] ۝ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي[2] ۝ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي[3] ۝ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا[4] ۝ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا[5] ۝ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا[6] ۝ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ[7] ۝ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ۝ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ۝ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ[8]

---

(١) (وزيرا) ظهيرا اعتمد عليه من الوزر الثقل لأنه يتحمل عن الملك أوزاره ومؤنه . أو من الوزر الملجأ لأن الملك يعتصم برأيه ويلتجىء إليه فى أموره . أو معينا من الموازرة وهى المعاونة . ووزيرا مفعول أول لاجعل والثانى (من أهلى) أو (لى وزيرا) مفعولاه . وقوله (هرون) عطف بيان لوزيرا . وقوله (أخى) بدل أو عطف بيان آخر . أو (وزيرا) و(هرون) مفعولاه . وقدم ثانيهما على أولهما عناية بأمر الوزارة .

(٢) قو به ظهرى . وقيل الأزر القوة .

(٣) اجعله شريكى فى النبوة والرسالة . (أَشْدُدْ) (وأُشْرِكْه) على حكاية النفس شامى على الجواب . والباقون على الدعاء والسؤال .

(٤) نصلى لك وننزهك تسبيحا (كثيرا) .

(٥) (ونذكرك كثيرا) فى الصلوات وخارجها .

(٦) عالما بأحوالنا .

(٧) فأجابه الله تعالى حيث (قال قد أوتيت سؤلك) أعطيت مسئولك . فالسُّؤْل الطلبة فُعْل بمعنى مفعول كخبز بمعنى مخبوز . (سولك) بلا همز أبو عمرو .

(٨) (ولقد مننّا) أنعمنا (عليك مرّة) كرّة (أخرى) قبل هذه . ثمّ فسّرها فقال (إذ أوحينا إلى أمّك) إلهاما أو مناما حين ولدت . وكان فرعون يقتل أمثالك . و(إذ) ظرف لمننّا . ثمّ فسّر (ما يوحى) بقوله (أن اقذفيه) ألقيه (فى التابوت) . (وأن) مفسّرة لأنّ الوحى بمعنى القول .

فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ (١) فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ (٢) يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى (٣) وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ (٤) ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ (٥) أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ (٦) فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ

---

(١) النيل .

(٢) الجانب . وسمّى ساحلا لأنّ الماء يسحله أى يقشّره . والصيغة أمر ليناسب ما تقدّم ومعناه الإخبار أى يلقيه اليمّ بالساحل .

(٣) (يأخذه عدوّ لى وعدوّ له) يعنى فرعون . والضمائر كلّها راجعة إلى موسى . ورجوع بعضها إليه و بعضها إلى التابوت يفضى إلى تنافر النظم . والمقذوف فى البحر والملقى إلى الساحل وإن كان هو التابوت لكنّ موسى فى جوف التابوت . روى أنّها جعلت فى التابوت قطنا محلوجا فوضعته فيه وقيّرته ثم ألقته فى اليمّ . وكان يشرع منه إلى بستان فرعون نهر كبير . فبينا هو جالس على رأس بركة مع آسية إذا بالتابوت . فأمر به فأخرج ففتح . فإذا بصبى أصبح الناس وجها . فأحبّه فرعون حبّا شديدا . فذلك قوله (وألقيت عليك محبّة منّى) . يتعلّق (منّى) بألقيت . يعنى إنّى أحببتك ومن أحبّه الله أحبّته القلوب فما رآه أحد إلّا أحبّه . قال قتادة كان فى عينى موسى ملاحة ما رآه أحد إلّا أحبّه .

(٤) (ولتصنع) معطوف على محذوف تقديره (وألقيت عليك محبّة) لتحبّ (ولتصنع على عينى) أى لتربّى بمرأى منّى . وأصله من صنع الفرس أى أحسن القيام عليه . يعنى أنا مراعيك ومراقبك كما يراعى الرجل الشىء بعينه إذا اعتنى به . (ولْتُصْنَعْ) يزيد ، على أنّه أمر منه .

(٥) بدل من (إذ أوحينا) لأنّ مشى أخته كان منّة عليه .

(٦) روى أنّ أخته مريم جاءت متعرّفة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها وكان لا يقبل ثدى امرأة . فقالت هل أدلّكم على من يضمّه إلى نفسه فيربيه ؟ وأرادت بذلك المرضعة الأمّ . وتذكير الفعل للفظ (من) . فقالوا نعم . فجاءت بالأمّ فقبل ثديها وذلك قوله (فرجعناك) فرددناك (إلى أمّك) كما وعدناها بقولنا (إنّا رادّوه إليك) .

كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ[١] وَقَتَلْتَ نَفْسًا[٢] فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ[٣] وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا[٤] فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ[٥] ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ[٦] يَا مُوسَى ﴿٤٠﴾ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي[٧] ﴿٤١﴾ اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي[٨] وَلَا تَنِيَا[٩]

---

(١) (كى تقر عينها) بلقائك (ولا تحزن) على فراقك .

(٢) قبطيًّا كافرا .

(٣) من القود . قيل الغم القتل بلغة قريش . وقيل اغتم بسبب القتل خوفا من عقاب الله تعالى ومن اقتصاص فرعون فغفر الله له باستغفاره (قال رب إنى ظلمت نفسى فاغفر لى) . ونجّاه من فرعون بأن ذهب به من مصر إلى مدين .

(٤) ابتليناك ابتلاء بإيقاعك فى المحن وتخليصك منها . والفتون مصدر كالقعود . أو جمع فتنة أى فتنّاك ضروبا من الفتن . والفتنة المحنة وكلّ ما يبتلى الله به عباده فتنة (ونبلوكم بالشرّ والخير فتنة) .

(٥) هى بلدة شعيب عليه السلام على ثمانى مراحل من مصر . قال وهب : لبث عند شعيب ثمانيا وعشرين سنة ، عشر منها مهر لصفوراء وأقام عنده ثمانى عشرة سنة بعدها حتّى ولد له أولاد .

(٦) أى موعد ومقدار للرسالة وهو أربعون سنة .

(٧) اخترتك واصطفيتك لوحيى ورسالتى لتتصرّف على إرادتى ومحبّتى . قال الزجاج : اخترتك لأمرى وجعلتك القائم بحجّتى ، والمخاطب بينى وبين خلقى كأنّى أقمت عليهم الحجة وخاطبتهم .

(٨) بمعجزاتى .

(٩) تفترا . من الونى وهو الفتور والتقصير .

فِى ذِكْرِى (١) ﴿٤٢﴾ اذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ (٢) إِنَّهُۥ طَغَىٰ (٣) ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا (٤) لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ (٥) ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ (٦) عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ (٧) ﴿٤٥﴾

---

(١) أى اتخذا ذكرى جناحا تطيران به . أو أريد بالذكر تبليغ الرسالة . فالذكر يقع على سائر العبادات وتبليغ الرسالة من أعظمها .

(٢) كرر لأنّ الأوّل مطلق والثانى مقيّد .

(٣) جاوز الحدّ بادّعائه الربوبيّة .

(٤) الطُفا له فى القول لمـا له من حقّ تربيــة موسى أوكنّياه وهو من ذوى الكنى الثلاث أبو العباس وأبو الوليد وأبو مرّة . أو عِدّاه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا ينزع عنه إلّا بالموت . أو هو قوله (هل لك إلى أن تزكّى وأهـديك إلى ربّك فتخشى) فظاهره الاستفهام والمشورة .

(٥) أى يتّعظ ويتأمّل فيذعن للحقّ (أو يخشى) أى يخاف أن يكون الأمر كما تصفان فيجرّه إنكاره إلى الهلكة . وإنّمـا قال (لعلّه يتذكّر) مع علمه أنّه لا يتذكّر لأنّ الترجّى لهما أى اذهبا على رجائكما وطمعكما وباشرا الأمر مباشرة من يطمع أن يثمر عمله . وجدوى إرسالهما إليه مع العلم بأنّه لن يؤمن إلزام الحجة وقطع المعذرة . وقيل معناه (لعلّه يتــذكّر) متذكّر (أو يخشى) خاش . وقد كان ذلك من كثير من الناس . وقيل (لعلّ) من الله تعالى واجب وقد تذكّر ولكن حين لم ينفعه التذكّر . وقيل تذكّر فرعون وخشى وأراد اتّبـاع موسى فمنعه هامان . وكان لا يقطع أمرا دونه . وتُليت عند يحيى بن معاذ فبكى وقال هذا رفقك بمن يقول أنا إله ، فكيف بمن قال أنت الإله ؟ وهذا رفقك بمن قال (أنا ربّكم الأعلى) فكيف بمن قال سبحان ربّى الأعلى ؟

(٦) يعجّل علينا بالعقوبة . ومنه الفارط يقال فرط عليه أى عجل .

(٧) يجاوز الحدّ فى الإساءة إلينا .

قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا[1] أَسْمَعُ وَأَرَىٰ[2] ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ[3] فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ[4] فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَٰٓءِيلَ[5] وَلَا تُعَذِّبْهُمْ[6] قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ[7] مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ[8] ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ[9] وَتَوَلَّىٰ[10] ﴿٤٨﴾

(١) أى حافظكما وناصركما .

(٢) (أسمع) أقوالكما (وأرى) أفعالكما . قال ابن عباس رضى الله عنهما (أسمع) دعاءكما فأجيبه (وأرى) ما يراد بكما فأمنع . لست بغافل عنكما فلا تهتما .

(٣) أى فرعون .

(٤) (إنّا رسولا ربّك) إليك .

(٥) أى أطلقهم عن الاستعباد والاسترقاق .

(٦) (ولا تعذّبهم) بتكليف المشاقّ .

(٧) بحجّة على صدق ما ادعيناه . وهذه الجملة جارية من الجملة الأولى وهى (إنّا رسولا ربّك) مجرى البيان والتفسير والتفصيل لأنّ دعوى الرسالة لا تثبت إلّا ببيّنتها وهى المجىء بالآى .

فقال فرعون وما هى ؟ فأخرج يده لها شعاع كشعاع الشمس .

(٨) أى سلم من العذاب من أسلم. وليس بتحيّة. وقيل: وسلام الملائكة الذين هم خزنة الجنّة على المهتدين .

(٩) (أنّ العذاب) فى الدنيا والعقبى (على من كذّب) بالرسل .

(١٠) أعرض عن الإيمان . وهى أرجى آى القرآن لأنّه جعل جنس السلام للمؤمن وجنس العذاب على المكذّب وليس وراء الجنس شىء .

فأتياه وأدّيا الرسالة وقالا له ما أمرا به :

قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَـٰمُوسَىٰ (١) ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ (٢) ثُمَّ هَدَىٰ (٣) ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ (٤) ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَـٰبٍ (٥) لَّا يَضِلُّ رَبِّى (٦) وَلَا يَنسَى (٧) ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى (٨) جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا (٩)

---

(١) خاطبهما ثمّ نادى أحدهما لأنّ موسى هو الأصل فى النبوّة وهرون تابعه .

(٢) (خلقه) أوّل مفعولى أعطى ، أى أعطى خليقته كلّ شىء يحتاجون إليه و يرتفقون به . أو ثانيهما ، أى أعطى كلّ شىء صورته وشكله الذى يطابق المنفعة المنوطة به . كما أعطى العين الهيئة التى تطابق الإبصار ، والأذن الشكل الذى يوافق الاستماع ، وكذا الأنف والرجل واليد كلّ واحد منها مطابق للمنفعة المنوطة بها . وقرأ نصير (خَلَقه) صفة للضاف أو للمضاف إليه أى (أعطى كل شىء) مخلوق عطاء .

(٣) عرّف كيف يرتفق بما أعطى للمعيشة فى الدنيا والسعادة فى العقبى .

(٤) فما حال الأمم الخالية والرمم البالية ؟ سأله عن حال من تقدّم من القرون وعن شقاء من شقى منهم وسعادة من سعد .

(٥) (قال) موسى مجيبا (علمها عند ربّى) - مبتدأ وخبر - (فى كتاب) أى اللوح . خبر ثان . أى هذا سؤال عن الغيب وقد استأثر الله به لا يعلمه إلّا هو . وما أنا إلّا عبد مثلك لا أعلم منه إلّا ما أخبرنى به علّام الغيوب . وعلم أحوال القرون مكتوب عند الله فى اللوح المحفوظ .

(٦) أى لا يخطئ شيئا . يقال ضلّلت الشىء إذا أخطأته فى مكانه فلم تهتـد له . أى لا يخطئ فى سعادة الناس وشقاوتهم .

(٧) (ولا ينسى) ثوابهم وعقابهم . وقيل (لا ينسى) ما علم فيذكّره الكتاب . ولكن ليعلم الملائكة أنّ معمول الخلق يوافق معلومه .

(٨) مرفوع صفة لربّى أو خبر مبتدأ محذوف . أو منصوب على المدح .

(٩) كوفىّ . وغيرهم (مهادا) . وهما لغتان لما يبسط و يفرش .

وَسَلَكَ(١) لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا(٢) وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً(٣) فَأَخْرَجْنَا بِهِ(٤) أَزْوَاجًا(٥) مِّن نَّبَاتٍ(٦) شَتَّىٰ(٧) ۝ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ(٨) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ(٩) لَآيَاتٍ(١٠) لِّأُولِي النُّهَىٰ(١١) ۝ مِنْهَا(١٢) خَلَقْنَاكُمْ(١٣) وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ(١٤) وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ(١٥) ۝

---

(١) أى جعل .

(٢) طرقا .

(٣) أى مطرا .

(٤) بالمـاء . نقل الكلام من الغيبة إلى لفظ المتكلّم المطاع للافتنان . وقيل تمّ كلام موسى ثمّ أخبر الله تعالى عن نفسه بقوله (فأخرجنا به) وقيل هـذا كلام موسى أى فأخرجنا نحن بالحراثة والغرس .

(٥) أصنافا .

(٦) هو مصدر سمّى به النابت فاستوى فيه الواحد والجمع .

(٧) صفة للأزواج أو للنبات جمع شتيت كمريض ومرضى . أى أنّها مختلفة النفع واللون والرائحة والشكل بعضها للناس و بعضها للبهائم . ومن نعمة الله تعالى أنّ أرزاقنا تحصل بعمل الأنعام وقد جعل الله علفها مما يفضل عن حاجاتنا ممّا لا تقدر على أكله .

(٨) قائلين (كلوا وارعوا أنعامكم) . حال من الضمير فى (فأخرجنا) . والمعنى أخرجنا أصناف النبات آذنين فى الانتفاع بها مبيحين أن تأكلوا بعضها وتعلفوا بعضها .

(٩) فى الذى ذكرت .

(١٠) لدلالات .

(١١) لذوى العقول . واحدها نُهية لأنّها تنهى عن المحظور . أو يُنتهىَ إليها فى الأمور .

(١٢) من الأرض .

(١٣) أى أباكم آدم عليه السلام . وقيل يعجن كلّ نطفة بشىء من تراب مدفنه فيخلق من التراب والنطفة معا . أو لأنّ النطفة من الأغذية وهى من الأرض .

(١٤) (وفيها نعيدكم) إذا متّم فدفنتم .

(١٥) (نخرجكم) عند البعث (تارة أخرى) مرّة أخرى . والمراد بإخراجهم أنّه يؤلّف أجزاءهم المتفرقة المختلطة بالتراب و يردّهم كما كانوا أحياء ويخرجهم إلى المحشر .

وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ(١) ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا(٢) فَكَذَّبَ(٣) وَأَبَىٰ(٤) ۝ قَالَ(٥) أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا(٦) بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ(٧) ۝ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ(٨) فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا(٩) لَّا نُخْلِفُهُۥ(١٠) نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا(١١)

علّد الله عليهم ما علق بالأرض من مرافقهم حيث جعلها لهم فراشا ومهادا يتقلّبون عليها وسوّى لهم فيها مسالك يترددون فيها كيف شاءوا وأنبت فيها أصناف النبات التى منها أقواتهم وعلوفات بهائمهم . وهى أصلهم الذى منه تفرّعوا وأمّهم التى منها ولدوا وهى كفاتهم إذا ماتوا .

(١) أى فرعون .

(٢) وهى تسع آيات: العصا واليد وفلق البحر والحجر والجراد والقمّل والضفادع والدم ونتق الجبل .

(٣) (فكذّب) الآيات .

(٤) (وأبى) قبول الحقّ .

(٥) (قال) فرعون .

(٦) مصر .

(٧) فيه دليل على أنّه خاف منه خوفا شديدا. وقوله (بسحرك) تعلّل . وإلّا فأىّ ساحر يقدر أن يخرج ملكا من أرضه ؟

(٨) فلنعارضنّك بسحر مثل سحرك .

(٩) هو مصدر بمعنى الوعد . ويقدّر مضاف أى مكان موعد .

(١٠) الضمير للوعد . قرأ يزيد بالجزم على جواب الأمر . وغيره بالرفع على الوصف للوعد .

(١١) هو بدل من المكان المحذوف . ويجوز ألّا يقدّر مضاف ويكون المعنى اجعل بيننا وبينك وعدا لا نخلفه . وانتصب مكانا بالمصدر أو بفعل يدلّ عليه المصدر .

سُوًى[1] ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ[2] وَأَن يُحْشَرَ[3] النَّاسُ ضُحًى[4] ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ[5] فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ[6] ثُمَّ أَتَىٰ[7] ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم[8] مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا[9] فَيُسْحِتَكُم[10] بِعَذَابٍ[11] وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ[12] ﴿٦١﴾ فَتَنَازَعُوا[13]

(١) بالكسر حجازى وأبو عمرو وعلى . وغيرهم بالضم . وهو نعت لمكانا . أى منصفا بيننا وبينك . وهو من الاستواء لأن المسافة من الوسط إلى الطرفين مستوية .

(٢) مبتدأ وخبر . وهو يوم عيد كان لهم . أو يوم النيروز . أو يوم عاشوراء . وإنما استقام الجواب بالزمان وإن كان السؤال عن المكان على التأويل الأول لأن اجتماعهم يوم الزينة يكون فى مكان لا محالة فبذكر الزمان علم المكان . وعلى الثانى تقديره وعدكم وعد يوم الزينة .

(٣) أى تجمع . فى موضع رفع أو جر عطفا على (يوم) أو (الزينة) .

(٤) أى وقت الضحوة لتكون أبعد عن الريبة وأبين لكشف الحق وليشيع فى جميع أهل الوبر والمدر .

(٥) أدبر عن موسى معرضا .

(٦) مكره وسحرته . وكانوا اثنين وسبعين أو أربعمائة أو سبعين ألفا .

(٧) (ثم أتى) للوعد .

(٨) أى للسحرة .

(٩) لا تدعوا آياته ومعجزاته سحرا .

(١٠) كوفى غير أبى بكر . يهلككم . وبفتح الياء والحاء غيرهم . والسحت والإسحات بمعنى الإعدام . وانتصب على جواب النهى .

(١١) (بعذاب) عظيم .

(١٢) من كذب على الله .

(١٣) اختلفوا أى السحرة فقال بعضهم هو ساحر مثلنا . وقال بعضهم ليس هذا بكلام السحرة . أى (لا تفتروا على الله كذبا) الآية .

أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ[1] يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم[2] بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ[3] ٱلْمُثْلَىٰ[4] ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟[5]

---

(١) أى تشاوروا فى السرّ وقالوا إن كان ساحرا فسنغلبه، وإن كان من السماء فله أمر. والنجوى يكون مصدرا واسما . ثمّ لفّقوا هـذا الكلام يعنى (إنـ هذان لساحران) يعنى موسى وهرون . قرأ أبو عمرو (إنّ هـذين لساحران) وهو ظاهر ولكنّه مخالف للإمام . وابن كثير وحفص والخليل وهو أعرف بالنحو واللغة (إنْ هذان لساحران) بتخفيف (إن) مثل قولك إنْ زيد لمنطق . واللام هى الفارقة بين إن النافية والمخفّفة من الثقيلة . وقيل هى بمعنى ما واللام بمعنى إلّا، أى ما هذان إلّا ساحران . دليله قراءة أبىّ (إن ذان إلّا ساحران) وغيرهم (إنّ هذان لساحران) قيل هى لغة بلحارث بن كعب وخثعم ومراد وكنانة فالتثنية فى لغتهم بالألف أبدا فلم يقلبوها ياء فى الجر والنصب كعصا وسعدى قال :

إنـ أباها وأبا أباها * قد بلغا فى المجد غايتاها

وقال الزجاج (إنّ) بمعنى نعم قال الشاعر :

ويقلن شيب قـد علا * ك وقد كبرت فقلتُ إنّهْ

أى نعم. والهاء للوقف . و (هذان) مبتدأ و (ساحران) خبر مبتدأ محذوف . واللام داخلة على المبتدأ المحذوف تقديره هذان لهما ساحران . فيكون دخولها فى موضعها الموضوع لها وهو الابتداء وقد يدخل اللام فى الخبر كما يدخل فى المبتدأ قال :

* خالى لأنت ومن جرير خاله * قال فمرضته على المبرد فرضيه وقد زيفه أبو علىّ .

(٢) مصر .

(٣) بدينكم وشريعتكم .

(٤) الفضلى تأنيث الأمثل وهو الأفضل .

(٥) فأحكموا . أى اجعلوه مجمعا عليه حتى لا تختلفوا . (فاجمَعوا) . أبو عمرو . ويعضده (فجمع كيده) .

كَيْدَكُمْ[1] ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا[2] وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ[3] ۞ قَالُوا۟[4] يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ[5] وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ۞ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟[6] فَإِذَا[7] حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ[8] إِلَيْهِ[9] مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ[10] ۞ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً[11] مُّوسَىٰ ۞

(١) هو ما يكاد به .

(٢) مصطفين حال . أمروا بأن يأتوا صفًّا لأنّه أهيب فى صدور الرائين .

(٣) وقد فاز من غلب . وهو اعتراض .

(٤) أى السحرة .

(٥) (إمّا أن تلقى) عصاك أوّلا .

(٦) (ألقى) ما معنا . وموضع أن مع ما بعده فيهما نصب بفعل مضمر ، أو رفع بأنّه خبر مبتدأ محذوف. معناه اختر أحد الأمرين أو الأمر إلقاؤك أو إلقاؤنا. وهذا التخيير منهم استعمال أدب حسن معه . وكأنّه تعالى ألهمهم ذلك وقد وصلت إليهم بركته وعلّم موسى اختيار إلقائهم أوّلا حتّى (قال بل ألقوا) أنتم أوّلا ليبرزوا ما معهم من مكايد السحر ويظهر الله سلطانه و يقذف بالحقّ على الباطل فيدمغه ويسلّط المعجزة على السحر فتمحقه فيصير آية نيّرة للناظرين وعبرة بيّنة للمعتبرين . فألقوا .

(٧) يقال فى (إذا) هذه إذا المفاجأة. والتحقيق أنّها إذا الكائنة بمعنى الوقت الطالبة ناصبا لها وجملة تضاف إليها، خصّت فى بعض المواضع بأن يكون ناصبها فعلا مخصوصا وهو فعل المفاجأة والجملة ابتدائيّة لا غير . والتقدير ففاجأ موسى وقت تخييل سعى حبالهم وعصيّهم . والمعنى على مفاجأته حبالهم وعصيّهم مخيّلة إليه السعى .

(٨) بالتاء ابن ذكوان .

(٩) إلى موسى .

(١٠) رفع بدل اشتمال من الضمير فى (يخيّل) أى يخيّل الملقى. روى أنّهم لطخوها بالزئبق . فلمّا ضربت عليها الشمس اضطربت واهتزّت فخيّلت ذلك .

(١١) أضمر فى نفسه خوفا ظنًّا منه أنّها تقصده، للجبلّة البشريّة . أو خاف أن يخالج الناس شكّ فلا يتّبعوه .

قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ (١) ۝ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ (٢) إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ (٣) حَيْثُ أَتَىٰ (٤) ۝ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا (٥) بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ (٦) ۝ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ (٧)

(١) الغالب القاهر . وفى ذكر إنّ وأنت وحرف التعريف ولفظ العلو — وهو الغلبة الظاهرة — مبالغة بيّنة .

(٢) (تلقف) بسكون اللام والفاء وتخفيف القاف حفص . و (تَلَقَّفُ) ابن ذكوان . الباقون (تَلَقَّفْ ما صنعوا) زوّروا وافتعلوا . أى اطرح عصاك تبتلع عصيّهم وحبالهم . ولم يقل عصاك تعظيما لها . أى لا تحتفل بما صنعوا فإنّ ما فى يمينك أعظم منها . أو تحقيرا . أى لا تبال بكثرة حبالهم وعصيّهم وألق العويد الفرد الذى فى يمينك فإنّه بقدرتنا يتلقّفها على وحدته وكثرتها .

(٣) (ساحر) كوفىّ غير عاصم . (سحر) بمعنى ذى سحر أو ذوى سحر . أو هم لتوغّلهم فى السحر كأنّهم السحر . و(كيد) بالرفع على القراءتين . و(ما) موصولة أو مصدريّة . وإنّما وحّد (ساحر) ولم يجمع لأنّ القصد فى هذا الكلام إلى معنى الجنسيّة لا إلى معنى العدد . فلو جمع لخيّل أنّ المقصود هو العدد . ألا ترى إلى قوله (ولا يفلح الساحر) أى هذا الجنس .

(٤) أينما كان .

(٥) ألقى موسى عصاه فتلقّفت ما صنعوا . فلعظم ما رأوا من الآية وقعوا إلى السجود فذلك قوله (فألقى السحرة سجّدا) . قال الأخفش من سرعة ما سجدوا كأنّهم ألقوا . فما أعجب أمرهم قد ألقوا حبالهم وعصيّهم للكفر والجحود ، ثمّ ألقوا رءوسهم بعد ساعة للشكر والسجود . فما أعظم الفرق بين الإلقاءين ! روى أنّهم رأوا الجنّة ومنازلهم فيها فى السجود فرفعوا رءوسهم ثمّ (قالوا آمنا) .

(٦) إنّما قدم هرون هنا وأخّر فى الشعراء محافظة للفاصلة ولأنّ الواو لا توجب ترتيبا .

(٧) (آمنتم) — بغير مدّ حفص . وبهمزة ممدودة بصرىّ وشامىّ وحجازىّ . وبهمزتين غيرهم — (له) أى لموسى . يقال آمن له وآمن به . واللام مع الإيمان فى كتاب الله لغير الله كقوله (يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين) .

قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ(١) ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ(٢) وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ(٣) وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ(٤) أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ(٥) ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ(٦) عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ(٧) وَٱلَّذِى فَطَرَنَا(٨) فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ(٩) إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ(١٠) ﴿٧٢﴾

---

(١) لعظيمكم أو لمعلّمكم . تقول أهل مكّة للعلّم : أمرنى كبيرى .

(٢) القطع من خلاف أن تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى لأنّ كلّ واحد من العضوين يخالف الآخر بأنّ هذا يد وذاك رجل وهذا يمين وذاك شمال. و (من) لابتداء الغاية لأنّ القطع مبتدأ وناشئ من مخالفة العضـو . ومحلّ الجار والمجرور النصب على الحـال . يعنى لأقطعنّها مختلفات لأنّها إذا خالف بعضها بعضا فقد اتّصفت بالاختلاف .

(٣) شبّه تمكّن المصلوب فى الجذع بتمكّن المظروف فى الظرف . فلهذا قال (فى جذوع) وخصّ (النخل) لطول جذوعها .

(٤) أنا على ترك إيمـانكم بى أو ربّ موسى على ترك الإيمـان به . وقيـل يريد نفسه لعنه الله وموسى صلوات الله وسلامه عليه بدليل قوله (آمنتم له).

(٥) أدوم .

(٦) لن نختارك .

(٧) (من البيّنٰت) القاطعة الدالّة على صدق موسى .

(٨) عطف على (ما جاءنا) . أى لن نختارك على الذى جاءنا ولا على الذى خلقنا . أو قسم . وجوابه (لن نؤثرك) مقدّم على القسم .

(٩) فاصنع ما أنت صانع من القتل والصلب . قال * وعليهما مسرودتان قضاهما * أى صنعهما . أو احكم ما أنت حاكم .

(١٠) أى فى هذه الحياة الدنيا . فانتصب على الظرف. أى إنّمـا تحكم فينا مدّة حياتنا .

إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَـٰيَـٰنَا وَمَآ[1] أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ[2] وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ[3] ۝ إِنَّهُۥ[4] مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا[5] فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ[6] لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ[7] ۝ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا[8] قَدْ عَمِلَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ[9] فَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَـٰتُ ٱلْعُلَىٰ[10] ۝ جَنَّـٰتُ[11] عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ[12] فِيهَا

---

(١) (ما) موصولة منصوبة بالعطف على (خطايانا) .

(٢) حال من (ما) . روى أنهم قالوا لفرعون أرنا موسى نائما.ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر . الساحر إذا نام بطل سحره . فكرهوا معارضته خوف الفضيحة.فأكرههم فرعون على الإتيان بالسحر . وضرّ فرعونَ جهلُه به ونفعهم علمهم بالسحر . فكيف بعلم الشرع ؟

(٣) (والله خير) ثوابا لمن أطاعه (وأبقى) عقابا لمن عصاه . وهو ردّ لقول فرعون (ولتعلمنّ أيّنا أشدّ عذابا وأبقى) .

(٤) هو ضمير الشأن .

(٥) كافرا .

(٦) للمجرم .

(٧) (لا يموت فيها) فيستريح بالموت (ولا يحيا) حياة ينتفع بها .

(٨) مات على الإيمان .

(٩) (قد عمل الصالحات) بعد الإيمان .

(١٠) جمع العليا .

(١١) بدل من الدرجات .

(١٢) دائمين .

وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ (١) ﴿٧٦﴾ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى (٢) فَاضْرِبْ لَهُمْ (٣) طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا (٤) لَّا تَخَافُ (٥) دَرَكًا (٦) وَلَا تَخْشَىٰ (٧) ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ (٨) فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ (٩) ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ (١٠) ﴿٧٩﴾

---

(١) تطهر من الشرك بقول لا إله إلّا الله .

قيل هذه الآيات الثلاث حكاية قولهم. وقيل خبر من الله تعالى لا على وجه الحكاية وهو أظهر.

(٢) لمّا أراد الله تعالى إهلاك فرعون وقومه أمر موسى أن يخرج بهم من مصر ليلا ويأخذ بهم طريق البحر .

(٣) اجعل لهم ، من قولهم ضرب له فى ماله سهما .

(٤) أى يابسا . وهو مصدر وصف به يقال يبس يَبَسًا ويُبْسًا .

(٥) حال من الضمير فى (فاضرب) . أى اضرب لهم طريقا غير خائف . (لا تخفْ) حمزة على الجواب .

(٦) هو اسم من الإدراك . أى لا يدركك فرعون وجنوده ولا يلحقونك .

(٧) (ولا تخشى) الغرق . وعلى قراءة حمزة (ولا تخشى) استئناف . أى وأنت لا تخشى . أو يكون الألف للإطلاق كما فى (وتظنون بالله الظنونا) .

فخرج بهم موسى من أول الليل وكانوا سبعين ألفا وقد استعاروا حليهم فركب فرعون فى ستمائة ألف من القبط فقص أثرهم .

(٨) هو حال . أى خرج خلفهم ومعه جنوده .

(٩) أصابهم من البحر (ما غشيهم) . هو من جوامع الكلم التى تستقل مع قلّتها بالمعانى الكثيرة . أى غشيهم ما لا يعلم كنهه إلّا الله عزّ وجلّ .

(١٠) (وأضلّ فرعون قومه) عن سبيل الرشاد (وما هدى) وما أرشدهم إلى الحقّ والسداد . وهذا ردّ لقوله (وما أهديكم إلا سبيل الرشاد) .

يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ[1] قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ[2] وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ[3] وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ۝ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ[4] وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ[5] فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِي[6] وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ[7] ۝ وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ[8] وَءَامَنَ[9]

---

(١) ذكر منّته على بنى إسرائيل بعد ما أنجاهم من البحر وأهلك فرعون وقومه ، أى (أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادى) وقلنا (يا بنى إسرائيل) .

(٢) أى فرعون .

(٣) (وواعدناكم) بإيتاء الكتاب (جانب الطور الأيمن). وذلك أن الله عزّ وجلّ وعد موسى أن يأتى هذا المكان ويختار سبعين رجلا يحضرون معه لنزول التوراة. وإنّما نسب إليهم المواعدة لأنّها كانت لنبيّهم ونقبائهم ، وإليهم رجعت منافعها التى قام بها شرعهم ودينهم . و(الأيمن) نصب لأنّه صفة جانب . وقرئ بالجرّ على الجوار .

(٤) (وأنزلنا عليكم المنّ والسلوى) فى التيه وقلنا لكم (كُلوا من طيّبات) حلالات (ما رزقناكم) . (أنجيتكم . وواعدتكم . ورزقتكم) كوفىّ غير عاصم .

(٥) ولا تتعدّوا حدود الله فيه بأن تكفروا النعم وتنفقوها فى المعاصى . أو لا يظلم بعضكم بعضا .

(٦) عقوبتى .

(٧) هلك أو سقط سقوطا لا نهوض بعده . وأصله أن يسقط من جبل فيهلك . وتحقيقه سقط من شرف الإيمان ، إلى حفرة من حفر النيران . قرأ علىّ (فيحُلّ ويحلُل) . والباقون بكسرهما . فالمكسور فى معنى الوجوب من حلّ الدين يحلّ إذا وجب أداؤه . والمضموم فى معنى النزول .

(٨) (لمن تاب) عن الشرك .

(٩) وحّد الله تعالى وصدّقه فيما أنزل .

وَعَمِلَ صَٰلِحًا[(١)] ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ[(٢)] ۝ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ[(٣)] يَٰمُوسَىٰ ۝ قَالَ هُمْ أُولَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ[(٤)] ۝ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ[(٥)] وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ[(٦)] ۝ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ[(٧)] إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا[(٨)] قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا[(٩)]

(١) أدّى الفرائض .

(٢) ثمّ استقام وثبت على الهدى المذكور . وهو التوبة والإيمان والعمل الصالح .

(٣) أى وأىّ شىء عجل بك (عن قومك) أى عن السبعين الذين اختارهم . وذلك أنّه مضى معهم إلى الطور على الموعد المضروب ثمّ تقدّمهم شوقا إلى كلام ربّه وأمرهم أن يتبعوه. قال الله تعالى (وما أعجلك) أى أى شىء أوجب عجلتك . استفهام إنكار . و(ما) مبتدأ و(أعجلك) الخبر .

(٤) أى هم خلفى يلحقون بى وليس بينى وبينهم إلّا مسافة يسيرة . ثمّ ذكر موجب العجلة فقال (وعجلت إليك ربّ) أى إلى الموعد الذى وعدت (لترضى) لتزداد عنّى رضا . وهذا دليل على جواز الاجتهاد .

(٥) ألقيناهم فى فتنة (من بعدك) من بعد خروجك من بينهم . والمراد بالقوم الذين خلفهم مع هرون .

(٦) (وأضلهم السامرىّ) بدعائه إياهم إلى عبادة العجل وإجابتهم له . وهو منسوب إلى قبيلة من بنى إسرائيل يقال لها السامرة . وقيل كان علجا من كرمان (فاتخذ عجلا) واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا .

(٧) (فرجع موسى) من مناجاة ربّه .

(٨) شديد الغضب أو حزينا .

(٩) وعدهم الله أن يعطيهم التوراة التى فيها هدى ونور وكانت ألف سورة كلّ سورة ألف آية يحمل أسفارها سبعون جملا . ولا وعد أحسن من ذلك .

أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ[1] أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ[2] فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى[3] ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا[4] وَلَـٰكِنَّا حُمِّلْنَآ[5] أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ[6] فَقَذَفْنَـٰهَا[7] فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ[8] ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ[9]

(١) أى مدّة مفارقتى إيّاكم . والعهد الزمان . يقال طال عهدى بك أى طال زمانى بسبب مفارقتك .

(٢) أى أردتم أن تفعلوا فعلا يجب به عليكم الغضب من ربكم .

(٣) وعدوه أن يقيموا على أمره وما تركهم عليه من الآيات فأخلفوا موعده باتّخاذ العجل .

(٤) بفتح الميم مدنىّ وعاصم . وبضمّها حمزة وعلىّ . وبكسرها غيرهم . أى ما أخلفنا موعدك بأن ملكنا أمرنا . أى لو ملكنا أمرنا وخلّينا ورأينا لما أخلفنا موعدك ولكنّا غلبنا من جهة السامرىّ وكيده .

(٥) بالضمّ والتشديد حجازىّ وشامىّ وحفص . وبفتح الحاء والميم مع التخفيف غيرهم .

(٦) أثقالا من حلىّ القبط . أو أرادوا بالأوزار أنّها آثام وتبعات لأنّهم قد استعاروها ليلة الخروج من مصر بعلّة أنّ لنا غدا عيدا . فقال السامرىّ : إنّما حبس موسى لشؤم حرمتها — لأنّهم كانوا معهم فى حكم المستأمنين فى دار الحرب وليس للمستأمن أن يأخذ مال الحربىّ . على أنّ الغنائم لم تكن تحلّ حينئذ — فأحرقوها . فخبأ فى حفرة النار قالب عجل فانصاغت عجلا مجوّفا فخار بدخول الريح فى مجار منه أشباه العروق . وقيل نفخ فيه ترابا من موضع قوائم فرس جبريل عليه السلام يوم الغرق وهو فرس حياة فحيي فخار . ومالت طباعهم إلى الذهب فعبدوه .

(٧) (فقذفناها) فى نار السامرىّ التى أوقدها فى الحفرة وأمرنا أن نطرح فيها الحلىّ .

(٨) (ألقى السامرىّ)ما معه من الحلىّ فى النار أو ما معه من التراب الذى أخذ من أثر حافر فرس جبريل عليه السلام .

(٩) (فأخرج لهم) السامرىّ من الحفرة .

عِجْلًا[1] جَسَدًا[2] لَّهُۥ خُوَارٌ[3] فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ[4] فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا[5] ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ[6] هَٰرُونُ مِن قَبْلُ[7] يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ[8] وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ[9] فَٱتَّبِعُونِى[10] وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى[11] ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ[12]

---

(١) (عجلا) خلقه الله تعالى من الحلىّ التى سبكتها النار ابتلاء .

(٢) جسّدا .

(٣) صوت . وكان يخور كما تخور العجاجيل .

(٤) (فقالوا) أى السامرىّ وأتباعه (هذا إلهكم وإله موسى) فأجاب عامّتهم إلاّ اثنى عشر ألفا .

(٥) أى (فنسى) موسى ربّه هنا وذهب يطلبه عند الطور . أو هو ابتداء كلام من الله تعالى . أى نسى السامرى ربّه وترك ما كان عليه من الإيمان الظاهر . أو نسى السامرىّ الاستدلال على أنّ العجل لا يكون إلها بدليل قوله (أفلا يرون أن لا يرجع إليهم قولا) . أى أنّه (لا يرجع) فأن مخفّفة من الثقيلة أى لا يجيبهم (ولا يملك لهم ضرّا ولا نفعا) أى هو عاجز عن الخطاب والضرّ والنفع . فكيف تتّخذونه إلها ؟ وقيل إنّه ما خار إلّا مرّة .

(٦) لمن عبدوا العجل .

(٧) من قبل رجوع موسى إليهم .

(٨) ابتليتم بالعجل فلا تعبدوه .

(٩) (وإنّ ربّكم الرحمن) لا العجل .

(١٠) كونوا على دينى الذى هو الحقّ .

(١١) (وأطيعو أمرى) فى ترك عبادة العجل .

(١٢) أى لن نزال مقيمين على العجل وعبادته .

حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ (١) أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى (٢) ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى (٣) ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ (٤)

---

(١) (حتّى يرجع إلينا موسى) فننظره هل يعبده كما عبدناه وهل صدق السامرىّ أم لا؟ فلمّا رجع موسى (قال يا هرون ما منعك إذ رأيتهم ضلّوا) بعبادة العجل (ألّا تتّبعن). بالياء فى الوصل والوقف مكّىّ . وافقه أبو عمرو ونافع فى الوصل . وغيرهم بلا ياء . أى ما دعاك إلى ألّا تتّبعنى لوجود التعلّق بين الصارف عن فعل الشىء وبين الداعى إلى تركه . وقيل (لا) مزيدة . والمعنى أىّ شىء منعك أن تتّبعنى حين لم يقبلوا قولك وتلحق بى وتخبرنى ؟ أو ما منعك أن تتّبعنى فى الغضب لله ؟ وهلّا قاتلت من كفر بمن آمن . ومالك لم تباشر الأمر كما كنت أباشره أنا لو كنت شاهدا ؟

(٢) أى الذى أمرتك به من القيام بمصالحهم .

ثم أخذ بشعر رأسه بيمينه ولحيته بشماله غضبا وإنكارا عليه لأنّ الغيرة فى الله ملكته .

(٣) (يابن أمّ) بخفض الميم شامىّ وكوفىّ غير حفص. وكان لأبيه وأمّه عند الجمهور. ولكنّه ذكر الأمّ استعطافا وترقيقا . ثمّ ذكر عذره فقال (إنّى خشيت أن تقول) إن قاتلت بعضهم ببعض (فرّقت بين بنى إسرائيل ولم ترقب) ولم تحفظ (قولى) : (اخلفنى فى قومى وأصلح) . وفيه دليل على جواز الاجتهاد . ثم أقبل موسى على السامرىّ منكرا عليه حيث (قال فما خطبك) ما أمرك الذى تخاطب عليه (يا سامرىّ) ؟

(٤) (بما لم تبصروا) بالتاء حمزة وعلىّ . قال الزجّاج : بصُر علم وأبصر نظر . أى علمت ما لم يعلمه بنو إسرائيل . قال موسى وما ذاك ؟ قال رأيت جبريل على فرس الحياة فأُلقِىَ فى نفسى أن أقبض من أثره . فما ألقيته على شىء إلّا صار له رُوح ولحم ودم .

فَقَبَضْتُ قَبْضَةً[1] مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ[2] فَنَبَذْتُهَا[3] وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي[4] ﴿٩٦﴾ قَالَ فَاذْهَبْ[5] فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ[6] وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ[7] وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ[8] عَلَيْهِ عَاكِفًا[9] لَّنُحَرِّقَنَّهُ[10]

---

(١) القبضة المرّة من القبض. وإطلاقها على المقبوض من تسمية المفعول بالمصدر كضرب الأمير. وقرئ (فقبصت قبصة). فالضاد بجميع الكفّ والصاد بأطراف الأصابع.

(٢) أى من أثر فرس الرسول. وقرئ بها.

(٣) فطرحتها فى جوف العجل.

(٤) زيّنت (لى نفسى) أن أفعله ففعلته اتباعا لهواى. وهو اعتراف بالخطأ واعتذار.

(٥) (قال) له موسى: (فاذهب) من بيننا طريدا.

(٦) (فإنّ لك) ما عشت (أن تقول) لمن أراد مخالطتك جاهلا بحالك (لا مساس). أى لا يمسّنى أحد ولا أمسّه. فمنع من مخالطة الناس منعا كلّيّا وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته. وإذا اتّفق أن يماسّ أحدا حُمّ الماسّ والممسوس. وكان يهيم فى البريّة يصيح: لا مساس. ويقال إنّ ذلك موجود فى أولاده إلى الآن. وقيل أراد موسى عليه السلام أن يقتله فمنعه الله تعالى منه لسخائه.

(٧) أى لن يخلفك الله موعده الذى وعدك على الشرك والفساد فى الأرض يُنجزه لك فى الآخرة بعد ما عاقبك بذلك فى الدنيا. (لن تُخلِفه) مكىّ وأبو عمرو. وهذا من أخلفت الموعد إذا وجدته خلفا.

(٨) وأصله ظللت فحذف اللام الأولى تخفيفا.

(٩) مقيما.

(١٠) (لنحرّقنّه) بالنار.

ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا (١) إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا (٢) كَذَٰلِكَ (٣) نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا (٤) مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ (٥) فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا (٦) خَٰلِدِينَ (٧) فِيهِ (٨) وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا (٩)

(١) لنُذرينّه (فى اليمّ نسفا) . نحرقه وذراه فى البحر فشرب بعضهم من مائه حبّا له فظهرت على شفاههم صفرة الذهب .

(٢) تمييز . أى وسع علمه كلّ شىء .

(٣) محلّ الكاف فى (كذلك) نصب. أى مثل ما اقتصصنا عليك قصّة موسى وفرعون نقصّ عليك من أنبـاء ما قد سبق من أخبار الأمم المـاضية تكثيرا لبيّناتك وزيادة فى معجزاتك .

(٤) أى أعطيناك من عندنا قرآنا . فهو ذكر عظيم ، وقرآن كريم ، فيه النجاة لمن أقبل عليه وهو مشتمل على الأقاصيص والأخبار ، الحقيقة بالتفكّر والاعتبار .

(٥) عن هذا الذكر وهو القرآن ولم يؤمن به .

(٦) عقوبة ثقيلة . سمّاها وزرا تشبيها فى ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها ، بالحمل الثقيل الذى يُنقض ظهره ، ويلق عليه بُهره . أو لأنّها جزاء الوزر وهو الإثم .

(٧) حال من الضمير فى (يحمل). وإنّما جمع على المعنى. ووحّد فى (فإنّه) حملا على لفظ (مَن)

(٨) فى الوزر . أى فى جزاء الوزر وهو العذاب .

(٩) (ساء) فى حكم بئس. وفيه ضمير مبهم يفسّره (حملا) . وهو تمييز .واللام فى(لهم) للبيان كما فى (هيت لك) . والمخصوص بالذم محذوف لدلالة الوزر السابق عليه تقديره ساء الحمل حملا وزرهم .

يَوْمَ يُنفَخُ[1] فِي ٱلصُّورِ[2] وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا[3] ﴿﴾ يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا[4] ﴿﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ[5]

---

(١) (يوم) بدل من يوم القيامة . (ننفخ) أبو عمرو .

(٢) القرن . أو هو جمع صورة . أى ننفخ الأرواح فيها . دليله قراءة قتادة (الصُّوَر) بفتح الواو جمع صورة .

(٣) حال . أى عميا كما قال (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا) . وهذا لأنّ حدقة من يذهب نور بصره تزرقّ .

(٤) يتسارّون (بينهم) أى يقول بعضهم لبعض سرّا لهول ذلك اليوم (إن لبثتم) ما لبثتم فى الدنيا (إلّا عشرا) أى عشر ليال. يستقصرون مدّة لبثهم فى القبور أو فى الدنيا لما يعاينون من الشدائد التى تذكّرهم أيّام النعمة والسرور فيتأسّفون عليها و يصفونها بالقصر لأنّ أيّام السرور قصار . أو لأنّها ذهبت عنهم والذاهب ، وإن طال مدّته ، قصير بالانتهاء . أو لاستطالتهم الآخرة لأنّها أبد يستقصر إليها عمر الدنيا ويُتقالّ لبث أهلها فيها بالقياس إلى لبثهم فى الآخرة . وقد رجّح الله قول من يكون أشدّ تقالّا منهم بقوله (إذ يقول أمثلهم طريقة) أعدلهم قولا (إن لبثتم إلّا يوما) . هو كقوله (قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادّين) .

(٥) سألوا النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ما يصنع بالجبال يوم القيامة؟ وقيل لم يسأل. وتقديره إن سألوك (فقل) . ولذا قرن بالفاء بخلاف سائر السؤالات مثل قوله (ويسئلونك عن المحيض قل هو أذى) . وقوله (ويسئلونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير) . (يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير) . (يسئلونك عن الساعة أيّان مرساها قل إنّما علمها عند ربّى) . (ويسئلونك عن الروح قل الروح) . (ويسئلونك عن ذى القرنين قل سأتلو) . لأنّها سؤالات تقدّمت فورد جوابها ولم يكن فيها معنى الشرط فلم يذكر الفاء .

يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا(١) ﴿﴾ فَيَذَرُهَا(٢) قَاعًا صَفْصَفًا(٣) ﴿﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا(٤) وَلَآ أَمْتًا(٥) ﴿﴾ يَوْمَئِذٍ(٦) يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ(٧) لَا عِوَجَ لَهُۥ(٨) وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ(٩) فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا(١٠) ﴿﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ

---

(١) أى يجعلها كالرمل ثمّ يرسل عليها الرياح فتفرقها كما يذرى الطعام . وقال الخليل يقلعها .

(٢) فيذر مقارّها . أو يجعل الضمير للأرض للعلم بها كقوله (ماترك على ظهرها) .

(٣) مستوية ملساء .

(٤) انخفاضا . والعوج بالكسر إن كان فى المعانى ، كما أنّ المفتوح فى الأعيان. والأرض عين. ولكن لمـّا استوت الأرض استواء لا يمكن أن يوجد فيها اعوجاج بوجه مّا وإن دقّت الحيلة ولطفت ، جرت مجرى المعانى .

(٥) ارتفاعا .

(٦) أضاف اليوم إلى وقت نسف الجبال. أى يوم إذ نسفت . ويجاز أن يكون بدلا بعد بدل من (يومَ القيامة) .

(٧) (الداعى) إلى المحشر . أى صوت الداعى . وهو إسرافيل. وهو ينادى على صخرة بيت المقدس : أيّتها العظام البالية ، والجلود المتمزّقة ، واللحوم المتفرقة ، هلمّى إلى عرض الرحمن . فيقبلون من كلّ أوب إلى صوبه لا يعدلون عنه .

(٨) أى لا يعوجّ له مدعوّ ، بل يستوون إليه من غير انحراف متّبعين لصوته .

(٩) وسكنت هيبة وإجلالا (الأصوات للرحمن) .

(١٠) صوتا خفيفا لتحريك الشفاه . وقيل هو من همس الإبل وهو صوت أخفافها إذا مشت. أى لا تسمع إلّا خفق الأقدام ونقلها إلى المحشر .

ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا[1] ﴿١٠٩﴾ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ[2] وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا[3] ﴿١١٠﴾ وَعَنَتِ[4] ٱلۡوُجُوهُ[5] لِلۡحَيِّ[6] ٱلۡقَيُّومِ[7] وَقَدۡ خَابَ[8] مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا[9] ﴿١١١﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ[10] وَهُوَ مُؤۡمِنٞ[11]

---

(١) محل (من) رفع على البدل من الشفاعة بتقدير حذف المضاف، أى (لا تنفع الشفاعة إلّا) شفاعة (من أذن له الرحمن) أى أذن للشافع فى الشفاعة (ورضى له قولا) أى رضى قولا لأجله بأن يكون المشفوع له مسلما . أو نصب على أنّه مفعول (تنفع) .

(٢) أى يعلم ما تقدّمهم من الأحوال وما يستقبلونه .

(٣) أى بما أحاط به علم الله . فيرجع الضمير إلى (ما) . أو يرجع الضمير إلى الله لأنّه تعالى ليس بمحاط به .

(٤) خضعت وذلّت . ومنه قيل للأسير عان .

(٥) أى أصحابها .

(٦) الذى لا يموت . وكل حياة يتعقّبها الموت فهى كأن لم تكن .

(٧) الدائم القائم على كلّ نفس بما كسبت . أو الدائم بتدبير الخلق .

(٨) يئس من رحمة الله .

(٩) من حمل إلى موقف القيامة شركا لأنّ الظلم وضع الشىء فى غير موضعه ولا ظلم أشدّ من جعل المخلوق شريك من خلقه .

(١٠) الصالحات الطاعات .

(١١) مصدّق بما جاء به محمد عليه السلام . وفيه دليل أنّه يستحق اسم الإيمان بدون الأعمال الصالحة ، وأنّ الإيمان شرط قبولها .

فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا (١) (٢) وَلَا هَضْمًا (٣) ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا (٤) وَصَرَّفْنَا (٥) فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٦) أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ (٧) ذِكْرًا (٨) ﴿١١٣﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ (٩) ٱلْمَلِكُ (١٠) ٱلْحَقُّ (١١) وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ (١٢) مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ (١٣)

---

(١) أى فهو لا يخاف . (فلا يخف) على النهى مكىّ .

(٢) أن يزداد فى سيئاته .

(٣) ولا ينقص من حسناته . وأصل الهضم النقص والكسر .

(٤) (وكذلك) عطف على (كذلك نقص) أى ومثل ذلك الإنزال (أنزلناه قرآنا عربيّاً) بلسان العرب .

(٥) وكررنا .

(٦) يجتنبون الشرك .

(٧) (أو يحدث لهم) الوعيد أو القرآن .

(٨) عظة أو شرفا بإيمانهم به . وقيل (أو) بمعنى الواو .

(٩) ارتفع عن فنون الظنون ، وأوهام الأفهام ، وتنزّه عن مضاهاة الأنام ، ومشابهة الأجسام .

(١٠) الذى يحتاج إليه الملوك .

(١١) المحقّ فى الألوهيّة .

(١٢) بقراءته . لمّـا ذكر القرآن وإنزاله قال استطرادا وإذا لقّنك جبريل ما يوحى إليك من القرآن فتأنّ عليك ريثما يسمعك ويفهمك .

(١٣) من قبل أن يفرغ جبريل من الإبلاغ .

وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا[1] ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰٓ ءَادَمَ[2] مِن قَبْلُ[3] فَنَسِيَ[4] وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا[5] ﴿١١٥﴾ وَإِذْ[6] قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ[7] فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ[8] أَبَىٰ[9] ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ[10]

---

(١) (علما) بالقرآن ومعانيه . وقيل ما أمر الله رسوله بطلب الزيادة فى شىء إلّا فى العلم .

(٢) أى أوحينا إليه أن لا يأ كل من الشجرة . يقال فى أوامر الملوك ووصاياهم تقدّم الملك إلى فلان وأوعز إليه وعزم عليه وعهد إليه . عطف قصّة آدم على (وصرّفنا فيه من الوعيد) . والمعنى وأقسم قسما لقد أمرنا أباهم آدم ووصّيناه ألّا يقرب الشجرة .

(٣) من قبل وجودهم. فخالف إلى ما نهى عنه ، كما أنّهم يخالفون. يعنى أنّ أساس أمر بنى آدم على ذلك وعرقهم راسخ فيه .

(٤) (فنسى) العهد أى النهى . والأنبياء عليهم السلام يؤاخذون بالنسيان الذى لو تكلّفوا لحفظوه .

(٥) قصدا إلى الخلاف لأمره ، أو لم يكن آدم من أولى العزم . والوجود بمعنى العلم ومفعولاه (له عزما) . أو بمعنى نقيض العدم أى وعدمنا له عزما و (له) متعلّق بنجد .

(٦) منصوب باذكر .

(٧) قيل هو السجود اللغوىّ الذى هو الخضوع والتذلّل . أو كان آدم كالقبلة لضرب تعظيم له فيه .

(٨) عن ابن عباس رضى الله عنهما أنّ إبليس كان ملكا من جنس المستثنى منهم . وقال الحسن : الملائكة لباب الخليقة من الأرواح ولا يتناسلون و إبليس من نار السموم . و إنّما صحّ استثناؤه منهم لأنّه كان يصحبهم و يعبد الله معهم .

(٩) جملة مستأنفة كأنّه جواب لمن قال لِمَ لَمْ يسجد ؟ والوجه ألّا يقدر له مفعول وهو السجود المدلول عليه بقوله (فسجدوا) وأن يكون معناه أظهر الإباء وتوقّف .

(١٠) (إنّ هذا عدوّ لك ولزوجك) حيث لم يسجد لك ولم ير فضلك .

فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا (١) مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ (٢) ۝ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا (٣) وَلَا تَعْرَىٰ (٤) ۝ وَأَنَّكَ (٥) لَا تَظْمَؤُا۟ (٦) فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ (٧) ۝ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ (٨) قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ (٩) وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ (١٠) ۝ فَأَكَلَا (١١) مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا (١٢) وَطَفِقَا (١٣) يَخْصِفَانِ (١٤) عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ

---

(١) فلا يكونَنّ سببا لإخراجكما .

(٢) فتتعب فى طلب القوت ولم يقل فتشقيا مراعاة لرءوس الآى . أو دخلت تبعا . أو لأنّ الرجل هو الكافل لنفقة المرأة . وروى أنّه أهبط إلى آدم ثور أحمر وكان يحرث عليه ويمسح العرق من جبينه .

(٣) فى الجنّة .

(٤) (ولا تعرى) عن الملابس لأنّها معدّة أبدا فيها .

(٥) بالكسر نافع وأبو بكر عطفا على (إنّ) الأولى . وغيرهما بالفتح عطفا على (ألّا تجوع) ومحلّه نصب بأنّ . وجاز للفصل كما تقول إنّ فى علمى أنك جالس .

(٦) لا تعطش لوجود الأشربة فيها .

(٧) لا يصيبك حرّ الشمس إذ ليس فيها شمس فأهلها فى ظلّ ممدود .

(٨) أى أنهى إليه الوسوسة كأسرّ إليه .

(٩) أضاف الشجرة إلى الخلد — وهو الخلود — لأنّ من أكل منها خلّد بزعمه ولا يموت .

(١٠) لا يفنى .

(١١) أى آدم وحوّاء .

(١٢) عوراتهما .

(١٣) طفق يفعل كذا مثل جعل يفعل . وهو ككاد فى وقوع الخبر فعلا مضارعا إلّا أنه للشروع فى أوّل الأمر وكاد للدنوّ منه .

(١٤) أى يُلزقان الورق بسوءاتهما للتستّر . وهو ورق التين .

وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ[(١)] ۝ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ[(٢)] رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ[(٣)] وَهَدَىٰ[(٤)] ۝ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا[(٥)] بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ[(٦)] فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى[(٧)] فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ[(٨)] ۝ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى[(٩)]

---

(١) ضلّ عن الرأى . وعن ابن عيسى: خاب . والحاصل أنّ العصيان وقوع الفعل على خلاف الأمر والنهى . وقد يكون عمدا فيكون ذنبا وقد لا يكون عمـدا فيكون زلّة . ولـمّا وصف فعله بالعصيان خرج فعله من أن يكون رشدا فكان غيّا لأنّ الغىّ خلاف الرشد وفى التصريح بقـوله (وعصى آدم ربّه فغوى) والعدول عن قوله وزلّ آدم ، مزجرة بليغة وموعظة كافة للمكلّفين كأنّه قيل لهم : انظروا واعتبروا كيف نُعيت على النبىّ المعصـوم حبيب الله زلّته بهذه الغلظة فلا تتهاونوا بما يفرط منكم من الصغائر فضلا عن الكبائر .

(٢) قرّبه إليه واصطفاه . وقرئ به. وأصل الكلمة الجمع يقال جبى إلىّ كذا فاجتبيته .

(٣) قبل توبته .

(٤) وهداه إلى الاعتذار والاستغفار .

(٥) يعنى آدم وحوّاء .

(٦) (بعضكم) ياذرّية آدم (لبعض عدوّ) بالتحاسد فى الدنيا والاختلاف فى الدين .

(٧) كتاب وشريعة .

(٨) (فلا يضلّ) فى الدنيا (ولا يشقى) فى العقبى . قال ابن عباس رضى الله عنهما : ضمن الله لمن اتّبع القرآن ألّا يضلّ فى الدنيا ولا يشقى فى الآخرة . يعنى أنّ الشقاء فى الآخرة هو عقاب من ضلّ فى الدنيا عن طريق الدين . فمن اتّبع كتاب الله وامتثل أوامره وانتهى عن نواهيه نجا من الضلال ومن عقابه .

(٩) عن القرآن .

فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا[1] وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ[2] ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا[3] ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ[4] ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ[5] ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ[6] لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ[7] فِى مَسَٰكِنِهِمْ[8] إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ[9] ﴿١٢٨﴾

---

(١) ضيقا . وهو مصدر يستوى فى الوصف به المذكر والمؤنث . عن ابن جبير يسلبه القناعة حتى لايشبع . فمع الدين التسليم والقناعة والتوكل فتكون حياته طيبة، ومع الإعراض الحرص والشح فعيشه ضنك وحاله مظلمة كما قال بعض المتصوفة: لايعرض أحدكم عن ذكر ربه إلا أظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه .

(٢) (أعمى) عن الحجة. عن ابن عباس (أعمى) البصر . وهو كقوله (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا) وهو الوجه .

(٣) (وقد كنت بصيرا) فى الدنيا .

(٤) (كذلك)أى مثل ذلك فعلت أنت.ثم فسر فقال (أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) أى أتتك آياتنا واضحة فلم تنظر إليها بعين المعتبر وتركتها وعميت عنها . فكذلك اليوم نتركك على عماك ولا نزيل غطاءه عن عينيك .

(٥) لما توعد المعرض عن ذكره بعقوبتين المعيشة الضنك فى الدنيا وحشره أعمى فى العقبى ختم آيات الوعيد بقوله (ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) أى الحشر على العمى الذى لا يزول أبدا أشد من ضيق العيش المنقضى .

(٦) أى الله . بدليل قراءة زيد عن يعقوب بالنون .

(٧) حال من الضمير المجرور فى (لهم) .

(٨) يريد أن قريشا يمشون فى مساكن عاد وثمود وقوم لوط و يعاينون آثار هلاكهم .

(٩) لذوى العقول إذا تفكروا علموا أن استئصالهم لكفرهم فلا يفعلون مثل ما فعلوا .

وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ(١) لَكَانَ لِزَامًا(٢) وَأَجَلٌ مُّسَمًّى(٣) ﴿١٢٩﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ(٤) وَسَبِّحْ(٥) بِحَمْدِ رَبِّكَ(٦) قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ(٧) وَقَبْلَ غُرُوبِهَا(٨) وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ(٩) لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ(١٠) ﴿١٣٠﴾

---

(١) أى الحكم بتأخير العذاب عن أمة محمد صلّى الله عليه وسلّم .

(٢) لازما . فاللزام مصدر لزم فوصف به .

(٣) القيامة. وهو معطوف على (كلمة) . والمعنى (ولولا) حكم سبق بتأخير العذاب عنهم (وأجل مسمّى) وهو القيامة (لكان) العذاب لازما لهم فى الدنيا كما لزم القرون الماضية الكافرة.

(٤) (على ما يقولون) فيك .

(٥) وصلّ .

(٦) فى موضع الحال وأنت حامد لربّك على أن وفّقك للتسبيح وأعانك عليه .

(٧) يعنى صلاة الفجر.

(٨) يعنى الظهر والعصر لأنّهما واقعتان فى النصف الأخير من النهار بين زوال الشمس وغروبها .

(٩) أى وتعهّد آناء الليل أى ساعاته (وأطراف النهار) مختصّا لها بصلاتك . وقد تناول التسبيح فى آناء الليل صلاة العتمة، وفى أطراف النهار صلاة المغرب وصلاة الفجر على التكرار إرادة الاختصاص كما اختصّت فى قوله (والصلاة الوسطى) عند البعض وإنّما جمع (وأطراف النهار) وهما طرفان لأمن الإلباس . وهو عطف على (قبل) .

(١٠) لعلّ للمخاطب ، أى اذكر الله فى هذه الأوقات رجاء أن تنال عند الله ما به ترضى نفسك ويسرّ قلبك . و(تُرضَى) علىّ وأبو بكر، أى يرضيك ربّك .

وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ(١) إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ(٢) زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا(٣) لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ(٤) وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ(٥) وَأَبْقَىٰ(٦) ۝ وَأْمُرْ أَهْلَكَ(٧) بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا(٨) لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ(٩) وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ(١٠) ۝

---

(١) أى نظر عينيك. ومدّ النظر تطويله وألّا يكاد يردّه استحسانا للمنظور إليه وإعجابا به. وفيه أنّ النظر غير الممدود معفوّ عنه . وذلك أن يباده الشيء بالنظر ثمّ يغض الطرف . ولقد شدّد المتّقون فى وجوب غضّ البصر عن أبنيسة الظلمة وعدد الفسقة فى ملابسهم ومراكبهم حتّى قال الحسن: لا تنظروا إلى دقدقة هماليج الفسقة ولكن انظروا كيف يلوح ذلّ المعصية من تلك الرقاب ؟ وهذا لأنّهم إنّما اتّخذوا هذه الأشياء لعيون النظّارة . فالناظر إليها محصّل لغرضهم ومغر لهم على اتّخاذها .

(٢) أصنافا من الكفرة . ويجوز أن ينتصب حالا من هاء الضمير والفعل واقع على (منهم) كأنّه قال إلى الذى متّعنا به — وهو أصناف — بعضهم وناسا منهم .

(٣) زينتها وبهجتها . وانتصب على الذمّ أو على إبداله من محلّ (به) . أو على إبداله من (أزواجا) على تقدير ذوى زهرة .

(٤) لنبلوهم حتّى يستوجبوا العذاب لوجود الكفران منهم. أو لنعذّبهم فى الآخرة بسببه .

(٥) ثوابه . وهو الجنّة أو الحلال الكافى .

(٦) (وأبقى) ممّا رزقوا .

(٧) أمّتك أو أهل بيتك .

(٨) (واصطبر عليها) أنت . داوم عليها .

(٩) أى لا نسألك أن ترزق نفسك ولا أهلك (نحن نرزقك) وإيّاهم. فلا تهتمّ لأمر الرزق وفرّغ بالك لأمر الآخرة . لأنّ من دان فى عمل الله كان الله فى عمله . وعن عروة بن الزبير أنّه كان إذا رأى ما عند السلاطين قرأ (ولا تمدّنّ عينيك) الآية ثمّ ينادى : الصلاة الصلاة رحمكم الله . وكان بكر بن عبد الله المزنىّ إذا أصاب أهله خصاصة قال: قوموا فصلّوا. بهذا أمر الله ورسوله . وعن مالك بن دينار مثله . وفى بعض المسانيد أنّه عليه السلام كان إذا أصاب أهله ضرّ أمرهم بالصلاة ، وتلا هذه الآية .

(١٠) أى وحسن العاقبة لأهل التقوى بحذف المضافين .

وَقَالُوا۟ (١) لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ (٢) أَوَلَمْ تَأْتِهِم (٣) بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ (٤) ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَـٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ (٥) لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ (٦) أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ (٧) ءَايَـٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ (٨) وَنَخْزَىٰ (٩) ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ (١٠) مُّتَرَبِّصٌ (١١) فَتَرَبَّصُوا۟ (١٢) فَسَتَعْلَمُونَ (١٣) مَنْ أَصْحَـٰبُ (١٤) ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ (١٥) وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ (١٦) ﴿١٣٥﴾

---

(١) أى الكافرون .

(٢) هلّا (يأتينا) محمد (بآية من ربّه) تدلّ على صحّة نبوّته .

(٣) (أو لم تأتهم) مدنيّ وحفص وبصريّ .

(٤) أى الكتب المتقدّمة. يعنى أنّهم اقترحوا على عادتهم فى التعنّت آية على النبوّة. فقيل لهم أو لم تأتكم آية هى أمّ الآيات وأعظمها فى باب الإعجاز؟ — يعنى القرآن — من قبل أنّ القرآن برهان ما فى سائر الكتب المنزّلة ودليل صحّته لأنّه معجزة وتلك ليست بمعجزات فهى مفتقرة إلى شهادته على صحّة ما فيها .

(٥) من قبل الرسول أو القرآن .

(٦) هلّا .

(٧) بالنصب على جواب الاستفهام بالفاء .

(٨) (نذلّ) بنزول العذاب .

(٩) (ونخزى) فى العقبى .

(١٠) أى كلّ واحد منّا ومنكم .

(١١) منتظر للعاقبة ولما يؤول إليه أمرنا وأمركم .

(١٢) (فتربّصوا) أنتم .

(١٣) (فستعلمون) إذا جاءت القيامة

(١٤) مبتدأ وخبر ومحلّهما نصب .

(١٥) المستقيم .

(١٦) (ومن اهتدى) إلى النعيم المقيم .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا يقرأ أهل الجنّة إلّا سورة طه ويس " والله أعلم بالصواب .

سورة الأنبياء مكّيّة

وهى مائة واثنا عشرة آية كوفىّ وإحدى عشرة آية مدنىّ وبصرىّ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقْتَرَبَ(١) لِلنَّاسِ(٢) حِسَابُهُمْ(٣) وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ(٤) مُّعْرِضُونَ(٥) ۝ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ(٦) مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ(٧) إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ(٨) وَهُمْ يَلْعَبُونَ(٩) ۝

(١) دنا .

(٢) اللام صلة لاقترب . عن ابن عباس رضى الله عنهما أنّ المراد بالناس المشركون لأنّ ما يتلوه من صفات المشركين .

(٣) وقت محاسبة الله إيّاهم ومجازاته على أعمالهم . يعنى يوم القيامة . وإنّما وصفه بالاقتراب لقلّة ما بقى بالإضافة إلى ما مضى ، ولأنّ كلّ آت قريب .

(٤) (فى غفلة) عن حسابهم وعمّا يفعل بهم ثمّ .

(٥) (معرضون) عن التأهّب لذلك اليوم . فالاقتراب عامّ والغفلة والإعراض يتفاوتان بتفاوت المكلّفين. فربّ غافل عن حسابه لاستغراقه فى دنياه، وإعراضه عن مولاه . وربّ غافل عن حسابه لاستهلاكه فى مولاه، وإعراضه عن دنياه، فهو لا يفيق إلّا برؤية المولى. والأوّل إنما يفيق فى عسكر الموتى . فالواجب عليك أن تحاسب نفسك قبل أن تحاسَب وتتنبّه للعرض قبل أن تنبّه وتعرض عن الغافلين ، وتشتغل بذكر خالق الخلق أجمعين ، لتفوز بلقاء ربّ العالمين .

(٦) شىء من القرآن .

(٧) (محدث) فى التنزيل إتيانه مبتدأة تلاوته قريب عهده باستماعهم. والمراد به الحروف المنظومة ولا خلاف فى حدوثها .

(٨) (استمعوه) من النبىّ عليه السلام أو غيره ممن يتلوه .

(٩) يستهزئون به .

لَاهِيَةً[1] قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا[2] النَّجْوَى[3] الَّذِينَ[4] ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ[5] ۝ قَالَ[6] رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ[7] وَهُوَ السَّمِيعُ[8]

(١) حال من ضمير (يلعبون) . أو (وهم يلعبون) و (لاهيــة) حالان من الضمير فى (استمعوه) .ومن قرأ (لاهية) بالرفع يكون خبرا بعد خبر لقوله (وهم) .

(٢) ارتفعت بلاهية . وهى من لها عنه إذا ذهل وغفل . والمعنى قلوبهم غافلة عمّا يراد بها ومنها . قال أبو بكر الوراق القلب اللاهى المشغول بزينة الدنيا وزهرتها الغافل عن الآخرة وأهوالها .

(٣) وبالغوا فى إخفاء النجوى . وهى اسم من التناجى .

(٤) أبدل من واو (وأسرّوا) إيذانا بأنّهم الموسومون بالظلم فيما أسرّوا به . أو جاء على لغة من قال أكلونى البراغيث.أو هو مجرور المحلّ لكونه صفة أو بدلا من (الناس). أو هو منصوب المحلّ على الذم . أو هو مبتدأ خبره (أسرّوا النجوى) . فقدم عليــه أى والذين ظلموا أسرّوا النجوى .

(٥) هذا الكلام كلّه فى محلّ النصب بدل من (النجوى) . أى وأسرّوا هــذا الحديث . ويجوز أن يتعلّق بقالوا مضمرا . والمعنى أنّهم اعتقدوا أنّ الرسول لا يكون إلّا ملكا وأنّ كلّ من ادّعى الرسالة من البشر وجاء بالمعجزة فهو ساحر ومعجزته سحر . فلذلك قالوا على سبيل الإنكار افتحضرون السحر وأنتم تشاهدون وتعاينون أنّه سحر .

(٦) (قال) حمزة وعلىّ وحفص . أى (قال) محمّد . وغيرهم (قل) أى (قل) يا محمد للذين أسرّوا النجوى .

(٧) أى يعلم قول كلّ قائل هو فى السماء أو الأرض سرّا كان أو جهرا .

(٨) (السميع) لأقوالهم .

ٱلْعَلِيمُ[١] ۝ بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَـٰثُ أَحْلَـٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ[٢] ۝ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم[٣] مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَآ[٤] أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ[٥] ۝ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا[٦] نُّوحِىٓ[٧] إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ[٨]

---

(١) (العليم) بما فى ضمائرهم .

(٢) أضربوا عن قولهم هو سحر إلى أنّه تخاليط أحلام رآها فى نومه فتوهّمها وحيا من الله إليه . ثمّ إلى أنّه كلام مفترى من عنده . ثمّ إلى أنّه قول شاعر . وهكذا الباطل لجلج والمبطل رجّاع غير ثابت على قول واحد. ثمّ قالوا إن كان صادقا فى دعواه وليس الأمر كما يظنّ، (فليأتنا بآية) بمعجزة كما أرسل من قبله باليد البيضاء والعصا و إبراء الأكمه و إحياء الموتى. وصحّة التشبيه فى قوله (كما أرسل الأوّلون) من حيث إنّه فى المعنى كما أتى الأوّلون بالآيات لأنّ إرسال الرسل متضمّن للإتيان بالآيات . ألا ترى أنّه لا فرق بين قولك أرسل محمّد و بين قولك أتى محمّد بالمعجزة .

(٣) ردّ الله عليهم قولهم بقوله (ما آمنت قبلهم من قرية) عند مجىء الآيات المقترحة لأنّهم طلبوها تعنّتا .

(٤) صفة لقرية .

(٥) أى أولئك لم يؤمنوا بالآيات لمّا أتتهم . أفيؤمن هؤلاء المقترحون لو أتيناهم بما اقترحوا مع أنّهم أعتى منهم ؟ والمعنى أنّ أهل القرى اقترحوا على أنبيائهم الآيات وعاهدوا أنّهم يؤمنون عندها . فلمّا جاءتهم نكثوا وخالفوا فأهلكهم الله. فلو أعطينا هؤلاء ما يقترحون لنكثوا أيضا .

(٦) هذا جواب قولهم (هل هذا إلّا بشر مثلكم) .

(٧) (نوحى) حفص .

(٨) العلماء بالكتابين فإنّهم يعرفون أنّ الرسل الموحى إليهم كانوا بشرا ولم يكونوا ملائكة. وكان أهل مكّة يعتمدون على قولهم .

إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ[1] وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ[2] ۝ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ[3] فَأَنجَيْنَٰهُمْ[4] وَمَن نَّشَآءُ[5] وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ[6] ۝ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ[7] كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ[8] أَفَلَا تَعْقِلُونَ[9] ۝ وَكَمْ[10] قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ[11] كَانَتْ[12] ظَالِمَةً[13] وَأَنشَأْنَا[14] بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ[15] ۝

---

(١) (إن كنتم لاتعلمون) ذلك . ثمّ بيّن أنّه كن تقدّمه من الأنبياء بقوله (وما جعلناهم جسدا لا يأكلون) وحّد الجسد لإرادة الجلس (لا يأكلون الطعام) صفة لجسدا . يعنى وما جعلنا الأنبياء قبله ذوى جسد غير طاعمين .

(٢) كأنّهم قالوا هلاّ كان ملكا لا يطعم ويخلّد ، إمّا معتقدين أنّ الملائكة لا يموتون أو مسمّين بقاءهم الممتدّ وحياتهم المتطاولة خلودا .

(٣) (الوعد) بإنجائهم . والأصل فى الوعد مثل (واختار موسى قومه) أى من قومه .

(٤) (فأنجيناهم) ممّا حلّ بقومهم .

(٥) هم المؤمنون .

(٦) المجاوزين الحدّ بالكفر . ودلّ الإخبار بإهلاك المسرفين على أنّ (من نشاء) غيرهم.

(٧) يا معشر قريش .

(٨) شرفكم إن عملتم به أو لأنّه بلسانكم. أو فيه موعظتكم . أو فيه ذكر دينكم ودنياكم . والجملة أى (فيه ذكركم) صفة لكتابا .

(٩) (أفلا تعقلون) ما فضّلتكم به على غيركم فتؤمنوا .

(١٠) نصب بقوله (قصمنا) .

(١١) أى أهلكنا .

(١٢) أى أهلها بدليل قوله (كانت ظالمة) .

(١٣) كافرة .

وهى واردة عن غضب شديد وسخط عظيم لأنّ القصم أفظع الكسر. وهو الكسر الذى يبين تلاؤم الأجزاء بخلاف الفصم فإنّه كسر بلا إبانة .

(١٤) خلقنا .

(١٥) فسكنوا مساكنهم .

فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ(١) إِذَا هُم مِّنْهَا(٢) يَرْكُضُونَ ۝ لَا تَرْكُضُواْ(٣) وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ۝ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ(٤) ۝ فَمَا زَالَت تِّلْكَ(٥) دَعْوَىٰهُمْ(٦) حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا(٧) خَٰمِدِينَ(٨) ۝

(١) (فلما أحسّوا) أى المهلكون (بأسنا) عذابنا . أى علموا علم حس ومشاهدة .

(٢) من القرية و(إذا) للفاجأة . و(هم) مبتدأ والخبر (يركضون) .

(٣) (يركضون) يهربون مسرعين . والركض ضرب الدابّة بالرجل. فيجوز أن ركبوا دوابّهم يركضونها هاربين من قريتهم لمّا أدركتهم مقدّمة العذاب. أو شبّهوا فى سرعة عدوهم على أرجلهم بالراكبين الراكضين لدوابّهم . فقيل لهم (لا تركضوا) والقائل بعض الملائكة .

(٤) (ما أترفتم فيه) نعمتم فيه من الدنيا ولين العيش. قال الخليل: المترف الموسع عليه عيشه، القليل فيه همّه. أى يقال لهم، استهزاء بهم (ارجعوا) إلى نعيمكم (ومساكنكم لعلّكم تسألون) غدا عمّا جرى عليكم ونزل بأموالكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة. أو ارجعوا واجلسوا كما كنتم فى مجالسكم حتّى يسألكم عبيدكم ومن ينفذ فيه أمركم ونهيكم ويقولوا لكم بم تأمرون وكيف نأتى ونذر كعادة المنعّمين المخدّمين ، أو يسألكم الناس فى أنديتكم المعاون فى نوازل الخطوب، أو يسألكم الوافدون عليكم والطّماع ويستمطرون سحاب أكفّكم . أو قال بعضهم لبعض (لا تركضوا وارجعوا) إلى منازلكم وأموالكم (لعلّكم تسألون) مالا وخراجا فلا تقتلون . فنودى من السماء : يا لثارات الأنبياء! وأخذتهم السيوف. ثمّ (قالوا يا ويلنا إنّا كنّا ظالمين) اعترفوا بذلك حين لا ينفعهم الاعتراف .

(٥) هى إشارة إلى (يا ويلنا) .

(٦) دعاءهم . و(تلك) مرفوع على أنّه اسم زالت و(دعواهم) الخبر . ويجوز العكس .

(٧) مثل الحصيد أى الزرع المحصود . ولم يجمع كما لم يجمع المقدّر .

(٨) ميتين خمود النار و(حصيداً خامدين) مفعول ثان لجعل أى جعلناهم جامعين لمماثلة الحصد والخمود كقولك : جعلته حلوا حامضا أى جعلته جامعا للطعمين .

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ (١) ۝ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَـٰعِلِينَ (٢) ۝ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَـٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ (٣) فَإِذَا هُوَ (٤) زَاهِقٌ (٥) وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ (٦) ۝

(١) اللعب فعل يروق أوله ولا ثبات له . و(لاعبين) حال من فاعل (خلقنا) . والمعنى وما سوّينا هذا السقف المرفوع، وهذا المهاد الموضوع ، (وما بينهما) من أصناف الخلق ، للهو واللعب . وإنّمـا سـوّيناها ليستدلّ بها على قدرة مدبّرها ولنجازى المحسن والمسىء على ما تقتضيه حكمتنا .

(٢) نزّه ذاته عن سمات الحـدوث بقوله (لو أردنا أن نتخذ لهـوا) — أى ولدا أو امرأة . كأنّه ردّ على من قال عيسى ابنه ومريم صاحبته — (لاتخذناه من لدنّا) من الولدان أو الحور (إن كنّا فاعلين) أى (إن كنّا) ممن يفعل ذلك. ولسنا ممن يفعله لاستحالته فى حقّنا. وقيل هو نفى كقوله (وإن أدرى) . أى ما كنّا فاعلين .

(٣) (بل) إضراب عن اتّخاذ اللهو وتنزيه منه لذاته كأنّه قال سبحاننا أن نتّخذ اللهو ، بل من سنّتنا أن (نقذف) أى نرمى ونسلّط (بالحق) بالقرآن (على الباطل) الشيطان . أو بالإسلام على الشرك أو بالجدّ على اللعب (فيدمغه) فيكسره ويمحض الحقّ الباطل . وهذه استعارة لطيفة لأنّ أصل استعمال القذف والدمغ فى الأجسام . ثمّ استعير القذف لإيراد الحقّ على الباطل ، والدمغ لإذهاب الباطل . فالمستعار منه حسى والمستعار له عقلىّ . فكأنّه قيل بل نورد الحقّ الشبيه بالجسم القوى على الباطل الشبيه بالجسم الضعيف فيبطله إبطال الجسم القوى الضعيف .

(٤) أى الباطل .

(٥) هالك ذاهب .

(٦) (ممـا تصفون) الله به من الولد ونحوه .

وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ (١) ۝ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ (٢) ۝ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ (٣) ۝ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ (٤)

---

(١) (وله) خلقا وملكا فأنّى يكون شيء منه ولدا له وبينهما تناف؟ و يوقف على (الأرض) لأنّ (ومن عنده) — منزلة ومكانة لا منزلا ولا مكانا ، يعنى الملائكة — مبتدأ خبره . (لايستكبرون) لا يتعظّمون (عن عبادته ولا يستحسرون) ولا يعيون .

(٢) حال من فاعل (يسبّحون) أى تسبيحهم متّصل دائم فى جميع أوقاتهم لا تتخلّله فترة بفراغ أو بشغل آخر . فتسبيحهم جار مجرى التنفّس منّا .

(٣) أضرب عن المشركين منكرا عليهم وموبّخا بجاء بأم التى بمعنى بل والهمزة فقال (أم اتّخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون) . يحيون الموتى . و (من الأرض) صفة لآلهة لأنّ آلهتهم كانت متّخذة من جواهر الأرض كالذهب والفضّة والحجر . أو تعبد فى الأرض فنسبت إليها كقولك : فلان من المدينة أى مدنىّ . أو متعلّق باتّخذوا ويكون فيه بيان غاية الاتّخاذ . وفى قوله (هم ينشرون) زيادة توبيخ — وإن لم يدّعوا أنّ أصنامهم تحيي الموتى وكيف يدّعون ومن أعظم المنكرات أن ينشر الموتى بعض الموات — لأنّه يلزم من دعوى الألوهية لها دعوى الإنشار لأنّ العاجز عنه لا يصحّ أن يكون إلها ، إذ لا يستحقّ هذا الاسم إلّا القادر على كلّ مقدور والإنشار من جملة المقدورات . وقرأ الحسن (يَنشرون) بفتح الياء وهما لغتان . أنشر الله الموتى ونشرها أى أحياها .

(٤) أى غير (الله) وصفت (آلهة) بإلّا كما وصفت بغير لو قيل آلهة غير الله . ولا يجوز رفعه على البدل لأنّ لو بمنزلة إنّ فى أنّ الكلام معه موجب . والبدل لا يسوغ إلّا فى الكلام غير الموجب كقوله تعالى (ولا يلتفت منكم أحد إلّا امرأتك) . ولا يجوز نصبه استثناء لأنّ الجمع إذا كان منكرا لا يجوز أن يستثنى منه عند المحقّقين لأنّه لا عموم له بحيث يدخل فيه المستثنى لولا الاستثناء . والمعنى لو كان يدبّر أمر السموات والأرض آلهة شتّى غير الواحد الذى هو فاطرهما (لفسدتا) .

لَفَسَدَتَا فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ[1] ۝ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ[2] وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ[3] ۝ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ[4] هَـٰذَا[5] ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى[6] بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ[7] فَهُم مُّعْرِضُونَ[8] ۝

(١) (لفسدتا) لخربتا لوجود التمانع. وقد قررناه فى أصول الكلام . ثم نزه ذاته فقال (فسبحان الله ربّ العرش عمّا يصفون) من الولد والشريك .

(٢) (لا يسأل) لأنّه المالك على الحقيقة. ولو اعترض على السلطان بعض عبيده مع وجود التجانس وجواز الخطأ عليه وعدم الملك الحقيقىّ لاستقبح ذلك وعدّ سفها . فمن هو مالك الملوك وربّ الأرباب وفعله صواب كلّه أولى بألّا يعترض عليه .

(٣) (يسألون) لأنّهم مملوكون خطّاءون فما أخلقهم بأن يقال لهم « لم فعلتم ؟ » فى كلّ شىء فعلوه. وقيل (وهم يسألون) يرجع إلى المسيح والملائكة. أى هم مسئولون. فكيف يكونون آلهة والألوهيّة تنافى الجلسيّة والمسئوليّة ؟ .

(٤) الإعادة لزيادة الإفادة . فالأول للإنكار من حيث العقل والثانى من حيث النقل . أى وصفتم الله تعالى بأن يكون له شريك فقيل لمحمد (قل هاتوا برهانكم) حجّتكم على ذلك. وذا عقلىّ . وهو يأباه كما مرّ . أو نقلىّ وهو الوحى . وهو أيضا يأباه فإنّكم لا تجدون كتابا من الكتب السماويّة إلا وفيه توحيده وتنزيهه عن الأنداد .

(٥) أى القرآن .

(٦) يعنى أمّته . (معىَ) حفص .

(٧) (من قبلى) يعنى أمم الأنبياء من قبلى . وهو وارد فى توحيد الله ونفى الشركاء عنه . فلمّا لم يمتنعوا عن كفرهم أضرب عنهم فقال (بل أكثرهم لا يعلمون الحقّ) أى القرآن . وهو نصب بيعلمون . وقرىء (الحقُّ) أى هو الحقّ .

(٨) (فهم) لأجل ذلك (معرضون) عن النظر فيما يجب عليهم .

وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ[1] إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ[2] ۝ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ[3] ۝ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ[4] وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ[5] ۝ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ[6] وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ[7] وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ[8] ۝ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ[9]

(١) (إلّا نوحى) كوفىّ غير أبى بكر وحمّـاد .

(٢) وحّدونى . فهذه الآية مقرّرة لمـا سبقها من آى التوحيد .

(٣) نزلت فى خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله . فنزّه ذاته عن ذلك . ثمّ أخبر عنهم بأنّهم عباد بقوله (بل عباد مكرمون) أى بل هم عبـاد مكرمون مشرّفون مقرّبون وليسوا بأولاد إذ العبوديّة تنافى الولادة .

(٤) أى بقولهم فأنيبت اللام مناب الإضافة . والمعنى أنّهم يتّبعون قوله فلا يسبق قولهم قوله ولا يتقدّمون قوله بقولهم .

(٥) أى كما أنّ قولهم تابع لقوله فعملهم أيضا مبنىّ على أمره لا يعملون عملا لم يؤمروا به .

(٦) أى ما قدّموا وأخّروا من أعمالهم .

(٧) أى لمن رضى الله عنه وقال لا إله إلّا الله .

(٨) خائفون .

(٩) (ومن يقل منهم) من الملائكة (إنّى إله من دونه) من دون الله — (إنّىَ) مدنىّ وأبو عمرو — (فذلك) مبتدأ — أى (فذلك) القائل — خبره (نجزيه جهنّم) . وهو جواب الشرط . وهذا على سبيل الفرض والتمثيل لتحقّق عصمتهم . وقال ابن عباس رضى الله عنهما وقتادة والضحّاك : قد تحقّق الوعيد فى إبليس فإنّه ادّعى الإلهيّة لنفسه ودعا إلى طاعة نفسه وعبادته .

كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوَلَمْ يَرَ(٢) ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟(١) أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا(٣) رَتْقًا(٤) فَفَتَقْنَٰهُمَا(٥) وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ(٦) أَفَلَا يُؤْمِنُونَ(٧) ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ(٨) أَن تَمِيدَ بِهِمْ(٩)

---

(١) الكافرين الذين وضعوا الإلهيّة فى غير موضعها .

(٢) (ألم ير) مكّىّ .

(٣) أى جماعة السموات وجماعة الأرض . فلذا لم يقل كنّ .

(٤) بمعنى المفعول أى (كانتا) مرتوقتين . وهو مصدر . فلذا صلح أن يقع موقع مرتوقتين .

(٥) فشققناهما . والفتق الفصل بين الشيئين . والرتق ضد الفتق . فإن قيل متى رأوهما رتقا حتى جاء تقريرهم بذلك ؟ قلنا إنّه وارد فى القرآن الذى هو معجزة فقام مقام المرئىّ المشاهد . لأنّ الرؤية بمعنى العلم وتلاصق الأرض والسماء وتباينهما جائزان فى العقل . فالاختصاص بالتباين دون التلاصق لا بدّ له من مخصّص وهو القديم جلّ جلاله . ثمّ قيل إنّ السماء كانت لاصقة بالأرض لا فضاء بينهما ففتقها الله تعالى وجعلها سبع سموات . وكذلك الأرض كانت مرتتقة طبقة واحدة ففتقها وجعلها سبع أرضين . وقيل كانت السماء رتقا لا تمطر والأرض رتقا لا تنبت ففتق السماء بالمطر والأرض بالنبات .

(٦) أى خلقنا من الماء كلّ حيوان كقوله (والله خلق كلّ دابّة من ماء) أو كأنّما خلقناه من الماء لفرط احتياجه إليه وحبّه له وقلّة صبره عنه كقوله (خلق الإنسان من عجل) .

(٧) يصدّقون بما يشاهدون .

(٨) جبالا ثوابت . من رسا إذا ثبت .

(٩) لئلا تضطّرب بهم فحذف لا واللام . وإنّما جاز حذف لا لعدم الالتباس كما تزاد لذلك فى (لئلا يعلم أهل الكتاب) .

وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا[1] سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ[2] ۝ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا[3] وَهُمْ[4] عَنْ آيَاتِهَا[5] مُعْرِضُونَ[6] ۝ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ[7] كُلٌّ[8] فِي فَلَكٍ[9] يَسْبَحُونَ ۝ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ[10]

(١) (فجاجا) أى طرقا واسعة جمع فج . وهو الطريق الواسع . ونصب على الحال من (سبلا) متقدمة . فإن قلت أى فرق بين قوله تعالى (لتسلكوا منها سبلا فجاجا) وبين هذه؟ قلت الأول للإعلام بأنه جعل فيها طرقا واسعة والثانى لبيان أنه حين خلقها خلقها على تلك الصفة فهو بيان لما أبهم ثم .

(٢) ليهتدوا بها إلى البلاد المقصودة .

(٣) (محفوظا) فى موضعه عن السقوط كما قال (ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه). أو (محفوظا) بالشهب عن الشياطين كما قال (وحفظناها من كل شيطان رجيم).

(٤) أى الكفار .

(٥) عن الأدلة التى فيها كالشمس والقمر والنجوم .

(٦) غير متفكرين فيها فيؤمنون .

(٧) (وهو الذى خلق الليل) لتسكنوا فيه (والنهار) لتتصرفوا فيه (والشمس) لتكون سراج النهار (والقمر) ليكون سراج الليل .

(٨) التنوين فيه عوض عن المضاف إليه أى كلهم. والضمير للشمس والقمر . والمراد بهما جنس الطوالع . وجمع جمع العقلاء للوصف بفعلهم وهو السباحة .

(٩) عن ابن عباس رضى الله عنهما الفلك السماء . والجمهور على أن الفلك موج مكفوف تحت السماء تجرى فيه الشمس والقمر والنجوم . و(كل) مبتدأ خبره (يسبحون) يسيرون أى يدورون . والجملة فى محل النصب على الحال من الشمس والقمر .

(١٠) البقاء الدائم .

أَفَإِيْن مِّتَّ(١) فَهُمُ الْخَالِدُونَ(٢) ۝ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم(٣) بِالشَّرِّ(٤) وَالْخَيْرِ(٥) فِتْنَةً(٦) وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ(٧) ۝ وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا(٨) أَهَٰذَا الَّذِي يَذْكُرُ(٩) آلِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ هُمْ كَافِرُونَ(١٠) ۝

(١) بكسر الميم مدنى وكوفى غير أبى بكر .

(٢) الفاء الأول لعطف جملة على جملة ، والثانى لجزاء الشرط . كانوا يقدّرون أنّه سيموت فنفى الله عنه الشماتة بهذا . أى قضى الله ألا يخلّد فى الدنيا بشر (أفإن متّ) أنت أيبق هؤلاء ؟

(٣) ونختبركم . سمّى ابتلاء وإن كان عالما بما سيكون من أعمال العاملين قبل وجودهم لأنّه فى صورة الاختبار .

(٤) بالفقر والضرّ .

(٥) الغنى والنفع .

(٦) مصدر مؤكّد لنبلوكم من غير لفظه .

(٧) فنجازيكم على حسب مايوجد منكم من الصبر والشكر . وعن ابن ذكوان (ترجعون) .

(٨) ما يتّخذونك (إلا هزوا) مفعول ثان ليتّخذونك . نزلت فى أبى جهل مرّ به النبىّ صلّى الله عليه وسلّم فضحك وقال هذا نبىّ بنى عبد مناف .

(٩) يعيب . والذكر يكون بخير وبخلافه . فإن كان الذاكر صديقا فهو ثناء ، وإن كان عدوّا فذمّ .

(١٠) أى (وهم) بذكر الله وما يجب أن يذكر به من الوحدانيّة (هم كافرون) لا يصدّقون به أصلا . فهم أحقّ أن يتّخذوا هزوا منك فإنّك محقّ وهم مبطلون . وقيل (بذكر الرحمن) أى بما أنزل عليك من القرآن (هم كافرون) جاحدون . والجملة فى موضع الحال أى يتّخذونك هزوا وهم على حال هى أصل الهزء والسخرية وهى الكفر بالله تعالى . وكرّر (هم) للتأكيد أو لأنّ الصلة حالت بينه وبين الخبر فأعيد المبتدأ .

خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖ[1] سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي[2] فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ[3] ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ[4] إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوۡ يَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمۡ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ[5] ﴿٣٩﴾ بَلۡ تَأۡتِيهِم[6] بَغۡتَةٗ[7]

(١) فسّر (الإنسان) بالجنس. وقيل نزلت حين كان النضر بن حرث يستعجل بالعذاب. والعجَل والعجَلة مصدران. وهو تقديم الشيء على وقته. والظاهر أنّ المراد الجنس وأنّه ركب فيه العجلة فكأنّه خلق من العجل ولأنّه يكثر منه. والعرب تقول لمن يكثر منه الكرم خلق من الكرم. فقدّم أوّلا ذمّ الإنسان على إفراط العجلة وأنّه مطبوع عليها ثمّ منعه وزجره. كأنّه قال ليس ببدع منه أن يستعجل فإنّه مجبول على ذلك وهو طبعه وجبلته فقد ركب فيه. وقيل العجل الطين بلغة حمير قال شاعرهم * والنخل ينبت بين الماء والعجل * وإنّما منع عن الاستعجال وهو مطبوع عليه كما أمره بقمع الشهوة وقد ركبها فيه لأنّه أعطاه القوّة التي يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة. و(من عجل) حال أي عجلا.

(٢) نقماتي.

(٣) (فلا تستعجلون) بالإتيان بها. وهو بالياء عند يعقوب. وافقه سهل وعياش في الوصل.

(٤) إتيان العذاب أو القيامة. قيل هو أحد وجهي استعجالهم.

(٥) جواب لو محذوف. و(حين) مفعول به ليعلم. أي لو يعلمون الوقت الذي يستعجلونه بقولهم (متى هذا الوعد) وهو وقت تحيط بهم فيه النار من وراء وقدّام فلا يقدرون على دفعها ومنعها من أنفسهم ولا يجدون ناصرا ينصرهم، لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال. ولكنّ جهلهم به هو الذي هوّنه عندهم.

(٦) الساعة.

(٧) فجأة.

فَتَبْهَتُهُمْ(١) فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا(٢) وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ(٣) ۝ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ(٤) ۝ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم(٥) بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ(٦) بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ۝ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ۝ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ(٧)

(١) فتحيّرهم . أى لا يكفّونها بل تفجأهم فتغلبهم .

(٢) فلا يقدرون على دفعها .

(٣) يمهلون .

(٤) فحلّ ونزل بالذين (سخروا منهم) جزاء (ما كانوا به يستهزئون) . سلّى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن استهزائهم به بأن له فى الأنبياء أسوة وأنّ ما يفعلونه به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالأنبياء ما فعلوا .

(٥) يحفظكم .

(٦) أى من عذابه إن أتاكم ليلا أو نهارا .

(٧) أى بل هم معرضون عن ذكره ولا يخطرونه ببالهم، فضلا أن يخافوا بأسه حتى إذا رزقوا الكلاءة منه عرفوا من الكالئ وصلحوا للسؤال عنه . والمعنى أنّه أمر رسوله بسؤالهم عن الكالئ، ثمّ بيّن أنّهم لا يصلحون لذلك لإعراضهم عن ذكر من يكلؤهم . ثمّ أضرب عن ذلك بقوله . (أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا) لما فى (أم) من معنى بل فقال ألهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا وحفظنا ؟ ثم استأنف بقوله (لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منّا يصحبون) . فبيّن أنّ ما ليس بقادر على نصر نفسه ومنعها ولا بمصحوب من الله بالنصر والتأييد كيف يمنع غيره وينصره ؟ ثمّ قال (بل متّعنا هؤلاء وآباءهم حتّى طال عليهم العمر) . أى ما هم فيه من الحفظ والكلاءة إنّما هو منّا لا من مانع يمنعهم من إهلاكنا وما كلأناهم وآباءهم الماضين إلّا تمتيعا لهم بالحياة الدنيا و إمهالا كما متّعنا غيرهم من الكفّار وأمهلناهم حتّى طال عليهم الأمد فقست قلوبهم وظنّوا أنّهم دائمون على ذلك . وهو أمل كاذب .

أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ(١) أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ(٢) ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ(٣) وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ(٤) ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ(٥) ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ(٦)

---

(١) أى ننقص أرض الكفر ونحذف أطرافها بتسليط المسلمين عليها وإظهارهم على أهلها وردّها دار إسلام. وذِكْرُ (نأتى) يشير بأنّ الله يجريه على أيدى المسلمين وأنّ عساكرهم كانت تغزو أرض المشركين وتأتيها غالبة عليها ناقصة من أطرافها.

(٢) أفكفّار مكّة يغلبون بعد أن نقصنا من أطراف أرضهم. أى ليس كذلك بل يغلبهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه بنصرنا.

(٣) أخوّفكم من العذاب بالقرآن.

(٤) (لا يسمع) بفتح الياء والميم ورفع (الصمّ). (ولا تُسمع الصمّ) شامىّ على خطاب النبىّ صلى الله عليه وسلم. اللام فى (الصمّ) للعهد. وهو إشارة إلى هؤلاء المنذرين. والأصل ولا يسمعون (إذا ما ينذرون) يخوّفون. فوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على تصامّهم وسدّهم أسماعهم إذا ما أنذروا.

(٥) (ولئن مسّتهم نفحة) دفعة يسيرة (من عذاب ربّك) صفة لنفحة (ليقولنّ ياويلنا إنّا كنّا ظالمين) أى ولئن مسّهم من هذا الذى ينذرون به أدنى شىء لذلّوا ودعوا بالويل على أنفسهم وأقرّوا أنّهم ظلموا أنفسهم حين تصامّوا وأعرضوا. وقد بولغ حيث ذكر المسّ والنفحة لأنّ النفح يدلّ على القلّة، يقال نفحه بعطيّة: رضخه بها، مع أنّ بناءها للمرّة. وفى المسّ والنفحة ثلاث مبالغات لأنّ النفح فى معنى القلّة والنزارة يقال نفحته الدابّة وهو ريح لين، ونفحه بعطيّة رضخه، والبناء للمرّة.

(٦) جمع ميزان وهو ما يوزن به الشىء فتعرف كيّته. وعن الحسن هو ميزان له كفّتان ولسان. وإنّما جمع الموازين لتعظيم شأنها كما فى قوله (يأيّها الرسل). والوزن لصحائف الأعمال فى قول.

ٱلْقِسْطَ[1] لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ[2] فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا[3] وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ[4] مِّنْ خَرْدَلٍ[5] أَتَيْنَا بِهَا[6] وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ[7] ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ[8] ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ[9] يَخْشَوْنَ رَبَّهُم[10] بِٱلْغَيْبِ[11] وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ[12]

---

(١) وصفت الموازين بالقسط وهو العدل مبالغة كأنّها فى نفسها قسط . أو على حذف المضاف أى ذوات القسط .

(٢) لأهل يوم القيامة أى لأجلهم .

(٣) (شيئا) من الظلم .

(٤) وإن كان الشىء مثقال حبّة.(مثقال) بالرفع مدنىّ. وكذا فى لقمان على(كان) التامة.

(٥) صفة لحبّة .

(٦) أحضرناها . وأنّث ضمير المثقال لإضافته إلى الحبّة كقولهم ذهبتْ بعض أصابعه .

(٧) عالمين حافظين،عن ابن عباس رضى الله عنهما. لأنّ من حفظ شيئا حسبه وعلمه .

(٨) قيل هذه الثلاثة هى التوراة . فهى فرقان بين الحقّ والباطل ، وضياء يستضاء به ويتوصّل به إلى سبيل النجاة، وذكر أى شرف أو وعظ وتنبيه أو ذكر ما يحتاج إليه فى مصالح دينهم . ودخلت الواو على الصفات كما فى قوله (وسيّدا وحصورا ونبيّا). وتقول مررت بزيد الكريم والعالم والصالح . ولمّا انتفع بذلك المتّقون خصّهم بقوله (للمتّقين) .

(٩) جرّ على الوصفيّة . أو نصب على المدح ، أو رفع عليه .

(١٠) يخافونه .

(١١) حال أى يخافونه فى الخلاء .

(١٢) القيامة وأهوالها .

مُشْفِقُونَ[1] ﴿٤٩﴾ وَهَـٰذَا ذِكْرٌ[2] مُّبَارَكٌ[3] أَنزَلْنَـٰهُ[4] أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ[5] ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ[6] مِن قَبْلُ[7] وَكُنَّا بِهِۦ[8] عَـٰلِمِينَ[9] ﴿٥١﴾ إِذْ[10] قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَـٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ[11] ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَـٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَـٰبِدِينَ[12] ﴿٥٣﴾ قَالَ[13] لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ[14] ﴿٥٤﴾

---

(١) خائفون .

(٢) القرآن .

(٣) كثير الخير غزير النفع .

(٤) (أنزلناه) على محمد .

(٥) استفهام توبيخ أى جاحدون أنه منزل من عند الله .

(٦) هداه .

(٧) من قبل موسى وهرون أو من قبل محمد عليه السلام .

(٨) بإبراهيم أو برشده .

(٩) أى علمنا أنه أهل لما آتيناه .

(١٠) إما أن تتعلق بآتينا أو برشده .

(١١) أى الأصنام المصورة على صورة السباع والطيور والإنسان. وفيه تجاهل لهم ليحقر آلهتهم مع علمه بتعظيمهم لها .

(١٢) (لها عاكفون) أى لأجل عبادتها مقيمون . فلما عجزوا عن الإتيان بالدليل على ذلك (قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين) فقلدناهم .

(١٣) (قال) إبراهيم .

(١٤) أراد أن المقلدين والمقلدين منخرطون فى سلك ضلال ظاهر لا يخفى على عاقل . وأكد بأنتم ليصح العطف لأن العطف على ضمير هو فى حكم بعض الفعل ممتنع .

قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ[1] أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّـٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ[2] وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ[3] ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَـٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ[4] ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ[5] ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟[6]

---

(١) بالجدّ .

(٢) أى أجادّ أنت فيما تقول أم لاعب ؟ استعظاما منهم إنكاره عليهم واستبعادا لأن يكون ما هم عليه ضلالا . ثمّ أضرب عنهم مخبرا بأنّه جادّ فيما قال غير لاعب مثبتا لربوبيّة الملك العلّام وحدوث الأصنام بقوله (قال بل ربّكم ربّ السموات والأرض الذى فطرهنّ) أى التماثيل . فأنّى يعبد المخلوق ويترك الخالق ؟ .

(٣) (وأنا على ذلكم) المذكور من التوحيد شاهد (من الشاهدين) .

(٤) (وتالله) — أصله والله. وفى التاء معنى التعجّب من تسهيل الكيد على يده مع صعوبته وتعذّره لقوّة سلطة نمرود — (لأكيدنّ أصنامكم) لأكسّرنّها (بعد أن تولّوا مدبرين) بعد ذهابكم عنها إلى عيدكم . قال ذلك سرّا من قومه . فسمعه رجل واحد . فعرّض بقوله (إنّى سقيم) أى سأسقم ، ليتخلّف فرجع إلى بيت الأصنام .

(٥) (فجعلهم جذاذا) قطعا — من الجذّ وهو القطع . جمع جذاذة كزجاجة وزجاج . (جِذاذا) بالكسر، على، جمع جذيذ أى مجذوذ كخفيف وخفاف — (إلّا كبيرا لهم) للأصنام أو للكفّار . أى فكسّرها كلّها بفأس فى يده إلّا كبيرها فعلّق الفأس فى عنقه (لعلّهم إليه) إلى الكبير (يرجعون) فيسألونه عن كاسرها فيتبيّن لهم عجزه . أو إلى ابراهيم ليحتجّ عليهم . أو إلى الله لمّا رأوا عجز آلهتهم .

(٦) أى الكفّار حين رجعوا من عيدهم ورأوا

مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ[1] ﴿٥٩﴾ قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ[2] ﴿٦٠﴾ قَالُواْ[3] فَأْتُواْ بِهِۦ[4] عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ[5] لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ[6] ﴿٦٢﴾ قَالَ[7] بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا[8]

---

(١) أى إنّ من فعل هذا الكسر لشديد الظلم لجراءته على الآلهة الحقيقة عندهم بالتوقير والتعظيم .

(٢) الجملتان صفتان لفتى إلا أنّ الأوّل — وهو (يذكرهم) أى يعيبهم — لابدّ منه للسمع لأنّك لا تقول سمعت زيدا وتسكت حتى تذكر شيئا مما يسمع ، بخلاف الثانى . وارتفاع (إبراهيم) بأنّه فاعل (يقال). فالمراد الاسم لا المسمّى، أى الذى يقال له هذا الاسم .

(٣) أى نمرود وأشراف قومه .

(٤) احضروا إبراهيم .

(٥) فى محلّ الحال بمعنى معاينا مشاهدا أى بمرأى منهم ومنظر .

(٦) (لعلّهم يشهدون) عليه بما سُمع منه أو بما فعله . كأنّهم كرهوا عقابه بلا بيّنة . أو يحضرون عقوبتنا له . فلمّا أحضروه (قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم) ؟

(٧) (قال) إبراهيم .

(٨) عن الكسائى أنّه يقف عليه، أى فعله من فعله . وفيه حذف الفاعل . وإنّه لايجوز . وجاز أن يكون الفاعل مسندا إلى الفتى المذكور فى قوله (سمعنا فتى يذكرهم) . أو إلى إبراهيم فى قوله (يا إبراهيم). ثمّ قال (كبيرهم هذا) وهو مبتدأ وخبر . والأكثر أنّه لا وقف والفاعل (كبيرهم). و(هذا) وصف أو بدل . ونسب الفعل إلى كبيرهم وقصدُه تقريره لنفسه وإثباته لها على أسلوب تعريضىّ تبكيتا لهم وإلزاما للحجّة عليهم لأنّهم إذا نظروا النظر الصحيح علموا عجز كبيرهم وأنّه لا يصلح إلها . وهذا كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتابا بخطّ رشيق أنيق : أأنت كتبت هذا ؟ وصاحبك أمّىّ فقلت له بل كتبته أنت ، كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به لا نفيه عنك وإثباته للأمّىّ . لأنّ إثباته للعاجز منكما والأمر كائن بينكما استهزاء به

فَسْئَلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ[(١)] ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ[(٢)] ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ[(٣)] ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ[(٤)] مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا[(٥)] وَلَا يَضُرُّكُمْ[(٦)] ﴿٦٦﴾

وإثبات للقادر . ويمكن أن يقال غاظته تلك الأصنام حين أبصرها مصطفّة وكان غيظ كبيرها أشدّ لما رأى من زيادة تعظيمهم له ، فأسند الفعل إليه لأنّ الفعل كما يسند إلى مباشره يسند إلى الحامل عليه . ويجوز أن يكون حكاية لما يقود إلى تجويزه مذهبهم كأنّه قال لهم ما تنكرون أن يفعله كبيرهم فإنّ من حقّ من يعبد ويدعى إلها أن يقدر على هذا . ويحكى أنه قال: غضب أن تعبد هذه الصغار معه وهو أكبر منها فكسّرهنّ . أو هو متعلّق بشرط لا يكون وهو نطق الأصنام فيكون نفيا للخبر عنه ، أي بل فعله كبيرهم (إن كانوا ينطقون) وقوله (فاسألوهم) اعتراض . وقيل عرّض بالكبير لنفسه وإنّما أضاف نفسه إليهم لاشتراكهم في الحضور .

(١) (فاسألوهم) عن حالهم (إن كانوا ينطقون) وأنتم تعلمون عجزهم عنه .

(٢) (فرجعوا) إلى عقولهم وتفكّروا بقلوبهم لما أخذ بمخانقهم فقالوا (إنّكم أنتم الظالمون) على الحقيقة بعبادة ما لا ينطق لا من ظلمتموه حين قلتم (من فعل هذا بآلهتنا إنّه لمن الظالمين) . فإنّ من لا يدفع عن رأسه الفأس ، كيف يدفع عن عابديه البأس ؟ .

(٣) قال أهل التفسير : أجرى الله تعالى الحقّ على لسانهم في القول الأوّل ثمّ أدركتهم الشقاوة. أي ردّوا إلى الكفر بعد أن أقرّوا على أنفسهم بالظلم. يقال نكسته قلبته فجعلت أسفله أعلاه. أي استقاموا حين رجعوا إلى أنفسهم وجاءوا بالفكرة الصالحة ثمّ انقلبوا عن تلك الحالة فأخذوا في المجادلة بالباطل والمكابرة وقالوا (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) فكيف تأمرنا بسؤالها؟. والجملة سدّت مسدّ مفعولي علمت . والمعنى لقد علمت عجزهم عن النطق فكيف نسألهم ؟

(٤) (قال) محتجّا عليهم .

(٥) هو في موضع المصدر أي نفعا .

(٦) (ولا يضرّكم) إن لم تعبدوه .

أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ[1] ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ[2] ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا[3] عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ[4] ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا[5] فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ[6] ﴿٧٠﴾

(١) (أفّ) صوت إذا صوّت به علم أنّ صاحبه متضجّر. ضجر ممّا رأى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم وبعد وضوح الحق فتأفّف بهم. واللام لبيان المتأفّف به، أى (لكم) ولآلهتكم هذا التأفف. (أفِّ) مدنىّ وحفص. (أفَّ) مكىّ وشامىّ. (أفٌّ) غيرهم.

(٢) (أفلا تعقلون) أنّ من هذا وصفه لا يجوز أن يكون إلها. فلمّا لزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب (قالوا حرّقوه) بالنار لأنّها أهول ما يعاقب به وأفظع (وانصروا آلهتكم) بالانتقام منه (إن كنتم فاعلين) أى إن كنتم ناصرين آلهتكم نصرا مؤزّرا، فاختاروا له أهول المعاقبات وهو الإحراق بالنار وإلّا فرّطتم فى نصرتها. والذى أشار بإحراقه نمرود أو رجل من أكراد فارس. وقيل إنّهم حين همّوا بإحراقه حبسوه ثمّ بنوا بيتا بكوثى وجمعوا شهرا أصناف الخشب ثمّ أشعلوا نارا عظيمة كادت الطير تحترق فى الجوّ من وهجها ثمّ وضعوه فى المنجنيق مقيّدا مغلولا فرموا به فيها وهو يقول حسبى الله ونعم الوكيل. وقال له جبريل هل لك حاجة؟ فقال أمّا إليك فلا. قال فسل ربّك قال حسبى من سؤالى، علمه بحالى. وما أحرقت النار إلّا وثاقه. وعن ابن عباس إنّما نجا بقوله حسبى الله ونعم الوكيل.

(٣) أى ذات برد وسلام. فبولغ فى ذلك كأنّ ذاتها برد وسلام.

(٤) أراد ابردى فيسلم منك إبراهيم. وعن ابن عباس رضى الله عنهما: لو لم يقل ذلك لأهلكته ببردها. والمعنى أنّ الله تعالى نزع عنها طبعها الذى طبعها عليه من الحرّ والإحراق، وأبقاها على الإضاءة والإشراق كما كانت وهو على كلّ شىء قدير.

(٥) إحراقا.

(٦) فأرسل على نمرود وقومه البعوض فأكلت لحومهم وشربت دماءهم. ودخلت بعوضة فى دماغ نمرود فأهلكته.

وَنَجَّيْنَٰهُ(١) وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ(٢) ۝ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً(٣) وَكُلًّا(٤) جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ(٥) ۝ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً(٦) يَهْدُونَ(٧) بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ(٨) إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ(٩) وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ

---

(١) أى إبراهيم .

(٢) (ونجّيناه ولوطا) ابن أخيه هاران من العراق (إلى الأرض التى باركنا فيها للعالمين) أى أرض الشام . وبركتها أن أكثر الانبياء منها فانتشرت فى العالمين آثارهم الدينيّة وهى أرض خصب يطيب فيها عيش الغنىّ والفقير . وقيل ما من ماء عذب فى الأرض إلّا وينبع أصله من صخرة بيت المقدس . وروى أنّه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة . وقال عليه السلام إنّها ستكون هجرة بعد هجرة . فخيار الناس إلى مُهاجر إبراهيم .

(٣) قيل هو مصدر كالعافية من غير لفظ الفعل السابق . أى (وهبنا له) هبة. وقيل هى ولد الولد. وقد سأل ولدا فأعطيه. وأعطى يعقوب (نافلة) أى زيادة وفضلا من غير سؤال. وهى حال من يعقوب .

(٤) (وكلّا) أى إبراهيم و إسحق و يعقوب . وهو المفعول الأوّل لقوله (جعلنا) والثانى (صالحين) .

(٥) (صالحين) فى الدين والنبوّة .

(٦) يقتدى بهم فى الدين .

(٧) (يهدون) النـاس .

(٨) بوحينا .

(٩) (وأوحينا اليهم فعل الخيرات) وهى جميع الأعمال الصالحة . وأصله أن تُفعَل الخيراتُ ثم فِعلًا الخيراتُ ثم فِعلَ الخيراتِ . وكذلك قوله (و إقام الصلاة) والأصل وإقامة الصلاة إلّا أنّ المضاف إليه جعل بدلا من الهاء .

وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ[1] ۝ وَلُوطًا آتَيْنَاهُ[2] حُكْمًا[3] وَعِلْمًا[4] وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ[5] الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ[6] إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ[7] ۝ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا[8] إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ[9] ۝ وَنُوحًا[10] إِذْ نَادَىٰ[11] مِن قَبْلُ[12] فَاسْتَجَبْنَا لَهُ[13] فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ[14] مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ[15] ۝

(١) (وكانوا لنا عابدين) لا للأصنام. فأنتم يامعشر العرب أولاد إبراهيم فاتبعوه فى ذلك.

(٢) (ولوطا) انتصب بفعل يفسره (آتيناه) .

(٣) حكمة . وهى ما يجب فعله من العمل ، أو فصلا بين الخصوم ، أو نبوة .

(٤) فقها .

(٥) من أهلها وهى سدوم .

(٦) اللواطة والضراط وحذف المارة بالحصى وغيرها .

(٧) خارجين عن طاعة الله .

(٨) فى أهل رحمتنا أو فى الجنة .

(٩) أى جزاء له على صلاحه كما أهلكنا قومه عقابا على فسادهم .

(١٠) أى (و) اذكر (نوحا) .

(١١) أى دعا على قومه بالهلاك .

(١٢) من قبل هؤلاء المذكورين .

(١٣) (فاستجبنا له) دعاءه .

(١٤) أى المؤمنين من ولده وقومه .

(١٥) من الطوفان ، وتكذيب أهل الطغيان

وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ[1] إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ[2] ۝ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ[3] إِذْ يَحْكُمَانِ[4] فِى ٱلْحَرْثِ[5] إِذْ[6] نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ[7] وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ[8] شَٰهِدِينَ[9] ۝ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ[10]

(١) منعناه منهم أى من أذاهم .

(٢) صغيرهم وكبيرهم ، ذكرهم وأنثاهم .

(٣) أى واذكرهما .

(٤) بدل منهما .

(٥) فى الزرع أو الكرم .

(٦) ظرف ليحكمان .

(٧) دخلت ليلا فأكلته وأفسدته . والنفش انتشار الغنم ليلا بلا راع .

(٨) أرادهما والمتحاكين إليهما .

(٩) أى كان ذلك بعلمنا ومرأى منا .

(١٠) (ففهمناها) أى الحكومة أو الفتوى (سليمان) وفيه دليل على أن الصواب كان مع سليمان صلوات الله عليه .

وقصته أن الغنم رعت الحرث وأفسدته بلا راع ليلا فتحاكما إلى داود فحكم بالغنم لأهل الحرث وقد استوت قيمتاهما أى قيمة الغنم كانت على قدر النقصان من الحرث . فقال سليمان وهو ابن إحدى عشرة سنة : غير هذا أرفق بالفريقين. فعزم عليه ليحكمن، فقال: أرى أن تدفع الغنم إلى أهل الحرث ينتفعون بألبانها وأولادها وأصوافها، والحرث إلى رب الغنم حتى يصلح الحرث ويعود كهيئته يوم أفسد ثم يترادّان. فقال: القضاء ما قضيت. وأمضى الحكم بذلك . وكان ذلك باجتهاد منهما. وهذا كان فى شريعتهم . فأما فى شريعتنا فلا ضمان عند أبى حنيفة وأصحابه رضى الله عنهم بالليل أو بالنهار إلا أن يكون مع البهيمة سائق أو قائد. وعند الشافعى رحمه الله يجب الضمان بالليل . وقال الجصاص : إنما ضمنوا لأنهم أرسلوها . و نسخ الضمان بقوله عليه السلام "العجماء جبار" . وقال مجاهد : كان هذا صلحا . وما فعله داود كان حكما والصلح خير .

وَكُلًّا[1] ءَاتَيْنَا حُكْمًا[2] وَعِلْمًا[3] وَسَخَّرْنَا[4] مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ[5] وَالطَّيْرَ[6] وَكُنَّا فَاعِلِينَ[7] ۝ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ[8] لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم[9] مِّنْ بَأْسِكُمْ[10] فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ[11] ۝ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ[12] عَاصِفَةً[13] تَجْرِي بِأَمْرِهِ[14]

---

(١) من داود وسليمان .

(٢) نبوّة .

(٣) معرفة بموجب الحكم .

(٤) وذللنا .

(٥) وهو حال بمعنى مسبّحات . أو استئناف كأنّ قائلا قال : كيف سخّرهنّ ؟ فقال (يسبّحن) .

(٦) معطوف على (الجبال) أو مفعول معه . وقدّمت الجبال على الطير لأنّ تسخيرها وتسبيحها أعجب وأغرب وأدخل في الإعجاز لأنّها جماد . روى أنّه كان يمرّ بالجبال مسبّحا وهي تجاوبه . وقيل كانت تسير معه حيث سار .

(٧) (وكنّا فاعلين) بالأنبياء مثل ذلك وإن كان عجبا عندكم .

(٨) أي عمل اللبوس والدروع . واللبوس اللباس . والمراد الدرع .

(٩) شاميّ وحفص . أي الصنعة . وبالنون أبو بكر وحمّاد ، أي الله عزّ وجلّ . وبالياء غيرهم ، أي اللبوس ، أو الله عزّ وجلّ .

(١٠) من حرب عدوّكم .

(١١) استفهام بمعنى الأمر . أي فاشكروا الله على ذلك .

(١٢) أي وسخّرنا له الريح .

(١٣) حال أي شديدة الهبوب . ووصفت في موضع آخر بالرُّخاء لأنّها تجري باختياره . فكانت في وقت رخاء وفي وقت عاصفة لهبوبها على حكم إرادته .

(١٤) بأمر سليمان .

إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَـٰرَكْنَا فِيهَا(١) وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَـٰلِمِينَ(٢) ۝ وَمِنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ(٣) وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ(٤) وَكُنَّا لَهُمْ حَـٰفِظِينَ(٥) ۝ وَأَيُّوبَ(٦) إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي(٧) مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ(٨) وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ(٩) ۝ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ(١٠)

---

(١) بكثرة الأنهار والأشجار والثمار . والمراد الشام وكان منزله بها وتحمله الريح من نواحى الأرض إليها .

(٢) وقد أحاط علمنا بكلّ شيء فتجرى الأشياء كلّها على ما يقتضيه علمنا .

(٣) أى وسخرنا منهم (من يغوصون له) فى البحار بأمره لاستخراج الدرّ وما يكون فيها.

(٤) أى دون الغوص وهو بناء المحاريب والتماثيل والقصور والقدور والجفان .

(٥) (وكنّا لهم حافظين) أن يزيغوا عن أمره أو يبدّلوا أو يوجد منهم فساد فيما هم مسخرون فيه .

(٦) أى (و) اذكر (أيّوب) .

(٧) أى دعا بأنّى .

(٨) الضرّ بالفتح الضرر فى كلّ شيء ، وبالضم الضرر فى النفس من مرض أو هزال .

(٩) ألطف فى السؤال حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة ، وذكر ربّه بغاية الرحمة ، ولم يصرح بالمطلوب. فكأنّه قال أنت أهل أن ترحم وأيّوب أهل أن يُرحَم، فارحمه واكشف عنه الضرّ الذى مسّه . عن أنس رضى الله عنه أخبر عن ضعفه حين لم يقدر على النهوض إلى الصلاة ولم يشتك . وكيف يشكو من قيل له (إنّا وجدناه صابرا نعم العبد) ؟ وقيل إنّما شكا إليه تلذّذا بالنجوى لامنه تضرّرا بالشكوى . والشكاية إليه غاية القرب كما أنّ الشكاية منه غاية البعد .

(١٠) أجبنا دعاءه .

فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ[1] وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ[2] رَحْمَةً[3] مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ[4] ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ[5] كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ[6] ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ[7] إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ[8] ﴿٨٦﴾ وَذَا ٱلنُّونِ[9]

---

(١) (فكشفنا) ضرّه إنعاما عليه .

(٢) روى أنّ أيّوب عليه السلام كان روميّا من ولد إسحق بن ابراهيم عليه السلام وله سبعة بنين وسبع بنات وثلاثة آلاف بعير وسبعة آلاف شاة وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكلّ عبد امرأة وولد ونخيل . فابتلاه الله تعالى بذهاب ولده وماله وبمرض فى بدنه ثمانى عشرة سنة أو ثلاث عشرة سنة أو ثلاث سنين . وقالت له امرأته يوما لودعوت الله عزّ وجلّ. فقال كم كانت مدّة الرخاء ؟ فقالت ثمانين سنة . فقال أنا أستحى من الله أن أدعوه وما بلغت مدّة بلائى مدّة رخائى . فلمّا كشف الله عنه أحيا ولده بأعيانهم ورزقه مثلهم معهم .

(٣) هو مفعول له .

(٤) يعنى (رحمة) لأيّوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كصبره فيثابوا كثوابه .

(٥) (واسماعيل) بن ابراهيم (وادريس) بن شيث بن آدم (وذا الكفل) وهو إلياس أو زكريّا أو يوشع بن نون . وسمّى به لأنّه ذو الحظّ من الله . والكفل الحظّ . أى اذكرهم .

(٦) أى هؤلاء المذكورون كلّهم موصوفون بالصبر .

(٧) نبوّتنا أو النعمة فى الآخرة .

(٨) أى ممّن لا يشوب صلاحهم كدر الفساد .

(٩) أى اذكر صاحب الحوت . والنون الحوت . فأضيف اليه .

إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا[١] فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ[٢] فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَـٰتِ[٣] أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ[٤] سُبۡحَـٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ[٥] ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَـٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّ[٦] وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ[٧] ﴿٨٨﴾

---

(١) حال، أى مراغما لقومه. ومعنى مغاضبته لقومه أنّه أغضبهم بمفارقته لخوفهم حلول العقاب عليهم عندها . روى أنّه برم بقومه لطول ما ذكّرهم فلم يتّعظوا وأقاموا على كفرهم فراغمهم وظنّ أن ذلك يسوغ حيث لم يفعله إلّا غضبا لله و بغضا للكفر وأهله . وكان عليه أن يصابر وينتظر الإذن من الله تعالى فى المهاجرة عنهم . فابتلى ببطن الحوت .

(٢) نضيّق (عليه) وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنّه دخل يوما على معاوية . فقال لقد ضربتنى أمواج القرآن البارحة فغرقت فيها فلم أجد لنفسى خلاصا إلّا بك . قال وما هى يامعاوية ؟ فقرأ الآية فقال : أوَيظن نبىّ الله أن لا يَقدر عليه ؟ قال هذا من القَدْر لا من القُدرة .

(٣) أى فى الظلمة الشديدة المتكاثفة فى بطن الحوت كقوله :(ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات) ، أو ظلمة الليل والبحر وبطن الحوت .

(٤) (أن) أى بأنّه (لا إله إلّا أنت) . أو بمعنى أى .

(٥) (من الظالمين) لنفسى فى خروجى من قومى قبل أن تأذن لى . فى الحديث "ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء إلّا استجيب له" ، وعن الحسن : ما نجّاه والله إلّا إقراره على نفسه بالظلم .

(٦) غمّ الزلّة والوحشة والوحدة .

(٧) إذا دعونا واستغاثوا بنا .(نُجّى) شامىّ وأبو بكر بإدغام النون فى الجيم عند البعض لأنّ النون لا تدغم فى الجيم، وقيل تقديره نُجّىَ النجاءُ المؤمنين.فسكن الياء تخفيفا وأسند الفعل إلى المصدر ونصب المؤمنين بالنجاء . لكنّ فيه إقامة المصدر مقام الفاعل مع وجود المفعول وهذا لا يجوز . وفيه تسكين الياء و بابه الضرورات . وقيل أصله تنجّى من التنجية فحذفت النون الثانية لاجتماع النونين كما حذفت إحدى التاءين فى (تنزّل الملائكة) .

وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ (١) ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ (٢) وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ (٣) إِنَّهُمْ (٤) كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ (٥) وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا (٦) وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ (٧) ﴿٩٠﴾ وَٱلَّتِىٓ (٨) أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا (٩) فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا (١٠) وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً (١١) لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾

(١) سأل ربّه أن يرزقه ولدا يرثه ولا يدعه وحيدا بلا وارث . ثم ردّ أمره إلى الله مستسلما فقال (وأنت خير الوارثين) . أى فإن لم ترزقنى من يرثنى فلا أبالى فإنّك خير وارث أى باق .

(٢) (ووهبنا له يحيى) ولدا .

(٣) جعلناها صالحة للولادة بعد العُقَار أى بعد عُقْرها . أو حسنة وكانت سيّئة الخلق .

(٤) أى الأنبياء المذكورين .

(٥) أى أنهم إنّما استحقّوا الإجابة إلى طلباتهم لمبادرتهم أبواب الخير ومسارعتهم فى تحصيلها

(٦) أى طمعا وخوفا كقوله (يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربّه) . وهما مصدران فى موضع الحال أو المفعول له أى للرغبة فينا والرهبة منّا .

(٧) متواضعين خائفين .

(٨) أى (و) اذكر (الّتى) .

(٩) حفظته من الحلال والحرام .

(١٠) أجرينا فيها روح المسيح . أو أمرنا جبريل فنفخ فى جيب درعها فأحدثنا بذلك النفخ عيسى فى بطنها . وإضافة الروح إليه تعالى لتشريف عيسى عليه السلام .

(١١) مفعول ثان . وإنّما لم يقل آيتين كما قال (وجعلنا الليل والنهار آيتين) لأنّ حالها بمجموعهما آية واحدة وهى ولادتها إيّاه من غير فحل . أو التقدير وجعلناها آية وابنها كذلك فآية مفعول المعطوف عليه . ويدلّ عليه قراءة من قرأ (آيتين) .

إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً(١) وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ(٢) ۝ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ(٣) ۝ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ(٤) وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ(٥) ۝ وَحَرَٰمٌ(٦) عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ(٧) ۝

---

(١) الأمّة الملّة. و (هذه) إشارة إلى ملّة الإسلام. وهى ملّة جميع الأنبياء، و (أمّة واحدة) حال أى متوحّدة غير متفرقة . والعامل مادلّ عليه اسم الإشارة أى أنّ ملّة الإسلام هى ملّتكم التى يجب أن تكونوا عليها لا تنحرفون عنها يشار إليها ملّة واحدة غير مختلفة .

(٢) أى ربّيتكم اختيارا فاعبدونى شكرا وافتخارا . والخطاب للناس كافّة .

(٣) أصل الكلام وتقطّعتم إلاّ أنّ الكلام صرف إلى الغيبة على طريقة الالتفات . والمعنى وجعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعا وصاروا فرقا وأحزابا . ثمّ توعّدهم بأنّ هؤلاء الفرق المختلفة (كلّ إلينا راجعون) فنجازيهم على أعمالهم .

(٤) (فمن يعمل من الصالحات) شيئا (وهو مؤمن) بما يجب الإيمان به (فلا كفران لسعيه) أى فإنّ سعيه مشكور مقبول . والكفران مثّل فى حرمان الثواب، كما أنّ الشكر مثّل فى إعطائه . وقد نفى نفى الجنس ليكون أبلغ .

(٥) (وإنّا) أى الحفظة بأمرنا (له) للسعى (كاتبون) فى صحيفة عمله فنثيبه به .

(٦) (وحِرْم) كوفىّ غير حفص وخلف . وهما لغتان كحِلّ وحلال وزنا وضدّه معنى. والمراد بالحرام الممتنع وجوده .

(٧) والمعنى وممتنع على مُهلَك غير ممكن ألاّ يرجع إلى الله بالبعث . أو (وحرام على قرية أهلكناها) — أى قدّرنا إهلاكهم أو حكمنا بإهلاكهم — ذلك — وهو المذكور فى الآية المتقدّمة من العمل الصالح والسعى المشكور غير المكفور ، (أنّهم لا يرجعون) من الكفر إلى الإسلام .

حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ[1] يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ[2] وَهُم[3] مِّن كُلِّ حَدَبٍ[4] يَنسِلُونَ[5] ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ[6] فَإِذَا[7] هِىَ شَٰخِصَةٌ[8] أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا[9] قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا[10] بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ[11] ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ[12]

(١) (حتى) هى التى يحكى بعدها الكلام. والكلام المحكىّ الجملة من الشرط والجزاء أعنى (إذا) وما فى حيّزها .

(٢) أى فتح سدّهما. فحذف المضاف كما حذف المضاف إلى (قرية). (فُتّحت) شامىّ. وهما قبيلتان من جنس الإنس. يقال الناس عشرة أجزاء تسعة منها يأجوج ومأجوج .

(٣) راجع إلى الناس المسوقين إلى المحشر . وقيل هم يأجوج ومأجوج يخرجون حين يفتح السّد .

(٤) نَشَز من الأرض أى ارتفاع .

(٥) يسرعون .

(٦) أى القيامة .

(٧) جواب (إذا). وهى إذا المفاجأة. وهى تقع فى المجازاة سادّة مسدّ الفاء كقوله (إذا هم يقنطون). فإذا جاءت الفاء معها تعاونتا على وصل الجزاء بالشرط فيتأكّد. ولو قيل فهى شاخصة أو إذا (هى شاخصة) كان سديدا. (وهى) ضمير مبهم يوضّحه الأبصار ويفسّره .

(٨) أى مرتفعة الأجفان لا تكاد تطرف من هول ما هم فيه .

(٩) متعلق بمحذوف تقديره يقولون (يا ويلنا). ويقولون حال من (الذين كفروا) .

(١٠) (من هذا) اليوم .

(١١) (بل كنا ظالمين) بوضعنا العبادة فى غير موضعها .

(١٢) يعنى الأصنام وإبليس وأعوانه لأنّهم بطاعتهم لهم واتّباعهم خطواتهم فى حكم عبدتهم .

حَصَبُ (١) جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ (٢) ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً (٣) مَّا وَرَدُوهَا (٤) وَكُلٌّ (٥) فِيهَا (٦) خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ (٧) فِيهَا زَفِيرٌ (٨) وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ (٩) ﴿١٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ (١٠) أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا (١١) مُبْعَدُونَ (١٢) ﴿١٠١﴾

(١) حطب . وقرئ (حطب) .

(٢) فيها داخلون .

(٣) (لو كان هؤلاء آلهة) كما زعمتم .

(٤) ما دخلوا النار .

(٥) أى العابد والمعبود .

(٦) فى النار .

(٧) للكفار .

(٨) أنين و بكاء وعويل .

(٩) (لا يسمعون) شيئا ما لأنهم صاروا صما . وفى السماع نوع أنس فلم يعطوه .

(١٠) الخصلة المفضلة فى الحسن . تأنيث الأحسن . وهى السعادة أو البشرى بالثواب أو التوفيق للطاعة . يعنى عزيرا والمسيح والملائكة . نزلت جوابا لقول ابن الزبعرى عند تلاوته عليه السلام على صناديد قريش (إنكم وما تعبدون من دون الله) إلى قوله (خالدون) : أليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى المسيح و بنو مليح الملائكة ؟ على أن قوله (وما تعبدون) لا يتناولهم لأن (ما) لمن لا يعقل إلا أنهم أهل عناد فزيد فى البيان .

(١١) عن جهنم .

(١٢) (مبعدون) لأنهم لم يرضوا بعبادتهم .

وقيل المراد بقوله (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى) جميع المؤمنين لما روى أن عليا رضى الله عنه قرأ هذه الآية ثم قال أنا منهم وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبدالرحمن ابن عوف . وقال الجنيد رحمه الله: سبقت لهم منا العناية فى البداية ، فظهرت لهم الولاية فى النهاية .

لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا(١) وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَـٰلِدُونَ(٢) ۝ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ(٣) وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ هَـٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ(٤) ۝ يَوْمَ نَطْوِى(٥) ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ(٦) لِلْكُتُبِ(٧) كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ(٨)

(١) صوتها الذى يحس وحركة تلهبها . وهذه مبالغة فى الإبعاد عنها أى لا يقربونها حتى لا يسمعوا صوتها وصوت من فيها .

(٢) (وهم فيما اشتهت أنفسهم) من النعيم (خالدون) مقيمون . والشهوة طلب النفس اللذة .

(٣) النفخة الأخيرة .

(٤) أى تستقبلهم (الملائكة) مهنّئين على أبواب الجنّة يقولون (هـذا يومكم الذى كنتم توعدون) أى هذا وقت ثوابكم الذى وعدكم ربّكم فى الدنيا .

(٥) (يوم) العامل فيه (لا يحزنهم) أو (تتلقاهم) . (تُطوَى السماءُ) يزيد . وطيها تكوير نجومها ومحو رسومها أو هو ضدّ النشر . لجمعها ونطويها .

(٦) أى الصحيفة .

(٧) حمزة وعلىّ وحفص. أى للمكتوبات أى لما يكتب فيه من المعانى الكثيرة . وغيرهم (للكتاب) أى كما يُطوَى الطومار للكتابة أو لما يكتب فيه . لأنّ الكتاب أصله المصدر كالبناء ثمّ يوقع على المكتوب . وقيل (السجلّ) ملَك يطوى كتب بنى آدم إذا رفعت إليه . وقيل كاتب كان لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم . (والكتاب) على هذا اسم الصحيفة المكتوب فيها . والطىّ مضاف إلى الفاعل ، وعلى الأوّل إلى المفعول .

(٨) انتصب الكاف بفعل مضمر يفسّره (نعيده) . (وما) موصولة . أى نعيد مثل الذى بدأناه نعيده و (أوّل خلق) ظرف لبدأنا أى أوّل ما خلق. أو حال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ الثابت فى المعنى . وأوّلُ الخلق إيجاده . أى فكما أوجده أوّلا يعيده ثانيا تشبيها للإعادة بالإبداء فى تناول القدرة لهما على السواء . والتنكير فى (خلق) مثله فى قولك هو أوّل رجل جاءنى ، تريد أوّل الرجال ولكنّك وحّدته ونكّرته إرادة تفصيلهم رجلا رجلا . فكذلك معنى (أوّل خلق) أوّل الخلق بمعنى أوّل الخلائق لأنّ الخلق مصدر لا يجمع .

وَعْدًا[1] عَلَيْنَآ[2] إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ[3] ﴿١٠٤﴾ وَلَقَـدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ[4] مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ[5] أَنَّ ٱلْأَرْضَ[6] يَرِثُهَا[7] عِبَادِىَ ٱلصَّـٰلِحُونَ[8] ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِى هَـٰذَا[9] لَبَلَـٰغًا[10] لِّقَوْمٍ عَـٰبِدِينَ[11] ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً[12] لِّلْعَـٰلَمِينَ[13] ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا[14] يُوحَىٰٓ إِلَىَّ

(١) مصدر مؤكّد لأنّ قوله (نعيده) عدة للإعادة .

(٢) أى (وعدا) كائنا لا محالة .

(٣) (فاعلين) ذلك أى محقّقين هذا الوعد فاستعدّوا له وقدّموا صالح الأعمال، للخلاص من هذه الأحوال .

(٤) كتاب داود عليه السلام .

(٥) التوراة .

(٦) أى الشأم .

(٧) ساكنة الياء حمزة . غيره بفتح الياء .

(٨) أى أمّة محمد عليه السلام .

أو (الزبور) بمعنى المزبور أى المكتوب، يعنى ما أنزل على الأنبياء من الكتب. و (الذكر) أمّ الكتاب يعنى اللوح لأنّ الكلّ أخذوا منه . دليله قراءة حمزة وخلف بضم الزاى على جمع الزبر بمعنى المزبور . و (الأرض) أرض الجنّة .

(٩) أى القرآن أوفى المذكور فى هذه السورة من الأخبار والوعد والوعيد والمواعظ .

(١٠) لكفاية . وأصله ما تبلغ به البغية .

(١١) موحّدين وهم أمّة محمد عليه السلام .

(١٢) مفعول له أو حال أى ذا رحمة . قال عليه السلام "إنّما أنا رحمة مهداة" .

(١٣) لأنّه جاء بما يسعدهم إن اتّبعوه . ومن لم يتّبع فانّما أتى من عند نفسه حيث ضيّع نصيبه منها . وقيل هو رحمة للمؤمنين فى الدارين ، وللكافرين فى الدنيا بتأخير عذاب الاستئصال والمسخ والخسف .

(١٤) (إنّما) لقصر الحكم على شىء أو لقصر الشىء على حكم نحو إنّما زيد قائم و إنّما يقوم زيد . ويجوز أن يكون المعنى إنّ الذى يوحى إلىّ . فتكون (ما) موصولة .

أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ[(1)] فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ[(2)] ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ[(3)] فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ[(4)] عَلَىٰ سَوَآءٍ[(5)] وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ[(6)] ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ[(7)] ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ[(8)] وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ[(9)] ﴿١١١﴾ قَـٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ[(10)] وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَـٰنُ[(11)] ٱلْمُسْتَعَانُ[(12)] عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ[(13)] ﴿١١٢﴾

---

(١) (أنّما إلهكم إله واحد) فاعل (يوحى). والتقدير (يوحى إلىّ) وحدانية إلهى.

(٢) استفهام بمعنى الأمر. أى أسلموا.

(٣) (فإن تولّوا) عن الإسلام.

(٤) أعلمتكم ما أمرت به.

(٥) حال. أى مستوين فى الإعلام به ولم أخصص بعضكم. وفيه دليل بطلان مذهب الباطنيّة.

(٦) أى لا أدرى متى يكون يوم القيامة لأنّ الله تعالى لم يطلعنى عليه ولكنّى أعلم بأنّه كائن لا محالة، أو لا أدرى متى يحلّ بكم العذاب إن لم تؤمنوا.

(٧) أى إنّه عالم بكلّ شىء يعلم ما تجاهرونى به من الطعن فى الإسلام وما تكتمونه فى صدوركم من الأحقاد للسلمين وهو مجازيكم عليه.

(٨) وما أدرى لعلّ تأخير العذاب عنكم فى الدنيا امتحان لكم لينظر كيف تعملون.

(٩) وتمتيع لكم إلى الموت ليكون ذلك حجّة عليكم.

(١٠) (قُل) اقض بيننا وبين أهل مكّة بالعدل، أو بما يحقّ عليهم من العذاب ولا تحابهم وشدّد عليهم كما قال " واشدد وطأتك على مضر ". (قال ربّ) حفص، على حكاية قول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. (ربُّ احكم) يزيد، (ربّى أحْكَمُ) زيد، عن يعقوب.

(١١) العاطف على خلقه.

(١٢) المطلوب منه المعونة.

(١٣) وعن ابن ذكوان بالياء. كانوا يصفون الحال على خلاف ما جرت عليه وكانوا يطمعون أن تكون الشوكة لهم والغلبة. فكذّب الله ظنونهم وخيّب آمالهم ونصر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم والمؤمنين وخذلهم أى الكفّار وهو (المستعان على ما) يصفون.

سورة الحجّ مكّيّة

وهى ثمان وسبعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ[1] ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا[2] تَذْهَلُ[3] كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ[4] وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ[5]

(١) . أمر بنى آدم بالتقوى ثمّ علّل وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها بأهول صفة بقوله (إنّ زلزلة الساعة شىء عظيم) لينظروا إلى تلك الصفة ببصائرهم ويتصوّروها بعقولهم حتّى يبقوا على أنفسهم ويرحموها من شدائد ذلك اليوم بامتثال ما أمرهم به ربّهم من التردّى بلباس التقوى الذى يؤمّنهم من تلك الأفزاع . والزلزلة شدّة التحريك والإزعاج . وإضافة الزلزلة إلى الساعة إضافة المصدر إلى فاعله كأنّها هى التى تزلزل الأرض على المجاز الحكمىّ . أو إلى الظرف لأنّها تكون فيهـا كقوله (بل مكر الليل والنهار) . ووقتها يكون يوم القيامة . أو عند طلوع الشمس من مغربها . ولا حجّة فيهـا للمعتزلة فى تسمية المعدوم شيئا فإنّ هذا اسم لها حال وجودها .

(٢) أى الزلزلة أو الساعة . انتصب (يوم) بقوله (تذهل) .

(٣) تغفل . والذهول الغفلة .

(٤) عن إرضاعها أو عن الذى أرضعته وهو الطفل . وقيل (مرضعة) ليدلّ على أنّ ذلك الهول إذا حدث وقد ألقمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه لمـا يلحقها من الدهشة . إذ المرضعة هى التى فى حال الإرضاع ملقمة ثديها الصبىّ . والمرضع التى شأنها أن ترضع وإن لم تبـاشر الإرضاع فى حال وصفها به .

(٥) أى حبلى .

حَمْلَهَا وَتَرَى[1] ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ[2] وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ[3] ۝ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ[4] وَيَتَّبِعُ[5] كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ[6] ۝ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ[7] ۝

---

(١) ولدها قبل تمامه. عن الحسن: تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام، وتضع الحامل ما فى بطنها لغير تمام .

(٢) (وترى) أيها الناظر .

(٣) (سكارى) على التشبيه لما شاهدوا بساط العزة وسلطنة الجبروت وسرادق الكبرياء حتى قال كل نبى : نفسى نفسى . (وما هم بسكارى) على التحقيق (ولكن عذاب الله شديد) فخوف عذاب الله هو الذى أذهب عقولهم وطير تمييزهم وردهم فى نحو حال من يذهب السكر بعقله وتمييزه . وعن الحسن (وترى الناس سكارى) من الخوف (وما هم بسكارى) من الشراب . (سكرى) فيهما بالإمالة حمزة وعلى وهو كعطشى فى عطشان . روى أنه نزلت الآيتان ليلا فى غزوة بنى المصطلق فقرأهما النبى عليه السلام فلم ير أكثر باكيا من تلك الليلة .

(٤) (ومن الناس من يجادل فى الله) فى دين الله (بغير علم) حال . نزلت فى النضر بن الحرث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله ، والقرآن أساطير الأولين ، والله غير قادر على إحياء من بلى . أو هى عامة فى كل من يخاصم فى الدين بالهوى .

(٥) (ويتبع) فى ذلك .

(٦) عات مستمر فى الشر ولا وقف على (مريد) لأن ما بعده صفته .

(٧) قضى على الشيطان أن الأمر والشأن — وهو فاعل (كُتب) — (من تولاه) تبعه أى تبع الشيطان ، فأن الشيطان (يضله) عن سواء السبيل (ويهديه إلى عذاب السعير)

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ(١) ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ(٢) ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ(٣) مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ(٤) لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ(٥) وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ(٦)

النار . قال الزجاج : الفاء فى (فأنّه) للعطف و (أنّ) مكرّرة للتأكيد . وردّ عليه أبو على وقال إنّ (من) إن كان للشرط فالفاء دخل لجزاء الشرط . وإن كان بمعنى الذى فالفاء دخل على خبر المبتدا . والتقدير فالأمر أنّه يضلّه . قال : والعطف والتأكيد يكون بعد تمام الأول . والمعنى (كتب) على الشيطان إضلال من (تولّاه) وهدايته إلى النار .

(١) ألزم الحجـة على منكرى البعث . يعنى إن ارتبتم فى البعث فمزيل ريبكم أن تنظروا فى بدء خلقكم وقد كنتم فى الابتداء ترابا وماء وليس سبب إنكاركم البعث إلّا هذا وهو صيرورة الخلق ترابا وماء (فإنّا خلقناكم) أى أباكم (من تراب) ثمّ خلقتم (من نطفة) .

(٢) أى قطعة دم جامدة .

(٣) أى لحمة صغيرة قدر ما يمضغ .

(٤) المخلّقة المسوّاة الملساء من النقصان والعيب . كأنّ الله عزّ وجلّ يخلق المضغ متفاوتة . منها ما هو كامل الخلقة أملس من العيوب ، ومنها ما هو على عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس فى خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وتمامهم ونقصانهم .

(٥) إنما نقلناكم من حال إلى حال ومن خلقة إلى خلقة (لنبيّن لكم) بهذا التدريج كمال قدرتنا وحكمتنا وأنّ من قدر على خلق البشر من تراب أوّلا ثمّ من نطفة ثانيا ولا مناسبة بين التراب والماء وقدر أن يجعل النطفة علقة والعلقة مضغة والمضغة عظاما قادر على إعادة ما بدأه .

(٦) (ونقرّ) بالرفع عند غير المفضّل مستأنف بعد وقف . أى نحن نثبت فى الأرحام ما نشاء ثبوته . وما لم نشأ ثبوته أسقطته الأرحام .

إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى[1] ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا[2] ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ[3] وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ[4] وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ[5] لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا[6] وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً[7] فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ[8] وَرَبَتْ[9] وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ[10] بَهِيجٍ[11] ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ[12]

---

(١) أى وقت الولادة .

(٢) (ثم نخرجكم) من الرحم (طفلا) حال . وأريد به الجنس فلذا لم يجمع . أو أريد به ثم نخرج كلّ واحد منكم (طفلا) .

(٣) ثم نربّيكم (لتبلغوا أشدّكم) كمال عقلكم وقوتكم . وهو من الألفاظ الجموع التى لا يستعمل لها واحد .

(٤) (ومنكم من يتوفّى) عند بلوغ الأشدّ أو قبله أو بعده .

(٥) أخسّه يعنى الهرم والخرف .

(٦) أى (لكيلا يعلم) شيئا (من بعد) ما كان يعلمه . أو لكيلا يستفيد علما وينسى ما كان عالما به .

(٧) ذكر دليلا آخر على البعث فقال (وترى الأرض هامدة) ميّتة يابسة .

(٨) تحرّكت بالنبات .

(٩) وانتفخت . (وربأت) حيث كان يزيد ، ارتفعت .

(١٠) صنف .

(١١) حسن سارّ للناظرين إليه .

(١٢) (ذلك) مبتدأ خبره (بأنّ الله هو الحقّ) أى ذلك الذى ذكرنا من خلق بنى آدم وإحياء الأرض مع ما فى تضاعيف ذلك من أصناف الحكم حاصل بهذا وهو (أنّ الله هو الحقّ) أى الثابت الوجود (وأنّه يحيي الموتى) كما أحيا الأرض .

وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ(١) ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ(٢) ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ(٣) بِغَيْرِ عِلْمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ(٤) ﴿٨﴾ ثَانِيَ عِطْفِهِۦ(٥) لِيُضِلَّ(٦) عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ(٧) لَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٞ(٨) وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ(٩) ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ(١٠) وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلْعَبِيدِ(١١) ﴿١٠﴾

---

(١) قادر .

(٢) أى أنه حكيم لا يخلف الميعاد . وقد وعد الساعة والبعث فلا بدّ أن يفى بما وعد .

(٣) فى صفاته فيصفه بغير ما هو له . نزلت فى أبى جهل .

(٤) (بغير علم) ضرورىّ (ولا هدى) أى استدلال لأنّه يهدى إلى المعرفة (ولا كتاب منير) أى وحى . والعلم للإنسان من أحد هذه الوجوه الثلاثة .

(٥) حال . أى لاويا عنقه عن طاعة الله كبرا وخيلاء . وعن الحسن (ثانى عَطفه) بفتح العين أى مانع تعطفه إلى غيره .

(٦) تعليل للجادلة . (ليَضلّ) مكّىّ وأبو عمرو .

(٧) دينه .

(٨) أى القتل يوم بدر .

(٩) أى جمع له عذاب الدارين .

(١٠) أى السبب فى عذاب الدارين هو ما قدّمت نفسه من الكفر والتكذيب . وكنى عنها باليد لأنّ اليد آلة الكسب .

(١١) فلا يأخذ أحدا بغير ذنب ولا بذنب غيره. وهو عطف على (بما) أى وبأن الله . وذكر الظلّام بلفظ المبالغة لاقترانه بلفظ الجمع وهو العبيد ، ولأنّ قليل الظلم منه مع علمه بقبحه واستغنائه كالكثير منّا .

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ[1] خَسِرَ ٱلدُّنْيَا[2] وَٱلْآخِرَةَ[3] ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ[4] ﴿١١﴾ يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ[5]

---

(١) (ومن الناس من يعبد الله) على طرف من الدين لافى وسطه وقلبه . وهـذا مثل لكونهم على قلق واضطراب فى دينهم لا على سكون وطمأنينة . و (على حرف) حال ، أى مضطربا (فإن أصابه) صحّة فى جسمه وسعة فى معيشته سكن واستقرّ بالخير الذى أصابه أو بالدين فعبد الله (وان أصابته فتنة) شرّ وبلاء فى جسده وضيق فى معيشته (انقلب على) جهته ، أى ارتدّ ورجع إلى الكفر . كالذى يكون على طرف من العسكر. فإن أحسّ بظفر وغنيمة قرّ واطمأنّ و إلّا فرّ وطار على وجهه . قالوا نزلت فى أعاريب قدموا المدينة مهاجرين. وكان أحدهم إذا صحّ بدنه ونُتجت فرسه مهرا سويّا وولدت امرأته غلاما سويّا وكثر ماله وماشيته قال ما أصبت منذ دخلت فى دينى هـذا إلّا خيرا واطمأنّ . وإن كان الأمر بخلافه قال ما أصبت إلّا شرّا وانقلب عن دينه .

(٢) حال . وقد مقدرة . دليله قراءة روح و زيد (خاسر الدنيا والآخرة) . والخسران فى الدنيا بالقتل فيها وفى الآخرة بالخلود فى النار .

(٣) أى خسران الدارين .

(٤) الظاهر الذى لا يخفى على أحد .

(٥) (ما لا يضرّه) إن لم يعبده (وما لا ينفعه) يعنى الصنم لأنّه بعد الردّة يفعل كذلك إن عبده .

ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ(١) ﴿١٢﴾ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ(٢) ﴿١٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ(٣) ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ(٤) فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ(٥) ﴿١٥﴾

---

(١) (البعيد) عن الصواب .

(٢) والإشكال أنّه تعالى نفى الضرّ والنفع عن الأصنام قبل هذه الآية وأثبتهما لها هنا . والجواب أنّ المعنى إذا فُهم ذهب هذا الوهم . وذلك أنّ الله تعالى سفّه الكافر بأنّه يعبد جمادا لا يملك ضرّا ولا نفعا وهو يعتقد فيه أنّه ينفعه. ثمّ قال يوم القيامة يقول هذا الكافر بدعاء وصراخ حين يرى استضراره بالأصنام ولا يرى لها أثر الشفاعة : (لمن ضرّه أقرب من نفعه لبئس المولى) أى الناصر الصاحب (ولبئس العشير) المصاحب . أو كرّر يدعو كأنّه قال (يدعو) يدعو (من دون الله مالا يضرّه ومالا ينفعه) . ثمّ قال (لمن ضرّه) بكونه معبودا (أقرب من نفعه) بكونه شفيعا (لبئس المولى) .

(٣) هذا وعد لمن عبد الله بكلّ حال لا لمن عبد الله على حرف .

(٤) المعنى أنّ الله ناصر رسوله فى الدنيا والآخرة . فمن ظنّ من أعاديه غير ذلك (فليمدد بسبب) بحبل (إلى السماء) إلى سماء بيته (ثمّ ليقطع) ثمّ ليختنق به . وسمّى الاختناق قطعا لأنّ المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه . وبكسر اللام بصرىّ وشامىّ .

(٥) أى الذى يغيظه أو (ما) مصدريّة أى غيظه . والمعنى فليصوّر فى نفسه أنّه إن فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذى يغيظه . وسمّى فعله كيدا على سبيل الاستهزاء . لأنّه لم يكد به محسوده . إنّما كاد به نفسه . والمراد ليس فى يده إلّا ما ليس بمذهب لما يغيظ .

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ (١) ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ (٢) إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ (٣) يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ (٤) ﴿١٧﴾ أَلَمْ تَرَ (٥) أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ (٦) وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ (٧) وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ

---

(١) ومثل ذلك الإنزال أنزل القرآن كلّه (آيات بيّنات) واضحات (وأنّ الله يهدى من يريد). أى ولأنّ الله يهدى به الذين يعلم أنّهم يؤمنون — أو يثبّت الذين آمنوا ويزيدهم هدى — أنزله كذلك مبيّنا.

(٢) قيل الأديان خمسة: أربعة للشيطان وواحد للرحمن. والصّابئون نوع من النصارى فلا تكون ستّة.

(٣) (يفصل بينهم) فى الأحوال والأماكن فلا يجازيهم جزاء واحدا ولا يجمعهم فى موطن واحد. وخبر (إنّ الذين آمنوا)، (إنّ الله يفصل بينهم) كما تقول إنّ زيدا إنّ أباه قائم.

(٤) عالم به حافظ له فلينظر كلّ امرئ معتقده وقوله وفعله. وهو أبلغ وعيد.

(٥) ألم تعلم بالجهد علما يقوم مقام العيان.

(٦) قيل إنّ الكلّ يسجد له ولكنّا لا نقف عليه كما لا نقف على تسبيحها. قال الله تعالى (وإن من شىء إلّا يسبّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم). وقيل سمّى مطاوعة غير المكلّف له فيما يحدث فيه من أفعاله وتسخيره له سجودا له تشبيها لمطاوعته بسجود المكلّف الذى كلّ خضوع دونه.

(٧) أى ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة. أو هو مرفوع على الابتداء (ومن الناس) صفة له والخبر محذوف وهو مثاب. ويدلّ عليه قوله (وكثير حقّ عليه العذاب) أى وكثير منهم حقّ عليه العذاب بكفره وإبائه السجود.

وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ[1] ۩ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟[2] فِى رَبِّهِمْ[3] فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ[4] مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ[5] ٱلْحَمِيمُ[6] ۝ يُصْهَرُ[7] بِهِۦ[8] مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ[9] ۝

[1] (ومن يهن الله) بالشقاوة (فما له من مكرم) بالسعادة (إن الله يفعل ما يشاء) من الإكرام والإهانة وغير ذلك . وظاهر هذه الآية والتي قبلها ينقض على المعتزلة قولهم . لأنهم يقولون شاء أشياء ولم يفعل وهو يقول (يفعل ما يشاء) .

[2] أي فريقان مختصمان . فالخصم صفة وصف بها الفريق . وقوله (اختصموا) للمعنى و (هذان) للفظ . والمراد المؤمنون والكافرون . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : رجع إلى أهل الأديان المذكورة . فالمؤمنون خصم وسائر الخمسة خصم .

[3] (في ربهم) في دينه وصفاته . ثم بين جزاء كل خصم بقوله (فالذين كفروا) . وهو فصل الخصومة المعنيّ بقوله (إن الله يفصل بينهم يوم القيامة) .

[4] كأن الله يقدر لهم نيرانا على مقادير جثثهم تشتمل عليهم كما تقطع الثياب الملبوسة . واختير لفظ الماضي لأنه كائن لا محالة فهو كالثابت المتحقق .

[5] بكسر الهاء والميم بصريّ و بضمهما حمزة وعليّ وخلف ، و بكسر الهاء وضم الميم غيرهم .

[6] الماء الحار . عن ابن عباس رضي الله عنهما : لو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا لأذابتها .

[7] يذاب .

[8] بالحميم .

[9] أي يذيب أمعاءهم وأحشاءهم كما يذيب جلودهم فيؤثر في الظاهر والباطن .

وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ (١) ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا (٢) مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا (٣) وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ (٤) يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ (٥) مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا (٦) وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٧) ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ (٨) ﴿٢٤﴾

---

(١) سياط مختصّة بهم (من حديد) يضربون بها .

(٢) من النار .

(٣) (من غمّ) بدل الاشتمال من (منها) باعادة الجاقّ أو الأولى لابتداء الغاية والثانية بمعنى من أجل . يعنى (كلّما أرادوا) الخروج من النار (من) أجل (غمّ) يلحقهم فخرجوا (أعيدوا فيها) بالمقامع . ومعنى الخروج عند الحسن أنّ النـار تضربهم بلهبها فتلقيهم حتّى إذا كانوا فى أعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيهـا سبعين خريفا . والمراد إعادتهم إلى معظم النار لا أنّهم ينفصلون عنها بالكلّية ثمّ يعودون إليها .

(٤) أى (و) قيل لهم (ذوقوا) . (الحريق) الغليظ من النار المنتشر العظيم الإهلاك . ثمّ ذكر جزاء الخصم الآخر فقال (إنّ الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنّات تجرى من تحتها الأنهار) .

(٥) جمع أسورة جمع سوار .

(٦) بالنصب مدنىّ وعاصم على و يؤتون (لؤلؤا) . و بالجرّ غيرهم عطفا على (من ذهب) . و بترك الهمزة الأولى فى كلّ القرآن أبو بكر وحمّاد .

(٧) إبريسم .

(٨) أى أرشد هؤلاء فى الدنيا إلى كلمة التوحيد و إلى (صراط الحميد) أى الإسلام . أو هداهم الله فى الآخرة وألهمهم أن يقولوا (الحمد لله الذى صدقنا وعده) وهداهم إلى طريق الجنّة . و (الحميد) الله المحمود بكلّ لسان .

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ (١) وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ (٢) ٱلَّذِي جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ (٣) سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ (٤) وَمَن يُرِدْ فِيهِ (٥) بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ (٦) نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٧) ۝ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ (٨)

(١) أى يمنعون عن الدخول فى الإسلام . (ويصدّون) حال من فاعل (كفروا) أى (و) هم (يصدّون) أى الصدود منهم دائم مستمرّ كما يقال فلان يحسن الى الفقراء. فإنّه يراد به استمرار وجود الإحسان منه فى الحال والاستقبال .

(٢) أى و يصدّون عن (المسجد الحرام) والدخول فيه .

(٣) (للناس) مطلقا من غير فرق بين حاضر و باد . فإن أريد بالمسجد الحرام مكّة ففيه دليل على أنّه لا تباع دور مكّة . و إن أريد به البيت فالمعنى أنّه قبلة لجميع الناس .

(٤) (سواء) بالنصب حفص. مفعول ثان لجعلناه — أى (جعلناه) مستويا (العاكف فيه والباد) وغير المقيم . بالياء مكىّ وافقه أبو عمرو فى الوصل . وغيره بالرفع على أنّه خبر والمبتدأ مؤخر. أى العاكف فيه والباد سواء . والجملة مفعول ثان . و (للناس) حال .

(٥) فى المسجد الحرام .

(٦) حالان مترادفان . ومفعول (يرد) متروك ليتناول كلّ متناول كأنّه قال (ومن يرد فيه) مرادا ما عادلا عن القصد ظالما . فالإلحاد العدول عن القصد .

(٧) (نذقه) فى الآخرة (من عذاب أليم) .

وخبر(إنّ) محذوف لدلالة جواب الشرط عليه . وتقديره (إنّ الذين كفروا و يصدّون) عن المسجد الحرام نذيقهم من عذاب أليم. وكلّ من ارتكب فيه ذنبا فهو كذلك .

(٨) واذكر يا محمد حين جعلنا (لإبراهيم مكان البيت) مباءة أى مرجعا يرجع إليه للعمارة والعبادة . وقد رفع البيت إلى السماء أيام الطوفان وكان من ياقوتة حمراء . فأعلم الله إبراهيم مكانه بريح أرسلها فكنست مكان البيت فبناه على أسّه القديم .

أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ (١) لِلطَّآئِفِينَ (٢) وَٱلْقَآئِمِينَ (٣) وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ (٤) ﴿٢٦﴾

وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ (٥) يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ (٦) يَأْتِينَ (٧) مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٨) ﴿٢٧﴾

(١) (أن) هى المفسّرة للقول المقدّر أى قائلين له (لا تشرك بى شيئا وطهّر بيتى) من الأصنام والأقذار. وبفتح الياء مدنىّ وحفص.

(٢) لمن يطوف به.

(٣) والمقيمين بمكّة.

(٤) المصلّين. جمع راكع وساجد.

(٥) (وأذّن فى الناس) ناد فيهم. والحجّ هو القصد البليغ إلى مقصد منيع. روى أنّه صعد أبا قبيس فقال يأيّها الناس حجّوا بيت ربّكم. فأجاب من قدّر له أن يحجّ من الأصلاب والأرحام بلبّيك اللّهم لبّيك. وعن الحسن أنّه خطاب لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم. أمر أن يفعل ذلك فى حجّة الوداع والأوّل أظهر. وجواب الأمر (يأتوك رجالا) مشاة جمع راجل كقائم وقيام.

(٦) حال معطوفة على (رجالا) كأنّه قال رجالا وركبانا. والضامر البعير المهزول. وقدّم الرجال على الركبان إظهارا لفضيلة المشاة كما ورد فى الحديث.

(٧) صفة لكلّ ضامر لأنّه فى معنى الجمع. وقرأ عبد الله (يأتون) صفة للرجال والركبان.

(٨) طريق بعيد. قال محمد بن ياسين قال لى شيخ فى الطواف: من أين أنت؟ فقلت من خراسان. قال كم بينكم وبين البيت؟ قلت مسيرة شهرين أو ثلاثة. قال: فأنتم جيران البيت. فقلت أنت من أين جئت؟ قال من مسيرة خمس سنوات وخرجت وأنا شاب فاكتهلت. قلت والله هذه الطاعة الجميلة والمحبة الصادقة. فقال:

زُرْ من هويتَ وإن شطّت بك الدار * وحال من دونه حُجْبٌ وأستار

لا يمنعنّك بعدٌ عن زيارته * إنّ المحبّ لمن يهواه زوّار

لِّيَشْهَدُوا۟[1] مَنَٰفِعَ[2] لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ[3] فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ[4]

(١) ليحضروا . واللام متعلق بأذن أو بيأتوك .

(٢) نكّرها لأنّه أراد منافع مختصّة بهـذه العبادة دينـيّة ودنيويّة لا توجد فى غيرها من العبادة . وهذا لأنّ العبادة شرعت للابتلاء بالنفس كالصلاة والصوم ، أو بالمـال كالزكاة . وقد اشتمل الحجّ عليهما مع ما فيه من تحمّـل الأثقال ، وركوب الأهوال ، وخلع الأسباب ، وقطيعة الأصحاب ، وهجر البلاد والأوطان ، وفرقة الأولاد والخلّان ، والتنبيه على ما يستمرّ عليه إذا انتقل من دار الفناء إلى دار البقـاء . فالحاجّ إذا دخل البادية لا يتّكل فيهـا إلّا على عتاده ، ولا يأكل إلّا من زاده . فكذا المرء إذا خرج من شاطئ الحياة ، وركب بحر الوفاة . لا ينفع وحدته إلّا ما سعى فى معاشـه لمعاده ، ولا يؤنس وحشته إلّا ما كان يأنس به من أوراده . وغسل من يحرم وتأهّبه،ولبسه غير المخيط وتطيّبه،مرآة لمـا سيأتى عليه من وضعه على سريره ، لغسله وتجهيزه ، مطيّبا بالحنوط ، ملفّفا فى كفن غير مخيط . ثم المحرم يكون أشعث حيران ، فكذا يوم الحشر يخرج من القبر لهفان . ووقوف الحجيج بعرفات آملين رغبا ورهبا ، سائلين خوفا وطمعا ، وهم من بين مقبول ومخذول كوقف العرصات (لا تكلّم نفس إلّا بإذنه فمنهم شقىّ وسعيد) . والإفاضة إلى المزدلفة بالمساء،هو السوق لفصل القضاء . ومنى هو موقف المنى للمذنبين ، إلى شفاعة الشافعين . وحلق الرأس والتنظيف ، كالخروج من السيّئات بالرحمة والتخفيف . والبيت الحرام (الذى من دخله كان آمنا) من الإيذاء والقتال ، أنموذج لدار السـلام التى هى من نزلهـا بقى سالمـا من الفناء والزوال . غير أنّ الجنّة حفّت بمكاره النفس العادية ، كما أنّ الكعبة حفّت بمتالف البادية . فمرحبا بمن جاوز مهالك البوادى ، شوقا إلى اللقاء يوم التنادى .

(٣) (ويذكروا اسم الله) عند الذبح .

(٤) هى عشر ذى الحجة عند أبى حنيفة رحمه الله وآخرها يوم النحر . وهو قول ابن عباس رضى الله عنهما وأكثر المفسّرين رحمهم الله . وعند صاحبيه هى أيّام النحر وهو قول ابن عمر رضى الله عنهما .

عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ (١) فَكُلُوا۟ مِنْهَا (٢) وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ (٣) ٱلْفَقِيرَ (٤) ۝
ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ (٥) وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ (٦) وَلْيَطَّوَّفُوا۟ (٧) بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ (٨) ۝

(١) أى على ذبحه . وهو يؤيد قولها . والبهيمة مبهمة فى كلّ ذات أربع فى البرّ والبحر فبيّنت بالأنعام وهى الإبل والبقر والضأن والمعز .

(٢) من لحومها . والأمر للإباحة . ويجوز الأكل من هدى التطوّع والمتعة والقران لأنّه دم نسك فأشبه الأضحية . ولا يجوز الأكل من بقية الهدايا .

(٣) الذى أصابه بؤس أى شدّة .

(٤) الذى أضعفه الإعسار .

(٥) ثمّ ليزيلوا عنهم أدرانهم . كذا قاله نفطويه . قيل قضاء التفث قصّ الشارب والأظفار ونتف الإبط والاستحداد . والتفث الوسخ . والمراد قضاء إزالة التفث . وقال ابن عمر وابن عباس رضى الله عنهما : قضاء التفث مناسك الحج كلّها .

(٦) مواجب حجّهم . والعرب تقول لكلّ من خرج عمّا وجب عليه وفّى بنذره وإن لم ينذر. أوما ينذرونه من أعمال البرّ فى حجّهم . (وليوفوا) بسكون اللام والتشديد ، أبو بكر .

(٧) (وليطوّفوا) طواف الزيارة الذى هو ركن الحجّ ويقع به تمام التحلّل .
أللامات الثلاث ساكنة عند غير ابن عياش وأبى عمرو .

(٨) القديم لأنّه (أوّل بيت وضع للنّاس) بناه آدم ثمّ جدّده إبراهيم . أو الكريم . ومنه عتاق الخيل لكرائمها وعتاق الرقيق لخروجه من ذلّ العبوديّة إلى كرم الحريّة . أو لأنّه أعتق من الغرق لأنّه رفع زمن الطوفان . أو من أيدى الجبابرة . كم من جبّار سار إليه ليهدمه فمنعه الله . أو من أيدى الملّاك فلم يملك قطّ . وهو مطاف أهل الغبراء ، كما أنّ العرش مطاف أهل السماء . فإنّ الطالب إذا هاجته معيّة الطرب ، وجذبته جواذب الطلب ، جعل يقطع مناكب الأرض مراحل ، ويتّخذ مسالك المهالك منازل . فإذا عاين البيت لم يزده التسلّى به إلّا اشتياقا ، ولم يفده التشفّى باستلام الحجر إلّا احتراقا . فيردّه الأسف لهفان ، ويردده اللهف حوله فى الدوران . وطواف الزيارة آخر فرائض الحجّ الثلاث . وأوّلها الإحرام . وهو

ذَٰلِكَ[(١)] وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ[(٢)] ٱللَّهِ فَهُوَ[(٣)] خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ[(٤)] ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ[(٥)] ﴿٣٠﴾

عقد الالتزام يشبه الاعتصام بعروة الإسلام ، حتّى لا يرتفض بارتكاب ما هو محذور فيه ، ويبقى عقده مع مايفسده وينافيه . كما أنّ عقد الإسلام ، لا يحلّ بازدحام الآثام . وترتفع ألف حوبة بتوبة . وثانيها الوقوف بعرفات بسمة الابتهال فى صفة الاهتبال وصدق الاعتزال عن دفع الاتّكال على مراتب الأعمال وشواهد الأحوال .

(١) خبر مبتدأ محذوف أى الأمر (ذلك) . أو تقديره ليفعلوا (ذلك) .

(٢) الحرمة مالا يحلّ هتكه . وجميع ما كلّفه الله عزّ وجلّ بهذه الصفة من مناسك الحجّ وغيرها فيحتمل أن يكون عامًا فى جميع تكاليفه . ويحتمل أن يكون خاصًّا بما يتعلّق بالحجّ وقيل (حرمات الله) البيت الحرام والمشعر الحرام والشهر الحرام والبلد الحرام والمسجد الحرام .

(٣) أى التعظيم . ومعنى التعظيم العلم بأنّها واجبة المراعاة والحفظ والقيام بمراعاتها .

(٤) (وأحلّت لكم الأنعام) كلها (إلا مايتلى عليكم) آية تحريمه . وذلك قوله (حرّمت عليكم الميتة) الآية . والمعنى أنّ الله تعالى أحلّ لكم الأنعام كلها إلّا ما بيّن فى كتابه . فحافظوا على حدوده ولا تحرّموا شيئًا مما أحلّ كتحريم البعض البحيرة ونحوها . ولا تحلّوا مما حرّم كإحلالهم أكل الموقوذة والميتة وغيرهما .

(٥) لمّا حثّ على تعظيم حرماته ، أتبعه الأمر باجتناب الأوثان وقول الزور . لأنّ ذلك من أعظم الحرمات وأسبقها خطوا . و (من الأوثان) بيان للرجس لأنّ الرجس مبهم يتناول غير شىء كأنه قيل (فاجتنبوا الرجس) الذى هو الأوثان . وسمّى الأوثان رجسا على طريقة التشبيه . يعنى أنّكم تنفرون بطباعكم عن الرجس فعليكم أن تنفروا عنها . وجمع بين الشرك وقول الزور — أى الكذب والبهتان أو شهادة الزور، وهو من الزَّوَر وهو الانحراف — لأنّ الشرك من باب الزور إذ المشرك زاعم أنّ الوثن يحقّ له العبادة .

حُنَفَآءَ لِلَّهِ[1] غَيْرَ مُشْرِكِينَ[2] بِهِۦ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ[3] أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ۝ ذَٰلِكَ[4] وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ[5] فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ[6] ۝ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ[7] إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى[8]

---

(١) مسلمين .

(٢) حال كحنفاء .

(٣) (فكأنما خرّ) يسقط (من السماء) إلى الأرض (فتخطفه الطير) أى تسلبه بسرعة ، (فتخطّفه) أى تخطّفه مدنى (أو تهوى به الريح) أى تسقطه — والهُوِىّ السقوط — (من مكان سحيق) بعيد . يجوز أن يكون هذا تشبيها مركبا . ويجوز أن يكون مفرّقا . فإن كان تشبيها مركّبا فكأنّه قال من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكا ليس بعده بأن صوّر حاله بصورة حال من (خرّ من السماء) فاختطفته الطير فتفرّق قطعا فى حواصلها ، أو عصفت به الريح حتّى هوت به فى بعض المهالك البعيدة. وإن كان مفرّقا فقد شبّه الإيمان فى علوّه بالسماء ، والذى أشرك بالله بالساقط من السماء ، والأهواء المردية بالطير المتخطّفة ، والشيطان الذى هو يوقعه فى الضلال بالريح التى تهوى بما عصفت به فى بعض المهاوى المتلفة .

(٤) أى الأمر (ذلك) .

(٥) تعظيم الشعائر — وهى الهدايا لأنّها من معالم الحجّ — أن يختارها عظام الأجرام حسانا سمانا غالية الأثمان .

(٦) أى فإنّ تعظيمها من أفعال ذوى تقوى القلوب . فحذفت هذه المضافات. وإنّما ذكرت القلوب لأنّها مراكز التقوى .

(٧) من الركوب عند الحاجة وشرب ألبانها عند الضرورة .

(٨) إلى أن تنحر .

ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ (١) ۝ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ (٢) فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ (٣) وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ (٤) وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ (٥) ۝

(١) أى وقت وجوب نحرها منتهية (إلى البيت العتيق). والمراد نحرها فى الحرم الذى هو فى حكم البيت. إذ الحرم حريم البيت. ومثله فى الاتساع قولك: بلغت البلد وإنما اتصل مسيرك بحدوده.

وقيل الشعائر المناسك كلها. وتعظيمها إتمامها. و (محلها إلى البيت العتيق) يأباه.

(٢) (ولكل أمة) جماعة مؤمنة قبلكم (جعلنا منسكا) — حيث كان بكسر السين بمعنى الموضع على وحمزة أى موضع قربان. وغيرهما بالفتح على المصدر أى إراقة الدماء وذبح القرابين — و (ليذكروا اسم الله) دون غيره (على مارزقهم من بهيمة الأنعام) أى عند نحرها وذبحها (فإلهكم إله واحد) أى اذكروا على الذبح اسم الله وحده فإن إلهكم إله واحد. وفيه دليل على أن ذكر اسم الله شرط الذبح. يعنى أن الله تعالى شرع لكل أمة أن ينسكوا له أى يذبحوا له على وجه التقرب، وجعل العلة فى ذلك أن يذكر اسمه — تقدست أسماؤه — على النسائك.

(٣) أى أخلصوا له الذكر خاصة واجعلوه له سالما أى خالصا لا تشوبوه بإشراك.

(٤) (المخبتين) المطمئنين بذكر الله أو المتواضعين الخاشعين. من الخبت وهو المطمئن من الأرض. وعن ابن عباس رضى الله عنهما الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا. وقيل تفسيره ما بعده أى (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) خافت منه هيبة (والصابرين على ما أصابهم) من المحن والمصائب.

(٥) (والمقيمى الصلاة) فى أوقاتها (ومما رزقناهم ينفقون) يتصدقون.

وَٱلْبُدْنَ[١] جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ[٢] لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ[٣] فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا[٤] صَوَآفَّ[٥] فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا[٦] وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ[٧] كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ[٨] لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ[٩] ﴿٣٦﴾

---

(١) جمع بدنة . سمّيت لعظم بدنهـا . وفى الشريعة يتناول الإبل والبقر . وقرئ برفعها وهو كقوله (والقمر قدّرناه) .

(٢) أى من أعلام الشريعة التى شرعها الله . وإضافتها إلى اسمه تعظيم لها . و(من شعائر الله) ثانى مفعولى (جعلنا) .

(٣) النفع فى الدنيا والأجر فى العقبى .

(٤) عند نحرها .

(٥) حال من الهاء أى قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن .

(٦) وجوب الجنوب وقوعها على الأرض من وجب الحائط وجبة إذا سقط . أى إذا سقطت جنوبها على الأرض بعد نحرها وسكنت حركتها (فكلوا منها) إن شئتم .

(٧) (وأطعموا القانع) السائل من قنعت إليـه — إذا خضعت له وسألته — قنوعا (والمعترّ) الذى يريك نفسه ويتعرّض ولا يسأل. وقيل القانع الراضى بما عنده وبما يعطى من غير سؤال من قنعت قنعا وقناعة والمعترّ المتعرّض للسؤال .

(٨) أى كما أمرناكم بنحرها (سخّرناها لكم) . أو هو كقوله (ذلك ومن يعظّم) . ثمّ استأنف فقال (سخّرناها لكم) . أى ذلّلناها لكم مع قوتها وعظم أجرامها لتتمكّنوا من نحرها .

(٩) لكى تشكروا إنعام الله عليكم .

لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ (١) كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا (٢) لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ (٣) عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ (٤) وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ (٥) ﴿٣٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ (٦) عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ (٧) ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ (٨)

(١) أى لن يتقبّل الله اللحوم والدماء ولكن يتقبّل التقوى. أو لن يصيب رضا الله اللحوم المتصدّق بهـا ولا الدماء المراقة بالنحر. والمراد أصحـاب اللحوم والدماء. والمعنى لن يرضى المضحّون والمقرّبون ربّهـم إلّا بمراعاة النيّة والإخلاص ورعاية شروط التقوى. وقيل كان أهل الجاهليّة إذا نحروا الإبل نضحوا الدماء حول البيت ولطّخوه بالدم. فلمّـا حجّ المسلمون أرادوا مثل ذلك، فنزلت.

(٢) أى البدن.

(٣) لتسمّوا الله عند الذبح أو لتعظّموا الله.

(٤) على ما أرشدكم إليه.

(٥) (وبشّر المحسنين) الممتثلين أوامره بالثواب.

(٦) (يَدفع) مكّىّ وبصرىّ. وغيرهما (يدافع) أى يبالغ فى الدفع عنهم.

(٧) أى يدفع غائلة المشركين عن المؤمنين. ونحوه (إنّا لننصر رسلنا والذين آمنوا). ثمّ علّل ذلك بقوله (إنّ الله لا يحبّ كلّ خوّان) فى أمانة الله (كفور) لنعمة الله، أى لأنّه لا يحبّ أضـدادهم وهم الخونة الكفرة الذين يخونون الله والرسول ويخونون أماناتهم ويكفرون بنعم الله ويغمطونها.

(٨) (أُذِنَ) مدنىّ وبصرىّ وعاصم (للذين يقاتلون) بفتح التاء مدنىّ وشامىّ وحفص. والمعنى (أذن) لهم فى القتال ــ فحذف المـأذون فيه لدلالة (يقاتلون) عليه ــ (بأنّهم ظلموا)

وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ (١) لَقَدِيرٌ (٢) ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ (٣) أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم (٤) بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ (٥) وَلَوْلَا دَفْعُ (٦) ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ (٧) صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ (٨) يُذْكَرُ فِيهَا (٩) ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا

بسبب كونهم مظلومين . وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . كان مشركو مكة يؤذونهم أذى شديدا وكانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين مضروب ومشجوج يتظلمون إليه فيقول لهم اصبروا فإنى لم أومر بالقتال حتى هاجر . فأنزلت هذه الآية وهى أول آية أذن فيها بالقتال بعد ما نهى عنه فى نيف وسبعين آية .

(١) على نصر المؤمنين .

(٢) قادر . وهو بشارة للمؤمنين بالنصرة . وهو مثل قوله (إن الله يدافع عن الذين آمنوا) .

(٣) فى محل جر بدل من (للذين) . أو نصب بأعنى . أو رفع بإضمار هم .

(٤) (من ديارهم) بمكة .

(٥) أى بغير موجب سوى التوحيد الذى ينبغى أن يكون موجب التمكين لا موجب الإخراج . ومثله (هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله) . ومحل (أن يقولوا) جر بدلا من(حق) والمعنى ما أخرجوا من ديارهم إلا بسبب قولهم .

(٦) (دفاع) مدنى ويعقوب .

(٧) وبالتخفيف حجازى .

(٨) أى لولا إظهاره وتسليطه المسلمين على الكافرين بالمجاهدة لاستولى المشركون على أهل الملل المختلفة فى أزمنتهم وعلى متعبداتهم فهدموها ولم يتركوا للنصارى بيعا ولا لرهبانهم صوامع ولا لليهود صلوات — أى كنائس . وسميت الكنيسة صلاة لأنها يصلى فيها — ولا للمسلمين مساجد . أو لغلب المشركون فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم على المسلمين وعلى أهل الكتاب الذين فى ذمتهم وهدموا متعبدات الفريقين . وقدم غير المساجد عليها لتقدمها وجودا أو لقربها من التهديم .

(٩) فى المساجد أو فى جميع ما تقدم .

وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ(١) إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ(٢) ۝ ٱلَّذِينَ(٣) إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ(٤) وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ(٥) ۝ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ۝ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ۝ وَأَصْحَـٰبُ مَدْيَنَ(٦)

---

(١) أى ينصر دينه وأولياءه .

(٢) (إنّ الله لقوىّ) على نصر أوليائه (عزيز) على انتقام أعدائه .

(٣) محلّه نصب بدل مِن (مَن ينصره) . أو جرّ تابع للذين أخرجوا .

(٤) هو إخبار من الله عمّا ستكون عليه سيرة المهاجرين إن مكّنهم فى الأرض وبسط لهم فى الدنيا وكيف يقومون بأمر الدين . وفيه دليل صحّة أمر الخلفاء الراشدين لأنّ الله عزّ وجلّ أعطاهم التمكين ونفاذ الأمر مع السيرة العادلة . وعن الحسن : هم أمّة محمد صلّى الله عليه وسلّم .

(٥) أى مرجعها إلى حكمه وتقديره . وفيه تأكيد لما وعده من إظهار أوليائه وإعلاء كلمته .

(٦) هذه تسلية لمحمّد صلّى الله عليه وسلّم من تكذيب أهل مكّة إيّاه. أى لست بأوحدىّ فى التكذيب . (فقد كذّبت قبلهم) قبل قومك (قوم نوح) نوحا (وعاد) هودا (وثمود) صالحا (وقوم إبراهيم) إبراهيم (وقوم لوط) لوطا (وأصحاب مدين) شعيبا .

وَكُذِّبَ مُوسَىٰ[١] فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ[٢] ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ[٣] فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ[٤] ﴿٤٤﴾
فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا[٥] وَهِيَ ظَالِمَةٌ[٦] فَهِيَ خَاوِيَةٌ[٧] عَلَىٰ عُرُوشِهَا[٨] وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ[٩]

---

(١) كذّبه فرعون والقبط . ولم يقل وقوم موسى لأنّ موسى ما كذّبه قومه بنو إسرائيل وإنّما كذّبه غير قومه . أو كأنّه قيل بعد ما ذكر تكذيب كلّ قوم رسولهم (وكذّب موسى) أيضا مع وضوح آياته وظهور معجزاته . فما ظنّك بغيره . ؟

(٢) أمهلتهم وأخّرت عقوبتهم .

(٣) عاقبتهم على كفرهم .

(٤) إنكارى وتغييرى حيث أبدلتهم بالنعم نقما ، وبالحياة هلاكا ، وبالعمارة خرابا . (نكيرى) بالياء فى الوصل والوقف يعقوب .

(٥) (أهلكتها) بصرىّ .

(٦) حال . أى وأهلها مشركون .

(٧) ساقطة . من خوى النجم إذا سقط . ولا محلّ لـ (فهى خاوية) من الإعراب لأنّها معطوفة على (أهلكناها) وهذا الفعل ليس له محلّ . وهذا إذا جعلنا (كأين) منصوب المحلّ على تقدير كثيرا من القرى أهلكناها .

(٨) يتعلّق بخاوية . والمعنى أنّها ساقطة على سقوفها . أى خرّت سقوفها على الأرض ثمّ تهدّمت حيطانها فسقطت فوق السقوف .

(٩) أى متروكة لفقد دلوها ورشائها وفقد تفقّدها . أو هى عامرة فيها الماء ومعها آلات الاستقاء إلّا أنّها عطّلت أى تركت لا يستقى منها لهلاك أهلها .

وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ [(١)] ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ [(٢)] فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا [(٣)] فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ [(٤)] ﴿٤٦﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ [(٥)] وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ [(٦)] ﴿٤٧﴾

---

(١) مجصّص من الشيد الجصّ. أو مرفوع البنيان من شاد البناء رفعه . والمعنى كم قرية أهلكناها وكم بئر عطّلناها عن سقاتهـا وقصر مشيد أخليناه عن ساكنيه ، أى أهلكنا البادية والحاضرة جميعا فخلت القصـور عن أربابها والآبار عن واردها . والأظهر أن البئر والقصر على العموم .

(٢) هـذا حثّ على السفر ليروا مصارع من أهلكهم الله بكفرهم ويشـاهدوا آثارهم فيعتبروا .

(٣) أى يعقلون ما يجب أن يعقل من التوحيد ونحوه ويسمعون ما يجب سمـاعه من الوحى .

(٤) الضمير فى (فإنّها) ضمير القصّة أو ضمير مبهم يفسّره (الأبصار). أى فما عميت أبصارهم عن الإبصار ، بل قلوبهم عن الاعتبار . ولكل إنسان أربع أعين : عينان فى رأسه وعينان فى قلبه . فإذا أبصر ما فى القلب وعمى ما فى الرأس لم يضرّه . وإن أبصر مافى الرأس وعمى ما فى القلب لم ينفعه . وذكر الصدور لبيان أنّ محلّ العلم القلب ولئلا يقال إنّ القلب يعنى به غير هذا العضو كما يقال : القلب لبّ كلّ شىء .

(٥) (ويستعجلونك بالعذاب) الآجل استهزاء . (ولن يخلف الله وعده) . كأنّه قال ولم يستعجلونك به؟ كأنّهم يجوّزون الفوت. وإنّمـا يجوز ذلك على ميعاد من يجوز عليه الخلف (ولن يخلف الله وعده) وما وعده ليصيبنّهم ولو بعد حين .

(٦) (يعدّون) مكّىّ وكوفىّ غير عاصم . أى كيف يستعجلون بعذاب مَن يومٌ واحد من أيّام عذابه فى طول ألف سنة من سنيكم لأنّ أيّام الشدائد طوال .

وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ[1] ثُمَّ أَخَذْتُهَا[2] وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ[3] ﴿٤٨﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ[4] ﴿٥٠﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا[5] فِي آيَاتِنَا[6] مُعَاجِزِينَ[7] أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ[8] ﴿٥١﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن[9] قَبْلِكَ مِن[10] رَّسُولٍ

(١) أى وكم من أهل قرية كانوا مثلكم ظالمين قد أنظرتهم حينا . وإنّما كانت الأولى أى (فكأيّن معطوفة) بالفاء وهذه أى (وكأيّن) بالواو لأنّ الأولى وقعت بدلا عن (فكيف كان نكير) . وأمّا هذه فحكمها حكم ما تقدّمها من الجملتين المعطوفتين بالواو وهما (ولن يخلف الله وعده) (وإنّ يوما عند ربّك) .

(٢) (ثمّ أخذتها) بالعذاب .

(٣) أى المرجع إلىّ فلا يفوتنى شيء .

(٤) وإنّما لم يقل بشير ونذير لذكر الفريقين بعده لأنّ الحديث مسوق إلى المشركين و (يأيها الناس) نداء لهم وهم الذين قيل فيهم (افلم يسيروا) ووصفوا بالاستعجال. وإنّما أقحم المؤمنون وثوابهم ليغاظوا. أو تقديره (نذير مبين) وبشير. فبشّر أوّلا فقال (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة) لذنوبهم (ورزق كريم) أى حسن . ثمّ أنذر فقال (والذين سعوا) .

(٥) سعى فى أمر فلان إذا أفسده بسعيه .

(٦) أى القرآن .

(٧) حال. (معجزين) حيث كان مكّىّ وأبو عمرو . وعاجزه سابقه كأنّ كلّ واحد منهما فى طلب إعجاز الآخر عن اللحاق به . فإذا سبقه قيل أعجزه وعجزه . والمعنى سعوا فى معناها بالفساد من الطعن فيها حيث سمّوها سحرا وشعرا وأساطير ، مسابقين فى زعمهم وتقديرهم طامعين أنّ كيدهم للإسلام يتمّ لهم .

(٨) أى النار الموقدة .

(٩) (من) لابتداء الغاية .

(١٠) (من) زائدة لتأكيد النفى .

وَلَا نَبِيٍّ(١) إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ(٢) أَلْقَى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ(٣) فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ(٤)

(١) هـذا دليل بيّن على ثبوت التغاير بين الرسول والنبيّ بخلاف ما يقول البعض إنهما واحد . وسئل النبيّ صلّى الله عليه وسلّم عن الأنبياء فقال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا ، فقيل فكم الرسل منهم ؟ فقال ثلثمائة وثلاثة عشر . والفرق بينهما أنّ الرسول من جمع إلى المعجزة الكتاب المنزل عليه . والنبيّ من لم ينزل عليه كتاب وإنّما أمر أن يدعو إلى شريعة من قبله . وقيل الرسول واضع شرع والنبيّ حافظ شرع غيره .

(٢) قرأ . قال :

تمنّى كتاب الله أوّل ليله ❊ تمنّى داودَ الزبورَ على رِسْلِ

(٣) تلاوته. قالوا إنّه عليه السلام كان فى نادى قومه يقرأ (والنجم) فلمّا بلغ قوله (ومناة الثالثة الأخرى) جرى على لسانه تلك الغرانيـق العلى وإنّ شفاعتهنّ لترتجى. ولم يفطن له حتّى أدركته العصمة فتنبّه عليه. وقيل نبّهه جبريل عليه السلام فأخبرهم أنّ ذلك كان من الشيطان. وهذا القول غير مرضيّ. لأنّه لا يخلو إمّا أن يتكلّم النبيّ عليه السلام بها عمدا. وإنّه لا يجوز. لأنّه كفر ولأنّه بعث طاعنا للأصنام لا مادحا لها . أو أجرى الشيطان ذلك على لسان النبيّ عليه السلام جبرا بحيث لايقدر على الامتناع منه. وهو ممتنع، لأنّ الشيطان لا يقدر على ذلك فى حقّ غيره لقوله تعالى (إنّ عبادى ليس لك عليهم سلطان) ففى حقّه أولى . أو جرى ذلك على لسانه سهوا وغفلة . وهو مردود أيضا لأنّه لا يجوز مثل هذه الغفلة عليه فى حال تبليغ الوحى. ولو جاز ذلك لبطل الاعتماد على قوله . ولأنّه تعالى قال فى صفة المنزل عليه (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه)، وقال (إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون) . فلمّا بطلت هذه الوجوه لم يبق إلّا وجه واحد وهو أنّه عليه السلام سكت عند قوله (ومناة الثالثة الأخرى) فتكلّم الشيطان بهذه الكلمات متّصلا بقراءة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم . فوقع عند بعضهم أنّه عليه السلام هو الذى تكلم بها. فيكون هذا إلقاء فى قراءة النبيّ عليه السلام. وكان الشيطان يتكلّم فى زمن النبيّ عليه السـلام ويسمع كلامه . فقد روى أنّه نادى يوم أحد : ألا إنّ محمدا قد قتل . وقال يوم بدر (لا غالب لكم اليوم من الناس وإنّى جار لكم) .

(٤) أى يذهب به ويبطله ويخبر أنّه من الشيطان .

ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ [1] وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ [2] وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ [3] لَفِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ [4] ۝ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ [5] أَنَّهُ [6] ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ [7] فَتُخْبِتَ [8] لَهُۥ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ [9] ۝

---

(١) أى يثبتها ويحفظها من لحوق الزيادة من الشيطان .

(٢) (والله عليم) بما أوحى إلى نبيه وبقصد الشيطان (حكيم) لا يدعه حتّى يكشفه ويزيله . ثمّ ذكر أنّ ذلك ليفتن الله تعالى به قوما بقوله (ليجعل ما يلق الشيطان فتنة) محنة وابتلاء (للذين فى قلوبهم مرض) شكّ ونفاق (والقاسية قلوبهم) هم المشركون المكذّبون فيزدادوا به شكّا وظلمة .

(٣) أى المنافقين والمشركين . وأصله وإنّهم . فوضع الظاهر موضع الضمير قضاء عليهم بالظلم .

(٤) خلاف (بعيد) عن الحقّ .

(٥) (أوتوا العلم) بالله وبدينه وبالآيات .

(٦) أى القرآن .

(٧) بالقرآن .

(٨) فتطمئنّ .

(٩) فيتأوّلون ما يتشابه فى الدين بالتأويلات الصحيحة ويطلبون لما أشكل منه المحمل الذى تقتضيه الأصول المحكمة حتّى لا تلحقهم حيرة ولا تعتريهم شبهة .

وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرْيَةٍ (١) مِّنْهُ (٢) حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً (٣) أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ (٤) ۝ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ (٥) يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوْ مَاتُواْ (٦) لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ (٧) ۝

---

(١) شكّ .

(٢) من القرآن أو من الصراط المستقيم .

(٣) فجأة .

(٤) يعنى يوم بدر . فهو عقيم عن أن يكون للكافرين فيه فرج أو راحة كالريح العقيم لا تأتى بخير . أو شديد لا رحمة فيه . أو لا مثل له فى عظم أمره لقتال الملائكة فيه . وعن الضحّاك أنّه يوم القيامة وأنّ المراد بالساعة مقدّماته .

(٥) (الملك يومئذ) أى يوم القيامة — والتنوين عوض عن الجملة . أى يوم يؤمنون أو يوم تزول مريتهم — (لله) فلا منازع له فيه .

(٦) (يحكم بينهم) أى يقضى . ثمّ بيّن حكمه فيهم بقوله (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات فى جنّات النعيم . والذين كفروا وكذّبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين). ثمّ خصّ قوما من الفريق الأوّل بفضيلة فقال (والذين هاجروا فى سبيل الله) خرجوا من أوطانهم مجاهدين (ثمّ قتلوا) فى الجهاد — (قتّلوا) شامى — (أو ماتوا) حتف أنفهم (ليرزقنّهم الله رزقا حسنا) قيل الرزق الحسن الذى لا ينقطع أبدا .

(٧) لأنه المخترع للخلق بلا مثال ، المتكفّل للرزق بلا ملال .

لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا[1] يَرْضَوْنَهُۥ[2] وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ[3] ۝ ذَٰلِكَ[4] وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ[5] ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ[6] إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ[7] ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ[8] ۝

(١) بفتح الميم مدنيّ . والمراد الجنة .

(٢) لأنّ فيها ما تشتهى الأنفس وتلذّ الأعين .

(٣) (وإنّ الله لعليم) بأحوال من قضى نحبه مجاهدا ، وآمال من مات وهو ينتظر معاهدا ، (حليم) بإمهال من قاتلهم معاندا . روى أنّ طوائف من أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قالوا يا نبيّ الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما أعطاهم الله من الخير . ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا إن متنا معك ؟ فأنزل الله هاتين الآيتين .

(٤) أى الأمر (ذلك) . وما بعده مستأنف .

(٥) سمّى الابتداء بالجزاء عقوبة لملابسته له من حيث إنّه سبب وذلك مسبّب عنه .

(٦) أى من جازى بمثل ما فعل به من الظلم ثمّ ظُلم بعد ذلك فحقّ على الله أن ينصره .

(٧) (إنّ الله لعفوّ) يمحو آثار الذنوب (غفور) يستر أنواع العيوب . وتقريب الوصفين بسياق الآية أنّ المعاقب مبعوث من عند الله على العفو وترك العقوبة بقوله (فمن عفا وأصلح فأجره على الله) (وأن تعفوا أقرب للتقوى) . فحيث لم يؤثر ذلك وانتصر فهو تارك للأفضل وهو ضامن لنصره فى الكرّة الثانية إذا ترك العفو وانتقم من الباغى . وعرّض مع ذلك بما كان أولى به من العفو بذكر هاتين الصفتين . أو دلّ بذكر العفو والمغفرة على أنّه قادر على العقوبة ، إذ لا يوصف بالعفو إلّا القادر على ضدّه كما قيل العفو عند القدرة .

(٨) أى ذلك النصر للمظلوم بسبب أنّه قادر على ما يشاء . ومن آيات قدرته أنّه (يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل) — أى يزيد من هذا فى ذلك ومن ذلك فى هذا ، أو بسبب أنّه خالق الليل والنهار ومصرّفهما فلا يخفى عليه ما يجرى فيهما على أيدى عباده من الخير والشرّ والبغى والإنصاف — وأنّه (سميع) لما يقولون ولا يشغله سمع عن سمع وإن اختلفت فى النهار الأصوات بفنون اللغات (بصير) بما يفعلون ولا يستتر عنه شىء بشىء فى الليالى وإن توالت الظلمات .

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ(١) مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ(٢) ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً(٣) فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً(٤) إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ(٥) خَبِيرٌ(٦) ۝ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ(٧) وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ(٨) ٱلْحَمِيدُ(٩) ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ(١٠)

---

(١) عراقى غير أبى بكر .

(٢) أى ذلك الوصف بخلقه الليل والنهار وإحاطته بما يجرى فيهما وإدراكه قولهم وفعلهم بسبب أنّ الله الحقّ الثابت إلهيّته، وأنّ كلّ ما يدعى إلها دونه باطل الدعوة وأنّه لاشىء أعلى منه شأنا وأكبر سلطانا .

(٣) مطرا .

(٤) (مخضرّة) بالنبات بعد ما كانت مسودّة يابسة . وإنّما صرف إلى لفظ المضارع ولم يقل فأصبحت ليفيد بقاء أثر المطر زمانا بعد زمان كما تقول أنعم علىّ فلان فأروح وأغدو شاكرا له . ولو قلت فرحت وغدوت لم يقع ذلك الموقع . وإنّما رفع (فتصبح) ولم ينصب جوابا للاستفهام لأنّه لو نصب لبطل الغرض . وهذا لأنّ معناه إثبات الاخضرار فينقلب بالنصب الى نفى الاخضرار . كما تقول لصاحبك ألم تر أنّى أنعمت عليك فتشكر . إن نصبته نفيت شكره وشكوت من تفريطه فيه وإن رفعته أثبتّ شكره .

(٥) واصل علمه أو فضله إلى كلّ شىء .

(٦) (خبير) بمصالح الخلق ومنافعهم . أو اللطيف المختصّ بدقيق التدبير، والخبير المحيط بكلّ قليل وكثير .

(٧) (له ما فى السموات وما فى الأرض) مُلكا ومِلكا .

(٨) المستغنى بكمال قدرته بعد فناء ما فى السموات وما فى الأرض .

(٩) المحمود بنعمته قبل فناء من فى السموات ومن فى الأرض .

(١٠) (ألم تر أنّ الله سخّر لكم ما فى الأرض) من البهائم مذلّلة للركوب فى البرّ .

وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ(١) وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ(٢) عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ(٣) إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ(٤) ۝ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ(٥) إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ(٦) ۝ لِّكُلِّ أُمَّةٍ(٧) جَعَلْنَا مَنسَكًا(٨) هُمْ نَاسِكُوهُ(٩)

---

(١) أى ومن المراكب جارية فى البحر . ونصب الفلك عطفا على (ما) و (تجرى) حال لها أى وسخر لكم الفلك فى حال جريها .

(٢) أى يحفظها من (أن تقع) .

(٣) بأمره أو بمشيئته .

(٤) (لرءوف) بتسخير ما فى الأرض (رحيم) بإمساك السماء لئلا تقع على الأرض .

عدّد آلاءه مقرونة بأسمائه ، ليشكروه على آلائه ، ويذكروه بأسمائه . وعن أبى حنيفة رحمه الله أنّ اسم الله الأعظم فى الآيات الثمانية يستجاب لقارئها ألبتة .

(٥) (وهو الذى أحياكم) فى أرحام أمّهاتكم (ثمّ يميتكم) عند انقضاء آجالكم (ثمّ يحييكم) لإيصال جزائكم .

(٦) لجحود لما أفاض عليه من ضروب النعم، ودفع عنه من صنوف النقم . أو لا يعرف نعمة الإنشاء المبدئ للوجود ، ولا الإفناء المقرّب إلى الموعود ، ولا الإحياء الموصّل إلى المقصود .

(٧) أهل دين . ولم يذكر الواو فى (لكلّ أمّة) بخلاف ما تقدّم لأنّ تلك وقعت مع ما يناسبها من الآى الواردة فى أمر النسائك فعطفت على أخواتها . وهذه وقعت مع أباعد عن معناها فلم تجد معطفا .

(٨) مرّ بيانه . وهو ردّ لقول من يقول إنّ الذبح ليس بشريعة الله إذ هو شريعة كلّ أمّة .

(٩) عاملون به .

فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ[1] وَٱدْعُ[2] إِلَىٰ رَبِّكَ[3] إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ[4] ۝ وَإِن جَٰدَلُوكَ[5] فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ[6] ۝ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ[7] ۝ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ[8] إِنَّ ذَٰلِكَ[9] فِى كِتَٰبٍ[10] إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ[11] ۝

---

(١) (فلا ينازعنّك) فلا يجادلنّك . والمعنى فلا تلتفت إلى قولهم ولا تمكّنهم من أن ينازعوك (فى الأمر) أمر الذبائح أو الدين . نزلت حين قال المشركون للسلمين : ما لكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله ؟ يعنى الميتة .

(٢) (وادع) الناس .

(٣) إلى عبادة ربّك .

(٤) طريق قويم .

(٥) (وإن جادلوك) مراء وتعنتا كما يفعله السفهاء بعد اجتهادك ألّا يكون بينك و بينهم تنازع وجدال .

(٦) أى فلا تجادلهم وادفعهم بهذا القول . والمعنى أنّ الله أعلم بأعمالكم وما تستحقون عليها من الجزاء فهو مجازيكم به . وهذا وعيد و إنذار ولكن برفق ولين ، وتأديب يجاب به كلّ متعنّت .

(٧) هـذا خطاب من الله للمؤمنين والكافرين ، أى يفصل بينكم بالثواب والعقاب ؛ ومسلاة لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم مما كان يلقى منهم .

(٨) أى كيف يخفى عليه ما تعملون ومعلوم عند العلماء بالله أنّه يعلم كلّ ما يحدث فى السموات والأرض .

(٩) الموجود فيهما .

(١٠) فى اللوح المحفوظ .

(١١) أى علمه بجميع ذلك عليه يسير .

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا[1] وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ[2] وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ[3] ۝ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا[4] بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ[5] يَكَادُونَ يَسْطُونَ[6] بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا[7] قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ[8] ٱلنَّارُ[9] وَعَدَهَا[10] ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ[11] ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ[12] فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ[13] إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ[14]

---

(١) أشار إلى جهالة الكفار لعبادتهم غير المستحق لها بقوله (ويعبدون من دون الله ما لم ينزّل به سلطانا) حجة وبرهانا . (ينْزل) مكّىّ وبصرىّ .

(٢) أى لم يتمسّكوا فى عبادتهم لها ببرهان سماوىّ من جهة الوحى ولا حملهم عليها دليل عقلىّ .

(٣) وما للّذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من أحد ينصرهم ويصوّب مذهبهم .

(٤) يعنى القرآن .

(٥) الإنكار بالعبوس والكراهة . والمنكر مصدر .

(٦) يبطشون . والسطو الوثب والبطش .

(٧) هم النبىّ صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه .

(٨) من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم، أو ممّا أصابكم من الكراهة والضجر بسبب ما تلى عليكم .

(٩) خبر مبتدأ محذوف كأن قائلا قال : ما هو ؟ فقيل (النار) أى هو النار .

(١٠) استئناف كلام .

(١١) النار .

(١٢) لمّا كانت دعواهم بأن لله تعالى شريكا جارية فى الغرابة والشهرة مجرى الأمثال المسيرة قال الله تعالى (يأيّها الناس ضرب مثل) بيّن .

(١٣) لضرب هذا المثل .

(١٤) (يدعون) سهل ويعقوب .

مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا(١) وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ(٢) وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا(٣) لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ(٤) ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ(٥) ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ(٦) إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ(٧) ﴿٧٤﴾ ٱللَّهُ يَصْطَفِى(٨) مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا(٩)

(١) آلهة باطلة (لن يخلقوا ذبابا) . (لن) لتأكيد نفى المستقبل . وتأكيده هنا للدلالة على أنّ خلق الذباب منهم مستحيل كأنّه قال محال أن يخلقوا . وتخصيص الذباب لمهانته وضعفه واستقذاره . وسمّى ذبابا لأنه كلما ذُبّ لاستقذاره ، آب لاستكباره .

(٢) لخلق الذباب . ومحلّه النصب على الحال كأنّه قيل مستحيل منهم أن يخلقوا الذباب مشروطا عليهم اجتماعهم جميعا لخلقه وتعاونهم عليه . وهذا من أبلغ ما أنزل فى تجهيل قريش حيث وصفوا بالإلهيّة — التى تقتضى الاقتدار على المقدورات كلّها والإحاطة بالمعلومات عن آخرها — صورا وتماثيل يستحيل منها أن تقدر على أقلّ ما خلقه الله تعالى وأذلّه (ولو اجتمعوا) لذلك .

(٣) (شيئا) ثانى مفعولَى (يسلبهم) .

(٤) أى هذا الخلق الأقلّ الأذلّ لو اختطف منهم شيئا فاجتمعوا على أن يستخصلوه منه لم يقدروا . عن ابن عباس رضى الله عنهما أنّهم كانوا يطلونها بالزعفران ورءوسها بالعسل فإذا سلبه الذباب عجز الأصنام عن أخذه .

(٥) (ضعف الطالب) أى الصنم يطلب ما سُلب منه (والمطلوب) الذباب بما سلب . وهذا كالتسوية بينهم وبين الذباب فى الضعف . ولو حقّقت وجدت الطالب أضعف وأضعف فإن الذباب حيوان وهو جماد وهو غالب وذاك مغلوب .

(٦) ما عرفوه حقّ معرفته حيث جعلوا هذا الصنم الضعيف شريكا له .

(٧) أى إنّ الله قادر وغالب . فكيف يتخذ العاجز المغلوب شبيها به . أو (لقوىّ) بنصر أوليائه ، (عزيز) ينتقم من أعدائه .

(٨) يختار .

(٩) كجبريل وميكائيل و إسرافيل وغيرهم .

وَمِنَ ٱلنَّاسِ[1] إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ[2] ۝ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ[3] وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ[4] ۝ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟[5] وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ[6] وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ[7] لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ[8] ۝ وَجَـٰهِدُوا۟[9]

---

(١) (ومن الناس) رسلا كإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وغيرهم عليهم السلام . هذا ردّ لمـا أنكروه من أن يكون الرسول من البشر وبيان أنّ رسل الله على ضربين : مَلَك وبشر. وقيل نزلت حين قالوا (أأنزل عليه الذكر من بيننا) .

(٢) (إنّ الله سميع) لقولهم (بصير) بمن يختاره لرسالته . أو (سميع) لأقوال الرسل فيما تقبله العقول (بصير) بأحوال الأمم فى الردّ والقبول .

(٣) (يعلم ما بين أيديهم) ما مضى (وما خلفهم) ما لم يأت . أو ما عملوه وما سيعملونه . أو أمر الدنيا وأمر الآخرة .

(٤) أى إليه مرجع الأمور كلّها . (تَرجع) شامىّ وحمزة وعلىّ .
والذى هو بهذه الصفات (لا يسأل عما يفعل) . وليس لأحد أن يعترض عليه فى حكمه وتدابيره واختيار رسله .

(٥) (اركعوا واسجدوا) فى صلاتكم . وكان أوّل ما أسلموا يصلّون بلا ركوع وسجود فأمروا أن تكون صلاتهم بركوع وسجود . وفيه دليل على أنّ الأعمال ليست من الإيمـان وأنّ هذه السجدة للصلاة لا للتلاوة .

(٦) واقصدوا بركوعكم وسجودكم وجه الله لا الصنم .

(٧) قيل لمـا كان للذكر مزيّة على غيره من الطاعات دعا المؤمنين أوّلا إلى الصلاة التى هى ذكر خالص لقوله تعالى (وأقم الصلاة لذكرى) ثمّ إلى العبادة بغير الصلاة كالصوم والحجّ وغيرهما ثمّ عمّ بالحثّ على سائر الخيرات . وقيل أريد به صلة الأرحام ومكارم الأخلاق .

(٨) أى كى تفوزوا . أو افعلوا هـذا كلّه وأنتم راجون للفلاح غير مستيقنين ولا تتّكلوا على أعمالكم .

(٩) أمر بالغزو أو مجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الأكبر . أو هو كلمة حقّ عنـد أمير جائر .

فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ(١) هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ(٢) وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ(٣) حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ(٤) إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ(٥) ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا(٦) لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ(٧) وَتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ(٨)

(١) أى فى ذات الله ومن أجله .

(٢) وهو ألّا يخاف فى الله لومة لائم . يقال هو حقّ عالم وجدّ عالم أى عالم حقًّا وجدًّا ، ومنه (حقّ جهاده) وكان القياس حقّ الجهاد فيــه أو حقّ جهادكم فيه لكن الإضافة تكون بأدنى ملابسة واختصاص. فلمّا كان الجهاد مختصًّا بالله من حيث إنّه مفعول لوجهه ومن أجله صحّت إضافته إليه . ويجوز أن يتّسع فى الظرف كقوله * ويوم شهدناه سليما وعامرا *

(٣) اختاركم لدينه ونصرته .

(٤) (وما جعل عليكم فى الدين من) ضيق . بل رخّص لكم فى جميع ما كلّفكم من الطهارة والصلاة والصوم والحجّ بالتيمم وبالإيمـاء وبالقصر والإفطار لعذر السفر والمرض وعدم الزاد والراحلة .

(٥) أى اتّبعوا (ملّة أبيكم) . أو نصب على الاختصاص أى أعنى بالدين ملّة أبيكم. وسمّاه أبا وإن لم يكن أبا للأمّة كلّها لأنّه أبو رسول الله صـلّى الله عليه وسلّم فكان أبا لأمّته ، لأنّ أمّة الرسول فى حكم أولاده . قال عليه السلام " إنّمـا أنا لكم مثل الوالد " .

(٦) (هو) أى الله بدليل قراءة أبىّ (الله سمّاكم المسلمين من قبل) فى الكتب المتقدّمة (وفى هذا) أى فى القرآن . أى فضّلكم على سائر الأمم وسمّاكم بهذا الاسم الأكرم .

(٧) (شهيدا عليكم) أنّه قد بلّغكم رسالة ربّكم .

(٨) بتبليغ الرسل رسالات الله إليهم .

فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ (١) وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ (٢) هُوَ مَوْلَىٰكُمْ (٣) فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ (٤) ﴿٧٨﴾

---

(١) وإذ خصكم بهذه الكرامة والأثرة (فأقيموا الصلاة) بواجباتها (وآتوا الزكاة) بشرائطها .

(٢) وثقوا بالله وتوكلوا عليه لا بالصلاة والزكاة .

(٣) أى مالككم وناصركم ومتولى أموركم .

(٤) (فنعم المولى) حيث لم يمنعكم رزقكم بعصيانكم (ونعم النصير) أى الناصر هو حيث أعانكم على طاعتكم وقد أفلح من هو مولاه وناصره . والله الموفق للصواب .

ســـورة المؤمنون مكّية

وهى مائة وثمـان عشرة آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ (١) ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ (٢) ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ (٤) ﴿٤﴾

(١) (قد) نقيضة لمـا ،هى تثبت المتوقّع ولمّـا تنفيه . وكان المؤمنون يتوقّعون مثل هذه البشارة . وهى الإخبار بثبات الفلاح لهم . فخوطبوا بمـا دلّ على ثبات ما توقّعوه . والفلاح الظفر بالمطلوب والنجاة من المرهوب . أى فازوا بمـا طلبوا ونجوا ممّـا هربوا . والإيمـان فى اللغة التصديق . والمؤمن المصدّق لغة . وفى الشرع كلّ من نطق بالشهادتين مواطئا قلبُه لسانه فهو مؤمن . قال عليه السلام "خلق الله الجنّة فقال لها تكلّمى فقالت (قد أفلح المؤمنون) ثلاثا أنا حرام على كلّ بخيل مراء" لأنّه بالرياء أبطل العبادات البدنيّة وليس له عبادة ماليّة .

(٢) خائفون بالقلب ساكنون بالجوارح . وقيل الخشوع فى الصـلاة جمع الهمّة لهـا والإعراض عمّا سواها ، وألّا يجاوز بصره مصـلّاه ولا يلتفت ولا يعبث ولا يسدل ولا يفرقع أصابعه ولا يقلّب الحصى ونحو ذلك . وعن أبى الدرداء : هو إخلاص المقـال ، وإعظام المقام، واليقين التامّ ، وجمع الاهتمام . وأضيفت الصلاة إلى المصلّين لا إلى المصلّى له لانتفاع المصلّى بها وحده وهى عدّته وذخيرته . وأما المصلّى له فغنىّ عنها .

(٣) (اللغو) كلّ كلام ساقط حقّه أن يلغى كالكذب والشتم والهزل . يعنى أنّ لهم من الجدّ ما شغلهم عن الهزل . ولمّـا وصفهم بالخشوع فى الصلاة أتبعه الوصف بالإعراض عن اللغو ليجمع لهم الفعل والترك الشاقّين على الأنفس اللذين هما قاعدتا بناء التكليف .

(٤) مؤدّون. ولفظ (فاعلون) يدلّ على المداومة بخلاف مؤدّون. وقيل الزكاة اسم مشترك يطلق على العين وهو القدر الذى يخرجه المزكّى من النصاب إلى الفقير ، وعلى المعنى وهو فعل

وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ[1] ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ[2] أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ[3] فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ[4] ۝ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ[5] ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ[6] وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ[7] ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ[8] ۝

المزكّى الذى هو التزكية وهو المراد هنا . بجعل المزكّين فاعلين له لأنّ لفظ الفعل يعمّ جميع الأفعال كالضرب والقتل ونحوهما . تقول للضارب والقاتل والمزكّى فعل الضرب والقتل والتزكية. ويجوز أن يراد بالزكاة العين ويقدر مضاف محذوف وهو الأداء . ودخل اللام لتقدّم المفعول، وضعف اسم الفاعل فى العمل فإنّك تقول: هذا ضارب لزيد ولا تقول ضرب لزيد .

(١) الفرج يشمل سوءة الرجل والمرأة .

(٢) فى موضع الحال. أى الّاوالين على أزواجهم أو قوّامين عليهنّ من قولك : كان زياد على البصرة أى واليا عليها . والمعنى أنّهم (لفروجهم حافظون) فى جميع الأحوال إلّا فى حال تزوّجهم أو تسريهم . أو تعلّق(على) بمحذوف يدلّ عليه (غير ملومين) كأنّه قيل يلامون (إلّا على أزواجهم) أى يلامون على كلّ مباشرة إلّا على ما أطلق لهم (فإنّهم غير ملومين) عليه . وقال الفرّاء (إلّا) من (أزواجهم) أى زوجاتهم .

(٣) أى إمائهم ولم يقل مَن لأنّ المملوك جرى مجرى غير العقلاء . ولهذا يباع كما تباع البهائم .

(٤) أى لا لوم عليهم إن لم يحفظوا فروجهم عن نسائهم وإمائهم .

(٥) (فمن) طلب قضاء شهوة من غير هذين (فأولئك هم العادون) الكاملون فى العدوان. وفيه دليل تحريم المتعة والاستمتاع بالكفّ لإرادة الشهوة .

(٦) (لأمانتهم)مكّى وسهل. سمّى الشىء المؤتمن عليه والمعاهد عليه أمانة وعهدا. ومنه قوله تعالى (إن الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها) . وإنّما تؤدّى العيون لا المعانى . والمراد به العموم فى كلّ ما ائتمنوا عليه وعوهدوا من جهة الله عزّ وجلّ ومن جهة الخلق .

(٧) حافظون . والراعى القائم على الشىء بحفظ وإصلاح كراعى الغنم .

(٨) (والذين هم على صلاتهم) — كوفىّ غير أبى بكر — (يحافظون) يداومون فى أوقاتها .

أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ[1] ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ[2] ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا[3] خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ[4] مِن سُلَٰلَةٍ[5] مِّن طِينٍ[6] ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ[7] نُطْفَةً[8]

وإعادة ذكر الصلاة لأنّها أهم ولأنّ الخشوع فيها غير المحافظة عليها . أو لأنّها وحّدت أوّلا ليفاد الخشوع فى جنس الصلاة أيّة صلاة كانت . وجمعت آخرا ليفاد المحافظة على أنواعها من الفرائض والواجبات والسنن والنوافل .

(١) (أولئك) الجامعون لهذه الأوصاف (هم الوارثون) الأحقّاء بأن يسمّوا ورّاثا دون من عداهم. ثمّ ترجم الوارثين بقوله (الذين يرثون) من الكفّار (الفردوس) . فى الحديث " ما منكم من أحد إلاّ وله منزلان : منزل فى الجنّة ومنزل فى النار . فإن مات ودخل الجنّة ورث أهل النار منزله . وإن مات ودخل النار ورث أهل الجنّة منزله" .

(٢) هو البستان الواسع الجامع لأصناف الثمر . وقال قطرب : هو أعلى الجنان .

(٣) أنّث الفردوس بتأويل الجنّة .

(٤) أى آدم .

(٥) (من) للابتداء . والسلالة الخلاصة لأنّها تسلّ من بين الكدر . وقيل إنّما سمّى التراب الذى خلق آدم منه سلالة لأنّه سلّ من كلّ تربة .

(٦) (من) للبيان كقوله (من الأوثان) .

(٧) أى نسله . فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه. لأنّ آدم عليه السلام لم يصر نطفة . وهو كقوله (وبدأ خلق الانسان من طين ثمّ جعل نسله من سلالة من ماء مهين) . وقيل (الإنسان) بنو آدم والسلالة النطفة . والعرب تسمى النطفة سلالة . أى (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة) يعنى من نطفة مسلولة (من طين) ، أى من مخلوق من طين وهو آدم عليه السلام .

(٨) ماء قليلا .

فِي قَرَارٍ (١) مَّكِينٍ (٢) ۝ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً (٣) فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً (٤) فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا (٥) فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا (٦) ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ (٧) خَلْقًا ءَاخَرَ (٨) فَتَبَارَكَ (٩) ٱللَّهُ أَحْسَنُ (١٠) ٱلْخَٰلِقِينَ (١١) ۝ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ (١٢)

(١) مستقر . يعنى الرحم .

(٢) حصين .

(٣) أى صيرناها — بدلالة تعديه إلى مفعولين والخلق يتعدى إلى مفعول واحد — قطعة دم . والمعنى أحلنا النطفة البيضاء علقة حمراء .

(٤) لحما قدر ما يمضغ .

(٥) فصيرناها عظاما .

(٦) فأنبتنا عليها اللحم فصار لها كاللباس . (عظما، العظم) شامى وأبو بكر . (عظما، العظام) زيد عن يعقوب . (عظاما، العظم) عن أبى زيد . وضع الواحد موضع الجمع لعدم اللبس إذ الإنسان ذو عظام كثيرة .

(٧) الضمير يعود إلى الإنسان أو إلى المذكور .

(٨) أى (خلقا) مباينا للخلق الأول حيث جعله حيوانا وكان جمادا ، وناطقا وسميعا وبصيرا وكان بضد هذه الصفات . ولهذا قلنا إذا غصب بيضة فأفرخت عنده يضمن البيضة ولا يرد الفرخ لأنه خلق آخر سوى البيضة .

(٩) فتعالى أمره فى قدرته وعلمه .

(١٠) بدل أو خبر مبتدأ محذوف . وليس بصفة لأنه نكرة وإن أضيف لأن المضاف إليه عوض من من .

(١١) المقدرين . أى أحسن المقدرين تقديرا . فترك ذكر المميز لدلالة (الخالقين) عليه . وقيل إن عبد الله بن سعد بن أبى سرح كان يكتب للنبى عليه السلام فنطق بذلك قبل إملائه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب هكذا نزلت . فقال عبد الله إن كان محمد نبيا يوحى إليه فأنا نبى يوحى إلىّ . فارتد ولحق بمكة ثم أسلم يوم الفتح . وقيل هذه الحكاية غير صحيحة لأن ارتداده كان بالمدينة وهذه السورة مكية . وقيل القائل عمر أو معاذ رضى الله عنهما .

(١٢) بعد ما ذكرنا من أمركم .

لَمَيِّتُونَ(١) ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ(٢) ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ(٣) وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَـٰفِلِينَ(٤) ﴿١٧﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ(٥) بِقَدَرٍ(٦) فَأَسْكَنَّـٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَـٰدِرُونَ(٧) ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ(٨) جَنَّـٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَـٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا(٩) فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ(١٠) وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ(١١) ﴿١٩﴾

(١) (لميّتون) عند انقضاء آجالكم .

(٢) تحيون للجزاء .

(٣) جمع طريقة. وهي السموات لأنّها طرق الملائكة ومتقلّباتهم .

(٤) أراد بالخلق السموات كأنّه قال خلقناها فوقكم وما كنّا غافلين عن حفظها . أو أراد به الناس وأنّه إنّما خلقها فوقهم ليفتح عليهم الأرزاق والبركات منها وما كان غافلا عنهم وعمّا يصلحهم .

(٥) مطرا .

(٦) بتقدير يسلمون معه من المضرّة و يصلون إلى المنفعة أو بمقدار ما علمنا من حاجاتهم .

(٧) (فأسكنّاه فى الأرض) كقوله (فسلكه ينابيع فى الأرض) . وقيل جعلناه ثابتا فى الأرض . فماء الأرض كلّه من السماء . ثمّ استأدّى شكرهم بقوله (وإنّا على ذهاب به لقادرون) أى كما قدرنا على إنزاله نقدر على إذهابه . فقيّدوا هذه النعمة بالشكر .

(٨) بالماء .

(٩) فى الجنّات .

(١٠) سوى النخيل والأعناب .

(١١) (ومنها) أى من الجنّات أى من ثمارها. ويجوز أنّ هذا من قولهم: فلان يأكل من حرفة يحترفها ومن صنعة يغتلّها أى أنّها طُعمته وجهته التى منها يحصّل رزقه كأنّه قال وهذه الجنّات وجوه أرزاقكم ومعايشكم منها ترزقون وتتعيّشون .

وَشَجَرَةً(١) تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ(٢) تَنۢبُتُ(٣) بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ(٤) لِّلْأَكِلِينَ ۝ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ(٥) لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم(٦) مِّمَّا فِى بُطُونِهَا(٧) وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ(٨) وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ(٩) ۝ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ(١٠) ۝

---

(١) عطف على (جنّات) وهي شجرة الزيتون .

(٢) طور سيناء وطور سينين لا يخلو إمّا أن يضاف الطور إلى بقعة اسمها سيناء وسينون وإمّا أن يكون اسما للجبل مركبًا من مضاف ومضاف إليه كامرئ القيس . وهو جبل فلسطين . و(سيناء) غير منصرف بكلّ حال مكسور السين كقراءة الحجازىّ وأبى عمرو، للتعريف والعجمة ، أو مفتوحها كقراءة غيرهم ، لأنّ الألف للتأنيث كصحراء .

(٣) قال الزجاج : الباء للحال أى(تنبت) ومعها الدهن . (تُنبت) مكىّ وأبو عمرو إمّا لأنّ أنبت بمعنى نبت كقوله حتّى إذا أنبت البقل . أو لأنّ مفعوله محذوف أى تنبت زيتونها وفيه الدهن .

(٤) أى إدام لهم . قال مقاتل : جعل الله تعالى فى هذه إداما ودهنا . فالإدام الزيتون والدهن الزيت . وقيل هى أوّل شجرة نبتت بعد الطوفان .
وخصّ هذه الأنواع الثلاثة لأنّها أكرم الشجر وأفضلها وأجمعها للمنافع .

(٥) جمع نعم وهى الإبل والبقر والغنم .

(٦) وبفتح النون شامىّ ونافع وأبو بكر . وسق وأسق لغتان .

(٧) أى نخرج لكم من بطونها لبنا سائغا .

(٨) (ولكم فيها منافع كثيرة) سوى الألبان وهى منافع الأصواف والأوبار والأشعار .

(٩) أى لحومها .

(١٠) (وعليها) وعلى الأنعام فى البرّ (وعلى الفلك) فى البحر (تحملون) فى أسفاركم . وهذا يشير إلى أنّ المراد بالأنعام الإبل لأنّها هى المحمول عليها فى العادة فلذا قرنها بالفلك التى هى السفائن لأنّها سفائن البرّ . قال ذو الرمة * سفينة برّ تحت خدّى زمامها * يريد ناقته .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ(١) مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ(٢) أَفَلَا تَتَّقُونَ(٣) ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا(٤) فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ(٥) فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ(٦) ﴿٢٥﴾

---

(١) وحّدوه .

(٢) (مالكم من إله) معبود (غيره) بالرفع على المحلّ وبالجر على اللفظ . والجملة استئناف تجرى مجرى التعليل للأمر بالعبادة .

(٣) أفلا تخافون عقوبة الله الذى هو ربّكم وخالقكم إذا عبدتم غيره مما ليس من استحقاق العبادة فى شىء .

(٤) (فقال) أشرافهم لعوامّهم (ما هذا إلّا بشر مثلكم) يأكل ويشرب يطلب الفضل عليكم ويترأس (ولو شاء الله) إرسال رسول لأرسل (ملائكة ما سمعنا بهـذا) أى بإرسال بشر رسولا أو بمـا يأمرنا به من التوحيد وسبّ آلهتنا . والعجب منهم أنّهم رضوا بالألوهيّة للحجر ، ولم يرضوا بالنبوّة للبشر .

(٥) جنون .

(٦) فانتظروا واصبروا عليه إلى زمان حتّى ينجلى أمره . فإن أفاق مـن جنونه وإلّا قتلتموه .

قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ(١) فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ(٢) أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا(٣) وَوَحْيِنَا(٤) فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا(٥) وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ(٦) فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ(٧)

---

(١) لمّا أيس من إيمانهم دعا الله بالانتقام منهم . والمعنى أهلكهم بسبب تكذيبهم إيّاى، إذ فى نصرته إهلاكهم . أو (انصرنى) بدل (ما كذّبون) كقولك هذا بذاك أى بدل ذاك . والمعنى أبدلنى من غمّ تكذيبهم سلوة النصرة عليهم .

(٢) أى أجبنا دعاءه (فأوحينا إليه) .

(٣) أى تصنعه وأنت واثق بحفظ الله لك ورؤيته إيّاك ، أو بحفظنا وكلاءتنا كأنّ معك من الله حفّاظا يكلئونك بعيونهم لئلا يتعرّض لك ولا يفسد عليك مفسد عملك . ومنه قولهم: عليه من الله عين كالئة .

(٤) أمرنا وتعليمنا إيّاك صنعتها . روى أنّه أوحى إليه أن يصنعها على مثال جؤجؤ الطائر .

(٥) أى عذابنا بأمرنا .

(٦) أى فار الماء من تنور الخبز . أى أخرج سبب الغرق، من موضع الحرق ، ليكون أبلغ فى الإنذار والاعتبار . روى أنّه قيل لنوح: إذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب أنت ومن معك فى السفينة . فلمّا نبع الماء من التنور أخبرته امرأته فركب وكان تنور آدم فصار إلى نوح . وكان من حجارة . واختلف فى مكانه فقيل فى مسجد الكوفة . وقيل بالشام . وقيل بالهند .

(٧) فأدخل فى السفينة (من كلّ زوجين) من كلّ أمّتى زوجين وهما أمّة الذكر وأمّة الأنثى كالجمال والنوق والحصن والرماك (اثنين) واحدين مزدوجين كالجمل والناقة والحصان والرمكة. روى أنّه لم يحمل إلّا ما يلد ويبيض . (من كلٍّ) حفص والمفضل . أى من كلّ أمّة (زوجين اثنين) . و(اثنين) تأكيد وزيادة بيان .

وَأَهْلَكَ(١) إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ(٢) مِنْهُمْ وَلَا تُخَـٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ(٣) ۝ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ(٤) فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ(٥) ۝ وَقُل(٦) رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا(٧) مُّبَارَكًا(٨) وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ۝ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ(٩) لَـَٔايَـٰتٍ(١٠) وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ(١١) ۝

(١) ونساءك وأولادك .

(٢) (إلّا من سبق عليه القول) من الله بإهلاكه . وهو ابنه وإحدى زوجتيه . بجيء بعلى مع سبق الضار كما جيء باللام مع سبق النافع فى قوله (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) ونحوها (لهـا ما كسبت وعليها ما اكتسبت) .

(٣) ولا تسألنى نجاة الذين كفروا فإنّى أغرقهم .

(٤) فإذا تمكّنتم عليها راكبين .

(٥) أمر بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم . ولم يقل فقولوا وإن كان (فإذا استويت أنت ومن معك) فى معنى إذا استويتم لأنّه نبيّهم وإمامهم فكان قوله قولهم، مع مافيه من الإشعار بفضل النبوّة .

(٦) (وقل) حين ركبت على السفينة أو حين خرجت منها .

(٧) أى إنزالا أو موضع إنزال (مَنزِلا) أبو بكر أى مكانا .

(٨) البركة فى السفينة النجاة فيها ، وبعد الخروج منها كثرة النسل وتتابع الخيرات .

(٩) فيما فعل بنوح وقومه .

(١٠) لعبرا ومواعظ .

(١١) (إن) هى المخفّفة من المثقّلة . واللام هى الفارقة بين النافية وبينها . والمعنى وإنّ الشأن والقصّة (كنّا لمبتلين) مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد أو مختبرين بهذه الآيات عبادنا لننظر من يعتبر ويذّكر كقوله تعالى (ولقد تركناها آية فهل من مدّكر) .

ثُمَّ أَنشَأْنَا(١) مِنۢ بَعْدِهِمْ(٢) قَرْنًا ءَاخَرِينَ(٣) ۝ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ(٤) رَسُولًا(٥) مِّنْهُمْ(٦) أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ(٧) أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝ وَقَالَ الْمَلَأُ(٨) مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ(٩) كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ(١٠) وَأَتْرَفْنَاهُمْ(١١) فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَٰذَا(١٢)

---

(١) خلقنا .

(٢) من بعد قوم نوح .

(٣) هم عاد قوم هود . ويشهد له قول هود (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح) ، ويجيء قصّة هود على أثر قصّة نوح فى الأعراف وهود والشعراء .

(٤) الإرسال يعدّى بإلى . ولم يعدّ بفى هنا وفى قوله (كذلك أرسلناك فى أمة) (وما أرسلنا فى قرية) . ولكنّ الأمّة والقرية جعلت موضعا للإرسال كقول رؤبة * أرسلت فيها مصعبا ذا إقحام *

(٥) هو هود .

(٦) من قومهم .

(٧) (أن) مفسّرة لأرسلنا ، أى قلنا لهم على لسان الرسول (اعبدوا الله) .

(٨) ذكر مقالة قوم هود فى جوابه فى الأعراف وهود بغير واو لأنّه على تقدير سؤال سائل قال فما قال قومه؟ فقيل له قالوا كيت وكيت . وههنا مع الواو لأنّه عطف لما قالوه على ما قاله الرسول ومعناه أنّه اجتمع فى الحصول هذا الحقّ وهذا الباطل . وليس بجواب للنبىّ صلّى الله عليه وسلّم متّصل بكلامه. ولم يكن بالفاء وجىء بالفاء فى قصّة نوح لأنّه جواب لقوله واقع عقيبه.

(٩) صفة للملأ أو لقومه .

(١٠) أى بلقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب وغير ذلك .

(١١) ونعّمناهم (فى الحياة الدنيا) بكثرة الأموال والأولاد .

(١٢) أى النبىّ .

إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ (١) ۝ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ (٢) إِنَّكُمْ إِذًا (٣) لَّخَاسِرُونَ (٤) ۝ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ (٥) وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ (٦) ۝ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ (٧) ۝ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا (٨) نَمُوتُ وَنَحْيَا (٩) وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (١٠) ۝

---

(١) أى منه . فحذف لدلالة ما قبله عليه . أى من أين يدّعى رسالة الله من بينكم وهو مثلكم ؟

(٢) (ولئن أطعتم بشرا مثلكم) فيما يأمركم به وينهاكم عنه .

(٣) واقع فى جزاء الشرط وجواب للذين قاولوهم من قومهم .

(٤) (لخاسرون) بالانقياد لمثلكم . ومن حمقهم أنّهم أبوا اتّباع مثلهم وعبدوا أعجز منهم .

(٥) بالكسر نافع وحمزة وعلىّ وحفص . وغيرهم بالضمّ .

(٦) مبعوثون للسؤال والحساب والثواب والعقاب، وثنّى (أنّكم) للتأكيد. وحسن ذلك للفصل بين الأوّل والثانى بالظرف . و (مخرجون) خبر عن الأوّل . والتقدير (أيعدكم) أنّكم مخرجون (إذا متّم وكنتم ترابا وعظاما) .

(٧) (هيهات) بكسر التاء يزيد . وروى عنه بالكسر والتنوين فيهما. والكسائى يقف بالهاء وغيره بالتاء . وهو اسم للفعل واقع موقع بعُد فاعلها مضمر أى بعد التصديق أو الوقوع (لما توعدون) من العذاب . أو فاعلها ما توعدون واللام زائدة أى بعُد ما توعدون من البعث .

(٨) (هى) ضمير لا يعلم ما يعنى به إلّا بما يتلوه من بيانه . وأصله إن الحياة (إلّا حياتنا الدنيا) . ثمّ وضع (هى) موضع الحياة لأنّ الخبر يدلّ عليها ويبيّنها . والمعنى لا حياة إلّا هذه الحياة التى نحن فيها ودنت منّا. وهذا لأنّ (إن) النافية دخلت على(هى)التى فى معنى الحياة الدالّة على الجنس فنفتها فوازنت لا التى لنفى الجنس .

(٩) أى يموت بعض ويولد بعض، ينقرض قرن فيأتى قرن آخر. أو فيه تقديم وتأخير أى نحيا ونموت . وهو قراءة أبىّ وابن مسعود رضى الله عنهما .

(١٠) (وما نحن بمبعوثين) بعد الموت .

إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا(١) وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ(٢) ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ(٣) ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ(٤) بِٱلْحَقِّ(٥) فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً(٦) فَبُعْدًا(٧) لِّلْقَوْمِ(٨) ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ(٩) ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ(١٠) أُمَّةٍ أَجَلَهَا(١١) وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ(١٢) ﴿٤٣﴾

(١) أى ما هو إلّا مفتر على الله فيا يدعيه من استنبائه له وفيا يعدنا من البعث .

(٢) بمصدّقين .

(٣) أجاب الله دعاء الرسول بقوله (قال عمّا قليل ليصبحنّ نادمين) . قليل صفة للزمان كقديم وحديث فى قولك : ما رأيته قديما ولا حديثا . وفى معناه عن قريب . و(ما) زائدة. أو بمعنى شىء أو زمن. و (قليل) بدل منها. وجواب القسم المحذوف (ليصبحنّ نادمين) إذا عاينوا ما يحلّ بهم .

(٤) أى صيحة جبريل . صاح عليهم فدمّرهم .

(٥) بالعدل من الله . يقال : فلان يقضى بالحقّ أى بالعدل .

(٦) شبّههم فى دمارهم بالغثاء وهو حميل السيل مما بلى واسودّ من الورق والعيدان .

(٧) فهلاكا . يقال بعد بُعْدا أو بَعَدا أى هلك . وهو من المصادر المنصوبة بأفعال لا يستعمل إظهارها .

(٨) بيان لمن دعى عليه بالبعد نحو (هيْت لك) .

(٩) قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم .

(١٠) (من) صلة أى ما تسبق أمّة .

(١١) (أجلها) المكتوب لها والوقت الذى حدّ لهلاكها وكتب .

(١٢) لا يتأخّرون عنه .

ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا[1] كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا[2] كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا[3] وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ[4] فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ۝ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ[5] بِـَٔايَٰتِنَا[6] وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ[7] ۝ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟[8] وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ[9] ۝ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا[10] وَقَوْمُهُمَا[11] لَنَا عَٰبِدُونَ[12] ۝

(١) فعلى . والألف للتأنيث كسكرى لأنّ الرسل جماعة . ولذا لاينوّن لأنّه غير منصرف. (تترى) بالتنوين مكيّ وأبو عمرو ويزيد على أن الألف للإلحاق كأرطى. وهو نصب على الحال فى القراءتين أى متتابعين واحدا بعد واحد . وتاؤها فيهما بدل من الواو. والأصل وترى من الوتر وهو الفرد . فقلبت الواو تاء كتراث .

(٢) الرسول يلابس المرسل والمرسل إليه . والإضافة تكون بالملابسة فتصحّ إضافته إليهما .

(٣) (فاتبعنا) الأمم والقرون (بعضهم بعضا) فى الهلاك .

(٤) أخبارا يسمع بها ويتعجّب منها . والأحاديث تكون اسم جمع الحديث . ومنه أحاديث النبيّ عليه الصلاة والسلام . وتكون جمعا للأحدوثة وهو ما يتحدّث به الناس تلهّيا وتعجّبا . وهو المراد هنا .

(٥) بدل من (أخاه) .

(٦) (بآياتنا) التسع .

(٧) وحجّة ظاهرة .

(٨) امتنعوا عن قبول الإيمان ترفعا وتكبّرا .

(٩) متكبّرين مترفّعين .

(١٠) البشر يكون واحدا وجمعا . ومثل وغير يوصف بهما الاثنان والجمع والمذكّر والمؤنث .

(١١) أى بنو إسرائيل .

(١٢) خاضعون مطيعون ، وكلّ من دان لملك فهو عابد له عند العرب .

فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ (١) ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى (٢) الْكِتَـٰبَ (٣) لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٤) ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً (٥) وَءَاوَيْنَـٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ (٦) ذَاتِ قَرَارٍ (٧) وَمَعِينٍ (٨) ﴿٥٠﴾ يَـٰٓأَيُّهَا الرُّسُلُ (٩) كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَـٰتِ وَاعْمَلُوا صَـٰلِحًا (١٠)

---

(١) (من المهلكين) بالغرق .

(٢) أى قوم موسى .

(٣) التوراة .

(٤) يعملون بشرائعها ومواعظها .

(٥) (آية) تدلّ على قدرتنا على ما نشاء لأنّه خلق من غير نطفة . وُحّد لأنّ الأعجوبة فيهما واحدة . أو المراد (وجعلنا ابن مريم) آية (وأمّه) آية فحذفت الأولى لدلالة الثانية عليها .

(٦) جعلنا مأواهما أى منزلها . (إلى رَبوة) — شاميّ وعاصم (رُبوة) غيرهما — أى أرض مرتفعة . وهى بيت المقدس أو دمشق أو الرملة أو مصر .

(٧) مستقرّ من أرض مستوية منبسطة أو ذات ثمار وماء . يعنى أنّه لأجل الثمار يستقرّ فيها ساكنوها .

(٨) وماء ظاهر جار على وجه الأرض . وهو مفعول أى مدرك بالعين بظهوره ، من عانه إذا أدركه بعينه . أو فعيل لأنّه نفّاع بظهوره وجريه من الماعون وهو المنفعة .

(٩) هذا النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما لأنّهم أرسلوا متفرّقين فى أزمنة مختلفة . وإنّما المعنى الإعلام بأنّ كلّ رسول فى زمانه نودى بذلك ووصّى به ، ليعتقد السامع أنّ أمرا نودى له جميع الرسل ووصّوا به حقيق أن يؤخذ به ويعمل عليه . أو هو خطاب لمحمّد عليه الصلاة والسلام لفضله وقيامه مقام الكلّ فى زمانه وكان يأكل من الغنائم . أو لعيسى عليه السلام لاتّصال الآية بذكره وكان يأكل من غزل أمّه وهو أطيب الطيّبات . والمراد بالطيّبات ما حلّ . والأمر للتكليف . أو ما يستطاب ويستلذّ والأمر للترفيه والإباحة .

(١٠) موافقا للشريعة .

إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ(١) ﴿﴾ وَإِنَّ(٢) هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً(٣) وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ(٤) ﴿﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا(٥) كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ(٦) ﴿﴾ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ(٧) حَتَّىٰ حِينٍ(٨) ﴿﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا(٩) نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ

(١) (إنى بما تعملون عليم) فأجازيكم على أعمالكم .

(٢) كوفى على الإستئناف. (وأن) حجازى وبصرى بمعنى ولأن. أى (فاتقون) لأن هذه. أو معطوف على ما قبله أى (بما تعملون عليم) وبأن هذه . أو تقديره (و) اعلموا (أن هذه) .

(٣) أى ملتكم وشريعتكم التى أنتم عليها ملة واحدة وهى شريعة الإسلام . وانتصاب (أمة) على الحال . والمعنى وإن الدين دين واحد وهو الإسلام . ومثله (إن الدين عند الله الإسلام) .

(٤) (وأنا ربكم) وحدى فخافوا عقابى فى مخالفتكم أمرى .

(٥) تقطع بمعنى قطع . أى قطعوا أمر دينهم (زبرا) جمع زبور أى كتبا مختلفة . يعنى جعلوا دينهم أديانا. وقيل تفرقوا فى دينهم فرقا كل فرقة تنتحل كتابا. وعن الحسن قطعوا كتاب الله قطعا وحرفوه وقرئ (زبرا) جمع زبرة أى قطعا .

(٦) كل فرقة من فرق هؤلاء المختلفين المتقطعين دينهم (بما لديهم) من الكتاب والدين ، أو من الهوى والرأى (فرحون) مسرورون معتقدون أنهم على الحق .

(٧) جهالتهم وغفلتهم .

(٨) أى إلى أن يقتلوا أو يموتوا .

(٩) (ما) بمعنى الذى . وخبر أن (نسارع لهم فى الخيرات) . والعائد من خبر أن إلى اسمها محذوف أى نسارع لهم به . والمعنى أن هذا الإمداد ليس إلا استدراجا لهم إلى المعاصى وهم يحسبونه مسارعة لهم فى الخيرات ومعاجلة بالثواب جزاء على حسن صنيعهم . وهذه الآية حجة على المعتزلة فى مسألة الأصلح لأنهم يقولون إن الله لا يفعل بأحد من الخلق إلا ما هو أصلح له فى الدين . وقد أخبر أن ذلك ليس بخير لهم فى الدين ولا أصلح .

بَل لَّا يَشْعُرُونَ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ[1] ۝ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ[2] يُؤْمِنُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ[3] ۝ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟[4] وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ[5] أَنَّهُمْ[6] إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ[7] وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ[8] ۝ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا[9] وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ[10] يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ[11] ۝ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ[12] مِّنْ هَٰذَا

(١) (بل) استدراك لقوله (أيحسبون) أى أنّهم أشباه البهائم لا شعور لهم حتى يتأملوا فى ذلك أنّه استدراج أو مسارعة فى الخير . ثمّ بيّن ذكر أوليائه فقال (إن الذين هم من خشية ربّهم مشفقون) أى خائفون .

(٢) أى بكتب الله كلّها لا يفترقون بين كتبه كالذين تقطّعوا أمرهم بينهم وهم أهل الكتاب .

(٣) (لا يشركون) كمشركى العرب .

(٤) أى يعطون ما أعطوا من الزكاة والصدقات. وقرئ (يأتون ما أتوا) بالقصر، أى يفعلون ما فعلوا .

(٥) خائفة ألّا تقبل منهم لتقصيرهم .

(٦) الجمهور على أنّ التقدير لأنّهم .

(٧) يرغبون فى الطاعات فيبادرونها . خبر (إنّ الذين) .

(٨) أى لأجل الخيرات سابقون إلى الجنات أو لأجلها سبقوا الناس .

(٩) أى طاقتها. يعنى أنّ الذى وصف به الصالحون غير خارج عن حدّ الوسع والطاقة . وكذلك كلّ ما كلّفه عباده . وهو ردّ على من جوّز تكليف ما لا يطاق .

(١٠) أى اللوح أو صحيفة الأعمال .

(١١) لا يقرءون منه يوم القيامة إلّا ما هو صدق وعدل لا زيادة فيه ولا نقصان ولا يظلم منهم أحد بزيادة عقاب أو نقصان ثواب أو بتكليف ما لا وسع له به .

(١٢) بل قلوب الكفرة فى غفلة غامرة لها ممّا عليه هؤلاء الموصوفون من المؤمنين .

وَلَهُمْ أَعْمَـٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ[1] هُمْ لَهَا عَـٰمِلُونَ[2] ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم[3] بِٱلْعَذَابِ[4] إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ[5] إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ[6] ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَـٰتِى[7] تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ تَنكِصُونَ[8] ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ[9] بِهِۦ سَـٰمِرًا تَهْجُرُونَ[10] ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ[11]

---

(١) أى ولهم أعمال خبيثة متجاوزة متخطّية لذلك ، أى لما وصف به المؤمنون .

(٢) (هم لها عاملون) وعليها مقيمون لا يفطمون عنها حتّى يأخذهم الله بالعذاب .

(٣) متنعّميهم . و (حتّى) هى التى يبتدأ بعدها الكلام . والكلام الجملة الشرطيّة .

(٤) عذاب الدنيا وهو القحط سبع سنين حين دعا عليهم النبى عليه الصلاة والسلام ، أو قتلهم يوم بدر .

(٥) (يجأرون) يصرخون استغاثة. والجؤار الصراخ باستغاثة. فيقال لهم: (لا تجأروا اليوم). فان الجؤار غير نافع لكم .

(٦) (إنّكم منّا) أى من جهتنا لا يلحقكم نصر أو معونة .

(٧) أى القرآن .

(٨) ترجعون القهقرى . والنكوص أن يرجع القهقرى وهو أقبح مشية لأنّه لا يرى ما وراءه .

(٩) متكبّرين على المسلمين . حال من (تنكصون) .

(١٠) (به) بالبيت أو بالحرم لأنّهم يقولون : لا يظهر علينا أحد لأنّا أهل الحرم . والذى سوّغ هذا الإضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت . أو بآياتى لأنّها فى معنى كتابى. ومعنى استكبارهم بالقرآن تكذيبهم به استكبارا . ضمّن (مستكبرين) معنى مكذّبين فعدّى تعديته. أو يتعلّق الباء بقوله (سامرا) تسمرون بذكر القرآن و بالطعن فيه . وكانوا يجتمعون حول البيت يسمرون . وكانت عامّة سمرهم ذكر القرآن وتسميته شعرا وسحرا . والسامر نحو الحاضر فى الإطلاق على الجمع . وقرئ (سمّارا). أو بقوله (تهجرون) وهو من الهجر الهذيان . (تُهجِرون) نافع من أهجر فى منطقه إذا أفحش .

(١١) أفلم يتدبّروا القرآن ليعلموا أنّه الحقّ المبين فيصدّقوا به وبمن جاء به .

أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَاءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ[1] ۝ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ[2] فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ[3] ۝ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ[4] بَلْ جَاءَهُم بِٱلْحَقِّ[5] وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ[6] ۝ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ[7] وَمَن فِيهِنَّ[8] بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ[9] فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ[10] ۝

---

(١) بل أجاءهم ما لم يأت آباءهم الأوّلين فلذلك أنكروه واستبدعوه .

(٢) (أم لم يعرفوا) محمّدا بالصدق والأمانة ووفور العقل وصحّة النسب وحسن الأخلاق ؟ أى عرفوه بهذه الصفات .

(٣) (فهم له منكرون) بغيا وحسدا .

(٤) (أم يقولون به جنّة) جنون ؟ وليس كذلك لأنهم يعلمون أنّه أرجحهم عقلا وأثقبهم ذهنا .

(٥) (بل جاءهم بالحقّ) الأبلج ، والصراط المستقيم ، وبما خالف شهواتهم وأهواءهم وهو التوحيد والإسلام ولم يجدوا له مرقا ولا مدفعا فلذلك نسبوه إلى الجنون .

(٦) فيه دليل على أنّ أقلّهم ما كان كارها للحق بل كان تاركا للإيمان به أنفة واستنكافا من توبيخ قومه وأن يقولوا صبأ وترك دين آبائه كأبى طالب .

(٧) (ولو اتّبع الحقّ) أى الله (أهواءهم) فيما يعتقدون من الآلهة (لفسدت السموات والأرض) كما قال (لو كان فيهما آلهة إلّا الله لفسدتا) .

(٨) خصّ العقلاء بالذكر لأنّ غيرهم تبع .

(٩) بالكتاب الذى هو ذكرهم ، أى وعظهم أو شرفهم لأنّ الرسول منهم والقرآن بلغتهم . أو بالذكر الذى كانوا يتمنّونه ويقولون (لو أنّ عندنا ذكرا من الأوّلين) الآية .

(١٠) (فهم عن ذكرهم معرضون) بسوء اختيارهم . .

أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ[1] وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ[2] ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ[3] ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ[4] ﴿٧٤﴾ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ[5] ﴿٧٧﴾

---

(١) (خرجا فخراج) حجازى وبصرى وعاصم . (خرجا فخرج) شامى (خراجا فخراج) على وحمزة. وهو ما تخرجه إلى الأمام من زكاة أرضك وإلى كل عامل من أجرته وجُعله . والخرج أخص من الخراج. تقول خراج القرية وخرج الكُردة فزيادة اللفظ لزيادة المعنى. ولذا حسنت القراءة الأولى يعنى (أم تسألهم) على هدايتك لهم قليلا من عطاء الخلق، فالكثير من الخالق خير .

(٢) أفضل المعطين . .

(٣) (وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم) وهو دين الإسلام فحقيق أن يستجيبوا لك.

(٤) لعادلون عن هذا الصراط المذكور وهو الصراط المستقيم .

(٥) لمـا أخذهم الله بالسنين حتى أكلوا العِلْهِز جاء أبوسفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : أنشدك الله والرحم ألست تزعم أنك بُعثت رحمة للعالمين؟ فقال بلى. فقال قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع. فنزلت (ولو رحمناهم). والمعنى لو كشف الله عنهم هذا الضر وهو القحط الذى أصابهم برحمتـه لهم ووجدوا الخصب (لجوا) أى لتمـادوا (فى طغيانهم يعمهون) يترددون . يعنى لعادوا إلى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسـلم والمؤمنين ولذهب عنهم هذا التملق بين يديه . واستشهد على ذلك بأنا (أخذناهم) أولا بالسيوف وبمـا جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم وأسرهم فمـا وجدت بعد ذلك منهم استكانة، أى خضوع ولا تضرع — وقوله (وما يتضرعون) عبارة عن دوام حالهم أى هم على ذلك بعد . ولذا لم يقل وما تضرعوا . ووزن استكان استفعل من الكون أى انتقل

وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ(١) قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ(٢) ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ(٣) فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ(٤) ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ(٥) وَلَهُ ٱخْتِلَـٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ(٦) أَفَلَا تَعْقِلُونَ(٧) ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟(٨) مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ(٩) ﴿٨٢﴾

من كون إلى كون كما قيل استحال إذا انتقل من حال إلى حال — (حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد) أى باب الجوع الذى هو أشدّ من الأسر والقتل (إذا هم فيه مبلسون) متحيّرون آيسون من كلّ خير، وجاء أعتاهم وأشدّهم شكيمة فى العناد ليستعطفك. أو محنّاهم بكلّ محنة من القتل والجوع فما رؤى فيهم لين مقادة. وهم كذلك حتّى إذا عذّبوا بنار جهنّم فحينئذ يبلسون كقوله (ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون). (فتحنا) يزيد.

(١) خصّها بالذكر لأنّها يتعلّق بها من المنافع الدينيّة والدنيويّة مالا يتعلّق بغيرها.

(٢) أى تشكرون شكرا قليلا. و(ما) مزيدة للتأكيد بمعنى حقّا. والمعنى إنّكم لم تعرفوا عظم هذه النعم ووضعتموها غير مواضعها فلم تعملوا أبصاركم وأسماعكم فى آيات الله وأفعاله ولم تستدلّوا بقلوبكم فتعرفوا المنعم ولم تشكروا له شيئا.

(٣) خلقكم وبثّكم بالتناسل.

(٤) تجمعون يوم القيامة بعد تفرّقكم.

(٥) أى يحيى النسم بالإنشاء، ويميتها بالإفناء.

(٦) أى مجىء أحدهما عقيب الآخر، واختلافهما فى الظلمة والنور أو فى الزيادة والنقصان. وهو مختصّ به ولا يقدر على تصريفهما غيره.

(٧) (أفلا تعقلون) فتعرفوا قدرتنا على البعث أو فتستدلّوا بالصنع على الصانع فتؤمنوا.

(٨) أى أهل مكّة.

(٩) (مثل ما قال الأوّلون) أى الكفّار قبلهم. ثمّ بيّن ما قالوا بقوله (قالوا أئذا متنا وكنّا ترابا وعظاما أئنّا لمبعوثون). (متنا) نافع وحمزة وعلىّ وحفص.

لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا هَٰذَا[1] مِن قَبْلُ[2] إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ[3] ۝ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۝ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ[4] ۝ قُلْ مَن بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ[5] كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ[6] إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ[7] ۝

(١) أى البعث .

(٢) من قبل مجىء محمد .

(٣) (أساطير) جمع أسطار جمع سطر وهى ما كتبه الأوّلون مما لا حقيقة له . وجمع أسطور أوفق . ثم أمر نبيّه عليه الصلاة والسلام بإقامة الحجة على المشركين بقوله (قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون) ؟ فإنهم (سيقولون لله) لأنهم مقرون بأنه الخالق. فإذا قالوا (قل أفلا تذكّرون) فتعلموا أنّ من فطر الأرض ومن فيها كان قادرا على إعادة الخلق وكان حقيقا بألا يُشرك به بعضُ خلقه فى الربوبيّة . (أفلا تذكّرون) بالتخفيف حمزة وعلىّ وحفص . وبالتشديد غيرهم .

(٤) أفلا تخافونه فلا تشركوا به؟ أو (أفلا تتّقون) فى جحودكم قدرته على البعث مع اعترافكم بقدرته على خلق هذه الأشياء .

(٥) الملكوت الملك . والواو والتاء للمبالغة فتنبئ عن عظم الملك .

(٦) أجرت فلانا على فلان إذا أغثته منه ومنعته . يعنى وهو يغيث من يشاء ممن يشاء ولا يغيث أحد منه أحدا .

(٧) تخدعون عن الحقّ أو عن توحيده وطاعته . والخادع هو الشيطان والهوى .

الأول (لله) بالإجماع إذ السؤال (لمن) وكذا الثانى والثالث عند غير أهل البصرة على المعنى لأنك إذا قلت من ربّ هذا فمعناه لمن هذا فيجاب لفلان كقول الشاعر :

إذا قيل من ربّ المزالف والقرى   وربّ الجياد الجرد ، قيل لخالد

أى لمن المزالف . ومن قرأ بحذفه فعلى الظاهر لأنك إذا قلت من ربّ هذا فجوابه فلان .

بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ[1] وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۝ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ[2] سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ[3] ۝ عَالِمِ[4] الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ[5] فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ[6] ۝ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ[7] ۝ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝

(١) بأنّ نسبة الولد إليه محال والشرك باطل .

(٢) (وإنّهم لكاذبون) فى قولهم اتّخذ الله ولدا ودعائهم الشريك . ثمّ أكّد كذبهم بقوله (ما اتّخذ الله من ولد) لأنّه منزّه عن النوع والجنس. وولد الرجل من جنسه (وما كان معه من إله) وليس معه شريك فى الألوهيّة . (إذًا لذهب كلّ إله بما خلق) لانفرد كلّ واحد من الآلهة بالذى خلقه فاستبدّ به ، ولتميّز ملك كلّ واحد منهم عن الآخر ، (ولعلا بعضهم على بعض) ولغلب بعضهم بعضا كما ترون حال ملوك الدنيا ممالكهم متمايزة وهم متغالبون . وحين لم تروا أثرا لتمايز الممالك وللتغالب فاعلموا أنّه إله واحد بيده ملكوت كلّ شىء . ولا يقال (إذا) لا تدخل إلا على كلام هو جزاء وجواب وههنا وقع (لذهب) جزاء وجوابا ولم يتقدّمه شرط ولا سؤال سائل ، لأنّ الشرط محذوف وتقديره ولو كان معه آلهة لدلالة (وما كان معه من إله) عليه . وهو جواب لمن حاجّه من المشركين .

(٣) (سبحان الله عمّا يصفون) من الأنداد والأولاد .

(٤) بالجرّ صفة لله . وبالرفع مدنىّ وكوفىّ غير حفص خبر مبتدأ محذوف .

(٥) السرّ والعلانية .

(٦) (فتعالى عمّا يشركون) من الأصنام غيرها .

(٧) (إمّا) والنون مؤكّدان . أى إن كان لا بدّ من أن ترينى ما تعدهم من العذاب فى الدنيا أو فى الآخرة فلا تجعلنى قرينا لهم ولا تعذّبنى بعذابهم . عن الحسن رضى الله عنه أخبره الله أنّ له فى أمّته نقمة ولم يخبره متى وقتها . فأمر أن يدعو هذا الدعاء . ويجوز أن يسأل النبىّ

وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ[١] ﴿٩٥﴾ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ[٢] نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ[٣] ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ[٤] ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ[٥] ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ[٦]

المعصوم صلّى الله عليه وسلّم ربّه ماعلم أنّه يفعله وأن يستعيذ به مما علم أنّه لا يفعله إظهارا للعبودية وتواضعا لربّه. واستغفاره عليه الصلاة والسلام إذ قام من مجلسه سبعين مرّة لذلك. والفاء فى (فلا) لجواب الشرط . و (ربّ) اعتراض بينهما للتأكيد .

[١] كانوا ينكرون الموعد بالعذاب و يضحكون منه فقيل لهم إنّ الله قادر على إنجاز ما وعد إن تأمّلتم فما وجه هذا الإنكار ؟

[٢] (ادفع بـ)الخصلة (التى هى أحسن السيّئة) . وهو أبلغ من أن يقال بالحسنة السيّئة لما فيه من التفضيل كأنّه قال ادفع بالحسنى السيّئة . والمعنى اصفح عن إساءتهم ومقابلتها بما أمكن من الإحسان . وعن ابن عباس رضى الله عنهما : هى شهادة أن لا إله إلاّ الله ، والسيّئة الشرك . أو الفحش بالسلام ، أو المنكر بالموعظة . وقيل هى منسوخة بآية السيف. وقيل محكمة إذا المداراة محثوث عليها مالم تؤدّ إلى ثلم دين .

[٣] (نحن أعلم بما يصفون) من الشرك ـــ أو بوصفهم لك وسوء ذكرهم ـــ فنجازيهم عليه.

[٤] من وساوسهم ونخساتهم . والهمزة النخس. والهمزات جمع الهمزة . ومنه مهماز الرائض . والمعنى أنّ الشياطين يحثّون الناس على المعاصى كما تهمز الراضة الدوابّ حثّا لها على المشى .

[٥] أمر بالتعوّذ من نخساتهم بلفظ المبتهل إلى ربّه المكرر لندائه ، وبالتعوّذ من أن يحضروه أصلا ، أو عند تلاوة القرآن ، أو عند النزع .

[٦] (حتّى) يتعلّق بيصفون . أى لايزالون يشركون إلى وقت مجىء الموت . أو لايزالون على سوء الذكر إلى هذا الوقت . وما بينهما مذكور على وجه الاعتراض والتأكيد للإغضاء عنهم مستعينا بالله على الشيطان أن يستزله عن الحلم ويغريه على الانتصار منهم .

قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ[1] ۝ لَعَلِّىٓ[2] أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ[3] كَلَّآ[4] إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا[5] وَمِن وَرَآئِهِم[6] بَرْزَخٌ[7] إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ[8] ۝ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ[9] فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ[10] وَلَا يَتَسَآءَلُونَ[11] ۝ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ[12]

---

(١) أى ردّونى إلى الدنيا . خاطب الله بلفظ الجمع للتعظيم كخطاب الملوك .

(٢) فى الموضع الذى تركت وهو الدنيا لأنّه ترك الدنيا وصار إلى العقبى . قال قتادة ما تمنّى أن يرجع إلى أهل ولا إلى عشيرة ولكن ليتدارك مافرط . (لعلّ) ساكنة الياء كوفىّ وسهل ويعقوب .

(٣) ردع عن طلب الرجعة وإنكار واستبعاد .

(٤) المراد بالكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض. وهو قوله (ربّ ارجعون لعلّى أعمل صالحا فيما تركت) .

(٥) (هو قائلها) لا محالة لا يخلّيها ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة والندم عليه .

(٦) أى أمامهم . والضمير للجماعة .

(٧) حائل بينهم وبين الرجوع إلى الدنيا .

(٨) لم يرد أنّهم يرجعون يوم البعث وإنّما هو إقناط كلّى لما علم أن لا رجوع بعد البعث إلّا إلى الآخرة .

(٩) قيل إنّها النفخة الثانية .

(١٠) وبالإدغام أبوعمرو لاجتماع المثلين وإن كانا من كلمتين . يعنى يقع التقاطع بينهم حيث يتفرقون مثابين ومعاقبين. ولا يكون التواصل بينهم بالإنساب إذ (يفرّ المرء من أخيه وأمّه وأبيه وصاحبته وبنيه) . وإنّما يكون بالأعمال .

(١١) (ولا يتساءلون) سؤال تواصل كما كانوا يتساءلون فى الدنيا لأنّ كلّا مشغول عن سؤال صاحبه بحاله . ولا تناقض بين هذا وبين قوله (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) . فللقيامة مواطن ففى موطن يشتدّ عليهم الخوف فلا يتساءلون وفى موطن يفيقون فيتساءلون .

(١٢) جمع موزون وهى الموزونات من الأعمال الصالحة التى لها وزن وقدر عند الله تعالى من قوله (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) .

فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ[١] فَأُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ[٢] فِى جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ[٣] ۝ تَلْفَحُ[٤] وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَـٰلِحُونَ ۝ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ[٥] ۝ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا[٦] وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ[٧] ۝ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا[٨] فَإِنْ عُدْنَا[٩]

---

(١) (ومن خفّت موازينه) بالسيّئات . والمراد الكفار .

(٢) غبنوها .

(٣) بدل من (خسروا أنفسهم) ولا محلّ للبدل والمبدل منه لأنّ الصلة لا محلّ لها. أو خبر بعد خبر لأولئك . أو خبر مبتدأ محذوف .

(٤) أى تحرق .

(٥) (كالحون) عابسون . فيقال لهم (ألم تكن آياتى) أى القرآن (تتلى عليكم) فى الدنيا (فكنتم بها تكذّبون) وتزعمون أنّها ليست من الله تعالى .

(٦) ملكتنا (شقوتنا). (شقاوتنا) حمزة وعلىّ. وكلاهما مصدر. أى شقينا بأعمالنا السيّئة التى عملناها. وقول أهل التأويل غلب علينا ما كتب علينا من الشقاوة لا يصحّ لأنّه إنّما يكتب ما يفعل العبد وما يعلم أنّه يختاره ولا يكتب غير الذى علم أنّه يختاره فلا يكون مغلوبا ومضطرّا فى الفعل. وهذا لأنّهم إنّما يقولون ذلك القول اعتذارا لما كان منهم من التفريط فى أمره فلا يحل أن يطلبوا لأنفسهم عذرا فيما كان منهم .

(٧) (ضالّين) عن الحقّ والصواب .

(٨) أى من النار .

(٩) (فإن عدنا) إلى الكفر والتكذيب .

فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ[1] ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا[2] وَلَا تُكَلِّمُونِ[3] ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ[4] كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا[5] حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى[6] وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ[7] ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟[8] أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ[9] ﴿١١١﴾ قَٰلَ[10] كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ[11]

---

(١) (فإنا ظالمون) لأنفسنا .

(٢) اسكتوا سكوت ذلة وهوان .

(٣) (ولا تكلمون) فى رفع العذاب عنكم فانه لا يرفع ولا يخفف . قيل هو آخر كلام يتكلمون به ثم ولا كلام بعد ذلك إلا الشهيق والزفير .

(أن يحضرونى . ارجعونى . ولا تكلمونى) بالياء فى الوصل والوقف — يعقوب . وغيره بلا ياء .

(٤) إن الأمر والشأن .

(٥) مفعول ثان . وبالضم مدنى وحمزة وعلى . وكلاهما مصدر سخر كالسخر إلا أن فى ياء النسبة مبالغة . قيل هم الصحابة رضى الله عنهم . وقيل أهل الصفة خاصة ومعناه اتخذتموهم هزؤا وتشاغلتم بهم ساخرين .

(٦) (حتى أنسوكم) بتشاغلكم بهم على تلك الصفة (ذكرى) فتركتموه أى كان التشاغل بهم سببا لنسيانكم ذكرى .

(٧) (وكنتم منهم تضحكون) استهزاء بهم .

(٨) بصبرهم .

(٩) أى لأنهم هم الفائزون . ويجوز أن يكون مفعولا ثانيا أى جزيتهم اليوم فوزهم . لأن جزى يتعدى إلى اثنين (وجزاهم بما صبروا جنة) . (إنهم) حمزة وعلى على الاستئناف أى (إنهم هم الفائزون) لا أنتم .

(١٠) أى الله أو المأمور بسؤالهم من الملائكة . (قل) مكى وحمزة وعلى أمر لمالك أن يسألهم .

(١١) فى الدنيا .

عَدَدَ سِنِينَ[1] ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ[2] فَسْئَلِ الْعَادِّينَ[3] ﴿١١٣﴾ قَـٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ[4] ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا[5] وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ[6] ﴿١١٥﴾ فَتَعَـٰلَى اللَّهُ[7] الْمَلِكُ الْحَقُّ[8] لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ[9] ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ[10]

---

(١) أى كم عدد سنين لبثتم ؟ فكم نصب بلبثتم . و (عدد) تمييز .

(٢) استقصروا مدّة لبثهم فى الدنيا بالإضافة إلى خلودهم ، ولما هم فيه من عذابها لأنّ الممتحن يستطيل أيام محنته ويستقصر ما مرّ عليه من أيّام الدعة .

(٣) الحسّاب ، أو الملائكة الذين يعدّون أعمار العباد وأعمالهم . (فسل) بلاهمز مكّىّ وعلىّ .

(٤) أى ما (لبثتم إلّا) زمنا (قليلا) أو لبثا قليلا (لو أنّكم كنتم تعلمون) . صدّقهم الله تعالى فى تقالّهم لسنى لبثهم فى الدنيا ، ووبّخهم على غفلتهم التى كانوا عليها . (قُلْ إنْ) حمزة وعلىّ .

(٥) حال أى عابثين . أو مفعول له أى للعبث .

(٦) وبفتح التاء وكسر الجيم حمزة وعلىّ ويعقوب . وهو معطوف على (أنّما خلقناكم) . أو على (عبثا) أى (أفحسبتم أنّما خلقناكم) للعبث ولتركم غير مرجوعين ؟ بل خلقناكم للتكليف ثمّ للرجوع من دار التكليف إلى دار الجزاء فنثيب المحسن ونعاقب المسىء .

(٧) (فتعالى الله) عن أن يخلق عبثا .

(٨) الذى يحقّ له الملك لأنّ كلّ شىء منه وإليه . أو الثابت الذى لا يزول ولا يزول ملكه .

(٩) وصف العرش بالكرم لأنّ الرحمة تنزل منه . أو لنسبته إلى أكرم الأكرمين . وقرئ شاذّا برفع الكريم صفة للربّ تعالى .

(١٠) أى لا حجة له به ، اعتراض بين الشرط والجزاء كقولك من أحسن إلى زيد — لا أحقّ بالإحسان منه — فالله مثيبه . أو صفة لازمة جىء بها للتوكيد كقولك (يطير بجناحيه) لا أن يكون فى الآلهة ما يجوز أن يقوم عليه برهان .

فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ (1) إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ (2) ۝

---

(1) أى جزاؤه (عند ربّه) أى فهو يجازيه لا محالة . وهذا جزاء الشرط .

(2) جعل فاتحة السورة (قد أفلح المؤمنون) وخاتمتها (إنّه لا يفلح الكافرون) . فشتّان ما بين الفاتحة والخاتمة . ثمّ علّمنا سؤال المغفرة والرحمة بقوله (وقل ربّ اغفر وارحم) . ثمّ قال : (وأنت خير الراحمين) لأنّ رحمته إذا أدركت أحداً أغنته عن رحمة غيره ورحمة غيره لا تغنيه عن رحمته .

سورة النور مدنيــة

وهى ستون وأربع آيات .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سُورَةٌ(1) أَنزَلْنَٰهَا(2) وَفَرَضْنَٰهَا(3) وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ(4) لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ(5)

(1) خبر مبتدأ محذوف أى هــذه (سورة) . وقرأ طلحة (سورةً) على زيدا ضربته . أو على اتل (سورةً) . والسورة الجامعة لجمل آيات بفاتحة لهــا وخاتمة . واشتقاقها من سور المدينة .

(2) صفة لها .

(3) أى فرضنا أحكامها التى فيها . وأصل الفرض القطع أى جعلناها مقطوعا بهــا . وبالتشديد مكىّ وأبو عمرو للمبالغة فى الإيجاب وتوكيده . أو لأنّ فيهــا فرائض شتّى أو لكثرة المفروض عليهم من السلف ومن بعدهم .

(4) أى دلائل واضحات .

(5) (لعلكم تذّكّرون) لكى تتّعظوا . وبتخفيف الذال حمزة وعلىّ وخلف وحفص . ثمّ فصّل أحكامها فقال (الزانية والزانى) رفعهما على الابتداء . والخبر محذوف أى فيما فرض عليكم (الزانية والزانى) ، أى جلدهما . أو الخبر (فاجلدوا) . ودخلت الفاء لكون الألف واللام بمعنى الذى وتضمينه معنى الشرط وتقديره التى زنت والذى زنا فاجلدوهمــا كما تقول من زنى فاجلدوه وكقوله (والذين يرمون المحصنات ثمّ لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم). وقرأ عيسى بن عمر بالنصب على إضمار فعل يفسّره الظاهر. وهو أحسن من (سورة أنزلناها) لأجل الأمر . والجَلْد ضرب الجلد . وفيه إشارة إلى أنه لايبالغ ليصل الألم إلى اللحم. والخطاب للأئمة لأنّ إقامة الحدّ من الدين . وهى على الكلّ إلاّ أنّهم لا يمكنهم الاجتماع فينوب الإمام منابهم.

وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ(١) فِي دِينِ ٱللَّهِ(٢) إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ(٣) وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا(٤) طَآئِفَةٌ(٥) مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ(٦) ۝ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ(٧)

وهذا حكم حرّ ليس بمحصن ، إذ حكم المحصن الرجم . وشرائط إحصان الرجم الحرية والعقل والبلوغ والإسلام والتزوّج بنكاح صحيح والدخول . وهذا دليل على أنّ التغريب غير مشروع لأنّ الفاء إنّما يدخل على الجزاء وهو اسم للكافى . والتغريب المروىّ منسوخ بالآية كما نسخ الحبس والأذى فى قوله (فأمسكوهنّ فى البيوت) وقوله (فآذوهما) بهذه الآية .

(١) أى رحمة. والفتح لغة وهى قراءة مكىّ. وقيل الرأفة فى دفع المكروه والرحمة فى إيصال المحبوب . والمعنى أنّ الواجب على المؤمنين أن يتصلّبوا فى دين الله ولا يأخذهم اللين فى استيفاء حدوده فيعطّلوا الحدود أو يخفّفوا الضرب .

(٢) أى فى طاعة الله أو حكمه .

(٣) من باب التهييج وإلهاب الغضب لله ولدينه . وجواب الشرط مضمر ، أى فاجلدوا ولا تعطّلوا الحدّ .

(٤) وليحضر موضع حدّهما . وتسميته عذابا دليل على أنّه عقوبة .

(٥) فرقة يمكن أن تكون حلقة ليعتبروا وينزجروا . وأقلّها ثلاثة أو أربعة. وهى صفة غالبة كأنّها الجماعة الحافّة حول شىء . وعن ابن عباس رضى الله عنهما : أربعة إلى أربعين رجلا .

(٦) من المصدّقين بالله .

(٧) أى الخبيث الذى من شأنه الزنا لا يرغب فى نكاح الصوالح من النساء وإنّما يرغب فى خبيثة من شكله أو فى مشركة . والخبيثة المسافحة كذلك . لا يرغب فى نكاحها الصلحاء من الرجال وإنّما يرغب فيها من هو من شكلها من الفسقة أو المشركين . فالآية تزهيد فى نكاح البغايا ، إذ الزنا عديل الشرك فى القبح ، والإيمان قرين العفاف والتحصّن. وهو نظير قوله (الخبيثات للخبيثين) . وقيل كان نكاح الزانية محرّما فى أوّل الإسلام ثمّ نسخ بقوله (وانكحوا الأيامى منكم) . وقيل المراد بالنكاح الوطء لأنّ غير الزانى يستقذر الزانية ولا يشتهيها . وهو صحيح

وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ[1] ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ[2] فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً[3] وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا[4]

لكنه يؤدى إلى قولك الزانى لا يزنى إلّا بزانية، والزانية لا يزنى بها إلّا زان. وسئل صلّى الله عليه وسلّم عمن زنى بامرأة ثمّ تزوّجها فقال أوّله سفاح وآخره نكاح . ومعنى الجملة الأولى صفة الزانى بكونه غير راغب فى العفائف ولكن فى الفواجر . ومعنى الثانية صفة الزانية بكونها غير مرغوب فيهـا للأعفّاء ولكن للزناة وهما معنيان مختلفان . وقدّمت الزانيـة على الزانى أوّلا ثمّ قدّم عليها ثانيا لأنّ تلك الآية سيقت لعقوبتهما على ما جنيا . والمرأة هى المـادّة التى منها نشأت تلك الجناية، لأنّها لو لم تطمع الرجل ولم تومض له ولم تمكّنه لم يطمع ولم يتمكّن. فلمّا كانت أصلا فى ذلك بدئ بذكرها . وأما الثانية فمسوقة لذكر النكاح والرجل أصل فيه لأنّه الخاطب ومنه بدء الطلب . وقرئ لا ينكح بالجزم على النهى . وفى المرفوع أيضا معنى النهى ولكن أبلغ وآكد . ويجوز أن يكون خبرا محضا على معنى أنّ عادتهما جارية على ذلك، وعلى المؤمن ألّا يدخل نفسه تحت هذه العادة ويتصوّن عنها .

(١) (وحرّم ذلك) أى الزنا . أو نكاح البغايا لقصد التكسّب بالزنا ، أو لمـا فيه من التشبّه بالفساق وحضور مواقع التهمة والتسبب لسوء القالة فيه والغيبـة . ومجالسة الخاطئين كم فيها من التعرّض لاقتراف الآثام ؟ فكيف بمزاوجة الزوانى والقحاب ؟

(٢) (المحصنات) بكسر الصـاد على . أى يقذفون بالزنا الحرائر والعفائف المسلمات المكلّفات. والقذف يكون بالزنا وبغيره. والمراد هنا قذفهنّ بالزنا بأن يقول يازانية لذكر المحصنات عقيب الزوانى ولاشتراط أربعة شهداء بقوله (ثمّ لم يأتوا بأربعة شهداء) أى ثمّ لم يأتوا بأربعة شهود يشهدون على الزنا لأنّ القذف بغـير الزنا بأن يقول يا فاسق يا آكل الربا يكفى فيـه شاهدان وعليه التعزير . وشروط إحصان القذف الحريّة والعقل والبلوغ والإسلام والعفّة عن الزنا . والمحصن كالمحصنة فى وجوب حدّ القذف .

(٣) (فاجلدوهم ثمـانين جلدة) إن كان القاذف حرّا . ونصب (ثمانين) نصب المصادر كما نصب (مائة جلدة) . و (جلدة) نصب على التمييز .

(٤) نكّر (شهادة) فى موضع النفى فعمّ كلّ شهادة . وردّ الشهادة من الحدّ عندنا ويتعلّق باستيفاء الحدّ أو بعضه على ما عرف . وعند الشافعى رحمه الله تعالى يتعلّق ردّ شهادته بنفس القذف . فعندنا جزاء الشرط الذى هو الرمى الجلد وردّ الشهادة على التأبيد وهو مدّة حياتهم.

وَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ [1] ۝ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ [2] وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ [3] إِلَّآ أَنفُسُهُمْ [4] فَشَهَـٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ [5] شَهَـٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ [6] ۝ وَٱلْخَـٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ [7] ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ [8] ۝

---

(١) (وأولئك هم الفاسقون) كلام مستأنف غير داخل فى حيّز جزاء الشرط كأنّه حكاية حال الرامين عند الله تعالى بعد انقضاء الجملة الشرطيّة . وقوله (إلّا الذين تابوا من بعد ذلك) أى القذف (وأصلحوا) أحوالهم، استثناء من (الفاسقون) . ويدلّ عليه (فإنّ الله غفور رحيم) أى يغفر ذنوبهم ويرحمهم . وحقّ الاستثناء أن يكون منصوبا عندنا لأنّه عن موجب، وعند من جعل الاستثناء متعلّقا بالجملة الثانية أن يكون مجرورا بدلا من هم فى (لهم) .

(٢) لمّا ذكر حكم قذف الأجنبيّات بيّن حكم قذف الزوجات . أى يقذفون زوجاتهم بالزنا .

(٣) أى لم يكن لهم على تصديق قولهم من يشهد لهم به .

(٤) يرتفع على البدل من (شهداء) .

(٥) بالرفع كوفىّ غير أبى بكر على أنّه خبر. والمبتدأ (فشهادة أحدهم). وغيرهم بالنصب لأنّه فى حكم المصدر بالإضافة إلى المصدر والعامل فيه المصدر الذى هو (فشهادة أحدهم) . وعلى هذا خبره محذوف تقديره فواجب (شهادة أحدهم أربع شهادات بالله) .

(٦) (إنّه لمن الصادقين) فيما رماها به من الزنا .

(٧) لا خلاف فى رفع الخامسة هنا فى المشهور. والتقدير (و) الشهادة (الخامسة أنّ لعنة الله عليه) فهى مبتدأ وخبر. (أنْ لعنةُ) نافع .

(٨) (إن كان من الكاذبين) فيما رماها به من الزنا .

وَيَدْرَؤُا عَنْهَا ٱلْعَذَابَ[1] أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ[2] لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَٰمِسَةَ[3] أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ[4] ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ[5] عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ[6] وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ[7] ﴿١٠﴾

(١) ويدفع عنها الحبس. وفاعل يدرأ (أن تشهد أربع شهادات بالله) .

(٢) إنّ الزوج .

(٣) (إنّه لمن الكاذبين) فيما رماني به من الزنا .

(٤) (إن كان) أي الزوج (من الصادقين) فيما رماني به من الزنا . ونصب حفص (والخامسة) عطفا على (أربع) شهادات . وغيره رفعها بالابتداء . و (أنّ غضب الله) خبره . (أنْ غضِبَ اللهُ) نافع . و (أنْ غضبُ الله) سهل ويعقوب وحفص . وجعل الغضب في جانبها لأنّ النساء يستعملن اللعن كثيرا كما ورد به الحديث فربّما يجترئن على الإقدام لكثرة جرى اللعن على ألسنتهنّ وسقوط وقوعه على قلوبهن . فذكر الغضب في جانبهنّ ليكون رادعا لهنّ .

والأصل أنّ اللعان عندنا شهادات مؤكّدات بالأيمان مقرونة باللعن قائمة مقام حدّ القذف في حقّه ومقام حدّ الزنا في حقّها ، لأنّ الله تعالى سمّاه شهادة . فإذا قذف الزوج زوجته بالزنا وهما من أهل الشهادة صحّ اللعان بينهما . وإذا التعنا كما بيّن في النهر لا تقع الفرقة حتّى يفترق القاضي بينهما. وعند زفر رحمه الله تعالى تقع بتلاعنهما. والفرقة تطليقة بائنة. وعند أبي يوسف وزفر والشافعي تحريم مؤبّد . ونزلت آية اللعان في هلال بن أميّة أو عويمر حيث قال وجدت على بطن امرأتي خولة شريك بن سمحاء فكذبته . فلاعن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بينهما .

(٥) تفضّله .

(٦) نعمته .

(٧) جواب لولا محذوف أي لفضحكم أو لعاجلكم بالعقوبة .

إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ[1] عُصْبَةٌ[2] مِّنكُمْ[3] لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ[4] لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ[5] وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ[6] ﴿١١﴾

---

(١) هو أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء. وأصله الأَفْكُ وهو القلب لأنه قول مأفوك من وجهه . والمراد ما أفك به على عائشة رضى الله عنها. قالت عائشة : فقدت عقدا فى غزوة بنى المصطلق فتخلفت ولم يعرف خلو الهودج لخفتى . فلمّا ارتحلوا أناخ لى صفوان بن المعطّل بعيره وساقه حتّى أتاهم بعد ما نزلوا فهلك فىّ من هلك فاعتللت شهرا . وكان عليه الصلاة والسلام يسأل كيف أنت؟ ولا أرى منه لطفا كنت أراه حتّى عثرت خالة أبى، أمّ مسطح. فقالت : تعس مسطح. فأنكرت عليها فأخبرتنى بالإفك. فلمّا سمعت ازددت مرضا وبتّ عند أبوىّ لا يرقأ لى دمع وما أكتحل بنوم وهما يظنّان أنّ الدمع فالق كبدى حتّى قال عليه الصلاة والسلام «أبشرى يا حميراء فقد أنزل الله براءتك» فقلت بحمد الله لا بحمدك .

(٢) جماعة من العشرة إلى الأربعين . واعصوصبوا اجتمعوا . وهم عبد الله بن أبىّ رأس النفاق وزيد بن رفاعة وحسّان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم .

(٣) من جماعة المسلمين. وهم ظنّوا أنّ الإفك وقع من الكفّار دون من كان من المؤمنين.

(٤) (لا تحسبوه) أى الإفك (شرا لكم) عند الله (بل هو خير لكم) لأنّ الله أثابكم عليه وأنزل فى البراءة منه ثمانى عشرة آية . والخطاب لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأبى بكر وعائشة وصفوان ومن ساءه ذلك من المؤمنين .

(٥) أى على كلّ امرئ من العصبة جزاء إثمه على مقدار خوضه فيه . وكان بعضهم ضحك وبعضهم تكلّم فيه وبعضهم سكت .

(٦) (والذى تولّى كبره) أى عَظمه ، عبد الله بن أبىّ — يحكى أنّ صفوان مرّ بهودجها عليه وهو فى ملأ من قومه فقال : من هذه ؟ فقالوا عائشة فقال : والله ما نجت منه ولا نجا منها — (منهم) أى من العصبة (له عذاب عظيم) أى جهنّم .

لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ[1] مُّبِينٌ[2] ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ[3]

---

(١) وبّخ الخائضين فقال (لولا) هلّا (إذ سمعتموه) أى الإفك (ظنّ المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم) بالذين منهم — فالمؤمنون كنفس واحدة وهو كقوله (ولا تلمزوا أنفسكم) — (خيرا) عفافا وصلاحا . وذلك نحو ما يروى أنّ عمر رضى الله عنه قال لرسول الله عليه الصلاة والسلام : أنا قاطع بكذب المنافقين لأنّ الله عصمك من وقوع الذباب على جلدك لأنّه يقع على النجاسات فيتلطّخ بها. فلمّا عصمك الله من ذلك القدر من القذر فكيف لا يعصمك عن صحبة من تكون متلطّخة بمثل هذه الفاحشة؟ وقال عثمان : إنّ الله ما أوقع ظلّك على الأرض لئلا يضع إنسان قدمه على ذلك الظل، فلمّا لم يمكّن أحدا من وضع القدم على ظلّك كيف يمكّن أحدا من تلويث عرض زوجتك ؟ وكذا قال علىّ رضى الله عنه إنّ جبريل أخبرك أنّ على نعليك قذرا وأمرك بإخراج النعل عن رجلك بسبب ما التصق به من القذر فكيف لا يأمرك بإخراجها بتقدير أن تكون متلطّخة بشىء من الفواحش ؟ وروى أنّ أبا أيّوب الأنصارىّ قال لامرأته : ألا ترين ما يقال؟ فقالت : لو كنت بدل صفوان أكنت تظنّ بحرم رسول الله سوءا ؟ فقال لا . قالت ولو كنت أنا بدل عائشة ما خنت رسول الله . فعائشة خير منّى وصفوان خير منك . وإنّما عدل عن الخطاب إلى الغيبة ، وعن الضمير إلى الظاهر ولم يقل ظننتم بأنفسكم خيرا وقلتم ، ليبالغ فى التوبيخ بطريق الالتفات ، وليدلّ التصريح بلفظ الإيمان على أنّ الاشتراك فيه يقتضى ألّا يصدق مؤمن على أخيه ولا مؤمنة على أختها قول عائب ولا طاعن . وهذا من الأدب الحسن الذى قلّ القائم به والحافظ له . وليتك تجد من يسمع فيسكت ولا يشيع ما سمعه بإخوانه .

(٢) كذب ظاهر لا يليق بهما .

(٣) هلّا (جاءوا) على القذف لو كانوا صادقين (بأربعة شهداء) .

فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ[1] ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ[2] ﴿١٤﴾ إِذْ[3] تَلَقَّوْنَهُ[4] بِأَلْسِنَتِكُمْ[5] وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ[6] وَتَحْسَبُونَهُ[7] هَيِّنًا[8] وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ[9] ﴿١٥﴾

---

(١) (فإذ لم يأتوا بالشهداء) الأربعة (فأولئك) القاذفون (عند الله) أى فى حكمه وشريعته (هم الكاذبون) لأن الله تعالى جعل التفصلة بين الرمى الصادق والكاذب ثبوت شهادة الشهود الأربعة وانتفاءها. والذين رموا عائشة رضى الله عنها لم يكن لهم بينة على قولهم فكانوا كاذبين .

(٢) (ولولا) هذه لامتناع الشيء لوجود غيره بخلاف ما تقدم. أى(ولولا) أنى قضيت أن أتفضل عليكم فى الدنيا بضروب النعم التى من جملتها الإمهال للتوبة، وأن أترحم عليكم فى الآخرة فى العفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث الإفك. يقال أفاض فى الحديث وخاض واندفع .

(٣) ظرف (لمسكم) أو لأفضتم .

(٤) يأخذه بعضكم من بعض. يقال تلقى القول وتلقنه وتلقفه .

(٥) أى أن بعضكم كان يقول لبعض : هل بلغك حديث عائشة ؟ حتى شاع فيما بينهم وانتشر فلم يبق بيت ولا ناد إلا طار فيه .

(٦) إنما قيد بالأفواه مع أن القول لا يكون إلا بالفم لأن الشيء المعلوم يكون علمه فى القلب ثم يترجم عنه اللسان . وهذا الإفك ليس إلا قولا يدور فى أفواهكم من غير ترجمة عن علم به فى القلب كقوله (يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم) .

(٧) أى خوضكم فى عائشة رضى الله عنها .

(٨) صغيرة .

(٩) كبيرة . جزع بعضهم عند الموت فقيل له فى ذلك فقال: أخاف ذنبا لم يكن منى على بال (وهو عند الله عظيم) .

وَلَوْلَآ(١) إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا(٢) سُبْحَٰنَكَ(٣) هَٰذَا بُهْتَٰنٌ(٤) عَظِيمٌ(٥) ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا(٦) لِمِثْلِهِۦٓ(٧) أَبَدًا(٨) إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ(٩) ﴿١٧﴾

(١) وهلّا .

(٢) فصل بين (لولا) و (قلتم) بالظرف لأنّ للظروف شأنا وهو تنزّلها من الأشياء منزلة أنفسها لوقوعها فيها وأنّها لا تنفكّ عنها فلذا يتّسع فيها مالا يتّسع فى غيرها . وفائدة تقديم الظرف أنّه كان الواجب عليهم أن يتفادوا أوّل ما سمعوا بالإفك عن التكلّم به. فلمّا كان ذكر الوقت أهمّ قدم . والمعنى هلّا قلتم إذ سمعتم الإفك ما يصحّ لنا أن نتكلّم بهذا .

(٣) للتعجّب من عظم الأمر . ومعنى التعجّب فى كلمة التسبيح أنّ الأصل أن يسبّح الله عند رؤية العجيب من صنائعه ثمّ كثر حتّى استعمل فى كلّ متعجب منه . أو لتنزيه الله من أن تكون حرمة نبيه فاجرة . وإنّما جاز أن تكون امرأة النبيّ كافرة كامرأة نوح ولوط ولم يجز أن تكون فاجرة لأنّ النبيّ مبعوث إلى الكفّار ليدعوهم فيجب أن لا يكون معه ما ينفرهم عنه . والكفر غير منفر عندهم . وأما الكشخنة فمن أعظم المنفّرات .

(٤) زور يبهت من يسمع .

(٥) وذكر فيما تقدّم (هذا إفك مبين) . ويجوز أن يكونوا أمروا بهما مبالغة فى التبرّى .

(٦) فى (أن تعودوا) .

(٧) لمثل هذا الحديث من القذف أو استماع حديثه .

(٨) مادمتم أحياء مكلّفين .

(٩) فيه تهييج لهم ليتّعظوا وتذكير بما يوجب ترك العود وهو الإيمان الصادّ عن كلّ قبيح .

وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ(١) وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ(٢) ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ(٣) فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ(٤) وَٱللَّهُ يَعْلَمُ(٥) وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ(٦) ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ(٧) وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ(٨) يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ(٩) وَٱلْمُنكَرِ(١٠) وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا(١١) وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى(١٢) مَن يَشَآءُ

---

(١) الدلالات الواضحات وأحكام الشرائع والآداب الجميلة .

(٢) (والله عليم) بكم و بأعمالكم (حكيم) يجزى على وفق أعمالكم . أوعلم صدق نزاهتها وحكم ببراءتها .

(٣) أى ما قبح جدّا . والمعنى يشيعون الفاحشة عن قصد الإشاعة ومحبّة لها .

(٤) (لهم عذاب أليم فى الدنيا) بالحدّ — ولقد ضرب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ابن أبىّ وحسّانا ومسطحا الحدّ — (والآخرة) بالنار . وعدها إن لم يتو بوا .

(٥) (والله يعلم) بواطن الأمور وسرائر الصدور . أى أنّه قد علم محبّة من أحبّ الإشاعة وهو معاقبه عليها .

(٦) (ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأنّ الله رءوف رحيم) حيث أظهر براءة المقذوف وأثاب بغفرانه جناية القاذف إذا تاب ، لعجّل لكم العذاب . وكرّر المنّة بترك المعاجلة بالعقاب مع حذف الجواب مبالغة فى المنّة عليهم والتوبيخ لهم .

(٧) أى آثاره ووساوسه بالإصغاء إلى الإفك والقول فيه .

(٨) فإنّ الشيطان .

(٩) ما أفرط قبحه .

(١٠) ما تنكره النفوس فتنفر عنه ولا ترتضيه .

(١١) ولولا أنّ الله تفضّل عليكم بالتوبة الممحّصة لما طهر منكم أحد آخر الدهر من إثم الإفك .

(١٢) يطهّر التائبين بقبول توبتهم إذا محضوها .

وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١) ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتَلِ (٢) أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ (٣) مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ (٤) أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ (٥) وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ (٦) أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ (٧) وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٨) ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ (٩)

---

(١) (والله سميع) لقولهم (عليم) بضمائرهم وإخلاصهم .

(٢) ولا يحلف . من ائتلى إذا حلف ، افتعال من الألية . أو لا يقصّر من الألو .

(٣) (أولو الفضل) فى الدين .

(٤) (والسعة) فى الدنيا .

(٥) (أن يؤتوا) أى لا يؤتوا إن كان من الألية . أى لا يحلفوا على ألّا يحسنوا إلى المستحقين للإحسان . أو لا يقصّروا فى أن يحسنوا إليهم وإن كانت بينهم وبينهم شحناء بجناية اقترفوها .

(٦) العفو الستر . والصفح الإعراض . أى وليتجاوزوا عن الجفاء وليعرضوا عن العقوبة .

(٧) فليفعلوا بهم ما يرجون أن يفعل بهم ربّهم مع كثرة خطاياهم .

(٨) فتأدّبوا بأدب الله واغفروا وارحموا .

نزلت فى شأن أبى بكر الصديق رضى الله عنه حين حلف ألّا ينفق على مسطح ابن خالته لخوضه فى عائشة رضى الله عنها وكان مسكينا بدريّا مهاجرا . ولما قرأها النبى صلّى الله عليه وسلّم على أبى بكر قال بلى ، أحبّ أن يغفر الله لى وردّ إلى مسطح نفقته .

(٩) (إنّ الذين يرمون) العفائف السليمات الصدور النقيّات القلوب اللاتى ليس فيهنّ دهاء ولا مكر لأنّهنّ لم يجربن الأمور ، (المؤمنات) بما يجب الإيمان به . عن ابن عباس

لُعِنُواْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ[1] ﴿٢٣﴾ يَوْمَ[2] تَشْهَدُ[3] عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ[4] ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ[5] يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ[6] وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ[7] ﴿٢٥﴾

رضى الله عنهما هنّ أزواجه عليه الصلاة والسلام . وقيل هنّ جميع المؤمنات . إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . وقيل أريدت عائشة رضى الله عنها وحدها . وإنّما جمع لأنّ من قذف واحدة من نساء النبيّ عليه الصلاة والسلام فكأنّه قذفهنّ .

(1) جعل القذفة ملعونين فى الدارين وتوعّدهم بالعذاب العظيم فى الآخرة إن لم يتوبوا .

(2) العامل يعذّبون .

(3) وبالياء حمزة وعلىّ .

(4) أى بما أفكوا أو بهتوا .

(5) العامل (يوفّيهم) .

(6) بالنصب صفة للدين وهو الجزاء . ومعنى الحقّ الثابت الذى هم أهله . وقرأ مجاهد بالرفع صفة لله كقراءة أبىّ (يوفّيهم الله الحقّ دينهم) . وعلى قراءة النصب يجوز أن يكون الحقّ وصفا لله بأن ينتصب على المدح .

(7) (ويعلمون) عند ذلك (أنّ الله هو الحقّ المبين) لارتفاع الشكوك وحصول العلم الضرورىّ .

ولم يغلظ الله تعالى فى القرآن فى شىء من المعاصى تغليظه فى إفك عائشة رضى الله عنها فأوجز فى ذلك وأشبع وفصّل وأجمل وأكّد وكرّر وما ذاك إلّا لأمر . وعن ابن عباس رضى الله عنهما من أذنب ذنبا ثمّ تاب منه قبلت توبته إلّا من خاض فى أمر عائشة . وهذا منه تعظيم ومبالغة فى أمر الإفك . ولقد برّأ الله تعالى أربعة بأربعة برّأ يوسف عليه السلام بشاهد من أهلها ، وموسى عليه السلام من قول اليهود فيه بالحجر الذى ذهب بثوبه ، ومريم رضى الله عنها بإنطاق ولدها ، وعائشة رضى الله عنها بهذه الآى العظام فى كتابه المعجز المتلوّ على وجه الدهر بهذه المبالغات . فانظر كم بينها وبين تبرئة أولئك ؟ وما ذلك إلا لإظهار علوّ منزلة رسوله والتنبيه على إنافة محلّه صلّى الله عليه وسلّم وعلى آله .

ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ (١) لَهُم مَّغْفِرَةٌ (٢) وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٣) ﴿٢٦﴾

(١) (الخبيثات) من القول تقال (للخبيثين) من الرجال والنساء (والخبيثون) منهم يتعرضون (للخبيثات) من القول (أولئك مبرءون مما يقولون) أى فيهم . و (أولئك) إشارة إلى الطيّبين وأنهم مبرءون مما يقول الخبيثون من خبيثات الكلم . وهو كلام جار مجرى المثل لعائشة رضى الله عنها وما رميت به من قول لا يطابق حالها فى النزاهة والطيب . ويجوز أن يكون إشارة إلى أهل البيت وأنهم مبرءون مما يقول أهل الإفك ، وأن يراد بالخبيثات والطيّبات النساء الخبائث يتزوجن الخباث ، والخباث تتزوج الخبائث . وكذا أهل الطيب .

(٢) مستأنف أو خبر بعد خبر .

(٣) (ورزق كريم) فى الجنة . ودخل ابن عباس رضى الله عنهما على عائشة رضى الله عنها فى مرضها وهى خائفة من القدوم على الله تعالى . فقال لا تخافى لأنك لا تقدمين إلا على مغفرة ورزق كريم وتلا الآية . فغشى عليها فرحا بما تلا . وقالت عائشة رضى الله عنها لقد أعطيت تسعا ما أعطيتهن امرأة : نزل جبريل بصورتى فى راحته حين أمر عليه الصلاة والسلام أن يتزوجنى ، وتزوجنى بكرا وما تزوج بكرا غيرى . وتوفى عليه الصلاة والسلام ورأسه فى حجرى وقبر فى بيتى*. وينزل عليه الوحى وأنا فى لحافه . وأنا ابنة خليفته وصديقه . ونزل عذرى من السماء . وخلقت طيبة عند طيب . ووعدت مغفرة ورزقا كريما . وقال حسان معتذرا فى حقها :

حصانٌ رزانٌ ما تُزَنُّ بريبة * وتصبح غرثى من لحوم الغوافل
حليلة خير الناس دينا ومنصبا * نبىّ الهدى والمكرمات الفواضل
عقيلة حىّ من لؤىّ بن غالب * كرام المساعى ، مجدها غير زائل
مهذبة قد طيّب الله خيمها * وطهّرها من كلّ شين وباطل

* وبعض النسخ زيادة « ولقد حفته الملائكة فى بيتى » وهى زائدة من النسخ .

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ[(١)] حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟[(٢)] وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا[(٣)] ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ[(٤)] لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ[(٥)] ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ[(٦)] وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟[(٧)]

---

(١) أى بيوتا لستم تملكونها ولا تسكنونها .

(٢) أى تستأذنوا، عن ابن عباس رضى الله عنهما . وقد قرأ به . والاستئناس فى الأصل الاستعلام والاستكشاف ، استفعال من أنس الشىء إذا أبصره ظاهرا مكشوفا . أى حتّى تستعلموا أيطلق لكم الدخول أم لا . وذلك بتسبيحة أو بتكبيرة أو بتحميدة أو بتنحنح .

(٣) التسليم أن يقول : السلام عليكم، أأدخل؟ ثلاث مرات. فإن أذن له وإلّا رجع . وقيل إن تلاقيا يقدّم التسليم وإلّا فالاستئذان .

(٤) أى الاستئذان والتسليم (خير لكم) من تحيّة الجاهلية والدمور وهو الدخول بغير إذن، فكان الرجل من أهل الجاهلية إذا دخل بيت غيره يقول حيّيتم صباحا وحيّيتم مساء، ثمّ يدخل فربّمـا أصاب الرجل مع امرأته فى لحاف واحد .

(٥) أى قيل لكم هذا لكى تذكّروا وتتّعظوا وتعملوا ما أمرتم به فى باب الاستئذان .

(٦) (فإن لم تجدوا) فى البيوت (أحدا) من الآذنين (فلا تدخلوها حتّى يؤذن لكم) حتّى تجدوا من يأذن لكم. أو (فإن لم تجدوا فيها أحدا) من أهلها ولكم فيها حاجة (فلا تدخلوها) إلّا بإذن أهلها لأنّ التصرّف فى ملك الغير لا بدّ من أن يكون برضاه .

(٧) أى إذا كان فيها قوم فقالوا (ارجعوا فارجعوا) ولا تلحّوا فى إطلاق الإذن ولا تلجّوا فى تسهيل الحجاب ولا تقفوا على الأبواب لأنّ هذا ممّـا يجلب الكراهة . فإذا نهى عن ذلك لأدائه إلى الكراهة وجب الانتهاء عن كلّ ما يؤدّى إليهـا من قرع البـاب بعنف والتصييح بصاحب الدار وغير ذلك . وعن أبى عبيد : ما قرعت بابا على عالم قط .

هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ[١] وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ[٢] ۝ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَـٰعٌ لَّكُمْ[٣] وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ[٤] ۝ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ[٥] وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ[٦] ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ[٧] لَهُمْ[٨] إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ[٩] ۝

---

(١) أى الرجوع أطيب وأطهر لما فيه من سلامة الصدور والبعد عن الريبة . أو أنفع وأنمى خيرا .

(٢) وعيد للخاطبين بأنّه عالم بما يأتون وما يذرون مما خوطبوا به فموف جزاءه عليه .

(٣) (ليس عليكم جناح) فى (أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة) . استثنى من البيوت التى يجب الاستئذان على داخلها ما ليس بمسكون منها كالخانات والرُبُط وحوانيت التجّار . (فيها متاع لكم) أى منفعة كالاستكنان من الحر والبرد و إيواء الرحال والسلع والشراء والبيع . وقيل الخربات يتبرّز فيها . والمتاع التبرّز .

(٤) وعيد للذين يدخلون الخربات والدور الخالية من أهل الريبة .

(٥) (من) للتبعيض . والمراد غضّ البصر عمّا يحرم والاقتصار به على ما يحلّ . ويجوز النظر إلى وجه الأجنبية وكفّها وقدميها فى رواية ، وإلى رأس المحارم والصدر والساقين والعضدين .

(٦) (ويحفظوا فروجهم) عن الزنا. ولم يدخل "من" هنا لأن الزنا لا رخصة فيه بوجه.

(٧) أى غضّ البصر وحفظ الفرج .

(٨) أى أطهر من دنس الإثم .

(٩) فيه ترغيب وترهيب . يعنى أنّه (خبير) بأحوالهم وأفعالهم وكيف يجيلون أبصارهم (يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور) . فعليهم إذا عرفوا ذلك أن يكونوا منه على تقوى وحذر فى كلّ حركة وسكون .

وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ (١) وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ (٢) إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا (٣) وَلْيَضْرِبْنَ (٤) بِخُمُرِهِنَّ (٥) عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ (٦) وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ (٧) إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ (٨)

(١) أمرن بغضّ الأبصار فلا يحلّ للمرأة أن تنظر من الأجنبيّ إلى ما تحت سرّته إلى ركبتيه . وإن اشتهت غضّت بصرها رأسا ولا تنظر إلى المرأة إلّا إلى مثل ذلك . وغضّ بصرها من الأجانب أصلا أولى بها . وإنّما قدّم غضّ الأبصار على حفظ الفروج لأنّ النظر بريد الزنا ورائد الفجور ، فبذر الهوى طموح العين .

(٢) الزينة : ما تزينت به المرأة من حلى أوكحل أو خضاب . والمعنى ولا يظهرن مواضع الزينة إذ إظهار عين الزينة وهى الحلى ونحوها مباح . فالمراد بها مواضعها . أو إظهارها وهى فى مواضعها لإظهار مواضعها لا لإظهار أعيانها . ومواضعها الرأس والأذن والعنق والصدر والعضدان والذراع والساق فهى للإكليل والقرط والقلادة والوشاح والدملج والسوار والخلخال .

(٣) إلّا ما جرت العادة والجبلّة على ظهوره وهو الوجه والكفّان والقدمان ففى سترها حرج بيّن . فانّ المرأة لا تجد بدًّا من مزاولة الأشياء بيديها ومن الحاجة إلى كشف وجهها خصوصا فى الشهادة والمحاكمة والنكاح. وتضطرّ إلى المشى فى الطرقات وظهور قدميها وخاصّة الفقيرات منهنّ .

(٤) وليضعن من قولك ضربت بيدى على الحائط إذا وضعتها عليه .

(٥) جمع خمار .

(٦) بضم الجيم مدنىّ وبصرىّ وعاصم . كانت جيوبهنّ واسعة تبدو منها صدورهنّ وما حواليها وكنّ يسدلن الخمر من ورائهنّ فتبقى مكشوفة فأمرن بأن يسدلنها من قدّامهنّ حتّى تغطّينها .

(٧) أى مواضع الزينة الباطنة كالصدر والساق والرأس ونحوها .

(٨) لأزواجهن . جمع بعل .

أَوْ ءَابَآئِهِنَّ(١) أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ(٢) أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ(٣) أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ(٤) أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ(٥) أَوْ نِسَآئِهِنَّ(٦) أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ(٧) أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ(٨) أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ(٩) مِنَ ٱلرِّجَالِ(١٠) أَوِ ٱلطِّفْلِ(١١) ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ(١٢) وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ(١٣)

---

(١) ويدخل فيهم الأجداد .

(٢) فقد صاروا محارم .

(٣) ويدخل فيهم النوافل .

(٤) فقد صاروا محارم أيضا .

(٥) ويدخل فيهم النوافل وسائر المحارم كالأعمام والأخوال وغيرهم دلالة .

(٦) أى الحرائر لأنّ مطلق هذا اللفظ يتناول الحرائر .

(٧) أى إمائهنّ . ولا يحلّ لعبدها أن ينظر إلى هذه المواضع منها ، خصيًّا كان أو عنّينا أو فحلا . وقال سعيد بن المسيّب : لا تغرنّكم سورة النور فإنّها فى الإماء دون الذكور . وعن عائشة رضى الله عنها أنّها أباحت النظر إليها لعبدها .

(٨) بالنصب شامىّ ويزيد وأبو بكر على الاستثناء أو الحال . وغيرهم بالجرّ على البدل أو على الوصفيّة .

(٩) (غير أولى الإربة) الحاجة إلى النساء . قيل هم الذين يتبعونكم ليصيبوا من فضل طعامكم ولا حاجة لهم إلى النساء لأنّهم بله لا يعرفون شيئا من أمرهنّ ، أو شيوخ صلحاء ، أو العنّين ، أو الخصىّ أو المخنّث . وفى الأثر أنه المجبوب . والأوّل الوجه .

(١٠) حال .

(١١) هو جنس فصلح أن يراد به الجمع .

(١٢) أى لم يطّلعوا لعدم الشهوة . من ظهر على الشىء إذا اطّلع عليه . أو لم يبلغوا أوان القدرة على الوطء . من ظهر على فلان إذا قوى عليه .

(١٣) كانت المرأة تضرب الأرض برجليها إذا مشت لتسمع قعقعة خلخالها فيعلم أنّها ذات خلخال . فنهين عن ذلك إذ سماع صوت الزينة كإظهارها ومنه سمى صوت الحلىّ وسواسا .

وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ[1] ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ[2] ۝ وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ[3] إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ[4] وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ[5] عَلِيمٌ[6] ۝ وَلْيَسْتَعْفِفِ[7] ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا[8]

(١) (أَيُّهُ) شامى إتباعا للضمّة قبلها بعد حذف الألف لالتقاء الساكنين. وغيره على فتح الهاء لأنّ بعدها ألفا فى التقدير .

(٢) العبد لا يخلو عن سهو وتقصير فى أوامره ونواهيه وإن اجتهد . فلذا وصّى المؤمنين جميعا بالتوبة وبتأميل الفلاح إذا تابوا . وقيل أحوج الناس إلى التوبة من توهّم أنّه ليس له حاجة إلى التوبة . وظاهر الآية يدلّ على أنّ العصيان لا ينافى الإيمـان .

(٣) (وأنكحوا الأيامى منكم) — جمع أيّم وهو من لا زوج له رجلا كان أو امرأة ، بكرا كان أو ثيّبا . وأصله أيائم فقلبت — (والصالحين) أى الخيّرين أو المؤمنين . والمعنى زوّجوا من تأيّم منكم من الأحرار والحرائر ومن كان فيه صلاح (من عبادكم وإمائكم) أى من غلمانكم وجواريكم . والأمر للندب إذ النكاح مندوب إليه . قيل فى الآية دليل على أنّ تزويج النساء والأيامى إلى الأولياء كما أنّ تزويج العبيـد والإماء إلى الموالى . قلنا الرجل لا يلى على الرجل الأيمّ إلا بإذنه . فكذا لا يلى على المرأة إلا بإذنها لأنّ الأيّم ينتظمها .

(٤) (إن يكونوا فقراء) من المـال (يغنهم الله من فضله) بالكفاية والقناعة أو باجتماع الرزقين . وفى الحديث "التمسوا الرزق بالنكاح". وعن عمر رضى الله عنه روى مثله .

(٥) غنيّ ذو سعة لا يرزؤه إغناء الخلائق .

(٦) (يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) .

(٧) وليجتهدوا فى العفّة كأنّ المستعفّ طالب من نفسه العفاف .

(٨) استطاعة تزوّج من المهر والنفقة .

حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ [1] وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ [2] إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا [3] وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ [4]

(١) حتّى يقدرهم على المهر والنفقة . قال عليه الصلاة والسلام " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوّج فإنه أغضّ للبصر وأحصن للفرج . ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنّه له وجاء " فانظر كيف رتّب هـذه الأوامر فأمر أوّلا بمـا يعصم من الفتنة ويبعد عن مواقعة المعصية ، وهو غضّ البصر ، ثمّ بالنكاح المحصن للدين المغنى عن الحرام ، ثمّ بعزّة النفس الأمّارة بالسوء عن الطموح إلى الشهوة عند العجز عن النكاح إلى أن تقدر عليه .

(٢) أى المـماليك الذين يطلبون الكتابة . فالذين مرفوع بالابتداء ، أو منصوب بفعل يفسّره (فكاتبوهم) . وهو للندب. ودخلت الفـاء لتضمّنه معنى الشرط . والكتاب والمكاتبة كالعتاب والمعاتبة . وهو أن يقول لمملوكه : كاتبتك على ألف درهم . فإن أدّاها عتق . ومعناه كتبت لك على نفسى أن تعتـق منّى إذا وفيت بالمـال وكتبت لى على نفسك أن تفى بذلك أو كتبت عليـك الوفاء بالمـال وكتبت علىّ العتق . ويجوز حالّا ومؤجّلا ومنجّما وغير منجّم لإطلاق الأمر . سأل صبيح مولاه حويطبا أن يكاتبه فأبى فنزلت .

(٣) قدرة على الكسب أو أمانة وديانة. والندبيّة معلّقة بهذا الشرط .

(٤) أمر للمسلمين على وجه الوجوب بإعانة المكاتبين وإعطائهم سهمهم من الزكاة لقوله تعالى (وفى الرقاب) . وعند الشافعى رحمه الله معناه حطّوا من بدل الكتابة ربعا . وهذا عندنا على وجه الندب . والأوّل الوجه . لأنّ الإيتاء هو التمليك فلا يقع على الحطّ .

واعلم أنّ العبيد أربعة: قنّ مقتنى للخدمة، ومأذون فى التجارة، ومكاتب، وآبق . فمثال الأوّل ولىّ العزلة الذى حصّل العزلة بإيثار الخلوة وترك العشرة . والثانى ولىّ العشيرة فهو نجىّ الحضرة يخالط الناس للخبرة وينظر إليهم بالعبرة ويأمرهم بالعبرة فهو خليفة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يحكم بحكم الله ويأخذ لله ويعطى فى الله ويفهم عن الله ويتكلّم مع الله . فالدنيا سوق تجارته والعقل رأس بضاعته والعدل فى الغضب والرضا ميزانه والقصد فى الفقر والغنى

وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ[1] إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا[2]

عنوانه ، والعلم مفزعه ومنحاه والقرآن كاتب الإذن من مولاه ، هو كائن فى الناس بظواهره بائن منهم بسرائره ، فقد هجرهم فيما له عليهم فى الله باطنا ثم وصلهم فيما لهم عليه لله ظاهرا .

وما هو منهمو بالعيش فيهم ✻ ولكن معدن الذهب الرغام

يأكل ما يأكلون ويشرب ما يشربون وما يدريهـم أنه ضيف الله يرى السموات والأرض قائمـات بأمره وكأنه قيل فيه :

فإن تفق الأنام وأنت منهم ✻ فإن المسك بعض دم الغزال

فحال ولىّ العزلة أصفى وأحلى ، وحال ولىّ العشرة أوفى وأعلى . ونزل الأوّل من الثـانى فى حضرة الرحمن منزلة النديم من الوزير عند السلطان . أما النبىّ عليه الصلاة والسلام فهو كريم الطرفين ومعـدن الشذرين ومجمع الحالين ومنبع الزلالين ، فباطن أحواله مهتدى ولىّ العزلة وظاهر أعماله مقتدى ولىّ العشرة . والثالث المجاهد المحاسب العامل المطالب بالضرائب كنجوم المكاتب عليه فى اليوم والليلة خمس وفى المـائتى درهم خمسة وفى السنة شهر وفى العمر زورة؛ فكأنّه اشترى نفسه من ربّه بهذه النجوم المرتّبة فيسعى فى فكاك رقبته خوفا من البقاء فى ربقة العبـوديّة وطمعا فى فتح باب الحريّة ليسرح فى رياض الجنّـة فيتمتّع بمياه ويفعل ما يشاؤه ويهواه . والرابع الأبّاق فمـا أكثرهم، فمنهم القاضى الجائر والعالم غير العامل والعامل المرائى والواعظ الذى لا يفعل ما يقول ويكون أكثر أقواله الفضول ، وعلى كلّ مالا ينفعه يصول، فضلا عن السارق والزانى والغاصب. فعنهم أخبر النبىّ عليه الصلاة والسلام "إنّ الله لينصر هذا الدين بقوم لا خلاق لهم فى الآخرة" .

(١) كان لابن أبىّ ستّ جوار: معاذة ومسيكة وأميمة وعمرة وأروى وقتيلة يكرههنّ على البغاء وضرب عليهن الضرائب فشكت اثنتان منهنّ إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام فنزلت. ويكنى بالفتى والفتاة عن العبد والأمة . والبغاء الزنا للنساء خاصّة . وهو مصدر لبغت .

(٢) تعفّفا عن الزنا. وإنّمـا قيده بهذا الشرط لأنّ الإكراه لايكون إلّا مع إرادة التحصّن. فأمر المطيعة للبغـاء لا يسمّى مكرها ولا أمره إكراها . ولأنّها نزلت على سبب فوقع النهى على تلك الصفة . وفيه توبيخ للموالى . أى إذا رغبن فى التحصّن فأنتم أحق بذلك .

لِّتَبْتَغُواْ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا[1] وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ[2] ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ[3] وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمْ[4] وَمَوْعِظَةً[5] لِّلْمُتَّقِينَ[6] ﴿٣٤﴾ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ[7]

---

(١) أى (لتبتغوا) بإكراههنّ على الزنا أجورهنّ وأولادهن .

(٢) أى لهنّ . وفى مصحف ابن مسعود كذلك. وكان الحسن يقول لهنّ والله لهنّ والله. ولعل الإكراه كان دون ما اعتبرته الشريعة وهو الذى يخاف منه التلف فكانت آثمة . أو لهم إذا تابوا .

(٣) بفتح الياء حجازىّ وبصرىّ وأبو بكر وحماد. والمراد الآيات التى بُيِّنت فى هذه السورة وأوضحت فى معانى الأحكام والحدود . وجاز أن يكون الأصل مبيَّنًا فيها فاتّسع فى الظرف أى أجرى مجرى المفعول به كقوله « ويوم شهدناه ». وبكسرها غيرهم أى بيَّنت هى الأحكام والحدود. جعل الفعل لها مجازا. أو من بيّن بمعنى تبيّن ومنه المثل « قد بيّن الصبح لذى عينين .

(٤) (ومثلا) من أمثال من قبلكم. أى قصّة عجيبة من قصصهم كقصّة يوسف ومريم. يعنى قصّة عائشة رضى الله عنها .

(٥) ما وعظ به من الآيات والمثل من نحو قوله تعالى (ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله). (لولا إذ سمعتموه) . (ولولا إذ سمعتموه) . (يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا) .

(٦) أى هم المنفعون بهـا وإن كانت موعظة للكلّ .

(٧) نظير قوله (الله نور السموات والأرض) مع قوله (مثل نوره) و (يهدى الله لنوره)، قولك : زيد كرم وجود . ثمّ تقول: ينعش الناس بكرمه وجوده . والمعنى ذو نور السموات . ونور السموات والأرض الحق . شبّهه بالنور فى ظهوره وبيانه كقوله (الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور) أى من الباطل إلى الحقّ . وأضاف النور إليهما للدلالة على سعة إشراقه وفشوّ إضاءته حتّى تضىء له السموات والأرض. وجاز أنّ المراد أهل السموات والأرض وأنّهم يستضيئون به .

مَثَلُ نُورِهِۦ[1] كَمِشْكَوٰةٍ[2] فِيهَا مِصْبَاحٌ[3] ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ[4] ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ[5] يُوقَدُ[6] مِن شَجَرَةٍ[7] مُّبَٰرَكَةٍ[8] زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ[9] يَكَادُ زَيْتُهَا[10] يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ[11] نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ[12]

---

(١) أى صفة نوره العجيبة الشأن فى الإضاءة . وقال ابن عباس رضى الله عنه : (مثل نوره) أى نور الله الذى هدى به المؤمن . وقرأ ابن مسعود رحمه الله (مثل نوره فى قلب المؤمن كمشكاة) . وقرأ أبىّ (مثل نور المؤمن) .

(٢) كصفة مشكاة . وهى الكوة فى الجدار غير النافذة .

(٣) أى سراج ضخم ثاقب .

(٤) فى قنديل من زجاج. شامىّ بكسر الزاى.

(٥) مضىء بضم الدال وتشديد الياء منسوب إلى الدرّ لفرط ضيائه وصفائه . وبالكسر والهمزة عمرو وعلىّ. كأنّه يدرأ الظلام بضوئه . وبالضم والهمزة أبو بكر وحمزة . شبّه فى زهرته بأحد الكواكب الدرارى كالمشترى والزهرة ونحوهما .

(٦) (تُوقَدُ) بالتخفيف حمزة وعلىّ وأبو بكر، الزجاجة. و(يُوقَدُ) بالتخفيف شامىّ ونافع وحفص و (تَوَقَّدَ) بالتشديد مكىّ و بصرىّ ، أى هذا المصباح .

(٧) أى ابتدأ ثقوبه من شجرة الزيتون ، يعنى رويت ذبالته بزيتها .

(٨) كثيرة المنافع . أو لأنّها نبتت فى الأرض التى بورك فيها للعالمين . وقيل بارك فيها سبعون نبيّا منهم إبراهيم عليه السلام .

(٩) (زيتونة) بدل من شجرة نعتها (لا شرقية ولا غربية) ، أى منبتها الشام . يعنى ليست من المشرق ولا من المغرب بل فى الوسط منهما وهو الشام . وأجود الزيتون زيتون الشام . وقيل ليست ممّا تطلع عليه الشمس فى وقت شروقها أو غروبها فقط ، بل تصيبها بالغداة والعشىّ جميعا فهى شرقيّة وغربيّة .

(١٠) دهنها .

(١١) وصف الزيت بالصفاء والوميض وأنّه لتلألئه يكاد يضىء من غير نار .

(١٢) أى هذا النور الذى شبّه به الحقّ نور متضاعف قد تناصر فيه المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت حتّى لم تبق بقيّة مما يقوّى النور وهذا لأنّ المصباح إذا كان فى مكان

يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ[1] وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ[2] وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ[3] ﴿٣٥﴾ فِى بُيُوتٍ[4] أَذِنَ ٱللَّهُ[5] أَن تُرْفَعَ[6] وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ[7]

متضايق كالمشكاة كان أجمع لنوره بخلاف المكان الواسع فإنّ الضوء ينتشر فيــه . والقنديل ، أعون شيء على زيادة الإنارة . وكذلك الزيت وصفاؤه . وضرب المثل يكون بدنيء محسوس معهود لا يعلّ غير معاين ولا مشهود . فأبو تمام لمّا قال فى المـأمون :

إقدام عمرو فى سمـاحة حاتم * فى حلم أحنف فى ذكاء إياس

قيل له إنّ الخليفة فوق من مثّلته بهم فقال مرتجلا :

لا تنكروا ضربى له من دونه * مثلا شرودا فى الندى والباس

فالله قد ضرب الأقلّ لنوره * مثلا من المشكاة والنبراس

(١) (يهدى الله لنوره) أى لهذا النور الثاقب (من يشاء) من عباده ، أى يوفّق لإصابة الحقّ من يشاء من عباده بإلهـام من الله أو بنظره فى الدليل .

(٢) (ويضرب الله الأمثال للناس) تقريبا إلى أفهامهم ليعتبروا فيؤمنوا .

(٣) فيبيّن كلّ شيء بما يمكن أن يعلم به .

(٤) يتعلّق بمشكاة ، أى كمشكاة فى بعض بيوت الله وهى المساجد . كأنّه قيل (مثل نوره) كما يرى فى المسجد نور المشكاة التى من صفتها كيت وكيت . أو بتوقد أى توقد فى بيوت أو بيسبّح أى يسبّح له رجال فى بيوت . و (فيها) تكرير فيه توكيد نحو زيد فى الدار جالس فيها . أو بمحذوف أى سبّحوا فى بيوت .

(٥) أى أمر .

(٦) تبنى ، كقوله : (بناها رفع سمكها فسوّاها) . (وإذ يرفع إبراهيم القواعد) . أو تعظّم من الرفعة . وعن الحسن : ما أمر الله أن ترفع بالبناء ولكن بالتعظيم .

(٧) يتلى فيها كتابه . أو هو عامّ فى كلّ ذكر .

يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ (١) وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ (٢) وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ (٣) يَخَافُونَ يَوْمًا (٤) تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ (٥) ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ (٦)

---

(١) أى يصلّى له فيها بالغـداة صـلاة الفجر، وبالآصال صـلاة الظهر والعصر والعشاءين ـــ و إنما وحّد الغدوّ لأن صلاته صلاة واحدة وفى الآصال صلوات . والآصال جمع أُصُل جمع أصيل وهو العشيّ ـــ (رجال) فاعل (يسبّح) . (يسبّح) شامىّ وأبو بكر و يسند إلى أحد الظروف الثلاثة، أعنى (له فيها بالغدوّ) . و (رجال) مرفوع بما دلّ عليه (يسبح) أى يسبّح له (رجال) لا تشغلهم (تجارة) فى السفر (ولا بيع) فى الحضر (عن ذكر الله) باللسان والقلب . وقيل التجارة : الشراء إطلاقا لاسم الجنس على النوع . أو خصّ البيع بعد ما عمّ لأنّه أوغل فى الإلهاء من الشراء لأنّ الربح فى البيعة الرابحة متيقن وفى الشراء مظنون .

(٢) أى وعن إقامة الصلاة. التاء فى إقامة عوض من العين الساقطة للإعلال . والأصل إقوام . فلمّا قلبت الواو ألفا اجتمع ألفان فحذفت إحداهما لالتقاء الساكنين فأدخلت التاء عوضا عن المحذوف . فلمّا أضيفت أقيمت الإضافة مقام التاء فأسقطت .

(٣) أى وعن إيتاء الزكاة .

والمعنى لا تجارة لهم حتى تلهيهم كأوليـاء العزلة . أو يبيعون ويشترون ويذكرون الله مع ذلك . و إذا حضرت الصلاة قاموا إليها غير متثاقلين كأولياء العشرة .

(٤) أى يوم القيامة . و (يخافون) حال من الضمير فى (تلهيهم) . أو صفة أخرى لرجال .

(٥) (تتقلّب فيـه القلوب) ببلوغها إلى الحناجر (والأبصار) بالشخوص والزرقة . أو تتقلّب القلوب إلى الإيمـان بعد الكفران ، والأبصار إلى العيان بعد إنكاره للطغيان . كقوله (فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) .

(٦) أى يسبّحون ويخافون (ليجزيهم الله أحسن) جزاء أعمالهم ، أى ليجزيهم ثوابهم مضاعفا (ويزيدهم) على الثواب الموعود على العمل تفضّلا .

وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (١) ۝ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍ (٢) بِقِيعَةٍ (٣) يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ (٤) مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ (٥) لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا (٦) وَوَجَدَ ٱللَّهَ (٧) عِندَهُۥ (٨) فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ (٩) وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ (١٠) ۝ أَوْ (١١) كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ (١٢)

(١) أى يثيب من يشاء ثوابا لا يدخل فى حساب الخلق .

هذه صفات المهتدين بنور الله . فأما الذين ضلّوا عنه فالمذكورون فى قوله(والذين كفروا).

(٢) هو ما يرى فى الفلاة من ضوء الشمس وقت الظهر يسرُب على وجه الأرض كأنّه ماء يجرى .

(٣) بقاع . أو جمع قاع . وهو المنبسط المستوى من الأرض بكثرة فى جار .

(٤) يظنّه العطشان .

(٥) أى جاء إلى ما توهّم أنه ماء .

(٦) (لم يجده شيئا) كما ظنّه .

(٧) أى جزاء الله كقوله (يجد الله غفورا رحيما) أى يجد مغفرته ورحمته .

(٨) عند الكافر .

(٩) أى أعطاه جزاء عمله وافيا كاملا . وحد بعد تقدّم الجمع حملا على كلّ واحد من الكفّار .

(١٠) لأنّه لا يحتاج الى عدّ وعقد ولا يشغله حساب عن حساب . أو قريب حسابه لأنّ ما هو آت قريب .

شبّه ما يعمله من لا يعتقد الإيمان ولا يتّبع الحقّ من الأعمال الصالحة التى يحسبها تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه ثم يخيب فى العاقبة أمله ويلقى خلاف ما قدّر ، بسراب يراه الكافر بالساهرة وقد غلبه عطش يوم القيامة فيحسبه ماء فيأتيه فلا يجد وما رجاه يجد زبانية (الله عنده) يأخذونه فيعتلونه إلى جهنّم فيسقونه الحميم والغسّاق. وهم الذين قال الله فيهم (عاملة ناصبة) . (وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعا) . قيل نزلت فى عتبة بن ربيعة ابن أميّة كان يترهّب ملتمسا للدين فى الجاهلية فلمّا جاء الإسلام كفر .

(١١) (أو) هنا كأوفى (أو كصيّب) .

(١٢) عميق كثير الماء منسوب إلى اللّج وهو معظم ماء البحر .

يَغْشَىٰهُ(١) مَوْجٌ(٢) مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ(٣) مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ(٤) ظُلُمَٰتٌۢ(٥) بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ(٦) إِذَآ أَخْرَجَ(٧) يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا(٨) وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ(٩) ۝ أَلَمْ تَرَ(١٠) أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ(١١) وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ(١٢)

---

(١) يغشى البحر أو من فيه أى يعلوه ويغطيه .

(٢) هو ما ارتفع من الماء .

(٣) أى من فوق الموج موج آخر .

(٤) من فوق الموج الأعلى سحاب .

(٥) أى هذه ظلمات: ظلمة السحاب وظلمة الموج وظلمة البحر .

(٦) ظلمة الموج على ظلمة البحر، وظلمة الموج على الموج، وظلمة السحاب على الموج.

(٧) أى الواقع فيه .

(٨) مبالغة فى لم يرها أى لم يقرب أن يراها فضلا عن أن يراها .

شبّه أعمالهم أولا فى فوات نفعها وحضور ضررها بسراب لم يجده من خدعه من بعيد شيئا . ولم يكفه خيبة وكدا أن لم يجد شيئا كغيره من السراب حتى وجد عنده الزبانية تعتله إلى النار . وشبّهها ثانيا فى ظلمتها وسوادها لكونها باطلة وفى خلوها عن نور الحقّ بظلمات متراكمة من لجّ البحر والأمواج والسحاب .

(٩) من لم يهده الله لم يهتد . عن الزجاج فى الحديث: "خلق الله الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضلّ" .

(١٠) ألم تعلم يا محمد علما يقوم مقام العيان فى الإيقان (أن الله يسبّح له من فى السموات والأرض) .

(١١) عطف على (من) .

(١٢) حال من (الطير) أى يصففن أجنحتهن فى الهواء .

كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ[1] وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ[2] ۝ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ[3] وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ[4] ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ[5] ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا[6] فَتَرَى ٱلْوَدْقَ[7] يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ[8] وَيُنَزِّلُ[9] مِنَ ٱلسَّمَآءِ[10] مِن جِبَالٍ فِيهَا[11] مِنۢ بَرَدٍ[12] فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ[13]

(1) الضمير فى (علم) لكلّ أو لله . وكذا فى (صلاته وتسبيحه) . والصلاة الدعاء . ولم يبعد أن يلهم الله الطير دعاءه وتسبيحه كما ألهمها سائر العلوم الدقيقة التى لا يكاد العقلاء يهتدون إليها .

(2) لا يعزب عن علمه شىء .

(3) لأنّه خالقهما . ومن ملك شيئاً فبتمليكه إيّاه .

(4) مرجع الكلّ .

(5) يسوق إلى حيث يريد (سحابا) . جمع سحابة . دليله (ثمّ يؤلف بينه) — وتذكيره للفظ — أى يضمّ بعضه إلى بعض .

(6) متراكما بعضه فوق بعض .

(7) المطر .

(8) من فتوقه ومخارجه ، جمع خلل كجبال فى جبل .

(9) (وينْزل) مكىّ ومدنىّ وبصرىّ .

(10) (من) لابتداء الغاية لأنّ ابتداء الإنزال من السماء .

(11) (من) للتبعيض لأنّ ما ينزله الله بعض تلك الجبال التى فى السماء .

(12) (من) للبيان .

أو الأوليان للابتداء والآخرة للتبعيض . ومعناه أنّه ينزل البرد من السماء من جبال فيها . وعلى الأوّل مفعول ينزّل (من جبال) أى بعض (جبال فيها) . ومعنى (من جبال فيها من برد) أن يخلق الله فى السماء جبال برد كما خلق فى الأرض جبال حجر . أو يريد الكثرة بذكر الجبال كما يقال : فلان يملك جبالا من ذهب .

(13) (فيصيب به) بالبرد (من يشاء) أى يصيب الإنسان وزرعه (و يصرفه عمّن يشاء) فلا يصيبه . أو يعذّب به من يشاء و يصرفه عمّن يشاء فلا يعذّبه .

يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ

(١) ضوئه .

(٢) يخطفها . (يذهب) يزيد على زيادة البـاء .

(٣) يصرفهما فى الاختلاف طولا وقصرا ، والتعاقب .

(٤) فى إزجاء السحاب وإنزال الودق والبرد وتقلّب الليل والنهار .

(٥) لذوى العقول .

وهذا من تعديد الدلائل على ربوبيّته حيث ذكر تسبيح من فى السموات والأرض وما يطير بينهما ودعاءهم له وتسخير السحاب الى آخر ما ذكر . فهى براهين لائحة على وجوده ، ودلائل واضحة على صفاته لمن نظر وتدبّر . ثم بيّن دليلا آخر فقال تعالى (والله خلق كلّ دابّة من ماء) .

(٦) (والله خالق) — حمزة وعلىّ — (كلّ دابّة) كلّ حيوان يدبّ على وجه الأرض (من ماء) أى من نوع من المـاء مختصّ بتلك الدابّة ، أو من ماء مخصـوص وهو النطفة . ثمّ خالف بين المخلوقات من النطفة ، فمنها هوامّ ومنها بهائم ومنها أناسىّ . وهو كقوله (يسقى بماء واحد ونفضّل بعضها على بعض فى الأكل) . وهذا دليل على أنّ لهـا خالقا ومدبّرا وإلّا لم تختلف لاتّفاق الأصل . وإنّما عرّف المـاء فى قوله (وجعلنا من المـاء كلّ شىء حىّ) لأنّ ثمّ المقصود أنّ أجناس الحيوان مخلوقة من جنس المـاء وأنّه هو الأصل وإن تخلّلت بينه وبينها وسائط . قالوا إنّ أوّل ما خلق الله المـاء فخلق منه النار والريح والطين ، فخلق من النار الجنّ ، ومن الريح الملائكة ، ومن الطين آدم ودوابّ الأرض .

(٧) لمـّا كانت الدابّة تشمل المميّز وغير المميّز غلّب المميّز فأعطى ما وراءه حكمه كأنّ الدوابّ كلّهم مميّزون . فمن ثمّ قيل (فمنهم من يمشى على بطنه) كالحيّة والحوت — سمّى الزحف على البطن مشيا استعارة كما يقـال فى الأمر المستمرّ قد مشى هـذا الأمر . أو على طرائق المشاكلة لذكر الزاحف مع المـاشين — (ومنهم من يمشى على رجلين) كالإنسان والطير . (ومنهم من يمشى على أربع) كالبهائم . وقدّم ما هو أعرق فى القدرة وهو المـاشى بغير آلة مشى من أرجل أو غيرها ، ثم المـاشى على رجلين ، ثمّ المـاشى على أربع .

يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ(١) إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ(٢) ﴿٤٥﴾ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ(٣) ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ(٤) وَأَطَعْنَا(٥) ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ(٦) فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ(٧) وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ(٨) ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ(٩) ﴿٤٨﴾

(١) (يخلق الله ما يشاء) كيف يشاء .

(٢) لا يتعذّر عليه شيء .

(٣) (والله يهدى من يشاء) بلطفه ومشيئته (إلى صراط مستقيم) إلى دين الإسلام الذى يوصل إلى جنته . والآيات لإلزام حجته .

لمّا ذكر إنزال الآيات ذكر بعدها افتراق الناس إلى ثلاث فرق : فرقة صدّقت ظاهرا وكذّبت باطنا وهم المنافقون، وفرقة صدّقت ظاهرا وباطنا وهم المخلصون، وفرقة كذّبت ظاهرا وباطنا وهم الكافرون على هذا الترتيب . وبدأ بالمنافقين فقال (ويقولون آمنّا) .

(٤) (ويقولون) بألسنتهم .

(٥) (وأطعنا) الله والرسول .

(٦) يعرض عن الانقياد لحكم الله ورسوله .

(٧) أى من بعد قولهم (آمنا بالله وبالرسول وأطعنا) .

(٨) أى المخلصين . وهو إشارة إلى القائلين آمنا وأطعنا ، لا إلى الفريق المتولّى وحده. وفيه إعلام من الله بأنّ جميعهم منتف عنهم الإيمان لاعتقادهم ما يعتقد هؤلاء . والإعراض وإن كان من بعضهم فالرضا بالإعراض من كلّهم .

(٩) (وإذا دعوا إلى الله ورسوله) — أى إلى رسول الله كقولك: أعجبنى زيد وكرمه تريد كرم زيد — (ليحكم) الرسول (بينهم، إذا فريق منهم معرضون) أى فاجأ من فريق منهم الإعراض . نزلت فى بشر المنافق وخصمه اليهودىّ حين اختصما فى أرض فجعل اليهودىّ يجره إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم والمنافق إلى كعب بن الأشرف ويقول إنّ محمدا يحيف علينا .

وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ۝ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ۝ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا

---

(١) أى إذا كان الحقّ لهم على غيرهم .

(٢) (يأتوا إليه) إلى الرسول (مذعنين) حال . أى مسرعين فى الطاعة طلبا لحقّهم لا رضا بحكم رسولهم . قال الزجاج : الإذعان الإسراع مع الطاعة .

والمعنى أنّهم لمعرفتهم أنّه ليس معك إلّا الحقّ المرّ والعدل البحت يمتنعون عن المحاكمة إليك إذا ركبهم الحقّ لئلا تنتزعه من أحداقهم بقضائك عليهم لخصومهم ، وإن ثبت لهم حقّ على خصم أسرعوا إليك ولم يرضوا إلّا بحكومتك لتأخذ لهم ما وجب لهم فى ذمّة الخصم .

(٣) قسّم الأمر فى صدودهم عن حكومته إذا كان الحقّ عليهم بأن يكونوا مرضى القلوب منافقين ، أو مرتابين فى أمر نبوّته ، أو خائفين الحيف فى قضائه . ثمّ أبطل خوفهم حيفه بقوله (بل أولئك هم الظالمون) أى لايخافون أن يحيف عليهم لمعرفتهم بحاله . وإنّما هم ظالمون . يريدون أن يظلموا من له الحقّ عليهم . وذلك شىء لا يستطيعونه فى مجلس رسول الله عليه الصلاة والسلام . فمن ثمّ يأبون المحاكمة إليه .

(٤) وعن الحسن (قول) بالرفع . والنصب أقوى لأن أولى الاسمين بكونه اسما لكان أوغلهما فى التعريف . و (أن يقولوا) أوغل بخلاف (قول المؤمنين) .

(٥) (ليحكم) النبيّ عليه الصلاة والسلام (بينهم) بحكم الله الذى أنزل عليه . (لُيحكَم) ، أى ليفعل الحكم .

(٦) (سمعنا) قوله .

وَأَطَعْنَا[1] وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ[2] ۝ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ[3] ۝ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ[4] لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ[5] قُل لَّا تُقْسِمُوا۟[6] طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ[7] إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ[8] ۝

(١) (وأطعنا) أمره .

(٢) الفائزون .

(٣) (ومن يطع الله) فى فرائضه (ورسوله) فى سننه (ويخش الله) على ما مضى من ذنوبه (ويتّقه) فيما يستقبل (فأولئك هم الفائزون) . وعن بعض الملوك أنّه سأل عن آية كافية فتليت له هذه الآية وهى جامعة لأسباب الفوز . (ويتقه) بسكون الهاء أبو عمرو وأبو بكر بنية الوقف . وبسكون القاف وبكسر الهاء مختلسة حفص ، وبكسر القاف والهاء غيرهم .

(٤) أى حلف المنافقون بالله جهد ايمن لأنّهم بذلوا فيها جهودهم . وجهد يمينه مستعار من جهد نفسه إذا بلغ أقصى وسعها . وذلك إذا بالغ فى اليمين وبلغ غاية شدّتها ووكادتها . وعن ابن عباس رضى الله عنهما من قال بالله فقد جهد يمينه . وأصل أقسم جهد اليمين أقسم يجهد اليمين جهداً فحذف الفعل وقدّم المصدر فوضع موضعه مضافاً إلى المفعول كقوله (فضرب الرقاب) . وحكم هذا المنصوب حكم الحال كأنّه قال جاهدين أيمانهم .

(٥) أى لئن أمرتا محمّد بالخروج إلى الغزو لغزونا ، أو بالخروج من ديارنا لخرجنا .

(٦) لا تحلفوا كاذبين لأنّه معصية .

(٧) (طاعة معروفة) أمثل وأولى بكم من هذه الأيمان الكاذبة . مبتدأ محذوف الخبر ، أو خبر مبتدأ محذوف أى الذى يطلب منكم (طاعة معروفة) معلومة لا يشكّ فيها ولا يرتاب كطاعة الخلّص من المؤمنين لا أيمان تقسمون بها بأفواهكم وقلوبكم على خلافها .

(٨) يعلم ما فى ضمائركم ولا يخفى عليه شىء من سرائركم وإنه فاضحكم لا محالة ومجازيكم على نفاقكم .

قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ[(١)] فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ[(٢)] وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟[(٣)] وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ[(٤)] ﴿٥٤﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ[(٥)] وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ[(٦)] كَمَا ٱسْتَخْلَفَ[(٧)]

---

(١) صرف الكلام عن الغيبة إلى الخطاب على طريق الالتفات . وهو أبلغ فى تبكيتهم .

(٢) يريد فإن تتولّوا فما ضررتموه وإنما ضررتم أنفسكم فإنّ الرسول ليس عليه إلّا ما حمّله الله تعالى وكلّفه من أداء الرسالة . فإذا أدّى فقد خرج عن عهدة تكليفه . وأمّا أنتم فعليكم ما كلّفتم من التلقّى بالقبول والإذعان . فإن لم تفعلوا وتولّيتم فقد عرّضتم نفوسكم لسخط الله وعذابه .

(٣) أى وإن أطعتموه فيما يأمركم وينهاكم فقد أحرزتم نصيبكم من الهدى . فالضرر والنفع عائدان إليكم .

(٤) (وما على الرسول إلّا) أن يبلغ ، ماله نفع فى قبولكم ولا عليه ضرر فى تولّيكم . و(البلاغ) بمعنى التبليغ كالأداء بمعنى التأدية . و (المبين) الظاهر لكونه مقرونا بالآيات والمعجزات . ثمّ ذكر المخلصين فقال (وعد الله الذين آمنوا) .

(٥) الخطاب للنبىّ عليه الصلاة والسلام ولمن معه . و(منكم) للبيان . وقيل المراد به المهاجرون . ومن للتبعيض .

(٦) أى أرض الكفّار . وقيل أرض المدينة . والصحيح أنه عامّ لقوله عليه الصلاة والسلام " ليدخلنّ هذا الدين على ما دخل عليه الليل " .

والقسم المتلقّى باللام والنون فى (ليستخلفنّهم) محذوف تقديره وعدهم الله وأقسم (ليستخلفنّهم) . أو نزّل وعد الله فى تحقّقه منزلة القسم فتلقّى بما يتلقّى به القسم كأنّه قيل أقسم الله (ليستخلفنّهم) .

(٧) (استُخلِف) أبو بكر .

ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنًا[1] يَعۡبُدُونَنِى[2] لَا يُشۡرِكُونَ بِى شَيۡـًٔا[3] وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ[4] فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَـٰسِقُونَ[5] ۝ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ[6] وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ[7]

(١) (وليبْدلنهم) بالتخفيف مكّىّ وأبو بكر (من بعد خوفهم أمنا).

وعدهم الله أن ينصر الإسلام على الكفر ويورثهم الأرض ويجعلهم فيها خلفاء كما فعل ببنى إسرائيل حين أورثهم مصر والشام بعد إهلاك الجبابرة، وأن يمكّن الدين المرتضى وهو دين الإسلام — وتمكينه تثبيته وتوطيده — وأن يؤمّن سربهم ويزيل عنهم الخوف الذى كانوا عليه. وذلك أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه مكثوا بمكّة عشر سنين خائفين. ولمّا هاجروا كانوا بالمدينة يصبحون فى السلاح ويمسون فيه حتّى قال رجل ما يأتى علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح. فنزلت. فقال عليه الصلاة والسلام "لا تغبرون إلّا يسيرا حتّى يجلس الرجل منكم فى الملأ العظيم محتبيا ليس معه حديدة". فأنجز الله وعده وأظهرهم على جزيرة العرب وافتتحوا أبعد بلاد المشرق والمغرب ومزّقوا ملك الأكاسرة وملكوا خزائنهم واستولوا على الدنيا.

(٢) إن جعلته استئنافا فلا محلّ له. كأنّه قيل مالهم يستخلفون ويؤمنون؟ فقال (يعبدوننى). وإن جعلته حالا عن (وعد) — أى وعدهم الله ذلك فى حال عبادتهم — فمحلّه النصب.

(٣) حال من فاعل يعبدون أى (يعبدوننى) موحّدين. ويجوز أن يكون حالا بدلا من الحال الأولى.

(٤) أى بعد الوعد. والمراد كفران النعمة كقوله تعالى (فكفرت بأنعم الله).

(٥) هم الكاملون فى فسقهم حيث كفروا تلك النعمة الجسيمة وجسروا على غمطها. قالوا أوّل من كفر هذه النعمة قتلة عثمان رضى الله عنه فاقتتلوا بعد ما كانوا إخوانا وزال عنهم الخوف. والآية أوضح دليل على صحّة خلافة الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم أجمعين لأنّ المستخلَفين الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم هم.

(٦) معطوف على (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) ولا يضرّ الفصل وإن طال.

(٧) (وأطيعوا الرسول) فيما يدعوكم إليه. وكرّرت طاعة الرسول تأكيدا لوجوبها.

لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١) ۞ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ (٢) وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ (٣) وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ (٤) ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ (٥) وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ (٦) ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ (٧) ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ (٨) لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم

(١) أى لكى ترحموا فانّها من مستجلبات الرحمة .

ثمّ ذكر الكافرين فقال (لا تحسبنّ الذين كفروا معجزين) .

(٢) أى فائتين الله بألّا يقدر عليهم فيها . فالتاء خطاب للنبىّ عليه الصلاة والسلام وهو الفاعل والمفعولان (الذين كفروا) و (معجزين) . و بالياء شامىّ وحمزة .والفاعل النبىّ صلّى الله عليه وسلّم لتقدّم ذكره والمفعولان (الذين كفروا) و (معجزين) .

(٣) معطوف على (لا تحسبنّ الذين كفروا معجزين)، كأنّه قيل الذين كفروا لا يفوتون الله (ومأواهم النار) .

(٤) (ولبئس المصير) أى المرجع ، النار .

(٥) أمر بأن يستأذن العبيد والإماء .

(٦) أى الأطفال الذين لم يحتلموا من الأحرار . وقرئ بسكون اللام تخفيفا .

(٧) (ثلاث مرات) فى اليوم والليلة، وهى (من قبل صلاة الفجر) لأنّه وقت القيام من المضاجع وطرح ماينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة، (وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة) وهى نصف النهار فى القيظ لأنّها وقت وضع الثياب للقيلولة ، (ومن بعد صلاة العشاء) لأنّه وقت التجرّد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم .

(٨) أى هى أوقات ثلاث عورات . فحذف المبتدأ والمضاف . وبالنصب كوفىّ غير حفص بدلا من (ثلاث مرات) أى أوقات ثلاث عورات. وسمّى كلّ واحد من هذه الأحوال عورة لأنّ الإنسان يختلّ تستره فيها . والعورة الخلل ومنها الأعور المختلّ العين. دخل غلام

بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ[1] كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ[2] وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ[3] ﴿٥٨﴾
وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ[4] ٱلْحُلُمَ[5] فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ[6]

من الأنصار يقال له مدلج بن عمرو على عمر رضى الله عنه وقت الظهيرة وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه . فقـال عمر رضى الله عنه : وددت أنّ الله نهى عن الدخول فى هذه الساعات إلّا بالإذن . فانطلق إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وقد نزلت عليه الآية .

ثمّ عذرهم فى ترك الاستئذان وراء هذه المرّات بقوله (ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهنّ) أى لا إثم عليكم ولا على المذكورين فى الدخول بغير استئذان بعدهنّ . ثمّ بيّن العـلّة فى ترك الاستئذان وراء هذه الأوقات بقوله (طوّافون عليكم) أى هم طوّافون بحوائج البيت .

(١) (بعضكم) مبتدأ خبره (على بعض). تقديره (بعضكم) طائف (على بعض). فحذف طائف لدلالة (طوّافون) عليه. ويجوز أن تكون الجملة بدلا من التى قبلها . وأن تكون مبيّنة مؤكّدة . يعنى أنّ بكم وبهم حاجة إلى المخالطة والمداخلة يطوفون عليكم للخدمة وتطوفون عليهم للاستخدام . فلو جزم الأمر بالاستئذان فى كلّ وقت لأفضى إلى الحرج وهو مدفوع فى الشرع بالنصّ .

(٢) أى كما بيّن حكم الاستئذان يبيّن لكم غيره من الآيات التى احتجتم إلى بيانها .

(٣) (والله عليم) بمصالح عباده (حكيم) فى بيان مراده .

(٤) أى الأحرار دون المـاليك .

(٥) أى الاحتلام .

(٦) أى إذا بلغوا وأرادوا الدخول عليكم (فليستأذنوا) فى جميع الاوقات (كما استأذن الذين من قبلهم) أى الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الرجال أو الذين ذكروا من قبلهم فى قوله (يأيّها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتّى تستأنسوا وتسلّموا) الآية . والمعنى أنّ الأطفـال مأذون لهم فى الدخول بغير إذن إلّا فى العورات الثلاث . فإذا اعتاد الأطفال ذلك ثمّ بلغوا بالاحتلام أو بالسنّ وجب أن يفطموا عن تلك العادة ويحملوا على أن يستأذنوا فى جميع الأوقات كالرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم إلّا بإذن . والناس عن هـذا غافلون .

كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١) ۝ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍ بِزِينَةٍ (٢) وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ (٣) وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٤) ۝ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ (٥) وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ

وعن ابن عباس رضى الله عنه ثلاث آيات جحدهنّ الناس : الإذن كلّه ، وقوله (إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم) ، (وإذا حضر القسمة) . وعن سعيد بن جبير : يقولون هى منسوخة . والله ما هى بمنسوخة .

(١) (والله عليم) بمصالح الأنام (حكيم) فيما بيّن من الأحكام .

(٢) (والقواعد) جمع قاعد لأنها من الصفات المختصّة بالنساء كالطالق والحائض. أى اللاتى قعدن عن الحيض والولد لكبرهنّ (من النساء) حال (اللاتى لا يرجون نكاحا) لا يطمعن فيه . وهى فى محلّ الرفع صفة المبتدأ وهى (القواعد) . والخبر (فليس عليهنّ جناح) إثم — ودخلت الفاء لما فى المبتدإ من معنى الشرط بسبب الألف واللام — فى (أن يضعن ثيابهنّ) أى الظاهرة كالملحفة والجلباب الذى فوق الخمار (غير) — حال — (متبرّجات بزينة) أى غير مظهرات زينة . يريد الزينة الخفيّة كالشعر والنحر والساق ونحو ذلك . أى لا يقصدن بوضعها التبرّج ولكن التخفيف . وحقيقة التبرّج تكلّف إظهار ما يجب إخفاؤه.

(٣) (وأن يستعففن) أى يطلبن العفة عن وضع الثياب فيستترن . وهو مبتدأ خبره (خير لهنّ) .

(٤) (والله سميع) لما يقلن (عليم) بما يقصدن .

(٥) قال سعيد بن المسيب : كان المسلمون إذا خرجوا إلى الغزو مع النبىّ صلّى الله عليه وسلّم وضعوا مفاتيح بيوتهم عند الأعمى والمريض والأعرج وعند أقاربهم ويأذنونهم أن يأكلوا من بيوتهم . وكانوا يتحرّجون من ذلك ويقولون نخشى ألّا تكون أنفسهم بذلك طيّبة . فنزلت الآية رخصة لهم .

وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ[١] أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَـٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَـٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّـٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَـٰلَـٰتِكُمْ[٢] أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ[٣] أَوْ صَدِيقِكُمْ[٤] لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا[٥]

---

[١] أى (ولا على أنفسكم) حرج (أن تأكلوا من بيوتكم) أى بيوت أولادكم لأنّ ولد الرجل بعضه وحكمه حكم نفسه . ولذا لم يذكر الأولاد فى الآية . وقد قال عليه الصلاة والسلام " أنت ومالك لأبيك " . أو بيوت أزواجكم لأنّ الزوجين صارا كنفس واحدة فصار بيت المرأة كبيت الزوج .

[٢] لأنّ الإذن من هؤلاء ثابت دلالة .

[٣] (أو ما ملكتم مفاتحه) جمع مِفتح وهو ما يفتح به الغلق . قال ابن عباس رضى الله عنه هو وكيل الرجل وقيّمه فى ضيعته وماشيته له أن يأكل من ثمر ضيعته ويشرب من لبن ماشيته . وأريد بملك المفاتح كونهـا فى يده وحفظه . وقيل أريد به بيت عبده لأنّ العبد وما فى يده لمولاه .

[٤] يعنى أو بيوت أصدقائكم . والصديق يكون واحدا وجمعا . وهو من يصدقك فى مودّته وتصدقه فى مودّتك . وكان الرجل من السلف يدخل دار صديقه وهو غائب فيسأل جاريته كيسه فيأخذ ما شاء . فإذا حضر مولاها فأخبرته أعتقها سرورا بذلك . فأمّا الآن فقد غلب الشحّ على الناس فلا يؤكل إلاّ بإذن .

[٥] (ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا) مجتمعين (أو أشتاتا) متفرّقين جمع شتّ . نزلت فى بنى ليث بن عمرو وكانوا يتحرّجون أن يأكل الرجل وحده . فربّما قعد منتظرا نهاره إلى الليل . فإن لم يجد من يؤاكله أكل ضرورة . أو فى قوم من الأنصار إذا نزل بهم ضيف لا يأكلون إلّا مع ضيفهم . أو تحرّجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف النـاس فى الأكل وزيادة بعضهم على بعض .

فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ[1] تَحِيَّةً[2] مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ[3] مُبَـٰرَكَةً طَيِّبَةً[4] كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ[5] ۝ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُولَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ[6] ۝

---

(1) (فإذا دخلتم بيوتا) من هذه البيوت لتأكلوا (فسلّموا على أنفسكم) . أى فابدءوا بالسلام على أهلها الذين هم منكم دينا وقرابة.أو (بيوتا) فارغة أو مسجدا، فقولوا: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين .

(2) نصب بسلّموا لأنّها فى معنى تسليما نحو قعدت جلوسا .

(3) أى ثابتة بأمره مشروعة من لدنه، أو لأنّ التسليم والتحيّة طلب سلامة وحياة للمسلّم عليه والمحيّى من عند الله .

(4) وصفها بالبركة والطيب لأنها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى بها من الله زيادة الخير وطيب الرزق .

(5) لكى تعقلوا وتفهموا .

(6) (وإذا كانوا معه على أمر جامع) — أى الذى يُجمع له الناس نحو الجهاد والتدبير فى الحرب وكلّ اجتماع فى الله حتّى الجمعة والعيدين (لم يذهبوا حتّى يستأذنوه) أى و يأذن لهم. ولما أراد الله عزّ وجلّ أن يريهم عظم الجناية فى ذهاب الذاهب عن مجلس رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بغير إذنه إذا كانوا معه على أمر جامع، جعل ترك ذهابهم حتّى يستأذنوه ثالث

لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا[(١)] قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ[(٢)] مِنكُمْ لِوَاذًا[(٣)]

الإيمان بالله والإيمان برسوله وجعلهما كالتشبيب له والبساط لذكره ، وذلك مع تصدير الجملة بإنما وإيقاع المؤمنين مبتدأ مخبرا عنه بموصول أحاطت صلته بذكر الإيمانين ، ثم عقبه بما يزيده توكيدا وتشديدا حيث أعاده على أسلوب آخر وهو قوله (إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله) . وضمّنه شيئا آخر وهو أنه جعل الاستئذان كالمصداق لصحّة الإيمانين وعرّض بحال المنافقين وتسلّلهم لواذا . (فإذا استأذنوك) فى الانصراف (لبعض شأنهم) أمرهم (فأذن لمن شئت منهم) فيه رفع شأنه عليه الصلاة والسلام . وذكر الاستغفار للمستأذنين دليل على أن الأفضل ألّا يستأذن . قالوا : وينبغى أن يكون الناس كذلك مع أئمتهم ومقدّميهم فى الدين والعلم يظاهرونهم ولا يتفرّقون عنهم إلّا بإذن . قيل نزلت يوم الخندق . كان المنافقون يرجعون إلى منازلهم من غير استئذان .

(١) أى إذا احتاج رسول الله صلّى الله عليه وسلم إلى اجتماعكم عنده لأمر فدعاكم فلا تفرّقوا عنه إلّا بإذنه ولا تقيسوا دعاءه إياكم على دعاء بعضكم بعضا ورجوعكم عن المجمع بغير إذن الداعى . أو لا تجعلوا تسميته ونداءه بينكم كما يسمّى بعضكم بعضا ويناديه باسمه الذى سمّاه به أبواه . فلا تقولوا يا محمد ولكن يا نبىّ الله يا رسول الله مع التوقير والتعظيم والصوت المخفوض .

(٢) يخرجون قليلا قليلا .

(٣) حال أى ملاوذين . اللواذ والملاوذة هو أن يلوذ هذا بذاك وذاك بهذا ، أى ينسلّون عن الجماعة فى الخفية على سبيل الملاوذة واستتار بعضهم ببعض .

فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١) ۝ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ (٢) قَدْ يَعْلَمُ (٣) مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ (٤) فَيُنَبِّئُهُم (٥) بِمَا عَمِلُوا۟ (٦) وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ (٧) ۝

(١) أى (فليحذر الذين) يصدّون (عن أمره) دون المؤمنين . وهم المنافقون . يقال خالفه إلى الأمر إذا ذهب اليه دونه ومنه (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه) . وخالفه عن الأمر إذا صدّ عنه دونه . والضمير فى (أمره) لله سبحانه أو للرسول عليه الصلاة والسلام . والمعنى عن طاعته ودينه . ومفعول (يحذر) (أن تصيبهم فتنة) محنة فى الدنيا أو قتل أو زلازل وأهوال أو تسليط سلطان جائر أو قسوة القلب عن معرفة الرّب أو إسباغ النعم استدراجا (أو يصيبهم عذاب أليم) فى الآخرة . والآية تدلّ على أنّ الأمر للإيجاب .

(٢) (ألا) تنبيه على ألّا يخالفوا أمر من له (ما فى السموات والأرض) .

(٣) أدخل (قد) ليؤكّد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين ويرجع توكيد العلم إلى توكيد الوعيد . والمعنى أنّ جميع ما فى السموات والأرض مختصّ به خلقا وملكا وعلما ، فكيف تخفى عليه أحوال المنافقين وإن كانوا يجهدون فى سترها ؟

(٤) وبفتح الياء وكسر الجيم يعقوب . أى ويعلم يوم يردّون إلى جزائه وهو يوم القيامة . والخطاب والغيبة فى قوله (قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه) يجوز أن يكونا جميعا للمنافقين على طريق الالتفات ، ويجوز أن يكون (ما أنتم عليه) عامّا ، و(يرجعون) للمنافقين .

(٥) (فينبئهم) يوم القيامة .

(٦) بما أبطنوا من سوء أعمالهم ويجازيهم حقّ جزائهم .

(٧) فلا يخفى عليه خافية . وروى أنّ ابن عباس رضى الله عنهما قرأ سورة النور على المنبر فى الموسم وفسّرها على وجه لو سمعت الروم به لأسلمت . والله أعلم .

سورة الفرقان مكيّـة

وهى سبع وسبعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَارَكَ(١) ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ(٢) عَلَىٰ عَبْدِهِۦ(٣) لِيَكُونَ(٤) لِلْعَٰلَمِينَ(٥) نَذِيرًا(٦) ۝ ٱلَّذِى(٧) لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ(٨) وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا(٩) وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ(١٠)

(١) تفاعل من البركة . وهى كثرة الخير وزيادته . ومعنى تبارك الله تزايد خيره وتكاثر. أو تزايد عن كل شىء وتعالى عنه فى صفاته وأفعاله . وهى كلمة تعظيم لم تستعمل إلّا لله وحده . والمستعمل منه الماضى فحسب .

(٢) هو مصدر فرق بين الشيئين إذا فصل بينهما . وسمّى به القرآن لفصله بين الحقّ والباطل والحلال والحرام ، أو لأنه لم ينزل جملة ولكن مفرّقا ،مفصولا بين بعضه و بعض فى الإنزال ، ألا ترى إلى قوله (وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزّلناه تنزيلا) .

(٣) محمد عليه الصلاة والسلام .

(٤) العبد أو الفرقان .

(٥) الجنّ والإنس . وعموم الرسالة من خصائصه عليه الصلاة والسلام .

(٦) منذرا أى مخوّفا، أو إنذارا كالنكير بمعنى الإنكار . ومنه قوله تعالى (فكيف كان عذابى ونذر) .

(٧) رفع على أنّه خبر مبتدأ محذوف أو على الإبدال من (الذى نزّل) . وجوّز الفصل بين البدل والمبدل منه بقوله(ليكون) لأنّ المبدل منه صلته (نزّل) و (ليكون) تعليل له . فكأنّ المبدل منه لم يتّم إلّا به . أو نصب على المدح .

(٨) (له ملك السموات والأرض) على الخلوص .

(٩) (ولم يتّخذ ولدا) كما زعم اليهود والنصارى فى عزير والمسيح عليهما السلام .

(١٠) (ولم يكن له شريك فى الملك) كما زعمت الثنويّة .

وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ[1] فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا[2] ﴿٢﴾ وَٱتَّخَذُوا۟[3] مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً[4] لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ[5] وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا[6] وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا[7] ﴿٣﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ[8]

---

(١) أى أحدث (كلّ شىء) وحده لا كما يقوله المجوس والثنويّة من النور والظلمة ويزدان واهرمن . ولا شبهة فيه لمن يقول إنّ الله شىء ويقول بخلق القرآن لأنّ الفاعل بجميع صفاته لا يكون مفعولا له . على أنّ لفظ (شىء) اختصّ بما يصحّ أن يخلق بقرينة (وخلق) . وهذا أوضح دليل لنا على المعتزلة فى خلق أفعال العباد .

(٢) فهيّأه لما يصلح له بلاخلل فيه ، كما أنّه خلق الإنسان على هذا الشكل الذى تراه فقدّره للتكاليف والمصالح المنوطة به فى الدين والدنيا . أو قدّره للبقاء إلى أمد معلوم .

(٣) الضمير للكافرين لاندراجهم تحت العالمين أولدلالة (نذيرا) عليهم لأنّهم المنذرون .

(٤) أى الأصنام .

(٥) أى أنّهم آثروا على عبادة من هو منفرد بالألوهيّة والملك والخلق والتقدير عبادة عجزة لا يقدرون على خلق شىء (وهم يخلقون) .

(٦) ولا يستطيعون لأنفسهم دفع ضرر عنها ولاجلب نفع إليها .

(٧) (ولا يملكون موتا) إماتة (ولا حياة) أى إحياء (ولا نشورا) إحياء بعد الموت . وجعلها كالعقلاء لزعم عابديها .

(٨) (وقال الذين كفروا) ما هذا القرآن (إلّا) كذب اختلقه واخترعه محمد من عند نفسه . (وأعانه عليه قوم آخرون) أى اليهود وعداس ويسار وأبو فكيهة الرومى — قاله النضر بن الحرث .

فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا[1] ۝ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ[2] ٱكْتَتَبَهَا[3] فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا[4] ۝ قُلْ أَنزَلَهُ[5] ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ[6] إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا[7] ۝ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ[8]

---

(١) هذا إخبار من الله، ردّ للكفرة فيرجع الضمير إلى الكفّار . وجاء يستعمل فى معنى فعل فيعدّى تعديتها . أو حذف الجارّ وأوصل الفعل أى بظلم وزور . وظلمهم أن جعلوا العربىّ يتلقّن من العجمىّ الرومىّ كلاما عربيّا أعجز بفصاحته جميع فصحاء العرب . والزور أن بهتوه بنسبة ما هو برىء منه إليه .

(٢) أى هو أحاديث المتقدّمين وما سطّروه كرستم وغيره ، جمع أسطار وأسطورة كأحدوثة .

(٣) كتبها لنفسه .

(٤) أى تلقى عليه من كتابه (بكرة) أوّل النهار (وأصيلا) آخره . فيحفظ ما يملى عليه ثمّ يتلوه علينا .

(٥) (قل) يامحمد (أنزله) أى القرآن .

(٦) أى يعلم كلّ سر خفىّ فى السموات والأرض . يعنى أنّ القرآن لمّا اشتمل على علم الغيوب التى يستحيل عادة أن يعلمها محمد عليه الصلاة والسلام من غير تعليم دلّ ذلك على أنه من عند علّام الغيوب .

(٧) فيمهلهم ولا يعاجلهم بالعقوبة وإن استوجبوها بمكابرتهم .

(٨) وقعت اللام فى المصحف مفصولة عن الهاء وخطّ المصحف سنة لا تغيّر . وتسميتهم إيّاه بالرسول سخرية منهم ، كأنّهم قالوا أىّ شىء لهذا الزاعم أنّه رسول .

يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ۝ أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ۝ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ۝ تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ۝

(١) حال والعامل فيها (هذا) .

(٢) أى إن صح أنه رسول الله فما باله يأكل الطعام كما نأكل ويتردد فى الأسواق لطلب المعاش كما نتردد. يعنون أنه كان يجب أن يكون ملكا مستغنيا عن الأكل والتعيش . ثم نزلوا عن ذلك الاقتراح إلى أن يكون إنسانا معه ملك حتى يتساندا فى الإنذار والتخويف. ثم نزلوا إلى أن يكون مرفودا بكنز يلقى إليه من السماء يستظهر به ولا يحتاج إلى تحصيل المعاش. ثم نزلوا إلى أن يكون رجلا له بستان يأكل هو منه كالمياسير أو (نأكل) نحن كقراءة علىّ وحمزة . وحسن عطف المضارع وهو (يلقى) و(تكون) على (أنزل) وهو ماض لدخول المضارع وهو (فيكون) بينهما . وانتصب (فيكون) على القراءة المشهورة لأنه جواب لولا بمعنى هلا ، وحكمه حكم الاستفهام .

(٣) أراد بالظالمين إياهم بأعيانهم غير أنه وضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوا . وهم كفار قريش .

(٤) سحر بحق ، أو ذا سحر وهو الرئة . عنوا أنه بشر لا ملك .

(٥) (انظر كيف ضربوا) بينوا (لك الأمثال) الأشباه . أى قالوا فيك تلك الأقوال واخترعوا لك تلك الصفات والأحوال من المفترى والمملى عليه والمسحور .

(٦) (فضلوا) عن الحق .

(٧) فلا يجدون طريقا إليه .

(٨) أى تكاثر خير الذى إن شاء وهب لك فى الدنيا خيرا مما قالوا. وهو أن يعجل لك مثل ما وعدك فى الآخرة من الجنات والقصور . و(جنات) بدل من (خيرا) . (ويجعل) بالرفع مكى وشامى وأبو بكر لأن الشرط إذا وقع ماضيا جاز فى جزائه الجزم والرفع .

بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا (١) (٢) إِذَا رَأَتْهُم (٣) مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ (٤) سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا (٥) وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا (٦) مَكَانًا ضَيِّقًا (٧) مُّقَرَّنِينَ (٨) دَعَوْا هُنَالِكَ (٩) ثُبُورًا (١٠) لَّا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا (١١) قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ (١٢) أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ (١٣)

(١) عطف على ما حكى عنهم . يقول بل أتوا بأعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة، أو متصل بما يليه كأنه قال (بل كذّبوا بالساعة) فكيف يلتفتون إلى هذا الجواب؟ وكيف يصدّقون بتعجيل مثل ما وعدك فى الآخرة وهم لا يؤمنون بها ؟

(٢) وهيّأنا للكذّبين بها نارا شديدة فى الاستعار .

(٣) أى النار أى قابلتهم .

(٤) أى إذا كانت منهم بمرأى الناظرين فى البعد .

(٥) أى سمعوا صوت غليانها . وشبّه ذلك بصوت المتغيّظ والزافر . أو إذا رأتهم زبانيتها تغيّظوا وزفروا غضبا على الكفّار .

(٦) من النار .

(٧) (وإذا ألقوا منها مكانا ضيّقا) — مكىّ — فانّ الكرب مع الضيق كما أنّ الروح مع السعة . ولذا وصفت الجنّة بأنّ عرضها السموات والأرض . وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنّه يضيق عليهم كما يضيق الزجّ فى الرمح .

(٨) أى وهم مع ذلك الضيق مسلسلون مقرّنون فى السلاسل قرنت أيديهم إلى أعناقهم فى الأغلال، أو يقرن مع كلّ كافر شيطانه فى سلسلة وفى أرجلهم الأصفاد .

(٩) حينئذ .

(١٠) هلاكا . أى قالوا واثبوراه، أى تعال ياثبور فهذا حينك .

(١١) فيقال لهم : (لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا) أى إنّكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحدا إنّما هو ثبور كثير .

(١٢) (أذلك) المذكور من صفة النار (خير) .

(١٣) أى وعدها . فالراجع إلى الموصول محذوف . وإنّما قال (أذلك خير) ولا خير فى النار توبيخا للكفّار.

كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا (١) ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ (٢) خَـٰلِدِينَ (٣) كَانَ (٤) عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا (٥) مَّسْـُٔولًا (٦) ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ (٧) وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ (٨) فَيَقُولُ (٩) ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَـٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ (١٠) ﴿١٧﴾

---

(١) (كانت لهم) ثوابا (ومصيرا) مرجعا . وإنما قيل (كانت) لأنّ ما وعد الله كأنّه كان لتحقّقه . أو كان ذلك مكتوبا فى اللوح قبل أن خلقهم .

(٢) أى مايشاءونه .

(٣) حال من الضمير فى (يشاءون) .

(٤) الضمير لما يشاءون .

(٥) أى موعودا .

(٦) مطلوبا أو حقيقا أن يسأل . أوقد سأله المؤمنون والملائكة فى دعواتهم (ربّنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك). (ربّنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة) . (ربّنا وأدخلهم جنّات عدن التى وعدتهم) .

(٧) (ويوم نحشرهم) للبعث، عند الجمهور . وبالياء مكىّ ويزيد ويعقوب وحفص .

(٨) يريد المعبودين من الملائكة والمسيح وعزير . وعن الكلبى: يعنى الأصنام ينطقها الله وقيل عامّ . و " ما " يتناول العقلاء وغيرهم لأنه أريد به الوصف كأنّه قيل ومعبوديهم .

(٩) وبالنون شامىّ .

(١٠) والقياس ضلّوا عن السبيل. إلا أنّهم تركوا الجارّ كما تركه فى هداه الطريق والأصل إلى الطريق أو للطريق. وضلّ مطاوع أضلّه والمعنى أأنتم أوقعتموهم فى الضلال عن طريق الحقّ بإدخال الشبه أم هم ضلّوا عنه بأنفسهم؟ . وإنّما لم يقل أأضللتم عبادى هؤلاء أم ضلّوا السبيل وزيد (أنتم) (وهم) لأنّ السؤال ليس عن الفعل ووجوده، لأنّه لولا وجوده لما توجّه هذا العتاب وإنّما هو عن متولّيه فلا بدّ من ذكره وإيلائه حرف الاستفهام ليعلم أنّه المسئول عنه . وفائدة سؤالهم مع علمه تعالى بالمسئول عنه أن يجيبوا بما أجابوا به حتى يبكّت عبدتهم بتكذيبهم إيّاهم فتزيد حسرتهم .

قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ(١) مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ(٢) وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ(٣) حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكْرَ(٤) وَكَانُواْ(٥) قَوْمَۢا بُورًا(٦) ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم(٧) بِمَا تَقُولُونَ(٨)

---

(١) تعجّب منهم مما قيل لهم وقصدوا به تنزيهه عن الأنداد وأن يكون له نبيّ أو ملك أو غيرهما نداً .

(٢) أي ما كان يصحّ (لنا) ولا يستقيم أن نتولى أحداً دونك . فكيف يصحّ لنا أن نحمل غيرنا على أن يتولّونا دونك .(نُتّخذ)، يزيد. واتّخذ يتعدّى إلى مفعول واحد نحو اتّخذ وليّاً وإلى مفعولين نحو اتّخذ فلانا وليّاً ، قال الله تعالى (أم اتّخذوا آلهة من الأرض) . وقال (واتّخذ الله إبراهيم خليلا) . فالقراءة الأولى من المتعدّى لواحد وهو (من أولياء) والأصل أن نتّخذ أولياء وزيدت (من) لتأكيد معنى النفي . والقراءة الثانية من المتعدّى إلى المفعولين . فالمفعول الأول ما بني له الفعل والثاني (من أولياء) . و(من) للتبعيض أي لا نُتّخذ بعض أولياء لأن من لا تزاد في المفعول الثاني ، بل في الأول . تقول ما اتّخذت من أحد وليّاً ولا تقول ما اتّخذت أحداً من وليّ .

(٣) (ولكن متّعتهم وآباءهم) بالأموال والأولاد وطول العمر والسلامة من العذاب .

(٤) أي ذكر الله والإيمان به والقرآن والشرائع .

(٥) (وكانوا) عند الله .

(٦) أي هلكى جمع بائر كعائذ وعوذ .

(٧) يقال للكفّار بطريق الخطاب عدولا عن الغيبة (فقد كذّبوكم) . وهـذه المفاجأة بالاحتجاج والإلزام حسنة رائعة وخاصّة إذا انضم إليهـا الالتفات وحذف القول . ونظيرها (يأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبيّن لكم على فترة من الرسل) إلى قوله (فقد جاءكم بشير ونذير) وقول القائل .

قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا * ثمّ القفول فقد جئنا خراسانا

(٨) بقولكم فيهم إنّهم آلهة، والباء على هذا كقوله (بل كذّبوا بالحقّ). والجار والمجرور بدل من الضمير . كأنه قيل فقد كذّبوا بما تقولون . وعن قنبل بالياء . ومعناه فقد كذّبوكم بقولهم (سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتّخذ من دونك من أولياء) . والباء على هذا كقولك : كتبت بالقلم .

فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا[1] وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ[2] نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا[3] ﴿١٩﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ[4] وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ[5] وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا[6] ﴿٢٠﴾

---

(١) (فما يستطيعون) أى فما يستطيع آلهتكم أن يصرفوا عنكم العذاب أو ينصروكم . وبالتاء حفص، أى فما تستطيعون أنتم يا كفّار صرف العذاب عنكم ولا نصر أنفسكم .

(٢) خاطب المكلّفين على العموم . (يظلم) أى يشرك لأنّ الظلم وضع الشىء فى غير موضعه. ومن جعل المخلوق شريك خالقه فقد ظلم . يؤيده قوله تعالى (إنّ الشرك لظلم عظيم) .

(٣) فسرّ بالخلود فى النار . وهو يليق بالمشرك دون الفاسق إلاّ على قول المعتزلة والخوارج .

(٤) كسرت (إنّ) لأجل اللام فى الخبر. والجملة بعد (إلاّ) صفة لموصوف محذوف. والمعنى (وما أرسلنا قبلك) أحدا (من المرسلين) إلاّ آكلين وماشين. وإنّما حذف اكتفاء بالجارّ والمجرور أى (من المرسلين). ونحوه (وما منّا إلاّ له مقام معلوم) . أى وما منّا أحد. قيل هو احتجاج على من قال (ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق) وتسلية للنبىّ عليه الصلاة والسلام.

(٥) (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة) أى محنة وابتلاء . وهذا تصبير لرسول الله صلّى الله عليه وسلم عمّا عيّروه به من الفقر ومشيه فى الأسواق . يعنى أنّه جعل الأغنياء فتنة للفقراء فيغنى من يشاء ويفقر من يشاء (أتصبرون) على هذه الفتنة فتؤجروا، أم لا تصبرون فيزداد غمّكم ؟ وحكى أنّ بعض الصالحين تبرّم بضنك عيشه فخرج ضجرا . فرأى خصيّا فى مواكب ومراكب فخطر بباله شىء فإذا بمن يقرأ هذه الآية . فقال : بلى ، فصبرا ربّنا . أو جعلتك فتنة لهم لأنّك لو كنت غنيّا صاحب كنوز وجنان لكانت طاعتهم لك للدنيا أو ممزوجة بالدنيا . فإنما بعثناك فقيرا لتكون طاعة من يطيعك خالصة لنا .

(٦) عالما بالصواب فيما يبتلى به أو بمن يصبر ويجزع .

وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا(١) لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ(٢) أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا(٣) لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ(٤) وَعَتَوْ(٥) عُتُوًّا كَبِيرًا(٦) ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ(٧) يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ(٨) وَيَقُولُونَ(٩) حِجْرًا مَّحْجُورًا(١٠) ﴿٢٢﴾

(١) لا يأملون بالخير، لأنهم كفرة لا يؤمنون بالبعث . أو لا يخافون عقابنا إمّا لأنّ الراجى قلق فيما يرجوه كالخائف ، أو لأنّ الرجاء فى لغة تهامة الخوف .

(٢) هلّا (أنزل علينا الملائكة) رسلا دون البشر . أو شهوداً على نبوّته ودعوى رسالته .

(٣) (أو نرى ربّنا) جهرة ، فيخبرنا برسالته واتّباعه .

(٤) أى أضمروا الاستكبار عن الحقّ وهو الكفر والعناد فى قلوبهم . واللام فى (لقد) جواب قسم محذوف .

(٥) وتجاوزوا الحدّ فى الظلم .

(٦) وصف العتو بالكبر فبالغ فى إفراطه أى أنّهم لم يجسروا على هذا القول العظيم إلّا أنّهم بلغوا غاية الاستكبار وأقصى العتو .

(٧) (يوم يرون الملائكة) أى يوم الموت أو يوم البعث . و (يوم) منصوب بما دلّ عليه (لا بشرى) . أى يوم يرون الملائكة يمنعون البشرى . و (يومئذ) مؤكّد ليوم يرون . أو بإضمار اذكر (يوم يرون الملائكة) . ثم أخبر فقال (لا بشرى) بالجنّة (يومئذ) . ولا ينتصب بيرون لأنّ المضاف إليه لا يعمل فى المضاف . ولا بشرى لأنّها مصدر والمصدر لا يعمل فيما قبله . ولأنّ المنفىّ بلا لا يعمل فيما قبل لا .

(٨) ظاهر فى موضع ضمير . أو عامّ يتناولهم بعمومه . وهم الذين اجترموا الذنوب . والمراد الكافرون ، لأنّ مطلق الأسماء يتناول أكمل المسمّيات .

(٩) أى الملائكة .

(١٠) حراما محرّما عليكم البشرى . أى جعل الله ذلك حراما عليكم . إنّما البشرى للمؤمنين. والحجر مصدر . والكسر والفتح لغتان . وقرئ بهما . وهو من حجره إذا منعه . وهو من المصادر المنصوبة بأفعال متروك إظهارها . و (محجوراً) لتأكيد معنى الحجر كما قالوا موت مائت

وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ۝ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ[1] مُّسْتَقَرًّا[2] وَأَحْسَنُ مَقِيلًا[3] ۝ وَيَوْمَ[4] تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَـٰمِ[5] وَنُزِّلَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا[6] ۝ ٱلْمُلْكُ[7] يَوْمَئِذٍ[8] ٱلْحَقُّ[9] لِلرَّحْمَـٰنِ[10] وَكَانَ[11]

(١) (وقدمنا) الآية، هو صفة، ولاقدوم هنا. ولكن مثّلت حال هؤلاء وأعمالهم التى عملوها فى كفرهم من صلة رحم وإغاثة ملهوف وقرى ضيف ونحو ذلك بحال من خالف سلطانه وعصاه فقدم إلى أشيائه وقصد إلى ما تحت يديه فأفسدها ومزّقها كلّ ممزّق ولم يترك لها أثرا . والهباء ما يخرج من الكوّة مع ضوء الشمس شبيها بالغبار . والمنثور المفرّق . وهو استعارة عن جعله بحيث لايقبل الاجتماع ، ولاينفع به الانتفاع . ثمّ بيّن فضل أهل الجنة على أهل النار فقال (أصحاب الجنّة يومئذ خير) .

(٢) تمييز . والمستقرّ المكان الذى يكونون فيه فى أكثر أوقاتهم يتجالسون ويتحادثون.

(٣) مكانا يأوون إليه للاسترواح إلى أزواجهم . ولانوم فى الجنّة ولكنّه سمّى مكان استراحتهم إلى الحور مقيلا على طريق التشبيه . وروى أنّه يفرغ من الحساب فى نصف ذلك اليوم فيقيل أهل الجنّة فى الجنّة وأهل النار فى النار . وفى لفظ الأحسن تهكّم بهم .

(٤) (و) اذكر (يوم تشقّق) والأصل تتشقق فحذف التاء كوفىّ وأبو عمرو . وغيرهم أدغمها فى الشين .

(٥) لمّا كان انشقاق السماء بسبب طلوع الغمام منها جعل الغمام كأنّه الذى تشقّق به السماء كما تقول شقّقت السنام بالشفرة فانشقّ بها .

(٦) (ونُزّلَ الملائكةَ) مكىّ . و(تنزيلا) على هذا مصدر من غير لفظ الفعل . والمعنى أنّ السماء تنفتح بغمام أبيض يخرج منها وفى الغمام الملائكة ينزلون وفى أيديهم صحائف أعمال العباد.

(٧) مبتدأ .

(٨) ظرفه .

(٩) نعته . ومعناه الثابت ، لأنّ كلّ ملك يزول يومئذ فلا يبقى إلّا ملكه .

(١٠) خبره .

(١١) (وكان) ذلك اليوم .

يَوْمًا عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ عَسِيرًا(١) ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ(٢) يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى(٣) ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ(٤) سَبِيلًا(٥) ﴿٢٧﴾ يَـٰوَيْلَتَىٰ(٦) لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا(٧) ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى(٨) وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِلْإِنسَـٰنِ خَذُولًا(٩) ﴿٢٩﴾

(١) شديدا . يقال عسر عليه فهو عسير وعسر . ويفهم منه يسره على المؤمنين . ففى الحديث "يهون يوم القيامة على المؤمنين حتّى يكون عليهم أخفّ من صلاة مكتوبة صلّوها فى الدنيا" .

(٢) عضّ اليدين كناية عن الغيظ والحسرة لأنّه من روادفها . فتذكر الرادفة ويدلّ بها على المردوف فيرتفع الكلام به فى طبقة الفصاحة ويجد السامع عنده فى نفسه من الروعة مالا يجده عند لفظ المكنىّ عنه . واللام فى (الظالم) للعهد . وأريد به عقبة لما تبيّن . أو للجنس فيتناول عقبة وغيره من الكفّار .

(٣) (ياليتنى اتّخذت) فى الدنيا .

(٤) محمّد عليه الصلاة والسلام .

(٥) طريقا إلى النجاة والجنّة وهو الإيمان .

(٦) وقرئ (ياويلتى) بالياء. وهو الأصل لأنّ الرجل ينادى ويلته — وهى هلكته — يقول لها تعالىْ فهذا أوانك . وإنما قلبت الياء ألفا كما فى صحارى ومدارى .

(٧) فلان كناية عن الأعلام . فإن أريد الظالم عقبة لما روى أنه اتّخذ ضيافة فدعا إليها رسول الله عليه الصلاة والسلام فأبى أن يأكل من طعامه حتّى ينطق بالشهادتين ففعل. فقال له أبىّ بن خلف وهو خليله : وجهى من وجهك حرام إلّا أن ترجع . فارتدّ . فالمعنى ياليتنى لم أتخذ أبيّا خليلا فكنى عن اسمه . وإن أريد به الجنس فكلّ من اتّخذ من المضلّين خليلا كان لخليله اسم علم لا محالة فجعل كناية عنه . وقيل هو كناية عن الشيطان .

(٨) (لقد أضلّنى عن الذكر) أى عن ذكر الله أو القرآن أو الإيمان (بعد إذ جاءنى) من الله .

(٩) (وكان الشيطان) — أى خليله . سمّاه شيطانا لأنّه أضلّه كما يضلّه الشيطان. أو إبليس لأنّه الذى حمله على مخالّة المضلّ ومخالفة الرسول — (للإنسان) المطيع له (خذولا) هو مبالغة من الخذلان، أى من عادة الشيطان ترك من يواليه. وهذا حكاية كلام الله أو كلام الظالم.

وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا[1] وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا[2] وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً[3] وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ[4]

---

(١) (وقال الرسول) أى محمد عليه الصلاة والسلام فى الدنيا (إن قومى) قريشا (اتخذوا هذا القرآن مهجورا) متروكا أى تركوه ولم يؤمنوا به من الهجران . وهومفعول ثان لاتخذوا . وفى هـذا تعظيم للشكاية وتخويف لقومه لأن الأنبياء إذا شكوا إليه قومهم حلّ بهم العذاب ولم ينظروا .

(٢) أقبل عليه مسليًا ووعده النصرة عليهم . أى كذلك كان كلّ نبيّ قبلك مبتلى بعداوة قومه . وكفاك بى هاديا إلى طريق قهرهم والانتصار منهم وناصرا لك عليهم . والعدوّ يجوز أن يكون واحدا وجمعا . والباء زائدة أى وكفى ربّك هاديا . وهو تمييز .

(٣) (وقال الذين كفروا) أى قريش أو اليهود (لولا نزّل عليه القرآن جملة واحدة) حال من القرآن أى مجتمعا . يعنى هـلّا أنزل عليه دفعـة واحدة فى وقت واحد كما أنزلت الكتب الثلاثة . وماله أنزل على التفاريق . وهو فضول من القول وممـاراة بمـا لا طائل تحته ، لأنّ أمر الإعجاز والاحتجاج به لا يختلف بنزوله جملة واحدة أو متفرقا . و (نزّل) هنا بمعنى أنزل ، وإلّا لكان متدافعا بدليل (جملة واحدة) . وهذا اعتراض فاسد لأنّهم تحدّوا بالإتيان بسورة واحدة من أصغر السور فأبرزوا صفحة عجزهم حتّى لاذوا بالمناصـبة ، وفزعوا إلى المحاربة ، وبذلوا المهج ، وما مالوا إلى الحجج .

(٤) جواب لهم . أى كذلك أنزل مفرّقا فى عشرين سنة أو فى ثلاث وعشرين . وذلك فى (كذلك) إشارة إلى مدلول قوله (لولا نزّل عليه القرآن جملة) لأنّ معناه لم أنزل عليك القرآن مفرّقا ؟ فأعلم أنّ ذلك (لنثبّت به) بتفريقه (فؤادك) حتّى تعيه وتحفظه . لأنّ المتلقّن إنّمـا يقوى قلبه على حفظ العلم شيئا بعد شىء وجزءا عقيب جزء . ولو ألقى عليه جملة واحدة لعجز عن حفظه . أو (لنثبّت به فؤادك) عن الضجر بتواتر الوصول وتتابع الرسول ، لأنّ قلب المحبّ يسكن بتواصل كتب المحبوب .

وَرَتَّلْنَـٰهُ تَرْتِيلًا(١) ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا(٢) ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُو۟لَـٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا(٣) ﴿٣٤﴾

---

(١) معطوف على الفعل الذى تعلق به (كذلك). كأنّه قال : كذلك فرّقناه ورتّلناه أى قدّرناه آية بعد آية ووقفة بعد وقفة، أو أمرنا بترتيل قراءته . وذلك قوله تعالى(ورتّل القرآن ترتيلا) أى اقرأه بترسّل وتثبّت.أو بيّناه تبيينا . والترتيل التبيين فى ترسّل وتثبّت .

(٢) (ولا يأتونك) بسؤال عجيب من سؤالاتهم الباطلة كأنّه مثل فى البطلان . إلّا أتيناك بالجواب الحقّ الذى لا محيد عنه . وبما هو أحسن معنى ومؤدّى من مثلهم ، أى من سؤالهم . وإنّما حذف من مثلهم لأنّ فى الكلام دليلا عليه كما لو قلت رأيت زيدا وعمرا وإن عمر أحسن وجها كان فيه دليل على أنّك تريد من زيد . ولمّا كان التفسير هو التكشيف عما يدلّ عليه الكلام وضع موضع معناه فقالوا تفسير هذا الكلام كيت وكيت ، كما قيل معناه كذا وكذا . أولا يأتونك بحال وصفة عجيبة يقولون (هلّا أنزل عليك القرآن جملة) إلّا أعطيناك من الأحوال ما يحقّ لك فى حكمتنا أن تعطاه وما هو أحسن تكشيفا لما بعثت عليه ودلالة على صحّته . يعنى أنّ تنزيله مفرقا وتحدّيهم بأن يأتوا ببعض تلك التفاريق كلّما نزل شيء منها أدخل فى الإعجاز من أن ينزل كلّه جملة .

(٣) (الذين) مبتدأ و(أولئك) مبتدأ ثان و (شرّ) خبر (أولئك) . و(أولئك) مع (شرّ) خبر (الذين) . أو التقدير : هم (الذين) ، أو أعنى (الذين) . و (أولئك) مستأنف (شرّ مكانا) أى مكانة ومنزلة أو مسكنا ومنزلا (وأضلّ سبيلا) أى وأخطأ طريقا ، وهو من الإسناد المجازىّ. والمعنى أنّ حاملكم على هذه السؤالات أنّكم تضلّون سبيله وتحتقرون مكانه ومنزلته . ولو نظرتم بعين الإنصاف وأنتم من المسحوبين على وجوههم إلى جهنّم لعلمتم أنّ مكانكم شرّ من مكانه وسبيلكم أضلّ من سبيله . وفى طريقته قوله (قل هل أنبئكم بشرّ من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه) الآية . وعن النبىّ صلى الله عليه وسلم « يحشر

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ[١] وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ[٢] وَزِيرًا[٣] ۝ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا[٤] فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا[٥] ۝ وَقَوْمَ نُوحٍ[٦] لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ[٧] أَغْرَقْنَٰهُمْ[٨] وَجَعَلْنَٰهُمْ[٩]

الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف صنف على الدواب وصنف على أرجلهم وصنف على وجوههم . قيل يارسول الله كيف يمشون على وجوههم ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : « الذى أمشاكم على أقدامكم يمشيهم على وجوههم » .

(١) (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة كما آتيناك القرآن .

(٢) بدل أو عطف بيان .

(٣) هو فى اللغة من يرجع إليه من الوَزَر وهو الملجأ . والوزارة لاتنافى النبوّة . فقد كان يبعث فى الزمن الواحد أنبياء و يؤمرون بأن يوازر بعضهم بعضا .

(٤) إلى فرعون وقومه .

(٥) التدمير الإهلاك بأمر عجيب . وتقديره فذهبا إليهم وأنذرا فكذّبوهما (فدمّرناهم تدميرا) أراد اختصار القصّة فذكر أولها وآخرها لأنّهما المقصود من القصّة، أعنى إلزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم .

(٦) أى (و) دمّرنا (قوم نوح) .

(٧) يعنى نوحا و إدريس وشيثا . أو كان تكذيبهم لواحد منهم تكذيبا للجميع .

(٨) (أغرقناهم) بالطوفان .

(٩) وجعلنا إغراقهم أو قصتهم .

لِلنَّاسِ ءَايَةً(١) وَأَعْتَدْنَا(٢) لِلظَّٰلِمِينَ(٣) عَذَابًا أَلِيمًا(٤) ۝ وَعَادًا(٥) وَثَمُودَاْ(٦) وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ(٧) وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا(٨) ۝ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ(٩) وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا(١٠) ۝

---

(١) عبرة يعتبرون بها .

(٢) وهيأنا .

(٣) لقوم نوح . وأصله وأعتدنا لهم إلا أنه أراد تظليمهم فأظهر ، أو هو عام لكل من ظلم ظلم شرك ويتناولهم بعمومه .

(٤) أي النار .

(٥) (و) دمّرنا (عادا) .

(٦) حمزة وحفص على تأويل القبيلة . وغيرهما (وثمودا) على تأويل الحي أو لأنه اسم الأب الأكبر .

(٧) هم قوم شعيب . كانوا يعبدون الأصنام فكذّبوا شعيبا فبيناهم حول الرسّ — وهى البئر غير مطويّة — انهارت بهم فخسف بهم وبديارهم . وقيل الرسّ قرية قتلوا نبيهم فهلكوا . أو هم أصحاب الأخدود . والرسّ الأخدود .

(٨) (و) أهلكنا أمما (بين ذلك) المذكور (كثيرا) لا يعلمها إلا الله أرسل إليهم فكذبوهم فأهلكوا .

(٩) بيّنا له القصص العجيبة من قصص الأولين .

(١٠) أي أهلكنا إهلاكا .

(وكلّا) الأول منصوب بما دلّ عليه (ضربنا له الأمثال) وهو أنذرنا أو حذّرنا . والثاني بتبّرنا لأنه فارغ له .

وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ[1] أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا[2] بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا[3] ۝ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن[4] يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا[5] أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا[6] ۝ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا[7] وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ[8] مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا[9] ۝

---

(١) (ولقد أتوا) يعنى أهل مكة (على القرية) سدوم — وهى أعظم قرى قوم لوط. وكانت خمسا أهلك الله أربعا مع أهلها وبقيت واحدة — (التى أمطرت مطر السوء) أى أمطر الله عليها الحجارة . يعنى أن قريشا مرّوا مرارا كثيرة فى متاجرهم إلى الشام على تلك القرية التى أهلكت بالحجارة من السماء . و (مطر السوء) مفعول ثان . والأصل أمطرت القرية مطرا . أو مصدر محذوف الزوائد أى إمطار السوء .

(٢) أما شاهدوا ذلك بأبصارهم عند سفرهم الشام فيتفكّروا فيؤمنوا ؟

(٣) بل كانوا قوما كفـرة بالبعث لا يخافون بعثا فلا يؤمنون . أو لا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون لطمعهم فى الوصول إلى ثواب أعمالهم .

(٤) (إن) نافية .

(٥) اتّخذه هزؤا فى معنى استهزأ به . والأصل اتّخذه موضع هزؤ أومهزوءا به .

(٦) محكىّ بعد القول المضمر . و(هذا) استصغار واستهزاء . أى قائلين (أهذا الذى بعث الله رسولا) . والمحذوف حال . والعائد إلى (الذى) محذوف أى بعثه .

(٧) (إن) مخففة من الثقيلة ، واللام فارقة . وهو دليل على فرط مجاهدة رسـول الله صلّى الله عليه وسـلّم فى دعوتهم وعرض المعجزات عليهم حتى شارفوا بزعمهم أن يتركوا دينهم إلى دين الإسلام لولا فرط لجاجهم واستمساكهم بعبادة آلهتهم

(٨) هو وعيد ودلالة على أنّهم لا يفوتونه وإن طالت مدّة الإمهال .

(٩) هو كالجواب عن قولهم (إن كاد ليضلنا) لأنه نسبة لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى الضلال ، إذ لا يضلّ غيره إلّا من هو ضالّ فى نفسه .

أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ[١] أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا[٢] ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا[٣] ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ[٤] كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ[٥] وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا[٦]

(١) أى من أطاع هواه فيما يأتى ويذر فهو عابد هواه وجاعله إلهه . فيقول الله تعالى لرسوله هـذا الذى لايرى معبودا إلّا هواه كيف تستطيع أن تدعوه إلى الهدى ؟ يروى أنّ الواحد من أهل الجاهليّة كان يعبد الحجر فإذا مرّ بحجر أحسن منه ترك الأوّل وعبد الثانى . وعن الحسن هو فى كلّ متّبع هواه .

(٢) أى حفيظا تحفظه من متابعة هواه ، وعبادة ما يهواه . (أفأنت تكون عليه) موكّلا تصرفه عن الهوى إلى الهدى — عرّفه أنّ إليه التبليغ فقط .

(٣) (أم) منقطعة، معناه بل أتحسب. كأنّ هذه المذمّة أشدّ من التى تقدّمتها حتّى حقّت بالإضراب عنها إليها . وهى كونهم مسلوبى الأسماع والعقول لأنّهم لا يلقون إلى استماع الحقّ أذنا ولا إلى تدبّره عقلا ، ومشبّهين بالأنعام التى هى مثل فى الغفـلة والضلالة . فقد ركبهم الشيطان بالاستذلال، لتركهم الاستدلال . ثمّ هم أرجح ضلالة منها . لأنّ الأنعام تسبّح ربّها وتسجد له وتطيع من يعلفها وتعرف من يحسن إليها ممن يسىء إليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرّها وتهتدى لمراعيهـا ومشاربها . وهؤلاء لا ينقادون لربّهم ولا يعرفون إحسانه إليهم من إساءة الشيطان الذى هو عدوهم ولا يطلبون الثواب الذى هو أعظم المنافع ولا يتّقون العقاب الذى هو أشـدّ المضارّ والمهالك ولا يهتدون للحقّ الذى هو المشرع الهنىّ ، والعذب الروىّ . وقالوا : للملائكة روح وعقل ، وللبهائم نفس وهوى . والآدمى مجمع الكلّ ابتلاء . فإن غلبته النفس والهوى فضّلته الأنعام ، وإن غلبته الروح والعقـل فضّل الملائكة الكرام . وإنّمـا ذكر الأكثر لأنّ فيهم من لم يصدّه عن الإسلام إلا حبّ الرياسة وكفى به داء عضالا ولأنّ فيهم من آمن .

(٤) (ألم) تنظر إلى صنع ربك وقدرته .

(٥) أى بسـطه فعمّ الأرض . وذلك من حين طلوع الفجر إلى وقت طلوع الشمس فى قول الجمهور لأنّه ظلّ ممدود لا شمس معه ولا ظلمة . وهو كما قال فى ظلّ الجنّـة (وظلّ ممدود) إذ لا شمس معه ولا ظلمة .

(٦) أى دائمـا لا يزول ولا تذهبه الشمس .

ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا(١) ۝ ثُمَّ قَبَضْنَـٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا(٢) ۝ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا(٣) وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا(٤) وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا(٥) ۝ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ(٦) بُشْرًۢا(٧) بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ(٨) وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً(٩)

(١) (ثمّ جعلنا الشمس عليه) على الظلّ (دليلا) لأنّه بالشمس يعرف الظّل ولولا الشمس لمـا عرف الظّل . فالأشياء تعرف بأضدادها .

(٢) أى أخذنا ذلك الظلّ الممـدود إلى حيث أردنا (قبضا يسيرا) سهلا غير عسير . أو قليلا قليلا أى جزءاً بجزءاً بالشمس التى تأتى عليه .

وجاء بثمّ لتفاضل ما بين الأمور فكأنّ الثانى أعظم من الأوّل والثالث أعظم من الثانى . شبّه تباعد ما بينهما فى الفضل بتباعد ما بين الحوادث فى الوقت .

(٣) جعل الظلام الساتر كاللباس .

(٤) (سباتا) راحة لأبدانكم وقطعا لأعمالكم . والسبت القطع . والنائم مسبوت لأنّه انقطع عمله وحركته . وقيل السبات الموت ، والمسبوت الميّت لأنّه مقطوع الحياة . وهو كقوله تعالى (وهو الذى يتوفّاكم بالليل) . ويعضده ذكر النشور فى مقابلته إذ النشور انبعاث من النوم كنشور الميت .

(٥) أى ينتشر فيه الخلق للمعاش .

وهذه الآية مع دلالتها على قدرة الخالق فيهـا إظهار لنعمته على خلقه لأنّ فى الاحتجاب بستر الليل فوائد دينية ودنيويّة ، وفى النوم واليقظة المشبهين بالموت والحياة عبرة لمن اعتبر . وقال لقمان لابنه : كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر .

(٦) (الريح) مكّىّ . والمراد به الجنس .

(٧) تخفيف بُشُر جمع بشور .

(٨) أى قدّام المطر لأنّه ريح ثمّ سحاب ثمّ مطر . وهذه استعارة مليحة .

(٩) مطرا .

طَهُورًا(١) ﴿٤٨﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً(٢) مَيْتًا(٣) وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا(٤) ﴿٤٩﴾

---

(١) بليغا فى طهارته . والطهور صفة كقولك : ماء طهور أى طاهر . واسم كقولك لما يتطهر به طهور كالوضوء والوقود لما يتوضأ به وتوقد به النار . ومصدر بمعنى التطهر كقولك تطهرت طهورا حسنا . ومنه قوله عليه الصلاة والسلام "لاصلاة إلا بطهور" أى بطهارة . وحكى عن ثعلب هو ماكان طاهرا فى نفسه مطهراً لغيره . وهو مذهب الشافعى رحمه الله تعالى . إن كان هذا بيان زيادة الطهارة فحسن . ويعضده قوله تعالى (وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به) . وإلا فليس فعول من التفعيل فى شىء . وقياسه على ماهو مشتق من الأفعال المتعدية كقطوع ومنوع غير سديد . لأن بناء الفعول للمبالغة فإن كان الفعل متعديا فالفعول متعد وإن كان لازما فلازم .

(٢) بالمطر .

(٣) ذكر (ميتا) على إرادة البلد أو المكان .

(٤) أى ونسقى الماء البهائم والناس . و(مما خلقنا) حال من (أنعاما وأناسى) أى أنعاما وأناسى مما خلقنا . وسقى وأسقى لغتان . وقرأ المفضل والبرجمى (ونَسقيه) . والأناسى جمع إنسى على القياس ككرسى وكراسى ، أو إنسان . وأصله أناسين كسرحان وسراحين فأبدلت النون ياء وأدغمت .

وقدم إحياء الأرض على سقى الأنعام والأناسى لأن حياتها . سبب لحياتهما وتخصيص الأنعام من الحيوان الشارب لأن عامة منافع الأناسى متعلقة بها فكأن الإنعام عليهم بسقى الأنعام كالإنعام بسقيهم . وتنكير الأنعام والأناسى ووصفها بالكثرة لأن أكثر الناس منيخون بالقرب من الأودية والأنهار ، فيهم غنية عن سقى السماء . وأعقابهم وبقاياهم — وهم كثير — يعيشون بما ينزل الله من رحمته . وتنكير البلدة لأنه يريد بعض بلاد هؤلاء المتبعدين عن مظان الماء . ولما كان سقى الأناسى من جملة ما أنزل له الماء وصفه بالطهور إكراما لهم وبيان أن من حقهم أن يؤثروا الطهارة فى بواطنهم وظواهرهم لأن الطهورية شرط الإحياء .

وَلَقَدْ صَرَّفْنَـٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا[1] ۝ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ۝ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ[2] وَجَـٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا[3] ۝

[1] (ليذكروا) حمزة وعلىّ . يريد ولقد صرّفنا هذا القول بين الناس فى القرآن وفى سائر الكتب المنزلة على الرسل، وهو ذكر إنشاء السحاب وإنزال القطر، ليتفكروا ويعتبروا ويعرفوا حق النعمة فيه فيشكروا . فأبى أكثرهم إلّا كفران النعمة وجحودها وقلّة الاكتراث لها .

أو صرّفنا المطر بينهم فى البلدان المختلفة والأوقات المتغايرة وعلى الصفات المتفاوتة من وابل وطلّ وجود ورذاذ وديمة فأبوا إلّا الكفران وأن يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله تعالى ورحمته . وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما من عام أقلّ مطرا من عام ولكن الله يصرفه حيث يشاء . وقرأ الآية . وروى أنّ الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره فى كلّ عام لأنّه لا يختلف ولكن يختلف فيه البلاد . وينتزع من هنا جواب فى تنكير البلدة والأنعام والأناسيّ . ومن نسب الأمطار إلى الأنواء وجحد أن تكون هى والأنواء من خلق الله تعالى كفر . وإن رأى أنّ الله تعالى خالقها وقد نصب الأنواء أمارات ودلالات عليها لم يكفر .

[2] أى لو شئنا لخففنا عنك أعباء نذارة جميع القرى ولبعثنا فى كلّ قرية نبيّا ينذرها . ولكن شئنا أن نجمع لك فضائل جميع المرسلين بالرسالة إلى كافّة العالمين فقصرنا الأمر عليك وعظّمناك به فتكون وحدك ككلّهم — ولذا خوطب بالجمع يأيّها الرسل — فقابل ذلك بالشكر والصبر والتشدّد (فلا تطع الكافرين) فيما يدعونك إليه من موافقتهم ومداهنتهم . وكما آثرتك على جميع الأنبياء فآثر رضائى على جميع الأهواء . وأريد بهذا تهييجه وتهييج المؤمنين وتحريكهم .

[3] (وجاهدهم) بالله، يعنى بعونه وتوفيقه — أو بالقرآن. أى جادلهم به وقرّعهم بالعجز عنه — (جهادا) عظيما موقعه عند الله لما يحتمل فيه من المشاقّ . ويجوز أن يرجع الضمير فى (به) إلى مادلّ عليه (ولو شئنا لبعثنا فى كلّ قرية نذيرا) من كونه نذير كافّة القرى لأنّه لو بعث فى كلّ قرية نذيرا لوجب على كلّ نذير مجاهدة قريته . فاجتمعت على رسول الله تلك المجاهدات فكبر جهاده من أجل ذلك وعظم. فقال له (وجاهدهم) بسبب كونك نذير كافّة القرى (جهادا كبيرا) جامعا لكلّ مجاهدة .

وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ(١) هَٰذَا عَذْبٌ(٢) فُرَاتٌ(٣) وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ(٤) وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا(٥) وَحِجْرًا مَّحْجُورًا(٦) ۝ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ(٧) بَشَرًا(٨) فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا(٩) ۝ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ(١٠)

---

(١) خلاهما متجاورين متلاصقين . تقول : مرجت الدابة اذا خليتها ترعى . وسمى الماءين الكثيرين الواسعين بحرين .

(٢) أى أحدهما .

(٣) صفة لعذب ، أى شديد العذوبة حتى يقرب إلى الحلاوة .

(٤) صفة لملح أى شديد الملوحة .

(٥) حائلا من قدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج فهما فى الظاهر مختلطان وفى الحقيقة منفصلان .

(٦) وسترا ممنوعا عن الأعين كقوله (حجابا مستورا)

(٧) أى النطفة .

(٨) إنسانا .

(٩) أراد تقسيم البشر قسمين : ذوى نسب أى ذكورا ينسب إليهم فيقال فلان بن فلان وفلانة بنت فلان ، وذوات صهر أى إناثا يصاهر بهن كقوله تعالى (فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى) . (وكان ربك قديرا) حيث خلق من النطفة الواحدة بشرا نوعين : ذكرا وأنثى . وقيل (فجعله نسبا) أى قرابة (وصهرا) مصاهرة . يعنى الوصلة بالنكاح من باب الأنساب لأن التواصل يقع بهما وبالمصاهرة لأن التوالد يكون بهما .

(١٠) (مالا ينفعهم) إن عبدوه .

وَلَا يَضُرُّهُمْ⁽¹⁾ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا⁽²⁾ ﴿٥٥﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا⁽³⁾ ﴿٥٦﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا⁽⁴⁾ ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ⁽⁵⁾ وَسَبِّحْ⁽⁶⁾

(1) (ولا يضرّهم) إن تركوه .

(2) (وكان الكافر على) معصية ربّه معينا ومظاهرا . وفعيل بمعنى مفاعل غير عزيز . والظهير والمظاهر كالعوين والمعاون . والمظاهرة المعاونة . والمعنى أنّ الكافر بعبادة الصنم يتابع الشيطان ، ويعاونه على معصية الرحمن .

(3) (مبشّرا) للمؤمنين (ونذيرا) منذرا للكافرين .

(4) (قل ما أسألكم عليه) على التبليغ (من) جعل إلّا فعل (من شاء أن يتّخذ إلى ربّه سبيلا) . واستثناؤه من الأجر قول ذى شفقة عليك قد سعى لك فى تحصيل مال : ما أطلب منك ثوابا على ما سعيت إلّا أن تحفظ هذا المال ولا تضيعه . فليس حفظك المال لنفسك من جنس الثواب . ولكن صوّره بصورة الثواب كأنّه يقول إن حفظت مالك اعتدّ حفظك بمنزلة الثواب لى ورضائى به كرضا المثاب بالثواب . ولعمرى إنّه عليه الصلاة والسلام مع أمّته بهذا الصدد . ومعنى اتّخاذهم إلى الله سبيلا تقرّبهم إليه بالإيمان والطاعة أو بالصدقة والنفقة . وقيل المراد لكن (من شاء أن يتّخذ) بالإنفاق (إلى) رضاء (ربّه سبيلا) فليفعل . وقيل تقديره لا أسألكم على ما أدعوكم إليه أجرا إلّا اتّخاذ المدعوّ سبيلا إلى ربّه بطاعته . فذلك أجرى لأنّ الله يأجرنى عليه .

(5) اتّخذ من لا يموت وكيلا ، لايكلك إلى من يموت ذليلا . يعنى ثق به وأسند أمرك إليه فى استكفاء شرورهم ولا تتّكل على حىّ يموت . وقرأها بعض الصالحين فقال : لا يصحّ لذى عقل أن يثق بعدها بمخلوق . والتوكّل الاعتماد عليه فى كلّ أمر .

(6) (وسبّح) من لا يكل إلى غيره من توكّل عليه .

بِحَمْدِهِۦ[1] وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا[2] ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ[3] ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ[4] فَسْـَٔلْ[5] بِهِۦ[6] خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ[7]

---

(١) بتوفيقة الذى يوجب الحمد . أو قل سبحان الله وبحمده ، أو نزهه عن كلّ العيوب بالثناء عليه .

(٢) أى كفى الله خبيرا بذنوب عباده . يعنى أنّه خبير بأحوالهم كاف فى جزاء أعمالهم .

(٣) أى فى مدّة مقدار هذه المدّة،لأنّه لم يكن حينئذ ليل ونهار . روى عن مجاهد أولها يوم الأحد وآخرها يوم الجمعة . وإنّما خلقها فى ستّة أيّام وهو يقدر على أن يخلقها فى لحظة ، تعليما لخلقه الرفق والتثبّت .

(٤) أى هو (الرحمن) . فالرحمن خبر مبتدأ محذوف . أو بدل من الضمير فى (استوى) . أو (الذى خلق) مبتدأ و (الرحمن) خبره .

(٥) بلا همزة مكىّ وعلىّ .

(٦) (به) صلة (سل)، كقوله (سأل سائل بعذاب واقع) كما تكون "عن" صلته فى قوله تعالى (ثمّ لتسئلن يومئذ عن النعيم).فسأل به كقولك اهتم به واشتغل به ، وسأل عنه كقولك بحث عنه وفتّش عنه . أو صلة (خبيرا) ويكون (خبيرا) مفعول (سل)، أى (فاسأل) عنه رجلا عارفا يخبرك برحمته أو (فاسأل) رجلا (خبيرا) به وبرحمته . أو الرحمن اسم من أسماء الله تعالى مذكور فى الكتب المتقدمة ولم يكونوا يعرفونه فقيل فاسأل بهذا الاسم من يخبرك من أهل الكتاب حتّى يعرف من ينكره . ومن ثم كانوا يقولون ما نعرف الرحمن إلاّ الذى باليمامة. يعنون مسيلمة وكان يقال له رحمان اليمامة .

(٧) أى إذا قال محمد عليه الصلاة والسلام للمشركين صلّوا لله واخضعوا له (قالوا وما الرحمن)؟ أى لا نعرف الرحمن فنسجد له . فهذا سؤال عن المسمّى به لأنّهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم ، والسؤال عن المجهول بما . أو عن معناه لأنّه لم يكن مستعملا فى كلامهم كما استعمل الرحيم والراحم والرحوم .

أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا(١) وَزَادَهُمْ نُفُوراً(٢) ۝ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجاً(٣) وَجَعَلَ فِيهَا(٤) سِرَاجاً(٥) وَقَمَراً مُّنِيراً(٦) ۝ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً(٧)

---

(١) للذى تأمرنا بالسجود له أو لأمرك بالسجود يا محمد من غير علم منّا به. (يأمرنا) علىّ وحمزة كأنّ بعضهم قال لبعض (أنسجد لما يأمرنا) محمد أو (يأمرنا) المسمّى بالرحمن ولا نعرف ما هو. فقد عاندوا، لأنّ معناه عند أهل اللغة ذو الرحمة التى لا غاية بعدها فى الرحمة لأنّ فعلان من أبنية المبالغة، تقول: رجل عطشان اذا كان فى نهاية العطش.

(٢) (وزادهم) قوله (اسجدوا للرحمن) تباعدا عن الإيمان.

(٣) هى منازل الكواكب السيارة لكلّ كوكب بيتان يقوى حاله فيهما. وللشمس بيت وللقمر بيت. فالحمل والعقرب بيتا المريخ، والثور والميزان بيتا الزهرة، والجوزاء والسنبلة بيتا عطارد، والسرطان بيت القمر، والأسد بيت الشمس، والقوس والحوت بيتا المشترى، والجدى والدلو بيتا زحل. وهذه البروج مقسومة على الطبائع الأربع فيصيب كلّ واحد منها ثلاثة بروج: فالحمل والأسد والقوس مثلثة نارية، والثور والسنبلة والجدى مثلثة أرضية، والجوزاء والميزان والدلو مثلثة هوائية، والسرطان والعقرب والحوت مثلثة مائية. سمّيت المنازل بالبروج التى هى القصور العالية لأنّها لهذه الكواكب كالمنازل لسكّانها. واشتقاق البروج من التبرّج لظهوره. وقال الحسن وقتادة ومجاهد: البروج هى النجوم الكبار لظهورها.

(٤) فى السماء.

(٥) يعنى الشمس لتوقّدها. (سرجا) حمزة وعلىّ أى نجوما.

(٦) مضيئا بالليل.

(٧) فعلة من خلف كالركبة من ركب. وهى الحالة التى يخلف عليها الليل والنهار كلّ واحد منهما الآخر. والمعنى جعلهما ذوى خلفة يخلف أحدهما الآخر عند مضيّه أو يخلفه فى قضاء ما فاته من الورد.

لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ(١) أَوْ أَرَادَ شُكُورًا(٢) ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ(٣) عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا(٤) وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا(٥) ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا(٦) ﴿٦٥﴾

---

(١) يتدبّر فى تسخيرهما واختلافهما فيعرف مدبّرها .(يذْكُر) حمزة وخلف أى يذكُر الله . أو المنسىّ فيقضى .

(٢) أى يشكر نعمة ربّه عليه فيهما .

(٣) (وعباد) مبتدأ خبره (الذين يمشون) .أو (أولئك يجزون) و (الذين يمشون) ومابعدهما صفة . والإضافة إلى(الرحمن) للتخصيص والتفضيل. وصف أولياءه بعد ما وصف أعداءه .

(٤) حال أو صفة للمشى أى هيّنين أو مشيا هيّنا . والهون الرفق واللين . أى يمشون بسكينة ووقار وتواضع دون مرح واختيال وتكبّر فلا يضربون بأقدامهم ولا يخفقون بنعالهم أشرا و بطرا. ولذا كره بعض العلماء الركوب فى الأسواق، ولقوله (ويمشون فى الأسواق) .

(٥) (وإذا خاطبهم الجاهلون) أى السفهاء بما يكرهون (قالوا سلاما) سدادا من القول يسلمون فيه من الإيذاء والإفك . أو تسلّما منكم نتارككم ولا نجاهلكم فأقيم السلام مقام التسلّم . قيل نسختها آية القتال ولا حاجة إلى ذلك. فالإغضاء عن السفهاء مستحسن شرعا ومروءة . هذا وصف نهارهم. ثمّ وصف ليلهم بقوله (والذين يبيتون لربّهم سجّدا) جمع ساجد (وقياما) جمع قائم . والبيتوتة خلاف الظلول. وهى أن يدركك الليل نمت أو لم تنم. وقالوا من قرأ شيئا من القرآن فى صلاة وإن قلّ فقد بات ساجدا وقائما . وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء . والظاهر أنّه وصف لهم بإحياء الليل أو أكثره .

(٦) هلاكا لازما . ومنه الغريم لملازمته . وصفهم بإحياء الليل ساجدين قائمين ، ثمّ عقّبه بذكر دعوتهم هذه إيذانا بأنّهم مع اجتهادهم خائفون مبتهلون متضرّعون إلى الله فى صرف العذاب عنهم .

إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا[1] ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟[2] وَلَمْ يَقْتُرُوا۟[3] وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا[4] ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ[5]

(١) أى إنّ جهنّم. و(ساءت) فى حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسّره (مستقراً) والمخصوص بالذمّ محذوف. معناه (ساءت مستقرا ومقاما) هى. وهذا الضمير هو الذى ربط الجملة باسم إنّ وجعلها خبرا لها. أو بمعنى أحزنت وفيها ضمير اسم إنّ و(مستقرا) حال أو تمييز.

ويصح أن يكون التعليلان متداخلين ومترادفين، وأن يكونا من كلام الله تعالى وحكاية لقولهم.

(٢) لم يجاوزوا الحدّ فى النفقة. أو لم يأكلوا للتنعم ولم يلبسوا للتصلّف. وعن ابن عباس رضى الله عنهما لم ينفقوا فى المعاصى. فالإسراف مجاوزة القدر. وسمع رجل رجلا يقول: لا خير فى الإسراف. فقال لا إسراف فى الخير. وقال عليه الصلاة والسلام "من منع حقّا فقد قتر ومن أعطى فى غير حقّ فقد أسرف".

(٣) بضم التاء كوفىّ. وبضم الياء وكسر التاء مدنىّ وشامىّ. وبفتح الياء وكسر التاء مكىّ وبصرىّ: والقتر والإقتار والتقتير، التضييق الذى هو نقيض الإسراف.

(٤) (وكان) إنفاقهم (بين ذلك) أى الإسراف والإقتار (قواما) أى عدلا بينهما. فالقوام العدل بين الشيئين. والمنصوبان أى (بين ذلك قواما) خبران. وصفهم بالقصد الذى هو بين الغلو والتقصير. وبمثله أمر عليه الصلاة والسلام (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك) الآية. وسأل عبد الملك بن مروان عمر بن عبد العزيز عن نفقته حين زوجه ابنته. فقال: الحسنة بين السيّئتين، فعرف عبد الملك أنّه أراد ما فى هذه الآية. وقيل أولئك أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام كانوا لا يأكلون طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون ثيابهم للجمال والزينة. ولكن لسدّ الجوعة وستر العورة ودفع الحرّ والقرّ. وقال عمر رضى الله عنه: كفى سرفا ألّا يشتهى الرجل شيئا إلا أكله.

(٥) أى لا يشركون.

وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ(١) إِلَّا بِٱلْحَقِّ(٢) وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ(٣) يَلْقَ أَثَامًا(٤) ۝ يُضَٰعَفْ(٥) لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ(٦) فِيهِۦ(٧) مُهَانًا(٨) ۝

(١) أى حرّمها يعنى حرّم قتلها .

(٢) (إلا بالحق) بقود أو رجم أو ردّة أو شرك أو سعى فى الأرض بالفساد. وهو متعلق بالقتل المحذوف أو بلا يقتلون .

ونفى هـذه الكبائر عن عباده الصالحين تعريض لمـا كان عليه أعداؤهم من قريش وغيرهم كأنّه قيل والذين طهّرهم الله ممـا أنتم عليه .

(٣) أى المذكور .

(٤) جزاء الإثم .

(٥) (يضاعف) بدل من (يلق) لأنّهما فى معنى واحد إذ مضاعفة العذاب هى لقاء الأثام كقوله :

متى تأتنا تُلْمِم بنا فى ديارنا * تجد حطبا جزْلا ونارا تأجّجا

بجزم تلمم لأنّه بمعنى تأتنا إذ الإتيان هو الإلمـام . (يضعّف) مكىّ ويزيد ويعقوب . (يضعّفُ) شامىّ. (يضاعفُ) أبو بكر على الاستئناف أو على الحال. ومعنى (يضاعف له العذاب يوم القيـامة) أى يعذب على مرور الأيام فى الآخرة عذابا على عذاب . وقيـل إذا ارتكب المشرك معاصى مع الشرك عذّب على الشرك وعلى المعاصى جميعا فتضاعف العقوبة لمضاعفة المعاقب عليه .

(٦) جزمه جازم (يضاعف) ورفعه رافعه لأنّه معطوف عليه .

(٧) فى العذاب . (فيهى) مكىّ وحفص بالإشباع . وإنّمـا خصّ حفص الإشباع بهذه الكلمة مبالغة فى الوعيد . والعرب تمدّ للمبالغة مع أنّ الأصل فى هاء الكناية الإشباع .

(٨) حال أى ذليلا .

إِلَّا مَن تَابَ[1] وَءَامَنَ[2] وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا[3] فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ[4] وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا[5] رَّحِيمًا[6] ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا[7] ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ[8] وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ[9] مَرُّواْ كِرَامًا[10] ﴿٧٢﴾

---

(١) (إلّا من تاب) عن الشرك . وهو استثناء من الجنس فى موضع النصب .

(٢) (وآمن) بمحمّد عليه الصلاة والسلام .

(٣) (وعمل) بعد توبته (عملا صالحا) .

(٤) أى يوفقهم للمحاسن بعد القبائح. أو يمحوها بالتوبة ويثبت مكانها الحسنات: الإيمان والطاعة . ولم يرد به أن السيئة بعينها حسنة ولكن المراد ما ذكرنا . (يبدل) مخففا البرجمى .

(٥) يكفر السيئات .

(٦) يبدلها بالحسنات .

(٧) أى (ومن تاب) وحقق التوبة بالعمل الصالح (فإنه يتوب) بذلك (إلى الله) تعالى (متابا) مرضيا عنده مكفرا للخطايا محصلا للثواب .

(٨) أى الكذب. يعنى ينفرون عن محاضر الكذابين ومجالس الخطائين فلا يقربونها تنزها عن مخالطة الشر وأهله ، إذ مشاهدة الباطل شركة فيه. وكذلك النظارة إلى ما لم تسوغه الشريعة هم شركاء فاعليه فى الآثام لأن حضورهم ونظرهم دليل الرضا . وسبب وجود الزيادة فيه . وفى مواعظ عيسى عليه السلام إياكم ومجالسة الخاطئين . أو (لا يشهدون) شهادة (الزور) على حذف المضاف. وعن قتادة المراد مجالس الباطل. وعن ابن الحنفية لا يشهدون اللهو والغناء.

(٩) بالفحش وكل ما ينبغى أن يلغى ويطرح . والمعنى (وإذا مرّوا) بأهل (اللغو) والمشتغلين به .

(١٠) معرضين مكرمين أنفسهم عن التلوث به كقوله (وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه) . وعن الباقر رضى الله عنه : إذا ذكروا الفروج كنوا عنها .

وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ[1] لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا[2] ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا[3] قُرَّةَ أَعْيُنٍ[4] وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا[5] ﴿٧٤﴾

---

(١) أى قرئ عليهم القرآن أو وعظوا بالقرآن .

(٢) هذا ليس بنفى الخرور بل هو إثبات له ونفى الصمم والعمى، ونحوه: لا يلقانى زيد مسلّما هو نفى للسلام لا للقاء. يعنى أنّهم إذا ذكّروا بها (خرّوا سجّدا و بكيّا) سامعين بآذان واعية، مبصرين بعيون راعية ، لما أمروا به ونهوا عنه، لا كالمنافقين وأشباههم . دليله قوله تعالى (ومن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خرّوا سجّدا و بكيّا) .

(٣) (من) للبيان كأنّه قيل (هب لنا) قرّة أعين. ثم بيلت القرّة وفسّرت بقوله (من أزواجنا وذرّياتنا) . ومعناه أن يجعلهم الله لهم (قرّة أعين) . وهو من قولهم: رأيت منك أسدا. أى أنت أسد . أو للابتداء على معنى هب لنا من جهتهم ما تقرّ به عيوننا من طاعة وصلاح . (وذرّيّتنا) أبو عمرو وكوفىّ غير حفص لإرادة الجنس . وغيرهم (ذرّيّاتنا) .

(٤) إنّما نكر لأجل تنكير القرّة لأنّ المضاف لا سبيل إلى تنكيره إلا بتنكير المضاف إليه كأنّه قال هب لنا منهم سرورا وفرحا . وإنّما قيل أعين على القلّة دون عيون لأنّ المراد أعين المتّقين وهى قليلة بالإضافة إلى عيون غيرهم. قال الله تعالى (وقليل من عبادى الشكور) ويجوز أن يقال فى تنكير أعين إنّها أعين خاصّة وهى أعين المتّقين . والمعنى أنّهم سألوا ربّهم أن يرزقهم أزواجا وأعقابا عمّالا لله تعالى يسرّون بمكانهم وتقرّبهم عيونهم . وقيل ليس شىء أقرّ لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله تعالى . وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هو الولد إذا رآه يكتب الفقه .

(٥) أى أئمة يقتدون بنا فى الدين . فاكتفى بالواحد لدلالته على الجنس ولعدم اللبس . أو واجعل كلّ واحد منّا إماما . قيل فى الآية مايدلّ على أنّ الرياسة فى الدين يجب أن تطلب و يرغب فيها .

أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ[1] بِمَا صَبَرُواْ[2] وَيُلَقَّوۡنَ[3] فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا[4] ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ[5] فِيهَا حَسُنَتۡ[6] مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا[7] ﴿٧٦﴾ قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡ[8] فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ[9] فَسَوۡفَ يَكُونُ[10] لِزَامَۢا[11] ﴿٧٧﴾

---

(١) أى الغرفات . وهى العلالى فى الجنّة فوحّد اقتصارا على الواحد الدالّ على الجنس . دليله قوله (وهم فى الغرفات آمنون) .

(٢) أى بصبرهم على الطاعات وعن الشهوات وعلى أذى الكفّار ومجاهدتهم وعلى الفقر وغير ذلك .

(٣) (ويَلْقَون) كوفىّ غير حفص .

(٤) (تحيّة) دعاء بالتعمير (وسلاما) ودعاء بالسلامة . يعنى أنّ الملائكة يحيّونهم ويسلّمون عليهم . أو يحيى بعضهم بعضا ويسلّم عليه .

(٥) حال .

(٦) أى الغرفة .

(٧) موضع قرار وإقامة . وهى فى مقابلة (ساءت مستقرّا ومقاما) .

(٨) (ما) متضمّنة لمعنى الاستفهام. وهى فى محلّ النصب . ومعناه ما يصنع بكم ربّى لولا دعاؤه إيّاكم إلى الإسلام . أو لولا عبادتكم له . أى أنّه خلقكم لعبادته كقوله (وما خلقت الجنّ والإنس إلّا ليعبدون) أى الاعتبار عند ربّكم لعبادتكم. أو ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة . وهو كقوله تعالى (ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم) . وقال الضحّاك (ما يعبأ) ما يبالى بمغفرتكم (لولا دعاؤكم) معه إلها آخر .

(٩) (فقد كذّبتم) رسولى يأهل مكّة .

(١٠) العذاب .

(١١) أى ذا لزام أو ملازما . وضع مصدر لازم موضع اسم الفاعل .

سورة الشعراء مكيّة

وهى مائتان وعشرون وسبع آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

طسٓمٓ[1] ۝ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ[2] ۝ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ[3] أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ[4] ۝ إِن نَّشَأْ[5] نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً[6] فَظَلَّتْ[7] أَعْنَٰقُهُمْ[8]

---

(١) طس ويس وحم ممالة كوفى غير الأعشى والبرجمى وحفص . ويظهر النون عند الميم يزيد وحمزة . وغيرهما يدغمها .

(٢) الظاهر إعجازه وصحة أنه من عند الله . والمراد به السورة أو القرآن . والمعنى آيات هذا المؤلف من الحروف المبسوطة (تلك آيات الكتاب المبين) .

(٣) لعلّ للإشفاق (باخع) قاتل (نفسك) من الحزن . يعنى أشفق على نفسك أن تقتلها حسرة وحزنا على ما فاتك من إسلام قومك .

(٤) لئلا يؤمنوا أو لامتناع إيمانهم أو خيفة ألّا يؤمنوا .

(٥) (إن نشأ) إيمانهم .

(٦) دلالة واضحة .

(٧) أى فتظلّ ، لأن الجزاء يقع فيه لفظ الماضى فى معنى المستقبل تقول: إن زرتنى أكرمتك أى أكرمك ، كذا قاله الزجاج .

(٨) رؤساؤهم ومقدّموهم أو جماعاتهم . يقال جاءنا عنق من الناس لفوج منهم .

لَهَا خَـٰضِعِينَ (١) ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ (٢) ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ (٣) فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَـٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا (٤) فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ (٥) كَرِيمٍ (٦) ﴿٧﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (٧) ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ (٨) ﴿٩﴾

(١) منقادين . وعن ابن عباس رضى الله عنهما نزلت فينا وفى بنى أمية فتكون لنا عليهم الدولة فتذل لنا أعناقهم بعد صعوبة ، ويلحقهم هوان بعد عزة .

(٢) أى وما يجدد لهم الله بوحيه موعظة وتذكيرا إلا جددوا إعراضا عنه وكفرا به .

(٣) (فقد كذبوا) محمدا صلى الله عليه وسلم فيما أتاهم به (فسيأتيهم) فسيعلمون (أنباء) أخبار (ما كانوا به يستهزئون) . وهذا وعيد لهم وإنذار بأنهم سيعلمون إذا مسهم عذاب الله يوم بدر أو يوم القيامة ما الشىء الذى كانوا يستهزئون به وهو القرآن وسيأتيهم أنباؤه وأحواله التى كانت خافية عليهم .

(٤) (كم) نصب بأنبتنا .

(٥) صنف من النبات .

(٦) محمود كثير المنفعة يأكل منه الناس والأنعام كالرجل الكريم الذى نفعه عام .

وفائدة الجمع بين كلمتى الكثرة والإحاطة أن كلمة كل تدل على الإحاطة بأزواج النبات على سبيل التفصيل ، وكم تدل على أن هذا المحيط متكاثر مفرط الكثرة . وبه نبه على كمال قدرته .

(٧) أى إن فى إنبات تلك الأصناف لآية على أن منبتها قادر على إحياء الموتى . وقد علم الله أن أكثرهم مطبوع على قلوبهم غير مرجو إيمانهم . ووحد آية مع الإخبار بكثرتها لأن ذلك مشار به إلى مصدر أنبتنا . أو المراد إن فى كل واحد من تلك الأزواج لآية أى آية .

(٨) (العزيز) فى انتقامه من الكفرة (الرحيم) لمن آمن منهم .

وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ[1] أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ قَوْمَ فِرْعَوْنَ[2] أَلَا يَتَّقُونَ[3] ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ[4] أَن يُكَذِّبُونِ ۝ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى[5] فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ[6] ۝ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ[7]

---

(١) (وإذ) مفعول به أى (و) اذكر (إذ نادى ربّك) دعا (موسى)

(٢) (أن) بمعنى أى (ائت القوم الظالمين) أنفسهم بالكفر، وبنى إسرائيل بالاستعباد وذبح الأولاد . سجّل عليهم بالظلم ثم عطف (قوم فرعون) عليهم عطف البيان كأنّ معنى (القوم الظالمين) وترجمته (قوم فرعون) . وكأنّهما عبارتان تعتقبان على مؤدّى واحد .

(٣) أى ائتهم زاجرا فقد آن لهم أن يتّقوا . وهى كلمة حثّ وإغراء . ويحتمل أنّه حال من الضمير فى (الظالمين) أى يظلمون غير متّقين الله وعقابه . فأدخلت همزة الإنكار على الحال .

(٤) الخوف غمّ يلحق الإنسان لأمر سيقع .

(٥) (ويضيقُ صدرى) بتكذيبهم إيّاى. مستأنف. أو عطف على (أخاف) . (ولا ينطلقُ لسانى) بأن تغلبنى الحميّة على ما أرى من المحال، وأسمع من الجدال . وبنصبهما يعقوب عطفا على (يكذّبون) . فالخوف متعلّق بهذه الثلاثة على هذا التقدير، وبالتكذيب وحده بتقدير الرفع .

(٦) أى أرسل إليه جبريل واجعله نبيّاً يعيننى على الرسالة . وكان هرون بمصر حين بعث موسى نبيّا بالشام. ولم يكن هذا الالتماس من موسى عليه السلام توقّفا فى الامتثال بل التماس عون فى تبليغ الرسالة . وتمهيد العذر فى التماس المعين على تنفيذ الأمر ليس بتوقّف فى امتثال الأمر . وكفى بطلب العون دليلا على التقبّل لا على التعلّل .

(٧) أى تبعة ذنب بقتل القبطىّ فحذف المضاف . أو سمّى تبعة الذنب ذنبا كما سمى جزاء السيّئة سيّئة .

فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ۞ قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ[1] إِنَّا[2] مَعَكُم[3] مُّسْتَمِعُونَ[4] ۞ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ[5] ۞ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۞ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا[6] وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ[7] ۞

(١) (فأخاف) أن يقتلونى به قصاصا. وليس هذا تعللا أيضا بل استدفاع للبلية المتوقعة، وفرق من أن يقتل قبل أداء الرسالة. ولذا وعده بالكلاءة والدفع بكلمة الردع. وجمع له الاستجابتين معا فى قوله (قال كلا فاذهبا) لأنه استدفعه بلاءهم فوعده الله الدفع بردعه من الخوف. والتمس منه رسالة أخيه فأجابه بقوله (اذهبا) أى جعلته رسولا معك (فاذهبا). وعطف (فاذهبا) على الفعل الذى يدل عليه (كلا). كأنه قيل ارتدع ياموسى عما تظن فاذهب أنت وهرون .

(٢) مع آياتنا وهى اليد والعصا وغير ذلك .

(٣) أى معكما بالعون والنصرة ، ومع من أرسلتما إليه بالعلم والقدرة .

(٤) خبر لإن. و(معكم) لغو. أو هما خبران. أى سامعون. والاستماع فى غير هذا الإصغاء للسماع . يقال استمع فلان إلى حديثه أى أصغى إليه . ولا يجوز حمله ههنا على ذلك فحمل على السماع .

(٥) لم يثن الرسول كما ثنى فى قوله (إنا رسولا ربك) لأن الرسول يكون بمعنى المرسل وبمعنى الرسالة فجعل ثمة بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيته . وجعل هنا بمعنى الرسالة فيستوى فى الوصف به الواحد والتثنية والجمع ، أو لأنهما لاتحادهما واتفاقهما على شريعة واحدة كأنهما رسول واحد ، أو أريد إن كل واحد منا .

(٦) (أن أرسل معنا بنى إسرائيل) بمعنى أى أرسل لتضمن الرسول معنى الإرسال وفيه معنى القول . يريد خلهم يذهبوا معنا إلى فلسطين وكانت مسكنهما . فأتيا بابه فلم يؤذن لهما سنة . حتى قال البواب: إن ههنا إنسانا يزعم أنه رسول رب العالمين. فقال: ائذن له لعلنا نضحك منه. فأديا إليه الرسالة . فعرف فرعون موسى . فعند ذلك (قال ألم نربك فينا وليدا) . وإنما حذف فأتيا فرعون فقالا ، اختصارا . والوليد الصبى لقرب عهده من الولادة . أى ألم تكن صغيرا فربيناك .

(٧) قيل ثلاثين سنة .

وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ(١) وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ(٢) ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا(٣) وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ(٤) ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ(٥) فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا(٦) وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ(٧) ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ(٨) ﴿٢٢﴾

---

(١) يعنى قتل القبطىّ . فعرّض إذ كان ملكا .

(٢) (وأنت من الكافرين) بنعمتى حيث قتلت خبّازى . أو كنت على ديننا الذى تسمّيه كفرا . وهذا افتراء منه عليه لأنّه معصوم من الكفر ، وكان يسايرهم بالتقيّة .

(٣) أى إذ ذاك .

(٤) الجاهلين بأنّها تبلغ القتل . والضالّ عن الشىء هو الذاهب عن معرفته . أو الناسين من قوله (أن تضلّ إحداهما فتذكّر إحداهما الأخرى). فدفع وصف الكفر عن نفسه ووضع الضالّين موضع الكافرين.(و إذاً) جواب و جزاء معا . وهذا الكلام وقع جوابا لفرعون و جزاء له لأنّ قول فرعون (وفعلت فعلتك) معناه أنّك جازيت نعمتى بما فعلت فقال له موسى: «نعم (فعلتها) مجازيا لك» تسليما لقوله لأنّ نعمته كانت جديرة بأن تجازى بنحو ذلك الجزاء .

(٥) (ففررت منكم) إلى مدين (لمّا خفتكم) أن تقتلونى . وذلك حين قال له مؤمن من آل فرعون (إنّ الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج) الآية .

(٦) نبوّة وعلما فزال عنّى الجهل والضلالة .

(٧) من جملة رسله .

(٨) كرّ على امتنانه عليه بالتربية فأبطله من أصله وأبى أن تسمّى نعمة لأنّها نقمة حيث بيّن أنّ حقيقة إنعامه عليه تعبيد بنى إسرائيل لأنّ تعبيدهم وقصدهم بذبح أبنائهم هو السبب فى حصوله عنده وتربيته . ولو تركهم لربّاه أبواه فكأنّ فرعون امتنّ على موسى بتعبيد قومه وإخراجه من حجر أبويه إذا حقّقت . وتعبيدهم تذليلهم واتّخاذهم عبيدا . ووحّد الضمير فى (تمنّها) و (عبّدت) وجمع فى (منكم) و (خفتكم) لأنّ الخوف والفرار لم يكونا منه وحده ولكن منه ومن ملئه المؤتمرين بقتله بدليل قوله (إنّ الملأ يأتمرون بك ليقتلوك). وأمّا الامتنان فمنه وحده وكذا التعبيد . (وتلك) إشارة إلى خصلة شنعاء مبهمة لايدرى ما هى إلّا بتفسيرها . ومحلّ (أن عبّدت) الرفع عطف بيان لتلك . أى تعبيدك بنى إسرائيل (نعمة تمنّها علىّ) .

قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١) ۝ قَالَ (٢) رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ (٣) إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ (٤) ۝ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ۝ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ (٥) ۝ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٦) ۝ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ۝ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ (٧) ۝

(١) أى إنّك تدّعى أنّك رسول ربّ العالمين فما صفته؟ لأنّك إذا أردت السؤال عن صفة زيد تقول: ما زيد؟ تعنى أطويل أم قصير أفقيه أم طبيب؟. نصّ عليه صاحب الكشاف وغيره.

(٢) (قال) موسى مجيبا له على وفق سؤاله.

(٣) أى وما بين الجنسين.

(٤) أى إن كنتم تعرفون الأشياء بالدليل، فكفى خلق هذه الأشياء دليلا. أو إن كان يرجى منكم الإيقان الذى يؤدّى إليه النظر الصحيح، نفعكم هـذا الجواب. وإلّا لم ينفع. والإيقان العلم الذى يستفاد بالاستدلال. ولذا لا يقال الله موقن.

(٥) (قال) أى فرعون لمن حوله من أشراف قومه وهم خمسمائة رجل عليهم الأساور وكانت للملوك خاصّة: (ألا تستمعون)، معجّبا قومه من جوابه لأنّهم يزعمون قدمهما وينكرون حدوثهما وأنّ لهما ربّا. فاحتاج موسى إلى أن يستدلّ بما شاهدوا حدوثه وفناءه فاستدلّ حيث (قال ربّكم وربّ آبائكم الأوّلين) أى هو خالقكم وخالق آبائكم. فإن لم تستدلّوا بغيركم فبأنفسكم. وإنّما قال (ربّ آبائكم) لأنّ فرعون كان يدّعى الربوبيّة على أهل عصره دون من تقدّمهم.

(٦) (قال) أى فرعون (إنّ رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون) حيث يزعم أنّ فى الوجود إلها غيرى وكان فرعون ينكر إلهيّة غـيره.

(٧) (إن كنتم تعقلون) فتستدلّون بمـا أقول فتعرفون ربّـكم. وهـذا غاية الإرشاد حيث عمّم أوّلا بخلق (السموات والأرض) وما بينهما ثمّ خصّص من العامّ للبيان أنفسهم وآباءهم لأنّ أقرب المنظور فيه من العاقل نفسه ومن ولد منه وما شاهد من أحواله من وقت ميلاده إلى وقت وفاته.

قَالَ أَوَ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ [١] ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ [٢] إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ [٣] ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ [٤] ﴿٣٢﴾

ثم خصص المشرق والمغرب لأن طلوع الشمس من أحد الخافقين وغروبها فى الآخر على تقدير مستقيم فى فصول السنة وحساب مستو من أظهر ما استدل به . ولظهوره انتقل إلى الاحتجاج به خليل الرحمن عن الاحتجاج بالإحياء والإماتة على نمروذ بن كنعان .

وقيل سأله فرعون عن الماهية جاهلا عن حقيقة سؤاله . فلما أجاب موسى بحقيقة الجواب وقع عنده أن موسى حاد عن الجواب حيث سأله عن الماهية وهو يجيب عن ربوبيته وآثار صنعه . فقال معجبا لهم من جواب موسى (ألا تستمعون) ؟ فعاد موسى إلى مثل قوله الأول . بخفته فرعون زاعما أنه حائد عن الجواب . فعاد ثالثا إلى مثل كلامه الأول مبينا أن الفرد الحقيق، إنما يعرف بالصفات، وأن السؤال عن الماهية محال . وإليه الإشارة فى قوله تعالى (إن كنتم تعقلون) . أى إن كان لكم عقل علمتم أنه لا تمكن معرفته إلا بهذا الطريق .

فلما تحير فرعون ولم يتهيأ له أن يدفع ظهور آثار صنعه (قال لئن اتخذت إلها غيرى) أى غيرى إلها (لأجعلنك من المسجونين) أى (لأجعلنك) واحدا ممن عرفت حالهم فى سجونى . وكان من عادته أن يأخذ من يريد سجنه فيطرحه فى هوة ذاهبة فى الأرض بعيدة العمق فرداً لا يبصر فيها ولا يسمع فكان ذلك أشد من القتل . ولو قيل لأسجننك لم يؤد هذا المعنى وإن كان أخصر .

(١) الواو للحال دخلت عليها همزة الاستفهام أى (أ) تفعل بى ذلك (ولو جئتك بشىء مبين) أى جائيا بالمعجزة .

(٢) بالذى يبين صدقك .

(٣) (إن كنت من الصادقين) أن لك بينة . وجواب الشرط مقدر أى فأحضره .

(٤) ظاهر الثعبانية لا شىء يشبه الثعبان، كما تكون الأشياء المزورة بالشعوذة والسحر . روى أن العصا ارتفعت فى السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة إلى فرعون وجعلت تقول : ياموسى مرنى بما شئت، ويقول فرعون : أسألك بالذى أرسلك إلا أخذتها . فأخذها فعادت عصا .

وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ[1] ۝ قَالَ[2] لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ[3] إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ[4] ۝ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا[5] تَأْمُرُونَ[6] ۝ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ[7] وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ[8] ۝ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ[9] ۝ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ[10] ۝

---

(١) فيه دليل على أن بياضها كان شيئاً يجتمع النظارة على النظر إليه لخروجه عن العادة. وكان بياضهـا نورياً . روى أن فرعون لمـا أبصر الآية الأولى قال فهل غيرها ؟ فأخرج يده فقال لفرعون ما هـذه ؟ قال فرعون يدك . فأدخلها فى إبطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشى الأبصار ويسد الأفق .

(٢) أى فرعون .

(٣) هو منصوب نصبين نصب فى اللفظ والعامل فيه مايقدر فى الظرف ، ونصب المحل وهو النصب على الحال من الملأ أى كائنين حوله . والعامل فيه (قال) .

(٤) (عليم) بالسحر . ثم أغوى قومه على موسى بقوله (يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره) .

(٥) منصوب لأنه مفعول به من قولك : أمرتك الخير .

(٦) تشيرون فى أمره من حبس أو قتل . من المؤامرة وهى المشاورة . أومن الأمر الذى هو ضد النهى . لمـا تحير فرعون برؤية الآيتين وزل عنه ذكر دعوى الإلهية وحط عن منكبيه كبرياء الربوبية وارتعدت فرائصه خوفاً، طفق يؤامر قومه الذين هم بزعمه عبيده وهو إلههم. أوجعلهم آمرين ونفسه مأموراً .

(٧) أخر أمرهما ولاتباغت قتلهما خوفاً من الفتنة .

(٨) شرطاً يحشرون السحرة .

(٩) عارضوا قول فرعون (إن هـذا لساحر عليم) بجاءوا بكلمة الإحاطة وصيغة المبالغة ليسكنوا بعض قلقه .

(١٠) أى يوم الزينة . وميقاته وقت الضحى لأنه الوقت الذى وقتـه لهم موسى عليـه السلام من يوم الزينة فى قوله تعالى (موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى) . والميقات ما وقت به أى حدد من زمان أو مكان . ومنه مواقيت الإحرام .

وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ (١) ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ (٢) ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ (٣) وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ (٤) ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ (٥) ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ (٦) وَعِصِيَّهُمْ (٧) وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ (٨) ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ (٩) مَا يَأْفِكُونَ (١٠) ﴿٤٥﴾

(١) أى اجتمعوا . وهو استبطاء لهم فى الاجتماع . والمراد منه استعجالهم .

(٢) (لعلّنا نتبع السحرة) فى دينهم (إن كانوا هم الغالبين) أى غلبوا موسى فى دينه . وليس غرضهم اتّباع السحرة . وإنّما الغرض الكلّىّ ألّا يتبعوا موسى فساقوا الكلام مساق الكناية لأنّهم إذا اتّبعوهم لم يكونوا متّبعين لموسى .

(٣) ويكسر العين علىّ . وهما لغتان .

(٤) أى (قال) فرعون (نعم) لكم أجر عندى وتكونون مع ذلك من المقرّبين عندى فى المرتبة والجاه ، فتكونون أوّل من يدخل علىّ وآخر من يخرج . ولمّا كان قولهم (أئنّ لنا لأجرا) فى معنى جزاء الشرط لدلالته عليه ، وكان قوله (وإنّكم إذًا لمن المقرّبين) معطوفا عليه ، دخلت (إذا) قارّة فى مكانها الذى تقضيه من الجواب والجزاء .

(٥) (ألقوا ما أنتم ملقون) من السحر فسوف ترون عاقبته .

(٦) سبعين ألف حبل .

(٧) سبعين ألف عصا . وقيل كانت الحبال اثنين وسبعين ألفا ، وكذا العصىّ .

(٨) أقسموا بعزّته وقوّته وهو من أيمان الجاهليّة .

(٩) تبتلع .

(١٠) ما يقلبونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم ويزوّرونه ويخيّلون فى حبالهم وعصيّهم أنّها حيّات تسعى .

فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ (١) ۝ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٢) ۝ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ (٣) ۝ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ (٤) إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ (٥) فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ (٦) وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (٧) ۝ قَالُواْ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ۝ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٨) ۝

---

(١) عبّر عن الخرور بالإلقاء بطريق المشاكلة لأنه ذكر مع الإلقاءات ، ولأنهم لسرعة ما سجدوا صاروا كأنهم ألقوا .

(٢) عن عكرمة رضى الله عنه أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء .

(٣) عطف بيان لربّ العالمين لأن فرعون كان يدعى الربوبية فأرادوا أن يعزلوه. وقيل إن فرعون لما سمع منهم (آمنّا بربّ العالمين) قال إيّاى عنيتم ؟ قالوا (ربّ موسى وهارون)

(٤) (قبل أن آذن لكم) بذلك .

(٥) (إنّه لكبيركم الذى علّمكم السحر) وقد تواطأتم على أمر ومكر .

(٦) (فلسوف تعلمون) وبال مافعلتم .ثم صرّح فقال (لأقطعنّ أيديكم وأرجلكم من خلاف) من أجل خلاف ظهر منكم .

(٧) كأنّه أراد به ترهيب العامّة لئلّا يتبعوهم فى الإيمان .

(٨) لاضرر — وخبر (لا) محذوف أى فى ذلك، أو علينا — (إنّا إلى ربّنا منقلبون . إنّا نطمع أن يغفر لنا ربّنا خطايانا أن كنّا) لأنْ كنّا (أوّل المؤمنين) من أهل المشهد أو من رعيّة فرعون . أرادوا لا ضرر علينا فى ذلك، بل لنا أعظم النفع لما يحصل لنا فى الصبر عليه لوجه الله من تكفير الخطايا — أو (لا ضير) علينا فيما تتوعّدنا به — إنّه لابدّ لنا من الانقلاب (إلى ربّنا) بسبب من أسباب الموت . والقتل أهون أسبابه وأرجاها . أو لا ضير علينا فى قتلك . إنّك إن قتلتنا انقلبنا إلى ربّنا انقلاب من يطمع فى مغفرته و يرجو رحمته لما رزقنا من السبق إلى الإيمان .

وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ[1] بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ[2] ۝ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ۝ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ[3] قَلِيلُونَ ۝ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ[4] ۝ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ[5] ۝ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ[6]

(١) و يوصل الهمزة حجازى .

(٢) (أسر بعبادى) بنى إسرائيل. سمّاهم عباده لإيمانهم بنبيه. أى سِر بهم ليلا — وهذا بعد سنين من إيمان السحرة — (إنكم متّبعون) يتّبعكم فرعون وقومه . علّل الأمر بالإسراء باتّباع فرعون وجنوده آثارهم. يعنى إنّى بنيت تدبير أمركم وأمرهم على أن تتقدّموا و يتّبعوكم حتّى يدخلوا مدخلكم من طريق البحر فأهلكهم . وروى أنّه مات فى تلك الليلة فى كلّ بيت من بيوتهم ولد فاشتغلوا بموتاهم حتّى خرج موسى بقومه . وروى أنّ الله تعالى أوحى إلى موسى أن اجمع بنى إسرائيل كلّ أربعة أبيات فى بيت ثمّ اذبح الجداء واضربوا بدمائها على أبوابكم فإنّى سآمر الملائكة ألّا يدخلوا بيتا على بابه دم وسآمرهم بقتل أبكار القبط ، واخبزوا خبزا فطيرا فإنّه أسرع لكم ثمّ (أسر بعبادى) حتّى تنتهى إلى البحر فيأتيك أمرى .

(٣) (فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين) أى جامعين للناس بعنف . فلمّا اجتمعوا قال (إنّ هؤلاء لشرذمة قليلون) والشرذمة الطائفة القليلة . ذكرهم بالاسم الدالّ على القلّة ثمّ جعلهم قليلا بالوصف ثمّ جمع القليل بجعل كلّ حزب منهم قليلا، واختار جمع السلامة الذى هو للقلّة . أو أراد بالقلّة الذلّة لا قلّة العدد . أى أنّهم لقلّتهم لايبالى بهم ولا تتوقّع غلبتهم . وإنّما استقلّ قوم موسى وكانوا ستّمائة ألف وسبعين ألفا لكثرة من معه. فعن الضحاك كانوا سبعة آلاف ألف.

(٤) أى أنهم يفعلون أفعالا تغيظنا وتضيّق صدورنا وهى خروجهم من مصرنا وحملهم حلينا وقتلهم أبكارنا .

(٥) شامىّ وكوفىّ. وغيرهم (حذرون). فالحذر المتيقّظ ، والحاذر الذى يجدّد حذره ، وقيل المؤدّى فى السلاح . وإنّما يفعل ذلك حذرا واحتياطا لنفسه، يعنى ونحن قوم من عادتنا التيقّظ والحذر واستعمال الحزم فى الأمور . فإذا خرج علينا خارج سارعنا إلى حسم فساده . وهذه معاذير اعتذر بها إلى أهل المدائن لئلا يظنّ به العجز والفتور .

(٦) بساتين .

وَعُيُونٍ (١) وَكُنُوزٍ (٢) وَمَقَامٍ (٣) كَرِيمٍ (٤) كَذَٰلِكَ (٥) وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ (٦) فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ (٧) فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ (٨) قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٩) قَالَ (١٠) كَلَّآ (١١) إِنَّ مَعِىَ (١٢) رَبِّى سَيَهْدِينِ (١٣) فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ (١٤)

---

(١) وأنهار جارية .

(٢) وأموال ظاهرة من الذهب والفضّة . وسمّاها كنوزاً لأنّهم لا ينفقون منها فى طاعة الله تعالى .

(٣) ومنزل .

(٤) بهى بهيج . وعن ابن عباس رضى الله عنهما المنابر .

(٥) يحتمل النصب على أخرجناهم مثل ذلك الإخراج الذى وصفنا ، والرفع على أنّه خبر مبتدأ محذوف أى الأمر كذلك .

(٦) عن الحسن لمّا عبروا النهر رجعوا وأخذوا ديارهم وأموالهم .

(٧) فلحقوهم — (فاتبعوهم) يزيد — (مشرقين) حال . أى داخلين فى وقت شروق الشمس وهو طلوعها . أدرك قوم فرعون موسى وقومه وقت طلوع الشمس .

(٨) أى تقابلا بحيث يرى كلّ فريق صاحبه . والمراد بنو إسرائيل والقبط .

(٩) أى قرب أن يلحقنا عدوّنا وأمامنا البحر .

(١٠) (قال) موسى عليه السلام ثقة بوعد الله إيّاه .

(١١) ارتدعوا عن سوء الظنّ بالله فلن يدركوكم .

(١٢) (معىَ) حفص .

(١٣) أى سيهدينى طريق النجاة من إدراكهم وإضرارهم . (سيهدينى) بالياء يعقوب .

(١٤) أى القلزم أو النيل .

فَانفَلَقَ[1] فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ[2] كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ[3] ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ[4] ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا[5] مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ[6] ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ[7] لَآيَةً[8] وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم[9] مُّؤْمِنِينَ[10] ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ[11] الرَّحِيمُ[12] ﴿٦٨﴾

---

(١) أى فضرب (فانفلق) وانشق فصار اثنى عشر فرقا على عدد الأسباط .

(٢) أى جزء تفرق منه .

(٣) كالجبل المنطاد فى السماء .

(٤) (وأزلفنا ثمّ) حيث انفلق البحر (الآخرين) . قوم فرعون . أى قرّبناهم من بنى إسرائيل أو من البحر .

(٥) (وأنجينا) من الغرق .

(٦) فرعون وقومه . وفيه إبطال القول بتأثير الكواكب فى الآجال وغيرها من الحوادث فإنّهم اجتمعوا فى الهلاك مع اختلاف طوالعهم .

روى أنّ جبريل عليه السلام كان بين بنى إسرائيل و بين آل فرعون فكان يقول لبنى إسرائيل: ليلحق آخركم بأوّلكم ، ويستقبل القبط فيقول: رويدكم يلحق آخركم بأوّلكم . فلمّا انتهى موسى إلى البحر ، قال يوشع لموسى: أين أمرت ؟ فهذا البحر أمامك وغشيك آل فرعون . قال موسى : ههنا . فخاض يوشع الماء . وضرب موسى بعصاه البحر فدخلوا . وروى أنّ موسى عليه الصلاة والسلام قال عند ذلك : يا من كان قبل كل شىء والمكوّن لكلّ شىء والكائن بعد كلّ شىء .

(٧) أى فيما فعلنا بموسى وفرعون .

(٨) لعبرة عجيبة لا توصف .

(٩) أى المغرقين .

(١٠) قالوا لم يؤمن منهم إلا آسية وحزقيل مؤمن آل فرعون ومريم التى دلّت موسى على قبر يوسف .

(١١) بالانتقام من أعدائه .

(١٢) بالإنعام على أوليائه .

وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ(١) نَبَأَ(٢) إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ(٣) مَا تَعْبُدُونَ(٤) ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ(٥) ﴿٧١﴾ قَالَ(٦) هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ(٧) ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ(٨) ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ(٩) ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ(١٠) ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ(١١)

---

(١) على مشركى قريش .

(٢) خبره .

(٣) قوم إبراهيم أو قوم الأب .

(٤) أى أىّ شىء تعبدون. وإبراهيم عليه السلام يعلم أنّهم عبدة الأصنام. ولكنّه سألهم ليريهم أنّ ما يعبدونه ليس بمستحقّ للعبادة .

(٥) وجواب (ماتعبدون)،(أصناما) كيسألونك(ماذا ينفقون قل العفو). (ماذا قال ربّكم قالوا الحقّ) . لأنّه سؤال عن المعبود لا عن العبادة . وإنّما زادوا (نعبد) فى الجواب افتخارا . ومباهاة بعبادتها . ولذا عطفوا على نعبد (فنظلّ لها عاكفين) فنقيم على عبادتها طول النهار . وإنّما قالوا (فنظلّ) لأنّهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل ، أو معناه الدوام .

(٦) أى إبراهيم .

(٧) هل يسمعون دعاءكم على حذف المضاف لدلالة (إذ تدعون) عليه .

(٨) (أو ينفعونكم) إن عبدتموها (أو يضرّون) إن تركتم عبادتها .

(٩) إضراب . أى لا تسمع ولا تنفع ولا تضرّ ولا نعبدها لشىء من ذلك . ولكن (وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) فقلّدناهم .

(١٠) الأوّلون .

(١١) أى الأصنام .

عَدُوٌّ لِّيٓ[١] إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ[٢] ۝ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ۝ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى[٣] وَيَسْقِينِ[٤] ۝ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ[٥] ۝ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ[٦] ۝ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ[٧] أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى[٨]

(١) العدوّ والصديق يجيئان فى معنى الوحدة والجماعة . يعنى لو عبدتهم لكانوا أعداء لى فى يوم القيامة كقوله (سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدّا). وقال الفرّاء هو من المقلوب أى فإنى عدوّهم . وفى قوله (عدوّ لى) دون لكم زيادة نصح ليكون أدعى لهم إلى القبول ولو قال فإنّهم عدوّ لكم لم يكن بتلك المثابة .

(٢) استثناء منقطع لأنّه لم يدخل تحت الأعداء كأنّه قال لكن (ربّ العالمين الذى خلقنى) بالتكوين فى القرار المكين (فهو يهدين) لمناهج الدنيا ولمصالح الدين . والاستقبال فى (يهدين) مع سبق العناية لأنه يحتمل (يهدين) للأهمّ الأفضل والأتمّ الأكمل . أو (الذى خلقنى) لأسباب خدمته (فهو يهدين) إلى آداب خدمته .

(٣) أضاف الإطعام ، إلى ولىّ الإنعام ، لأنّ الركون إلى الأسباب عادة الأنعام .

(٤) قال ابن عطاء : هو الذى (يحيينى) بطعامه ، ويروينى بشرابه .

(٥) وإنّما لم يقل أمرضنى لأنّه قصد الذكر ، بلسان الشكر ، فلم يضف إليه ما يقتضى الضرّ. قال ابن عطاء: (وإذا مرضت) برؤية الخلق، (فهو يشفين) بمشاهدة الحقّ. قال الصادق (وإذا مرضت) برؤية الأفعال (فهو يشفين) بكشف منّة الإفضال .

(٦) ولم يقل إذا متّ لأنّه الخروج من حبس البلاء ، ودار الفناء ، إلى روض البقاء ، لوعد اللقاء. وأدخل (ثمّ) فى الإحياء، لتراخيه عن الإفناء. وأدخل الفاء فى الهداية والشفاء لأنّهما يعقبان الخلق والمرض لا معا معا .

(٧) طمع العبيد فى الموالى بالإفضال ، لا على الاستحقاق بالسؤال .

(٨) قيل هو قوله (إنّى سقيم) . (بل فعله كبيرهم). (هذا ربّى) للبازغ . "هى أختى" لسارّة . وما هى إلّا معاريض جائزة . وليست بخطايا يطالب لها الاستغفار . واستغفار الأنبياء تواضع منهم لربّهم وهضم لأنفسهم وتعليم للأمم فى طلب المغفرة .

يَوْمَ ٱلدِّينِ (١) ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا (٢) وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ (٣) ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ (٤) ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ (٥) ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ (٦) إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ (٧) ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى (٨) يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٩) ﴿٨٧﴾ يَوْمَ (١٠) لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (١١) ﴿٨٩﴾

(١) يوم الجزاء .

(٢) حكمة أو حكما بين الناس بالحق . أو نبوة لأن النبى عليه السلام ذو حكمة وذو حكم بين عباد الله .

(٣) أى الأنبياء . ولقد أجابه حيث قال (وإنه فى الآخرة لمن الصالحين) .

(٤) أى ثناء حسنا وذكرا جميلا فى الأمم التى تجىء بعدى . فأُعطى ذلك . فكلّ أهل دين يتولّونه ويثنون عليه . ووضع اللسان موضع القول لأن القول يكون به .

(٥) يتعلّق بمحذوف أى وارثا (من ورثة جنّة النعيم) أى من الباقين فيها .

(٦) اجعله أهل المغفرة بإعطاء الإسلام . وكان وعده الإسلام يوم فارقه .

(٧) الكافرين .

(٨) الإخزاء من الخزى وهو الهوان . أو من الخزاية وهو الحياء . وهذا نحو الاستغفار كما بيّنا .

(٩) الضمير فيه للعباد لأنه معلوم. أو للضالّين وأن يجعل من جملة الاستغفار لأبيه أى (ولا تخزنى) فى (يوم) يبعث الضالّون وأبى فيهم .

(١٠) هو بدل من (يوم) الأوّل .

(١١) (لاينفع مال ولا بنون)أحدا (إلّا من أتى الله بقلب سليم)عن الكفر والنفاق. فقلب الكافر والمنافق مريض لقوله تعالى (فى قلوبهم مرض). أى أن المـال إذا صرف فى وجوه البرّ وبنوه صالحون فإنّه ينتفع به وبهم سليم القلب. أوجعل المـال والبنون فى معنى الغنى كأنّه قيل

وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ[1] ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ[2] لِلْغَاوِينَ[3] ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ[4] ﴿٩٣﴾

(يوم لاينفع) غنى إلاّ غنى (من أتى الله بقلب سليم)، لأنّ غنى الرجل فى دينه بسلامة قلبه كما أنّ غناه فى دنياه بماله وبنيه. وقد جعل (مَن) مفعولا لينفع أى (لاينفع مال ولا بنون) إلّا رجلا سلم قلبه مع ماله حيث أنفقه فى طاعة الله، ومع بنيه حيث أرشدهم إلى الدين وعلّمهم الشرائع. ويجوز على هذا (إلّا من أتى الله بقلب سليم) من فتنة المال والبنين. وقد صوّب الجليل، استثناء الخليل، إكراما له. ثمّ جعله صفة له فى قوله (وإنّ من شيعته لإبراهيم إذ جاء ربّه بقلب سليم). . . .

وما أحسن مارتّب عليه السلام كلامه مع المشركين حيث سألهم أوّلا عمّا يعبدون سؤال مقرّر لا مستفهم. ثمّ أقبل على آلهتهم فأبطل أمرها بأنّها لا تضرّ ولا تنفع ولا تسمع، وعلى تقليدهم آباءهم الأقدمين فأخرجه من أن يكون شبهة فضلا عن أن يكون حجة. ثمّ صوّر المسألة فى نفسه دونهم حتّى تخلّص منها إلى ذكر الله تعالى فعظّم شأنه وعدد نعمته من حين إنشائه إلى وقت وفاته مع ما يرجّى فى الآخرة من رحمته. ثمّ أتبع ذلك أن دعا بدعوات المخلصين وابتهل إليه ابتهال الأوّابين، ثمّ وصله بذكر يوم القيامة وثواب الله وعقابه وما يدفع إليه المشركون يومئذ من الندم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال وتمنّى الكرة إلى الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا .

(١) أى قرّبت. عطف جملة على جملة. أى تزلف من موقف السعداء فينظرون إليها.

(٢) أى أظهرت حتّى يكاد يأخذهم لهبها .

(٣) للكافرين .

(٤) يوبّخون على إشراكهم فيقال لهم (أين) آلهتكم؟ (هل) ينفعونكم بنصرتهم لكم؟ أو هل ينفعون أنفسهم بانتصارهم؟ لأنّهم وآلهتهم وقود النار .

فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ(١) وَجُنُودُ إِبْلِيسَ(٢) أَجْمَعُونَ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ(٣) تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ(٤) وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ(٥) فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ(٦) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ

(١) أنكسوا وطرح بعضهم على بعض (فيها) فى الجحيم (هم) أى الآلهة (والغاوون) وعبدتهم الذين برّزت لهم. والكبكبة تكرير الكبّ. جعل التكرير فى اللفظ دليلا على التكرير فى المعنى. كأنّه إذ ألقى فى جهنّم ينكبّ مرّة إثر مرّة حتّى يستقرّ فى قعرها. نعوذ بالله منها.

(٢) شياطينه أو متّبعوه من عصاة الإنس والجنّ.

(٣) يجوز أن ينطق الله الأصنام حتى يصحّ التقاول والتخاصم. ويجوز أن يجرى ذلك بين العصاة والشياطين.

(٤) نعدلكم أيّها الأصنام فى العبادة (بربّ العالمين).

(٥) أى رؤساؤهم الذين أضلّوهم أو إبليس وجنوده ومن سنّ الشرك.

(٦) (فما لنا من شافعين) كما للمؤمنين من الأنبياء والأولياء والملائكة (ولا صديق حميم) كما نرى لهم أصدقاء، إذ لايتصادق فى الآخرة إلّا المؤمنون. وأمّا أهل النار فبينهم التعادى (الأخلّاء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ إلّا المتّقين) أو (فما لنا من شافعين ولا صديق حميم) من الذين كنّا نعدّهم شفعاء وأصدقاء لأنّهم كانوا يعتقدون فى أصنامهم أنّهم شفعاؤهم عند الله، وكان لهم الأصدقاء من شياطين الإنس. والحميم — من الاحتمام وهو الاهتمام — الذى يهمّه ما يهمّك. أو من الحامّة بمعنى الخاصّة. وهو الصديق الخاصّ. وجمع الشافع ووحّد الصديق لكثرة الشفعاء فى العادة. وأما الصديق — وهو الصادق فى ودادك الذى يهمه ما أهمّك — فقليل. وسئل حكيم عن الصديق فقال: اسم لامعنى له. وجاز أن يراد بالصديق الجمع.

فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً (١) فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ (٢) لَآيَةً (٣) وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (٤) ۝ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ (٥) ٱلرَّحِيمُ (٦) ۝ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ (٧) ۝ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ (٨) نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (٩) ۝ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٠) ۝ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١١) ۝ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ (١٢) مِنْ أَجْرٍ (١٣)

---

(١) رجعة إلى الدنيا. وجواب (لو) محذوف وهو لفعلنا كيت وكيت . أو (لو) فى هذا بمعنى التمنى — كأنه قيل فليت لنا كرة — لما بين معنى لو وليت من التلاقى .

(٢) فيما ذكر من الأنباء .

(٣) أى لعبرة لمن اعتبر .

(٤) فيه أن فريقا منهم آمنوا .

(٥) المنتقم ممن كذب إبراهيم بنار الجحيم .

(٦) المسلم كل ذى قلب سليم إلى جنة النعيم .

(٧) القوم يذكر ويؤنث. قيل وُلِدَ نوح فى زمن آدم عليه السلام . ونظير قوله (المرسلين) — والمراد نوح عليه السلام — قولك فلان يركب الدواب ويلبس البرود، وماله إلا دابة أو برد. أو كانو ينكرون بعث الرسل أصلا ، فلذا جمع . أو لأن من كذب واحداً منهم فقد كذب الكل لأن كل رسول يدعو الناس إلى الإيمان بجميع الرسل . وكذا جميع ما فى هذه السورة .

(٨) نسبا لا دينا .

(٩) (ألا تتقون) خالق الأنام ، فتتركوا عبادة الأصنام .

(١٠) كان مشهورا بالأمانة فيهم كمحمد عليه الصلاة والسلام فى قريش .

(١١) (وأطيعون) فيما آمركم به وأدعوكم إليه من الحق .

(١٢) على هذا الأمر .

(١٣) جزاء .

إِنْ أَجْرِيَ[1] إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ فَاتَّقُوا اللَّهَ[2] وَأَطِيعُونِ[3] ۝ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ[4] الْأَرْذَلُونَ[5] ۝ قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ[6] ۝ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ[7] ۝ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ[8] ۝

---

(١) بالفتح مدنىّ وشامىّ وأبو عمرو وحفص .

(٢) فلذلك أريده .

(٣) كرّره ليقرّره فى نفوسهم مع تعليق كلّ واحد منهما بعلّة : فعلّة الأوّل كونه أمينا فيما بينهم، وعلّة الثانى حسم طمعه منهم . كأنّه قال : إذا عرفتم رسالتى وأمانتى (فاتّقوا الله) . ثمّ إذا عرفتم احترازى من الأجر (فاتّقوا الله) .

(٤) الواو للحال و"قد" مضمرة بعدها، دليله قراءة يعقوب (وأتباعُك) جمع تابع كشاهد وأشهاد . أو تبَع كبطل وأبطال .

(٥) السّفلة . والرّذالة الخسّة والدناءة. وإنّما استرذلوهم لاتّضاع نسبهم وقلّة نصيبهم من الدنيا . وقيل كانوا من أهل الصناعات الدنيئة . والصناعة لا تزرى بالديانة. فالغنى غنى الدين والنسب نسب التقوى . ولا يجوز أن يسمّى المؤمن رذلا وإن كان أفقر الناس وأوضعهم نسبا . وما زالت أتباع الأنبياء كذلك .

(٦) وأىّ شىء أعلم (بما كانوا يعملون) من الصناعات . إنّما أطلب منهم الإيمان .

(٧) قيل إنّهم طعنوا مع استرذالهم فى إيمانهم وقالوا إنّ الذين آمنوا بك ليس فى قلوبهم ما يظهرونه . فقال ما علىّ إلّا اعتبار الظواهر دون التفتيش عن السرائر (إن حسابهم إلّا على ربّى لو تشعرون) إنّ الله تعالى يحاسبهم على ما فى قلوبهم .

(٨) أى ليس من شأنى أن أتبع شهواتكم بطرد المؤمنين طمعا فى إيمانكم .

إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ[١] ﴿١١٥﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ[٢] لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ[٣] ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ[٤] ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا[٥] وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ[٦] ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ[٧] الْمَشْحُونِ[٨] ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ[٩] الْبَاقِينَ[١٠] ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ[١١] الرَّحِيمُ[١٢] ﴿١٢٢﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ[١٣] الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾

---

(١) ما علىّ إلّا أن أنذركم إنذارا بيّنا بالبرهان الصحيح الذى يتميّز به الحقّ من الباطل ثمّ أنتم أعلم بشأنكم .

(٢) (لئن لم تنته يانوح) عمّا تقولون .

(٣) من المقتولين بالحجارة .

(٤) ليس هـذا إخبارا بالتكذيب لعلمه أنّ عالم الغيب والشهادة أعلم. ولكنّه أراد أنّهم كذّبونى فى وحيك ورسالتك .

(٥) أى فاحكم بينى و بينهم حكما. والفتاحة الحكومة. والفتّاح الحاكم لأنّه يفتح المستغلق كما سمّى فيصلا لأنّه يفصل بين الخصومات .

(٦) (ونجّنى ومن معى من المؤمنين) من عذاب عملهم . (معىَ) حفص .

(٧) الفلك السفينة . وجمعه فلك . فالواحد بوزن قفل . والجمع بوزن أسد .

(٨) المملوء . ومنه شحنة البلد أى الذى يملؤه كفاية .

(٩) أى بعد إنجاء نوح ومن آمن .

(١٠) (الباقين) من قومه .

(١١) المنتقم بإهانة من جحد وأصرّ .

(١٢) المنعم بإعانة من وحّد وأقرّ .

(١٣) هى قبيلة . وفى الأصل اسم رجل هو أبو القبيلة .

إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝ فَاتَّقُوا اللَّهَ (١) وَأَطِيعُونِ ۝ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ (٢) آيَةً (٣) تَعْبَثُونَ (٤) ۝ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ (٥) لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (٦) ۝ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (٧) ۝ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٨) ۝ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ۝ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (٩) ۝ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٠) ۝

(١) فى تكذيب الرسول الأمين .

(٢) مكان مرتفع .

(٣) برج حمام أو بناء يكون لارتفاعه كالعلامة يسخرون بمن مرّ بهم .

(٤) تلعبون .

(٥) مآخذ الماء أو قصورا مشيدة أو حصونا .

(٦) ترجون الخلود فى الدنيا .

(٧) (وإذا) أخذتم أحدا بعقوبة (بطشتم جبّارين) قتلا بالسيف وضربا بالسوط . والجبّار الذى يقتل و يضرب على الغضب .

(٨) (فاتّقوا الله) فى البطش (وأطيعون) فيما أدعوكم إليه .

(٩) (الذى أمدّكم بما تعلمون) من النعم . ثمّ عدّدها عليهم فقال (أمدّكم بأنعام وبنين) قرن البنين بالأنعام لأنّهم يعينونهم على حفظها والقيام عليها .

(١٠) (إنّى أخاف) إن عصيتمونى (عذاب يوم عظيم) .

قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ[1] ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ[2] ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ[3] فَأَهْلَكْنَٰهُمْ[4] إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ[5] فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ[6] وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ[7] طَلْعُهَا[8] هَضِيمٌ[9] ﴿١٤٨﴾

---

(١) أى لانقبل كلامك ودعوتك وعظت أم سكت . ولم يقل أم لم تعظ لرءوس الآى .

(٢) ما هذا الذى نحن عليه من الحياة والموت واتخاذ الابنية إلا عادة الأولين ، أوما نحن عليه دين الأولين . (ألا خَلق الأولين) مكى وبصرى ويزيد وعلى . أى ماجئت به اختلاق الأولين وكذب المتنبئين قبلك كقولهم (أساطير الأولين) . أو خَلقنا كخلق الأولين نموت ونحيا كما حيوا (وما نحن بمعذبين) فى الدنيا ولا بعث ولا حساب .

(٣) أى هودا .

(٤) (فأهلكناهم) بريح صرصر عاتية .

(٥) إنكار لأن يتركوا خالدين فى نعيمهم لا يزالون عنه .

(٦) (أتتركون) فى الذى استقر فى هـذا المكان من النعيم (آمنين) من العذاب والزوال والموت . ثم فسر بقوله (فى جنات وعيون) وهذا أيضا إجمال ثم تفصيل .

(٧) عطف (ونخل) على (جنات) مع أن الجنة تتناول النخل أول شىء ، تفضيلا للنخل على سائر الشجر .

(٨) هو مايخرج من النخل كنصل السيف .

(٩) لين نضيج كأنه قال ونخل قد أرطب ثمره .

وَتَنْحِتُونَ[1] مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَـٰرِهِينَ[2] ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ[3] ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ[4] ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ[5] ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ[6] ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَـٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ[7] ﴿١٥٥﴾

---

(١) تنقبون .

(٢) شامى وكوفى. حاذقين. حال. وغيرهم (فرهين) أشرين. والفراهة الكيس والنشاط.

(٣) الكافرين، أو التسعة الذين عقروا الناقة . جعل الأمر مطاعا على المجاز الحكمى — والمراد الآمر — وهو كل جملة أخرجت الحكم المفاد بها عن موضوعه فى العقل لضرب من من التأول كقولهم أنبت الربيع البقل .

(٤) (الذين يفسدون فى الأرض) بالظلم والكفر (ولا يصلحون) بالإيمان والعدل . والمعنى أن فسادهم مصمت ليس معه شىء من الصلاح كما تكون حال بعض المفسدين مخلوطة ببعض الصلاح .

(٥) المسحر الذى سحر كثيرا حتى غلب على عقله . وقيل هو من السَّحْر الرئة وأنه بشر.

(٦) (إن كنت من الصادقين) فى دعوى الرسالة .

(٧) (لها شرب) نصيب من الماء فلا تزاحموها فيه (ولكم شرب) لا تزاحمكم هى فيه . روى أنهم قالوا نريد ناقة عُشَراء تخرج من هـذه الصخرة فتلد سَقْبا . فجعل صالح يتفكر . فقال له جبريل : صلّ ركعتين واسأل ربك الناقة . ففعل . فخرجت ونُتجت سقبا مثلها فى العظم وصدرها ستون ذراعا . وإذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله وإذا كان يوم شربهم لا تشرب فيه الماء . وهذا دليل على جواز المهايأة لأن قوله (لها شرب ولكم شرب يوم معلوم) من المهايأة .

وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ[1] فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ[2] ۝ فَعَقَرُوهَا[3] فَأَصۡبَحُواْ نَٰدِمِينَ[4] ۝ فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ[5] إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ۝ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ۝ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝ أَتَأۡتُونَ ٱلذُّكۡرَانَ مِنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ[6] ۝ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۚ[7]

---

(١) بضرب أو عقر أو غير ذلك .

(٢) عظّم اليوم لحلول العذاب فيه. ووصف اليوم به أبلغ من وصف العذاب لأنّ الوقت إذا عظم بسببه كان موقعه من العظم أشدّ .

(٣) عقرها قدار . ولكنّهم راضون به فأضيف اليهم . روى أنّ عاقرها قال : لا أعقرها حتّى ترضوا أجمعين . فكانوا يدخلون على المرأة فى خدرها فيقولون أترضين؟ فتقول نعم. وكذلك صبيانهم .

(٤) (فأصبحوا نادمين) على عقرها خوفا من نزول العذاب بهم لا ندم توبة. أو ندموا حين لا ينفع الندم . وذلك عند معاينة العذاب . أو على ترك الولد .

(٥) (فأخذهم العذاب) المقدّم ذكره

(٦) أراد بالعالمين الناس . أتطئون الذكور من الناس مع كثرة الإناث. أو أتطئون أنتم من بين من عداكم من العالمين الذكران، أى أنتم مختصون بهذه الفاحشة. و(العالمين) على هذا كلّ ما ينكح من الحيوان .

(٧) (من) تبيين لما خلق أو تبعيض. والمراد بما خلق المباح منهنّ. وكانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم . وفيه دليل على تحريم أدبار الزوجات والمملوكات . ومن أجازه فقد أخطأ خطأ عظيما .

بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ عَادُونَ(١) ۝ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰلُوطُ(٢) لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُخۡرَجِينَ(٣) ۝ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلۡقَالِينَ(٤) ۝ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهۡلِي مِمَّا يَعۡمَلُونَ(٥) ۝ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ(٦) ۝ إِلَّا عَجُوزٗا(٧) فِي ٱلۡغَٰبِرِينَ(٨) ۝ ثُمَّ دَمَّرۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ(٩) ۝ وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗا(١٠)

---

(١) العادى المتعدّى فى ظلمه المتجاوز فيه الحدّ. أى بل أنتم قوم أحقّ بأن توصفوا بالعدوان حيث ارتكبتم مثل هذه العظيمة .

(٢) (لئن لم تنته) عن إنكارك علينا وتقبيح أمرنا .

(٣) من جملة من أخرجناه من بين أظهرنا وطردناه من بلدنا ، ولعلّهم كانوا يخرجون من أخرجوه على أسوأ حال .

(٤) هو أبلغ من أن يقول "قال". فقولك فلان من العلماء أبلغ من قولك فلان عالم لأنك تشهد بأنّه مساهم لهم فى العلم . والقِلى البغض يقلى الفؤاد والكبد . وفيه دليل على عظم المعصية لأنّ قِلاه من حيث الدين

(٥) من عقوبة عملهم .

(٦) يعنى بناته ومن آمن معه .

(٧) هى امرأة لوط وكانت راضية بذلك . والراضى بالمعصية فى حكم العاصى . واستثناء الكافرة من الأهل وهم مؤمنون للاشتراك فى هذا الاسم وإن لم تشاركهم فى الإيمان .

(٨) صفة لها ، أى فى الباقين فى العذاب فلم تنج منه. والغابر فى اللغة الباقى . كأنّه قيل إلّا عجوزا غابرة أى مقدراً غبورها إذ الغبور لم يكن صفتها وقت تنجيتهم .

(٩) والمراد بتدميرهم الائتفاك بهم .

(١٠) عن قتادة أمطر الله على شُذّاذ القوم حجارة من السماء فأهلكهم الله . وقيل لم يرض بالائتفاك حتى أتبعه مطرا من حجارة .

فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ (١) ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ (٢) ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ (٣) ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ (٤) ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ (٥) ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ (٦) وَلَا تَعْثَوْا۟ (٧) فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾

---

(١) (فساء) فاعله (مطر المنذرين). والمخصوص بالذم — وهو مطرهم — محذوف. ولم يرد بالمنذرين قوما بأعيانهم بل المراد جنس الكافرين.

(٢) بالهمزة والجر هى غيضة تنبت ناعم الشجر، عن الخليل. (لَيْكَةَ) حجازى وشامى وكذا فى (ص) علم لبلد. قيل أصحاب الأيكة هم أهل مدين التجئوا إلى غيضة إذ ألح عليهم الوهج. والأصح أنهم غيرهم. نزلوا غيضة بعينها بالبادية. وأكثر شجرهم المقل. بدليل أنه لم يقل هنا أخوهم شعيب لأنه لم يكن من نسبهم بل كان من نسب أهل مدين. ففى الحديث أن شعيبا أخا مدين أرسل إليهم وإلى أصحاب الأيكة.

(٣) أتموه ولا تنقصوا الناس حقوقهم. فالكيل واف وهو مأمور به، وطفيف وهو منهى عنه، وزائد وهو مسكوت عنه. فتركه دليل على أنه إن فعله فقد أحسن وإن لم يفعل فلا شىء عليه.

(٤) وبكسر القاف كوفى غير أبى بكر. وهو الميزان أو القبان. فإن كان من القسط وهو العدل وجعلت العين مكررة فوزنه فعلاس وإلا فهو رباعى.

(٥) يقال بخسته حقه إذا نقصته إياه.

(٦) دراهمهم ودنانيرهم بقطع أطرافهما.

(٧) ولا تبالغوا فيها فى الإفساد نحو قطع الطريق والغارة وإهلاك الزروع. وكانوا يفعلون ذلك فنهوا عنه، يقال عثا فى الأرض إذا أفسد. وعثى فى الأرض لغة فى عثا.

وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ (١) ۝ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ۝ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا (٢) وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ (٣) ۝ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا (٤) مِّنَ ٱلسَّمَآءِ (٥) إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ (٦) ۝ قَالَ رَبِّىٓ (٧) أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (٨) ۝ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ (٩)

---

(١) الجبلّة عطف على "كم". أى اتّقوا الذى خلقكم وخلق (الجبلّة الأوّلين) الماضين .

(٢) إدخال الواو هنا ليفيد معنيين كلاهما مناف للرسالة عندهم : التسحير ، والبشريّة . وتركها فى قصة ثمود ليفيد معنى واحدا وهو كونه مسحّرا . ثمّ قرّر بكونه بشرا مثلهم .

(٣) (إن) مخفّفة من الثقيلة. واللام دخلت للفرق بينها وبين النافية. وإنّما تفرّقتا على فعل الظنّ وثانى مفعوليه، لأنّ أصلهما أن يتفرّقا على المبتدأ والخبر كقولك إنّ زيداً لمنطلق . فلمّا كان بابا (كان) و(ظننت) من جنس باب المبتدأ والخبر فعل ذلك فى البابين فقيل إنْ كان زيد لمنطلقا وإنْ ظننته لمنطلقا .

(٤) (كِسَفا) حفص . وهما جمعا كسفة وهى القطعة . وكسفه قطعه .

(٥) أى السحاب أو الظُّلّة .

(٦) أى إن كنت صادقا أنّك نبىّ فادع الله أن يسقط علينا كسفا من السماء أى قطعا من السماء عقوبة .

(٧) بفتح الياء حجازىّ وأبو عمرو . وبسكونها غيرهم .

(٨) أى أنّ الله أعلم بأعمالكم وبما تستحقّون عليها من العذاب . فان أراد أن يعاقبكم بإسقاط كسف من السماء فعل ، وإن أراد عقابا آخر فإليه الحكم والمشيئة .

(٩) هى سحابة أظلّتهم بعد ما حبست عنهم الريح وعذّبوا بالحرّ سبعة أيّام فاجتمعوا تحتها مستجيرين بها ممّا نالهم من الحرّ فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا .

إِنِّي أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٣٥﴾ ... إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ[1] ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُۥ[2] لَتَنزِيلُ[3] رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ[4] ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلۡبِكَ[5] لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ[6] مُّبِينٖ[7] ﴿١٩٥﴾

---

(١) وقد كرّر في هذه السورة في أوّل كلّ قصة وآخرها ما كرّر تقريرا لمعانيها في الصدور ليكون أبلغ في الوعظ والزجر ، ولأنّ كلّ قصّة منها كتنزيل برأسه وفيهـا من الاعتبار مثل ما في غيرها فكانت جديرة بأن تفتتح بمـا افتتحت به صاحبتها وأن تختتم بمـا اختتمت به .

(٢) أى القرآن .

(٣) منزّل منه .

(٤) (نزل) مخفف . والفاعل (الروح الأمين) أى جبريل لأنّه أمين على الوحى الذى فيه الحياة . حجازىّ وأبو عمرو وزيد وحفص . وغيرهم بالتشديد ونصب (الروحَ) . والفاعل هو الله تعالى . أى جعل الله الروح نازلا به . والباء على القراءتين للتعدية .

(٥) أى حفّظك وفهّمك إيّاه وأثبته فى قلبك إثبات مالاينسى كقوله (سنقرئك فلا تنسى).

(٦) بلغة قريش وجرهم .

(٧) فصيح ومصحّح عمّا صحّفته العامّة . والباء إمّا أن يتعلّق بالمنذرين . أى لتكون من الذين أنذروا بهذا اللسان وهم هود وصالح وشعيب وإسمعيل عليهم السلام . أو بنزل أى نزّله (بلسان عربى) لتنذر به . لأنّه لو نزّله بلسان أعجمىّ لتجافوا عنه أصلا ولقالوا ما نصنع بمـا لا نفهمه فيتعذّر الإنذار به . وفى هذا الوجه أنّ تنزيله بالعربية التى هى لسانك ولسان قومك تنزيل له على قلبك لأنّك تفهمه وتُفهّمه قومَك . ولو كان أعجميّا لكان نازلا على سمعك دون قلبك لأنّك تسمع أجراس حروف لا تفهم معانيهـا ولا تعيها . وقد يكون الرجل عارفا بعدّة لغات فإذا كُلّم بلغته التى نشأ عليهـا لم يكن قلبه ناظرا إلّا إلى معانى الكلام وإن كُلّم بغيرها كان نظره أوّلا فى ألفاظها ثمّ فى معانيها وإن كان ماهرا بمعرفتها . فهذا تقرير أنّه نزل على قلبه لنزوله بلسان عربىّ مبين .

وَإِنَّهُۥ[1] لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ[2] ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ[3] عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ[4] ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ[5] ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ[6] ﴿١٩٩﴾

---

(١) وإنّ القرآن .

(٢) يعنى ذكره مثبت فى سائر الكتب السماويّة . وقيل إنّ معانيه فيها . وفيه دليل على أنّ القرآن قرآن إذا ترجم بغير العربيّة فيكون دليلا على جواز قراءة القرآن بالفارسيّة فى الصلاة .

(٣) (أولم تكن لهم آيةٌ) شامىّ . جعلت (آية) اسم كان . وخبره (أن يعلمه) أى القرآن لوجود ذكره فى التوراة . وقيل فى (تكن) ضمير القصّة و (آية) خبر مقدّم والمبتدأ (أن يعلمه) . والجملة خبر كان . وقيل كان تامّة والفاعل (آية) و (أن يعلمه) بدل منها أو خبر مبتدأ محذوف أى أو لم تحصل لهم آية . وغيره (يكن) بالتذكير و (آية) بالنصب، على أنها خبره و (أن يعلمه) هو الاسم . وتقديره (أو لم يكن لهم) علم علماء (بنى إسرائيل) آية .

(٤) كعبد الله بن سلام وغيره . قال الله تعالى (وإذا يتلى عليهم قالوا آمنّا به إنّه الحقّ من ربّنا إنّا كنّا من قبله مسلمين) . وخطّ فى المصحف (علمؤا) بواو قبل الألف .

(٥) جمع أعجم وهو الذى لا يفصح . وكذلك الأعجمىّ . إلّا أنّ فيه لزيادة ياء النسبة زيادة تأكيد . ولمّا كان من يتكلّم بلسان غير لسانهم لا يفقهون كلامه قالوا له أعجم وأعجمىّ ، شبّهوه بمن لا يفصح ولا يبين . والعجمىّ الذى من جنس العجم أفصح أو لم يفصح . وقرأ الحسن (الأعجميين) . وقيل (الأعجمين) تخفيف (الأعجميّين) كما قالوا الأشعرون أى الأشعريّون بحذف ياء النسبة . ولولا هذا التقدير لم يجز أن يجمع جمع السلامة لأنّ مؤنثه عجماء .

(٦) والمعنى أنّا أنزلنا القرآن على رجل عربىّ مبين ففهموه وعرفوا فصاحته وأنّه معجز وانضمّ إلى ذلك اتّفاق علماء أهل الكتاب قبله على أنّ البشارة بإنزاله وصفته فى كتبهم، وقد تضمّنت معانيه وقصصه وصحّ بذلك أنّها من عند الله وليست بأساطير كما زعموا. فلم يؤمنوا به وسمّوه شعرا تارة وسحرا أخرى وقالوا هذا من افتراء محمد عليه الصلاة والسلام . ولو نزّلناه على بعض الأعاجم الذى لا يحسن العربية فضلا أن يقدر على نظم مثله فقرأه عليهم هكذا معجزا لكفروا به كما كفروا ولتمحّلوا لجحودهم عذرا ولسموه سحرا .

كَذَٰلِكَ سَلَكۡنَٰهُ(١) فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ(٢) حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ(٣) ﴿٢٠١﴾ فَيَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗ(٤) وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ(٥) ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُواْ(٦) هَلۡ نَحۡنُ مُنظَرُونَ(٧) ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسۡتَعۡجِلُونَ(٨) ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيۡتَ إِن مَّتَّعۡنَٰهُمۡ سِنِينَ(٩) ﴿٢٠٥﴾

---

(١) هو مدلول قوله (ما كانوا به مؤمنين) أى أدخلنا التكذيب أو الكفر (فى قلوب المجرمين) الكافرين الذين علمنا منهم اختيار الكفر والإصرار عليه . يعنى مثل هـذا السلك (سلكناه) فى قلوبهم وقررناه فيها فكيفما فعل بهم وعلى أى وجه دبّر أمرهم فلا سبيل إلى أن يتغيّروا عمّاهم عليه من الكفر به والتكذيب له ، كما قال (ولو نزّلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلّا سحر مبين). وهو حجّتنا على المعتزلة فى خلق أفعال العباد خيرها وشرّها .

(٢) بالقرآن . وموقعه من قوله (سلكناه فى قلوب المجرمين) موقع الموضّح والملخّص لأنّه مسوق لثبات كونه مكذّبا مجحودا فى قلوبهم فاتبع ما يقرّر هذا المعنى من أنّهم لا يزالون على التكذيب به وجحوده حتّى يعاينوا الوعيد . ويجوز أن يكون حالا أى سلكناه فيهـا غير مؤمن به .

(٣) المراد معاينة العذاب عند الموت ويكون ذلك إيمـان يأس فلا ينفعهم .

(٤) بغاة .

(٥) (وهم لايشعرون) بإتيانه .

(٦) (فيقولوا) و(فيأتيهم) معطوفان على (يروا) .

(٧) يسألون النظرة والإمهال طرفة عين فلا يجابون إليها .

(٨) توبيخ لهم وإنكار عليهم قولهم (فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) ونحو ذلك .

(٩) قيل هى سنو مدّة الدنيا .

ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ (١) مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ (٢) وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ (٣) ذِكْرَىٰ (٤) وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ (٥)

(١) من العذاب .

(٢) (ما كانوا يمتّعون) به فى تلك السنين .

والمعنى أنّ استعجالهم بالعذاب إنّما كان لاعتقادهم أنّه غير كائن ولا لاحق بهم ، وأنّهم ممتّعون بأعمار طوال فى سلامة وأمن . فقال الله تعالى (أفبعذابنا يستعجلون) أشرا و بطرا واستهزاء واتّكالا على الأمل الطويل. ثمّ قال: هب أنّ الأمر كما يعتقدون من تمتيعهم وتعميرهم. فإذا لحقهم الوعيد بعد ذلك ما ينفعهم حينئذ ما مضى من طول أعمارهم وطيب معايشهم . قال يحيى بن معاذ أشدّ الناس غفلة من اغترّ بحياته ، والتذّ بمراداته ، وسكن إلى مألوفاته . والله تعالى يقول (أفرأيت إن متّعناهم سنين. ثمّ جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتّعون) . وعن ميمون بن مهران أنّه لقى الحسن فى الطواف وكان يتمنّى لقاءه فقال : عظنى . فلم يزده على تلاوة هذه الآية . فقال ميمون : قد وعظت فأبلغت . وعن عمر بن عبد العزيز أنّه كان يقرؤها عند جلوسه للحكم .

(٣) رسل ينذرونهم . ولم تدخل الواو على الجملة بعد إلّا كما فى (وما أهلكنا من قرية إلّا ولها كتاب معلوم) لأنّ الأصل عدم الواو إذ الجملة صفة لقرية . وإذا زيدت فتأكيد وصل الصفة بالموصوف .

(٤) منصوبة بمعنى تذكرة لأنّ أنذر وأذكر متقاربان فكأنّه قيل مذكّرون تذكرة . أو حال من الضمير فى (منذرون) أى ينذرونهم ذوى تذكرة . أو مفعول له أى ينذرون لأجل التذكرة والموعظة. أو مرفوعة على أنّها خبر مبتدأ محذوف بمعنى هذه (ذكرى) والجملة اعتراضيّة. أو صفة بمعنى (منذرون) ذوو (ذكرى) . أو تكون (ذكرى) متعلّقة بأهلكنا مفعولا له . والمعنى وما أهلكنا من أهل قرية ظالمين إلّا بعد ما ألزمناهم الحجة بإرسال المنذرين إليهم ليكون إهلاكهم تذكرة وعبرة لغيرهم فلا يعصوا مثل عصيانهم .

(٥) (وما كنّا ظالمين) فنهلك قوما غير ظالمين .

وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ[1] ۝ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ[2] ۝ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ[3] ۝ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ[4] ۝ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ[5] لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ[6] ۝ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ[7] ۝

---

(١) (وما تنزّلت به) أى القرآن (الشياطين وما ينبغى لهم وما يستطيعون) وما يتسهّل لهم ولا يقدرون عليه . لمّا قال المشركون إنّ الشياطين تلقى القرآن على محمد ، أنزل .

(٢) لممنوعون بالشهب .

(٣) مورد النهى لغيره على التعريض والتحريك له على زيادة الإخلاص .

(٤) خصّهم لنفى التهمة، إذ الإنسان يساهل قرابته. أو ليعلموا أنّه لا يغنى عنهم من الله شيئا ، وأن النجاة فى اتّباعه دون قربه. ولمّا نزلت صعد الصفا ونادى الأقرب فالأقرب وقال: "يا بنى عبد المطّلب ، يا بنى هاشم ، يا بنى عبد مناف ، يا عبّاس عمّ النبىّ ، يا صفيّة عمّة رسول الله : إنّى لا أملك لكم من الله شيئا " .

(٥) وألن جانبك وتواضع . وأصله أنّ الطائر إذا أراد أن ينحطّ للوقوع كسر جناحه وخفضه . وإذا أراد أن ينهض للطيران رفع جناحه . فجعل خفض جناحه عند الانحطاط مثلا فى التواضع ولين الجانب .

(٦) من عشيرتك وغيرهم .

(٧) يعنى أنذر قومك . فإن اتّبعوك وأطاعوك فاخفض جناحك لهم . وإن عصوك ولم يتّبعوك فتبرّأ منهم ومن أعمالهم من الشرك بالله وغيره .

وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ (١) ۝ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ (٢) ۝ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (٣) ۝ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ (٤) ۝ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝

(١) (وتوكّل) على الذى يقهر أعداءك بعزّته ، وينصرك عليهم برحمته ، يكفك شرّ من يعصيك منهم ومن غيرهم . والتوكّل تفويض الرجل أمره إلى من يملك أمره ، ويقدر على نفعه وضرّه . وقالوا المتوكّل من إذا دهمه أمر لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو معصية لله . وقال الجنيد رضى الله عنه : التوكّل أن تقبل بالكليّة على ربّك وتعرض بالكليّة عما دونه . فإنّ حاجتك إليه فى الدارين . (فتوكّل) مدنىّ وشامىّ عطف على (فقل) أو (فلا تدع) .

(٢) (الذى يراك حين تقوم) متهجّدا (وتقلّبك) أى (و) يرى (تقلّبك فى الساجدين) فى المصلّين . أتبع كونه رحيما على رسوله ما هو من أسباب الرحمة . وهو ذكر ما كان يفعله فى جوف الليل من قيامه للتهجّد وتقلّبه فى تصفّح احوال المتهجّدين من أصحابه ليطّلع عليهم من حيث لا يشعرون وليعلم كيف يعبدون الله ويعملون لآخرتهم . وقيل معناه (يراك) حين تقوم للصلاة بالناس جماعة . وتقلّبه (فى الساجدين) تصرّفه فيما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده وقعوده إذا أمّهم . وعن مقاتل أنّه سأل أبا حنيفة : هل تجد الصلاة بالجماعة فى القرآن ؟ فقال لا يحضرنى . فتلا له هذه الآية .

(٣) (إنّه هو السميع) لما تقوله (العليم) بما تنويه وتعمله . هوّن عليه معاناة مشاقّ العبادات حيث أخبر برؤيته له إذ لا مشقّة على من يعلم أنّه يعمل بمرأى مولاه وهو كقولك : بعينى ما يتحمّل المتحمّلون من أجلى .

(٤) أى هل أخبركم أيّها المشركون (على من تنزّل الشياطين) ؟ نزل جوابا لقول المشركين إنّ الشياطين تلقى السمع على محمد صلّى الله عليه وسلّم ثمّ نبّأ فقال (تنزّل على كلّ أفّاك أثيم) مرتكب للآثام وهم الكهنة والمتنبّئة كسطيح وطليحة ومسيلمة . ومحمد صلّى الله عليه وسلّم يشتم الأفّاكين ويذمّهم . فكيف تنزل الشياطين عليه ؟ .

يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ[1] وَأَكْثَرُهُمْ كَـٰذِبُونَ[2] ۝ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ[3] ۝

---

(١) هم الشياطين . كانوا قبل أن يحجبوا بالرجم يستمعون إلى الملأ الأعلى فيحفظون بعض ما يتكلّمون به ممّا اطّلعوا عليه من الغيوب . ثمّ يوحون به إلى أوليائهم . و(يلقون) حال أى تنزّل ملقين السمع . أو صفة لكلّ أفّاك لأنّه فى معنى الجمع فيكون فى محلّ الجزاء . أو استئناف فلا يكون له محلّ كأنّه قيل لم تنزّل على الأفّاكين ؟ فقيل يفعلون كيت وكيت .

(٢) (وأكثرهم كاذبون) فيما يوحون به إليهم لأنّهم يسمعونهم ما لم يسمعوا .

وقيل (يلقون) إلى أوليائهم (السمع) أى المسموع من الملائكة . وقيل الأفّاكون (يلقون السمع) إلى الشياطين ويتلقّون وحيهم إليهم. أو (يلقون) المسموع من الشياطين إلى الناس، وأكثر الأفّاكين كاذبون يفترون على الشياطين ما لم يوحوا إليهم. والأفّاك الذى يكثر الإفك. ولا يدلّ ذلك على أنّهم لا ينطقون إلّا بالإفك، فأراد أنّ هؤلاء الأفّاكين قلّ من يصدق منهم فيما يحكى عن الجنّى وأكثرهم مفتر عليه. وعن الحسن وكلّهم . وإنّما فرق بين (وإنّه لتنزيل ربّ العالمين) و (وما تنزّلت به الشياطين) و (هل أنبئكم على من تنزّل الشياطين) وهنّ أخوات لأنّه إذا فرق بينهن بآيات ليست منهنّ ثمّ رجع إليهنّ مرّة بعد مرّة دلّ ذلك على شدّة العناية بهنّ كما إذا حدّثت حديثا وفى صدرك اهتمام بشىء فتعيد ذكره ولا تنفكّ عن الرجوع إليه .

(٣) (والشعراء) مبتدأ خبره (يتّبعهم الغاوون) . نزل فيمن كان يقول الشعر ويقول نحن نقول كما يقول محمد صلّى الله عليه وسلّم واتبعهم غواة من قومهم يستمعون أشعارهم .

أى لا يتّبعهم على باطلهم وكذبهم وتمزيق الأعراض والقدح فى الإنسان ومدح من لا يستحقّ المدح، ولا يستحسن ذلك منهم إلّا (الغاوون) أى السفهاء أو الراوون أو الشياطين أو المشركون . قال الزجاج : إذا مدح أو هجا شاعر بما لا يكون وأحبّ ذلك قوم وتابعوه فهم الغاوون . (يتبعهم) نافع .

أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ[1] ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ[2] وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا[3] وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟[4]

(١) (ألم تر أنّهم فى كلّ واد) من الكلام (يهيمون) خبر أنّ. أى فى كلّ فنّ من الكذب يتحدّثون أو فى كلّ لغو و باطل يخوضون . والهائم الذاهب على وجهه لا مقصد له . وهو تمثيل لذهابهم فى كل شعب من القول واعتسافهم حتى يفضّلوا أجبن الناس على عنترة وأبخلهم على حاتم.

(٢) عن الفرزدق أنّ سليمان بن عبد الملك سمع قوله .

فبتن بجانبىّ مصرّعات * وبتّ أفضّ أغلاق الختام

فقال : وجب عليك الحدّ، فقال : قد درأ الله عنّى الحد بقوله (وأنّهم يقولون ما لا يفعلون) حيث وصفهم بالكذب والخلف فى الوعد. ثمّ استثنى الشعراء المؤمنين الصالحين بقوله (إلّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) كعبد الله بن رواحة وحسّان بن ثابت وكعب بن زهير وكعب بن مالك رضى الله عنهم .

(٣) أى كان ذكر الله وتلاوة القرآن أغلب عليهم من الشعر . و إذا قالوا شعرا قالوه فى توحيد الله تعالى والثناء عليه والحكمة والموعظة والزهد والأدب ومدح رسول الله والصحابة وصلحاء الأئمة ونحو ذلك مما ليس فيه ذنب . وقال أبو يزيد : الذكر الكثير ليس بالعدد والغفلة لكنّه بالحضور .

(٤) وهجوا (من بعد ما ظلموا) هُجُوا ، أى ردّوا هجاء من هجا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم والمسلمين. وأحقّ الخلق بالهجاء من كذّب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهجاه . وعن كعب بن مالك أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال له " اهجهم فوالذى نفسى بيده لهو أشدّ عليهم من النبل " وكان يقول لحسّان " قل وروح القدس معك " .

وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ[1] ﴿٢٢٧﴾

---

(1) ختم السورة بما يقطع أكباد المتدبّرين وهو قوله (وسيعلم) ومافيه من الوعيد البليغ ، وقوله (الذين ظلموا) و إطلاقه ، وقوله (أىّ منقلب ينقلبون) و إبهامه. وقد تلاها أبو بكر لعمر رضى الله تعالى عنه حين عهد إليه . وكان السلف يتواعظون بها . قال ابن عطاء : (وسيعلم) المعرض عنّا ما الذى فاته منّا . و (أىّ) منصوب بينقلبون على المصدر لا بيعلم لأنّ أسماء الاستفهام لا يعمل فيها ما قبلها. أى ينقلبون أىّ الانقلاب .

سورة النمل مكية

وهى ثلاث وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ (١) هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (٢) ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ (٣) وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ (٤) وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٥)

(١) أى (و) آيات (كتاب مبين). و (تلك) إشارة إلى آيات السورة. والكتاب المبين اللوح، وإبانته أنه قد خط فيه كل ما هو كائن فهو يبين للناظرين فيه إبانة. أو القرآن وإبانته أنه يبين ما أودع فيه من العلوم والحكم. وعلى هذا عطفه على القرآن كعطف إحدى الصفتين على الأخرى نحو هذا فعل السخى والجواد. ونكر الكتاب ليكون أفخم له. وقيل إنما نكر الكتاب هنا وعرفه فى الحجر وعرف القرآن هنا ونكره ثم، لأن القرآن والكتاب اسمان علمان للمنزل على محمد عليه الصلاة والسلام، ووصفان له لأنه يقرأ ويكتب. فحيث جاء بلفظ التعريف فهو العلم وحيث جاء بلفظ التنكير فهو الوصف .

(٢) فى محل النصب على الحال من (آيات)، أى هداية وبشارة. فالعامل فيها ما فى تلك من معنى الإشارة. أو الجر على أنه بدل من (كتاب) أو صفة له. أو الرفع على هى (هدى وبشرى)، أو على البدل من (آيات)، أو على أن يكون خبرا بعد خبر لتلك أى (تلك آيات) وهادية من الضلالة ومبشرة بالجنة. وقيل (هدى) لجميع الخلق (وبشرى للمؤمنين) خاصة .

(٣) يديمون على فرائضها وسنتها .

(٤) يؤدون زكاة أموالهم .

(٥) من جملة صلة الموصول. ويحتمل أن تتم الصلة عنده. وهو استئناف كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة هم الموقنون بالآخرة.

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ(١) فَهُمْ يَعْمَهُونَ(٢) ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ(٣) وَهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ(٤) ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ(٥) ﴿٦﴾ إِذْ(٦) قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ(٧) نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ(٨) أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ(٩)

ويدلّ عليه أنه عقد جملة اسمية وكرّر فيها المبتدأ الذى هو (هم) حتّى صار معناها وما يوقن بالآخرة حقّ الإيقان إلّا هؤلاء الجامعون بين الإيمان والعمل الصالح لأنّ خوف العاقبة يحملهم على تحمّل المشاقّ .

(١) (زيّنّا لهم أعمالهم) بخلق الشهوة حتّى رأوا ذلك حسنا كما قال (أفمن زُيّن له سوء عمله فرآه حسنا) .

(٢) يتردّدون فى ضلالتهم كما يكون حال الضالّ عن الطريق .

(٣) القتل والأسر يوم بدر بما كان منهم من سوء الأعمال .

(٤) أشدّ الناس خسرانا لأنّهم لو آمنوا لكانوا من الشهداء على جميع الأمم فخسروا ذلك مع خسران النجاة وثواب الله .

(٥) لتؤتاه وتلقّنه (من لدن حكيم عليم) من عند أىّ (حكيم) وأىّ (عليم) . وهذا معنى تنكيرهما . وهذه الآية بساط وتمهيد لما يريد أن يسوق بعدها من الأقاصيص وما فى ذلك من لطائف حكمته ودقائق علمه .

(٦) منصوب باذكر ، كأنّه قال : على أثر ذلك خذ من آثار حكمته وعلمه قصّة موسى عليه السلام .

(٧) (إذ قال موسى لأهله) لزوجته ومن معه عند مسيره من مدين إلى مصر (إنى آنست) أبصرت (نارا) .

(٨) (بخبر) عن حال الطريق لأنّه كان قد ضلّه .

(٩) (بشهابٍ) بالتنوين كوفىّ . أى شعلة مضيئة .(قبس) نار مقبوسة. بدل أو صفة. وغيرهم (بشهاب قبس) على الإضافة لأنّه يكون قبسا وغير قبس. ولا تدافع بين قوله (سآتيكم)

لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (١) ۝ فَلَمَّا جَاءَهَا (٢) نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا (٣) وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤) ۝ يَا مُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٥) ۝

هنا و (لعلى آتيكم) فى القصص مع أن أحدهما ترجٍّ والآخر تيقن ، لأن الراجى إذا قوى رجاؤه يقول سأفعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه الخيبة ، ومجيئه بسين التسويف عدة لأهله أنه يأتيهم به وإن أبطأ أو كانت المسافة بعيدة. وبأو لأنه بنى الرجاء على أنه إن لم يظفر بحاجتيه جميعا لم يعدم واحدة منهما إما هداية الطريق وإما اقتباس النار. ولم يدر أنه ظافر على النار بحاجتيه الكليتين وهما عز الدنيا والآخرة . واختلاف الألفاظ فى هاتين السورتين والقصة واحدة دليل على جواز نقل الحديث بالمعنى ، وجواز النكاح بغير لفظ التزوج .

(١) تستدفئون بالنار من البرد الذى أصابكم . والطاء بدل من تاء افتعل لأجل الصاد .

(٢) أى النار التى أبصرها .

(٣) (نودى) موسى (أن) مخففة من الثقيلة . وتقديره (نودى) بأنه (بورك) . والضمير ضمير الشأن . وجاز ذلك من غير عوض وإن منعه الزمخشرى لأن قوله (بورك) دعاء . والدعاء يخالف غيره فى أحكام كثيرة . أو مفسرة لأن فى النداء معنى القول . أى قيل له (بورك) أى قدس أو جعل البركة والخير فى (من فى) مكان (النار) وهم الملائكة (ومن حولها) أى حول مكانها — أى موسى ، لحدوث أمر دينى فيها . وهو تكليم الله موسى واستنباؤه له وإظهار المعجزات عليه .

(٤) هو من جملة ما نودى ، فقد نزه ذاته عما لا يليق به من التشبيه وغيره .

(٥) الضمير فى (إنه) للشأن. والشأن (أنا الله) مبتدأ وخبر. و (العزيز الحكيم) صفتان للخبر. أو يرجع إلى ما دل عليه ما قبله . أى إن مكلمك (أنا) و (الله) بيان لأنا و (العزيز الحكيم) صفتان للمبين . وهو تمهيد لما أراد أن يظهر على يده من المعجزات .

وَأَلْقِ عَصَاكَ[1] فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ[2] كَأَنَّهَا جَآنٌّ[3] وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَـٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ[4] ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ[5] ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ[6] فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ[7] ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ[8]

---

(١) (وألق عصاك) لتعلم معجزتك فتأنس بها . وهو عطف على (بورك) لأنّ المعنى (نودى أن بورك من فى النار ... و) أن (ألق عصاك) . كلاهما تفسير لنودى . والمعنى قيل له (بورك من فى النار) وقيل له (ألق عصاك) . ويدلّ عليه ما ذكر فى سورة القصص (وأن ألق عصاك) بعد قوله (أن ياموسى إنّى أنا الله) على تكرير حرف التفسير .

(٢) تتحرك . حال من الهاء فى (رآها) .

(٣) (كأنها جانّ) — حيّة صغيرة — حال من الضمير فى (تهتزّ) .

(٤) (ولّى) موسى (مدبرا) أدبر عنها وجعلها تلى ظهره خوفا من وثوب الحية عليه . (ولم يعقب) ولم يلتفت ، أو لم يرجع . يقال قد عقّب فلان إذا رجع يقاتل بعد أن ولّى . فنودى (يا موسى لا تخف إنّى لا يخاف لدىّ المرسلون) أى لا يخاف عندى المرسلون حال خطابى إيّاهم . أو لا يخاف لدىّ المرسلون من غيرى .

(٥) أى لكن (من ظلم) من غيرهم، لأنّ الأنبياء لا يظلمون. أو لكن (من ظلم) منهم، من زلّ من المرسلين بفاء غير ما أذنت له ممّا يجوز على الأنبياء كما فرط من آدم ويونس وداود وسليمان عليهم السلام .

(٦) أى أتبع توبة (بعد) زلّة .

(٧) أقبل توبته ، وأغفر زلّته وأرحمه فأحقّق أمنيّته . وكأنّه تعريض بما قال موسى حين قتل القبطىّ (ربّ إنّى ظلمت نفسى فاغفرلى فغفر له) .

(٨) (وأدخل يدك فى) جيب قميصك وأخرجها (تخرج بيضاء) نيّرة تغلب نور الشمس. (من غير سوء) برص . و (بيضاء) و (من غير سوء) حالان .

فِى تِسْعِ ءَايَـٰتٍ[1] إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ[2] إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ[3] ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَـٰتُنَا[4] مُبْصِرَةً[5] قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ[6] ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا[7] وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ[8] أَنفُسُهُمْ[9] ظُلْمًا[10] وَعُلُوًّا[11] فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ[12] ﴿١٤﴾

---

(١) كلام مستأنف . و (فى) يتعلّق بمحذوف . أى اذهب فى (تسع آيات) . أو (وألق عصاك ... وأدخل يدك — — — فى) جملة (تسع آيات) .

(٢) (إلى) يتعلّق بمحذوف أى مرسلا (إلى فرعون وقومه) .

(٣) خارجين عن أمر الله كافرين .

(٤) أى معجزاتنا .

(٥) حال. أى ظاهرة بيّنة . جعل الإبصار لها وهو فى الحقيقة لمتأمليها لملابستهم إيّاها بالنظر والتفكّر فيها ، أو جعلت كأنّها تبصر فتهدى لأنّ الأعمى لا يقدر على الاهتداء فضلا أن يهدى غيره . ومنه قولهم كلمة عيناء وعوراء لأنّ الكلمة الحسنة ترشد والسيّئة تغوى .

(٦) ظاهر لمن تأمّله . وقد قوبل بين المبصرة والمبين .

(٧) قيل الجحود لا يكون إلّا من علم من الجاحد . وهذا ليس بصحيح لأنّ الجحود هو الإنكار. وقد يكون الإنكار للشىء للجهل به. وقد يكون بعد المعرفة تعنّتا. كذا ذكر فى شرح التأويلات . وذكر فى الديوان : يقال جحد حقّه وبحقّه بمعنى .

(٨) والواو للحال وقد بعدها مضمرة . والاستيقان أبلغ من الإيقان .

(٩) أى جحدوها بألسنتهم واستيقنوها فى قلوبهم وضمائرهم .

(١٠) حال من الضمير فى (و جحدوا). وأىّ ظلم أفحش من ظلم من استيقن أنّها آيات من عند الله ثمّ سمّاها سحرا بيّنا .

(١١) ترفّعا عن الإيمان بما جاء به موسى .

(١٢) وهو الإغراق هنا والإحراق ثمّة .

والآيات حجة لنا على المعتزلة فى ترك الأصلح .

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا(١) دَاوُردَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا(٢) وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ(٣) ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُردَ(٤) وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ(٥)

(١) أعطينا .

(٢) طائفة من العلم ، أو علما سنيّا غزيرا . والمراد علم الدين والحكم .

(٣) هنا محذوف ليصحّ عطف الواو عليه . ولولا تقدير المحذوف لكان الوجه الفاء كقولك أعطيته فشكر . وتقديره آتيناهما علما فعملا به وعلّماه وعرفا حقّ النعمة فيه (وقالا الحمد لله الذى فضّلنا) . والكثير المفضّل عليه من لم يؤت علما أو من لم يؤت مثل علمهما . وفيه أنّهما فُضّلا على كثير وفُضّل عليهما كثير. وفى الآية دليل على شرف العلم وتقدّم حملته وأهله ، وأنّ نعمة العلم من أجلّ النعم، وأنّ من أوتيه فقد أوتى فضلا على كثير من عباده . وما سمّاهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ورثة الأنبياء إلّا لمداناتهم لهم فى الشرف والمنزلة ، لأنّهم القوّام بما بعثوا من أجله . وفيها أنّه يلزمهم لهذه النعمة الفاضلة أن يحمدوا الله على ما أوتوه، وأن يعتقد العالم أنّه إن فُضّل على كثير فقد فُضّل عليه مثلهم. وما أحسن قول عمر رضى الله عنه : كلّ الناس أفقه من عمر . رضى الله عنه .

(٤) ورث منه النبوّة والملك دون سائر بنيه . وكانوا تسعة عشر . قالوا أوتى النبوّة مثل أبيه فكأنّه ورثه . وإلّا فالنبوّة لا تورث .

(٥) (وقال) تشهيراً لنعمة الله تعالى واعترافا بمكانها ودعاء للناس إلى التصديق بذكر المعجزة التى هى علم منطق الطير. والمنطق كلّ ما يصوّت به من المفرد والمؤلّف المفيد وغير المفيد . وكان سليمان عليه السلام يفهم منها كما يفهم بعضها من بعض. روى أنّه صاحت فاختة فأخبر أنّها تقول: ليت ذا الخلق لم يخلقوا . وصاح طاوس فقال يقول: كما تدين تدان. وصاح هدهد فقال يقول: استغفروا الله يامذنبين. وصاح خُطّاف فقال يقول: قدّموا خيرا تجدوه. وصاحت رَخمة فقال تقول: سبحان ربّى الأعلى ملء سمائه وأرضه . وصاح قمرى فأخبر أنّه يقول: سبحان

وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ[1] إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ[2] ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ[3] فَهُمْ يُوزَعُونَ[4] ﴿١٧﴾

ربى الأعلى . وقال الحدأة تقول : كلّ شىء هالك إلّا الله ، والقطاة تقول : من سكت سلم ، والديك يقول : اذكروا الله ياغافلين ، والنسر يقول : يابن آدم عش ما شئت آخرك الموت ، والعقاب يقول : فى البعد من الناس أنس ، والضفدع يقول : سبحان ربّى القدّوس .

(١) المراد به كثرة ما أوتى كما تقول فلان يعلم كلّ شىء ومثله (وأوتيت من كلّ شىء) . والنون فى (علّمنا) و (أوتينا) نون الواحد المطاع وكان ملكا مطاعا . فكلّم أهل طاعته على الحال التى كان عليها . وليس التكبّر من لوازم ذلك .

(٢) قول وارد على سبيل الشكر كقوله "أنا سيّد ولد آدم ولا فخر". أى أقول هذا القول شكرا ولا أقوله فخرا .

(٣) (و) جمع (لسليمان جنوده من الجنّ والإنس والطير) . روى أنّ معسكره كان مائة فرسخ : خمسة وعشرون للجنّ ، وخمسة وعشرون للإنس ، وخمسة وعشرون للطير ، وخمسة وعشرون للوحش . وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة منكوحة وسبعمائة سرّيّة . وقد نسجت له الجنّ بساطا من ذهب وإبريسم فرسخا فى فرسخ . وكان يوضع منبره فى وسطه . وهو من ذهب وفضّة . فيقعد وحوله ستّمائة ألف كرسىّ من ذهب وفضّة فيقعد الأنبياء على كراسىّ الذهب والعلماء على كراسىّ الفضّة وحولهم الناس وحول الناس الجنّ والشياطين ، وتظلّه الطير بأجنحتها حتّى لايقع عليه حرّ الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر . ويروى أنّه كان يأمر الريح العاصف تحمله ، ويأمر الرخاء تسيّره . فأوحى الله تعالى إليه وهو يسير بين السماء والأرض إنّى قد زدت فى ملكك ألّا يتكلّم أحد بشىء إلّا ألقته الريح فى سمعك . فيحكى أنّه مرّ بحرّاث فقال لقد أوتى آل داود ملكا عظيما فألقته الريح فى أذنه . فنزل ومشى إلى الحرّاث وقال إنّى جئت إليك لئلا تمنّى ما لا تقدر عليه ثمّ قال : لتسبيحة واحدة يقبلها الله تعالى خير ممّا أوتى آل داود .

(٤) يحبس أولهم على آخرهم أى يوقف سُلّاف العسكر حتّى يلحقهم التوالى ليكونوا مجتمعين . وذلك للكثرة العظيمة . والوزع المنع . ومنه قول عثمان رضى الله عنه : ما يزع السلطان أكثر مما يزع القرآن .

حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ[1] لَا يَحْطِمَنَّكُمْ[2] سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ فَتَبَسَّمَ[3] ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا

---

(١) أى ساروا حتى إذا بلغوا وادى النمل — وهو واد بالشام كثير النمل . وعدّى بعلى لأنّ إتيانهم كان من فوق فأتى بحرف الاستعلاء — (قالت نملة) عرجاء تسمّى طاخية أو منذرة — وعن قتادة أنّه دخل الكوفة فالتفّ عليه الناس . فقال: سلوا عمّا شئتم . فسأله أبو حنيفة رضى الله عنه وهو شابّ عن نملة سليمان أكانت ذكراً أم أنثى : فأفحم . فقال أبو حنيفة رضى الله عنه كانت أنثى . فقيل له بماذا عرفت ؟ فقال بقوله (قالت نملة) ولو كانت ذكراً لقال قال نملة . وذلك أنّ النملة مثل الحمامة فى وقوعها على الذكر والأنثى فتميّز بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة أنثى وهو وهى — (يأيّها النمل ادخلوا مساكنكم) ولم يقل ادخلن لأنّه لمّا جعلها قائلة والنمل مقولا لهم كما يكون فى أولى العقل أجرى خطابهنّ مجرى خطابهم .

(٢) لا يكسرنّكم . والحطم الكسر . وهو نهى مستأنف . وهو فى الظاهر نهى لسليمان عن الحطم وفى الحقيقة نهى لهنّ عن البروز والوقوف على طريقة لا أرينّك هاهنا . أى لا تحضر هـذا الموضع . وقيل هو جواب الأمر وهو ضعيف يدفعه نون التأكيد لأنّه من ضرورات الشعر .

(٣) قيل أراد (لا يحطمنّكم) جنود سليمان — بجاء بما هو أبلغ — (وهم) لا يعلمون بمكانكم . أى لو شعروا لم يفعلوا . قالت ذلك على وجه العذر واصفة سليمان وجنوده بالعدل . فسمع سليمان قولها من ثلاثة أميال (فتبسّم ضاحكا من قولها) متعجّبا من حذرها واهتدائها لمصالحها ونصيحتها للنمل . أو فرحا لظهور عدله . و(ضاحكا) حال مؤكّدة لأنّ (تبسّم) بمعنى ضحك . وأكثر ضحك الأنبياء التبسّم ، كذا قاله الزجّاج .

وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ (١) أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ (٢) فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ (٣) ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ (٤) لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾

---

(١) (أوزعنى) ألهمنى . وحقيقته كفّنى عن الأشياء إلّا عن شكر نعمتك (التى أنعمت علىّ) من النبوّة والملك والعلم (وعلى والدىّ) لأنّ الإنعام على الوالدين إنعام على الولد .

(٢) (وأن أعمل) فى بقيّة عمرى عملا (ترضاه وأدخلنى) الجنّة (برحمتك) لا بصالح عملى ، إذ لا يدخل الجنّة أحد إلّا برحمته كما جاء فى الحديث .

(٣) أى فى زمرة أنبيائك المرسلين ، أو مع (عبادك الصالحين) .

روى أنّ النملة أحسّت بصوت الجنود ولا تعلم أنّهم فى الهواء فأمر سليمان الريح فوقفت لئلا يذعرن حتّى دخلن مساكنهنّ ثمّ دعا بالدعوة .

(٤) (مالىَ) مكىّ وعلىّ وعاصم . وغيرهم بسكون الياء . والتفقّد طلب ما غاب عنك . (أم) بمعنى بل . والمعنى أنّه تعرّف الطير فلم يجد فيها الهدهد . فقال (مالى) لا أراه على معنى أنّه لا يراه وهو حاضر لساتر ستره أو غير ذلك . ثمّ لاح له أنّه غائب فأضرب عن ذلك وأخذ يقول بل هو غائب . وذكر أنّ سليمان عليه السلام لمّا حجّ خرج إلى اليمن فوافى صنعاء وقت الزوال فنزل ليصلّى فلم يجد الماء . وكان الهدهد قُنَاقِنَه وكان يرى الماء من تحت الأرض كما يُرى الماءُ فى الزجاجة فتستخرج الشياطين الماء . فتفقّده لذلك . وذكر أنّه وقعت نفحة من الشمس على رأس سليمان فنظر فإذا موضع الهدهد خال . فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده علمه . ثمّ قال لسيّد الطير وهو العقاب علىّ به . فارتفع فنظر فإذا هو مقبل فقصده فناشده الله فتركه . فلمّا قرب من سليمان أرخى ذنبه وجناحيه يجرّهما على الأرض ، وقال : يانبىّ الله اذكر وقوفك بين يدى الله . فارتعد سليمان وعفا عنه .

لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ[1] أَوْ لَيَأْتِيَنِّي[2] بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ[3] ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ[4] فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ[5]

(١) (لأعذبنّه) بنتف ريشه وإلقائه فى الشمس، أو بالتفريق بينه وبين إلفه، أو بإلزامه خدمة أقرانه، أو بالحبس مع أضداده. وعن بعضهم أضيق السجون معاشرة الأضداد. أو بإيداعه القفص، أو بطرحه بين يدى النمل ليأكله. وحلّ له تعذيب الهدهد لما رأى فيه من المصلحة كما حلّ ذبح البهائم والطيور للأكل وغيره من المنافع. وإذا سخّر له الطير لم يتمّ التسخير إلا بالتأديب والسياسة.

(٢) بالنون الثقيلة ليشاكل قوله (لأعذبنه) وحذف نون العماد للتخفيف (ليأتيننى) بنونين، مكّى الأولى للتأكيد، والثانية للعماد.

(٣) بحجّة له فيها عذر ظاهر على غيبته.

والإشكال أنّه حلف على أحد ثلاثة أشياء اثنان منها فعله ولا مقال فيه. والثالث فعل الهدهد وهو مشكل لأنّه من أين درى أنّه يأتى بسلطان حتّى قال والله (ليأتينّى بسلطان)؟ وجوابه أنّ معنى كلامه ليكوننّ أحد الأمور. يعنى إن كان الإتيان بالسلطان لم يكن تعذيب ولا ذبح. وإن لم يكن كان أحدهما. وليس فى هذا ادّعاء دراية.

(٤) (فمكث) الهدهد بعد تفقّد سليمان إيّاه — وبضمّ الكاف غير عاصم وسهل ويعقوب وهما لغتان — (غير بعيد) أى مكثًا (غير) طويل أو (غير) زمان بعيد كقوله عن قريب. ووصف مكثه بقصر المدّة للدلالة على إسراعه خوفًا من سليمان. فلمّا رجع سأله عما لقى فى غيبته (فقال أحطت بما لم تحط به) علمت شيئًا من جميع جهاته. ألهم الله الهدهد فكافح سليمان بهذا الكلام مع ما أوتى من فضل النبوّة والعلوم الجمّة، ابتلاء له فى علمه. وفيه دليل بطلان قول الرافضة: إنّ الإمام لا يخفى عليه شىء ولا يكون فى زمانه أحد أعلم منه.

(٥) غير منصرف، أبو عمرو. وجعله اسما للقبيلة أو المدينة. وغيره بالتنوين. جعله اسما للحىّ أو الأب الأكبر.

بِنَبَإٍ[1] يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً[2] تَمْلِكُهُمْ[3] وَأُوتِيَتْ[4] مِن كُلِّ شَيْءٍ[5] وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ[6] ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ[7] ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا[8]

---

(١) النبأ الخبر الذى له شأن. وقوله (من سبأ بنبأ) من محاسن الكلام. ويسمّى البديع، وقد حسن وبدع لفظا ومعنى هاهنا. ألا ترى أنّه لو وضع مكان (بنبإ) بخبر لكان المعنى صحيحا وهو كما جاء أصحّ لما فى النبأ من الزيادة التى يطابقها وصف الحال .

(٢) هى بلقيس بنت شراحيل . وكان أبوها ملك أرض اليمن ولم يكن له ولد غيرها فغلبت على الملك . وكانت هى وقومها مجوسا يعبدون الشمس .

(٣) الضمير راجع إلى سبأ على تأويل القوم ، أو أهل المدينة .

(٤) حال . و " قد " مقدّرة .

(٥) (وأوتيت) من أسباب الدنيا ما يليق بحالها .

(٦) سرير عظيم كبير. قيل كان ثمانين ذراعا فى ثمانين ذراعا وطوله فى الهواء ثمانون ذراعا. وكان من ذهب وفضّة. وكان مرصّعا بأنواع الجواهر، وقوائمه من ياقوت أحمر وأخضر ودرّ وزمرد، وعليه سبعة أبيات على كلّ بيت باب مغلق. واستصغر حالها إلى حال سليمان فاستعظم عرشها لذلك . وقد أخفى الله تعالى على سليمان ذلك لمصلحة رآها كما أخفى مكان يوسف على يعقوب عليهما السلام .

(٧) أى (فصدّهم عن) سبيل التوحيد . (فهم لا يهتدون) إلى الحقّ. ولا يبعد من الهدهد التهدّى إلى معرفة الله تعالى ووجوب السجود له وحرمة السجود للشمس إلهاما من الله له كما ألهمه وغيره من الطيور وسائر الحيوان المعارف اللطيفة التى لا يكاد العقلاء الرجاح العقول يهتدون لها .

(٨) (ألا) بالتشديد . أى (فصدّهم عن السبيل) لئلاّ (يسجدوا) فحذف الجار مع أن وأدغمت النون فى اللام . ويجوز أن تكون (لا) مزيدة . ويكون المعنى (فهم لا يهتدون) إلى أن يسجدوا . وبالتخفيف ، يزيد وعلىّ . وتقديره : (ألا يا) هؤلاء (اسجدوا) . ف (ألا) للتنبيه و (يا) حرف نداء ومناداه محذوف . فمن شدّد

لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ[1] فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ[2] وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ[3] ۝ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ[4] ۝ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ[5] ۝ ٱذْهَب بِّكِتَـٰبِى هَـٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ[6]

لم يقف إلّا على (العرش العظيم) . ومن خفّف وقف على (فهم لا يهتدون) ثمّ ابتدأ (ألا يا اسجدوا) . وسجدة التلاوة واجبة فى القراءتين جميعا بخلاف ما يقوله الزجّاج إنّه لا يجب السجود مع التشديد . لأنّ مواضع السجدة إمّا أمر بها أو مدح للآتى بها أو ذمّ لتاركها . وإحدى القراءتين أمر والأخرى ذمّ للتارك .

[1] سمّى المخبوء بالمصدر .

[2] قتادة : خبء السماء المطر ، وخبء الأرض النبات .

[3] وبالتاء فيهما علىّ وحفص .

[4] وصف الهدهد عرش الله بالعظيم تعظيم له بالنسبة إلى سائر ما خلق من السموات والأرض ، ووصفه عرش بلقيس تعظيم له بالإضافة إلى عروش أبناء جنسها من الملوك . إلى هاهنا كلام الهدهد .

[5] لمّا فرغ من كلامه (قال) سليمان للهدهد (سننظر) من النظر الذى هو التأمّل (أصدقت) فيما أخبرت (أم كنت من الكاذبين) . وهذا أبلغ من أم كذبت ، لأنّه إذا كان معروفا بالانخراط فى سلك الكاذبين كان كاذبا لا محالة ، وإذا كان كاذبا اتّهم بالكذب فيما أخبر به فلم يوثق به . ثمّ كتب سليمان كتابا صورته : من عبد الله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتّبع الهدى . أما بعد فلا (تعلوا علىّ وأتونى مسلمين) . وطبعه بالمسك وختمه بخاتمه . وقال للهدهد (اذهب بكتابى هذا فألقه) بسكون الهاء تخفيفا ، أبو عمرو وعاصم وحمزة. ويختلسها كسرا لتدلّ الكسرة على الياء المحذوفة ، يزيد وقالون ويعقوب . (فألقهى) بإثبات الياء ، غيرهم .

[6] إلى بلقيس وقومها لأنّه ذكرهم معها فى قوله (وجدتها وقومها يسجدون للشمس) وبنى الخطاب فى الكتاب على لفظ الجمع لذلك .

ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ[1] قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ[2] إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ[3] أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ[4] قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى[5]

(١) (ثم) تنحّ (عنهم) إلى مكان قريب بحيث تراهم ولا يرونك ليكون ما يقولونه بمسمع منك. (فانظر) ما الذى يردّونه من الجواب.

(٢) أخذ الهدهد الكتاب بمنقاره ودخل عليها من كوّة فطرح الكتاب على نحرها وهى راقدة وتوارى فى الكوّة. فانتبهت فزعة. أو أتاها والجنود حواليها فرفرف ساعة وألقى الكتاب فى حجرها وكانت قارئة. فلمّا رأت الخاتم (قالت) لقومها خاضعة خائفة (إنّى) وبفتح الياء مدنىّ (ألقى إلىّ كتاب كريم) حسن مضمونه وما فيه، أو مختوم. قال عليه الصلاة والسلام "كرم الكتاب ختمه" وقيل من كتب إلى أخيه كتابا ولم يختمه فقد استخفّ به. أو مصدّر ببسم الله الرحمن الرحيم. أو لأنه من عند ملك كريم.

(٣) هو تبيين لما ألقى إليها كأنها لمّا قالت (إنى ألقى إلىّ كتاب كريم)، قيل لها ممن هو؟ وما هو؟ فقالت (إنّه من سليمان وإنّه) كيت وكيت.

(٤) لا ترفعوا (علىّ) ولا تتكبروا كما تفعل الملوك — (أن) مفسّرة كقوله (وانطلق الملأ منهم أن امشوا) يعنى أى امشوا — (وأتونى) مؤمنين أو منقادين. وكتب الأنبياء مبنيّة على الإيجاز والاختصار.

(٥) أشيروا علىّ فى الأمر الذى نزل بى. والفُتوى الجواب فى الحادثة. أشتقّت على طريق الاستعارة من الفتاء فى السنّ. والمراد هنا بالفُتوى الإشارة عليها بما عندهم من الرأى. وقصدها بالرجوع إلى استشارتهم تطييب أنفسهم ليمالئوها ويقوموا معها.

مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ[1] ﴿﴾ قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ[2] ﴿﴾

---

(1) (ما كنت) فاصلة أو ممضية حكما (حتى تشهدون) — بكسر النون . والفتح لحن ، لأن النون إنما تفتح فى موضع الرفع وهذا فى موضع النصب . وأصله تشهدوننى فحذفت النون الأولى للنصب . والياء لدلالة الكسرة عليها . وبالياء فى الوصل والوقف ، يعقوب — أى تحضرونى أو تشيرونى . أو تشهدوا أنه صواب . أى لا أبتّ الأمر إلّا بحضرتكم . قيل كان أهل مشورتها ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا كلّ واحد على عشرة آلاف .

(2) (قالوا) مجيبين لها : (نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد) أرادوا بالقوة قوة الأجساد والآلات ، وبالبأس النجدة والبلاء فى الحرب . (والأمر إليك) أى موكول إليك ونحن مطيعون لك . فمرينا بأمرك نطعك ولا نخالفك . كأنهم أشاروا عليها بالقتال . أو أرادوا : نحن من أبناء الحرب لا من أبناء الرأى والمشورة . وأنت ذات الرأى والتدبير . فانظرى ماذا ترين نتبع رأيك . فلما أحسّت منهم الميل إلى المحاربة مالت إلى المصالحة ورتّبت الجواب فزيفت أولا ما ذكروه وأرتهم الخطأ فيه حيث قالت (إن الملوك إذا دخلوا قرية) عنوة وقهرا (أفسدوها) خرّبوها (وجعلوا أعزّة أهلها أذلّة) أذلّوا أعزّتها وأهانوا أشرافها وقتلوا وأسروا. فذكرت لهم سوء عاقبة الحرب. ثمّ قالت(وكذلك يفعلون) أرادت وهذه عادتهم المستمرة التى لا تتغير لأنها كانت فى بيت الملك القديم فسمعت نحو ذلك ورأت . وقيل هو تصديق من الله لقولها . واحتج الساعى فى الأرض بالفساد بهذه الآية . ومن استباح حراما فقد كفر. وإذا احتجّ له بالقرآن على وجه التحريف فقد جمع بين كفرين . ثمّ ذكرت بعد ذلك حديث الهدنة وما رأت من الرأى السديد .

وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ(١) ۝ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم(٢)

(١) أى (مرسلة) رسلا (بهدية) فمنتظرة (بم) — أى بما ، لأن الألف تحذف مع حرف الجر فى الاستفهام — (يرجع المرسلون) بقبولها أم بردّها لأنها عرفت عادة الملوك وحسن مواقع الهدايا عندهم . فإن كان ملكا قبلها وانصرف . وإن كان نبيًا ردّها ولم يرض منّا إلا أن نتبعه على دينه . فبعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجوارى وحليّهن ، راكبى خيل مغشاة بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر ، وخمسمائة جارية على رماك فى زىّ الغلمان ، وألف لبنة من ذهب وفضّة ، وتاجا مكللا بالدر والياقوت ، وحقّا فيه درّة عذراء ، وجزّعة معوجّة الثقب . وبعثت رسلا وأمرت عليهم المنذر بن عمرو بدليل قوله تعالى (بم يرجع المرسلون) . وكتبت كتابا فيه نسخة الهدايا . وقالت فيه إن كنت نبيًا فميّز بين الوصفاء والوصائف . وأخبر بما فى الحقّ واثقب الدرّة ثقبا واسلك فى الخرزة خيطا . ثمّ قالت للمنذر إن نظر إليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك منظره . وإن رأيته بشّا لطيفا فهو نبىّ . فأقبل الهدهد وأخبر سليمان الخبر كلّه . فأمر سليمان الجنّ فضربوا لبنات الذهب والفضّة ، وفرشوها فى ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ ، وجعلوا حول الميدان حائطا شرفه من الذهب والفضّة . وأمر بأحسن الدواب فى البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبنات . وأمر بأولاد الجنّ ، وهم خلق كثير ، فأقيموا عن اليمين واليسار . ثمّ قعد على سريره والكراسىّ من جانبيه . واصطفّت الشياطين صفوفا فراسخ ، والإنس صفوفا فراسخ ، والوحش والسباع والطيور والهوامّ كذلك . فلمّا دنا القوم ورأوا الدوابّ تروث على اللبن رموا بما معهم من الهدايا . ولمّا وقفوا بين يديه نظر إليهم سليمان بوجه طلق . فأعطوه كتاب الملكة فنظر فيه وقال أين الحق ؟ فأمر الأرضة فأخذت شعرة ونفذت فى الدرّة . وأخذت دودة بيضاء الخيط بفمها ونفذت فيها * ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله فى الأخرى ثمّ تضرب به وجهها . ثمّ ردّ الهدية وقال للمنذر (ارجع إليهم).

(٢) (فلمّا جاء) رسولها المنذر بن عمرو (سليمان ، قال : أتمدونن بمال) ؟ (أتمدونن)

(*) قوله فيها أى فى الخرزة المذكورة

بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ[1] ﴿٣٦﴾ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ[2] فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا[3] وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا[4]

بنونين وإثبات الياء فى الوصل والوقف ، مكىّ وسهل . وافقهما مدنىّ وأبو عمرو فى الوصل . (أتمدّونى) حمزة ويعقوب فى الحالين. وغيرهم بنونين بلا ياء فيهما. والخطاب للرسل . (فما آتانى الله) من النبوّة والملك والنعمة . وبفتح الياء مدنىّ وأبو عمرو وحفص . والفرق بين قولك أتمدّنى بمال وأنا أغنى منك ، وبين أن تقوله بالفاء ، أنّى إذا قلته بالواو جعلت مخاطبى عالما بزيادتى فى الغنى وهو مع ذلك يمدّنى بمال ، وإذا قلته بالفاء فقد جعلته ممن خفيت عليه حالى فأنا أخبره الساعة بما لا أحتاج معه إلى إمداده كأنّى أقول له أنكر عليك ما فعلت فإنّى غنىّ عنه . وعليه ورد (فما آتانى الله خير ممّا آتاكم) من زخارف الدنيا .

(١) الهديّة اسم المهدَى، كما أنّ العطيّة اسم المعطَى فتضاف إلى المهدى والمهدَى له. تقول هذه هديّة فلان تريد هى التى أهداها أو أهديت إليه . والمعنى أنّ ما عندى خير ممّا عندكم . وذلك أنّ الله آتانى الدين الذى فيه الحظّ الأوفر والغنى الأوسع، وآتانى من الدنيا ما لا يستزاد عليه. فكيف يرضى مثلى بأن يمدّ بمال ؟ بل أنتم قوم لا تعلمون إلّا ظاهرا من الحياة الدنيا. فلذلك تفرحون بما تزادون ويهدى إليكم لأنّ ذلك مبلغ همّتكم . وحالى خلاف حالكم وما أرضى منكم بشىء ولا أفرح به إلّا بالإيمان وترك المجوسيّة .

ووجه الإضراب أنه لمّا أنكر عليهم الإمداد وعلّل إنكاره ، أضرب عن ذلك إلى بيان السبب الذى حملهم عليه وهو أنّهم لا يعرفون سبب رضا ولا فرح إلّا أن يهدى إليهم حظّ من الدنيا التى لا يعلمون غيرها .

(٢) إيت بلقيس وقومها . خطاب للرسول ، أو الهدهد محمّلا كتابا آخر إليهم .

(٣) لا طاقة لهم بها . وحقيقة القبل المقاومة والمقابلة أى لا يقدرون أن يقابلوهم .

(٤) من سبأ .

أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ (١) ۝ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ (٢) ۝ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ۝ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ (٣)

---

(١) الذلّ أن يذهب عنهم ما كانوا فيه من العزّ والملك . والصغار أن يقعوا فى أسر واستعباد .

(٢) لمّا رجع إليها رسولها بالهدايا وقصّ عليها القصّة، قالت هو نبيّ ومالنا به طاقة . ثمّ جعلت عرشها فى آخر سبعة أبيات وغلّقت الأبواب ووكّلت به حرسا يحفظونه وبعثت إلى سليمان إنّى قادمة إليك لأنظر ما الذى تدعو إليه . وشخصت إليه فى اثنى عشر ألف قيْل تحت كل قيْل ألوف . فلمّا بلغت على رأس فرسخ من سليمان (قال يأيّها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين) أراد أن يريها بذلك بعض ماخصّه الله تعالى به من إجراء العجائب على يده مع إطلاعها على عظم قدرة الله تعالى وعلى ما يشهد لنبوة سليمان . أو أراد أن يأخذه قبل أن تسلم لعلمه أنّها إذا أسلمت لم يحلّ له أخذ مالها . وهذا بعيد عند أهل التحقيق . أو أراد أن يؤتى به فينكّر ويغيّر ثمّ ينظر أتثبتّه أم تنكره اختباراً لعقلها .

(٣) (قال عفريت من الجنّ) وهو الخبيث المارد واسمه ذكوان (أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك) مجلس حكمك وقضائك (وإنّى عليه) على حمله (لقوىّ أمين) آتى به كما هو لا آخذ منه شيئا ولا أبدّله . فقال سليمان عليه السلام : أريد أعجل من هذا . (قال الذى عنده علم من الكتاب) — أى ملك بيده كتاب المقادير أرسله الله تعالى عند قول العفريت ، أو جبريل عليه السلام . والكتاب على هذا اللوح المحفوظ . أو الخضر . أو آصف بن برخيا كاتب سليمان . وهو الأصح . وعليه الجمهور . وكان عنده اسم الله الأعظم الذى إذا دعى به أجاب وهو : ياحىّ ياقيوم ياذا الجلال والإكرام . أو يا إلهنا وإله كل شىء إلها واحدا لا إله إلا أنت . وقيل كان له علم بمجارى الغيوب إلهاما — (أنا آتيك به)

فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ(١) وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ(٢) ۝ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا(٣)

بالعرش . و (آتيك) فى الموضعين يجوز أن يكون فعلا أو اسم فاعل . ومعنى قوله (قبل أن يرتدّ إليك طرفك) أنك ترسل طرفك إلى شىء فقبل أن تردّه أبصرت العرش بين يديك . ويروى أنّ آصف قال لسليمان عليه السلام : مُدّ عينيك حتّى ينتهى طرفك. فمدّ عينيه فنظر نحو اليمن . فدعا آصف فغار العرش فى مكانه ثمّ نبع عند مجلس سليمان بقدرة الله تعالى قبل أن يرتدّ طرفه .

(١) (فلما رآه) أى العرش (مستقرا عنده) ثابتا لديه غير مضطرب (قال هــذا) أى حصول مرادى وهو حضور العرش فى مدّة ارتداد الطرف (من فضل ربّى) علىّ وإحسانه إلىّ بلا استحقاق منّى بل هو فضل خال من العوض صاف عن الغرض (ليبلونى) ليمتحنى (أأشكر) إنعامه (أم أ كفر) .

(٢) (ومن شكر فإنّما يشكر لنفسه) لأنّه يحطّ به عنها عبء الواجب ويصونها عن سمة الكفران ويستجلب به المزيد وترتبط به النعمة ، فالشكر قيد للنعمة الموجودة ، وصيد للنعمة المفقودة . وفى كلام بعضهم : « إنّ كفران النعمة بوار . وقلما أقشعت نافرة فرجعت فى نصابها . فاستدع شاردها بالشكر . واستدم راهنها بكرم الجوار . واعلم أنّ سبوغ ستر الله تعالى متقلّص عمّا قريب إذا أنت لم ترج لله وقارا » أى لم تشكر لله نعمه . (ومن كفر) بترك الشكر على النعمة (فإنّ ربى غنىّ) عن الشكر (كريم) بالإنعام على من يكفر نعمه . قال الواسطى : ما كان منّا من الشكر فهو لنا ، وما كان منه من النعمة فهو إلينا وله المنّة والفضل علينا .

(٣) غيّروه . أى اجعلوا مقدّمه مؤخّره وأعلاه أسفله .

نَنظُرْ[1] أَتَهْتَدِىٓ[2] أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ[3] قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ[4] قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ[5] وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ[6] ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ[7] ﴿٤٣﴾

---

(١) بالجزم على الجواب .

(٢) (أتهتدى) إلى معرفة عرشها ، أو للجواب الصواب إذا سئلت عنه .

(٣) (فلمّا جاءت) بلقيس .

(٤) ها للتنبيه . والكاف للتشبيه وذا اسم إشارة. ولم يقل أهذا عرشك ولكن أمثل هذا عرشك، لئلا يكون تلقينا .

(٥) (قالت كأنّه هو) فأجابت أحسن جواب.فلم تقل هو هو، ولا ليس به.وذلك من رجاحة عقلها حيث لم تقطع فى المحتمل للأمرين . أولمّا شبّهوا عليها بقولهم (أهكذا عرشك) شبّهت عليهم بقولها (كأنّه هو) مع أنّها علمت أنّه عرشها .

(٦) من كلام بلقيس . أى(وأوتينا العلم) بقدرة الله تعالى و بصحّة نبوّتك بالآيات المتقدّمة من أمر الهدهد والرسل،من قبل هذه المعجزة ، أى إحضار العرش،أو من قبل هذه الحالة ، (وكنّا مسلمين) منقادين لك مطيعين لأمرك . أو من كلام سليمان وملئه . عطفوا على كلامها قولهم (وأوتينا العلم) بالله و بقدرته و بصحّة ماجاء من عنده قبل علمها . أو أوتينا العلم بإسلامها ومجيئها طائعة من قبل مجيئها (وكنّا مسلمين) موحّدين خاضعين .

(٧) متّصل بكلام سليمان . أى وصدّها عن العلم بما علمناه ــ أوعن التقدّم إلى الإسلام ــ عبادة الشمس ونشوءها بين أظهر الكفرة . ثم بيّن نشأها بين الكفرة بقوله (إنّها كانت من قوم كافرين). أو كلام مبتدأ . أى قال الله تعالى (وصدّها) قبل ذلك عمّا دخلت فيه ضلالها عن سواء السبيل.أو (صدّها) الله أو سليمان عمّا (كانت تعبد) بتقدير حذف الجار وإيصال الفعل .

قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا[1] قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ[2] قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي[3] وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ[4] صَالِحًا[5]

---

(١) (قيل لها ادخلى الصرح) أى القصر أو صحن الدار . (فلما رأته حسبته لجة) ماء عظيما (وكشفت عن ساقيها) بالهمزة مكىّ . رُوى أنّ سليمان أمر قبل قدومها فبنى له على طريقها قصر من زجاج أبيض وأجرى من تحته الماء وألقى فيه السمك وغيره ، ووضع سريره فى صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجنّ والإنس . وإنّما فعل ذلك ليزيدها استعظاما لأمره وتحقيقا لنبوّته . وقيل إنّ الجنّ كرهوا أن يتزوّجها فتفضى إليه بأسرارهم لأنّها كانت بنت جنّيّة . وقيل خافوا أن يولد له منها ولد يجمع فطنة الجنّ والإنس فيخرجون من ملك سليمان إلى ملك هو أشدّ . فقالوا له إنّ فى عقلها شيئا وهى شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار . فاختبر عقلها بتنكير العرش ، واتّخذ الصرح ليعرف ساقها ورجلها . فكشفت عنهما فإذا هى أحسن الناس ساقا وقدما — إلّا أنّها شعراء — فصرف بصره . قال المحقّقون لا يحتمل أن يحتال سليمان لينظر إلى ساقيها وهى أجنبيّة. فلا يصحّ القول بمثله .

(٢) (قال) لها (إنّه صرح ممرّد) مملّس مستو — ومنه الأمرد — (من قوارير) من الزجاج .

وأراد سليمان تزوّجها فكره شعرها . فعملت لها الشياطين النورة فأزالته . فنكحها سليمان وأحبّها وأقرّها على ملكها . وكان يزورها فى الشهر مرّة فيقيم عندها ثلاثة أيام وولدت له .

(٣) (إنّى ظلمت نفسى) بعبادة الشمس .

(٤) (أخاهم) فى النسب .

(٥) بدل .

أَنِ[1] ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ[2] ۝ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ[3] ۝ قَالُواْ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ[4] وَبِمَن مَّعَكَ[5] قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ[6]

---

(١) بكسر النون فى الوصل ، عاصم وحمزة وبصرىّ . وبضمّ النون غيرهم إتباعا للباء . والمعنى بأن اعبدوا الله وحده .

(٢) (فإذا) للفاجأة (هم) مبتدأ (فريقان) خبر (يختصمون) صفة . وهى العامل فى (إذا). والمعنى فإذا قوم صالح (فريقان) مؤمن به وكافر به (يختصمون) فيقول كلّ فريق الحقّ معى. وهو مبيّن فى قوله (قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أنّ صالحا مرسل من ربّه؟ قالوا إنّا بما أرسل به مؤمنون . قال الذين استكبروا إنّا بالذى آمنتم به كافرون) . وقال الفريق الكافر (ياصالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين) .

(٣) (قال ياقوم لم تستعجلون) بالعذاب الذى توعدون قبل التوبة ؟ هلّا تطلبون المغفرة من كفركم بالتوبة والإيمان قبل نزول العذاب بكم (لعلّكم ترحمون) بالإجابة .

(٤) (قالوا) تشاءمنا بك لأنّهم قُحِطوا عند مبعثه ، لتكذيبهم. فنسبوه إلى مجيئه. والأصل (تطيّرنا) . وقرئ به . فادغمت التاء فى الطاء وزيدت الألف لسكون الطاء .

(٥) (وبمن معك) من المؤمنين .

(٦) أى سببكم الذى يجىء منه خيركم وشرّكم عندالله وهو قدَره وقسمته. أو عملكم مكتوب عند الله . فإنّما نزل بكم ما نزل عقوبة لكم وفتنة. ومنه (وكلّ إنسان ألزمناه طائره فى عنقه) . وأصله أنّ المسافر إذا مرّ بطائر يزجره . فإن مرّ سانحاً تيامن . وإذا مرّ بارحا تشاءم . فلمّا

بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ (١) ۝ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ (٢) تِسْعَةُ رَهْطٍ (٣) يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (٤) ۝ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ (٥) ۝

نسبوا الخير والشر إلى الطائر استعير لما كان سببهما من قدر الله وقسمته ، أو من عمل العبد الذى هو السبب فى الرحمة والنقمة .

(١) تختبرون أو تعذبون بذنبكم .

(٢) مدينة ثمود وهى الحجر .

(٣) هو جمع لا واحد له ولذا جاز تمييز التسعة به . فكأنه قيل تسعة أنفس . وهو من الثلاثة إلى العشرة . وعن أبى دؤاد رأسهم قدار بن سالف . وهم الذين سعوا فى عقر الناقة . وكانوا أبناء أشرافهم .

(٤) يعنى أن شأنهم الإفساد البحت لايخلط بشىء من الصلاح كما ترى بعض المفسدين قد يندر منه بعض الصلاح . وعن الحسن : يظلمون الناس ولا يمنعون الظالمين من الظلم . وعن ابن عطاء يتبعون معايب الناس ولا يسترون عوراتهم .

(٥) (قالوا : تقاسموا بالله) تحالفوا — خبر فى محل الحال بإضمار قد ، أى (قالوا) متقاسمين . أو أمر ، أى أمر بعضهم بعضا بالقسم — (لنبيتنه) لنفعلنه بياتا أى ليلا (وأهله) ولده وتبعه (ثم لنقولن) لولى دمه ما حضرنا (مهلك أهله) حفص . (مهلك) أبو بكر وحماد والمفضل من هلك . فالأول موضع الهلاك والثانى المصدر . (مُهلك) غيرهم من أهلك وهو الإهلاك أو مكان الإهلاك . أى لم نتعرض لأهله فكيف تعرضنا له ؟ أو ما حضرنا موضع هلاكه فكيف توليناه ؟ (وإنا لصادقون) فيما ذكرنا .

(لتبيتنه) بالتاء وبضم التاء الثانية (ثم لتقولن) بالتاء وضم اللام ، حمزة وعلى .

وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ[1] ۝ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا[2] دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً[3] بِمَا ظَلَمُوٓاْ[4] إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ[5] ۝ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ[6] ۝ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ[7] ٱلرِّجَالَ

---

(١) مكرهم ما أخفوه من تدبير الفتك بصالح وأهله . ومكر الله إهلاكهم من حيث لا يشعرون. شبّه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة . روى أنّه كان لصالح مسجد فى الحجر فى شعْب يصلّى فيه فقالوا : زعم صالح أنّه يفرغ منّا إلى ثلاث فنحن نفرغ منه ومن أهله قبل الثالث . فخرجوا إلى الشعب وقالوا إذا جاء يصلّى قتلناه ثمّ رجعنا إلى أهله فقتلناهم . فبعث الله صخرة من الهَضْب حيالهم . فبادروا فطبّقت الصخرة عليهم فم الشعب . فلم يدر قومهم أين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم . وعذّب الله كلّا منهم فى مكانه ونجّى صالحا عليه السلام ومن معه .

(٢) بفتح الألف كوفىّ وسهم، وبكسرها غيرهم على الاستئناف . ومن فتحه رفعه على أنّه بدل من العاقبة أو خبر مبتدأ محذوف تقديره هى تدميرهم . أو نصبه على معنى لأنّا أو على أنّه خبر كان أى فكان عاقبة مكرهم الدمار بالصيحة .

(٣) ساقطة منهدمة من خوى النجم إذا سقط . أو خالية من الخواء . وهى حال عمل فيها مادلّ عليه (تلك) .

(٤) بظلمهم .

(٥) (إنّ) فيما فعل بثمود (لآية لقوم يعلمون) قدرتنا فيتّعظون .

(٦) (وأنجينا الذين آمنوا) بصالح (وكانوا يتّقون) ترك أوامره . وكانوا أربعة آلاف . نجوا مع صالح من العذاب .

(٧) (و) اذكر (لوطا) . و (إذ) بدل من (لوطا) أى واذكر وقت قول لوط (أتأتون الفاحشة) أى إتيان الذكور (وأنتم تبصرون) تعلمون أنّها فاحشة لم تسبقوا إليها ، من بصر

شَهْوَةً(١) مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ(٢) أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ(٣) ۝ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ(٤) مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ(٥) ۝ فَأَنجَيْنَٰهُ(٦) وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ(٧) ۝ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ(٨) ۝

القلب . أو يرى ذلك بعضهم من بعض لأنهم كانوا يرتكبونها فى ناديهم معالنين بها لا يتستر بعضهم من بعض مجانةً وانهماكا فى المعصية . أو (تبصرون) آثار العصاة قبلكم وما نزل بهم . ثمّ صرح فقال (أئنكم لتأتون الرجال) بهمزتين كوفىّ وشامىّ .

(١) للشهوة .

(٢) أى أنّ الله تعالى إنّما خلق الأنثى للذكر ولم يخلق الذكر للذكر ولا الأنثى للأنثى ، فهى مضادّة لله فى حكمته .

(٣) تفعلون فعل الجاهلين بأنّها فاحشة مع علمكم بذلك . أو أريد بالجهل السفاهة والمجانة التى كانوا عليها . وقد اجتمع الخطاب والغيبة فى قوله (بل أنتم قوم تجهلون) و (بل أنتم قوم تفتنون) فغلب الخطاب على الغيبة لأنّه أقوى إذ الأصل أن يكون الكلام بين الحاضرين .

(٤) أى لوطا ومتّبعيه . خبر (كان) ، (جواب) . واسمه (أن قالوا) .

(٥) يتنزّهون عن القاذورات ، ينكرون هذا العمل القذر ويغيظنا إنكارهم . وقيل هو استهزاء كقوله (إنّك لأنت الحليم الرشيد) .

(٦) فخلّصناه من العذاب الواقع بالقوم .

(٧) (قدّرناها) بالتشديد ، سوى حماد وأبى بكر . أى قدّرنا كونها من الباقين فى العذاب .

(٨) (وأمطرنا عليهم مطرا) حجارة مكتوبا عليها اسم صاحبها (فساء مطر المنذرين) الذين لم يقبلوا الإنذار .

قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ[1] ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾
أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ[2] وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً[3] فَأَنۢبَتْنَا[4] بِهِۦ[5]

---

(1) أمر رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بتحميده ثم بالصلاة على المصطفين من عباده توطئة لما يتلوه من الدلالة على وحدانيته وقدرته على كل شيء . وهو تعليم لكل متكلم فى كل أمر ذى بال بأن يتبرك بهما ويستظهر بمكانهما . أو هو خطاب للوط عليه السلام بأن يحمد الله على هلاك كفار قومه ويسلم على من اصطفاه الله ونجاه من هلكتهم وعصمه من ذنوبهم.

(2) (آلله خير أما يشركون) بالياء بصرى وعاصم . ولا خير فيما أشركوه أصلا حتى يوازن بينه وبين من هو خالق كل شيء . وإنما هو إلزام لهم وتهكم بحالهم . وذلك أنهم آثروا عبادة الأصنام على عبادة الله تعالى ولا يؤثر عاقل شيئا على شيء إلا لداع يدعوه إلى إيثاره من زيادة خير ومنفعة . فقيل لهم — مع العلم بأنه لا خير فيما آثروه وأنهم لم يؤثروه لزيادة الخير ولكن هوى وعبثا — لينبهوا على الخطأ المفرط والجهل المورط ليعلموا أن الإيثار يجب أن يكون للخير الزائد . وكان عليه الصلاة والسلام إذا قرأها قال " بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم " . ثم عدد سبحانه الخيرات والمنافع التى هى آثار رحمته وفضله فقال (أم من خلق السموات والأرض) والفرق بين (أم) و(أم) فى (أما يشركون) و (أمن خلق السموات) أن تلك متصلة، إذ المعنى أيهما خير ، وهذه منقطعة بمعنى بل والهمزة . لما قال (آلله خير) أم الآلهة، قال بل أمن (خلق السموات والأرض) خير، تقريرا لهم بأن من قدر على خلق العالم خير من جماد لا يقدر على شيء .

(3) مطرا .

(4) صرف الكلام عن الغيبة إلى التكلم تأكيداً لمعنى اختصاص الفعل بذاته وإيذانا بأن إنبات الحدائق — المختلفة الأصناف والألوان والطعوم والأشكال مع حسنها — بماء واحد، لا يقدر عليه إلا هو وحده .

(5) بالماء .

حَدَآئِقَ [1] ذَاتَ [2] بَهْجَةٍ [3] مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ [4] شَجَرَهَآ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ [5] بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ [6] ۝ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ [7] قَرَارًا [8] وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا [9] وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ [10] وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ [11] حَاجِزًا [12] أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ [13] ۝ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ [14] إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ [15]

---

(1) بساتين . والحديقة البستان وعليه حائط . من الإحداق وهو الإحاطة .

(2) ولم يقل ذوات لأن المعنى جماعة حدائق كما تقول النساء ذهبت .

(3) حسن . لأن الناظر يبتهج به .

(4) ومعنى الكينونة الانبغاء . أراد أن تأتّى ذلك محال من غيره .

(5) أغيره يقرن به ويجعل شريكا له .

(6) (يعدلون) به غيره . أو (يعدلون) عن الحقّ الذى هو التوحيد . و (بل هم) بعد الخطاب أبلغ فى تخطئة رأيهم .

(7) (أم من جعل الأرض) وما بعده بدل من (أم من خلق) فكان حكمها حكمه

(8) دحاها وسوّاها للاستقرار عليها .

(9) (خلالها) ظرف أى وسطها . وهو المفعول الثانى . والأول (أنهارا) . و (بين البحرين) مثله .

(10) (وجعل لها) للأرض (رواسى) جبالا تمنعها عن الحركة .

(11) العذب والمالح .

(12) مانعا أن يختلطا .

(13) (لا يعلمون) التوحيد فلا يؤمنون .

(14) الاضطرار افتعال من الضرورة وهى الحالة المحوجة إلى اللجأ . يقال اضطره إلى كذا . والفاعل والمفعول مضطر . والمضطر الذى أحوجه مرض أو فقر أو نازلة من نوازل الدهر إلى اللجأ والتضرّع إلى الله ، أو المذنب إذا استغفر ، أو المظلوم إذا دعا ، أو من رفع يديه ولم ير لنفسه حسنة غير التوحيد وهو منه على خطر .

(15) الضرّ أو الجور .

وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ (١) أَءِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (٢) ﴿٦٢﴾ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ (٣) وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ (٤) بُشْرًا (٥) بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ (٦) أَءِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ (٧) ثُمَّ يُعِيدُهُ (٨) وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ (٩) أَءِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ (١٠) إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١١) ﴿٦٤﴾

---

(١) أى فيها . وذلك توارثهم سكناها والتصرّف فيها قرنا بعد قرن . أو أراد بالخلافة الملك والتسلّط .

(٢) وبالياء أبوعمرو . وبالتخفيف حمزة وعلىّ وحفص . و (ما) مزيدة . أى (تذكّرون) تذكّرا قليلا .

(٣) (أم من يهديكم) يرشدكم (فى ظلمات البرّ والبحر) بالنجوم ليلا ، وبعلامات فى الأرض نهارا .

(٤) (الريح) مكىّ وحمزة وعلىّ .

(٥) من البشارة . وقد مرّ فى الأعراف .

(٦) قدّام المطر .

(٧) ينشئ الخلق .

(٨) وإنما قيل لهم (ثمّ يعيده) وهم منكرون للإعادة لأنّه أزيحت علّتهم بالتمكين من المعرفة والإقرار ، فلم يبق لهم عذر فى الإنكار .

(٩) أى (يرزقكم من السماء) المطرَ (و) من (الأرض) النباتَ .

(١٠) حجّتكم على إشراككم .

(١١) (إن كنتم صادقين) فى دعواكم أنّ مع الله إلها آخر .

قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ(١) وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ(٢) بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ(٣)

(١) (من) فاعل (يعلم) . و (الغيب) — هو مالم يقم عليه دليل ولا اطّلع عليه مخلوق — مفعول . (والله) بدل من (من) . والمعنى لايعلم أحد الغيب إلا الله . نعم إنّ الله تعالى يتعالى عن أن يكون ممّن فى السموات والأرض ولكنّه جاء على لغة بنى تميم حيث يجرون الاستثناء المنقطع مجرى المتّصل ويجرون النصب والبدل فى المنقطع كما فى المتّصل ويقولون : ما فى الدار أحد إلّا حمار . وقالت عائشة رضى الله عنها : من زعم أنّه يعلم مافى غد فقد أعظم على الله الفرية . والله تعالى يقول (قل لايعلم من فى السموات والأرض الغيب إلّا الله) . وقيل نزلت فى المشركين حين سألوا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن وقت الساعة .

(٢) وما يعلمون متى ينشرون .

(٣) (بل أَدْرَكَ) مكىّ وبصرىّ ويزيد والمفضّل . أى انتهى وتكامل ، من أدركت الفاكهة تكاملت نضجا . (بل ادّرك) عن الأعشى . افتعل . (بل اداركَ) غيرهم . استحكم . وأصله تدارك فأدغمت التاء فى الدال وزيد ألف الوصل ليمكن التكلّم بها . (فى الآخرة) أى فى شأن الآخرة ومعناها . والمعنى أنّ أسباب استحكام العلم وتكامله بأنّ القيامة كائنة

قد حصلت لهم ومكّنوا من معرفته ، وهم شاكّون جاهلون . وذلك قوله (بل هم فى شكّ منها بل هم منها عمون) . والإضرابات الثلاثة تنزيل لأحوالهم وتكرير لجهلهم . وصفهم أوّلا بأنّهم لايشعرون وقت البعث ، ثمّ بأنّهم لايعلمون أنّ القيامة كائنة ، ثمّ بأنّهم يخبطون فى شكّ ومرية فلا يزيلونه والإزالة مستطاعة ، ثمّ بما هو أسوأ حالا وهو العمى . وقد جعل الآخرة مبتدأ عماهم ومنشأه فلذا عدّاه بمن دون عن لأنّ الكفر بالعاقبة والجزاء هو الذى منعهم عن التدبّر والتفكّر . ووجه ملاءمة مضمون هــذه الآية — وهو وصف المشركين بإنكارهم البعث مع استحكام أسباب العلم والتمكّن من المعرفة — بما قبله وهو اختصاصه تعالى بعلم الغيب وأنّ العباد لاعلم لهم بشىء منه ، أنه لمّا ذكر أنّ العباد لايعلمون الغيب وكان هذا بيانا لعجزهم ووصفا لقصور علمهم ،

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ[1] ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ[2] إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ[3] ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ[4] ﴿٦٩﴾

وصل به أنّ عندهم عجزا أبلغ منه وهو أنّهم يقولون للكائن الذى لابدّ من كونه وهو وقت جزاء أعمالهم ، لايكون — مع أنّ عندهم أسباب معرفة كونه واستحكام العلم به . وجاز أن يكون وصفهم باستحكام العلم وتكامله تهكّما بهم كما تقول لأجهل الناس : ما أعلمك ! على سبيل الهزؤ . وذلك حيث شكّوا وعموا عن إثباته الذى الطريق إلى علمه مسلوك فضلا أن يعرفوا وقت كونه الذى لاطريق إلى معرفته . ويجوز أن يكون (أدرك) بمعنى انتهى وفنى من قولك أدركت الثمرة.لأنّ تلك غايتها التى عندها تعدم . وقد فسّرها الحسن باضمحلّ علمهم فى الآخرة. و (تدارك) ، من تدارك بنو فلان إذا تتابعوا فى الهلاك .

(١) (أئنّا لمخرجون) من قبورنا أحياء . وتكرير حرف الاستفهام فى (أئذا).و (أئنّا) فى قراءة عاصم وحمزة وخلف إنكار بعد إنكار وجحود عقيب جحود ودليل على كفر مؤكّد مبالغ فيه . والعامل فى (إذا) ما دلّ عليه (لمخرجون) وهونخرج.لأنّ اسم الفاعل والمفعول بعد همزة الاستفهام أو إنّ أو لام الابتداء لا يعمل فيما قبله ، فكيف إذا اجتمعن؟ والضمير فى (إنّا) لهم ولآبائهم لأنّ كونهم ترابا قد تناولهم وآباءهم . لكنّه غلبت الحكاية على الغائب . (وآباؤنا) عطف على الضمير فى (كنّا) لأنّ المفعول جرى مجرى التوكيد .

(٢) (لقد وعدنا هذا) أى البعث من قبل محمّد صلّى الله عليه وسلّم . قدّم هنا (هذا) على (نحن وآباؤنا) وفى المؤمنون (نحن وآباؤنا) على (هذا) ليدلّ على أنّ المقصود بالذكر هو البعث هنا ، وثمّة المبعوثون .

(٣) ما هذا إلّا أحاديثهم وأكاذيبهم .

(٤) أى آخر أمر الكافرين . وفى ذكر الإجرام لطف بالمسلمين فى ترك الجرائم كقوله تعالى (فدمدم عليهم ربّهم بذنبهم) وقوله (ممّا خطيئاتهم أغرقوا) .

وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ [١] ۝ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ [٢] ۝ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ [٣] ۝ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ [٤] ۝ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ [٥] ۝

---

(١) (ولا تحزن عليهم) لأجل أنهم لم يتبعوك ولم يسلموا فيسلموا . (ولا تكن) فى حرج صدر من مكرهم وكيدهم لك فانّ الله يعصمك من الناس . يقال ضاق الشيء ضيقا بالفتح ، وهو قراءة غير ابن كثير ، وبالكسر وهو قراءته .

(٢) (ويقولون متى هذا الوعد) أى وعد العــذاب (إن كنتم صادقين) أنّ العذاب نازل بالمكذّب .

(٣) استعجلوا العــذاب الموعود فقيل لهم عسى أن يكون ردفكم بعضه وهو عذاب يوم بدر . فزيدت اللام للتأكيد كالباء فى (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) . أو ضمّن معنى فعل يتعدّى باللام نحو دنا لكم وأزف لكم . ومعناه تبعكم ولحقكم . وعسى ولعلّ وسوف فى وعد الملوك ووعيدهم يدلّ على صدق الأمر وجدّه ، فعلى ذلك جرى وعد الله ووعيده .

(٤) (وإنّ ربّك لذو فضل) أى إفضال (على الناس) بترك المعاجلة بالعذاب (ولكنّ أكثرهم لا يشكرون) أى أكثرهم لا يعرفون حقّ النعمة فيه ولا يشكرونه فيستعجلون العذاب بجهلهم .

(٥) (وإنّ ربّك ليعلم ما تكنّ صــدورهم) تخفى (وما يعلنون) يظهرون من القول . فليس تأخير العذاب عنهم لخفاء حالهم ولكن له وقت مقدّر . أو أنّه يعلم مايخفون ومايعلنون من عداوة رسول الله صلّى الله عليه وسلم ومكايدهم وهو معاقبهم على ذلك بما يستحقونه . وقرئ (تَكُنّ) يقال كننت الشيء وأكننته إذا سترته وأخفيته .

وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ[1] ۝ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ[2] ۝ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ[3] ۝ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ[4] وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ[5] ۝ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ[6] ۝

---

(١) سمّى الشيء الذى يغيب ويخفى غائبة وخافية . والتاء فيهما كالتاء فى العاقبة . ونظائرهما الرمّية والذبيحة والنطيحة فى أنّها أسماء غير صفات . ويجوز أن يكونا صفتين وتاؤهما للمبالغة كالراوية . كأنّه قال وما من شيء شديد الغيبوبة إلّا وقد علمه الله وأحاط به وأثبته فى اللوح المحفوظ . والمبين الظاهر البيّن لمن ينظر فيه من الملائكة .

(٢) أى يبيّن لهم (أكثر الذى هم فيه يختلفون) فإنّهم اختلفوا فى المسيح فتحزّبوا فيه أحزابا ووقع بينهم التناكر فى أشياء كثيرة حتّى لعن بعضهم بعضا . وقد نزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه لو أنصفوا وأخذوا به وأسلموا . يريد اليهود والنصارى .

(٣) وإنّ القرآن (لهدى ورحمة للمؤمنين) لمن أنصف منهم وآمن . أى من بنى إسرائيل . أو منهم ومن غيرهم .

(٤) (إنّ ربّك يقضى) بين من آمن بالقرآن ومن كفر به بعدله . لأنّه لا يقضى إلّا بالعدل فسمّى المحكوم به حكما . أو بحكمته . ويدلّ عليه قراءة من قرأ (بحكمه) جمع حكمة .

(٥) (وهو العزيز) فلا يردّ قضاؤه (العليم) بمن يقضى عليه . أو (العزيز) فى انتقامه من المبطلين . (العليم) بالفصل بينهم وبين المحقّين .

(٦) أمره بالتوكّل على الله وقلّة المبالاة بأعداء الدين . وعلّل التوكّل بأنّه على الحقّ الأبلج وهو الدين الواضح الذى لا يتعلّق به شكّ . وفيه بيان أنّ صاحب الحقّ حقيق بالوثوق بالله وبنصرته .

إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ (١) إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا (٢) فَهُم مُّسْلِمُونَ (٣) ﴿٨١﴾ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ (٤) أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ (٥) أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا (٦)

(١) لما كانوا لا يعون ما يسمعون ولا به ينتفعون شُبِّهوا بالموتى وهم أحياء صحاح الحواس و بالصمّ الذين ينعق بهم فلا يسمعون و بالعمى حيث يضلّون الطريق ولا يقدر أحد أن ينزع ذلك عنهم ويجعلهم هداة بصراء إلّا الله تعالى . ثمّ أكّد حال الصمّ بقوله (مدبرين) لأنّه إذا تباعد عن الداعى بأن تولّى عنه مدبرا كان أبعد عن إدراك صوته . (ولَا يَسمع الصمُّ) مكّىّ وكذا فى الروم . (وما أنت تهدى العمىَ) وكذا فى الروم ، حمزة .

(٢) أى ما يجدى إسماعك إلّا على الذين علم الله أنّهم يؤمنون بآياته أى يصدّقون بها .

(٣) مخلصون من قوله (بلى من أسلم وجهه لله) يعنى جعله سالما خالصا له .

(٤) سمّى معنى القول ومؤدّاه بالقول . وهو ما وعدوا من قيام الساعة والعذاب . ووقوعه حصوله . والمراد مشارفة الساعة وظهور أشراطها وحين لا تنفع التوبة .

(٥) (دابّة) هى الجسّاسة. فى الحديث "طولها ستّون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب ولها أربع قوائم وزغب وريش وجناحان" وقيل لها رأس ثور وعين خنزير وأذن فيل وقرن أيّل وعنق نعامة وصدر أسد ولون نمر وخاصرة هرّة وذنب كبش وخفّ بعير ، وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعا تخرج من الصفا فتكلّمهم بالعربيّة فتقول (إنّ الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) أى لا يوقنون بخروجى لأنّ خروجها من الآيات. وتقول ألا لعنة الله على الظالمين. أو تكلّمهم ببطلان الأديان كلّها سوى دين الإسلام أو بأنّ هذا مؤمن وهذا كافر . وفتح (أنّ) كوفىّ وسهل على حذف الجار أى تكلّمهم بأن . وغيرهم كسروا لأنّ الكلام بمعنى القول أو بإضمار القول . أى تقول الدابّة ذلك. ويكون المعنى بآيات ربّنا أو حكاية لقول الله تعالى عند ذلك. ثمّ ذكر قيام الساعة فقال (و يوم نحشر من كل أمّة فوجا) من للتبعيض أى واذكر يوم نجمع من كلّ أمة من الأمم زمرة .

مِّمَّن يُكَذِّبُ[١] بِـَٔايَـٰتِنَا[٢] فَهُمْ يُوزَعُونَ[٣] ۝ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ[٤] ۝ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ[٥] ۝ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ[٦] ۝

---

(١) (من) للتبيين .

(٢) (يكذّب بآياتنا) المنزلة على أنبيائنا .

(٣) يحبس أولهم على آخرهم حتّى يجتمعوا ثمّ يساقون إلى موضع الحساب . وهذه عبارة عن الجماعة الكثيرة .

(٤) (حتى إذا) حضروا موقف الحساب والسؤال (قال) لهم تعالى ، تهديدا : (أكذّبتم بآياتى) المنزلة على رسلى (ولم تحيطوا بها علما) الواو للحال ، كأنّه (قال أكذبتم بآياتى) بادئ الرأى من غير فكر ولا نظر يؤدّى إلى إحاطة العلم بكنهها وأنّها حقيقة بالتصديق أو بالتكذيب ؟ (أم ما ذا كنتم تعملون) حيث لم تتفكّروا فيها . لأنكم لم تخلقوا عبثا .

(٥) أى يغشاهم العذاب الموعود بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله فيشغلهم عن النطق والاعتذار كقوله (هذا يوم لاينطقون) .

(٦) (مبصرا) حال . جعل الإبصار للنهار وهو لأهله . والتقابل مراعى من حيث المعنى لأنّ معنى (مبصرا) ليبصروا فيه طرق التقلّب فى المكاسب (إنّ فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) يصدّقون فيعتبرون . وفيه دليل على صحّة البعث لأنّ معناه ألم يعلموا أنّا جعلنا الليل والنهار قواما لمعاشهم فى الدنيا ليعلموا أنّ ذلك لم يجعل عبثا بل محنة وابتلاء ولا بدّ عند ذلك من ثواب وعقاب . فإذا لم يكونا فى هذه الدار فلا بدّ من دار أخرى للثواب والعقاب .

وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ (١) فَفَزِعَ (٢) مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ (٣) وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ (٤) ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا (٥) جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ (٦) ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ (٧) كُلَّ شَيْءٍ

(١) (و) اذكر (يوم ينفخ فى الصور) وهو قرن ، أو جمع صورة . والنافخ إسرافيل عليه السلام .

(٢) اختير (فزع) على يفزع للإشعار بتحقق الفزع وثبوته وأنه كائن لامحالة. والمرادفزعهم عند النفخة الأولى حين يصعقون .

(٣) إلا من ثبّت الله قلبه من الملائكة. قالوا هم جبريل وميكائيل و إسرافيل وملك الموت عليهم السلام. وقيل الشهداء، وقيل الحور وخزنة النار وحملة العرش. وعن جابر رضى الله عنه منهم موسى عليه السلام لأنه صعق مرة . ومثله (ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله) .

(٤) (أتوه) حمزة وحفص وخلف . (آتوه) غيرهم وأصله آتيوه (داخرين) حال ، أى صاغرين . ومعنى الإتيان حضورهم الموقف ورجوعهم إلى أمره تعالى وانقيادهم له .

(٥) (تحسبها) — بفتح السين شامىّ وحمزة ويزيد وعاصم . وبكسرها غيرهم . حال من المخاطب — (جامدة) واقفة ممسكة عن الحركة — من جمد فى مكانه إذا لم يبرح — (وهى تمرّ مرّ السحاب) حال من الضمير المنصوب فى (تحسبها) أى مثل مرّ السحاب . والمعنى أنك إذا رأيت الجبال وقت النفخة ظننتها ثابتة فى مكان واحد لعظمها وهى تسير سيراسريعا كالسحاب إذا ضربته الريح . وهكذا الأجرام العظام المتكاثرة العدد إذا تحركت لا تكاد تبين حركتها كما قال النابغة فى صفة جيش :

بأرعن مثل الطود تحسب أنهم ＊ وقوف لحاج والركاب تُهملج

(٦) مصدر عمل فيه ما دلّ عليه تمرّ لأنّ مرورها كمرّ السحاب من صنع الله فكأنّه قيل صنع الله ذلك صنعا . وذكر اسم الله لأنه لم يذكر قبل .

(٧) أى أحكم خلقه .

إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا[1] وَهُم مِّن فَزَعٖ[2] يَوۡمَئِذٍ[3] ءَامِنُونَ[4] ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ[5] فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ[6] ﴿٩٠﴾ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ[7]

---

(١) (يفعلون) مكّيّ وبصريّ غير سهل وأبو بكر غير يحيى . وغيرهم بالتاء . أى أنّه عالم بما يفعل العباد فيكافئهم على حسب ذلك . ثمّ لخّص ذلك بقوله (من جاء بالحسنة) أى بقوله لا إله إلا الله عند الجمهور (فله خير) حاصل من جهتها وهو الجنّة . وعلى هذا لا يكون (خير) بمعنى أفضل ، ويكون (منها) فى موضع رفع صفة لخير أى بسببها .

(٢) كوفيّ أى (من فزعٍ) شديد مفرط الشدّة وهو خوف النار. أو من فزع مّا وإن قلّ. وبغير تنوين ، غيرهم .

(٣) كوفيّ ومدنيّ . وبكسر الميم غيرهم . والمراد يوم القيامة .

(٤) أمن يعدّى بالجارّ وبنفسه كقوله (أفأمنوا مكر الله) .

(٥) بالشرك .

(٦) (فكبّت وجوههم) ألقيت يقال كببت الرجل ألقيته على وجهه . أى ألقوا على رءوسهم فى النار . أو عبّر عن الجملة بالوجه كما يعبّر بالرأس والرقبة عنها . أى ألقوا فى النار . ويقال لهم تبكيتا عند الكبّ : (هل تجزون إلّا ما كنتم تعملون) فى الدنيا من الشرك والمعاصى .

(٧) مكّة .

ٱلَّذِى حَرَّمَهَا(١) وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ(٢) وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ(٣) ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ(٤) فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ(٥) وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ(٦) ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا(٧) وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ(٨) ﴿٩٣﴾

---

(١) جعلها حرما آمنا يأمن فيها اللاجئ إليها ولا يختلى خلاها ولا يعضد شوكها ولا ينفر صيدها .

(٢) (وله كلّ شىء) مع هذه البلدة فهو مالك الدنيا والآخرة .

(٣) المنقادين له .

(٤) من التلاوة أو من التُّلُوّ كقوله (واتّبع ما يوحى إليك من ربّك) .

أمر رسوله بأن يقول (أمرت) أن أخصّ الله وحده بالعبادة ولا أتّخذ له شريكا كما فعلت قريش (وأن أكون) من الحنفاء الثابتين على ملّة الإسلام (وأن أتلو القرآن) لأعرف الحلال والحرام وما يقتضيه الإسلام . وخصّ مكّة من بين سائر البلاد باضافة اسمه إليها لأنّها أحبّ بلاده إليه وأعظمها عنده . وأشار إليها بقوله (هذه) إشارة تعظيم لها وتقريب دالّا على أنّها موطن نبيّه ومهبط وحيه . ووصف ذاته بالتحريم الذى هو خاصّ وصفها وجعل دخول كلّ شىء تحت ربوبيّته وملكوته كالتابع لدخولها تحتهما .

(٥) (فمن اهتدى) باتّباعه إيّاى فيما أنا بصدده من توحيد الله ونفى الشركاء عنه والدخول فى الملّة الحنيفيّة واتّباع ما أنزل علىّ من الوحى، فمنفعة اهتدائه راجعة إليه لا إلىّ .

(٦) أى ومن ضلّ ولم يتّبعنى فلا علىّ وما أنا إلّا رسول منذر (وما على الرسول إلّا البلاغ المبين) .

(٧) أمره أن يحمد الله على ما خوّله من نعمة النبوّة التى لا توازيها نعمة ، وأن يهدّد أعداءه بما سيريهم الله من آياته فى الآخرة فيستيقنون بها . وقيل هو انشقاق القمر والدخان وما حلّ بهم من نقمات الله فى الدنيا .

(٨) بالتاء مدنىّ وشامىّ وحفص ويعقوب . خطاب لأهل مكّة . وبالياء غيرهم . أى كلّ عمل يعملونه فإنّ الله عالم به غير غافل عنه . فالغفلة والسهو لا يجوزان عليه .

سورة القصص

مكيّة ثمانون وثمانى آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

طسٓمٓ ۝ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ(١) ۝ نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ(٢) بِٱلْحَقِّ(٣) لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ(٤) ۝ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا(٥) فِى ٱلْأَرْضِ(٦) وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا(٧)

(١) يقال بان الشيء وأبان بمعنى واحد. ويقال أبنته. فأبان لازم ومتعد. أى مبين خيره وبركته. أو مبين الحلال والحرام والوعد والوعيد والإخلاص والتوحيد.

(٢) نقرأ عليك، أى يقرؤه جبريل بأمرنا. ومفعول (نتلو)، (من نبأ موسى وفرعون) أى نتلو عليك بعض خبرهما.

(٣) حال. أى محقين.

(٤) لمن سبق فى علمنا أنه مؤمن لأن التلاوة إنما تنفع هؤلاء دون غيرهم.

(٥) جملة مستأنفة كالتفسير للجمل. كأن قائلا قال: وكيف كان نبؤهما؟ فقال (إن فرعون علا) طغى وجاوز الحدّ فى الظلم واستكبر وافتخر بنفسه ونسى العبوديّة.

(٦) أى أرض مملكته يعنى مصر.

(٧) فرقا يشيّعونه على ما يريد ويطيعونه لا يملك أحد منهم أن يلوى عنقه. أو فرقا مختلفة يكرم طائفة ويهين أخرى، فأكرم القبطىّ وأهان الإسرائيلىّ.

يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ(١) يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ(٢) إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ(٣) ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ(٤) عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً(٥) وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ(٦) ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ(٧) وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا(٨)

---

(١) هم بنو إسرائيل. و(يستضعف) حال من الضمير فى (وجعل). أو صفة لشيعا. أو كلام مستأنف.

(٢) أى يترك البنات أحياء للخدمة. وسبب ذبح الأبناء أن كاهنا قال له يولد مولود فى بنى إسرائيل يذهب ملكك على يده. وفيه دليل على حمق فرعون فإنه إن صدق الكاهن لم ينفعه القتل. وإن كذب فما معنى القتل؟ و(يذبح) بدل من (يستضعف).

(٣) أى أن القتل ظلما إنما هو فعل المفسدين إذ لا طائل تحته، صدق الكاهن أو كذب.

(٤) نتفضل. وهو دليل لنا فى مسألة الأصلح. وهذه الجملة معطوفة على (إن فرعون علا فى الأرض) لأنها نظيرة تلك فى وقوعها تفسيرا لنبأ موسى وفرعون واقتصاصا له. أو حال من (يستضعف) أى يستضعفهم فرعون ونحن نريد أن نمن عليهم. وإرادة الله تعالى كائنة بجعلت كالمقارنة لاستضعافهم.

(٥) قادة يقتدى بهم فى الخير، أو قادة إلى الخير، أو ولاة وملوكا.

(٦) أى يرثون فرعون وقومه ملكهم وكل ما كان لهم.

(٧) مكّن له إذا جعل له مكانا يقعد عليه أو يرقد. ومعنى التمكين (لهم فى الأرض) — أى أرض مصر والشام — أن يجعلها بحيث لا تنبو بهم ويسلّطهم وينفذ أمرهم.

(٨) (ونُرِىَ) بضم النون ونصب (فرعون) وما بعده. وبالياء ورفع (فرعون) ومابعده، علىّ وحمزة. أى يرون منهم ما حذروه من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم. (ويُرِى) نصب عطف على المنصوب قبله كقراءة النون. أو رفع على الاستئناف.

مِنْهُم[1] مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ[2] ۝ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ[3] أَنْ[4] أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ[5] ۝ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ[6] ءَالُ فِرْعَوْنَ

(١) من بنى إسرائيل . ويتعلق بنرى دون (يحذرون) لأن الصلة لا تتقدم على الموصول.

(٢) الحذر التوقى من الضرر .

(٣) (وأوحينا إلى أم موسى) بالإلهام أو بالرؤيا أو بإخبار ملك كما كان لمريم . وليس هذا وحى رسالة ولا تكون هى رسولا .

(٤) (أن) بمعنى أى أو مصدرية .

(٥) (فإذا خفت عليه) من القتل بأن يسمع الجيران صوته فينمّوا عليه (فألقيه فى) البحر — قيل هو نيل مصر — (ولا تخافى) من الغرق والضياع (ولا تحزنى) بفراقه (إنا رادّوه إليك) بوجه لطيف لتربيته (وجاعلوه من المرسلين) .

وفى هذه الآية أمران ونهيان وخبران وبشارتان . والفرق بين الخوف والحزن أن الخوف غم يلحق الإنسان لمتوقع، والحزن غم يلحقه لواقع وهو فراقه والإخطار به. فنهيت عنهما. وبشرت برده إليها وجعله من المرسلين. وروى أنه ذبح فى طلب موسى تسعون ألف وليد . وروى أنها حين ضربها الطلق كانت بعض القوابل الموكلات بحبالى بنى إسرائيل مصافية لها فعالجتها. فلما وقع إلى الأرض هالها نور بين عينيه ودخل حبه قلبها. فقالت ماجئتك إلا لأقتل مولودك وأخبر فرعون ولكن وجدت لابنك حبا ما وجدت مثله فاحفظيه . فلما خرجت القابلة جاءت عيون فرعون . فلفته فى خرقة ووضعته فى تنور مسجور لم تعلم ماتصنع لما طاش من عقلها. فطلبوا فلم يلقوا شيئا فخرجوا وهى لا تدرى مكانه . فسمعت بكاءه من التنور . فانطلقت إليه وقد جعل الله النار بردا وسلاما . فلما ألح فرعون فى طلب الولدان أوحى إليها بإلقائه فى اليم فألقته فى اليم بعد أن أرضعته ثلاثة أشهر .

(٦) أخذه (آل فرعون) . قال الزجاج : كان فرعون من أهل فارس من إصطخر

لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا[(١)] وَحَزَنًا[(٢)] إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ[(٣)] ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ[(٤)] لَا تَقْتُلُوهُ[(٥)] عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ[(٦)]

(١) أى ليصير الأمر إلى ذلك لا أنهم أخذوه لهذا ، كقولهم : للموت ما تلده الوالدة ، وهى لم تلد لأن يموت ولدها ولكن المصير إلى ذلك . كذا قاله الزجاج . وعن هذا قال المفسّرون إنّ هذه لام العاقبة والصيرورة . وقال صاحب الكشاف : هى لام كى التى معناها التعليل كقولك : جئتك لتكرمنى. ولكن معنى التعليل فيهـا وارد على طريق المجاز لأنّ ذلك لمّـا كان نتيجة التقاطهم له شـبّه بالداعى الذى يفعل الفـاعل الفعل لأجله وهو الإكرام الذى هو نتيجة المجىء .

(٢) (وحُزْنا) علىّ وحمزة. هما لغتان كالعُدْم والعَدَم .

(٣) (خاطين) تخفيف خاطئين — أبوجعفر . أى كانوا مذنبين فعاقبهم الله بأن ربّى عدوّهم ومن هو سبب هلاكهم على أيديهم. أو (كانوا خاطئين) فى كل شىء فليس خطؤهم فى تربية عدوّهم ببدع منهم .

(٤) روى أنّهم حين التقطوا التابوت عالجوا فتحه فلم يقدروا عليه فعالجوا كسره فأعياهم. فدنت آسية فرأت فى جوف التابوت نورا فعالجته ففتحته فإذا بصبى نوره بين عينيه فأحبوه. وكانت لفرعون بنت برصاء فنظرت إلى وجهه فبرئت. فقال الغواة من قومه : هو الذى نحذر منه فأذن لنا فى قتله . فهم بذلك فقالت آسية (قرّة عين لى ولك) فقال فرعون لك لا لى . وفى الحديث " لو قال كما قالت لهداه الله تعالى كما هداها " . وهذا على سبيل الفرض . أى لو كان غير مطبوع على قلبه كآسية لقال مثل قولها، وكان أسلم كما أسلمت . و(قرّة) خبر مبتدأ محذوف أى هو قرّة ، و (لى ولك) صفتان لقرّة .

(٥) خاطبته خطاب الملوك أو خاطبت الغواة .

(٦) (عسى أن ينفعنا) فانّ فيه مخايل ايمن ودلائل النفع . وذلك لمـا عاينت من النور وبرء البرصاء .

أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا[1] وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ[2] ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ[3] ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ[4]

(١) أو نتبنّاه فإنّه أهل لأن يكون ولدا للملوك .

(٢) حال . وذو حالها آل فرعون. وتقدير الكلام (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوّا وحزنا) وقالت امرأة فرعون كذا (وهم لا يشعرون) أنّهم على خطأ عظيم فى التقاطه ورجاء النفع منه وتبنّيه. وقوله (إنّ فرعون) الآية جملة اعتراضيّة واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه مؤكّدة لمعنى خطئهم . وما أحسن نظم هذا الكلام عند أصحاب المعانى والبيان .

(٣) وصار (فؤاد أمّ موسى فارغا) صفرا من العقل لمـا دهمها من فرط الجزع لمـّا سمعت بوقوعه فى يد فرعون. (إن كادت لتبدى به) لتظهر به. والضمير لموسى. والمراد بأمره وقصّته وأنّه ولدها . قيل لمـّا رأت الأمواج تلعب بالتابوت كادت تصيح وتقول وا ابناه . وقيل لمـّا سمعت أنّ فرعون أخذ التابوت لم تشكّ أنّه يقتله فكادت تقول وا ابناه شفقة عليه . و (إن) مخفّفة من الثقيلة أى إنّها كادت لو لا ربطنا على قلبها — والربط على القلب تقويته بإلهام الصبر — (لتكون من المؤمنين) من المصدّقين بوعدنا . وهو (إنّا رادّوه إليك) . وجواب لولا محذوف أى لأبدته . أو فارغا من الهمّ حين سمعت أنّ فرعون تبنّاه (إن كادت لتبدى) بأنّه ولدها لأنّها لم تملك نفسها فرحا وسرورا بما سمعت لولا أنّا طامنّا قلبها وسكّنّا قلقه الذى حدث به من شدّة الفرح لتكون من المؤمنين الواثقين بوعد الله لا بتبنّى فرعون . قال يوسف بن الحسين : أمرت أمّ موسى بشيئين ونهيت عن شيئين وبشّرت ببشارتين فلم ينفعها الكلّ حتى تولّى الله حياطتها وربط على قلبها .

(٤) مريم .

قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ

(١) اتّبعى أثره لتعلمى خبره .

(٢) أى أبصرته .

(٣) عن بعد . حال من الضمير فى (به) أو من الضمير فى (بصرت) .

(٤) (وهم لا يشعرون) أنّها أخته .

(٥) (وحرّمنا عليه المراضع) تحريم منع لا تحريم شرع . أى منعناه أن يرضع ثديا غير ثدى أمّه وكان لا يقبل ثدى مرضع حتى أهمّهم ذلك . والمراضع جمع مُرضع وهى المرأة التى ترضع . أو جمع مَرْضَع وهو موضع الرضاع وهو الثدى ، أو الرضاع .

(٦) من قبل قصّها أثره أو من قبل أن نردّه على أمّه .

(٧) (فقالت) أخته وقد دخلت بين المراضع ورأته لا يقبل ثديا : (هل أدلّكم) — أرشدكم — (على أهل بيت يكفلونه) أى موسى (لكم وهم له ناصحون) ؟ النصح إخلاص العمل من شائبة الفساد . روى أنّها لمّا قالت (وهم له ناصحون) قال هامان إنّها لتعرفه وتعرف أهله فخذوها حتّى تخبر بقصّة هذا الغلام . فقالت إنّما أردت وهم للملك ناصحون. فانطلقت إلى أمّها بأمرهم فجاءت بها والصبىّ على يد فرعون يعلّله شفقة عليه وهو يبكى يطلب الرضاع . فحين وجد ريحها استأنس والتقم ثديها . فقال لها فرعون: ومن أنت منه فقد أبى كلّ ثدى إلّا ثديك ؟ فقالت : إنّى امرأة طيّبة الريح طيبة اللبن لا أوتى بصبىّ إلّا قبلنى. فدفعه إليها وأجرى عليها وذهبت به إلى بيتها وأنجز الله وعده فى الردّ. فعندها ثبت واستقرّ فى علمها أنّه سيكون نبيا . وذلك قوله (فرددناه إلى امّه كى تقرّ عينها) بالمقام معه (ولا تحزن) بفراقه .

وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ (١) وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٢) ﴿١٣﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا (٣) وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ (٤) ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا (٥) فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ (٦)

وقوله (ولا تحزن) معطوف على (تقر) . وإنّما حلّ لها ما تأخذه من الدينار كلّ يوم كما قال السدّى لأنّه مال حربىّ لا أنّه أجرة على إرضاع ولدها .

(١) أى وليثبت علمها مشاهدة كما علمت خبرا .

(٢) هو داخل تحت علمها أى (ولتعلم انّ وعد الله حقّ ولكنّ أكثرهم لا يعلمون) أنّه حقّ فيرتابون . ويشبه التعريض بما فرط منها حين سمعت بخبر موسى فجزعت .

(٣) (ولمّا بلغ) موسى (أشدّه) نهاية القوّة وتمام العقل — وهو جمع شدّة كنعمة وأنعم، عند سيبويه — واعتدل وتمّ استحكامه وهو أربعون سنة — ويروى أنّه لم يبعث نبىّ إلّا على رأس أربعين سنة — (آتيناه حكما) نبوّة (وعلما) فقها ، أو علما بمصالح الدارين .

(٤) أى كما فعلنا بموسى وأمّه نفعل بالمؤمنين . قال الزجّاج : جعل الله تعالى إيتاء العلم والحكمة مجازاة على الإحسان لأنّهما يؤدّيان إلى الجنّة التى هى جزاء المحسنين . والعالم الحكيم من يعمل بعلمه لأنّه تعالى قال (ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون) . فجعلهم جهّالا إذ لم يعملوا بالعلم .

(٥) (ودخل المدينة) أى مصر (على حين غفلة) حال من الفاعل أى مختفيا (من أهلها) . وهو بين العشاءين أو وقت القائلة يعنى انتصاف النهار . وقيل لمّا شبّ وعقل أخذ يتكلّم بالحقّ وينكر عليهم فأخافوه فلا يدخل المدينة إلّا على تغفّل .

(٦) ممن شايعه على دينه من بنى إسرائيل . قيل هو السامرىّ . وشيعة الرجل أتباعه وأنصاره .

وَهَـٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ(١) فَٱسْتَغَـٰثَهُ(٢) ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ(٣) فَقَضَىٰ عَلَيْهِ(٤) قَالَ هَـٰذَا(٥) مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ(٦) إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ(٧) ۝ قَالَ رَبِّ(٨) إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ(٩) ۝ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ(١٠) ۝

(١) من مخالفيه من القبط وهو فاتون . وقيل فيهما (هذا . وهذا) وإن كانا غائبين على جهة الحكاية . أى إذا نظر إليهما الناظر قال (هذا من شيعته وهذا من عدوه) .

(٢) فاستنصره .

(٣) ضربه (موسى) بجُمْع كفّه . أو بأطراف أصابعه .

(٤) فقتله .

(٥) إشارة إلى القتل الحاصل بغير قصد .

(٦) وإنما جعل قتل الكافر من عمل الشيطان وسمّاه ظلما لنفسه واستغفر منه لأنّه كان مستأمنا فيهم ولا يحلّ قتل الكافر الحربىّ المستأمن ، أو لأنّه قتله قبل أن يؤذن له فى القتل . وعن ابن جريج : ليس لنبىّ أن يقتل ما لم يؤمر .

(٧) ظاهر العداوة .

(٨) يارَبّ .

(٩) (إنّى ظلمت نفسى) بفعل صار قتلا (فاغفر لى) زلّتى (فغفر له) زلّته (إنّه هو الغفور) بإقالة الزلل (الرحيم) بإزالة الخجل .

(١٠) (فلن أكون) معينا للكافرين . و (بما أنعمت علىّ) قسم جوابه محذوف تقديره أقسم بإنعامك علىّ بالمغفرة لأتوبنّ (فلن أكون ظهيرا للمجرمين) . أو استعطاف كأنّه قال ربّ اعصمنى

فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ(١) فَإِذَا ٱلَّذِي ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ(٢) قَالَ لَهُۥ(٣) مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ(٤) ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا(٥)

بحق ما أنعمت على من المغفرة . (فلن أكون) إن عصمتنى (ظهيرا للمجرمين) . وأراد بمظاهرة المجرمين صحبة فرعون وانتظامه فى جملتـه وتكثيره سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد .

(١) (خائفا) على نفسه من قتله القبطى أن يؤخذ به (يترقب) حال ، أى يتوقع المكروه وهو الاستقادة منـه ، أو الأخبار ، أو ما يقال فيه . وقال ابن عطاء (خائفا) على نفسه (يترقب) نصرة ربه . وفيه دليل على أنه لا بأس بالخوف من دون الله بخلاف ما يقوله بعض الناس إنه لا يسوغ الخوف من دون الله .

(٢) (فإذا) — للفاجأة وما بعدها مبتدأ — (الذى استنصره) — أى موسى — يستغيثه . والمعنى أن الإسرائيلى الذى خلصه موسى استغاث به ثانيا من قبطى آخر .

(٣) أى للإسرائيلى .

(٤) أى ضال عن الرشد ظاهر الغى فقد قاتلت بالأمس رجلا فقتلته بسببك . والرشد فى التدبير ألا يفعل فعلا يفضى إلى البلاء على نفسه وعلى من يريد نصرته .

(٥) (فلما أن أراد) موسى (أن يبطش) بالقبطى (الذى هو عدو لهما) لموسى والإسرائيلى — لأنه ليس على دينهما أو لأن القبط كانوا أعداء بنى إسرائيل — (قال) الإسرائيلى لموسى عليه السلام — وقـد توهم أنه أراد أخذه لا أخذ القبطى إذ قال له (إنك لغوى مبين) — (أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا) يعنى القبطى .

بِٱلْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ۝ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ[1] إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ[2] ۝ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ[3] قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ[4] ۝

---

(١) ما تريد (إلّا أن تكون جبّارا) قتّالا بالغضب (فى) أرض مصر (وما تريد أن تكون من المصلحين) فى كظم الغيظ . وكان قتل القبطىّ بالأمس قد شاع ولكن خفى قاتله . فلمّا أفشى على موسى عليه السلام علم القبطىّ أنّ قاتله موسى فأخبر فرعون فهمّوا بقتله (وجاء رجل) — هو مؤمن آل فرعون . وكان ابن عم فرعون — (يسعى) — صفة لرجل أو حال من رجل لأنّه وصف بقوله (من أقصى المدينة) — (قال يا موسى إنّ الملأ) يأمر بعضهم بعضا بقتلك . أو يتشاورون بسببك — والائتمار التشاور . يقال الرجلان يتآمران ويأتمران لأنّ كلّ واحد منهما يأمر صاحبه بشىء أو يشير عليه بأمر — (فاخرج) من المدينة .

(٢) (لك) بيان وليس بصلة (الناصحين) لأنّ الصلة لا تتقدّم على الموصول ، كأنه قال : إنّى من الناصحين . ثمّ أراد أن يبيّن فقال (لك) كما يقال سقيا لك ومرحبا لك .

(٣) (فخرج) موسى من المدينة (يترقّب) التعرّض له فى الطريق ، أو أن يلحقه من يقتله .

(٤) أى قوم فرعون .

وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ (١) قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ (٢) ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ (٣) مَآءَ مَدْيَنَ (٤) وَجَدَ عَلَيْهِ (٥) أُمَّةً (٦) مِّنَ ٱلنَّاسِ (٧) يَسْقُونَ (٨) وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ (٩) ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ (١٠) قَالَ مَا خَطْبُكُمَا (١١) قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (١٢) ﴿٢٣﴾

---

(١) نحوها . والتوجّه الإقبال على الشيء . و(مدين) قرية شعيب عليه السلام . سمّيت بمدين بن إبراهيم . ولم تكن فى سلطان فرعون . وبينها وبين مصر مسيرة ثمانية أيّام .

(٢) أى وسطه ومعظم نهجه . قال ابن عباس رضى الله عنهما " خرج ولم يكن له علم بالطريق إلّا حسن الظنّ بربّه " . فجاءه ملك فانطلق به إلى مدين .

(٣) وصل .

(٤) ماءهم الذى يسقون منه . وكان بئرا .

(٥) على جانب البئر .

(٦) جماعة كثيرة .

(٧) من أناس مختلفين .

(٨) (يسقون) مواشيهم .

(٩) فى مكان أسفل من مكانهم .

(١٠) تطردان غنمهما عن الماء ، لأنّ على الماء من هو أقوى منهما فلا تتمكّنان من السقى . أو لئلا تختلط أغنامهما بأغنامهم . والذود الطرد والدفع .

(١١) ما شأنكما ؟ وحقيقته ما مخطوبكما من الذياد فسمّى المخطوب خطبا .

(١٢) (لا نسقى) غنمنا (حتّى يصدر الرعاء) مواشيهم . (يَصْدُر) شامىّ ويزيد وأبو عمرو ، أى يرجع . والرعاء جمع راع كقائم وقيام (وأبونا شيخ) لا يمكنه سقى الأغنام (كبير) فى حاله ، أو فى السن لا يقدر على رعى الغنم . أبلتا إليه عذرهما فى تولّيهما السقى بأنفسهما .

فَسَقَىٰ لَهُمَا[1] ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ[2] فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ[3] ﴿٢٤﴾

(١) (فسقى) غنمهما لأجلهما رغبة فى المعروف وإغاثة للهوف. روى أنّه نحّى القوم عن رأس البئر وسألهم دلوا فأعطوه دلوهم. وقالوا استق بها وكانت لا ينزعها إلّا أربعون فاستقى بها وصبّها فى الحوض ودعا بالبركة.

وترك المفعول فى (يسقون) و(تذودان) و(لا نسقى) و(فسقى) لأنّ الغرض هو الفعل لا المفعول. ألا ترى أنّه إنّما رحمهما لأنّهما كانتا على الذياد وهم على السقى ولم يرحمهما لأنّ مذودهما غنم ومسقيّهم إبل مثلا، وكذا فى (لا نسقى) و(فسقى) فالمقصود هو السقى لا المسقىّ. ووجه مطابقة جوابهما سؤاله أنّه سألها عن سبب الذود. فقالتا السبب فى ذلك أنّا امرأتان مستورتان ضعيفتان لا نقدر على مزاحمة الرجال ونستحى من الاختلاط بهم فلا بدّ لنا من تأخير السقى إلى أن يفرغوا. وإنّما رضى شعيب عليه السلام لابنتيه بسقى الماشية لأن هذا الأمر فى نفسه ليس بمحظور والدين لا يأباه. وأمّا المروءة فعادات الناس فى ذلك متباينة وأحوال العرب فيه خلاف أحوال العجم. ومذهب أهل البدو فيه غير مذهب أهل الحضر، خصوصا إذا كانت الحالة حالة ضرورة.

(٢) أى ظلّ سَمُرة. وفيه دليل جواز الاستراحة فى الدنيا بخلاف ما يقوله بعض المتقشّفة.

(٣) (إنّى) لأىّ شىء (أنزلت إلىّ من خير) قليل أو كثير، غثّ أو سمين، محتاج. وعدّى (فقير) باللام لأنّه ضمن معنى سائل وطالب. قيل كان لم يذق طعاما سبعة أيام وقد لصق بظهره بطنه. ولمّا طال البلاء عليه أنس بالشكوى إذ لا نقص فى الشكوى إلى المولى. ويحتمل أن يريد إنّى فقير من الدنيا لأجل ما أنزلت إلىّ من خير الدين وهو النجاة لأنه كان عند فرعون فى ملك وثروة. قال ذلك رضا بالبدل السنىّ وفرحا به وشكرا له. وقال ابن عطاء: نظر من العبودية إلى الربوبيّة وتكلّم بلسان الافتقار، لما ورد على سرّه من الأنوار.

فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ[1] قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ[2] قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ[3] ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ[4]

---

(١) (على استحياء) فى موضع الحال أى مستحية . وهذا دليل كمال إيمانها وشرف عنصرها لأنها كانت تدعوه إلى ضيافتها ولم تعلم أيجيبها أم لا . فأتته مستحية قد استترت بكم درعها . و (ما) فى (ما سقيت) مصدرية أى جزاء سقيك . روى أنهما لما رجعتا إلى أبيهما قبل الناس وأغنامهما حفّل ، قال لهما : ما أعجلكما ؟ قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا . فقال لإحداهما : اذهبى فادعيه لى . فتبعها موسى عليه السلام فألزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته فقال لها : امشى خلفى وانعتى لى الطريق .

(٢) أى قصته وأحواله مع فرعون . والقصص مصدر كالعلل سمى به المقصوص .

(٣) (قال) له (لا تخف نجوت من القوم الظالمين) إذ لا سلطان لفرعون بأرضنا . وفيه دليل جواز العمل بخبر الواحد ولو عبدا أو أنثى ، والمشى مع الأجنبية مع ذلك الاحتياط والتورع . وأما أخذ الأجر على البر والمعروف فقيل إنه لا بأس به عند الحاجة كما كان لموسى عليه السلام . على أنه روى أنها لما قالت (ليجزيك) كره ذلك . وإنما أجابها لئلا يخيب قصدها لأن للقاصد حرمة . ولما وضع شعيب الطعام بين يديه امتنع . فقال شعيب : ألست جائعا ؟ قال بلى ! ولكن أخاف أن يكون عوضا مما سقيت لهما . وإنا أهل بيت لا نبيع ديننا بالدنيا ولا نأخذ على المعروف ثمنا . فقال شعيب عليه السلام : هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا . فأكل .

(٤) اتخذه أجيرا لرعى الغنم . روى أن كبراهما كانت تسمى صفراء والصغرى صفيراء . وصفراء هى التى ذهبت وطلبت إلى أبيها أن يستأجره وهى التى تزوجها .

إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ[1] ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ[2] إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَـٰتَيْنِ[3] عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَـٰنِىَ حِجَجٍ[4] فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ[5] سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ[6] ﴿٢٧﴾

(١) فقال وما علمك بقوته وأمانته ؟ فذكرت نزع الدلو وأمرها بالمشى خلفه . وورد الفعل بلفظ الماضى للدلالة على أنّ أمانته وقوته أمران متحقّقان . وقولها (إنّ خير من استأجرت القوىّ الأمين) كلام جامع لأنّه إذا اجتمعت هاتان الخصلتان الكفاية والأمانة فى القائم بأمرك فقد فرغ بالك وتمّ مرادك . وقيل (القوىّ) فى دينه (الأمين) فى جوارحه. وقد استغنت بهذا الكلام الجارى مجرى المثل عن أن تقول استأجره لقوته وأمانته . وعن ابن مسعود رضى الله عنه أفرس الناس ثلاثة : بنت شعيب، وصاحب يوسف فى قوله : (عسى أن ينفعنا) ، وأبو بكر فى عمر .

(٢) أزوجك .

(٣) قوله (هاتين) يدلّ على أنّه كان له غيرهما . وهذه مواعدة منه ولم يكن ذلك عقد نكاح إذ لو كان عقداً لقال قد أنكحتك .

(٤) (على أن) تكون أجيراً لى — من أجرته إذا كنت له أجيرا — (ثمانى حجج) ظرف . والحجّة السنة . وجمعها حجج . والتزوج على رعى الغنم جائز بالإجماع لأنّه من باب القيام بأمر الزوجيّة فلا مناقضة بخلاف التزوج على الخدمة .

(٥) أى (فإن أتممت) عمل عشر حجج . فذلك تفضّل منك ليس بواجب عليك . أو فإتمامه من عندك ولا أحتمه عليك . ولكنّك إن فعلته فهو منك تفضّل وتبرّع . (وما أريد أن أشقّ عليك) بإلزام أتمّ الأجلين وحقيقة قولهم شققت عليه وشقّ عليه الأمر أنّ الأمر إذا تعاظمك فكأنّه شقّ عليك ظنّك باثنين : تقول تارة أطيقه وطورا لا أطيقه .

(٦) (ستجدنى إن شاء الله من الصالحين) فى حسن المعاملة .والمراد باشتراطه مشيئة الله فيما وعد من الصلاح الاتّكال على توفيقه فيه ومعونته،لأنّه إن شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل ذلك .

قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا (1) ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ (2) وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (3) ﴿٢٨﴾

(1) (قال) موسى (ذلك) مبتدأ . وهو إشارة إلى ما عاهده عليه شعيب . والخبر (بيني وبينك) . يعني (ذلك) الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائم بيننا جميعا لا يخرج كلانا عنه لا أنا فيما شرطت عليّ ولا أنت فيما شرطت على نفسك .

(2) أي أيّ أجل (قضيت) من الأجلين يعني العشر أو الثمان — و (أيّ) نصب بقضيت و (ما) زائدة مؤكّدة لإبهام أيّ . وهي شرطيّة — (فلا عدوان عليّ) جوابها . أي لا يعتدى عليّ في طلب الزيادة عليه . قال المبرّد : قد علم أنّه لاعدوان عليه في أيّهما. ولكن جمعهما ليجعل الأقلّ كالأتمّ في الوفاء ، وكما أنّ طلب الزيادة على الأتمّ عدوان فكذا طلب الزيادة على الأقلّ .

(3) هو من وكل إليه الأمر . وعدّى بعلى لأنّه استعمل في موضع الشاهد والرقيب . روى أنّ شعيباً كانت عنده عِصِيّ الأنبياء عليهم السلام . فقال لموسى بالليل ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصيّ . فأخذ عصا هبط بها آدم من الجنّة ولم يزل الأنبياء عليهم السلام يتوارثونها حتّى وقعت إلى شعيب . فمسّها وكان مكفوفا فضنّ بها فقال خذ غيرها . فما وقع في يده إلّا هي سبع مرّات . فعلم أنّ له شأنا . ولمّا أصبح قال له شعيب : إذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ على يمينك فإنّ الكلأ وإن كان بها أكثر إلّا أنّ فيها تنّينا أخشاه عليك وعلى الغنم . فأخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفّها فمشى على أثرها . فإذا عشب وريف لم ير مثله فنام فإذا التنّين قد أقبل فحاربته العصا حتّى قتلته وعادت إلى جنب موسى دامية فلمّا أبصرها دامية ، والتنّين مقتولا ارتاح لذلك . ولمّا رجع إلى شعيب مسّ الغنم فوجدها ملأى البطون غزيرة اللبن . فأخبره موسى ففرح وعلم أنّ لموسى والعصا شأنا . وقال له : إنّي وهبت لك من نتاج غنمي هذا العام كلّ أدرع ودرعاء . فأوحى إليه في المنام أن اضرب بعصاك مستقى الغنم ، ففعل . ثمّ سقى فوضعت كلّهن أدرع ودرعاء . فوفى له بشرطه .

فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ[1] وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ[2] ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ[3] أَوْ جَذْوَةٍ[4] مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِىِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ[5] أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ[6] ﴿٣٠﴾

---

(١) قال عليه السلام " قضى أوفاهمـا وتزوج صغراهمـا " . وهذا بخلاف الرواية التى مرّت .

(٢) (وسار) بامرأته نحو مصر . قال ابن عطاء : لمـا تمّ أجل المحنة ، ودنا أيّام الزلفة ، وظهرت أنوار النبوّة ، سار بأهله ليشتركوا معه فى لطائف صنع ربّه .

(٣) (بخبر) عن الطريق لأنّه قد ضلّ الطريق .

(٤) الجذوة — باللغات الثلاث وقرئ بهنّ . فعاصم بفتح الجيم . وحمزة وخلف بضمّها . وغيرهم بكسرها — العود الغليظ كانت فى رأسه نار أو لم تكن .

(٥) (نودى من شاطئ الواد الأيمن) بالنسبة إلى موسى (فى البقعة المباركة) بتكليم الله تعالى فيها (من الشجرة) العُنّاب أو العوسج . (من) الأولى والثانية لابتداء الغاية أى أتاه النداء من شاطئ الوادى من قبل الشجرة . و (من الشجرة) بدل (من شاطئ الواد) بدل الاشتمال لأنّ الشجرة كانت نابتة على الشاطئ أى الجانب .

(٦) (أن) — مفسّرة أو مخفّفة من الثقيلة — (يا موسى إنّى أنا الله ربّ العالمين) قال جعفر : أبصر نارا دلّتـه على الأنوار لأنّه رأى النور فى هيئة النـار . فلمّـا دنا منهـا شملته أنوار القدس ، وأحاطت به جلابيب الأنس . فخوطب بألطف خطاب ، واستدعى منه أحسن جواب . فصار بذلك مكلّما شريفا أعطى ما سأل ، وأمن ممّـا خاف

وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ(١) فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ(٢) كَأَنَّهَا جَانٌّ(٣) وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ(٤) إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ(٥) ۝ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ(٦) وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ(٧)

---

(١) (و) نودى (أن ألق عصاك) . فألقاها فقلبها الله ثعبانا .

(٢) تتحرك .

(٣) حيّة فى سعيها ، وهى ثعبان فى جثتها .

(٤) (ولم يعقب) لم يرجع . فقيل له : (يا موسى أقبل ولا تخف) .

(٥) أى أمنت من أن ينالك مكروه من الحية .

(٦) أدخل (يدك فى) جيب قميصك (تخرج بيضاء) لها شعاع كشعاع الشمس (من غير) برص .

(٧) بفتحتين حجازى وبصرى . (الرَّهْب) حفص . (الرُّهْب) غيرهم . ومعنى الكل الخوف . والمعنى واضمم يدك إلى صدرك يذهب ما بك من فرَق أى لأجل الحيّة . عن ابن عباس رضى الله عنهما : كلّ خائف إذا وضع يده على صدره زال خوفه . وقيل معنى ضمّ الجناح أنّ الله تعالى لمّا قلب العصا حيّة فزع موسى واتّقاها بيده كما يفعل الخائف من الشيء . فقيل له إن اتّقاءك بيدك فيه غضاضة عند الأعداء فإذا ألقيتها فكما تنقلب حيّة فأدخل يدك تحت عضدك مكان اتّقائك بها . ثمّ أخرجها بيضاء ليحصل الأمران : اجتناب ماهو غضاضة عليك وإظهار معجزة أخرى . والمراد بالجناح اليد لأنّ يدى الإنسان بمنزلة جناحى الطائر . وإذا أدخل يده اليمنى تحت عضده اليسرى فقد ضمّ جناحه إليه . أو أريد بضمّ جناحه إليه تجلّده وضبطه نفسه عند انقلاب العصا حيّة حتّى لا يضطرب ولا يرهب ، استعارة من فعل

فَذَٰنِكَ[1] بُرْهَـٰنَانِ[2] مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ[3] إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ[4] ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ[5] ۝ وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ[6] رِدْءًا[7] يُصَدِّقُنِىٓ[8] إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ[9] ۝

الطائر لأنّه إذا خاف نشر جناحيه وأرخاهما و إلا فجناحاه مضمومان إليه مشمّران . ومعنى (من الرهب) من أجل الرهب أى إذا أصابك الرهب عند رؤية الحيّة فاضمم إليك جناحك . جعل الرهب الذى كان يصيبـه سببا وعلّة فيا أمر به من ضمّ جناحه إليه . ومعنى (واضمم إليك جناحك) و (اسلك يدك فى جيبك) على أحد التفسيرين واحد. ولكن خولف بين العبارتين لاختلاف الغرضين إذ الغرض فى أحدهما خروج اليد بيضـاء ، وفى الثانى إخفاء الرهب . ومعنى (واضمم يدك إلى جناحك) فى طه ، أدخل يمناك تحت يسراك .

(1) مخفّفا مثنّى ذاك . ومشدّدا مكّىّ وأبو عمرو ، مثنّى ذلك . فإحدى النونين عوض من اللام المحذوفة . والمراد اليد والعصا .

(2) حجّتان نيّرتان بيّنتان . وسمّيت الحجّة برهانا لإنارتها من قولهم للمرأة البيضاء برهرهة .

(3) أى أرسلناك (إلى فرعون وملئه) بهاتين الآيتين .

(4) كافرين .

(5) (أن يقتلون) به . بغير ياء . و بالياء يعقوب .

(6) (معىَ) حفص .

(7) حال أى عونا يقال ردأته أعنته . و بلا همز مدنىّ .

(8) (يصدّقُنى) عاصم وحمزة. صفة أى (ردءا) مصدّقا لى. وغيرهما بالجزم جواب لأرسله . ومعنى تصديقه موسى إعانته إيّاه بزيادة البيان فى مظانّ الجدال إن احتاج إليه ليثبت دعواه ، لا أن يقول له صدقت. ألا ترى إلى قوله (هو أفصح منّى لسانا فأرسله) . وفضل الفصاحة إنّمـا يحتاج إليه لتقرير البرهان ، لا لقوله صدقت . فسحبان و باقل فيه يستويان .

(9) (يكذّبونى) فى الحالين — يعقوب .

قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَـٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ (١) ۝ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا بَيِّنَـٰتٍ (٢) قَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى (٣) وَمَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ (٤) ۝ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَـٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ (٥) ۝

---

(١) سنقويك به — إذ اليد تشتد بشدة العضد لأنه قوام اليد . والجملة تقوى بشدة اليد على مزاولة الأمور — (ونجعل لكما) غلبة وتسلطا وهيبة فى قلوب الأعداء (فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون) الباء تتعلق بيصلون ، أى لا يصلون إليكما بسبب آياتنا . وتم الكلام . أو بنجعل لكما سلطانا أى نسلطكما بآياتنا . أو بمحذوف أى اذهبا بآياتنا . أو هو بيان للغالبون لا صلة . أو قسم جوابه (لا يصلون) مقدما عليه .

(٢) واضحات .

(٣) أى سحر تعمله أنت ثم تفتريه على الله . أو سحر موصوف بالافتراء كسائر أنواع السحر ، وليس بمعجزة من عند الله .

(٤) حال منصوبة عن هذا أى كائنا فى زمانهم يعنى ما حدثنا بكونه فيهم .

(٥) أى (ربى أعلم) منكم بحال من أهله الله للفلاح الأعظم حيث جعله نبيا و بعثه بالهدى ووعده حسن العقبى ، يعنى نفسه . ولو كان كما تزعمون ساحرا مفتريا لما أهله لذلك لأنه غنى حكيم لا يرسل الكاذبين ولا ينبئ الساحرين ولا يفلح عنده الظالمون . و(عاقبة الدار) هى العاقبة المحمودة . لقوله تعالى (أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن) . والمراد بالدار الدنيا وعاقبتها أن يختم للعبد بالرحمة والرضوان ، وتلقى الملائكة بالبشرى والغفران . (قال موسى) بغير واو ، مكى . وهو حسن لأن الموضع موضع سؤال وبحث عما أجابهم به موسى عند تسميتهم مثل تلك الآيات العظام سحرا مفترى . ووجه الأخرى أنهم قالوا ذلك وقال موسى هذا ليوازن الناظر بين القول والقول و يتبصر فساد أحدهما وصحة الآخر . (ربى أعلم) حجازى وأبو عمرو (ومن يكون) حمزة وعلى .

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى[1] فَأَوْقِدْ لِى يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ[2] فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا[3] لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ[4] إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ[5] وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ[6] ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ[7] هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ[8] بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ[9]

---

(١) قصد بنفى علمه بإله غيره نفى وجوده، أى مالكم من إله غيرى. أو هو على ظاهره وأنّ إلها غيره غير معلوم عنده.

(٢) أى اطبخ لى الآجرّ واتّخذه. وإنّما لم يقل مكان الطين هذا لأنّه أوّل من عمل الآجرّ فهو يعلّمه الصنعة بهذه العبارة، ولأنّه أفصح وأشبه بكلام الجبابرة، إذ أمْرُ هامان وهو وزيره بالإيقاد على الطين منادى باسمه بيا فى وسط الكلام، دليل التعظم والتجبّر.

(٣) قصرا عاليا.

(٤) أى أصعد، والاطلاع الصعود.

(٥) حسب أنّه تعالى فى مكان كما كان هو فى مكان.

(٦) (وإنّى لأظنّه) أى موسى (من الكاذبين) فى دعواه أنّ له إلها وأنّه أرسله إلينا رسولا. وقد تناقض المخذول. فإنّه قال (ما علمت لكم من إله غيرى)، ثمّ أظهر حاجته إلى هامان، وأثبت لموسى إلها، وأخبر أنّه غير متيقّن بكذبه. وكأنّه تحصّن من عصا موسى عليه السلام فلبّس وقال (لعلّى أطّلع إلى إله موسى). روى أنّ هامان جمع خمسين ألف بنّاء وبنى صرحا لم يبلغه أحد من الخلق فضرب الصرح جبريل عليه السلام بجناحه فقطعه ثلاث قطع وقعت قطعة على عسكر فرعون فقتلت ألف ألف رجل، وقطعة فى البحر، وقطعة فى المغرب. ولم يبق أحد من عمّاله إلّا هلك.

(٧) تعظّم.

(٨) أرض مصر.

(٩) أى بالباطل. فالاستكبار بالحقّ لله تعالى. وهو المتكبّر على الحقيقة أى المتبالغ فى كبر الشأن. كما حكى رسولنا عن ربّه " الكبرياء ردائى والعظمة إزارى فمن نازعنى واحدا منهما ألقيته فى النار". وكلّ مستكبر سواه فاستكباره بغير الحقّ.

وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ [1] ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ [2] فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ [3] ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً [4] يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ [5] وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ [6] ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً [7] وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ [8] ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً [9]

---

(١) (يَرجِعون) نافع وحمزة وعليّ وخلف ويعقوب .

(٢) من الكلام المفخّم الذى دلّ به على عظمة شأنه . شبّههم — استقلالا لعددهم وإن كانوا الجم الغفير — بحصيات أخذهنّ آخذ بكفّه فطرحهنّ فى البحر .

(٣) (فانظر) يامحمد وحذّر قومك فإنّك منصور عليهم .

(٤) قادة .

(٥) أى عمل أهل النار . قال ابن عطاء : نزع عن أسرارهم التوفيق، وأنوار التحقيق . فهم فى ظلمات نفوسهم لا يدلّون على سبيل الرشاد . وفيه دلالة خلق أفعال العباد .

(٦) (لا ينصرون) من العذاب .

(٧) ألزمناهم طردا وإبعادا عن الرحمة . وقيل هو مايلحقهم من لعن الناس إيّاهم بعدهم .

(٨) المطرودين المبعدين أو الهالكين المشوّهين بسواد الوجوه وزرقة العيون . و(يوم) ظرف للقبوحين .

(٩) (ولقد آتينا موسى) التوراة (من بعد ما أهلكنا القرون الأولى) قوم نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام (بصائر للناس) حال من الكتاب . والبصيرة نور القلب الذى يبصر به الرشد والسعادة ، كما أنّ البصر نور العين الذى يبصر به الأجساد . يريد آتيناه التوراة أنوارا للقلوب — لأنّها كانت عمياء لا تستبصر ولا تعرف حقّا من باطل — وإرشادا — لأنّهم كانوا يخبطون فى ضلال — (ورحمة) لمن اتبّعها لأنّهم إذا عملوا بها وصلوا إلى نيل الرحمة .

لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ(١) ۝ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ(٢) إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ(٣) وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ(٤) ۝ وَلَـٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ(٥) وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا(٦) فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ(٧) تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا(٨)

---

(١) يتّعظون .

(٢) (وما كنت) يامحمد (بجانب) الجبل (الغربىّ) وهو المكان الواقع فى شقّ الغرب . وهو الذى وقع فيه ميقات موسى .

(٣) أى كلّمناه (وقرّبناه نجيّا) .

(٤) من جملة الشاهدين للوحى إليه حتّى تقف من جهة المشاهدة على ماجرى من أمر موسى فى ميقاته .

(٥) (ولكنّا أنشأنا) بعد موسى (قرونا فتطاول عليهم العمر) أى طالت أعمارهم وفترت النبوّة وكادت الأخبار تخفى واندرست العلوم ووقع التحريف فى كثير منها ، فأرسلناك مجدّدا لتلك الأخبار مبيّنا ما وقع فيــه التحريف وأعطيناك العلم بقصص الأنبياء وقصّــة موسى . كأنّه قال وما كنت شاهدا لموسى وما جرى عليه ولكنّا أوحيناه إليك . فذكر سبب الوحى الذى هو إطالة الفترة ودلّ به على المسبّب اختصارا ، فإذا هــذا الاستدراك شبيه الاستدراكين بعده .

(٦) مقيما .

(٧) وهم شعيب والمؤمنون به .

(٨) تقرؤها عليهم تعلّما منهم ، يريد الآيات التى فيها قصّة شعيب وقومه . و (تتلو) فى موضع نصب خبر ثان ، أو حال من الضمير فى (ثاويا) .

وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (١) ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا (٢) وَلَٰكِن رَّحْمَةً (٣) مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ (٤) لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ (٥) بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ (٦) فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٧) ﴿٤٧﴾

---

(١) ولكنّا أرسلناك وأخبرناك بها وعلّمناكها .

(٢) (إذ نادينا) موسى أن (خذ الكتاب بقوة) .

(٣) (ولكن) أعلمناك وأرسلناك (رحمة) للرحمة .

(٤) فى زمان الفترة بينك وبين عيسى وهو خمسمائة وخمسون سنة .

(٥) عقوبة .

(٦) من الكفر والظلم . ولمّا كانت أكثر الأعمال تزاول بالأيدى نسبت الأعمال إلى الأيدى وإن كانت من أعمال القلوب تغليبا للأكثر على الأقلّ .

(٧) (فيقولوا) عند العذاب (لولا أرسلت إلينا رسولا) . (لولا) الأولى امتناعية وجوابها محذوف . والثانية تحضيضيّة . والفاء الأولى للعطف والثانية جواب (لولا) لكونها فى حكم الأمر إذ الأمر باعث على الفعل والباعث والمحضّض من واد واحد . والفاء تدخل فى جواب الأمر . والمعنى ولولا أنّهم قائلون إذا عوقبوا بما قدّموا من الشرك والمعاصى هلاّ (أرسلت إلينا رسولا) محتجين علينا بذلك، لما أرسلنا إليهم. يعنى أنّ إرسال الرسول إليهم إنّما هو ليلزموا الحجة كقوله (لئلا يكون للناس على الله حجّة بعد الرسل) . فإذا قلت : كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هى السبب فى الإرسال لا القول لدخول لولا الامتناعية عليها دونه ؟ قلت القول هو المقصود بأن يكون سببا للإرسال ولكن

فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ[1] مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟[2] لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ[3] أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ[4] ۝ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ[5] أَتَّبِعْهُ[6]

العقوبة لمّا كانت سببا للقول وكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة كأنّها سبب الإرسال فأدخلت عليها (لولا) . وجىء بالقول معطوفا عليها بالفاء المعطية معنى السببية ويؤول معناه إلى قولك : ولولا قولهم هذا إذا أصابتهم مصيبة لما أرسلنا .

(١) أى القرآن أو الرسول المصدّق بالكتاب المعجز .

(٢) أى كفار مكّة .

(٣) هلّا أعطى (مثل ما أوتى موسى) من الكتاب المنزل جملة واحدة .

(٤) (أولم يكفروا) يعنى أبناء جنسهم ومَن مذهبهم مذهبهم وعنادهم عنادهم وهم الكفرة فى زمن موسى عليه السلام (بما أوتى موسى) من قبل القرآن ؟ (قالوا) فى موسى وهرون (ساحران تظاهرا) تعاونا — (سحران) كوفى، أى ذوا سحر . أوجعلوهما سحرين مبالغة فى وصفهما بالسحر — (وقالوا إنّا بكلّ) بكلّ واحد منهما (كافرون) . وقيل إنّ أهل مكّة لمّا كفروا بمحمّد عليه السلام وبالقرآن فقد كفروا بموسى والتوراة و(قالوا) فى موسى ومحمّد (ساحران تظاهرا)، أو فى التوراة والقرآن (سحران تظاهرا). وذلك حين بعثوا الرهط إلى رؤساء اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمّد فأخبروهم أنّه فى كتابهم. فرجع الرهط إلى قريش فأخبروهم بقول اليهود فقالوا عند ذلك (ساحران تظاهرا) .

(٥) ممّا أنزل على موسى وممّا أنزل علىّ .

(٦) جواب (فأتوا) .

إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (١) ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ (٢) وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ (٣) إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٤) ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ (٥) ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ (٦) ﴿٥٣﴾

---

(١) (إن كنتم صادقين) فى أنهما سحران .

(٢) (فإن لم يستجيبوا) دعاءك إلى الإتيان بالكتاب الأهدى، (فاعلم) أنهم قد ألزموا ولم تبق لهم حجة إلا اتباع الهوى .

(٣) أى لا أحد أضلّ (ممن اتّبع) فى الدين (هواه) . و(بغير هدى) حال،أى مخذولا يخلى بينه و بين هواه .

(٤) التوصيل تكثير الوصل وتكريره . يعنى أنّ القرآن أتاهم متتابعا متواصـلا وعْدا ووعيدا وقصصا وعبرا ومواعظ ليتذكّروا فيفلحوا .

(٥) (الذين آتيناهم الكتاب) من قبل القرآن . وخبر(الذين) ، (هم به) بالقرآن (يؤمنون) . نزلت فى مؤمنى أهل الكتاب .

(٦) (وإذا يتلى) القرآن (عليهم قالوا آمنّا به إنّه الحق من ربّنا إنّا كنّا) من قبل نزول القرآن (مسلمين) كائنين على دين الإسلام مؤمنين بمحمّدعليه السلام. وقوله (إنه) تعليل للإيمان به لأنّ كونه حقّا من الله حقيق بأن يؤمن به وقوله (إنّا) بيـان لقوله (آمنّـا) لأنّه يحتمل أن يكون إيمانا قريب العهد و بعيده فأخبروا بأنّ إيمانهم به متقادم .

أُوْلَـٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ (١) وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ (٢) وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ (٣) ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ (٤) لَا نَبْتَغِى ٱلْجَـٰهِلِينَ (٥) ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ (٦) ﴿٥٦﴾

---

(١) بصبرهم على الإيمان بالتوراة والإيمان بالقرآن . أو بصبرهم على القرآن قبل نزوله وبعد نزوله . أو بصبرهم على أذى المشركين وأهل الكتاب .

(٢) يدفعون بالطاعة المعصية أو بالحلم الأذى .

(٣) يزكون .

(٤) (وإذا سمعوا) الباطل أو الشتم من المشركين (أعرضوا عنه وقالوا) للاغين (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) أمان منا لكم بأن نقابل لغوكم بمثله

(٥) لا نريد مخالطتهم وصحبتهم .

(٦) (إنك) لا تقدر أن تدخل فى الإسلام كلّ من أحببت أن يدخل فيه من قومك وغيرهم (ولكنّ الله يهدى من يشاء) يخلق فعل الاهتداء فيمن يشاء (وهو أعلم بالمهتدين) بمن يختار الهداية ويقبلها ويتّعظ بالدلائل والآيات . قال الزجّاج : أجمع المفسّرون على أنّها نزلت فى أبى طالب . وذلك أنه قال عند موته : يامعشر بنى هاشم صدّقوا محمدا تفلحوا . فقال عليه السلام ياعمّ تأمرهم بالنصيحة لأنفسهم وتدعها لنفسك . قال فما تريد يابن أخى ؟ قال أريد منك أن تقول لا إله إلّا الله أشهد لك بها عند الله . قال يابن أخى أنا قد علمت أنّك صادق ولكنّى أكره أن يقال جزع عند الموت . وإن كانت الصيغة عامّة . والآية حجّة على المعتزلة لأنّهم يقولون الهدى هو البيان . وقد هدَى الناس أجمع ولكنّهم لم يهتدوا بسوء اختيارهم . فدلّ أنّ وراء البيان ما يسمّى هداية وهو خلق الاهتداء وإعطاء التوفيق والقدرة

وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا(١) يُجْبَىٰٓ(٢) إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ(٣) رِّزْقًا(٤) مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ(٥) ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا(٦) فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ(٧) لَمْ تُسْكَن(٨)

---

(١) قالت قريش نحن نعلم أنك على الحق ولكنّا نخاف إن اتّبعناك وخالفنا العرب بذلك أن يتخطّفونا من أرضنا. فألقمهم الله الحجر بأنه مكّن لهم في الحرم الذي أمنه بحرمة البيت وأمن قطّانه بحرمته. والثمرات تجبى إليه من كلّ أوب وهم كفرة فأنّى يستقيم أن يعرّضهم للتخطّف ويسلبهم الأمن إذا ضمّوا إلى حرمة البيت حرمة الإسلام؟ وإسناد الأمن إلى أهل الحرم حقيقة وإلى الحرم مجاز.

(٢) وبالتاء مدني ويعقوب وسهل. أي تجلب وتجمع.

(٣) معنى الكلّيّة الكثرة كقوله (وأوتيت من كلّ شيء).

(٤) هو مصدر لأنّ معنى (يجبى إليه) يرزق، أو مفعول له، أو حال من الثمرات إن كان بمعنى مرزوق لتخصّصها بالإضافة كما تنصب من النكرة المتخصّصة بالصفة.

(٥) متعلّق بـ(من لدنّا). أي قليل منهم يقرّون بأنّ ذلك رزق من عند الله وأكثرهم جهلة لا يعلمون ذلك. ولو علموا أنّه من عند الله لعلموا أنّ الخوف والأمن من عنده، ولما خافوا التخطّف إذا آمنوا به.

(٦) هذا تخويف لأهل مكّة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم بإنعام الله عليهم فلم يشكروا النعمة وقابلوها بالبطر فأهلكوا. و(كم) نصب بـ(أهلكنا) و(معيشتها) بحذف الجارّ وإيصال الفعل أي في معيشتها. والبطر سوء احتمال الغنى وهو ألّا يحفظ حقّ الله فيه.

(٧) (فتلك) منازلهم باقية الآثار يشاهدونها في الأسفار كبلاد ثمود وقوم شعيب وغيرهم.

(٨) حال، والعامل فيها الإشارة.

مِنۢ بَعۡدِهِمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ(١) وَكُنَّا نَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثِينَ(٢) ۝ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبۡعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولٗا(٣) يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۚ(٤) وَمَا كُنَّا مُهۡلِكِي ٱلۡقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهۡلُهَا ظَٰلِمُونَ(٥) ۝ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ(٦)

---

(١) (إلاّ قليلا) من السكنى أى لم يسكنها إلّا المسافر ومارّ الطريق يوما أو ساعة .

(٢) (وكّنا نحن الوارثين) لتلك المساكن من ساكنيها ، أى لا يملك التصرّف فيها غيرنا .

(٣) (وما كان ربّك مهلك القرى) فى كلّ وقت (حتى يبعث فى أمّها)—وبكسر الهمزة حمزة وعلىّ . أى فى القرية التى هى أمّها أى أصلها ومعظمها—(رسولا) لإلزام الحجة وقطع المعذرة . أو (وما كان) فى حكم الله وسابق قضائه أن يهلك القرى فى الأرض (حتّى يبعث) فى أمّ القرى—يعنى مكّة ، لأنّ الأرض دحيت من تحتها — (رسولا) يعنى محمّدا عليه السلام .

(٤) أى القرآن .

(٥) أى وما أهلكناهم للانتقام إلّا وأهلها مستحقّون العذاب بظلمهم وهو إصرارهم على كفرهم وعنادهم ومكابرتهم بعد الإعذار إليهم .

(٦) وأىّ شيء أصبتموه من أسباب الدنيا فما هو إلّا تمتّع وزينة أيّاما قلائل وهى مدّة الحياة الفانية (وما عند الله) وهو ثوابه (خير) فى نفسه من ذلك (وأبقى) لأنه دائم .

أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۞ أَفَمَن وَعَدْنَـٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَـٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَـٰهُ مَتَـٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ (١) ۞ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ (٢) فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (٣) ۞ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ (٤)

(١) (أفلا تعقلون) أنّ الباقى خير من الفانى . وخيّر أبو عمرو بين الياء والتاء . والباقون بالتاء لا غير . وعن ابن عباس رضى الله عنهما « إنّ الله تعالى خلق الدنيا وجعل أهلها ثلاثة أصناف: المؤمن والمنافق والكافر . فالمؤمن يتزوّد والمنافق يتزيّن والكافر يتمتّع» . ثمّ قرّر هذه الآية بقوله : (أفمن وعدناه وعدا حسنا) أى الجنّة — فلا شىء أحسن منها لأنّها دائمة ولذا سمّيت الجنّة بالحسنى — (فهو لاقيه) أى رائيه ومدركه ومصيبه (كمن متّعناه متاع الحياة الدنيا ثمّ هو يوم القيامة) من الذين أحضروا النار ؟ ونحوه (فكذّبوه فإنّهم لمحضرون) . نزلت فى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأبى جهل لعنه الله، أو فى علىّ وحمزة وأبى جهل، أو فى المؤمن والكافر . ومعنى الفاء الأولى أنّه لمّا ذكر التفاوت بين متاع الحياة الدنيا وما عند الله ، عقّبه بقوله (أفمن وعدناه) أى أبعد هذا التفاوت الجلىّ يسوّى بين أبناء الدنيا وأبناء الآخرة ؟ والفاء الثانية للتسبيب لأنّ لقاء الموعود مسبّب عن الوعد . و(ثمّ) لتراخى حال الإحضار عن حال التمتع . (ثمّ هُوَ) علىّ . كما قيل عضْد فى عضُد . شبّه المنفصل بالمتّصل .

(٢) ينادى الله الكفّار نداء توبيخ . وهو عطف على (يوم القيامة) . أو منصوب باذكر .

(٣) (فيقول أين شركائى) بناه على زعمهم . ومفعولا (تزعمون) محذوفان . تقديره (كنتم) تزعمونهم شركائى . ويجوز حذف المفعولين فى باب ظننت ولا يجوز الاقتصار على أحدهما .

(٤) أى الشياطين أو أئمة الكفر . ومعنى (حقّ عليهم القول) وجب عليهم مقتضاه وثبت . وهو قوله (لأملأنّ جهنّم من الجنّة والناس أجمعين) .

رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ[1] أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ[2] كَمَا غَوَيْنَا[3] تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ[4] ۝ وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ[5] فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ[6] وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ[7] ۝ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ[8] ۝

---

(١) مبتدأ .

(٢) (الذين أغوينا) أى دعوناهم إلى الشرك وسوّلنا لهم الغىّ . صفة . والراجع إلى الموصول محذوف . والخبر (أغويناهم) .

(٣) الكاف صفة مصدر محذوف تقديره أغويناهم فغووا غيّا مثل ما (غوينا) . يعنون أنّا لم نغو إلّا باختيارنا . فهؤلاء كذلك غووا باختيارهم . لأنّ إغواءنا لهم لم يكن إلّا وسوسة وتسويلا . فلا فرق إذا بين غيّنا وغيّهم . وإن كان تسويلنا داعيا لهم إلى الكفر فقد كان فى مقابلته دعاء الله لهم إلى الإيمان بما وضع فيهم من أدلّة العقل وما بعث إليهم من الرسل وأنزل عليهم من الكتب. وهو قوله (وقال الشيطان لمّا قضى الأمر إنّ الله وعدكم وعد الحقّ) إلى قوله (ولوموا أنفسكم) .

(٤) (تبرّأنا إليك) منهم وممّا اختاروه من الكفر (ما كانوا إيّانا يعبدون) بل يعبدون أهواءهم ويطيعون شهواتهم . وإخلاء الجملتين من العاطف لكونهما مقرّرتين لمعنى الجملة الأولى .

(٥) (وقيل) للشركين (ادعوا شركاءكم) أى الأصنام لتخلّصكم من العذاب .

(٦) فلم يجيبوهم .

(٧) وجواب (لو) محذوف أى لما رأوا العذاب .

(٨) الذين أرسلوا إليكم . حكى أولا ما يوبّخهم به من اتّخاذهم له شركاء، ثمّ ما يقوله الشياطين أو أئمة الكفر عند توبيخهم لأنّهم إذا وبّخوا بعبادة الآلهة اعتذروا بأنّ الشياطين هم الذين استغووهم، ثمّ ما يشبه الشماتة بهم لاستغاثتهم آلهتهم وعجزهم عن نصرتهم، ثمّ ما يبكّتون به من الاحتجاج عليهم بإرسال الرسل وإزاحة العلل .

فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ (١) يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ (٢) ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ (٣) ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ (٤) سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٥) ﴿٦٨﴾

(١) خفيت عليهم الحجج أو الأخبار. وقيل خفى عليهم الجواب فلم يدروا بماذا يجيبون إذ لم يكن عندهم جواب .

(٢) لا يسأل بعضهم بعضا عن العذر والحجّة رجاء أن يكون عنده عذر وحجّة لأنهم يتساوون فى العجز عن الجواب .

(٣) (فأمّا من تاب) من الشرك (وآمن) بربّه وبما جاء من عنده (وعمل صالحا ، فعسى) أن يفلح عند الله . وعسى من الكرام تحقيق . وفيه بشارة للسلمين على الإسلام ، وترغيب للكافرين على الإيمان .

(٤) نزل جوابا لقول الوليد بن المغيرة (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) . يعنى نفسه أو أبا مسعود . وفيه دلالة خلق الأفعال . ويوقف على (ويختار) . أى (وربّك يخلق ما يشاء و) ربّك (يختار) مايشاء . (ما كان لهم الخيرة) أى ليس لهم أن يختاروا على الله شيئا ما وله (الخيرة) عليهم . ولم يدخل العاطف فى (ما كان لهم الخيرة) لأنّه بيان لقوله ويختار ، إذ المعنى أنّ الخيرة لله . وهو أعلم بوجوه الحكمة فى أفعاله فليس لأحد من خلقه أن يختار عليه. ومن وصل على معنى (ويختار) الذى (لهم) فيه (الخيرة)، فقد أبعد . بل (ما) لنفى اختيار الخلق ، تقريرا لاختيار الحقّ . ومن قال ومعناه (ويختار) للعباد (ما) هو خير لهم وأصلح، فهو مائل إلى الاعتزال . و(الخيرة) من التخيّر يستعمل بمعنى المصدر وهو التخيّر ، و بمعنى المتخيّر كقولهم محمّد خيرة الله من خلقه .

(٥) أى الله برىء من إشراكهم وهو منزّه عن أن يكون لأحد عليه اختيار .

وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ(١) ۝ وَهُوَ ٱللَّهُ(٢) لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ(٣) لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ(٤) وَٱلْآخِرَةِ(٥) وَلَهُ ٱلْحُكْمُ(٦) وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ(٧) ۝ قُلْ أَرَءَيْتُمْ(٨) إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا(٩) إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ(١٠) ۝ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ(١١) ۝

---

(١) (يعلم ما) تضمر (صدورهم) من عداوة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وحسده (وما يعلنون) من مطاعنهم فيه . وقولهم هلاّ اختير عليه غيره فى النبوّة .

(٢) (وهو) المستأثر بالإلهيّة المختصّ بها .

(٣) تقرير لذلك كقولك : القبلة الكعبة لا قبلة إلاّ هى .

(٤) الدنيا .

(٥) هو قوله (الحمد لله الذى أذهب عنّا الحزن) . (الحمد لله الذى صدقنا وعده) . (وقيل الحمد لله ربّ العالمين) والتحميد ثمّة على وجه اللذّة لا الكلفة .

(٦) القضاء بين عباده .

(٧) (وإليه تُرجعون) بالبعث والنشور . وبفتح التاء وكسر الجيم يعقوب .

(٨) (أريتم) محذوف الهمزة ، علىّ .

(٩) هو مفعول ثان لجعل ، أى دائماً من السّرد وهو المتابعة ومنه قولهم فى الأشهر الحرم ثلاثة سرد وواحد فرد . والميم مزيدة ووزنه فعمل .

(١٠) والمعنى أخبرونى من يقدر على هذا .

(١١) ولم يقل بنهار تتصرّفون فيه كما قال (بليل تسكنون فيه) بل ذكر الضياء وهو ضوء الشمس لأنّ المنافع التى تتعلّق به متكاثرة ليس التصرّف فى المعاش وحده . والظلام ليس

وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١) ۝ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (٢) ۝ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ (٣) ۝ إِنَّ قَٰرُونَ (٤)

بتلك المنزلة . ومن ثمّ قرن بالضياء (أفلا تسمعون) . لأنّ السمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذكر منافعه ووصف فوائده. وقرن بالليل (أفلا تبصرون) لأنّ غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره أنت من السكون ونحوه .

(١) أى (لتسكنوا) بالليل (ولتبتغوا من) فضل الله فى النهار فيكون من باب اللفّ والنشر (ولعلّكم تشكرون) الله على نعمه . وقال الزجاج : يجوز أن يكون معناه (لتسكنوا) فيهما (ولتبتغوا من) فضل الله فيهما . ويكون المعنى (جعل لكم) الزمان ليلا ونهارا (لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله) فيه .

(٢) كرّر التوبيخ لاتّخاذ الشركاء ليؤذن أن لا شىء أجلب لغضب الله من الإشراك به كما لا شىء أدخل فى مرضاته من توحيده .

(٣) وأخرجنا (من كلّ أمّة شهيدا) يعنى نبيّهم، لأنّ الأنبياء للأمم شهداء عليهم يشهدون بما كانوا عليه (فقلنا) للأمم (هاتوا برهانكم) فيما كنتم عليه من الشرك ومخالفة الرسل (فعلموا) حينئذ (أنّ الحقّ) التوحيد (لله) وغاب عنهم غيبة الشىء الضائع (ما كانوا يفترون) من ألوهيّة غير الله والشفاعة لهم .

(٤) لا ينصرف للعجمة والتعريف . ولو كان فاعولا من قرنت الشىء لا نصرف .

كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ[1] فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ[2] وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ[3] لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ[4] أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ[5] إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ[6] لَا تَفْرَحْ[7] إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ[8] ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ[9]

---

(١) كان إسرائيليًّا ابن عم لموسى . فهو قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب. وموسى بن عمران بن قاهث . وكان يسمّى المنوّر لحسن صورته . وكان أقرأ بنى إسرائيل للتوراة ولكنّه نافق كما نافق السامرىّ .

(٢) من البغى وهو الظلم . قيل ملّكه فرعون على بنى إسرائيـل فظلمهم . أو من البغى الكبر . تكبّر عليهم بكثرة ماله وولده . أو زاد عليهم فى الثياب شبرا .

(٣) (ما) بمعنى الذى فى موضع نصب بآتينا . و إنّ واسمها وخبرها صلة الذى . ولهذا كسرت إنّ . والمفـاتح جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به ، أو مفتح بالفتح وهو الخزانة . والأصوب أنّها المقاليد .

(٤) لتثقل العصبة . فالبـاء للتعدية يقال ناء به الحمل إذا أثقله حتّى أماله . والعصبة الجمـاعة الكثيرة . وكانت تحمل مفاتيح خزائنه ستّون بغلا لكلّ خزانة مفتاح . ولا يزيد المفتاح على إصبع . وكانت من جلود .

(٥) الشدّة .

(٦) أى المؤمنون . وقيل القائل موسى عليه السلام . ومحلّ (إذ) نصب بتنوء .

(٧) لا تبطر بكثرة المـال . كقوله (ولا تفرحوا بما آتاكم) . ولا يفرح بالدنيا إلّا من رضى بها واطمأنّ . وأمّا من قلبه إلى الآخرة ويعلم أنّه يتركها عن قريب فلا يفرح بها .

(٨) البطرين بالمـال .

(٩) (وابتغ فيما آتاك الله) من الغنى والثروة (الدار الآخرة) بأن تتصدّق على الفقراء وتصل الرحم وتصرف إلى أبواب الخير .

وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا[1] وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ[2] وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ[3] إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ[4] عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ[5] أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً[6]

---

(١) وهو أن تأخذ ما يكفيك ويصلحك . وقيل معناه واطلب بدنياك آخرتك فإن ذلك حظ المؤمن منها .

(٢) (وأحسن) إلى عباد الله . أو أحسن بشكرك وطاعتك لخالق الأنام ، كما أحسن إليك بالإنعام .

(٣) (ولا تبغ الفساد فى الأرض) بالظلم والبغى .

(٤) أى المال .

(٥) أى على استحقاق لما فىّ من العلم الذى فضلت به الناس وهو علم التوراة أو علم الكيمياء . وكان يأخذ الرصاص والنحاس فيجعلهما ذهبا . أو العلم بوجوه المكاسب من التجارة والزراعة . و (عندى) صفة لعلم . قال سهل : ما نظر أحد إلى نفسه فأفلح . والسعيد من صرف بصره عن أفعاله وأقواله وفتح له سبيل رؤية منّة الله تعالى عليه فى جميع الأفعال والأقوال . والشقىّ من زيّن فى عينه أفعاله وأقواله وأحواله ، ولم يفتح له سبيل رؤية منّة الله فافتخر بها وادّعاها لنفسه . فشؤمه يهلكه يوما كما خسف بقارون لما ادّعى لنفسه فضلا .

(٦) (أو لم يعلم) قارون . هو إثبات لعلمه بأنّ الله (قد أهلك ... من القرون) قبله (من هو) أقوى منه وأغنى . لأنّه قد قرأه فى التوراة . كأنّه قيل (أو لم يعلم) فى جملة ما عنده من العلم هذا حتّى لا يغترّ بكثرة ماله وقوّته . أو نفى لعلمه بذلك . لأنّه لمّا قال (أوتيته على علم عندى) قيل أعنده مثل ذلك العلم الذى ادّعاه ورأى نفسه به مستوجبة لكلّ نعمة ولم يعلم هذا العلم النافع حتّى يقى به نفسه مصارع الهالكين .

وَأَكْثَرُ جَمْعًا[1] وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ[2] ۝ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ[3] قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا[4] يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ[5] إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ[6] ۝ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ[7] وَيْلَكُمْ[8]

---

(١) (وأكثر جمعا) للمال . أو أكثر جماعة وعددا .

(٢) (ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون) لعلمه تعالى بهم ، بل يدخلون النار بغير حساب. أو يعترفون بها بغير سؤال . أو يعرفون بسيماهم فلا يسألون . أو لا يسألون لتعلم من جهتهم بل يسألون سؤال توبيخ . أو لايسأل عن ذنوب الماضين (المجرمون) من هذه الأمة .

(٣) فى الحمرة والصفرة . وقيل خرج يوم السبت على بغلة شهباء عليها الأرجوان وعليها سرج من ذهب ومعه أربعة آلاف على زيّه . وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الأحمر. وعن يمينه ثلثمائة غلام وعن يساره ثلثمائة جارية بيض عليهنّ الحلى والديباج . و (فى زينته) حال من فاعل (خرج) أى متزيّنا .

(٤) قيل كانوا مسلمين . وإنّما تمنّوا على سبيل الرغبة فى اليسار كعادة البشر . وقيل كانوا كفّارا .

(٥) قالوه غبطة . والغابط هو الذى يتمنّى مثل نعمة صاحبه من غير أن تزول عنه كهذه الآية . والحاسد هوالذى يتمنّى أن تكون نعمة صاحبه له دونه . وهو كقوله تعالى (ولا تتمنّوا ما فضّل الله به بعضكم على بعض) . وقيل لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم : هل تضرّ الغبطة؟ قال لا إلّا كما يضرّ العضاهَ الخبطُ .

(٦) الحظّ الجدّ وهو البخت والدولة .

(٧) (وقال الذين أوتوا العلم) بالثواب والعقاب وفناء الدنيا وبقاء العقبى ، لغابطى قارون.

(٨) أصل ويلك الدعاء بالهلاك . ثمّ استعمل فى الزجر والردع والبعث على ترك مالا يرضى. وفى التبيان فى إعراب القرآن هو مفعول فعل محذوف أى ألزمكم الله (ويلكم) .

ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ[1] ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ[2] فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ[3] يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ[4]

---

(١) أى لا يلقن هذه الكلمة وهى (ثواب الله خير) ، (إلا الصابرون) على الطاعات عن الشهوات وزينة الدنيا ، وعلى ما قسم الله من القليل عن الكثير .

(٢) كان قارون يؤذى موسى عليه السلام كلّ وقت وهو يداريه للقرابة التى بينهما حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كلّ ألف دينار على دينار وعن كلّ ألف درهم على درهم . فحسبه فاستكثره فشحّت به نفسه . فجمع بنى إسرائيل وقال إنّ موسى يريد أن يأخذ أموالكم . فقالوا أنت كبيرنا فمر بما شئت . قال نبرطل فلانة البغىّ حتّى ترميه بنفسها فترفضه بنو إسرائيل . فجعل لها ألف دينار أوطستا من ذهب أو حكمها . فلمّا كان يوم عيد قام موسى فقال يابنى إسرائيل من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ومن زنى وهو غير محصن جلدناه . وإن أحصن رجمناه . قال قارون : وإن كنت أنت ؟ قال : وإن كنت أنا . قال فإنّ بنى إسرائيل يزعمون أنّك فجرت بفلانة . فأحضرت فناشدها بالذى فلق البحر وأنزل التوراة أن تصدق . فقالت جعل لى قارون جعلا على أن أقذفك بنفسى . فخرّ موسى ساجدا يبكى . وقال يارب إن كنت رسولك فاغضب لى . فأوحى الله إليه أن مر الأرض بما شئت فإنّها مطيعة لك . فقال يابنى إسرائيل إنّ الله بعثنى إلى قارون كما بعثنى إلى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معى فليعتزل . فاعتزلوا جميعا غير رجلين . ثمّ قال يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى الركب . ثمّ قال خذيهم فأخذتهم إلى الأوساط . ثمّ قال خذيهم فأخذتهم إلى الأعناق . وقارون وأصحابه يتضرّعون إلى موسى ويناشدونه بالله والرحم . وموسى لا يلتفت إليهم لشدّة غضبه . ثمّ قال خذيهم فانطبقت عليهم . فقال الله تعالى استغاث بك مرارا فلم ترحمه فوعزّتى لواسترحمنى مرّة لرحمته . فقال بعض بنى إسرائيل إنّما أهلكه ليرث ماله فدعا الله حتّى خسف بداره وكنوزه .

(٣) جماعة .

(٤) يمنعونه من عذاب الله .

وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ[1] ۝ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْاْ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ[2] لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا[3] وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ[4] ۝ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا[5]

---

(١) من المنتقمين من موسى ، أو من الممتنعين من عذاب الله . يقال نصره من عدوه فانتصر أى منعه منه فامتنع .

(٢) وصار (الذين تمنّوا) منزلته من الدنيا (بالأمس) — ظرف لتمنّوا . ولم يرد به اليوم الذى قبل يومك ولكن الوقت القريب استعارة — (يقولون : وى كأنّ الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر) ! (وَىْ) منفصلة عن (كأنّ) عند البصريّين . قال سيبويه : وَىْ كلمة تنبّه على الخطأ وتندّم يستعملها النادم بإظهار ندامته . يعنى أنّ القوم قد تنبّهوا على خطئهم فى تمنّيهم وقولهم (ياليت لنا مثل ما أوتى قارون) وتندّموا .

(٣) (لولا أن منّ الله علينا) بصرف ما كنّا نتمنّاه بالأمس (لخُسِف بنا) . وبفتحتين حفص ويعقوب وسهل . وفيه ضمير الله تعالى .

(٤) أى تندّموا ثمّ قالوا (كأنّه لا يفلح الكافرون) .

(٥) (تلك) تعظيم لها وتفخيم لشأنها . يعنى (تلك الدار الآخرة) التى سمعت بذكرها وبلغك وصفها (نجعلها) — خبر (تلك) و (الدار الآخرة) نعتها — (للذين لا يريدون علوا فى الأرض) — بغيًا ، ابن جبير . وظلمًا ، الضحاك . أو كبرًا — (ولا فسادا) عملا بالمعاصى أو قتل النفس أو دعاء إلى عبادة غير الله . ولم يعلّق الموعد بترك العلوّ والفساد ولكن بترك إرادتهما وميل القلوب إليهما كما قال (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا) فعلّق

وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ[1] ۝ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا[2] وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ[3] إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ[4] ۝ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ[5] لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ[6]

الوعيد بالركون . وعن علىّ رضى الله عنه إنّ الرجل ليعجبه أن يكون شراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها . وعن الفضيل أنه قرأها ثمّ قال ذهبت الأمانىّ هاهنا . وعن عمر بن عبد العزيز أنّه كان يردّدها حتّى قبض . وقال بعضهم حقيقته التنفير عن متابعة فرعون وقارون متشبثًا بقوله (إنّ فرعون علا فى الأرض) (ولا تبغ الفساد فى الأرض) .

(١) (والعاقبة) المحمودة (للمتقين) .

(٢) مرّ فى النمل .

(٣) معناه فلا يجزون . فوضع (الّذين عملوا السيّئات) موضع الضمير لأنّ فى إسناد عمل السيّئة إليهم مكرّرا فضلَ تهجين لحالهم وزيادة تبغيض للسيّئة إلى قلوب السامعين .

(٤) (إلّا) مثل (ما كانوا يعملون) . ومن فضله العظيم ألّا يجزى السيّئة إلّا بمثلها ، ويجزى الحسنة بعشر أمثالها وبسبعمائة .

(٥) أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه .

(٦) (لرادّك) بعد الموت (إلى معاد) أىّ معاد و(إلى معاد) ليس لغيرك من البشر . فلذا نكّره . أو المراد به مكّة . والمراد ردّه إليها يوم الفتح لأنّها كانت فى ذلك اليوم معادا له شأن ، ومرجعا له اعتداد ، لغلبة رسول الله وقهره لأهلها ، ولظهور عزّ الإسلام وأهله وذلّ الشرك وحزبه . والسورة مكّيّة ولكن هـذه الآية نزلت بالجحفة لا بمكّة ولا بالمدينة حين اشتاق إلى مولده ومولد آبائه . ولمّا وعد رسوله الردّ إلى معاده قال (قل) للمشركين (ربّى أعلم من جاء بالهدى) يعنى نفسه وما له من الثواب فى معاده .

وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ[1] ﴿﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ[2] فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَـٰفِرِينَ[3] ﴿﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ[4] وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ[5] وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ[6] كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ[7] لَهُ ٱلْحُكْمُ[8] وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ[9] ﴿﴾

---

(١) يعنى المشركين وما يستحقونه من العذاب فى معادهم . (مَن) فى محلّ نصب بفعل مضمر أى يعلم .

(٢) (وما كنت ترجوا أن) يوحى (إليك) القرآن (إلا رحمة من ربّك) هو محمول على المعنى . أى وما ألقى إليك الكتاب إلّا رحمة من ربّك . أو إلّا بمعنى لكن للاستدراك . أى ولكن لرحمة من ربك ألقى إليك الكتاب .

(٣) معينا لهم على دينهم .

(٤) (ولا يصُدُّنّك) — هو على الجمع — أى لا يمنعنّك هؤلاء عن العمل بآيات الله — أى القرآن — (بعد إذ أنزلت إليك) الآيات . أى بعد وقت إنزاله . و (إذ) يضاف إليه أسماء الزمان كقولك حينئذ ويومئذ .

(٥) إلى توحيده وعبادته .

(٦) قال ابن عباس رضى الله عنهما الخطاب فى الظاهر للنبىّ صلّى الله عليه وسلّم والمراد أهل دينه ، ولأنّ العصمة لا تمنع النهى والوقف على (آخر) لازم . لأنّه لو وصل لصار (لا إله إلّا هو) صفة لـ (إلها آخر) . وفيه من الفساد مافيه .

(٧) أى إلّا إيّاه . فالوجه يعبّر به عن الذّات . وقال مجاهد : يعنى علم العلماء إذا أريد به وجه الله .

(٨) القضاء فى خلقه .

(٩) (تَرجعون) بفتح التاء وكسر الجيم ، يعقوب . والله أعلم .

سورة العنكبوت مكيّة

وهى تسع وستّون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ[1] ﴿٢﴾

(١) الحسبان قوة أحد النقيضين على الآخر كالظنّ ، بخلاف الشكّ فهو الوقوف بينهما ، والعلم فهو القطع على أحدهما . ولا يصحّ تعليقها بمعانى المفردات ولكن بمضامين الجمل . فلو قلت : حسبت زيدا وظننت الفرس لم يكن شيئا حتّى تقول حسبت زيدا عالما وظننت الفرس جوادا لأنّ قولك زيد عالم والفرس جواد كلام دالّ على مضمون، فإذا أردت الإخبار عن ذلك المضمون ثابتا عندك على وجه الظنّ لا اليقين أدخلت على شطرى الجملة فعل الحسبان حتّى يتمّ لك غرضك . والكلام الدالّ على المضمون الذى يقتضيه الحسبان هنا (أن يتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لايفتنون) وذلك أنّ تقديره أحسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا . فالترك أوّل مفعولى (حسب)، ولقولهم آمنا هو الخبر. وأما غير مفتونين فتتمّة الترك لأنّه من الترك الذى هو بمعنى التصيير كقول عنترة * فتركته جزر السباع ينشنه * ألاترى أنّك قبل المجىء بالحسبان تقدر أن تقول تركُهم غيرَ مفتونين لقولهم آمنا على تقدير حاصل ومستقرّ قبل اللام . وهو استفهام توبيخ . والفتنة الامتحان بشدائد التكليف من مفارقة الأوطان ومجاهدة الأعداء وسائر الطاعات الشاقّة وهجر الشهوات ، وبالفقر والقحط وأنواع المصائب فى الأنفس والأموال ومصابرة الكفّار على أذاهم وكيدهم . وروى أنّها نزلت فى ناس من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد جزعوا من أذى المشركين ، أو فى عمّار بن ياسر وكان يعذّب فى الله .

وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ (١) ﴿٣﴾
أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا (٢) سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ (٣) ﴿٤﴾
مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَـَٔاتٍ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (٤) ﴿٥﴾

---

(١) (ولقد) اختبرنا — وهو موصول بـ(أحسب) أو (يفتنون) — (الذين من قبلهم) بأنواع الفتن. فمنهم من يوضع المنشار على رأسه فيفرق فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه، ومنهم من يمشط بأمشاط الحديد مايصرفه ذلك عن دينه. (فليعلمنّ الله) بالامتحان (الذين صدقوا) فى الإيمان (وليعلمنّ الكاذبين) فيه. ومعنى علمه تعالى وهو عالم بذلك فيما لم يزل أن يعلمه موجودا عند وجوده كما علمه قبل وجوده، أنّه يوجد. والمعنى وليتميّزنّ الصادق منهم من الكاذب. قال ابن عطاء: يتبيّن صدق العبد من كذبه فى أوقات الرخاء والبلاء. فمن شكر فى أيّام الرخاء وصبر فى أيّام البلاء فهو من الصادقين. ومن بطر فى أيّام الرخاء وجزع فى أيّام البلاء فهو من الكاذبين.

(٢) (أم حسب الذين يعملون السيّئات) أى الشرك والمعاصى (أن يسبقونا) أى يفوتونا. يعنى أنّ الجزاء يلحقهم لامحالة. واشتمال صلة (أن) على مسند ومسند إليه سدّ مسدّ مفعولين كقوله (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة) ويجوز أن يضمّن (حسب) معنى قدّر. و (أم) منقطعة. ومعنى الإضراب فيها أنّ هذا الحسبان أبطل من الحسبان الأوّل لأنّ ذلك يقدّر أنّه لايمتحن لإيمانه وهذا يظنّ أنّه لا يجازى بمساويه. وقالوا الأوّل فى المؤمنين، وهذا فى الكافرين.

(٣) (ما) فى موضع رفع على معنى ساء الحكم حكمهم. أونصب على معنى ساء حكما يحكمون والمخصوص بالذم محذوف أى بئس حكما يحكمونه حكمهم.

(٤) أى (من كان) يأمل ثوابه أو يخاف حسابه — فالرجاء يحتملهما — (فإنّ أجل الله) المضروب للثواب والعقاب (لآت) لامحالة. فليبادر للعمل الصالح الذى يصدّق رجاءه ويحقّق أمله. (وهو السميع) لما يقوله عباده (العليم) بما يفعلونه فلا يفوته شىء ما. وقال الزجاج (من) للشرط ويرتفع بالابتداء. وجواب الشرط (فإنّ أجل الله لآت) كقولك إن كان زيد فى الدار فقد صدق الوعد.

وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ[1] ﴿٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ[2] وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ[3] ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ[4] ﴿٨﴾

---

(١) (ومن جاهد) نفسه بالصبر على طاعة الله — أو الشيطان بدفع وساوسه . أو الكفّار — (فإنّما يجاهد لنفسه) لأنّ منفعة ذلك ترجع إليها (إنّ الله لغنىّ عن العالمين) وعن طاعتهم ومجاهدتهم . وإنّما أمر ونهى رحمة لعباده .

(٢) (لنكفّرنّ عنهم سيئاتهم) أى الشرك والمعاصى ، بالإيمان والتوبة .

(٣) أى أحسن جزاء أعمالهم فى الإسلام .

(٤) وصّى حكمه حكم أمر فى معناه وتصرّفه ، يقال وصّيت زيداً بأن يفعل خيراً كما أمرته بأن يفعل . ومنه قوله (ووصّى بها إبراهيم بنيه) أى وصّاهم بكلمة التوحيد وأمرهم بها . وقولك وصّيت زيدا بعمرو معناه وصّيته بتعهّد عمرو ومراعاته ونحو ذلك . وكذلك معنى قوله (ووصّينا الإنسان بوالديه حسنا) ووصّيناه بإيتاء والديه حسنا أو بإيلاء والديه حسنا ، أى فعلا ذا حسن أو ما هو فى ذاته حسن لفرط حسنه كقوله (وقولوا للناس حسنا) . ويجوز أن يجعل حسنا من باب قولك زيداً بإضمار اضرب إذا رأيته متهيّئا للضرب . فتنصبه بإضمار أولهما أو افعل بهما لأنّ التوصية بهما دالّة عليه وما بعده مطابق له . كأنّه قال قلنا أولهما معروفا ولا تطعهما فى الشرك إذا حملاك عليه . وعلى هذا التفسير إن وقف على (بوالديه) وابتدئ (حسنا) حسن الوقف . وعلى التفسير الأوّل لا بدّ من إضمار القول . معناه وقلنا : (وإن جاهداك) أيّها الإنسان (لتشرك بى ما ليس لك به علم) — أى لا علم لك بإلهيّته . والمراد بنفى العلم نفى المعلوم كأنّه قال (لتشرك بى) شيئا لا يصحّ أن يكون إلها — (فلا تطعهما)

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّـٰلِحِينَ [1] ﴿﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ [2] ﴿﴾

فى ذلك . فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق . (إلىّ) مرجع من آمن منكم ومن أشرك . فأجازيكم حق جزائكم . وفى ذكر المرجع والوعيد تحذير من متابعتهما على الشرك ، وحثّ على الثبات والاستقامة فى الدين .

روى أنّ سعد بن أبى وقّاص لمّا أسلم نذرت أمّه ألّا تأكل ولا تشرب حتى يرتدّ . فشكا إلى النبىّ صلّى الله عليه وسلّم فنزلت هذه الآية والتى فى لقمان والتى فى الأحقاف .

[1] (والذين) مبتدأ والخبر (لندخلنّهم فى الصالحين) فى جملتهم . والصلاح من أبلغ صفات المؤمنين وهو متمنّى الأنبياء عليهم السلام. قال سليمان عليه السلام (وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين) . وقال يوسف عليه السلام (توفّنى مسلما وألحقنى بالصالحين) . أو فى مدخل الصالحين وهو الجنّة .

[2] نزلت فى المنافقين . أى إذا مسّه أذى من الكفار جزع من ذلك كما يجزع من عذاب الله تعالى . وإذا نصر الله المؤمنين وغنّمهم اعترضوهم وقالوا (إنّا كنّا معكم) أى متابعين لكم فى دينكم ثابتين عليه بثباتكم فأعطونا نصيبنا من الغُنْم . (أو ليس الله بأعلم) أى هو أعلم (بما فى صدور العالمين) من العالمين بما فى صدورهم . ومن ذلك ما فى صدور هؤلاء من النفاق وما فى صدور المؤمنين من الإخلاص . ثمّ وعد المؤمنين وأوعد المنافقين بقوله (وليعلمنّ الله الذين آمنوا وليعلمنّ المنافقين) أى حالهما ظاهرة عند من يملك الجزاء عليهما .

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ(١) وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ(٢) ﴿١٢﴾ وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ(٣) وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ(٤) وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ(٥) ﴿١٣﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا(٦)

(١) أمروهم باتّباع سبيلهم وهى طريقتهم التى كانوا عليها فى دينهم وأمروا أنفسهم بحمل خطاياهم فعطف الأمر على الأمر . وأرادوا ليجتمع هذان الأمران فى الحصول أن تتّبعوا سبيلنا وأن نحمل خطايا كم . والمعنى تعليق الحمل بالاتّباع ، أى إن تتّبعوا سبيلنا حملنا خطايا كم . وهذا قول صناديد قريش . كانوا يقولون لمن آمن منهم لا نبعث نحن ولا أنتم . فإن كان ذلك فإنا نتحمّل عنكم الإثم .

(٢) لأنهم قالوا ذلك وقلوبهم على خلافه كالكاذبين الذين يعدون الشيء وفى قلوبهم نيّة الخلف .

(٣) أى أثقال أنفسهم يعنى أوزارهم بسبب كفرهم .

(٤) أى أثقالا أخر غير الخطايا التى ضمنوا للمؤمنين حملها وهى أثقال الذين كانوا سببا فى ضلالهم . وهو كما قال (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم) .

(٥) يختلقون من الأكاذيب والأباطيل .

(٦) كان عمره ألفا وخمسين سنة بعث على رأس أربعين ولبث فى قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستّين . وعن وهب أنّه عاش ألفا وأربعمائة سنة فقال له ملك الموت : يا أطول الأنبياء عمرا كيف وجدت الدنيا ؟ قال : كدار لها بابان دخلت وخرجت . ولم يقل تسعمائة وخمسين سنة لأنّه لو قيل كذلك لجاز أن يتوهم إطلاق هذا العدد على أكثره . وهذا التوهم زائل هنا فكأنّه قيل تسعمائة وخمسين سنة كاملة وافية العدد إلّا أنّ ذلك أخصر وأعذب

فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ[1] وَهُمْ ظَٰلِمُونَ[2] ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ[3] وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ[4] وَجَعَلْنَٰهَآ[5] ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ[6] ﴿١٥﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ[7] إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ[8] ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ[9]

لفظا وأملا بالفائدة . ولأن القصّة سيقت لما ابتلى به نوح عليه السلام من أمّته وما كابده من طول المصابرة تسلية لنبينا عليه السلام . فكان ذكر الألف أفخم وأوصل إلى الغرض وجىء بالمميّز أوّلا بالسنة ثم بالعام لأنّ تكرار لفظ واحد فى كلام واحد حقيق بالاجتناب فى البلاغة .

(١) هو ما أطاف وأحاط بكثرة وغلبة من سيل أو ظلام ليل أو نحوهما .

(٢) (وهم ظالمون) أنفسهم بالكفر .

(٣) أى نوحا .

(٤) وكانوا ثمانية وسبعين نفسا نصفهم ذكور ونصفهم إناث منهم أولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم .

(٥) أى السفينة أو الحادثة أو القصة .

(٦) عبرة وعظة (للعالمين) يتّعظون بها .

(٧) نصب بإضمار اذكر . أو معطوف على نوح . أى (و) أرسلنا (إبراهيم) . وقرأ إبراهيم النخعىّ وأبو حنيفة رضى الله عنهما (وإبراهيم) بالرفع على معنى (و) من المرسلين (إبراهيم) .

(٨) بدل اشتمال لأن الأحيان تشتمل على ما فيها . أو ظرف لأرسلنا . يعنى أرسلناه حين بلغ من السنّ أو العلم مبلغا صلح فيه لأن يعظ قومه ويأمرهم بالعبادة والتقوى .

(٩) (خير لكم) من الكفر .

إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ(١) ۞ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا(٢) وَتَخْلُقُونَ(٣) إِفْكًا(٤) إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا(٥) فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ(٦) وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ(٧) ۞ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ(٨) ۞

---

(١) إن كان لكم علم بما هو خير لكم مما هو شر لكم .

(٢) أصناما .

(٣) وتكذبون أو تصنعون. وقرأ أبو حنيفة والسلمى رضى الله عنهما (وتُخَلِّقُون) من خلّق بمعنى التكثير فى خلق .

(٤) وقرئ (أَفِكا) وهو مصدر نحو كذب ولعب، والإفك مخفّف منه كالكِذْب واللِعْب من أصلهما . واختلاقهم الإفك تسميتهم الأوثان آلهة وشركاء لله .

(٥) لا يستطيعون أن يرزقوكم شيئا من الرزق .

(٦) (فابتغوا عند الله الرزق) كلّه فإنّه هو الرازق وحده لا يرزق غيره .

(٧) فاستعدّوا للقائه بعبادته والشكر على أنعمه . وبفتح التاء وكسر الجيم يعقوب .

(٨) أى وإن تكذبونى فلا تضرّونى بتكذيبكم فإنّ الرسل قبلى قد كذبتهم أممهم وما ضرّوهم وإنّما ضرّوا أنفسهم حيث حلّ بهم العذاب بسبب تكذيبهم . وأمّا الرسول فقد تمّ أمره حيث بلّغ البلاغ المبين الذى زال معه الشكّ وهو اقترانه بآيات الله ومعجزاته . أى وإن كنت مكذّبا فيما بينكم فلى فى سائر الأنبياء أسوة حيث كذّبوا وعلى الرسول أن يبلّغ وما عليه أن يصدّق ولا يكذّب. وهذه الآية والآيات التى بعدها إلى قوله(فما كان جواب قومه) محتملة أن تكون من جملة قول إبراهيم عليه السلام لقومه، والمراد بالأمم قبله قوم شيث وإدريس ونوح وغيرهم، وأنْ تكون آيات وقعت معترضة فى شأن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وشأن قريش بين أوّل قصّة إبراهيم وآخرها . فإن قلت فالجمل الاعتراضية لا بدّ لها من اتّصال بما وقعت معترضة فيه

أَوَ لَمْ يَرَوْا(١) كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ(٢) ثُمَّ يُعِيدُهُ(٣) إِنَّ ذَٰلِكَ(٤) عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ(٥) ﴿١٩﴾
قُلْ(٦) سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ(٧) ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ(٨)

فلا تقول مكّة وزيد قائم خير بلاد الله؟ قلت نعم وبيانه أنّ إيراد قصّة إبراهيم عليه السلام ليس إلّا إرادة للتنفيس عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأن تكون مسلاة له بأنّ أباه إبراهيم عليه السلام كان مبتلى بنحو ما ابتلى به من شرك قومه وعبادتهم الأوثان فاعترض بقوله (وإن تكذّبوا) على معنى إنّكم يا معشر قريش إن تكذّبوا محمّدا (فقد كذّب) إبراهيم قومه وكلّ أمّة نبيّها لأنّ قوله (فقد كذّب أمم من قبلكم) لا بدّ من تناوله لأمّة إبراهيم وهو كما ترى اعتراض متّصل ثمّ سائر الآيات بعدها من توابعها لكونها ناطقة بالتوحيد ودلائله وهدم الشرك وتوهين قواعده وصفة قدرة الله تعالى وسلطانه ووضوح حجّته وبرهانه .

(١) وبالتاء كوفيّ غير حفص .

(٢) أي قد رأوا ذلك وعلموه .

(٣) ليس بمعطوف على (يبدئ) وليست الرؤية واقعة عليه . وإنّما هو إخبار على حياله بالإعادة بعد الموت كما وقع النظر – في قوله (فانظروا كيف بدأ الخلق ثمّ الله ينشئ النشأة الآخرة) – على البدء دون الإنشاء . بل هو معطوف على جملة قوله (أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق) .

(٤) أي الإعادة .

(٥) سهل .

(٦) (قل) يا محمّد . وإن كان من كلام إبراهيم فتقديره وأوحينا إليه أن قل .

(٧) (فانظروا كيف بدأ الخلق) على كثرتهم واختلاف أحوالهم ، لتعرفوا عجائب فطرة الله بالمشاهدة . وبدأ وأبدأ بمعنى .

(٨) أي البعث(*) وبالمدّ حيث كان مكّيّ وأبو عمرو . وهذا دليل على أنّهما نشأتان، وأنّ كلّ واحدة منهما إنشاء أي ابتداء واختراع وإخراج من العدم إلى الوجود . غير أنّ الآخرة

(*) قوله وبالمدّ أي مدّ الشين بعد تحريكها .

إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ(1) يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ(2) وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ(3) وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ(4) وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ(5) وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ(6)

إنشاء بعد إنشاء مثله. والأولى ليست كذلك. والقياس أن يقال كيف بدأ الله الخلق ثم ينشئ النشأة الآخرة. إلا أن الكلام معهم وقع في الإعادة. فلما قررهم في الإبداء بأنه من الله احتج عليهم بأن الإعادة إنشاء مثل الإبداء. فإذا لم يعجزه الإبداء وجب ألا يعجزه الإعادة. فكأنه قال ثم ذلك الذي أنشأ النشأة الأولى هو الذي ينشئ النشأة الآخرة. فللتنبيه على هذا المعنى أبرز اسمه وأوقعه مبتدأ.

(1) قادر.

(2) (يعذب من يشاء) بالخذلان (ويرحم من يشاء) بالهداية. أو بالحرص والقناعة، أو بسوء الخلق وحسنه، أو بالإعراض عن الله وبالإقبال عليه، أو بمتابعة البدع وبملازمة السنة.

(3) تردون وترجعون.

(4) (وما أنتم بمعجزين) ربكم، أي لا تفوتونه إن هربتم من حكمه وقضائه (في الأرض) الفسيحة (ولا في السماء) التي هي أفسح منها وأبسط لو كنتم فيها.

(5) (وما لكم من دون الله من ولي) يتولى أموركم ولا ناصر يمنعكم من عذابي.

(6) بدلائله على وحدانيته وكتبه ومعجزاته.

وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِي[1] وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ[2] إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوْمٖ يُؤْمِنُونَ[3] ۝ وَقَالَ[4] إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنٗا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا[5] ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٖ[6]

---

(١) جنّى .

(٢) (فما كان جواب) قوم إبراهيم حين دعاهم إلى الإيمـان (إلّا أن) قال بعضهم لبعض (اقتلوه أو حرّقوه) أو قاله واحد منهم وكان الباقون راضين . فكانوا جميعا فى حكم القائلين . فاتّفقوا على تحريقه (فأنجاه الله من النـار) حين قذفوه فيها . روى أنّه لم ينتفع فى ذلك اليوم بالنار . يعنى يوم ألقى إبراهيم فى النار وذلك لذهاب حرّها .

(٣) فيما فعلوا به وفعلنا .

(٤) (وقال) إبراهيم لقومه .

(٥) حمزة وحفص.(مودّةَ بينِكم) مدنىّ وشامىّ وحماد ويحيى وخلف . (مودّةُ بينِكم) مكّىّ وبصرىّ وعلىّ . (مودّةٌ بينَـكم) الشمنىّ والبرجمىّ . النصب على وجهين على التعليل أى لتتوادّوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها واتّفاقكم عليها كما يتّفق النـاس على مذهب فيكون ذلك سبب تحابّهم ، وأن يكون مفعولا ثانيا كقوله (اتّخذ إلهه هواه) . و (ما) كافّة أى اتّخذتم الأوثان سبب المودّة بينكم على تقدير حذف المضاف، أو اتّخذتموها (مودّة بينكم) أى مودودة بينكم كقوله (ومن الناس من يتّخذ من دون الله أندادا يحبّونهم كحبّ الله) . وفى الرفع وجهان: أن يكون خبرا لإنّ و (ما) موصولة، وأن يكون خبر مبتدأ محذوف أى هى مودّة بينكم . والمعنى أنّ الأوثان مودّة بينكم أى مودودة أو سبب مودّة . ومن أضاف المودّة جعل (بينكم) اسمـا لا ظرفا كقوله (شهادة بينكم) ومن نوّن (مودّة) ونصب (بينكم) فعلى الظرف .

(٦) تتبرّأ الأصنام من عابديها .

وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا[1] وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ[2] ﴿٢٥﴾
فَآمَنَ لَهُ[3] لُوطٌ[4] وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ[5] إِلَىٰ رَبِّي[6] إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ[7] الْحَكِيمُ[8] ﴿٢٦﴾
وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ[9] وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ[10] النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ[11] وَآتَيْنَاهُ[12]

---

(١) أى يوم القيامة يقوم بينكم التلاعن فيلعن الأتباع القادة .

(٢) (ومأواكم النار) أى مأوى العابد والمعبود والتابع والمتبوع (وما لكم من ناصرين) ثمّة .

(٣) لإبراهيم عليه السلام .

(٤) هو ابن أخى إبراهيم ، وهو أوّل من آمن له حين رأى النار لم تحرقه .

(٥) (وقال) إبراهيم (إنّى مهاجر) من كوثى وهى من سواد الكوفة إلى حرّان ثمّ منها إلى فلسطين وهى من برّية الشام . ومن ثمّ قالوا لكلّ نبىّ هجرة ولإبراهيم هجرتان . وكان معه فى هجرته لوط وسارّة وقد تزوّجها إبراهيم .

(٦) (إلى) حيث أمرنى (ربّى) بالهجرة إليه .

(٧) الذى يمنعنى من أعدائى .

(٨) الذى لا يأمرنى إلا بما هو خير .

(٩) (ووهبنا له إسحاق) ولداً (ويعقوب) ولد ولد . ولم يذكر إسماعيل لشهرته .

(١٠) أى فى ذرّيّة إبراهيم فإنّه شجرة الأنبياء .

(١١) والمراد به الجنس يعنى التوراة والإنجيل والزبور والفرقان .

(١٢) أى إبراهيم .

أَجْرَهُۥ(١) فِي ٱلدُّنْيَا(٢) وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْآخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ(٣) ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا(٤) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ(٥) مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ(٦) ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ(٧) وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ(٨) ٱلْمُنكَرَ(٩) فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ(١٠) ﴿٢٩﴾

---

(١) الثناء الحسن والصلاة عليه إلى آخر الدهر ومحبة أهل الملل له ، أو هو بقاء ضيافته عند قبره وليس ذلك لغيره .

(٢) فيه دليل على أنه تعالى قد يعطى الأجر فى الدنيا .

(٣) أى من أهل الجنة ، عن الحسن .

(٤) أى (و) اذكر (لوطا) .

(٥) الفعلة البالغة فى القبح وهى اللواطة .

(٦) جملة مستأنفة مقررة لفحاشة تلك الفعلة كأن قائلا قال : لم كانت فاحشة ؟ فقيل، لأن أحداً قبلهم لم يقدم عليها . قالوا : لم ينز ذكر على ذكر قبل قوم لوط .

(٧) (وتقطعون السبيل) بالقتل وأخذ المال كما هو عمل قطاع الطريق . وقيل اعتراضهم السابلة بالفاحشة .

(٨) مجلسكم . ولا يقال للمجلس ناد إلا ما دام فيه أهله .

(٩) أى المضارطة ، والمجامعة ، والسباب ، والفحش فى المزاح ، والحذف بالحصى ، ومضغ العلك ، والفرقعة ، والسواك بين الناس .

(١٠) (إن كنت من الصادقين) فيما تعدنا من نزول العذاب .

(إنكم ، أئنكم) شامى وحفص وهو الموجود فى الإمام . وكل واحد بهمزتين كوفى غير حفص . (آينكم)، (آينكم) بهمزة ممدودة بعدها ياء مكسورة أبو عمرو، و(اينكم)، (أينكم) بهمزة مقصورة بعدها ياء مكسورة مكى ونافع غير قالون وسهل ويعقوب غير زيد .

قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ(١) ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ(٢) قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ(٣) إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ(٤) ﴿٣١﴾ قَالَ(٥) إِنَّ فِيهَا لُوطًا(٦) قَالُوا(٧) نَحْنُ أَعْلَمُ(٨) بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ(٩) وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ(١٠) بِهِمْ

---

(١) (انصرنى) بإنزال العذاب (على القوم المفسدين) كانوا يفسدون الناس بحملهم على ما كانوا عليه من المعاصى والفواحش .

(٢) بالبشارة لإبراهيم بالولد والنافلة يعنى إسحق و يعقوب .

(٣) إضافة (مهلكوا) لم تفد تعريفا لأنها بمعنى الاستقبال . والقرية سدوم التى قيل فيها أجْوَرُ من قاضى سدوم . و (هذه القرية) تشعر بأنها قريبة من موضع إبراهيم عليه السلام . قالوا إنها كانت على مسيرة يوم وليلة من موضع إبراهيم عليه السلام .

(٤) أى الظلم قد استمر منهم فى الأيام السالفة وهم عليه مصرون . وظلمهم كفرهم وأنواع معاصيهم .

(٥) (قال) إبراهيم .

(٦) أى أتهلكونهم وفيهم من هو برىء من الظلم وهو لوط .

(٧) أى الملائكة .

(٨) (نحن أعلم) منك .

(٩) (لننجينّه) يعقوب وكوفى غير عاصم .

(١٠) (كانت من) الباقين فى العذاب. ثم أخبر عن مسير الملائكة إلى لوط بعد مفارقتهم إبراهيم بقوله : (ولما أن جاءت رسلنا لوطا سىء بهم) ساءه مجيئهم . و (أن) صلة أكدت

وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا[1] وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ[2] وَأَهْلَكَ[3] إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ۝ إِنَّا مُنزِلُونَ[4] عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا[5] مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ[6] ۝ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ[7] ءَايَةًۢ بَيِّنَةً[8] لِّقَوْمٍ[9] يَعْقِلُونَ ۝ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ[10]

وجود الفعلين مرتبا أحدهما على الآخر كأنهما وجدا فى جزء واحد من الزمان ، كأنه قيل كما أحس بمجيئهم فاجأته المساءة من غير ريث خيفة عليهم من قومه أن يتناولوهم بالفجور (سىء بهم) (*) مدنى وشامى وعلى .

(1) (وضاق) بشأنهم وبتدبير أمرهم ذرعه أى طاقته . وقد جعلوا ضيق الذرع والذراع عبارة عن فقد الطاقة . كما قالوا رحب الذراع إذا كان مطيقا . والأصل فيه أن الرجل إذا طالت ذراعه نال مالا يناله القصير الذراع . فضرب ذلك مثلا فى العجز والقدرة . ونصب على التمييز .

(2) وبالتخفيف مكى وكوفى غير حفص . والكاف فى محل الجر .

(3) نصب (أهلك) بفعل محذوف أى (و) نجى (أهلك) .

(4) (منزّلون) شامى .

(5) عذابا .

(6) بفسقهم وخروجهم عن طاعة الله ورسوله .

(7) من القرية .

(8) هى آثار منازلهم الخربة . وقيل الماء الأسود على وجه الأرض .

(9) يتعلق بتركنا أو بينة .

(10) (و) أرسلنا (إلى مدين) .

(*) قوله سىء بهم أى بإشمام كسرة السين الضمة .

أخاهم شعيباً فقال يٰقوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر[1] ولا تعثوا في الأرض مفسدين[2] ﴿٣٦﴾ فكذبوه فأخذتهم الرجفة[3] فأصبحوا في دارهم[4] جاثمين[5] ﴿٣٧﴾ وعاداً[6] وثموداً[7] وقد تبين لكم من مساكنهم[8] وزين لهم الشيطان أعمالهم[9] فصدهم عن السبيل[10] وكانوا مستبصرين[11] ﴿٣٨﴾ وقارون وفرعون وهامان[12]

---

(١) وافعلوا ما ترجون به الثواب فى العاقبة . أو خافوه .

(٢) قاصدين الفساد .

(٣) الزلزلة الشديدة ، أو صيحة جبريل عليه السلام ، لأن القلوب رجفت بها .

(٤) فى بلدهم وأرضهم .

(٥) باركين على الركب ميتين .

(٦) منصوب بإضمار أهلكنا لأن قوله (فأخذتهم الرجفة) يدل عليه لأنه فى معنى الإهلاك .

(٧) حمزة وحفص وسهل ويعقوب .

(٨) (وقد تبين لكم) ذلك — يعنى ما وصفه من إهلاكهم — (من) جهة (مساكنهم) إذا نظرتم إليها عند مروركم بها . وكان أهل مكة يمرون عليها فى أسفارهم فيبصرونها .

(٩) من الكفر والمعاصي .

(١٠) السبيل الذى أمروا بسلوكه هو الإيمان بالله ورسله .

(١١) عقلاء متمكنين من النظر وتمييز الحق من الباطل ولكنهم لم يفعلوا .

(١٢) أى وأهلكناهم .

وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ[1] ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ[2] فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا[3] وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ[4] وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ[5] وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا[6] وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ[7] وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ[8] ﴿٤٠﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ[9] ﴿٤١﴾

---

(١) فائتين . أدركهم أمر الله فلم يفوتوه .

(٢) فيه ردّ على من يجوّز العقوبة بغير ذنب .

(٣) هى ريح عاصف فيها حصباء . وهى لقوم لوط .

(٤) هى لمدين وثمود .

(٥) يعنى قارون .

(٦) يعنى قوم نوح وفرعون .

(٧) ليعاقبهم بغير ذنب .

(٨) (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بالكفر والطغيان .

(٩) (أولياء) أى آلهة . يعنى مثل من أشرك بالله الأوثان فى الضعف وسوء الاختيار (كمثل العنكبوت) فيما تتخذه لنفسها من بيت فإنّ ذلك بيت لا يدفع عنها الحرّ والبرد ولا يقى ما تقى البيوت . فكذلك الأوثان لا تنفعهم فى الدنيا والآخرة . جعل حاتم (اتّخذت) حالا (وإنّ أوهن البيوت لبيت العنكبوت) لا بيتَ أوهن من بيتها . عن علىّ رضى الله عنه طهّروا بيوتكم من نسج العنكبوت فإنّ تركه يورث الفقر (لو كانوا يعلمون) أنّ هذا مثلهم وأنّ أمر دينهم بالغ هذه الغاية من الوهن. وقيل مثل المشرك الذى يعبد الوثن بالقياس إلى المؤمن الذى

إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ[1] مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ[2] وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ[3] ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا[4] لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ[5] ﴿٤٣﴾

يعبد الله مثل عنكبوت تتّخذ بيتا بالإضافة إلى رجل يبنى بيتا بآجر وجَصّ أو ينحته من صخر . وكما أنّ أوهن البيوت إذا استقريتها بيتاً بيتاً بيت العنكبوت ، كذلك أضعف الأديان إذا استقريتها ديناً ديناً عبادة الأوثان . وقال الزّجاج فى جماعة : تقدير الآية (مثل الذين اتّخذوا من دون الله أولياء) لو كانوا يعلمون (كمثل العنكبوت) .

(١) بالياء بصرىّ وعاصم ، وبالتاء غيرهما غير الأعشى والبرجمىّ . و(ما) بمعنى الذى وهو مفعول (يعلم) . ومفعول (يدعون) مضمر أى يدعونه ، يعنى يعبدونه .

(٢) (من) فى (من شىء) للتبيين .

(٣) (وهو) الغالب الذى لا شريك له (الحكيم) فى ترك المعاجلة بالعقوبة . وفيه تجهيل لهم حيث عبدوا جمادا لا علم له ولا قدرة وتركوا عبادة القادر القاهر على كلّ شىء (الحكيم) الذى لا يفعل كلّ شىء إلاّ بحكمة وتدبير .

(٤) (الأمثال) نعت والخبر (نضربها) نبيّنها .

(٥) كان سفهاء قريش وجهلتهم يقولون إنّ ربّ محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت ويضحكون من ذلك . فلذلك قال (وما يعقلها إلاّ العالمون) به وبأسمائه وصفاته . أى لا يعقل صحّتها وحسنها ولا يفهم فائدتها إلاّ هم ، لأنّ الأمثال والتشبيهات إنّما هى الطرق إلى المعانى المستورة حتّى تبرزها وتصوّرها للأفهام كما صوّر هذا التشبيه الفرق بين حال المشرك وحال الموحّد . وعن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم أنّه تلا هذه الآية فقال « العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه » . ودلّت الآية على فضل العلم على العقل .

خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ (١) إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ (٢) وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ (٣) إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ (٤) وَٱلْمُنكَرِ (٥) وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ (٦)

(١) إلا (بالحق) أى محقا . يعنى لم يخلقهما باطلا بل لحكمة. وهى أن تكونا مساكن عباده وعبرة للمعتبرين منهم ودلائل على عظم قدرته . ألا ترى إلى قوله (إن فى ذلك لآية للمؤمنين) وخصّهم بالذكر لانتفاعهم بها .

(٢) (اتل) تقربا إلى الله تعالى بقراءة كلامه ولتقف على ما أمر به ونهى عنه .

(٣) أى دم على إقامة الصلاة .

(٤) الفعلة القبيحة كالزنا مثلا .

(٥) هو ما ينكره الشرع والعقل . قيـل من كان مراعيا للصلاة جرّه ذلك إلى أن ينتهى عن السيّئات يوما مّا . فقـد روى أنّه قيل يوما لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم إنّ فلانا يصلّى بالنهار ويسرق بالليل فقال إنّ صلاته لتردعه . وروى أنّ فتى من الأنصار كان يصلّى معه الصلوات ولا يدع شيئا من الفواحش إلّا ركبه . فوصف له فقال إنّ صلاته ستنهاه . فلم يلبث أن تاب .وقال ابن عوف إنّ الصلاة تنهى إذا كنت فيها فأنت فى معروف وطاعة وقد حجزتك عن الفحشاء والمنكر. وعن الحسن من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فليست صلاته بصلاة وهى وبال عليه .

(٦) أى والصلاة أكبر من غيرها من الطاعات . وإنّما قال (ولذكر الله) ليستقلّ بالتعليل كأنّه قال والصلاة أكبر لأنّهـا ذكر الله . وعن ابن عبّاس رضى الله عنهما (ولذكر الله) إيّاكم برحمته (أكبر) من ذكركم إيّاه بطاعته . وقال ابن عطاء ذكر الله لكم أكبر من ذكركم له لأنّ ذكره بلا علّة وذكركم مشوب بالعلل والأمانى ولأنّ ذكره لايفنى وذكركم لايبقى. وقال سلمان ذكر الله أكبر من كلّ شىء وأفضل. فقد قال عليه السلام "ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها

وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ(١) ۝ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ(٢) وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ(٣) ۝

عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير من إعطاء الذهب والفضة وأن تلقوا عدوّكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا : وما ذاك يا رسول الله ؟ قال "ذكر الله" وسئل أى الأعمال أفضل ؟ قال أن تفارق الدنيا ولسانك رطب بذكر الله . أو ذكر الله أكبر من أن تحويه أفهامكم وعقولكم ، أو ذكر الله أكبر من أن تبقى معه معصية ، أو ذكر الله أكبر فى النهى عن الفحشاء والمنكر من غيره .

(١) (والله يعلم ما تصنعون) من الخير والطاعة فيثيبكم أحسن الثواب .

(٢) (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا ب) الخصلة (التى هى أحسن) للثواب وهى مقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم — كما قال (ادفع بالتى هى أحسن) — (إلا الذين ظلموا منهم) فأفرطوا فى الاعتداء والعناد ولم يقبلوا النصح ولم ينفع فيهم الرفق . فاستعملوا معهم الغلظة . وقيل (إلا الذين) آذوا رسول الله صلى الله عليه وسلّم . أو (إلا الذين) أثبتوا الولد والشريك وقالوا يد الله مغلولة . أو معناه (ولا تجادلوا) الداخلين فى الذمة المؤدين الجزية (إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا) فنبذوا الذمة ومنعوا الجزية فجادلتهم بالسيف . والآية تدل على جواز المناظرة مع الكفرة فى الدين ، وعلى جواز تعلم علم الكلام الذى به تتحقق المجادلة .

(٣) من جنس المجادلة بالأحسن . وقال عليه السلام " ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم (وقولوا آمنا) بالله وكتبه ورسله . فإن كان باطلا لم تصدقوهم وإن كان حقا لم تكذبوهم" .

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ (١) فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ (٢) وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ (٣) ۝ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ (٤) مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ (٥) إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ (٦) ۝ بَلْ هُوَ (٧)

(١) ومثل ذلك الإنزال (أنزلنا إليك الكتاب) أى أنزلناه مصدّقا لسائر الكتب السماوية. أو كما أنزلنا الكتب إلى من قبلك (أنزلنا إليك الكتاب) .

(٢) (فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به) هم عبد الله بن سلام ومن معه (ومن هؤلاء من يؤمن به) أى من أهل مكّة (من يؤمن به) . أو أراد بالذين أوتوا الكتاب الذين تقدّموا عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من أهل الكتاب ، (ومن هؤلاء) الذين كانوا فى عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

(٣) (وما يجحد بآياتنا) مع ظهورها وزوال الشبهة عنها إلّا المتوغّلون فى الكفر المصمّمون عليه ككعب بن الأشرف وأضرابه .

(٤) من قبل القرآن .

(٥) خص اليمين لأنّ الكتابة غالبا تكون باليمين . أى ما كنت قرأت كتابا من الكتب ولا كنت كاتبا .

(٦) أى لو كان شىء من ذلك ، أى من التلاوة ومن الخطّ (لارتاب المبطلون) من أهل الكتاب ، وقالوا الذى نجد نعته فى كتبنا أمىّ لا يكتب ولا يقرأ وليس به ، أو لارتاب مشركو مكّة وقالوا لعلّه تعلّمه أو كتبه بيده . سمّاهم مبطلين لإنكارهم نبوّته . وعن مجاهد والشعبىّ ما مات النبىّ صلّى الله عليه وسلّم حتى كتب وقرأ .

(٧) أى القرآن .

ءَايَٰتٌ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ (١) وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ (٢) ۝ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ (٣) مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ (٤) وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥) ۝ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ (٦) ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٧) ۝

(١) أى فى صدور العلماء به وحفّاظه . وهما من خصائص القرآن : كون آياته بيّنات الإعجاز ، وكونه محفوظا فى الصدور . بخلاف سائر الكتب فإنّها لم تكن معجزات ولا كانت تقرأ إلّا من المصاحف .

(٢) (وما يجحد بآياتنا) الواضحة (إلّا) المتوغّلون فى الظلم .

(٣) (آية) بغير ألف مكّىّ وكوفىّ غير حفص . أرادوا هلّا (أنزل عليه آيات) مثل الناقة والعصا ومائدة عيسى عليهم السلام ونحو ذلك .

(٤) (إنّما الآيات عند الله) ينزل أيّتها شاء ولست أملك شيئا منها .

(٥) كلّفت الإنذار وإبانته بما أعطيت من الآيات ، وليس لى أن أقول أنزِلْ علىّ آية كذا دون آية كذا مع علمى أنّ المراد من الآيات ثبوت الدلالة ، والآيات كلّها فى حكم آية واحدة فى ذلك .

(٦) أى (أولم يكفهم) آية مغنية عن سائر الآيات — إن كانوا طالبين للحق غير متعنّتين — هذا القرآن الذى تدوم تلاوته عليهم فى كل مكان وزمان فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول كما تزول كلّ آية بعد كونها ، أو تكون فى مكان دون مكان .

(٧) أى (إنّ) فى مثل هذه الآية الموجودة فى كل مكان وزمان إلى آخر الدّهر (لرحمة) لنعمة عظيمة (وذكرى) وتذكرة (لقوم يؤمنون) دون المتعنّتين .

قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ [1] ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ [2] وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ [3] ﴿٥٣﴾

---

(١) أى (كفى بالله) شاهدا بصدق ما أدّعيه من الرسالة وإنزال القرآن علىّ وبتكذيبكم . (يعلم ما فى السموات والأرض) فهو مطّلع على أمرى وأمركم ، وعالم بحق وباطلكم . (والذين آمنوا) منكم (بالباطل) وهو ما يعبدون من دون الله (وكفروا بالله) وآياته (أولئك هم الخاسرون) المغبونون فى صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالإيمان . إلّا أنّ الكلام ورد مورد الإنصاف كقوله (وإنّا أو إيّاكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين) . وروى أنّ كعب بن الأشرف وأصحابه قالوا : يا محمّد من يشهد لك بأنّك رسول الله ؟ فنزلت .

(٢) (ويستعجلونك بالعذاب) بقولهم (أمطر علينا حجارة من السماء) الآية . (ولولا أجل مسمّى) وهو يوم القيامة ، أو يوم بدر ، أو وقت فنائهم بآجالهم . والمعنى (ولولا أجل) قد سمّاه الله وبيّنه فى اللوح لعذابهم ، والحكمة تقتضى تأخيره إلى ذلك الأجل المسمّى ، (لجاءهم العذاب) عاجلا .

(٣) (وليأتينّهم) العذاب عاجلا أو ليأتينّهم العذاب فى الأجل المسمّى فجأة (وهم لا يشعرون) بوقت مجيئه .

يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ۝ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ (١) وَيَقُولُ (٢) ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٣) ۝ يَٰعِبَادِىَ (٤) ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى (٥) وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ۝ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ (٦)

---

(١) أى ستحيط بهم (يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم) لقوله تعالى (من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل) . ولا وقف على (بالكافرين) لأنّ (يوم) ظرف إحاطة النار بهم .

(٢) بالياء كوفىّ ونافع .

(٣) أى جزاء أعمالكم .

(٤) وبسكون الياء بصرىّ وكوفىّ غير عاصم .

(٥) (أرضى) بفتح الياء شامىّ . يعنى أنّ المؤمن إذا لم يتسهّل له العبادة فى بلد هو فيه ولم يتمشّ له أمر دينه فليهاجر عنه إلى بلد يقدّر أنه فيه أسلم قلبا وأصحّ دينا وأكثر عبادة . والبقاع تتفاوت فى ذلك تفاوتا كثيرا . وقالوا لم نجد أعون على قهر النفس وأجمع للقلب وأحثّ على القناعة وأطرد للشيطان وأبعد من الفتن وأربط للأمر الدينىّ من مكّة حرسها الله تعالى . وعن سهل إذا ظهرت المعاصى والبدع فى أرض فاخرجوا منها إلى أرض المطيعين . وعن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : "من فرّ بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبرا من الأرض استوجب الجنّة" .

(٦) (فاعبدونى) بالياء يعقوب . وتقديره (فإيّاى) اعبدوا (فاعبدونى) . ووجه بالفاء فى (فاعبدون) لأنّه جواب شرط محذوف، لأنّ المعنى (إنّ أرضى واسعة) فإن لم تخلصوا العبادة لى فى أرض فأخلصوها فى غيرها . ثمّ حذف الشرط وعوّض عن حذفه تقديم المفعول مع إفادة

ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (١) ۝ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا (٢) تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ۝ الَّذِينَ صَبَرُوا (٣) وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٤) ۝ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ (٥) لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا (٦)

تقديمه معنى الاختصاص والإخلاص . ثمّ شجّع المهاجر بقوله (كلّ نفس ذائقة الموت) أى واجدة مرارته وكربه كما يجد الذائق طعم المذوق . لأنها إذا تيقنت بالموت سهل عليها مفارقة وطنها .

(١) (ثمّ إلينا ترجعون) بعد الموت للثواب والعقاب . (يرجعون) يحيى . (ترجعون) يعقوب .

(٢) لننزلنّهم من الجنّة علالى . (لَنُثْوِيَنَّهم) كوفى غير عاصم من الثّواء وهو النزول للإقامة. وثوى غير متعدّ . فإذا تعدّى بزيادة الهمزة لم يجاوز مفعولا واحدا. والوجه فى تعديته إلى ضمير المؤمنين و إلى الغرف إمّا إجراؤه مجرى لننزلنّهم أو لنؤوينّهم . أو حذف الجارّ و إيصال الفعل. أو تشبيه الظرف المؤقّت بالمبهم .

(٣) يوقف على (العاملين) على أنّ (الذين صبروا) خبر مبتدأ محذوف أى هم (الذين صبروا) على مفارقة الأوطان وعلى أذى المشركين وعلى المحن والمصائب وعلى الطاعات وعن المعاصى . والوصل أجود ليكون (الذين) نعتا للعاملين .

(٤) ولم يتوكّلوا فى جميع ذلك إلّا على الله .

(٥) لمّا أمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من أسلم من مكّة بالهجرة خافوا الفقر والضيعة. فنزلت . أى وكم من دابّة. (وكائن) بالمدّ والهمز، مكّى . والدابّة كلّ نفس دبّت على وجه الأرض عقلت أو لم تعقل .

(٦) لا تطيق أن تحمله لضعفها عن حمله . وعن الحسن (لا تحمل رزقها) لا تدّخره . إنّما تصبح فيرزقها الله . وقيل لا يدّخر شىء من الحيوان قوتا إلّا ابن آدم والفأرة والنملة .

ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ(١) وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ(٢) ۝ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ(٣) ۝ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ(٤) إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ(٥) ۝ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ(٦) قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ(٧)

---

(١) أى لا يرزق تلك الدوابّ الضعاف إلّا الله ،ولا يرزقكم أيضا أيها الأقوياء إلّا هو وإن كنتم مطيقين لحمل أرزاقكم وكسبها ، لأنه لو لم يقدركم ولم يقدر لكم أسباب الكسب لكنتم أعجز من الدوابّ التى لا تحمل .

(٢) (وهو السميع) لقولكم نخشى الفقر والعيلة (العليم) بما فى ضمائركم .

(٣) أى(ولئن) سألت هؤلاء المشركين (من خلق السموات والأرض) على كبرهما وسعتهما (و) من الذى (سخّر الشمس والقمر ليقولنّ الله) فكيف يصرفون عن توحيد الله مع إقرارهم بهذا كلّه ؟

(٤) أى لمن يشاء فوضع الضمير موضع من يشاء لأنّ من يشاء مبهم غير معين فكان الضمير مبهما مثله . قدَر الرزق وقتّره بمعنًى إذا ضيّقه .

(٥) يعلم ما يصلح العباد وما يفسدهم. فى الحديث "إنّ من عبادى من لا يُصلح إيمانه إلّا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك، وإنّ من عبادى من لا يصلح إيمانه إلّا الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك" .

(٦) أى هم مقرّون بذلك .

(٧) (قل الحمد لله) على إنزاله الماء لإحياء الأرض، أو على أنّه ممن أقرّ بنحو ما أقرّوا به ثم نفعه ذلك فى توحيد الله ونفى الشركاء عنه ولم يكن إقرارا عاطلا كإقرار المشركين .

بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ(١) ﴿٦٣﴾ وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ(٢) وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ(٣) ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ(٤) دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ(٥) فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ(٦) ﴿٦٥﴾

(١) لا يتدبّرون بما فيهم من العقول فيما نريهم من الآيات ونقيم عليهم من الدلالات. أو (لا يعقلون) ما تريد بقولك (الحمد لله).

(٢) أى وما هى، لسرعة زوالها عن أهلها وموتهم عنها، إلّا كما يلعب الصبيان ساعة ثمّ يتفرّقون. وفيه ازدراء بالدنيا وتصغير لأمرها. وكيف لا يصغّرها وهى لا تزن عنده جناح بعوضة؟ واللهو ما يتلذّذ به الإنسان فيلهيه ساعة ثمّ ينقضى.

(٣) (الحيوان) أى الحياة. أى ليس فيها إلّا حياة مستمرّة دائمة لا موت فيها. فكأنّها فى ذاتها حياة. والحيوان مصدر حيى وقياسه حييان فقلبت الياء الثانية واوا. ولم يقل لهى الحياة لما فى بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب. والحياة حركة والموت سكون. فمجيئه على بناء دالّ على معنى الحركة مبالغة فى معنى الحياة. ويوقف على (الحيوان). لأنّ التقدير (لو كانوا يعلمون) حقيقة الدارين لما اختاروا اللهو الفانى على الحيوان الباقى. ولو وصل لصار وصف الحيوان معلّقا بشرط علمهم ذلك. وليس كذلك.

(٤) هو متّصل بمحذوف دلّ عليه ما وصفهم به وشرح من أمرهم. معناه هم على ما وصفوا به من الشرك والعناد (فإذا ركبوا فى الفلك).

(٥) كائنين فى صورة من يخلص الدين لله من المؤمنين حيث لا يذكرون إلّا الله ولا يدعون معه إلها آخر.

(٦) (فلمّا نجّاهم إلى البرّ) وأمنوا (إذا هم يشركون) عادوا إلى حال الشرك.

لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟[1] فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ[2] ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟[3] أَنَّا جَعَلْنَا[4] حَرَمًا[5] ءَامِنًا[6] وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ[7] أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ[8] ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا[9] أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ[10]

---

(١) (ليكفروا بما آتيناهم) من النعمة . قيل هى لام كى . وكذا فى (وليتمتّعوا) فيمن قرأها بالكسر . أى لكى يكفروا وكى يتمتعوا . والمعنى يعودون إلى شركهم ليكونوا بالعود إلى شركهم كافرين بنعمة النجاة قاصدين التمتع بها والتلذذ لا غير على خلاف عادة المؤمنين المخلصين على الحقيقة . فإنهم يشكرون نعمة الله إذا أنجاهم ويجعلون نعمة النجاة ذريعة إلى ازدياد الطاعة لا إلى التلذذ والتمتع . وعلى هذا لا وقف (على يشركون) . ومن جعله لام الأمر — متثبتا بقراءة ابن كثير وحمزة وعلىّ (وليتمتعوا) بسكون اللام، على وجه التهديد كقوله (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) وتحقيقه فى أصول الفقه — يقف عليه .

(٢) (فسوف يعلمون) سوء تدبيرهم ، عند تدميرهم .

(٣) أى أهل مكّة .

(٤) (جعلنا) بلدهم .

(٥) ممنوعا مصونا .

(٦) يأمن داخله .

(٧) يستلبون قتلا وسبيا .

(٨) أى (أ) بالشيطان والأصنام (يؤمنون ، وبنعمة الله) أى بمحمّد عليه السلام والإسلام (يكفرون) ؟ !

(٩) بأن جعل له شريكا .

(١٠) بنبوة محمد عليه السلام والكتاب .

لَمَّا جَآءَهُۥٓ[1] أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ[2] ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟[3] فِينَا[4] لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا[5] ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ[6] ﴿٦٩﴾

---

(١) أى لم يتلعثموا فى تكذيبه حين سمعوه .

(٢) هـذا تقرير لثوائهم فى جهنّم لأنّ همزة الإنكار إذا أدخلت على النفى صار إيجابا . يعنى ألا يثوون فيها وقد افتروا مثل هذا التكذيب على الله وكذّبوا بالحقّ مثل هذا التكذيب . أو ألم يصحّ عندهم أنّ (فى جهنّم مثوى للكافرين) حين اجترءوا مثل هـذه الجراءة . وذكر المثوى فى مقابلة (لنبوّئنّهم) يؤيّد قراءة الثانى .

(٣) أطلق المجاهـدة ولم يقيّدها بمفعول ليتناول كلّ ما تجب مجاهدته من النفس والشيطان وأعداء الدين .

(٤) فى حقّنا ومن أجلنا ولوجهنا خالصا .

(٥) (سبْلنا) أبو عمرو . أى لنزيدنّهم هداية إلى سبل الخير وتوفيقا .

وعن الدارانىّ (والذين جاهدوا) فيما علموا (لنهدينّهم) إلى ما لم يعلموا . فقد قيل من عمل بما علم وفّق لما لا يعلم . وقيل إنّ الذى نرى من جهلنا بما لا نعلم ، إنّما هو لتقصيرنا فيما نعلم . وعن فضيل (والذين جاهدوا) فى طلب العلم (لنهدينهم) سبل العمل به . وعن سهل (والذين جاهدوا) فى إقامة السنّة (لنهدينّهـم) سبل الجنّـة . وعن ابن عطاء (جاهدوا) فى رضانا (لنهدينّهم) الوصول إلى محـل الرضوان . وعن ابن عباس (جاهدوا) فى طاعتنا (لنهدينّهم) سبل ثوابنا . وعن الجنيد (جاهدوا) فى التوبة (لنهدينّهم) سبل الإخلاص ، أو (جاهدوا) فى خدمتنا لنفتحنّ عليهم سبل المناجاة معنا والأنس بنـا ، أو (جاهدوا) فى طلبنا تحرّيا لرضانا (لنهدينّهم) سبل الوصول إلينا .

(٦) (وإنّ الله لمع المحسنين) بالنصرة والمعونة فى الدنيا وبالثواب والمغفرة فى العقبى .

تمّ المجلّد الثانى ويليه المجلّد الثالث وأوّله سورة الروم

بتوفيق الله ومعونته قد تم طبع المجلد الثانى من " تفسير القرآن الجليل المسمى (بمدارك التنزيل وحقائق التأويل) تأليف الإمام الجليل العلامة أبى البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفى " بدار المطبعة الأميرية ببولاق مصر فى اليوم السابع من شهر شوّال لسنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وألف من الهجرة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية ، فى عهد حضرة صاحب الجلالة الملك الصالح " فاروق الأوّل " ملك مصر حفظه الله وأدامه ، وأيد ملكه وأسعد أيامه ، وأعز به الإسلام والمسلمين ، إنه سميع مجيب ؟

مدير المطبعة الأميرية

محمود زكى إبراهيم

المطبعة الأميرية ١٣٩٧٤–١٩٣٤–٨٩٩٢/د–١٩٣٩–١٥٠٠

